البناء الاجتماعي والشخصية

أ.د محمد سعيد فرح
استاذ علم الاجتماع

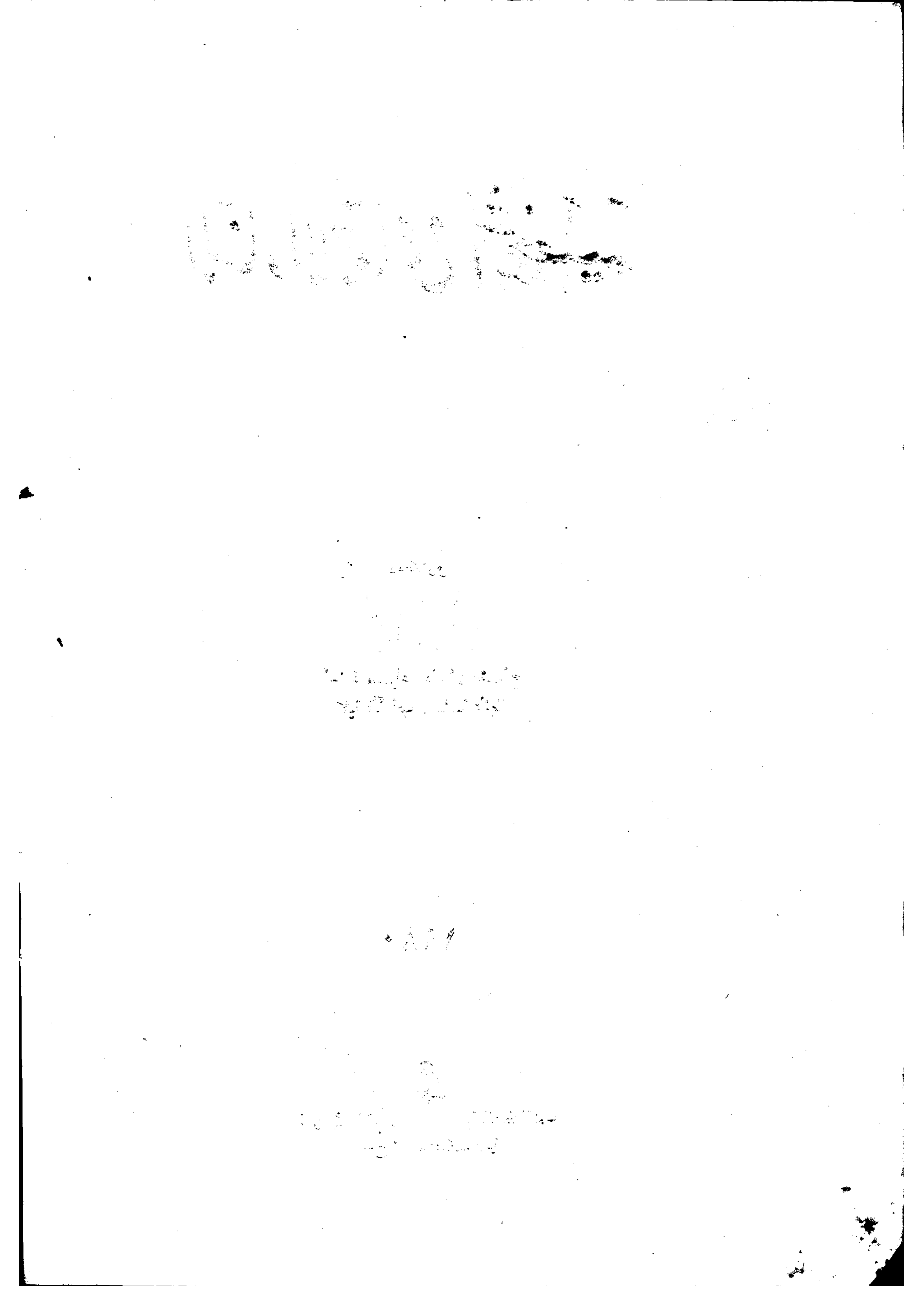
دكتور
محمد سعيد فرح
استاذ مساعد علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة طنطا



١٩٨٠



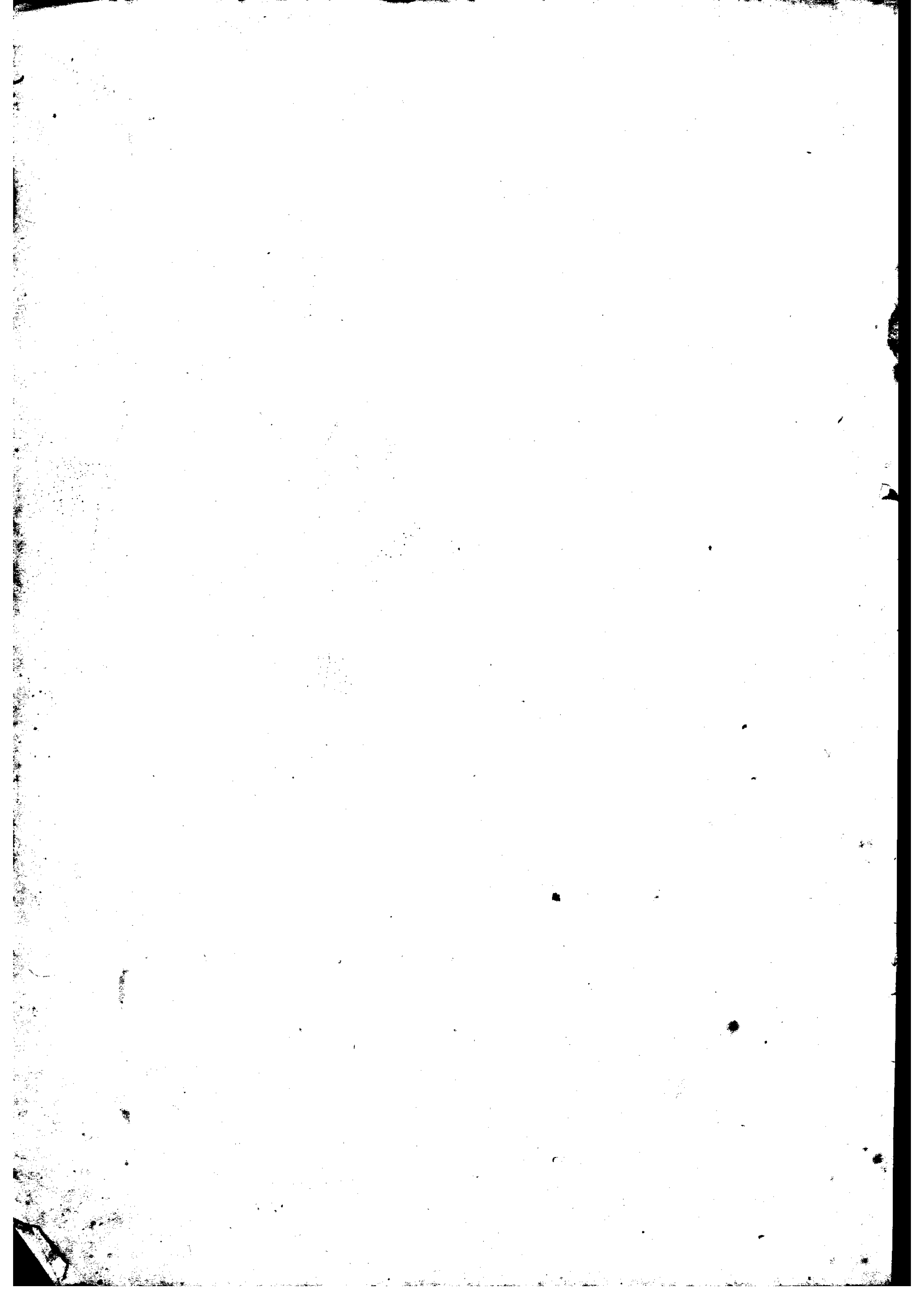
الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

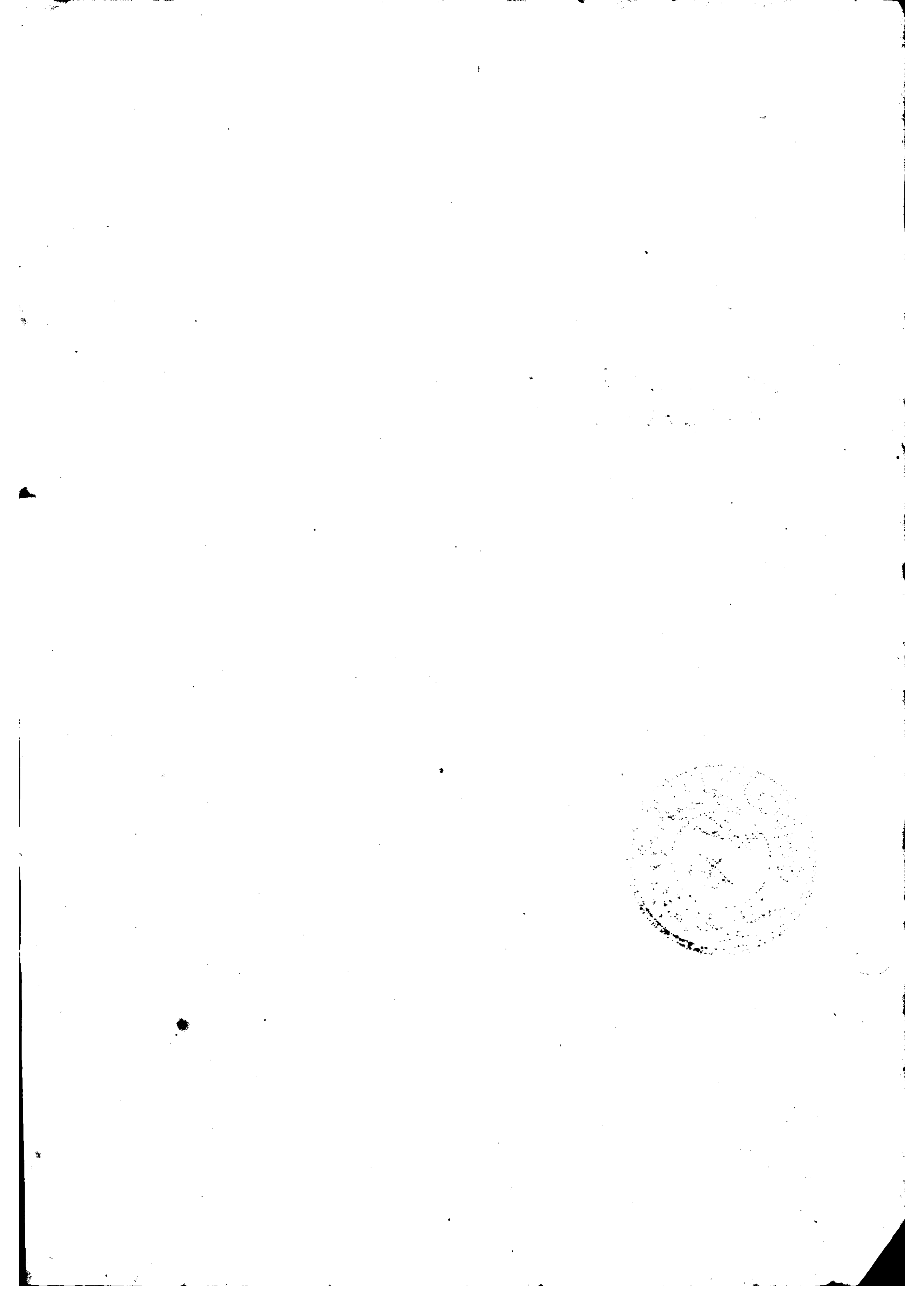


الإهـــــداء

إلى

أمي طيب الله ثراهـــا





المقـــدمة

إن الفكرة الأساسية لموضوع البناء الإجتماعى والشخصية تهدف إلى بحث إمكانية قيام علاقة تفاعل وتداخل وتبادل بين علم الاجتماع وعلم النفس ، بعد أن ثبت أن التفسير الإجتماعى التقليدى لكثير من المشكلات الإنسانية قاصر ومحدود بقدر ما يستبعد التحليل الإجتماعى نتائج الأبحاث النفسية فى دراسته، كذلك يبدو التحليل النفسى عقيما وغير مثمر ما دام رجال علم النفس لا يستفيدون من نتائج الأبحاث الإجتماعية عند تحليل الظواهر النفسية ، ومن ثم فمن الجلى أن التفسير أحادى الجانب للحقائق الإنسانية زائف وتعسفى . وقد رأى الإتجاه المعاصر فى علم الاجتماع ضرورة قيام دراسات جديدة تحطم الفواصل التقليدية بين علمى الاجتماع والنفس ، وتربط بين الحقائق الاجتماعية والنفسية من أجل أن تكون الدراسات الانسانية أكثر شمولا وأعمق غرضاً لتحقيق المزيد من فهم الإنسان. هذا الاتجاه فى الدراسة يبغى تحقيق التكامل بين علم الاجتماع وعلم النفس ، ومن ثم نبذ الاتجاه التقليدى فى كل من العلمين الذى يرى أن مجال علم النفس هو دراسة الفرد وأن مدار علم الاجتماع الظواهر الاجتماعية ، وأن كلا العلمين له تعريفه الخاص به وموضوعاته التى يهتم بها ومجاله المتميز، ومن ثم فلا إتصال بين العلمين ولا تفاعل بينهما . ويرى الاتجاه الاجتماعى المعاصر ممثلا فى بارسونز ومدرسته أنه قد صار لزاما الربط بين العلمين بعد أن ثبت قصور كل منهما على حدة عن تفسير الإنسان ومشكلاته ، وتحقيق التفاعل بينهما إذ أن كليهما يدرس حقائق إنسانية واحدة لكن من مراكز إهتمام متباينة .

وقد رفض الاتجاه المعاصر فى علم الاجتماع الفصل بين العلمين، وبحث إمكانية قيام علم يدرس الإنسان ويحقق إمكانية قيام ترابط بينهما . وبين أن النظرية

النفسيه التحليلية ذات أهمية للنظرية الاجتماعية ، وفى الوقت نفسه فالنظـرية الاجتماعية ذات فائدة للنظرية النفسية ، إذ يساعد التداخل بين العلمين على إتساع الرؤية الشاملة لحقائق الإنسانية . فعالم التحليل النفسى لا يستطيع أن يهرب من مواجهة الأنساق الاجتماعية، كما أن عالم الاجتماع لا يستطيع أن يغفل أهمية نفسيات الأفراد عند دراسته للعلاقات الاجتماعية، ولذا رفض بارسونز وانصاره موقف التضاد بين علم الاجتماع وعلم النفس ، أو موقف التضاد بين الفرد والمجتمع، فهذه الثنائية لا توجد فى طبيعة الأشياء إذ لا يمتص المجتمع الفرد كلية كما يرى الاجتماعيون، كما أن الفرد ليس هو الوحدة الأساسية للدراسة كما يرى رجال علم النفس . ويرى الاتجاه الاجتماعى المعاصر عند بارسونز أن هذه النظرة فى كل من الاتجاهين تعميناً عن تبصر الحقيقة الهامة وهى أن كل عملية من عمليات التفاعل الاجتماعى تكون نسقاً من مجموعة من الأفراد . ويحاول الاتجاه الجديد أن يوفق بين الاتجاهين بمزجهما فى إطار جديد للدراسة يؤكد التفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية بإعتبارهما عنصرين أساسيين لتحديد إطار المرجع الذى يتم فيه السلوك ويتفاعل فيه الأفراد .

ولكن لماذا نشأ هذا الاتجاه الجديد فى الدراسات الاجتماعية وحاول أن يوفق بين آراء مدرسة التحليل النفسى الفرويدية وآراء المدرسة الاجتماعية الدوركيمية؟ أن إهتمام علم النفس التحليلى بتحليل سلوك الفرد والانصراف إلى دراسة العوامل الشخصية التى تؤدى إلى هذا السلوك ، وإعتبار الفرد هو الوحـدة الأساسيـة فى الدراسة ، قد أدى به إلى تمركز الدراسات النفسية حول الفرد بإعتباره تنظيما للحاجات والمشاعر والميول والحيل . وقد إهتم فرويد بإستقصاء الغرائز والنزعات والدوافع وأغراض الفرد وإرتباطات هذه الغرائز والدوافع بالسلوك . وقد إهتم التحليل النفسى بدراسه حالات للفرد الداخلية والأحداث النفسية والحالات

العقلية . وإنصرف إهتمام التحليل النفسى بتأثير الرؤية الحتمية إلى دراسة أهمية السنوات الأولى فى حياة الفرد ورأى أنها سنوات حاسمة، وإلى دراسة العمليات الشعورية واللاشعورية وتأثيرها على السلوك ، كما بين هذا الاتجاه ثبات سلوك المرء بعد طور الطفولة بالرغم من تعدد الأدوار وتكاثرها ، وفى الوقت نفسه إعتبر الشخصية تنظيما حقيقيا متميزاً .

وقد إقتصرت الدراسات النفسية حول السلوك الشخصى والظواهر الفردية، ولم تهتم أبدا بتأكيد الهيئة الاجتماعية والثقافية اللتين تؤثران على الأنماط السلوكية والعمليات العقلية وأغفلت دراسة مشكلات السلوك الانسانى التى تنشأ عن الصراع بين القيم الاجتماعية ومطالب الأدوار الاجتماعية من جانب ، وبين حاجات الشخص من جانب آخر . وقد أدى هذا الاتجاه فى الدراسة عندما أكد أهمية الفرد بإعتباره الوحدة المميزة إلى إغفال أهمية دراسة السلوك الاجتماعى، وبذلك لم يهتم علماء النفس التحليلى بدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية التى تكون الانسان الاجتماعى .

ومن جهة أخرى يرى دوركيم أن مجال علم الاجتماع بصفته علماً موضوعياً هو الحقيقة الواقعية ، أى المجتمع . وقد إهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية ونظر اليها كأشياء توجد فى الخارج ، وأكد قوة القهر والالزام لهذه الظواهر الاجتماعية على المرء . وقد إنصرف علم الاجتماع إلى دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية والتى تتمركز حول علاقات معينة ، ومن ثم غاب عن الاجتماعيين أن وحدات تحليل النسق الاجتماعى هى الأدوار المرتبطة بسلوك الأشخاص ، وليست مظاهر السلوك التى يختارها علم الاجتماع محورا لدراسته .

وقد هرب علم الاجتماع الدوركيمى من تفسير كيفية إنتقال تأثير المجتمع

يكتسب نتيجة التفاعل بين الحاجات الفطرية الوراثية والتجارب الاجتماعيه . أما البناء الاجتماعى فهو نسق من توقعات منظمة لسلوك الأفراد الذين يشغلون مراكز خاصة فى النسق الاجتماعى . ويطلق الاجتماعيون على مثل هـذا النسق الذى تنظم القيم العلاقات فيه نسق الأدوار .

وتأكيدا لأهمية الترابط بين العلمين وضع بارسونز تعريفات جـديده لعـلم الاجتماع وعلم النفس يؤكد فيهما أهمية التداخل بين العلمين ، وإستناد كل علم على نتائج العلم الآخر لدراسة الظواهر موضـوع البحث . ويرى بارسونز أن عـلم الاجتماع يهتم بملاحظة وتحليل السلوك الاجتماعى ، أى التفاعل بين أعـداد من البشر وأشكال العلاقات بينهم فى الظروف المختلفة وأبعاد هذه الأشكال والتغيرات التى تحدث لها . فعلم الاجتماع يحاول أن يتمى النظرية الاجتماعية لتحليل أنساق السلوك لتفهم هذه الأنساق فى إطار تكامل صفات القيم العامة . أما علم النفس ، فيهتم بسلوك الفرد بإعتباره محصلة لعلاقاته مع الأفراد الآخرين . فمجال علم النفس التحليلى الاهتمام بالصفات المتغيرة لأنساق الفعل والتى تنبثق عن الشخصية . فعلم النفس لا يهتم بتحليل الأنساق الاجتماعية ، بل يهتم بالعمليات الدافعة والشخصيات فى علاقاتها النوعية فى بناء الأنساق الاجتماعية .

ونخلص من هذا إلى أن المادة الأساسية للبحث فى كلا العلمين هى السلوك ، والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع إختلاف فى الدرجة لا فى نوع الدراسة ، فكلاهما يهتم بدراسة السلوك ، سلوك الانسان ، لكن من زوايا مختلفـة . فعـلم النفس يعطى الأسبقية لسلوك الافراد بينما يولى علم الاجتماع إهتمامه للتفاعل داخل النسق ، ومن ثم فحاجة علم الاجتماع إلى علم النفس ضرورية . وحاجة علم النفس إلى علم الاجتماع ضرورية وماسة ، وهذا التكامل بين العلمين قضية أساسية عند المدرسة المعاصرة فى علم الاجتماع بإعتبار علم النفس مفسرا وموضحاً لقضايا علم

الاجتماع ، وإقامة جسر رابط بين علم الاجتماع وعلم النفس لكى نفهم المتغيرات البنائية فهما واضحا ، كذلك تفسير بناء الشخصية وأطوار نموها تفسيرا مقبولا لتحقيق نظرة شاملة عن الإنسان الاجتماعى .

وكانت الدراسات التى تؤكد الترابط بين العلمين دراسات نظرية ، تزعمها بارسونز ، واقتدى به تلاميذه . كذلك إتجهت بعض الدراسات إلى التجريب بيد أن معظم الدراسات التجريبية دراسات نفسية إجتماعية أكثر منها إجتماعية نفسية . ومن ثم فقد كان هدف الاتجاه التكاملى فى علم الاجتماع المعاصر تأكيد أهمية التفاعل بين الدراسات الاجتماعية والنفسية والتداخل بين الشخصية والبناء الاجتماعى وإثبات أن كل أشكال التنظيمات الاجتماعية لها معنى نفسى عند الأعضاء المشتركين ، وأن كل الانساق الاجتماعية لها معان نفسية متباينة ، وأن البناء الاجتماعى له قوة التأثير على الحاجات والدوافع ، وأن كل الاحباطات والدوافع والحاجات والصراعات تنشأ نتيجة التغير البنائى . كما أننا لن نفهم البناء الاجتماعى ما لم نفهم العناصر المكونة له ، ومن ثم فان المعرفة الكاملة الشاملة للبناء يجب أن تمتد إلى الأفراد المكونين للمجتمع . كما أن الفهم الصحيح للشخصية لن يتأتى ما لم نفهم العمليات الاجتماعية وعناصر البناء فهما واضحاً . فكل شخص إجتماعى يتفاعل داخل النسق ولا يعيش إلا داخل أبنية إجتماعية تنظم السلوك المرتبط بالأدوار الاجتماعية ، ويتأثر بالثقافة السائدة التى تحدد القيم وتوقعات الأدوار التى يتوحد معها .

هذا الاتجاه فى الدراسة مدخل جديد فى التحليل الاجتماعى يساعدنا على فهم نطاق الظواهر الإنسانية التى نهتم ببحثها ، وهو يرفض النظر إلى الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء خارجية ، ويرى أن هذه النظرة نظرة ضيقة تحتاج إلى أن تتوازن وأن تفسر مع الحاجات الداخلية للشخصية ، وأن تحقق الصلة بين هذه الحاجات

والعلاقات الإنسانية . وقد إتضحت مجالات التحليل الاجتماعى فى مجالات ثلاثة :

المجال الأول : تأثير الأنساق الاجتماعية على أساليب التنشئة الاجتماعية فى أطوار النمو .

المجال الثانى : أبعاد الشخصية اللازمة لأداء السلوك المرتبط بأدوار معينة داخل أنساق محددة .

المجال الثالث : المشاكل الاجتماعية والنفسية المتوالدة عن تأثير الأنظمة الاجتماعية على شخصيات الصغار والكبار .

ويضم هذا الكتاب ، هو الباب الأول والثانى من رسالتى التى تقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

وبعد ، فانى أنتهز هذه الفرصة لأتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتى الذين درسوا لى فى مرحلة الليسانس بقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة الاسكندرية ، الذين فتحوا لى أبواب المعرفة وعلمونى حب البحث ، ووضعوا لى منهاجا للبحث العلمى أسير على هداه . وأخص بالشكر والتقدير أستاذى الدكتور السيد محمد بدوى، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة المشرف على هذا البحث، والذى أفاض على من علمه ، وقام بتوجيهى وإرشادى .

سان إستفانو رمل الاسكندرية ١٩٧٩

يلاحظ القارىء أثناء قراءته الحرف م ويرمز إلى رقم المرجع ، كما يرمز الحرف ص إلى رقم الصفحة فى المرجع .

٨ — حددنا للإجابة على جميع المواقف ٤٥ دقيقة اقتداءا برأى آن انستاسيا بأن الزمن المناسب لاختبارات اللفظية هو ٤٥ دقيقة[1] .

وقد راعينا عند صياغة أسئلة الاستبيان واختبارات المواقف " أن لغتنا العربية يسر لا عسر فيها وهي لغة الكتابة . ولذا صغنا أسئلة الاستبيان واختبارات المواقف بلغة عربية فصحى يفهمها الجميع ولم نلجأ الى العامية ولم نعتمد عليها الا كلغة حوار تجيء على ألسنة بعض الافراد أحيانا ، تعبيرا عن الحلول الممكنة في بعض المواقف ، اذ أن العامية — كما يقول عميد القصة المصرية نجيب محفوظ — مرض ، سيتخلص منه الشعب حين يرتقي .

وقد مر كل من استمارة الاستبيان واختبار المواقف بعدة مراحل قبل اخراج كل منهما في صورته النهائية ويصير أداة ممكنة للحصول على البيانات اللازمة للتحليل الوصفي والكمي .

الدراسة الاستطلاعية :

وقد كشفت لنا الدراسات التي اطلعنا عليها وجود مجموعة من الابحاث العالمية عن أساليب التنشئة الاجتماعية ، وصراع الادوار ، وتوجيهات القيم . بيد أننا اكتشفنا ندرة الابحاث العلمية المحلية في أساليب التنشئة في مجتمعنا ، وعدم وجود ابحاث عن صراع الادوار ، وتوجيهات القيم في مجتمعنا . ولما كانت الأبنية الاجتماعية ومشاكلها في المجتمع الأوربي تختلف عن الأبنية الاجتماعية النامية ومشاكلها وجدنا أنه من اللازم أن نستقصي المشكلات التي تعاني منها المرأة وأيضا المشكلات الشائعة التي يواجهها الصبية ، ولذا قابلنا بعض الأمهات وأبناءهن — من بيئات مختلفة — وأجرينا معهم حوارا وطالعنا بعض المجلات النسائية ، وكتابات مشاهير الكتاب والأدباء في أدب الطفل . وأجرينا مناقشات جماعية في المدارس الابتدائية مع الصبية أثناء اشرافنا على تدريب الطالبات دور المعلمات في مدارس المرحلة الأولى .

وقد ساعدتنا هذه المقابلات والقراءات على ما يلي :

١ — اكتساب خبرة العمل الميداني وكيفية توجيه الاسئلة التي ترتبط بالمشكلة .

٢ — تحديد مجالات البحث الميداني ، وتحديد المشكلات الرئيسية الهامة .

---

(١) Annastasia Anne: Psychological Testing. N.Y. Mcmillan 1962, P. 218.

واعتمادا على الخبرات التي اكتسبناها من البحث الميداني الاستطلاعي صممنا صحيفة الاستبيان واختبار المواقف في الصورة قبل النهائية ، ونزلنا الى محك التجربة الميدانية .

وقد أجريت الدراسة الاستطلاعية على ١٠ أمهات عاملات وأبنائهن و ١٠ أمهات متفرغات وأبنائهن . كذلك اطلع على صحيفة الاستبيان واختبار المواقف بعض ذوي الخبرة في البحوث الاجتماعية والنفسية . وقد كشفت لنا هذه الدراسة الاستطلاعية على ملاحظات ونتائج هامة استفدنا منها في اعادة بناء استمارة الاستبيان واختبار المواقف حتى خرج كل منهما في شكله النهائي .

١ — اختبار المواقف لصراع الأدوار

تضمن هذا الاختبار في المجموعة الأولى خمسة عشر سؤالا مباشرا للكشف عن وجود مظاهر الصراع النفسي التي تعاني منها الأمهات أثناء ممارسة النشاط اليومي ، أو عدمه ، ومدى حدة هذا الصراع ان وجد ، هل هو دائم أو وقتي ؟ . كذلك اشتمل هذا الاختبار على ثلاث مجموعات درست الصراع بين العناصر المكونة للدور . واختصت المجموعة الأولى بدراسة الصراع بين العناصر المكونة لدور الأم . وعنيت المجموعة الثانية بدراسة الصراع بين العناصر المكونة لدور الزوجة . وانصرفت المجموعة الثالثة الى دراسة الصراع بين عناصر دور العمل . وقد وجهت هذه المجموعة الأخيرة الى الامهات العاملات وحدهن . وتدور هذه المواقف كلها حول مشكلة أساسية أثمة عنصر معين يحكم أداء السلوك المرتبط بكل دور في كل المواقف ، أم أثمة تفاوت في تأكيد العنصر الذي يحكم السلوك في كل موقف . ثم اشتمل البحث على ثلاث مجموعات أخرى عنيت بدراسة الصراع بين الادوار . فاهتمت المجموعة الأولى بدراسة الصراع بين دور الزوجة ودور الأم . وعنيت المجموعة الثانية بدراسة الصراع بين دور الأم ودور العمل . وانصرفت المجموعة الثالثة منها الى دراسة الصراع بين دور الزوجة ودور العمل . وقد وجهت المجموعتين الأخيرتين الى العاملات فقط . وتضم كل مجموعة خمس مواقف ، تختلف فيها التجارب ، وتهدف هذه المواقف كلها الى بيان مدى قدرة الأم العاملة والمتفرغة على التوفيق في اداء مطالب الأدوار الاجتماعية .

٢ — صحيفة الاستبيان

خرجت صحيفة الاستبيان في صورتها النهائية تضم ٣٧ سؤالا رئيسيا ، قسمت الى ١٤٤ سؤالا فرعيا . وتهدف كلها الى ايضاح اساليب التنشئة الاجتماعية الشائعة عند أسر مجتمع العينة ، وهل هي ثابتة أم متغيرة ، وتبحث كل هذه الاسئلة بيان ما يلي :

أ) طبيعة التفاهم بين الأم والابن .

ب) تحديد موقف الأم من ممتلكات الغير والممتلكات الخاصة .

جـ) هل يعتبر سلوك الابن ازاء الممتلكات العامة مسألة أخلاقية أم اقتصادية .

د) مدى مساهمة الأم في تعويد الابن على تنظيم الوقت في المجالات المختلفة .

هـ) مدى رغبة الأم في تعويد الابن على الاستقلال وتحمل المسئولية .

و) ادماج القيم التي تؤكد التعاون أو الاتصال .

ز) بيان تطلعات الأم وما يترسب فيها من مفاهيم طبقية .

ح) الاتجاه الى المساواة أو عدم المساواة بين الأبناء .

ط) تحديد الأساليب الشائعة في تقويم الطفل عند الخطأ .

ى) موقف الأم من الأعمال التي تتطلب التضحية والتعاون .

ك) موقف الأم من القيم النامية في فترة التحول والتي يقابلها الابن خارج الأسرة .

ل) تدريب الأم لابنها على ابداء الرأي أو منعه من حق التعبير عن رأيه ، وعلى تقدير حق الشعوب في تقرير مصيرها ، أو اللامبالاة بقضايا الشعوب .

٣ـ اختبار الموقف للأبنــــــاء

يدور هذا الاختبار حول بعض المشكلات الشائعة عند الصبية والحلول المتباينـــة المفضلة عندهم . وانحصرت هذه المشكلات في عشر مشكلات أساسية كالاتي :

المشكلة الأولـى : علاقة الانسان بالكون .

المشكلة الثانيـة : قيمة الزمان في الحياة الانسانية .

المشكلة الثالثـة : مثال النشاط الانساني .

المشكلة الرابعـة : التقدير المثالي للأفعال الخارقـة .

المشكلة الخامسة : تحديد الحقيقة الانسانية .

المشكلة السادسة : النزعة الى أداء الواجب .

المشكلة السابعة : الاتجاه الى الارتباط بالغير .

المشكلة الثامنــة : طبيعة علاقة الانسان بالآخرين .

المشكلة التاسعـة : مفهوم الحريــــة .

المشكلة العاشرة : تقدير الطفل للممتلكات العامة والخاصة .

العينة وخصائصها :

ان عملية اجراء الأبحاث الاجتماعية على عينات مختارة أسلوب معترف به ، لتدعيم الفروض أو دحضها . ولذا أجرى البحث الميداني على عينتين احداهما ضابطة وشملت الامهات المتفرغات وأبنائهن ، والأخرى تجريبية وضمت الامهات العاملات وأبنائهن . وتضم كل عينة مائة أم وابنها . وكان رائدنا في اختيار مثل هذه العينة البحث الذي أجراه Jackson Allover Filding في المدة ما بين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ بقصد دراسة

Conflict of attitudes toward the role of the husband and the wife in marriage. (١)

وقد اتبعنا في تحديد كل من العينة التجريبية والضابطة الخطوات الآتية :

١ـ تم اختيار المدارس التي أجري على تلاميذها البحث من واقع سجلات مديرية الاسكندرية للتربية والتعليم ، وضمت العينة مدارس حكومية ومدارس نموذجية ومدارس خاصة ومدارس للبنات . وكانت هذه المدارس من أحياء مختلفة . وقد رأينا أن مجتمع المدرسة هو أنسب مجال لدراسة الطفل مقتدين في ذلك برأى هارتشون " ان دراسات الأطفال ممكنة داخل مجتمع المدرسة " (٢) .

٢ـ تم اختيار التلاميذ اختيارا عشوائيا وفق تسلسلهم في قوائم الفصول ليتوافر في البحث الشروط الآتية : تباين المستويات الاجتماعية والاقتصادية ولتضم العينة أنماطا مختلفة من المجتمع .

٣ـ روعي ضرورة وجود أمهات عاملات بالمدارس التي نختار منها العينة ، وقد اشترطنا في اختيار الأمهات العاملات ضرورة عمل الأم قبل ميلاد الطفل ومواصلتها العمل دون انقطاع لبيان أثر العمل على الأم وابنها .

٤ـ اشترطنا في اختيار الصبية أعضاء العينة وجودهم في أسر متكاملة مع والديهم ، لهذا استبعدنا من العينة الصبية الذين يعيشون بعيدا عن آبائهم أو امهاتهم .

٥ـ أرسلت خطابات الى الأسر للحصول على موافقتها لسؤال الأم في حالة الاعتذار استبعد الابن ، وأختير طفل آخر من قائمة الفصل بالطريقة العشوائية وضع اسمه في قائمة الاحتياطيين

---

(١) Brace, J. Biddle: Role theory concepts and research, edited By Bruce J. Biddle & Edwin Thomas, John Wiley, N.Y. 1960

(٢) Hartshorne, Hugh: Studies in the Decest, op.cit., P. 406

خصائص العينة :

السن : شمل البحث مائتي صبي في المدارس الابتدائية ، تقع اعمارهم بين الثامنة والعاشرة ·

الحالة التعليمية : أختير التلاميذ في مستوى تعليمي واحد ، ويدرسون منهجا دراسيا واحدا ·

مهن الأمهات : شملت العينة مائة أم عاملة في قطاعات التعليم والخدمات الطبية والمهن الادارية والصناعية ·

ويتبين لنا من تصميم العينة أنها عينة محددة ، ولا تمثل المجتمع أصدق تمثيل · ولهذا فالهدف من البحث ليس تعميم النتائج بل دراسة الظواهر ، وعرض طريقة في الدراسة لاختبار صحة الفروض التي وضعناها أو رفضها · وقد أجرى البحث الميداني على أفراد العينتين ابتداء من يوم ٣ ابريل سنة ١٩٦٩ وانتهى في ٣١ يوليو سنة ١٩٦٩ · وقد فرغت البيانات التي حصلنا عليها بواسطة الجهاز الحاسب الاليكتروني بكلية الهندسة بجامعة الاسكندرية ·

واستنادا على خطة البحث الميدانية والتي تختبر الفروض المثارية برز البحث في صورته الشاملة في ثلاثة ابواب ، تنقسم الى تسعة فصول وخاتمة ·

اختص الباب الأول منها بالدراسات النظرية التي تعرض النظريات المتعلقة في الشخصية · وقد ضم هذا الباب فصلين :

فأوضح الفصل الأول موقف بعض المدارس النفسية والاجتماعية في موضوع الشخصية وبنائها ، وأبان مدى جنوح هذه المدارس في تأكيدها لآرائها ، وأثبت هذا الفصل أهمية الاتجاه المعاصر في علم الاجتماع عند بارسونز وتلاميذه ، الذي يرى أن الشخصية نسق نفسي لا يدرك بمعزل عن البناء ، ويدخل في تركيبه عناصر اجتماعية وثقافية ، وأن هذه العناصر الاجتماعية والثقافية المكونة لبناء الشخصية متغيرة ، وهي التي تحدد توجيهات الشخص الى الموضوع الاجتماعي ·

وقد أشار الفصل الثاني الى آراء بعض علماء النفس والاجتماع في مشكلة نمو الشخصية ، وخلص من ذلك الى أن نمو الشخصية يرتبط بتطور علاقات المرء ، واتساع نطاق الانساق الاجتماعية التي يندمج فيها ، فعملية النمو ليست عملية فسيولوجية بحتة ، وليست عملية محدودة في طور معين ، بل هي عملية اجتماعية تحدث في مواقف التفاعل ، تتميز باكتساب أدوار جديدة وقيم جديدة ·

في كل طور من اطوار النمو ٠

أما الباب الثاني فيصور الجوانب المختلفة للعلاقة بين البناء الاجتماعي والشخصية ، وامكانية التفاعل بينهما ٠

فبين الفصل الثالث أن الاسرة نسق اجتماعي من أنساق البناء ٠ وقد أخذنا هذا الفصل باضافة بارسونز الجديدة في علم الاجتماع ، أن الاسرة نسق ينقسم الى نسيقات ، ومن أهمها نسيق الأم والابن ٠ وقد أوضح هذا الفصل أن عمليات التنشئة الاجتماعية في صورها المختلفة ليست عمليات نفسية ، بل عمليات اجتماعية تهدف الى ادماج الشخصية في أنساق البناء الاجتماعي وأن هذه العملية تحددها الظروف البنائية وتختلف من بناء لآخر ٠

ودرس الفصل الرابع مفهوم الدور الاجتماعي ٠ وأظهر أهمية الدور كوحدة لنسق التفاعل وأنه عنصر مشترك بين البناء والشخصية ، فالدور ينظم بنائيا ويحدد سلوك الشخصية ٠ وأبان هذا الفصل أن السلوك المرتبط بالأدوار يتغير باختلاف مشاركات الفرد في الانساق الاجتماعية ٠ كما أكد لنا أن توقعات الأدوار المتوحدة يفسر لنا أسباب اضطراد السلوك ، واستقرار أساليب المشاركة في الموقف وأوضح أن أساليب الأداء تعتمد على مدى تماسك العناصر الاجتماعية المدمجة في الشخصية ٠ وأخيرا عرض لخصائص الأدوار الأسرية والمهنية والعلاقة بينهما ٠

وعرض الفصل الخامس لتوجيهات القيم ٠ وأشار الى أن القيم ليست مجردات بل عناصر اجتماعية تتوحد مع الشخصية ٠ وأوضح هذا الفصل أن عملية اكتساب القيم عملية متطورة ٠ كما أظهر هذا الفصل أن احكام الفرد في الموقف تتنازعها توجيهات متباينة للقيم ٠ وعرضنا لتوجيهات القيم عند تالكوت بارسونز وفلورنس كلاكهون وموقفنا منهما ٠ وأخيرا عرضنا لتوجيهات القيم ازاء بعض المشكلات في مجتمعنا النامي ٠

وعنى الفصل السادس بدراسة الصراع وعرض لآراء المدارس النفسية للصراع ٠ كما عرض لآراء الاجتماعيين في الصراع ٠ وأخيرا عرضنا للاتجاه الذي يرى أن الصراع النفسي له أسباب اجتماعية ، وأن الصراع الاجتماعي له انعكاسات نفسية ، وينشأ نتيجة تنافر مطالب البناء وحاجات الشخصية وقد اهتم هذا الفصل بعرض ظواهر صراع الأدوار ، والازدواج الاجتماعي وتعدد الأدوار ٠ وبين أنها ظواهر تعبر عن التنافر بين عناصر البناء وعدم تماسك حاجات الشخصية ٠

أما الباب الثالث فقد عالج في دراسة ميدانية بعض المجالات التي تؤكد الرابطة العضوية بين البناء الاجتماعي والشخصية نتيجة التغير الحادث في البناء الاجتماعي المصري ، وتفصح

هذه المجالات عن بعض المشكلات التى نشأت عن تغير مكانة المرأة فى البناء ، واكتساب بعض الأمهات لأدوار جديدة نتيجة التحاقهن بالنسق المهنى .

وقد تعرضت الدراسة الميدانية لبيان أثر هذا التغير على الأبناء فى طور الصبا . ولذا ركزنا دراستنا على الصبية الذين ولدوا بعد عام ١٩٦٠ بعد صدور القوانين الاشتراكية باعتبار مرحلة الطفولة مرحلة اعداد الانسان ، وشخصية الطفل مرآة تعكس الأسرة وقيمها . وقد ضم هذا الباب الفصول الثلاثة الأخيرة .

وعنى الفصل السابع بتحليل الاستجابات النفسية للصراع بين الأدوار ، أى تحليل الاستجابات نتيجة الاحساس بالتنافر بين الأدوار الاجتماعية ، أو العناصر المكونة للدور ، وتحليل مظاهر الصراع فى المواقف المختلفة . فالتحليل النفسى للسلوك يساعدنا على فهم المشكلات وكيفية الأداء . وكان هدف الدراسة فى هذا الفصل الأمهات العاملات والمتفرغات .

وعرض الفصل الثامن لدراسة تحليلية مقارنة لأساليب التنشئة الاجتماعية عند الامهات العاملات والمتفرغات . وبين مدى التقارب والتفاوت بين الامهات العاملات والمتفرغات فى توجيه سلوك الأبناء نحو المستقبل .

وتعرض الفصل التاسع لتوجيهات القيم المفضلة عند الصبية ازاء بعض المشكلات لبيان التقارب والتباين نحو قيم معينة ، ومدى تقبل الأبناء فى طور الصبا لأساليب الأمهات فى التربية أو رفضها ، كذلك بيان أثر الصراع الذى تعانيه الأم على توحد الابن مع توجيهات قيم معينة .

وأخيرا الخاتمة ، وعرضنا فيها لأهم النتائج التى استقرأناها من هذا البحث الميدانى .

وبعد ، فاننى انتهز هذه الفرصة لأتوجه بالشكر والتقدير الى أساتذتى الذين درسوا لى فى مرحلة الليسانس بقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة الاسكندرية ، الذين فتحوا لى أبواب المعرفة وعلمونى حب البحث ، ووضعوا لى منهاجا للبحث العلمى أسير على هداه . وأخص بالشكر والتقدير أستاذى الدكتور السيد محمد بدوى ، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة المشرف على هذا البحث ، والذى أفاض على من علمه ، وقام بتوجيهى وارشادى حتى خرج هذا البحث فى صورته الحالية .

الباب الأول

بعض النظريات الاساسية فى تفسير بناء الشخصية ونموها

١٩ ـ ١١٩

الفصل الأول

••••••••

الشخصية وبناؤها

موقف بعض المدارس النفسية والاجتماعية

∴

الشخصيـــة وبناؤهــــا
موقف بعض المدارس النفسية والاجتماعيـة

منذ القدم والفلاسفة والمفكرون ورجال الدين والعلماء في حوار مستمر حول تعريـــف الانسان ومعنى وجوده ، ومكانته في هذا العالم ، ودوافع سلوكه ، وهل هي فطرية أم من صنع المجتمع • وثار الجدل بين المشتغلين بالعلوم الانسانية حول تعريف الشخصية وعناصـــر بنائها ، وأطوار نموها • ووضعوا في ذلك نظريات مختلفة •

واذا ما قبلنا مفهوم النظرية كما عرفه جون جيلين " بأنها أسلوب لتنظيم فكر المرء عـــن مجال تجربة معينة • وتقدم لنا كل نظرية تفسيرا أو عدة تفسيرات ممكنة عن المسائل موضــوع الدراسة ، وعلى أساس هذه التفسيرات يتيح لنا التنبؤ عن الحوادث المستقبلة اما ضمنا ومـــا صراحة " (1) • فان كل نظرية في الشخصية تهتم في المحل الأول بدراسة الدوافع الى سلوك معين كمحول أول للحياة عند الانسان وفي كل الظروف ، وباعتبار نظريات الشخصية نظريات في السلوك الانساني فهي تحاول أن تفسر السلوك كظاهرة انسانية • ولكن هذه النظريات تختلف فـــي تحديد المرجع الأساسي للسلوك الانساني ، هل هو الفرد أم المجتمع ، أم التفاعل بين الفـــرد والمجتمع • كما تحاول بعض نظريات الشخصية أن تفسر كيفية تكوين بناء الشخصية الانسانية ، وصفات العناصر المكونة لها • ولكن كل هذه النظريات اختلفت في تحديد أسباب تكوين بناء الشخصية ، وصفات عناصر هذا البناء ، كما اختلفت هذه النظريات في تفسير سلوك كل مـــن الطفل والراشد أثناء تفاعله مع الآخرين في أطوار النمو المختلفة •

وسنحاول في هذا الفصل أن نعرض آراء أصحاب بعض النظريات النفسية والاجتماعية في الشخصية وبنائها • ونقرر في البداية أن هدفنا في هذا الفصل ليس مسح جميع نظريـــات الشخصية وعرضها ، بل عرض بعض الاتجاهات الهامة التي أسهمت في بحث موضوع الشخصيـة وبنائها وان اختلفت في زوايا النظر الى الموضوع • واهتمامنا بعرض الآراء الهامة لكل نظريـة وتفسيرها لبناء الشخصية يرجع الى ايماننا بأن العناصر المكونة لبناء الشخصية هي الاسباب الأولى وراء السلوك ، فبناء الشخصية ذو أهمية لأنه ينظم توجيهات المرء الى الموضوع في الموقف ، وهـذا البناء ، هو الذي يحدد علاقات المرء المناسبة مع الموضوع (٢) الذي يتجه اليه ، ويتفاعـل معـه ،

---

(1) Gillin John: (ed.): The forward view. For a science of a Social man. op. cit. P. 259.

(٢) Parsons Talcott: Family: Socialization and interaction process by T. Parsons and others. Glencoe, Illinois, Free Press 1955 P. 59

كما أن آراء كل نظرية فى تفسير العناصر المكونة لبناء الشخصية يتأثر بالاطار العام لهذه النظرية ، ومن ثم فعرض النظريات المختلفة فى بناء الشخصية يعتبر — فى الوقت نفسه — عرضا للنظريات المختلفة فى تفسير مشكلة السلوك .

واذا كان سلوك الانسان محور دراسة المشتغلين بالعلوم النفسية والاجتماعية ، فان الشخصية لم تكن هى الموضوع الرئيسى فى نظرياتهم . ولم يهدفوا من دراستها الى تكوين نظرية مستقلة فى الشخصية . بل كانت دراسة تمليها ضرورة دراسة السلوك الانسانى من وجهة نظر معينة . وقد أدى هذا الى غموض الدراسات التى اهتمت بالشخصية ، اذ كان ينقصها الوضوح الحاسم . على أننا نجد أن ثمة تيارين مختلفين فى دراسة الشخصية . التيار الأول اتجه الى صياغة نظريات ينقصها التجريب . فهذه النظريات سواء فى علم النفس أو فى علم الاجتماع دراسات نظرية بحتة خلت من دقة التجريب . أما التيار الثانى فقد انصرف الى التجريب البحت دون استناد الى أسس نظرية . وكل من الاتجاهين الأول والثانى قاصر ، ولا يعطى نظريات متكاملة واضحة فى الشخصية ، فالنظرية بدون محك التجربة عرجاء ، والتجربة بدون النظرية عمياء . فمن الضرورى تكامل التيارين الأول والثانى ، لتكوين دراسة علمية فى الشخصية . وقبل أن نعرض للاتجاهات المختلفة فى دراسة الشخصية ، سنعرض لبعض التعريفات فى الشخصية ، ومنها يتضح الهوة الساحقة بين النظريات المختلفة فى موضوع الشخصية .

فمثلا يعرفها لدفورد بيشوف Ledford Bischof وهو من أنصار الاتجاه النفسى "بأنها مفهوم نفسى" [1] . ويسايره فى ذلك جوردون البورت Gordon Allport وهو من المشتغلين بعلم النفس الفردى — الذى يرى — أنها تنظيم ديناميكى يكمن فى داخل الفرد وأن الشخصية وحدة كامنة فى الفرد نفسه " [2] . أما هارى ستاك سيلفيان ، وهو من اتباع الفرويدية الحديثة — فيعرفها بأنها " وحدة افتراضية " لا يمكن أن تدرك بعيدا عن الموقف " [3] . ونلاحظ أن هذه التعريفات السابقة يجمعها اطار واحد ، هو أنها تدور حول الفرد باعتباره محور الدراسة الاساسية . ويقابل هذا الاتجاه النفسى اتجاه مضاد ونعنى

---

(١) Bischof Ledford. Interpreting personality theories. N.Y. Harper & Row 1964, P. 8.

(٢) Allport Gordon, W.: Pattern and Growth in Personality. N.Y. Holt Rinehert & Winston. 1961, P. 28.

(٣) Sullivan, Harry Stack: Conception of Modern Psychaitry London. Tivistock Publication 1955, P. XI.

به المدرسة الاجتماعية . فنجد دوركيم مؤسس المدرسة الاجتماعية قد عرف الشخصية بأنها تصور في الذهن[1] categorie . وتمثلت كل صفات التصورات الاجتماعية . وهي من نتـــاج المجتمع . وتخضع خضوعا تاما للقوانين الاجتماعية . كذلك عرفها عالم الاجتماع ارنست بيرجس وزميله روبرت بارك الشخصية عام ١٩٢٩ بأنها " مجموعة السمات المنظمة التي تحدد دور الفرد في الجماعة[2] " وهذه التعريفات كلها اجتماعية بحتة بمعنى انها تؤكد قوة المجتمع في تشكيل افراده . وأنها كلها تنكر دور الفرد في صنع شخصيته . ويحاول تالكوت بارسونز التوفيق بـين هذين الاتجاهين . فيعرف الشخصية " بأنها نسق ينظم اتجاه ردود الفعل عند الفـــرد الفاعل[3] "

وتبين لنا كل هذه التعاريف . ان الشخصية مثل جميع الظواهر الانسانية الأخرى موضع خلاف المشتغلين بالعلوم الانسانية . وأنها صارت موضع بحث اتجاهين متعارضين . واتجـــاه ثالث توفيقي . والاتجاهان الأولان ينظر كل منهما الى الشخصية من اتجاه واحد مغلق . ويرفض الاتجاه الآخر . فالاتجاه النفسي يعتمد في دراسته على التفسير الذاتي البحـــت للشخصية . وترتكز دراسته على العمليات النفسية التي تحدث داخل الشخصية . ودور المجتمع في هذه الدراسات لا أهمية له . اما الاتجاه الاجتماعي التقليدي فقد أغفل دور الفـــرد واعتمد في تفسيره للشخصية على العوامل الاجتماعية البحتة . ويبدو أن كلا من الاتجاهـــين — في نظرنا — قد أخفق في تفسير الشخصية الانسانية تفسيرا موضوعيا .

فالاتجاه النفسي . ويمكننا تصنيفه الى فئتين . فئة تجريبية بحتة ويمثلها مدرسة التحليل النفسي . وفئة نظرية بحتة يعبر عنها جوردون البورت . وهنري موراي . وس . روجرز . فالفئة الأولى في دراسة الشخصية قد وضع معالمها سيجموند فرويد وقام بأبحاثه الاكلينيكية في دراسة الشخصية على مرضى العصاب والهستيريا وأقام التحليل النفسي من أجل فهم الانسان المريض واعادة توافقه مع نفسه . ومع بيئته . وتكامل علاقاته مع الآخرين . وقد حاول فرويد في تجارب التحليل النفسي ان يفسر لنا السلوك الانساني . وان يقيم علم نفس الشخصية . بيد أن محاولـة

---

(1) Durkhian Emile: Les formes elementaires de la vie relegi-ues. Paris. Librairie Felix Alcan 1912, P. 24.

(2) Burgess Ernest: An introduction to the science of sociology By E. Burgess and Robert Park. Chicago. Uni. of Chicago 1927, P. 70.

(3) Parsons Talcott: Toward a general theory of action: T. Parsons Editors and Contributor with Shill Edward and others. 4th printing Cambridge, Harvard Uni. P. 1951, P. 7.

فرويد تفتقر الى فروض النظرية ، وان تميزت ابحاث فرويد عن جميع أبحاث علم النفس الاكلينيكى والتجريبى والفردى تميزا جذريا ، فهو يؤمن بالاتصال بين الصحة والمرض والارتباط بين طور الرشد وطور الطفولة • ويؤكد الاتجاه الفرويدى فى دراسة الشخصية أهمية التركيب العضوى للفرد ويفسر جميع افعال الفرد وأساليب السلوك بدوافع داخلية ذاتية ، ويرجع هذه الدوافع الى عوامل بيولوجية ، ولا يفهم الشخص عند فرويد الا اذا درس كوحدة لا تتجزأ • وتعلى مدرسة التحليل النفسى من اهمية الوراثة والعوامل البيولوجية لتوجيه سلوك الشخص وتحديد الظروف التى يستجيب لها الفرد أو ينفر منها • وتؤكد هذه المدرسة ان العوامل الاجتماعية لا تؤثر فى الفرد الا بقدر ادراكه لها وتجربته معها • وقد لجأت نظرية التحليل النفسى فى تطورها الى تأكيد اهمية الدوافع الاجتماعية فى تفسير الشخصية والسلوك الانسانى وحاولت ان تحدد أبعادا نفسية للمجتمع والثقافة ، وكذلك أبعادا اجتماعية للشخصية • ولكن هذه المدارس فى مضمونها مدارس نفسية أكثر منها اجتماعية نفسية وهى تدين بالولاء لفرويد ولتعاليمه •

اما الفئة الثانية فتؤكد التميز الفردى وتهتم بدراسة الذات وتقيم خصائص الحياة النفسية على عوامل وراثية ترتكز على خصائص بيولوجية ، وتقلل من قيمة العوامل الاجتماعية والثقافية اذ تجعل الحياة الاجتماعية تذوب فى العناصر البيولوجية التى تدخل فى تكوين الشخصية •

يقابل الاتجاه النفسى لدراسة الشخصية الاتجاه الاجتماعى ، ولم يهتم الكثيرون من علماء الاجتماع بدراسة الشخصية ، ولم يولوها القدر الكافى من البحث مثل المدارس النفسية ، فدراسة الشخصية عند الاجتماعيين ليست لها أصالة المدرسة النفسية • وكان اهتمام بعض الاجتماعيين احياء المفهوم الفلسفى القديم عن الذات ، وتفسيره تفسيرا اجتماعيا بحتا باعتباره العنصر الأساسى الذى تتكون منه الشخصية • وينكر الاتجاه الاجتماعى الدوركيمى كل أثر للعوامل الوراثية البيولوجية فى تشكيل السلوك الانسانى ، وقرر أن ما ليس اجتماعى فهو بيولوجى ويقع خارج نطاق علم الاجتماع ، بل يتطرف هذا الاتجاه وينكر كل قيمة فى الدراسات النفسية • ولقد وقفت المدرسة الاجتماعية عند دوركيم موقفا مضادا للمدرسة النفسية ، وأكدت أن العوامل الاجتماعية الخارجية عن الشخص هى العامل الهام فى ديناميكية الشخصية وتركيبها • وأكدت اهمال دوافع الفرد وأفكاره كأسباب للسلوك ، أو اعتبارها عوامل تؤدى الى الانتحار أو التفكك الاجتماعى • ويرى الاتجاه الاجتماعى أن التفسير الاجتماعى هو التفسير الوحيد للظواهر

الموجودة فى المجتمع • وأن علم الاجتماع لا ينبغى له أن يدرس الا الظواهر الاجتماعية • ويطبع هذا الاتجاه الاجتماعى الشخصية بطابع الجماعة التى يعيش فيها ، كما يمتص المجتمع الشخصية ويصيغها حسب القوالب الاجتماعية السائدة • ومن ثم فالشخصية من صنع المجتمع وهى توجد فى عقول الأفراد فى شكل تصور يعكس العقل الجمعى ، وليس لها وجود حقيقى فى الخارج •• ان الاتجاه الاجتماعى الدوركيمى قد عجز عن فهم الانسان لانه أهمل الفرد ودوافعه فى تفسير السلوك الانسانى • وقد حاولت المدرسة الاجتماعية فى تطورها بعد دوركيم عند وليم ١٠ • توماس ، وتشارلز كولى التوفيق بين الفرد والمجتمع وتأكيد التفاعل بينهما ، الا أن أولهما كان أقرب الى علم النفس الاجتماعى من علم الاجتماع عندما رأى أن علم الاجتماع هو علم دراسة الاتجاهات[1] ، اما الآخر فكان أقرب الى الفلسفة الاجتماعية من علم الاجتماع •

وقد أدى عجز الاتجاهين النفسى والاجتماعى عن تفسير الشخصية الى قيام اتجاه جديد فى علم الاجتماع المعاصر ، يؤكد أن الدراسات الاجتماعية تبدو عقيمة أو قاصرة اذا لم تعتمد على نتائج النظرية النفسية ،لأن هذا الاعتماد يساعد على فهم واثراء المحاولات التى تبذل لفهم الانسان والسلوك الانسانى[2] • ويتزعم هذا الاتجاه تالكوت بارسونز وتلاميذه • ويحاول هذا الاتجاه أن يكسر الحواجز المصطنعة بين علم النفس وعلم الاجتماع ، وأن يؤكد التفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية حتى يفهم الانسان فهما جديدا • ومن ثم فقد أعلن أنصار هذا الاتجاه ميلادا جديدا لعلم الاجتماع ، وأقاموا دراسات فى الشخصية تؤكد أهمية تلاحم العناصر الاجتماعية والنفسية فى تكوين الشخصية ، وأهمية الترابط بين النسق الاجتماعى والشخصية والثقافة فى تحديد السلوك •

والآن بعد أن عرضنا بايجاز للاتجاهات المختلفة فى موضوع الشخصية ، نعود فنعرض فى شئ من التفصيل الاتجاهات الأساسية لبعض مدارس التحليل النفسى وبعض المدارس الاجتماعية فى موضوع الشخصية وبنائها ، اذ يجمع هذه المدارس مجموعة من المفاهيم المشتركة ، كذلك تعكس هذه المدارس مجموعة من الخلافات التى تفيد مناقشتها فى اقامة علم جديد للانسان وازدياد التفاعل والتداخل بين علم النفس وعلم الاجتماع ، وتأكيد الرابطة العضوية بين البناء الاجتماعى والشخصية •

(١) Timashef Nicholas S.: Sociological theory, Its nature and Growth, 10th ed. N.Y. Random House, 1966, P. 155.

(٢) Inkles Alex: What is sociology. An introduction to the discipline and profession. New Jeresy. Prentic Hall. 1965, P. 48

اولا : علم النفس التحليلي
سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٦)

يرى فرويد ان البحث عن السعادة والحصول عليها وتخفيف الآلام هو هدف السلوك الانساني ، وهو كل ما يتطلبه الانسان من الحياة ، وان اشباع الغرائز هو السعادة ، وهذه الغرائز ميل فطرى للكائن الحى ، تدفعه الى تكرار الاحداث البدائية المتوارثة من العصر قبل الحضارى [١] ، وان مبدأ اللذة هو المبدأ الذى يسيطر على عمليات الجهاز النفسى منذ الميلاد [٢] . ولكن الحياة النفسية ليست سعادة متصلة ، فالانسان لا يستطيع دائما اشباع حاجاته فى هذا العالم ، كما ان الحياة مليئة بالآلام والتوترات النفسية ، وضروب الصراعات المتعددة . ويصنف فرويد اسباب الصراعات الى ثلاثة انواع من الأسباب . أولها أسباب تنبع من الجسد ، وثانيها أسباب خارجية فى العالم الخارجى ، وثالثها أسباب ترجع الى علاقات المرء مع الآخرين . ويرى فرويد أن النوع الثالث منها هو أشدها فاعلية فى الحرمان من السعادة .

وقد اكتشف فرويد ان سيادة الشعور على السلوك البشرى وأفعال الانسان ، وما يصدر عنه من انفعالات وأحاسيس ، سيادة محدودة ، وأن الحوافز البدائية والشريرة للجنس البشرى لم تختفى من الانسان ، بل استمرت فى وجودها ، ثم استقرت فى اللاشعور فى صورة مكبوتة . وقد أعلى فرويد من قيمة هذا اللاشعور ، ومدى سيطرته على تصرفات المرء وسلوكه . وأشار الى أن هذه الحوافز اللاشعورية تتحين الفرص لتظهر جلية وتلعب دورها فى تحديد السلوك ، ومن ثم فقد تحدث هذه العمليات النفسية دون ان يشعر بها المرء أو يسيطر عليها . ورأى فرويد أن الغرائز هى منبع الطاقة الوحيد لكل سلوك انسانى ، وهى الدافع المستتر وراء اوجه النشاط الانسانى المتباين ، وقد بين فرويد أن حجر الزاوية فى التحليل النفسى هو هذا المحتوى اللاشعورى ، اذ أنه يلعب دورا حاسما فى اتجاهات الملاحظة أثناء عملية التحليل ، لانه جب الدوافع والسلوك ، وان الهدف من التحليل هو

---

(١) Freud Sigmund: Beyond the pleasure principle. In the major works of S. Freud. Chicago. William Benton, Publishers Ency Britanica 1952, P. 651.

(٢) Freud Sigmund: Civilization its dicontent. In the major works of S. Freud. Op. cit. P. 72.

اعادة التوازن النفسى للفرد وتحقيق سيادة العمليات الثانوية على العمليات الأولية فى هذا الجانب من النفس الذى عجزت فيه الحيل النفسية عن ممارسة نشاطها [1] .

ومن الاكتشافات الهامة الفرويدية اللبيدو ، الذى يكمن فى اللاشعور . وكلمة اللبيدو اصطلاح فرويدى يدل على الطاقة النفسية المستمدة من الغرائز البيولوجية الأولية . وتضم هذه الطاقة كافة الغرائز التى تنطوى تحت كلمة حب [2] . وتهدف هذه الطاقة الى تحقيق السعادة ، واستقرار الحياة الجنسية وربط الفرد بالجماعات المختلفة . ولا يقصد فرويد بالجنس عملية الاتصال الجنسى بين الرجل والمرأة ، بل يقصد العاطفة المتبادلة . وتساعد الطاقة اللبيدية غرائز الحياة على أداء وظائفها ، واللبيدو عند فرويد جزء من الهو ويبحث عن اشباعاته فى النشاط الجنسى وهو عامل هام فى تكوين النشاط النفسى الشخصى . والرغبة اللبيدية هى القوة الدافعة للانسان لتخليد نفسه . ويكشف لنا اهتمام فرويد بتأكيد قيمة اللبيدو وعن مدى تأثره بالاتجاه البيولوجى فى تفسير سلوك الانسان ، ومحاولة ربط الظواهر النفسية والسلوكية عند الانسان بالعمليات البيولوجية . وقد أكد فرويد فى كتابه " علم النفس الجماعى وتحليل الانا " أهمية الرابطة اللبيدية بين الجماعات واعتبرها دعامة تقوم عليها كل الروابط الجماعية . فالاسرة والجيش والمدرسة وجماعات كثيرة أخرى ، يربط أعضاءها روابط لبيدية ، وهذه الروابط اللبيدية فى المظهر هى علاقات حب فى أساسها تكون ما نسميه لب نفسية الجماعة [3] . ويرى فرويد أنه من أجل الجماعة يتنازل الفرد عن رغباته ونزعاته ويخضع لتأثير الاعضاء الآخرين ، ويتأثر بهم ، وذلك ليتكيف معهم وينسجم سلوكه مع سلوكهم بدلا من تعارض سلوكه مع سلوكهم وتصارعهم معه . وتلك الروابط اللبيدية بين أعضاء المجتمع هى التى تحولهم من حياة الانانية الى حياة الغيرية .

وتكشف لنا آراء فرويد فى هذا الكتاب — الذى يغفل الانتباه اليه عند دراسة فرويد — رأى فرويد فى تأثير الجماعات على الفرد . وان العلاقات مع هذه الجماعات هى علاقات حب ، وان الشخص يضحى بحريته من أجل الجماعة ، وان الشخصية تكف عن نزعاتها الفردية من أجل الجماعات [4] .

(1) Freud Sigmund: The origin and development of Psycho-analysis in the major work of S. Freud. op. cit. P. 14.
(2) Freud Sigmund: Group Psychology and the analysis of the Ego. Trans by James Stracky. 4th Printing. London. The Hogarth Press 1948, P. 37.
(3) Freud Sigmund: Ibid. P. 40.
(4) Freud Sigmund: Ibid. P. 44

ولقد حاول فرويد فى بداية اعماله ان يفسر الفرد منعزلا عن الجماعة ، واعتبر الكائن العضوى تنظيما معقدا للطاقة ، ولكنه عدل عن النظرة الذاتية البحتة فى كتابه الأخير " علم النفس الجماعى وتحليل الانا " ، وكذلك فى ابحاثه عن التوتم والحضارة ، وحاول أن يفسر السلوك الانسانى بالرجوع الى الجماعة ، وأن يظهر تأثير الجماعة والحضارة على الشخصية وتطوير سلوكها . لكنه اهتم بدورهما فى النهى والتحريم ، ولم يهتم بدورهما التنظيمى البناء ، وقد أكد فرويد أهمية الجماعة فى السلوك عند ما ميز بين علم النفس الفردى وعلم النفس الجماعات اذ يقول " حقا ان علم النفس الفردى يهتم بدراسة الفرد ، ويكشف عن الطرق التى يسعى بواسطتها لاشباع غرائزه . ولكن علم النفس تحت ظروف استثنائية — نادرا ما يقدر على ادراك العلاقات بين الأفراد ، ان علم نفس الجماعات يهدف الى اكتشاف التفسيرات النفسية والتغيرات التى تحدث فى الجماعات"[1]

ويؤكد فرويد فى هذا الكتاب ان من بين اهتمامات علم النفس دراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ومحاولة تفسيرها ، وان علاقة الفرد بأبويه وأخويه وأخواته وفى المهنة والجيش والمدرسة تكون موضوع حبه ، وتكون ما نسميه الظواهر الاجتماعية[2] . ويخضع الفرد خلال عضويته فى الجماعات المختلفة لمجموعة من التأثيرات الخارجية التى تؤثر عليه تأثيرا قويا يغير من نشاطه النفسى ، ويقوى عواطفه ويقلل من قدرته الفكرية ، وتمنح الجماعة الفرد قوة تدفعه الى المجازفة ، وتحل محل المجتمع الانسانى الكبير فى التأثير عليه ، ويخشى الفرد الجماعات التى يعيش فيها ، ويخضع لمجموعة من المحظورات والأوامر والنواهى التى تفرضها عليه هذه الجماعات وأثناء ارتباط الانسان بجماعته يطرح كل انطباعات غرائزه الشعورية جانبا ، ويصبح خائفا من سلطة المجتمع ، والخوف من المجتمع هو سر ما نسميه بالضمير[3] .

ومن الاكتشافات الفرويدية الأخرى تأكيده الاتصال بين حالتى الصحة والمرض ، وارتباط الطفولة بالرشد . ويرى فرويد أن وظيفة المحلل النفسى تحقيق ما نسميه ازالة آثار الرواسب اليومية[4] . وهذا أرجع فرويد جميع حالات المرض فى مراحل الكبر الى تجارب

---

(١) Freud Sigmund: Ibid. P. 34.
(٢) Freud Sigmund: Ibid. PP. 2-3.
(٣) Freud Sigmund: Ibid. P. 10.
(٤) Kobut Heinz: Concepts and theories of Psychoanalysis by Heinz Kobut and Philip. F.D. Seitz in Joseph M. Wepman and Ralph W. Heine (editors) concepts of personality. Chigaco. Aldine Publishing Com. 1963, P. 114.

السنوات الخمس الأولى . وأكد ان جميع اهتمامات الشخص البالغ وتفضيلاته واتجاهاته لهــا جذورها فى مرحلة الطفولة . ولذا يجب على المحلل النفسى أن يتتبع الاعراض المرضيــة وأن يرجع فى دراسته الى تجارب الطفولة ، ولا يقف عند حد الفترة الزمنية التى تحدث فيهــا الحالة المرضية .

ولقد أثارت أفكار فرويد كثيرا من النقد ومثال ذلك ما أثارته آراؤه عن اللاشعور واللبيدو من اعتراضات عند الاجتماعيين والنفسيين . وينكر الكس انكلز من علماء الاجتماع المعاصريــن التفسير الفرويدى للاشعور ، لأن التفسير الفرويدى يعلمنا أن فكرنا عاجز وقاصر ، فهــو أداة واهية تخضع لسيطرة حوافزنا وعواطفنا (١) . أما تشارلز كولى فيرى أن تأكيد فرويــد على الغرائز اللبيدية لتفسير السلوك ادى الى عجز فرويد عن معرفة التطور الاجتماعى للفكـر ، بل ان هذه النظرة الى الغرائز اللبيدية أدت بفرويد الى اقامة الهوة الفاصلة بين العوامـل الوراثية والبيئية الاجتماعية (٢) . فالتفسير اللبيدى مجرد لافتة أو فرض نظرى بحت لا حقيقــة واقعة تفسر لنا السلوك وأسبابه ، ولذا فان كولى يرفض هذا التصور الفرويدى لغموضـــه . كذلك يرفضه الماركسيون ويؤكدون ان الدوافع الى السلوك ليست دوافع جنسية بل هى دوافـع اقتصادية تعبر عن ارادة الانسان . ويرى هذا الاتجاه أن اللبيدو طبع السلوك الانسانـــى باللامعقولية ، ويصور الانسان كما لو كان مخلوقا يتصرف بتأثير الغرائز والحوافز اللاشعوريــة وليس انسانا واعيا قادرا على الفعل والحركة ، ومن ثم يصعب علينا ان نبذل الجهد للتأثيـر عليه ، وعلى العلاقات الاجتماعية لنغيرها ، وان نمنع الحرب والدمار .

ولم يقتصر الاعتراض على اللبيد وعلى الاجتماعيين وحدهم ، بل وقف ايريك فروم موقفــا مضادا لفرويد وأنكر ان يكون اللبيدو هو القوة الدافعة للانسان ، والقوة الرئيسية التى تحرك العواطف الانسانية والرغبات ، فالشرط الحاسم لوجود الانسان هو انسانيته بمعناها الشامل (٣) .

وبعد أن عرضنا الاطار العام لنظرية فرويد فى التحليل النفسى ، نعرض الآن رأى فرويد فى بناء الشخصية . وأول ما نجد فى هذا الصدد رفض فرويد للاصطلاح الفلسفى عن الذات ،

---

(١) Inkles Alex: What is sociology. op. cit. PP 257 - 274

(٢) Jandy, Edward. C.: Charles Horton Cooley: His life and his social theory. N.Y. The Drydin Press. 1942, PP. 145-146.

(٣) Fromm Erick: The sane society London. Routhdge & Kegan Paul 1956, P. 280.

باعتباره العنصر المكون للشخصية • وقدم تفسيرا جديدا كل الجدة فى بناء الشخصية ورأى أن الشخصية تنظيم نفسى ينقسم الى ثلاثة اجزاء : الهو ، والانا ، والانا الاعلى • ويرى فرويد ان التنظيم النفسى للشخصية تنظيم حقيقى ، وليس مجرد تجسيم أو تعبير عن أشياء مجردة ، وكل جزء من أجزاء الشخصية له وظائفه وصفاته ومكوناته ومبادئه العامة وديناميكيته والميكانزم الخاص به ، وتتفاعل هذه الأجزاء فيما بينها ، والسلوك الناتج عن الشخص دائما هو نتيجة العلاقة بين هذه التنظيمات ، وقلما يعمل أحد مكونات الشخصية وحده ، مستبعدا العنصرين الآخرين •

مكونات التنظيم النفسى عند فرويد :

اولا : الهو :

الهو هو أول التنظيمات الرئيسية فى بناء الشخصية • وهو جزء أساسى فى تكوين شخصية الفرد ، متأصل كامن فى وجوده ، وملازم له خلال الحياة ، وهو مصدر كل الطاقات الغريزية الضرورية لاستمرار بقاء الفرد • وهو يمنح الفرد ارادته على الاستمرار فى الحياة ، ويمنح كل التنظيمات التى تفرض عليه كالانا الاعلى كل الطاقة اللازمة لها • ولا يعرف الهو الا مبدأ اللذة الذى يميل دائما الى تحقيقه • ويرى فرويد أن الهو مادة خام غير منظمة ، تبحث عن المتعة • فالهو لا يعرف قانونا ، وهو عماء مطلق ، ولا تحكمه قوانين الفكر ، ولا يعرف القيم الأخلاقية ، ولا يخضع لمقولتى الزمان والمكان • فالعمليات الأولية التى يقوم بها الهو يحكمها التناقض والعواطف المتباينة [1] • ولا يعرف الهو السلب والايجاب ، ولا يعرف التردد ، ولا يميز بين الصورة الذاتية والواقعية الموضوعية • كما ان كل مضمون الهو انفعالى النزعة • بيد أن الهو لا يحتوى فقط كل القوى اللبيدية الطفلية ، بل ينطوى كذلك على عناصر التوتر العدوانية البدائية • وهو يصارع من اجل افراغ شحناته ، وان كبتت هذه التوترات [2] أحيانا • وبناء الهو ثابت لا يتغير ، فلا فرق فى تركيب الهو عند الصغير والكبير•

ان الهو هو الحقيقة النفسية الصادقة عند فرويد ، وهو يمثل العالم الداخلى للتجربة الانسانية الذاتية • ولا يعلم شيئا عن الحقيقة الموضوعية • والهو هو المحرك أو القوة

(1) Freud Sigmund: The unconscious. The Major works of S. Freud. op. cit. P. 436.

(٢) Erikson, Charles W.: Perception and Personality. In Wepman Joseph and Ralph W. Heine (editors). Concepts of Personality. op. cit. P. 43.

المنظمة للوجود الانسانى ، لكنه يستمد طاقاته من الغرائز ، ولا توجد هذه الغرائز خارج الجسم، بل تنشئ من حاجات اعضاء الجسد المختلفة . وهى — الغرائز — ظاهرة بيولوجية خالصة ، ولا تتأثر بطابع المجتمع كما يرى ماكدوجل ، وهى القوة الدافعة للشخصية التى توجه سلوكها عن طريق الهو . فالهو هو الذى يعطى الغرائز تعبيرا نفسيا متمثلا فى الليبدو ، ويحول الحاجات البيولوجية الى طاقة نفسية ، ويحور الطاقة النفسية الى حاجات بيولوجية ، فالهو هو المولد الذى يمدنا بالقوة النفسية اللازمة لتشغيل العمليات النفسية المتعددة للشخصية . ان الهو هو الجانب الغامض من شخصيتنا . ولا نعرف الا القليل عنه من خلال دراستنا للاحلام ، وتحليل أعراض الامراض العصابية . ويؤلف الهو الجزء الاكبر من اللاشعور وهو وريث الانسان البدائى ، يعيش فى غور كل واحد منا خلف ستار الهو ، المخزن الامين لكل الاثار المتبقية من الحضارة البدائية الاولى بما تحمل من نماذج للسلوك متناقضة ومتعارضة .

ولا يستطيع الهو أن يميز محتويات العقل مثل الادراكات ، وصور الذاكرة والافكار . ويرى فرويد ان الطاقة تتحول من العمليات النفسية الذاتية الخالصة للهو الى العمليات الفكرية المنطقية الواقعية عند الانا . ولا يميز الهو بين الرموز النفسية ودلالاتها الفيزيقية ، بينما هذا التمييز موجود عند الانا[(1)] والانا عند فرويد هو واجهة الهو الى العالم الخارجى ، ولكنه كائن ضعيف أمام الهو ، ويستمد كل طاقاته من الهو . وما يميز الانا عن الهو هو نزعة الانا الى تنظيم مكوناته وضبط العمليات النفسية واخضاعها لحكم العقل . فالانا جزء من الهو ، ذلك الجزء المعدل والمصالح نتيجة علاقاته بالعالم الخارجى . والانا هو مقر الذكاء وهو الذى يحكم الحوافز العمياء للهو . فالفارق بين الانا والهو ، هو أن الهو لا يدرك غير حقيقة ذاته ، بينما يميز الانا بين الاشياء فى النفس والاشياء فى العالم الخارجى .

ثانيا : الانــا

اذا كان الهو هو الكائن الفيزيقى الكيميائى للكائن الحى ، والمستودع النفسى لماضى الانسان ، فالانا هو المركب الاساسى الرئيسى لشخصية الفرد ، والانا عند فرويد ليس فطريا بحتا ، بل يكتسب ، هو الجزء الحساس من الجهاز النفسى . واذا كان الانا جزءا

(1) Hall Calvin: Theories of Personality. By Calvin Hall and Gardner Lindzey. 3rd Printing. N.Y. John Wiley, 1963, P. 42.

انشطر عن الهو ، فان اتصاله بالعالم الخارجى غير من صفاته ، والانا وسيط بين الهو والعالم الخارجى ، ويعقل المطالب الغريزية للهو ، ويسعى لاشباعها ، ويلجأ الى حفظ الذات حيال المطالب المهالى فيها من كلا الجانبين ، فيقاومها • ويطرد الانا نتيجة ارتباطه بعالم الواقع كل عنصر من صور الذكريات الماضية التى تزيد من مصادر الاثارة الداخلية ، وتتجاذب الانا الرغبة والعقل ، وهذا عامل من شأنه ان يعزل مبدأ اللذة الذى يحكم عمليات الهو ، وأن يستبدل به مبدأ الواقع • فاذا كان الانا يطيع دائما تحذيرات مبدأ اللذة ، الا أن طاعته للهو يكتنفها الذكاء[1] ، فهو يختار ويقرر ما يشبع من الشهوات ، وكيف ومتى لا يتم الاشباع ، ويستخدم الانا الحيل الدفاعية اللاشعورية ليحافظ على تكامله وسيطرته على الشخصية ، الا اذا استعاد الهو سيطرته على الشخصية •

ومن صفات الانا التى تميزه عن الهو خضوعه لمقولتى الزمان والمكان ، وخضوعه لقوانين الفكر الاساسية ، كذلك فالانا وسيلة لتعليم الفرد كيفية مواجهة العالم الخارجى ، ويستخدم الانا الطاقة لايجاد التكامل بين التنظيمات الثلاثة • فهدف هذه الوظيفة هو ايجاد الانسجام الداخلى للشخصية بحيث يتسنى تفاعل الانا مع البيئة الخارجية على صورة نشطة فعالة •

وقد بين فرويد أن وظيفة الانا الاولى هى المحافظة على البناء المستمر للكائن الحى وحمايته من المطالب الغريزية التى يفرضها عليه الهو ، والعالم الخارجى ، والانا الاعلى • ويعمل الانا من أجل بقاء الانسان والمحافظة على الذات ، وهذه الوظيفة لايحققها الانا الاعلى أو الهو ، فالهو يسعى الى الاشباع الكامل للدوافع البيولوجية ، بيد أن الانا الاعلى يهدف الى السيطرة الكاملة على جميع هذه الدوافع التى قد تصل الى درجة الكبت[2] • فالانا جهاز تنظيم مستمر للعمليات النفسية يوجد فى كل منا ، ويتكون من جزئين ، جزء شعورى وجزء لا شعورى ، وهو الجزء الاكبر منه ، ويعمل الانا دائما على ضبط القدرة على الحركة والقضاء على اثارة العالم الخارجى •

ويتكون الانا وينشطر عن الهو أثناء عملية التوحد الاولى • ويبدأ الانا فى ممارسة وظائفه عندما يتحقق الطفل أن شيئا فى العالم الخارجى يعمل على توتره ، فيبدأ الانا وظائفه

---

(1) Freud Sigmund: The Ego and the ID. The Major Works of S. Freud. P. 716.

(2) Munroe Ruth, L.: Schools of Psychoanalysis thought, N.Y. Henry & Company Inc. 1955, P. 86.

الاولى فى محاولة تخفيف هذا التوتر • فهو يقف موقف الرقيب على كل فعل يصدر عن الشخصية، ويختار الصور المناسبة فى البيئة التى يستجيب لها ، ويقرر الدوافع التى يجب اشباعها •وتساعد عملية التوحد الاولى على احلال العمليات الثانوية محل العمليات الاولية ، وتتميز العمليات الثانوية التى يقوم بها الانا بالواقعية ويستفيد الانا من هذه العمليات الثانوية فى التخطيط لاشباع الحاجات ، وتخفيف درجة الصراع الدائم بين نزعات الهو ، ومطالب الانا الاعلى ، ورغبات العالم الخارجى تحقيقا للوظيفة التكاملية للانا ، وسعيا وراء الانسجام بين الانا الاعلى والهو والعالم الخارجى • لاحداث تجانس داخل الشخصية ، ولتعبر عملية التأثير المتبادل بين البيئة الخارجية والانا عادة •

وليس للانا قوة ديناميكية ذاتية ، وان كان هو أكثر أجزاء الشخصية تكاملا ، ويتأثر الانا بعملية الادراك ، ويرتبط بها • فعملية الادراك عند الانا تقوم مقام الغرائز عند الهو، وعلاقة الانا بنسق الادراك انه ينظم العمليات النفسية فى تناسق زمنى ، ويختبر اتصالاتها بالواقع ، وتعارضها معه • ويسيطر الانا على كل العمليات الادراكية والنفسية التى تخضع لخدمة العمليات الثانوية(١) وتتجلى الاهمية الوظيفية للانا فى حقيقة انه يتحكم فى الثنائية العاطفية التى تظهر فى تفسخ الشخصية • فالانا يمكن ان نسميه بالادراك والحكمة ، كما انه يتناقض مع الهو الذى لا يحتوى الا على كل العواطف البدائية • واذا كان الهو ثابتا متوارثا ، فالانا ليس ثابتا بل متغير ، ويتطور بنمو الشخصية ، فاحساس الشخص البالغ بأناه لا يظل ثابتا كما هو منذ الميلاد ، ولكنه ينمو ويتعقل بمرور الزمن • فالانا أكثر من مجرد مجموعة احساسات متكررة(٢) ، وهذا ما يسمه بالتعقل دائما ، فهو لا يظهر فى الوجود الا لتنظيم حاجات الكائن الحى مع العالم الخارجى •

واذا كان الانا جزءا انشطر عن الهو ، فان الانا الاعلى ينبلج عن الانا ، أثناء عملية التوحد الثانوى • وهو ينمو مستقلا عن الانا ، ويشتد ويقوى ويمارس وظائفه ، ويتميز الانا الاعلى عن الانا ، وليس هذا التميز مسألة عارضة • فالانا الاعلى رمز للاحداث الهامة لتطور الجنس البشرى ويعطى لنا تعبيرا ثابتا عن تأثير الوالدين والسلطة فى شخصية الفرد •

---

(١) Freud Sigmund: The Ego and the ID. The Major works of S. Freud. op. cit. P. 715.

(٢) Freud Sigmund: Civilization and it discontent. In the Major works of S. Freud. P. 768.

ثالثا : الانا الاعلى

ومن ثم فالعنصر الثالث لتنظيم الشخصية هو الانا الاعلى • وهو تنظيم ينشق عن موضوع الانفصال الأول للهو • وهذا الانشقاق عن موضوع الانفصال الأول يربط الانا الأعلى بالمنجزات الحضارية البشرية ، ويجعل منه تجسدا للانا الذى ترك رواسبه وآثاره فى الهو • وليس الأنـا الأعلـى ترسيبا مجردا تركه موضوع الاختيار المبكر للهو ، لكنه يمثل تكوين رد فعل قـوى ضد هذه الاختيارات ، فهو نتيجة انكار الغرائز والتبرؤ منها (١) • ويتضمن الانا الاعلى كـل المحرمات التى يجب على الشخص أن يخضع لها ، وهو على صلة وثيقة بالهو ، فهو يستمد منـه طاقاته الانفعالية ، وهو مثله لا عقلى ، ويعمل كنائب له فى علاقته بالانا • ولهذا السـبب فهو أبعد من الانا عن منطقة الشعور • ويبدأ الانا الاعلى فى التكوين بينما لا زال الانا ضعيفا •

ويتكون الانا الاعلى فى مرحلة متأخرة من الطفولة حلا عادلا لعقدة أوديب التى يعانى منها الطفل فى هذا السن • ويؤكد فرويد ان تكوين الانا الاعلى يرتبط بحل هذه العقـدة ، بل انه ميراث هذه العقدة ، وان كان الانا يمثل العالم الخارجى ، فالانا الأعلى يمثل التصور الاخلاقى الداخلى لهذا العالم • ولكن كيف تتكون عقدة أوديب بصفتها الدعامة التى يقـوم عليها الانا عليها ؟ تتكون عقدة أوديب حسبما يرى فرويد فى المرحلة الثالثة من مراحـل نمو الشخصية ، وهى المرحلة التى يحب الطفل فيها احد والديه من الجنس الآخر ، ويكـره الآخر من نفس الجنس ، ويتمنى الموت له • وعقدة أوديب هى قمة الجنسية الطفلية عند فرويد ، وتتكون باعتبارها محصلة التجارب العدوانية والجنسية التى يعانيها الطفل فى علاقاته مـع والديه • وهذه العقدة لها منابع ثلاثة ، المنبع الأول نفسى ، وهو الخوف من الأب • وهذا الخوف هو الذى يدفع بالابن الى التوحد مع الأب • والمنبع الثانى بيولوجى ، ويظهر نتيجة لاعتماد الطفل على امه منذ الولادة وارتباطه بها برابطة شهوية • وتصبح الأم هى الموضـوع الأول لحب الطفل دون وعى منه • وليس أساس هذا الحب أنها ترضعه وتربيه وتنظفه شـم تلازمه أغلب الوقت ، وتعطيه الكثير من الحب والحنان ، ولكن الجانب الهام فى هذه العلاقـة هو كونها انثى وكونه ذكرا • والمنبع الثالث هو المنبع التاريخى أو الثقافى للجنس البشـرى الذى يتدخل فى تكوين العقدة الأوديبية ، وهى ميراث التطور الثقافى منذ العصر الجليـدى للانسان •

---

(١) Freud Sigmund: ibid. P. 794.

وتتميز عقدة أوديب الفرويدية بأنها ذات وجه ايجابي ، ووجه سلبي . فبجانب الرغبة في أن يحل الابن محل الأب ، وان يضاجع أمه ، فهو يرغب في أن يجهض أمه . والأب عند فرويد رمز السلطة ويحمل كل النواهي والمحرمات والمطالب الاجتماعية التي يجب أن يخضع لها الابن دون وعي منه[1] . وهذه الرغبات الشهوية نحو الأم والعدوانية نحو الأب ، تكبت بفضل عمليات التربية . وتتكون عقدة أوديب رد فعل للتهديدات الأسرية بالخصاء للولد - أو عقدة الكترا رد فعل للحسد القضيبي للبنت - ولابد أن يهجر الطفل المختصات الموضوعية التي كان يفرغها على والديه تعويضا للحب المفقود بتأثير الخوف من الخصاء فيزداد توحده مع أبيه شدة وعمقا .

وقد وصف فرويد عقدة أوديب كظاهرة نفسية بأنها عامة توجد في كل المجتمعات . لكن عقدة أوديب ليست ظاهرة عامة . فان حب الوالدين يختلف من مجتمع لآخر ، كذلك يتميز اذا ما تميزت رتبة الابن في الاسرة ، وطبيعة علاقة الابن بأبيه . ولذا فان عقدة أوديب الفرويدية كما أثبت الكثير من علماء الانثروبولوجيا ليست ظاهرة عامة ، تختلف من مجتمع لآخر ، وتوجد في بعض المجتمعات وتختفي من الأخرى .

ويرى فرويد ان عملية الاحباط النفسي تؤدي الى النكوص عن موضوع الانفعال الأول والى تقمص شخصية الأب . فيتخذ الابن عن ابيه - أو البنت من أمها - صورة مثالية يتوحد معها ، ويحاول ان يصير مثلها . ويرث الأنا الأعلى جميع الاتجاهات الوالدية الاخلاقية . ويبدأ الابن في مطابقة سلوكه مع العقوبات والتحديدات التي يضعها والداه . والأنا الأعلى قوة نفسية داخلية اخلاقية ، تمارس الوظيفة الوالدية وأهدافها . فالأنا الاعلى لا يتشكل على غرار الوالدين ، بل يتكون حسب الأنا الأعلى للوالدين ، ويحمل نفس المحتوى ، وتؤدي عمليتا الثواب والعقاب اللتان يجازي بهما الطفل على اعماله الى تدعيم تكوين الأنا الأعلى . وعندما يقوى الأنا الاعلى يحل محل السلطة الوالدية في السيطرة على سلوك الابن . ويتأثر الأنا الاعلى أثناء نموه بالاشخاص الذين يحلون محل الوالدين في الاهتمام بالطفل ورعايته ، ويستمد من هؤلاء العناصر الهامة في تكوين اخلاقياته .

---

(١) Mullaphy Patrick: Oedipus Myth and Complex. Everyman edition. N.Y. Groves Press. 1955, P. 25.

ويتسم الانا الاعلى الفرويدى بالانحياز فى اختياره وانفعاله ، فهو لا يأخذ عن والديه اثناء عملية التكوين الا ما اتسم عندهما بالشدة والصرامة ، وما يرمز الى الردع والعقاب ، فى حين يهجر الانا الاعلى ما يتسمان به من عطف ورعاية . والانا الاعلى باعتباره جزء من التنظيم الحقيقى فى بناء الشخصية يظل ثابتا لا يتغير رغم تغير القيم التى يتعرف عليها . ولا تؤثر القيم الجديدة الا فى الانا فقط ، فهو الوحيد من مكونات الشخصية الفرويدية القابل للتغير ، أما الانا الاعلى فيظل ثابتا ولا تحدده الا الصورة اللاشعورية للوالدين . وقد ميز فرويد بين الانا والانا الاعلى ، ويرى ان التباين بينهما ليس مسألة صدفة . فالانا الاعلى يمثل الاحداث الاكثر اهمية فى تطور الفرد والجنس البشرى ، وهو يعطى تعبيرا ثابتا لتأثيرات الوالدين ، وهو يخلد من وجود العوامل التى أدت الى تكوينه . وقد حصر فرويد مكونات الضمير فى القيم الاخلاقية وحدها ، ولكن الانا الاعلى لا يؤسس على الاخلاقيات وحدها . فكل القيم والمعايير والامال الموجودة بالمجتمع ، وشعور الفرد بما يجب ان يفعل ، والضغوط الاجتماعية التى تحدد ما يجب ان يفعله المرء[1] كلها تتداخل فى تكوين الضمير . فالانا الاعلى يدخل فى تكوينه جميع العناصر الثقافية والاجتماعية السائدة فى البناء الاجتماعى .

مما تقدم نرى ان فرويد قسم بناء الشخصية الى الهو والانا والانا الاعلى . ورأى أن هذه العناصر الثلاثة مناطق نفسية ، وان العلاقة بينها علاقة آلية ، وليست علاقة تفاعل ، فهى انساق منفصلة ضرورية لاداء الشخصية لسلوكها ونشاطها . ويمكن لنا القول ان الهو عند فرويد يعبر عن المضمون البيولوجى للشخصية ، ويعبر الانا عن المضمون الادراكى ، كما يؤكد الانا الاعلى المضمون الاجتماعى . وقد أكد فرويد فى اكثر من جانب ان نمو وتكوين الانا والانا الاعلى ليسا وليدى الميراث البيولوجى . فعندما نولد لا نملك الا الهو ، ويتكون الانا والانا الاعلى بنمو الفرد . ويعتمد تكوينهما على ما يكتسبه الطفل أثناء تجاربه من البيئة التى حوله وعلاقاته بالاخرين . ومن ثم فان مكان الانا الاعلى كجزء من بناء الشخصية يجب ان يدرك داخل اطار ثقافة المجتمع . كذلك اكد فرويد ان عمليتى النمو الفردى والنمو الثقافى يتعارضان ، ويتهادلان الخضوع احدهما للاخر[2] . اذ ان الفرد فى سعيه لاشباع حاجاته فى علاقاته بالبيئة والاخرين يتنازعه اتجاهين ، اتجاه يبغى سعادته الشخصية واتجاه آخر يدفعه الى الارتباط

---

(1) Sanford Nevitt: Self and Society. N.Y. Atherton Press 1966, P. 42.

(2) Freud Sigmund: Civilization and its discontents. op. cit PP. 779-800.

مع المجموعة الانسانية •

ولا ريب ان فرويد رغم ادعاء الكثيرين بأنه تغافل عن اهمية العناصر الاجتماعية فى تشكيل جميع العناصر المكونة لبناء الشخصية ،قد أكد ظاهرة اجتماعية عامة هى الاخلاق • واذا كان قد وصم الهو ، وهو الجانب اللاشعورى بأنه ينزع الى اشباع مطالب الغرائز الجنسية الطفلية ، فان الانا الاعلى يناضل فى سبيل تحقيق الاخلاق التى يرضى عنها عالم الواقع ،بل وافراطه على تحقيق الاخلاق وصرامته فى ذلك[1] • وهذا المفهوم رغم قصوره يعتبر احد الخطوات الاساسية التى تساعد على تأكيد التفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية•

ولا شك أن التحليل النفسى قد صار اكثر من نظرية لعلم النفس المرضى من خلال النتائج التى وصل اليها ، تلك النتائج التى أثارت جدلا بين المشتغلين فى العلوم النفسية والاجتماعية ، واقامت رد فعل قوى فى جميع العلوم الانسانية ، بعد أن أكدت الرابطة بين حالتى الصحة والمرض ، والصلة بين طور الرشد وطور الطفولة ، وبينت أن السلوك الانسانى تحدده دوافع لا شعورية ، فتلك النتائج كلها جعلت من علم النفس المرضى نظرية فى الشخصية[2] • ساهمت فى اثراء العلوم الانسانية كلها ، بل يمكننا ان نقرر ان جميع نظريات الشخصية كانت رد فعل لنظرية فرويد ، فهى اما مؤيدة لها ، مدعمة مثرية لها ، أو معارضة لها • وفى كلتا الحالتين فقد أثرت هذه الاتجاهات من محاولتنا لفهم الانسان •

ايريك فروم (١٩٠٠ —)

فرويد كصاحب نظرية متكاملة لها مكانة كبيرة فى العلوم الانسانية ، ظهر له أتباع اقتفوا خطواته ، وان اضافوا لها تعديلات ، وطوروا فيها ، وأبانوا أثر العوامل الاجتماعية فى الحياة النفسية • واذا كان فرويد قد أغرق فى التأكيد على المحركات اللاشعورية والدوافع اللبيدية وأثرها البالغ فى السلوك الانسانى ، فقد استطاع أحد انصار الفرويدية الجديدة أن يخفف من غلواء مؤسس مدرسة التحليل النفسى ، وقام بمجهود كبير لرد القوى النفسية للانسان الى المجتمع • ففى هذا المجال نجد ايريك فروم — وهو من هؤلاء الذين استفادوا من تطبيق نتائج العلوم الانثروبولوجية والاقتصادية والاجتماعية فى التحليل النفسى — يحاول أن

(١) Freud Sigmund: The Ego and the ID. op. cit. P. 715.

(٢) Kobut Heinz: Concepts and theories of Psychoanalysis. By Wipmann Joseph and Ralph. W. Heine. (ed.) concepts of personality. op. cit. 114.

يرد الأمور الى نصابها ، فيؤكد ان التحليل النفسى وعلم النفس قد انحرفا عن قصد هما ، الا وهو دراسة الظواهر الانسانية عند ما اتجها الى دراسة العمليات الأولية واللاشعورية . فالتحليل النفسى عنده لا يجب أن يقتصر على دراسة العمليات اللاشعورية ، بل يجب ان يهتم بالحقيقة الانسانية وان يضعها فى المكانة الاولى ، وان يبحث عنها فيما وراء الدين والانساق الرمزية الأخرى . ولا يجب ان يحصر دراساته فى الانسان المريض ، بل يجب أن يهتم بدراسة الانسان المفكر صاحب الحقيقة الذى يحيا فى رد وتآلف مع الآخرين ، وان يهتم بالظواهر الانسانية مثل الحب والفكر والضمير والعمل والقيم (١) .

ويرى فروم ان فكرة فرويد عن المجتمع والثقافة فكرة ساذجة وسطحية ، فالانسان مخلوق اجتماعى لا تحكم سلوكه الغرائز الجنسية . كذلك فان فرويد قد أخفق عند ما طبق منهج التحليل النفسى فى دراسة دوافع الافراد فى الأغوار العميقة فى اللاشعور ، ودراسة الغرائز وديناميكية الانا ، والتكوين العكسى . اذ ان الانسان يعيش فى مجتمع ، وهناك ثنائية بين الفرد والمجتمع، ولا يمكن عزل الفرد عن تأثيرات المجتمع ، ويؤثر استقرار المجتمع واستقرار القيم الاجتماعية على درجة استقرار افراده . ومن ثم رفض فروم فكرة فرويد عن المرض النفسى ، ورأى ان المرض النفسى محصلة ظروف اجتماعية ، ولا يمكن أن نفهم المرض النفسى بمعزل عن المشكلات الاخلاقية (٢) والاجتماعية . فالمريض يشعر بالوهن لأنه اهمل المطالب الاخلاقية والاجتماعية . كذلك كان فروم رد فعل ضد فرويد عند ما أكد أن معرفة الاساليب التى يتشكل بها بناء مجتمع ما يفيد فى معرفة سلوك افراده ، لكى تتلاءم الشخصيات الاجتماعية مع القيم العامة وحاجات ذلك المجتمع . من جانب آخر عند ما اكد اننا يمكن ان نستدل من تحليل فرد ما ، على نوعية البناء الاجتماعى الكلى الذى يعيش فيه الفرد . وكذلك فهم المواقف الاجتماعية وادراك الظروف الخارجية ، وفهم العلاقات التى تربط الجماعات بعضها ببعض . ومن ثم فالتحليل النفسى عند فروم يهتم بالبحث عن الحقيقة ، الحقيقة التى تدور حول الانسان لا خارجه .

وقد قدم فروم اتجاها جديدا فى التحليل النفسى عند ما انكر التفسير الفرويدى الغريزى للسلوك ، وأكد اهمية التغيرات الاجتماعية فى تكوين الشخصية وتحديد السلوك الانسانى ، وبين ان شخصية الفرد محصلة متراكمة لتفاعل العوامل الفطرية للفرد وتجارب الطفولة فى مجتمع الاسرة ،

---

(١) Fromm Erick: Psychoanalysis and Religion. London. Victor Collanez Ltd. 1951, PP. 14-17.
(٢) Fromm Erick: Ibid. P. 15.

والتجارب المتأخرة في الجماعة .

ويعارض فروم الاتجاه الحتمي الفرويدي ويرفض حتمية السلوك الانساني . ويؤكد قدرة الانسان المنظمة على مواجهة المشكلات وحلها ، فالطفل يولد ومعه امكانيات انسانية يمكن ان تنمو بتأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية . وفروم في تأكيده اهمية الجماعة ازاء الشخص رأى أن الفرد لا يعيش منعزلا ،بل انه دائما يحتاج الى الآخرين ، ويحتاج الى مساعدتهم وحنانهم . ويشبه فروم حاجة الراشد الى الآخرين بحاجة الطفل لهم ،فالطفل لا يستطيع ان يستغنى عن الاشخاص الذين حوله لاشباع حاجاته المتعددة ، ولتحقيق الطمأنينة له، كذلك فالبالغ يحتاج دائما الى الآخرين ، ولا تتوقف هذه الحاجة أبدا طوال حياة الانسان (١) . فالحاجة الى الآخرين تجربة يمارسها الشخص ولا تتوقف ابدا ، وتبدأ منذ الطفولة عندما يشعر الطفل بعجزه عن الاعتماد على نفسه لتحقيق حاجاته الأولية واحساسه بأن الارتباط بالآخرين مسألة حياة أو موت له ، وشعور بالخطر في وحدته . وكل انسان يجرب الحاجة الى الآخرين منذ طفولته . فالطفل عاجز عن العناية بنفسه في كل الوظائف الهامة ،واشباع حاجاته، كما ان ترك الطفل وحيدا يعني التهديد الكبير لوجوده ، فحاجاته للاتصال بالآخرين مسألة حيوية هامة ، وهذا يعني ان الانسان منذ السنوات الاولى يحتاج الى الآخرين لكي يشبع حاجاته الاساسية ليؤكد استمراره في البناء (٢) . ويؤكد فروم ان الحاجة الى الارتباط بالآخرين، والاحساس بالارتباط بعلاقات جذرية ، والتسامي ، حاجات حيوية وهامة عند الانسان ، فهي تشبع حاجاته بالشعور بالذات في الجماعة ،وتنمي احساسه بذاته ، ولن يستطيع ان يصبح انسانا عاقلا ما لم يجد طريقة لاشباع هذه الحاجات كما انها ضرورية أثناء شعور الانسان بذاته ، وهي تنمو اثناء عملية الانسلاخ عن الروابط الأولية التي تربطه بالأم ، وسجاياه الفطرية. ويبدو لنا ان فروم قد فهم أن علاقات الانسان مع الآخرين وحاجاته الى هذه العلاقات مشكلة نفسية ، ويبين ان مفتاح المشكلة النفسية هي أنواع الارتباط المحدد للفرد مع العالم ومع نفسه لاشباع حاجاته ، فهو قد أكد ان الحاجة الى الارتباط ليست فطرية بل تكتسب اثناء عملية التعلم والتثقيف . فالمسألة الهامة وهي علاقة الانسان بالمجتمع ليست علاقة استاتيكية ، فعلاقة الانسان بالمجتمع وحاجاته الى الآخرين لا تظل ثابتة بل تتغير عندما يتغير المجتمع ، ويمارس سلطاته لكبت دوافع الفرد ، او يسمح له باشباع محدد يتمشى مع طبيعة العلاقات الاقتصادية

(١) Fromm Erick: The sane society. op. cit, P. 39.

(٢) Fromm Erick: The Fear of Freedom, 4th Printing. London, Kegan Paul, 1946, P. 16.

بين الافراد •

فالمجتمع الكبير عامل هام فى تكوين الشخصية الاجتماعية ، ولا تؤثر العلاقات الاجتماعية فى توجيه الطفل فقط ، بل تؤثر فى الاباء والامهات وتحور افعالهم وسلوكهم وتغير مشاعرهم نحو الطفل ، ولذا رفض فروم ان السنوات الاولى هى وحدها السنوات الحاسمة فى تقرير السلوك ، وان السلوك يثبت ويجمد فيها • واستنادا الى المبدأ النفسى الذى اقام عليه فروم نظريته رفض ان تكون للمجتمع الكلمة العليا فى تكوين الشخصية الاجتماعية ، وبين ان الانسان يستطيع ان يخلق شخصيته ،وان يحدد ذاته ، لكنه فى الوقت نفسه يشد الى ماضيه المتطور وتاريخه القديم كانسان اجتماعى[1] • وقد تميز فروم عن فرويد عندما اكد ان التكوينات البيولوجية والاجتماعية للفرد تطبع الردود والاستجابات الفردية الى حد كبير•

واذا كان فرويد قد درس الفرد كوحدة نفسية منعزلة عن الجماعة ، واعطى الشخصية بعدا بيولوجيا وحيدا ممثلا فى الطاقة البيولوجية ،فان فروم اعطى الشخصية بعدا اجتماعيا الى جانب البعد البيولوجى والبعد النفسى ، عندما اكد ان الانسان لا يستطيع ان ينسلخ عن الجماعة ويصير حرا متحررا من القيود الاجتماعية سعيا وراء رغباته ونزعاته ، فالفردية ليست عملية سهلة ،ولا يستطيع الانسان ان ينفصل عن الظروف الاجتماعية التى تحيط به، ومن ثم فالفرد عند فروم يعانى من ازدواج الميول ، الازدواج بين الاتجاه الاجتماعى واشباع المطالب البيولوجية ، والازدواج بين مطالب السلطة والحاجة الى الحرية •

وقد قدم لنا فروم نظرية فى التحليل النفسى تنكر الاتجاه اللبيدى الفرويدى انكارا تاما ، وتربط هذه النظرية القوى النفسية للانسان بالظروف الاجتماعية السائدة • وقد اعتقد فروم ان القضية الاساسية هى كيف يرتبط الانسان باعتباره فردا مع عالم الاشخاص والاشياء التى حوله ، وايضا كيف يتوافق مع ذاته ، فالانسان عنده فى حاجة الى الاخرين ، والى الحياة فى النسق الاجتماعى الذى يحتويه • وتنشأ فكرة فروم عن التوافق من شعور الانسان بحاجاته الى الارتباط بالاخرين ، واحساسه بالاهمية عندهم ، وهو فى حاجة الى الاخرين، كما ان الاخرين فى حاجة اليه • ويتولد احساس الانسان بأهميته من دوره فى الجماعة كانسان منتج • وقد اتجه فروم اتجاها جديدا فى التحليل النفسى عندما بين ان الانسان يرتبط بالمجتمع ارتباطا ضروريا من خلال نشاطه الاقتصادى ، والعمل هو اساس هذه الرابطة ،

(1) Munero Ruth, L. : Schools of Psychoanalysis thought, op. cit. P. 349.

فهو يجب ان يعمل ليعيش ويحقق شخصيته كموجود اجتماعى مستقل ، لكى يرتفع عن مستوى الحيوانية ويتحرر من الطبيعة وأسرها . ويؤدى العمل الذى يقوم به الانسان مع الآخرين الى تحوير الظروف المحيطة بالانسان ، وتغيير خصائصها ، كما يدفع الانسان الى تغيير وتحوير ذاته.[1] فالعمل هو اساس ارتباط الانسان بالجماعة والعالم المحيط به ، وهو ذو قيمة اجتماعية واقتصادية ، ويحدد العمل وكمية الانتاج من قيمة الانسان الاجتماعية وقيمته امام نفسه والآخرين . بيد ان الانسان لا يعمل من اجل العمل وما يصاحب ذلك من لذة ، لكن الخوف من الجوع والفاقة هما دافع الانسان الى العمل ، وبذل الجهد ، اذ يحرر العمل الانسان من اسر الطبيعة وسيطرتها عليه ، كما يعبر عن زيادة قدرة الانسان وزيادة مهاراته وسيطرته على الطبيعة .

ويتميز فروم عن مؤسس مدرسة التحليل النفسى ، بأنه لم يهتم بالعمليات النفسية اللاشعورية والدوافع الجنسية . لكنه انطلق الى وجهة نظر جديدة تهدف الى تفسير الانسان ومشكلاته فى المجتمع الحديث . واشارة الى ان المشكلات التى يعانى منها الانسان فى المجتمع تنبع من تصور الانسان لمعنى الحرية . فالانسان لاسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية يبحث عن معنى الحياة فى صورة الانتماء الى الآخرين ، لكن زيادة انتمائه الى الجماعة تولد لديه نتيجة عكسية وتجعله يفقد حريته ، ويشعر بأنه اصبح مجرد آلة ، ومن ثم فاسباب التوترات النفسية شعور الانسان بالوحدة ، وعدم اهتمام الآخرين به ، رغم انغماسه فى المجتمع .

ويرى فروم على نقيض فرويد وبتأثير النظرية الماركسية ، ان الجزء الاكبر من صراع الانسان فى هذا العالم لا يمكن تفسيره بقوى غريزية . فالنشاط الانسانى لا يقتصر على اشباع الحاجات الى الطعام والشراب والجنس ، بل الانسان فى رأيه عندما يشبع هذه الحاجات يبدأ فى النضال سعيا وراء السلطة او الحب او الدمار . ويخاطر الانسان بحياته لاسباب دينية اوسياسية او لنزعات انسانية بحتة ، او فى سبيل مبادئ عامة ، او فى سبيل تحقيق مثل عليا معينة . فالنضال فى سبيل تحقيق مثل عليا ، وغايات سامية هو ما يتميز به الانسان . ومن جهة أخرى يرى فروم ان الصراع النفسى ينشأ نتيجة رغبة الذات فى الانعزال اللامحتمل عن الآخرين .

(١) Fromm Erick: The sane society. op. cit. P. 177.

وتخضع علاقات الانسان من ذاته لدوافع اقتصادية تضفى عليها طابعا تجاريا ، ومن ثم يعانى الانسان مشكلة ذاته باعتبارها شيئا يستطيع ان يستخدمه بنجاح لتحقيق خططه فى المعاملات الاقتصادية[1] . ومن جهة اخرى يعانى المرء من صراع اخذ حدة ينمو نتيجة احساس الفرد بأن اسلوب الهرب الذى يستخدمه يولد نفس النتائج التى حاول ان يتجنبها لعدم مواجهة المشكلات والناس .

وقد بين فروم فى كتابه " الخوف من الحرية " اتجاهه نحو تفسير الانسان بعوامل اجتماعية واقتصادية . ويرى ان قوى الانتاج وعلاقات الانتاج يحدد ان شخصيات الافراد وطبيعة الاخلاق ، وانماط السلوك واعداده ، كما ان تغير النظام الاجتماعى والاقتصادى يؤدى الى تغير الطابع الاجتماعية للافراد وسماتهم . فالشخصية الاجتماعية فى المجتمع البدائى تتميز عن الشخصية الاجتماعية فى المجتمع الاقطاعى والمجتمع الرأسمالى . كذلك يتفاوت بناء شخصيات الافراد وسماتهم فى المجتمع الحرفى عن المجتمع الزراعى عن المجتمع الصناعى . كما تختلف الشخصية فى المجتمع الديمقراطى عن الشخصية فى المجتمع الدكتاتورى ، وتتميز الشخصية فى المجتمع الرأسمالى عن الشخصية فى المجتمع الاشتراكى . ويرد فروم ارتباط تغير بناء الشخصية بتغير المجتمع الى ان بناء الشخصية لم يعد منسجما مع المجتمع الجديد ، ومن ثم ينشأ فى المجتمع شعور بالتباعد والاخفاق ، واصبح لزاما تكيف شخصيات الافراد مع البناء المتغير ، وخلق شخصيات جديدة . ويكشف لنا هذا التفسير لربط الشخصية بالتغير الاقتصادى والاجتماعى ان فروم رغم اشتغاله بالتحليل النفسى تأثر فى نظرته الى الانسان بالظروف الاقتصادية السائدة فى اوربا فى بداية هذا القرن وبالنظرية الماركسية فأكد أهمية النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى تشكيل الشخصية . وأخرج لنا نظرية فى التحليل النفسى اصطبغت آراؤها بآراء اجتماعية واقتصادية .

واستمرارا فى تأكيده لاثر العوامل الاجتماعية والاقتصادية فى القوى النفسية ، يبين فروم ان الانفعالات والدوافع لا تحددها القوى الجنسية ، بل تشكلها الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى يعيش فيها الشخص . كذلك فالقوى الانتاجية تحدد المستويات الاخلاقية ، وانماط السلوك . واذا كان فرويد قد اعتقد بوحدة الشخصية ، وأنها نسق مغلق تحكمه

---

(1) Fromm Erick: Ibid. PP. 141-142.

دوافع شرطية فسيولوجية زودته بها الطبيعة ، فان فروم قد اختلف معه وبين ان المجتمع هو الذى يكون الشخصية ويحدد بنائها ، ومن ثم عكس فروم النظام العلى عند فرويد عندما قبل العنصر البيولوجى والدوافع البيولوجية باعتبارها المنبع الاول للشخصية ، وفى الوقت نفسه ارجع التباين فى شخصيات الافراد من مجتمع لمجتمع وداخل المجتمع الواحد الى اختلاف العمليات الاجتماعية والظروف الاقتصادية (١) . وقد حدد فروم الطبيعة الانسانية بأنها محصلة الظروف الاقتصادية والتاريخية والاجتماعية . فالعوامل البيولوجية ليست عوامل وحيدة ومميزة فى تكوين الشخصية . ويقلل فروم من قيمة العوامل البيولوجية لايمانه بأن البحث فى موضوع يؤكد التضاد بين العوامل الثقافية والعوامل البيولوجية لن يكون مثمرا ، ومن ثم فشخصية الفرد هى محصلة متراكمة لتفاعل المكونات الفطرية للفرد مع تجارب الطفولة المبكرة فى الاسرة وتجارب الحياة المتأخرة فى المجتمع الكبير ، فالمجتمع الذى يعيش فيه المرء عامل هام فى تكوين الشخصية ونموها ، ويؤثر المجتمع فى توجيه الطفل ونموه ، وتشكيل شخصيته حسب ظروف المجتمع . كذلك فالمجتمع يؤثر فى اتجاهات الوالدين ، ويحور من انفعالهم ومشاعرهم ، فالمجتمع عند فروم له دور هام فى تكوين شخصية الفرد ونموها ، بيد انه لا يمتص الشخصية كلها كما يقرر الاجتماعيون . فالشخصية ذات طبيعة عضوية فى البداية ثم تندمج وتنتظم هذه العناصر البيولوجية وتتشكل حسب قواعد المجتمع .

وقد اكد فروم اهمية الوالدين فى تشكيل شخصية الطفل . فالابوان يشكلان اتجاهات وقيم الطفل اثناء التجارب الاسرية ، وبين ان توافق الانسان مع الاسرة ييسر اكتسابه للاتجاهات المكونة للشخصية ، التى تسهل له اداء عمله بنجاح . فالاسرة ذات تأثير هام على شخصية الطفل باعتبارها قوة نفسية فى المجتمع . وليست الاسرة النظام الوحيد المؤثر فى شخصية الطفل ونموها ، فالجماعات التى ينتمى اليها المرء لها أثرها فى نمو الشخصية او اضطرابها . فتأثير المجتمع على اعضائه واضح ـ عند فروم ـ فأغلب اعضاء المجتمع الواحد يشتركون سويا فى الصفة الاساسية لشخصية المجتمع ، لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية هما العاملان الرئيسيان فى تحديد بناء الشخصية ونموها وأيضا تحديد سمات الشخصية (٢) .

---

(١) Bischof Ledford: Interpreting Personality theories. op.cit. P. 653.

(٢) Fromm Erick: Individual and social origin of Neurosis. In Clyde Kluckhoon and Henry Murray. Personality in Nature, Society and Culture. 2ed N.Y. Alfred Knope 1956, P. 518.

واذا كان فرويد قد اكد ان الليبيدو هو القوة المحركة الدافعة عند الانسان التى تحرك العواطف والرغبات ، فان فروم ينكر الاتجاه الليبيدى فى تفسير السلوك الانسانى ويرى ان القوى الدافعة لسلوك الانسان تنبع من ظروف وجوده فى الموقف ، وان الاحباطات الجنسية ليست هى سبب الصراعات التى يعانى منها الانسان . فان كل أنواع العصاب والمرض النفسى فى المواقف والتجارب التى يعيش فيها الانسان ، هى محصلة الانماط الثقافية والاقتصادية السائدة (١) . وينكر هذا الموقف اللاليبيدى لفروم القاعدة الفسيولوجية كأساس للعواطف ، ومن ثم فأساس العواطف الانسانية عنده هى الحاجة الى الارتباط والتسامى ، وهى محصلة تفاعل العالم الاجتماعى والطبيعة والانسان . فالتنظيم الاقتصادى والسياسى للمجتمع والبناء الداخلى للعلاقات الاجتماعية ، والتأثير المتبادل الحادث بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، كلها عوامل تحدد افعال الناس فى فترة زمنية معينة ، وتساعد على تكوين العناصر المكونة لبناء الشخصية والتى تدفعها الى أداء فعل معين فى اثناء مواقف معينة ، كذلك تحدد هذه الظروف عملية نمو الشخصية . وتتكون الشخصية عند فروم من عنصرين ، المزاج الطبيعى والطباع . ومزاج الشخص هو النسيج العضوى والعاطفى الاساسى الذى يولد به الانسان ، اما الطباع فهى العناصر الاجتماعية التى تتكون بتأثير الضبط الاجتماعى . وللشخصية عند فروم مظهران : الأول : الشخصية الفردية هى مجموعة العوامل البيولوجية الفطرية التى تأثرت بالتربية الاسرية والسمات التى ترتبط بالشكل الخاص لبناء شخصية الفرد . والمظهر الآخر : الشخصية الاجتماعية وهى الشخصية المشتركة بين افراد المجتمع كله . وهى تعبير عن تأثير المجتمع على الشخص ، وأيضا تأثير الثقافة ، من اجل تحقيق التوافق ، وهى تتكون من مجموعة من السمات المتفق عليها والمقبولة اجتماعيا .

ويبين لنا عرض هذه الآراء الاساسية لفروم ان الانسان ليس مخلوقا غريزيا ، وانما هو مخلوق يخضع لتأثير المجتمع وعملية التربية . فالتربية عامل هام فى طبع الانسان بالمثل والمعايير الحضارية التى ترفع الانسان من المستوى الحيوانى الى المستوى الاجتماعى . وقد حدد فروم الغرض الأول للتربية ، وبين انه امداد الفرد بالمعرفة التى يحتاج اليها ليسلك الانسان سلوكا مقبولا فى المجتمع ، ولتشكيل شخصيته حسب القوالب التى يضعها المجتمع (٢).

---

(١) Fromm Erick: Individual and social origin of neurosis. Ibid. P. 515.

(٢) Fromm Erick: The sane society. op. cit. P. 344.

ويندمج الانسان فى العالم الذى يعيش فيه ويحقق انتماءه الى المجتمع ، ويرتبط به من خلال عمليتين ، أولاهما عملية اكتساب واستيعاب الاشياء وتعرف هذه العملية باسم عملية الامتصاص assimilation ، والعملية الاخرى وهى ارتباط الانسان بذاته والآخرين ، وتعرف هذه العملية باسم عملية التنشئة • وتأكيد فروم لعملية التنشئة الاجتماعية يكشف لنا اتجاهه المخالف لفرويد الذى لم يهتم بهذه العملية • وهاتان العمليتان مرتبطتان سويا ويحددا طبيعة ارتباط الفرد بالمجتمع ، ويصيغا معا طباع الشخصية الاجتماعية •

والآن وبعد ان عرضنا الاطار العام لآراء ايريك فروم نعرض لآرائه فى بناء الشخصية •

بناء الشخصيــــة :

قدم لنا فروم نظرية فى بناء الشخصية تعبر عن اتجاه متطور فى التحليل النفسى ، وانطلاقا من موقفه اللالبيدى رفض العناصر البنائية للشخصية الفرويدية ، وقدم ثلاثة عناصر أخرى بدلا منها هى الذات والضمير والسمات • والذات عند فروم هى اول العناصر المكونة للشخصية • وليست الذات مجرد تصور ، ولكنها تنظيم نفسى له وظائف ، يتكون من مجموعة من الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التى يقوم بها الشخص منذ طفولته • وقد بين فروم ان احساس الانسان بالذات ينبع من التجربة من ذاته كموضوع للتجارب والتفكير والشعور والقرارات والاحكام والاتصال • ويولد عجز الذات عن اداء هذه الوظائف الاحساس العميق بالقلق • كما يؤكد نمو الــذات وقدرتها على الاداء والانجاز ان التجارب الاسرية اصبحت ثابتة وقوية • والانسان فى بداية حياته ليس لديه احساس بالذات • فالذات ليست عنصرا وراثيا ، بل تنشأ الذات نتيجة التجارب الاجتماعية والاقتصادية ،ويدعم الاحساس بالذات اثناء عملية الانفصال عن الروابط الاولية التى يرتبط بها الانسان فى بداية حياته ،ويحدث هذا نتيجة احساس الفرد بالانتماء الى الآخرين وتوافقه مع واقع الاصدقاء وزملائه ، ومن دوره الاقتصادى والسياسى ، ومن دوره كانسان مفكر محب • وادراك المرء لذاته عملية تتم تدريجيا ،ولا يعى الانسان بذاته وعيا كاملا الا عندما يفهم ان العالم الخارجى شىء منفصل ومستقل ومختلف عنه •

وقد أكد فروم القيمة الحقيقية لحب الذات ، وبين ان الشعور بالذات جزء من الشعور بالانتماء الى الجماعة والارتباط بالعالم ، فاذا فقد الانسان الثقة فى الذات فانه لا يستمر فى هذه الحالة ، بل يحاول باساليب مختلفة ان يسترجع الشعور بالانتماء ولتحقيق التوافق مع القيم الخارجية• واذا كان فرويد قد رد اسباب الصراع الى تنافر العناصر الثلاثة المكونة لبناء

الشخصية ، فالذات عند فروم هي منبع الصراعات التي تتوالد نتيجة محاولة الانسان التوافق مع ذاته والارتباط مع الاشخاص الآخرين الذين حوله • ويتولد هذا الصراع من محاولـــــة الذات الانعزال عن الجماعة لتحقيق الفردية ، الا ان الذات تدرك ان هذا الانعزال لا يحتمل ، فالانسان لاسباب اقتصادية وتاريخية يبحث عن معنى الحياة والسعادة في صورة الانتماء مع الآخرين • ولكن هذا الانتماء الى الجماعة يولد نتائج عكسية ، ويتطلب مـــــن الانسان أن يتخلى عن حريته الشخصية من اجل الجماعة التي يسعى هو دائما الى تأكيد ها• ويرى فروم ان الانسان لا يستطيع ان يوفق هذه المعادلة ، اى يوفق بين تحقيق ذاتـــــه والارتباط بالعالم الخارجي الا اذا حقق الشرطين التاليين : اولهما دوام انتاجه ، وتوافق الانسان مع البيئة ينشأ من شعوره باهميته في المجتمع ومن قيمته الانتاجية • والآخر التعاون مع الآخرين واضفاء الحب عليهم واحساسه بحبهم وتعاونهم • فبالخبز وحده لا يحيا الانسان بل الانسان يحتاج الى مشاركة الآخرين له والشعور بالمسئولية والاحترام والمعرفة والحـــب المثمر المنتج • وهذان الشرطان ضروريان لتماسك الشخصية لتحقيق الارتباط بالعالـــــم والاهتمام به •

العنصر الثاني من عناصر تكوين الشخصية عند فروم هو الضمير• والضمير هو المستودع الرئيسي للميراث الاجتماعي والثقافي في تكوين الشخصية ، وليس فقط مستودع الميراث الاخلاقي حسبما ارتأى فرويد • ويشبه فروم الضمير بالقائد الآمر الذي يسلمه الانسان زمامه ، فالضمير يدفع الانسان الى اداء سلوك معين حسب الرغبات والاغراض التي يؤمن بها الشخص أنهـــا رغباته واغراضه ،ويدفع الضمير الشخص بغلظة وقسوة الى اداء سلوك معين ، ويمنع عنـــــه السعادة واللذة ، ويجعل من حياته تكفيرا عن بعض الرذائل • واذا كان الانا الاعلـــى الفرويدى يتكون حلا عادلا للمشاعر الاوديبية ، ونتيجة توحد الابن مع الاب ، فان الضميـــر عند فروم يتكون من خلال التأثيرات الاجتماعية والثقافية ، وهو خلال نشأته الاولى لا يتأثــر بالاب وحده ، بل يتأثر بالمبادئ الاخلاقية للاب والام معا • ويرى فروم ان جانبا من ضمير الشخص يتكون بتأثير الام ، بينما ينشأ الجانب الآخر بتأثير الاب • والضمير الشخصي فـــي بدايته هو مزيج من التفاعل بين تأثيرات الاب والام ، وتجارب الطفولة مع الآخرين • لكـــن تطور الانسان ونضجه يحررانه من تأثيرات السلطة الوالدية ، ويصير كل فرد منا أبا وأما لنفسه ، اذ لا يظل ضمير الشخص اسير ضمير والديه ، فنمو الشخصية يدفع بضمير الفرد الى الاستقلال

عن التأثيرات الوالدية ، ويصبح ضمير الشخص من صنعه وحده ومحصلة تجاربه •

كذلك يتميز الضمير عند فروم عن الضمير الفرويدى ، فالضمير الفرويدى ضمير صارم يتخذ شكلا واحدا • اما ضمير فروم فيرمز الى عدد من الضمائر تؤلف الضمير الكلى للشخص ، فثم ضمير للعمل وضمير للواجب ، وضمير للحب ، وضمير للتسامح والعطف ، ويرمز تأثير الأب فى تكوين الضمير الى مبدأ الواجب ، ويعبر تأثير الأم عن مبدأ العطف والتسامح • وتؤثر أوامر الأب وهمسات الام فى تكوين الضمير ، وعلينا ان نتقبل هذا التناقض • فتأثيرات الأب والام ضرورية فى تكوين الضمير ، فالضمير الذى يقتفى اثر نواهى الاب وحده ، او يسمع صوت الام وحدها ، ضمير ناقص[1] •

والعنصر الثالث من عناصر بناء الشخصية هو السمات ، وهذه السمات هى القوة الخلاقة فى المجتمع[2] ، وهى التى تطبع الذات بالطابع الاجتماعى • وهذه السمات هى العناصر الاجتماعية فى تكوين الشخصية • وهى تختلف حسب نوع العمل الذى يؤديه الشخص • وكذلك حسب نظام الحكم السياسى والتركيب الطبقى للمجتمع ، والوضع الطبقى للفرد • وليست هذه السمات فطرية او ثابتة • ويؤكد فروم ان تحليلنا لأية فكرة جديدة عبر عنها كاتب او مفكر أو مبدع ، يكشف لنا أن سمات شخصية الكاتب هى التى دعت الى فكرة الابداع والخلق واصدار الحكم • ومن ثم فافكار الشخص لها قالب نفسى ، وفى الوقت نفسه تعبر عن روح الثقافة الى الحد الذى تستجيب فيه للحاجات الانسانية • وكل مجتمع له عناصر خاصة تتداخل فى تكوين الشخصية ، وله سلوك يهدف الى اشباع الحاجات ، ومن ثم فالشخصية محصلة قوى نفسية اجتماعية بيولوجية ، بيد ان البناء البيولوجى يظل كما هو حتى تغيره الضغوط الاجتماعية وتتحقق عملية الاشباع • ويؤكد فروم ان كل ما يفكر فيه الناس او يشعرون به ، له جذوره فى شخصيتهم ، فالشكل العام لحياتهم العملية يشكل الشخصية وبمعنى آخر فالابنية الاجتماعية والاقتصادية تكون سمات شخصية اعضاء المجتمع •

وبناء على ما تقدم يمكن لنا القول بأن فروم هو اول من اهتم من رجال التحليل النفسى بالطابع الاجتماعى للشخصية ، واكد اهمية المجتمع وظروفه الاجتماعية فى تغيير القدرات الفطرية الى قدرات اجتماعية التى هى نواة الشخصية الاجتماعية التى يشترك فيها مجموعة من اعضاء الثقافة الواحدة ، والتى تتباين من شخص لآخر داخل الثقافة الواحدة • هذا التصور

---

(١) Fromm Erick: The sane society. op. cit. PP. 47-48.

(٢) Fromm Erick: Ibid. P. 87.

لمفهوم الشخصية يخرجها من الجمود الذى حصرها فيه الاجتماعيون ، فليست الشخصية مجموعة من السمات الثابتة الموجودة فى المجتمع ، لكن التغير الاجتماعى يؤدى الى تغير الشخصية ، اذ ان التغير يولد حاجات جديدة ، وسمات جديدة تعبر عن نظم اجتماعية جديدة ، وبالتالى شخصية اجتماعية جديدة لها سمات اجتماعية جديدة • بيد أن الشخصية الاجتماعية ليست اسيرة الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، فالشخصية تحكم التغير الاجتماعى والاقتصادى[1] • ويكشف لنا اتجاه فروم فى تفسير الانسان ، وتفسير علاقاته بالجماعات والدوافع الى العمل وتحديد قيمة الانسان امام الآخرين وامام نفسه بكمية العمل ، تأثره بالنظرية الماركسية فى تفسير سلوك الانسان • كما يتبين لنا من عرض آراء فروم انه اهتم كعالم فى التحليل النفسى بالتغير الاجتماعى والثقافى ، وانعكاس ذلك كله على عناصر الشخصية وتغيير الافكار والاتجاهات ، كما اكد ان استخدام الاساليب النفسية فى دراسة المجتمعات تساعدنا على فهم الدوافع البعيدة للسلوك ، وايضا مشاعر الافراد ، ويجعلنا ندرك العلاقة بين الجماعات بعضها وبعض[2] ورغم هذا فاننا نرى ان اتجاه فروم وان أكد الطابع الاجتماعى للشخصية اقرب الى الاتجاه النفسى وتدعيم لاتجاه علم النفس الاجتماعى •

هارى ستاك سيلفيان (١٨٩٢ ـ ١٩٤٩)

انكر ايريك فروم وهارى ستاك سيلفيان باعتبارهما من اتباع مدرسة التحليل النفسى الاتجاه اللبيدى الفرويدى لتفسير الشخصية ، ولم يؤمنا بأن الغرائز الجنسية هى المنابع الهامة للدوافع الانسانية ، وانكرا ان الانسان محصلة الامكانيات الفطرية وحدها ، وآمنا بامكان تخصيص مكانة واضحة للابعاد الاجتماعية فى تكوين الشخصية ، وفى علاقة الطفل بالام • ورفضا التقسيم الفرويدى فى بناء الشخصية ، وآمنا بتداخل الحاجات الفطرية الوراثية والقدرات النفسية والعناصر الاجتماعية فى تكوين بناء الشخصية• وآمنا كذلك بالتداخل بين الفرد والمجتمع • فالشخص يعمل لتحقيق مطالب المجتمع ، والمجتمع يحقق للشخص اهدافه ويشبع حاجاته • بيد ان فروم يختلف عن سيلفيان ، فالاول أكد اهمية الاحداث النفسية والاجتماعية فى توجيه السلوك ، وأكد اهمية تفسير سلوك الانسان بعوامل

---

(١) Fromm Erick: The Fear of Freedom. op. cit. PP. 253-256.

(٢) Munereo Ruth, L.: Schools of Psychoanalysis thought, op. cit. P.395.

اقتصادية واجتماعية • واشار الى ان شخصية الفرد تعكس نوع البناء الاجتماعى الذى توجد فيه • اما سيلفيان فقد أكد اهمية العلاقات الانسانية الشخصية فى تكوين الشخصية فـــى مراحل النمو المختلفة ، وبين اهمية العناصر الثقافية فى المواقف التى تتبادل فيها العلاقات الشخصية •

وسيلفيان باعتباره اتجاه فى مدرسة التحليل النفسى ، نشأ رد فعل ضد فرويـــد ، فقد رفض منهج التداعى الحر فى العلاج النفسى ، ووجد ان هذا المنهج ليس مثمرا فـــى علاج امراض العصاب ، ووجد انه من الضرورى دراسة الموقف الذى تتبادل فيه العلاقـــات الشخصية ، ومعرفة القوى التى تسهل او تعوق الاتصال بين شخصين فى الموقف ، لفهـــم علاقة الشخص بالمجتمع • فالانسان عنده يتعلم السلوك فى المواقف الشخصية المتبادلـــة ، ولذا رفض اعتبار الانسان مخلوقا غريزيا ، او محصلة الصراع بين المجتمع وغرائز الفرد ، واكد قيمة الانسان باعتباره الاساس المادى للحياة الانسانية(١) • وقد اشار سيلفيان فى دراستـه للانسان الى ان الشخص المنعزل خارج اهتمامه ، فالشخص المنعزل يقع خارج نطاق العلم وان الشخصية التى تتكشف لنا توجد فى الموقف اثناء تبادل العلاقات الشخصية بين الافراد ، بل ولا يمكن ملاحظتها الا فى مجال تبادل العلاقات الشخصية •

وقد اقام سيلفيان نظريته عن الشخصية من دراسته لمرضى الفصام وخاصة الاطفـــال منهم • واكد فى نظريته ان كل التناقضات والاضطرابات التى تعبر عنها الثقافة هى الاساس الخصب للاضطرابات النفسية ، وهذا يدعو فى نظرى الى تأكيد الرابطة بين العلم الاجتماعى والطب النفسى ، وادراك اهمية الموقف الذى يحيا فيه الشخص(٢) • لكن سيلفيان رغم تأكيده اهمية العوامل الاجتماعية قرر انه لا ينكر اهمية العوامل الوراثية والفسيولوجية فى تأكيـــد الشخصية ، واوضح ان الانسان يمكنه اثناء التجارب التى يمر بها ان يغير من وظائفـــه البيولوجية الخالصة • فالجسد يشكل شخصية الانسان الى الحد الذى يمكنها من الاستمرار فى الحياة ، وتحول التجارب الاجتماعية فى الموقف الحاجات البيولوجية والفسيولوجية الـــى حاجات اجتماعية ضرورية للكائن الاجتماعى داخل الموقف ، ومن ثم فكل ما هو انسانى هـــو

---

(١) Sullivan, Harry Stack: Conception of Modern Psychiatry op. cit. P. 33.

(٢) Sullivan, Harry Stack: The Interpersonal theory of Psychiatry. N.Y. W. Norton and Com. 1953, P. 294.

محصلة التفاعل خلال الموقف ، والكائن الحى عند ما يفقد مركزه كوحدة بيولوجية يعبر كائنا اجتماعيا يمكنه ان ينمى حياته الاجتماعية والنفسية او يوقفها ، وان يقمع العقبات الفيزيقية اذا ما تطلب منه المجتمع ذلك . وقد ربط سيلفيان فى دراسته للشخصية بين العوامل البيولوجية الوراثية والعوامل النفسية والعوامل الاجتماعية ، وبين تداخل هذه العوامل فى تكوين بناء الشخصية ، واشار الى ان الشخصية تنظيم ديناميكى يتغير اثناء الزمن بتأثير عملية التلقين الثقافى وبتأثير العلاقات فى الموقف . فالشخصية الانسانية مرنة قابلة للتغيير والتشكيل بتأثير التجارب التى تواجهها فى الموقف . فسيلفيان بصفته رد فعل لفرويد ربط الشخصية بالابعاد الاجتماعية ؛ واعطى الاهتمام الى العوامل الاجتماعية بجانب العوامل البيولوجية. وقد سلم سيلفيان بأهمية العوامل البيولوجية باعتبارها عنصرا تقوم عليه الشخصية ، ومنها يمدنا بالطاقة اللازمة لاداء قدرات معينة ؛ واهم هذه القدرات القدرة على التفاعل والقدرة على اداء التجارب الصائبة ، الا ان سيلفيان لم يتمادى فى تأكيد ان الانسان اسير الغرائز البيولوجية ؛ وان هذه الغرائز تتحكم فى سلوكه وتصرفاته ، بل اشار الى اهمية التعليم والتلقين الثقافى كمبدأ عام لتحوير الكائن الحى الى كائن اجتماعى . فالدوافع والغرائز والسعى وراء اشباع الحاجات البيولوجية ، كلها انماط يحددها المجتمع وتشكل حسب الانماط المقبولة من المجتمع ، واذا ما اشبع الشخص حاجاته حسب الانماط المقبولة ثقافيا ، شعر شعورا اساسيا بالوجود والطمأنينة وبذاته ، وعندما يخفق فى تلبية حاجاته حسب الانماط المقبولة ثقافيا والتى تعلمها فى طفولته ، فانه يعانى من شعور قوى بالقلق وعدم الراحة[1] .

وقد انكر سيلفيان ان الشخصية تبنى فى طور الطفولة ،وعرفها بأنها "نمط مستمر نسبى يظهر فى مواقف العلاقات الشخصية المتبادلة الدائمة ، وهى تميز الوجود البشرى[2]" ؛ وتهدف الى جعل السلوك الانسانى مقبولا وواضحا لتخفيف توتر نسق الذات من خلال أوجه النشاط الذى يمارسه الانسان اثناء التفاعل مع الآخرين . وليس للشخصية وجود حقيقى فهى وحدة فرضية دالة لانواع المواقف المتبادلة ، والتى يتكامل الشخص خلالها مع الآخرين سواء اكان هذا التكامل مع اشخاص حقيقيين او اشخاص خياليين[3] . فالشخصية

---

(١) Sullivan Harry Stack: Conception of Psychaitry, op.cit. P. 242.

(٢) Sullivan Harry Stack: Ibid. P. XI.

(٣) Sullivan Harry Stack: Ibid. P. 258.

هى محصلة التفاعل فى الموقف ، فمنذ الميلاد والشخص يدخل فى مواقف ذات علاقات متبادلة متداخلة ، تساهم فى تحديد شخصيته ، بل ان كل ما هو انسانى عند سيليفان هو نتيجة التفاعل مع الآخرين فى موقف معين يتبادل فيه العلاقات معهم من اجل حل مشاكل الذات ، اذ يرى سيلفيان ان التبادل فى الموقف لا يقتصر على تبادل العلاقات بل تبادل كل عمليات الادراك والتخيل والتذكر والتفكير ، فجميع العمليات النفسية عمليات تنشأ نتيجة تبادل العلاقات فى الموقف .

ولقد أكد سيلفيان أهمية العلاقات الشخصية المتبادلة فى الموقف ،واوضح ان الشخصية لا توجد بمعزل عن العلاقات الشخصية فى الموقف . فالانسان يوجد دائما فى مجال اجتماعى ويستلزم ان يعيش فى بيئة تضم مجموعة من الافراد يتفاعلون فيما بينهم ويمارس كل منهم نشاطه الوظيفى مع الآخرين[1] . ونحن لا نلاحظ الشخصية بل نلاحظ السلوك الشخصى فى الموقف ولا يمكن ان نلاحظ السلوك بعيدا عن الموقف . ويرى سيلفيان ان كل سلوك انسانى فى الموقف يبغى غرضين ، اولهما السعى ابتغاء تحقيق الاشباع ، والآخر السعى نحو الطمأنينة[2] . وتحقيق الاشباع والحصول على الطمأنينة هو الهدف الأقصى من كل سلوك انسانى . ويرى سيلفيان ان السعى الى الاشباع هو الاستجابة للحاجات البيولوجية الاولية كالطعام والشراب والنوم . وهذا الاشباع له اسباب فسيولوجية ، كما ان بلوغ هذه الاشباعات الحد الأقصى يؤدى الى اختزال كل التوترات العضلية عند الشخص ، اما تحقيق الطمأنينة فتكفله الاجهزة الثقافية للانسان Mans cultural equipment ، وتتجسد آثار هذه الاجهزة الثقافية فى كل شخص ، وتحدد له قوالب التفكير والعمل ، فلن يصير الفرد انسانا يعيش مع الآخرين اذا لم يطبع ثقافيا فى الموقف ويشعر بالطمأنينة ،اى الوصول الى حالة من " السعادة والراحة " (٣) .

وقد حلل سيلفيان الموقف الذى يتبادل فيه الشخص العلاقات ، ويمارس السلوك الانسانى لتحقيق الاشباعات البيولوجية ، او الشعور بالخير والوجود ، فهو البيئة التى يمارس فيها الانسان نشاطه والتى تساعد على انهلاج شخصيته وتدعيم عناصرها . فيبين ان الموقف

---

(١) Sullivan Harry Stack: Interpersonal theory of Psychiatry. op. cit. P. 98.
(٢) Sullivan Harry Stack: Conceptions of Psychiatry, op.cit. P. 12.
(٣) Mullaphy Patrick: Oedipus Myth & Complex. op. cit. P. 181.

لا يتكون من العناصر الكيميائية او البيولوجية او الفسيولوجية ، لكنه يتألف من شخصين او اكثر وتحدد مجاله عناصر الثقافة • والاشخاص الذين يتكون منهم الموقف ، والذين يتبادل معهم الشخص العلاقات مثل الوالدين والاخوة ورفاق السن ، لهم اهمية فى التأثير على الشخص وتلقينه ثقافة المجتمع ، وتكوين شخصيته ونموها ، وان تباينت درجة التأثير الثقافى اثناء مراحل النمو •

وهكذا نرى ان سيلفيان يقترب كثيرا من الاتجاه الاجتماعى عندما يؤكد اهمية الابعاد الثقافية المحددة للموقف ، وانها ذات اثر هام فى تكوين شخصية الفرد وسلوكه وانهلاج الذات • فالفرد اذا عاش فى بيئة مستقرة كانت شخصيته مستقرة ، اما اذا عانى من الاضطرابات والقلق نتيجة انعزاله فستكون شخصيته مضطربة قلقة ، ولا يستمر تأثير المجتمع الاسرى على الشخص طوال العمر ، اذ يضطر الفرد دوما الى تبادل العلاقات مع الاخرين ويتأثر بهم لانه يوجد فى بيئة اجتماعية لا يستطيع ان ينعزل عن تأثيرها ، بيد ان التأثيرات اللاحقة ليست قوية مثل تأثيرات الطفولة الاولى •

مما تقدم يتضح لنا ان سيلفيان اول من اكد من مدرسة التحليل النفسى اهمية تبادل العلاقات فى موقف ما • وقد اوضح سيلفيان ان الاخلاق والقيم والاشخاص لا معنى لها فى حد ذاتها وعلينا ان ندرس السلوك فى موقف معين يتبادل فيه الشخص التأثير والتأثر مع الاشخاص الاخرين ، وهذه المواقف الشخصية مجالات لحل مشكلات الذات ، واذا عجزنا عن حل مشكلات الذات ، فان الشخصية ستجمد فى الموقف ، ولن تنمو • فهذه العلاقات المتبادلة علاقات دينامية متغيرة دوما ، وتنعكس اثارها على الشخصية ، وتساعد على نمو الذات • ومن ثم يساعدنا تحليل الموقف على فهم المكونات الدينامية لبناء الشخصية [1] وفهم الاخلاق والقيم التى تحكم العلاقات فى الموقف •

واستنادا الى الموقف النفسى الذى استند اليه سيلفيان ، عجز عن تصور القيمة الاجتماعية للموقف ؛ وانه بناء منظم مستقر ثابت ، ومن ثم فقد رأى الموقف وقتيا وفرديا ، يتميز من موقف لآخر • ويصف سيلفيان الموقف الذى تحدث فيه العمليات الشخصية بالمرونة وعدم الجمود ، كما ان السلوك الحادث فى الموقف ليس آليا ، كما ان الافعال التى تحدث ليست

---

(1) Sullivan Harry Stack: The interpersonal theory of Psychiatry op. cit. P. 198.

أفعالا بسيطة ولكنها متراكية • ويتأثر الفرد اثناء تبادل العلاقات فى الموقف بالعناصر الثقافية ، ومن ثم فالموقف تعبير عن التكامل والتفاعل فى العلاقات • ويقول سيلفيان اننا نشعر مباشرة بالموقف ، ككل كيفى ، أو نحسه ، وان العلاقات تنظم فى موقف ما ، وانها تتواتر وتتكرر فى المواقف المختلفة • وتحدث فى الموقف ثلاث عمليات عامة ، أولاها اشباع حاجات الافراد ، او زيادة التوتر لعدم اشباعها ، والعملية الثانية نمو الانماط المتبادلة للنشاط او تفككها ، والعملية الثالثة تهدف الى تسهيل تدبير اشباع الحاجات المتقاربة او رفض اشباعها • وهذه العمليات الثلاث التى تحدث فى الموقف لها اثرها فى عملية ادراك الاشخاص الآخرين وخاصة ادراك الشخصيات الشريرة[١] •

ويرى سيلفيان ان الدوافع الانسانية تحدد فى الموقف اثناء تبادل العلاقات الشخصية • ومن ثم لا يمكننا ان نلاحظ الدوافع والحوافز المجردة • وهذه الدوافع ليست موضوعا للبحث كما اعتقد فرويد ، وانما ما نلاحظه هو الموقف الذى تتكامل فيه العلاقات بين شخصين أو اكثر لتحقيق نوع من الفعل ، وعلى ذلك فالموضوع الرئيسى للدراسة ليس الفرد المنعزل بل الموقف الشخصى او الشخص اثناء تفاعله مع آخر ، وتبادله معه العلاقات فى موقف ما وما ينجم عن ذلك من سلوك •

ويرى سيلفيان ان ما يميز الانسان عن غيره من الموجودات هو ان الحياة الانسانية تستلزم التكيف مع الموقف الذى يتضمن عناصر ثقافية • وهذا يعنى ان الثقافة عند سيلفيان عنصر عقلى أو مجرد فى المجتمع تكشفه مجموعة العلاقات الشخصية المتفاعلة فى الموقف[٢]• ويتيح التفاعل فى الموقف امكانية خلق واكتشاف واختراع اهداف جديدة واغراض جديدة وعلاقات جديدة • ويوضح لنا اهتمام سيلفيان بالموقف مدى التغير الحادث فى مدرسة التحليل النفسى ، هذا التغير الذى دفعه الى انكار رد كل شكل من اشكال التوافق والعلاقات الانسانية ، بل الوجود الانسانى الى دوافع وحوافز بيولوجية او صور نفسية بحتة • على أن الاتجاه النفسى والبيولوجى عند سيلفيان ادى به الى رفض الرأى القائل بأن كل مظهر من مظاهر النشاط الانسانى والتفاعل اجتماعى خالص ، ولذلك فان العلاقات الانسانية فى رأيه

---

(١) Sullivan Harry Stack: Conceptions of Psychiaty op.cit. P. 51.

(٢) Sullivan Harry Stack: Interpersonal theory of Psychiatry. op. cit. P. 32.

هى مجموعة من الاتجاهات الاجتماعية والنفسية والبيولوجية[1] • ويقرر سيلفيان ان النظرية الفرويدية كانت قاصرة لأنها تغاضت عن اثر الجانب الاجتماعى والثقافى فى الكل البيولوجى المعقد ، وأغفلت التفاعل بينهما • كما ان النظرية الاجتماعية فى رأيه قاصرة لاغفالها اهمية العنصر البيولوجى للفرد وتأثيره فى السلوك ، اذ ان مصدر الطاقة الانسانية مهما اتخذت من صور بيولوجى ، يتأثر بالتلقين الثقافى ، فثم علاقة استمرار بين العناصر الثقافية والبيولوجية •

وهكذا نرى ان نظرية سيلفيان عن الشخصية تؤكد الرابطة بين العناصر البيولوجية والنفسية والاجتماعية فى تكوين الشخصية ، وان الشخصية لا تدرك الا فى موقف ما تتبادل فيه العلاقات • ويكون هذا الاتجاه فى الدراسة ما نسميه علم النفس السلبى لفرويد الذى يؤكد دوما اولا اهمية عملية اقتفاء الطمأنينة وهى فى جوهرها تعبير عن ظاهرة العلاقات الشخصية المتبادلة • ثانيا ، الاهتمام بالاتجاهات الدافعة المألوفة ، واستبعاد التفسيرات الغريزية الجنسية • والغرائز ليست جنسية بحتة ، بل لها هدف ايجابى • ثالثا ، ان الحيل الدفاعية توجهها التصرفات المعتادة • والفرد فى هذه النظرية لا يؤدى السلوك بتأثير دوافع فطرية ، بل يتعلم المرء اشكال السلوك اثناء تبادل العلاقات مع الآخرين فى الموقف • وهذا الاتجاه فى تفسير الشخصية يجعلنا نفهم ونحلل البناء المتميز للعلاقات الذى جهله فرويد[2] •

<u>بناء الشخصية عند سيلفيان :</u>

استنادا الى هذا الاتجاه فى تفسير الشخصية انكر سيلفيان تقسيم فرويد الطوبوغرافى لبناء الشخصية ، وقدم لنا تفسيرا جديدا لهذا البناء • فبناء الشخصية لديه يتكون من ثلاثة عناصر ، ويقوم كل منها بعملية معينة تعبر جميعها عن ترابط العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية داخل الشخصية • والعنصر الاول بناء الذات ويقوم بالعمليات الحيوية • والعنصر الثانى العناصر العقلية ، ويقوم بالعمليات العقلية • والعنصر الثالث المتشخصات ، وهى العناصر الاجتماعية فى بناء الشخصية • وتقوم عملية التشخيص بتمثل

(1) Sullivan Harry Stack: Conceptions of Modern Psychaitry, op. cit. P. 9.

(2) Nyde Jule: Interpersonal relations. In Eugene. A. Southwell and Michel Merbaun (editors). Personality in theory and research California, Wadsounth 1964, PP. 98-99.

الصفات الاجتماعية للشخصية •

واذا كانت الشخصية وحدة فرضية عند سيلفيان لا تدرك الا فى موقف ما ، فانها مركز ديناميكى لعمليات متباينة تحدث فى سلسلة من مواقف يتبادل فيها المرء التأثير مع الآخرين • ولقد أعطى سيلفيان لهذه العمليات مركزا هاما فى نظريته ، فهى تساعد على تكوين العناصر البنائية للشخصية • فالعملية الحيوية وهى اولى هذه العمليات تساعد على تكوين نسق الذات ونموها • اما العمليات العقلية فتساعد على تكوين المدركات العقلية اللازمة للشخص اما عمليات التشخيص فتساعد على تكوين المتشخصات والتقمص مع الانماط الثقافية السائدة فى المجتمع • وقد اشار سيلفيان الى ان البناء الداخلى للشخصية ، ولو انه يبدو فى شكل محدد ، الا انه يتغير ويتبدل بتأثير العمليات الثلاث • ويعتمد التغير الحادث فى الشخصية ومثلها على مدى التغير الحادث فى العلاقات الشخصية • وهذا التفسير فى دينامية الشخصية يعارض الاتجاه الفرويدى الذى يقول ان عناصر الشخصية تتكون فى السنوات الاولى ، اذا ان الشخصية عند سيلفيان تتغير بتأثير العلاقات المتبادلة فى المواقف •

وسنحاول ان نعرض لكل واحد من هذه العناصر الثلاثة بشئ من التفصيل •

اولا : الذات الدينامية :

تصور الذات من التصورات الهامة عند سيلفيان • وتتكون الذات نتيجة تفاعل الكائن الحى مع الآخرين وخاصة الابوين فى المواقف الشخصية • ويقرر سيلفيان ان اساليب الاحباطات والتسهيلات التى تحكم تبادل العلاقات الشخصية فى مواقف التفاعل مع الأبوين والاشخاص ذوى الأهمية فى اطوار الرضاعة والطفولة هى المنهج الذى تنبثق منه الذات النشطة وهى تتكون لتحافظ على الشعور بالطمأنينة ، ولمواجهة العقبات فى مواقف التفاعل ، وهى ليست ملكا خالصا للكائن الحى ، بل هى اساس ارتباطه بمواقف النشاط المتعددة ، ولها تنظيم متماسك من نوع خاص باعتبارها انعكاس لتجارب الآخرين • والذات النشطة لها طاقة خاصة بها تحور كل اشكال السلوك ، وتدفع المرء الى اداء افعال معينة فى الموقف•

ويصنف لنا سيلفيان السلوك الانسانى الى نوعين ، النوع الاول ويعبر عن السلوك الصريح الذى يظهر فى الكلام والافعال • والنوع الثانى من السلوك هو السلوك الضمنى ، والخاص بعمليات التفكير والتخيل •وترتبط الذات النشطة بهذين النوعين من السلوك • وتهدف كل انواع السلوك الى اشباع حاجات الانسان وتمييز علاقات الشخص المتبادلة•

وهى منبع الاشباعات البيولوجية ، ومصدر تخفيف التوترات التى تنشأ من عدم الاشباع • وفى بداية العمر تسيطر الذات على الكائن الحى لتحقيق الشعور بالطمأنينة ولمواجهة العقبات والاحباطات فى عالم العلاقات الشخصية • وهى تتكون من عناصر رمزية شخصية تكتسب أثناء تبادل العلاقات ، وتقوم على دعامة من التقاليد الاجتماعية الصارمة • كذلك اوضح سيلفيان ان الذات تنظيم اساسى فى تكوين الشخصية ينشأ من تجارب التربية الاولى ، ووظيفته الاساسية تجنب القلق ، ويرى سيلفيان ان نسق الذات له نشاط وظيفى مباشر يهدف الى اختزال وتخفيف ما يعانيه الشخص من التوتر او القلق سواء اكان عاما او موضعيا ، وهذا النشاط نشاط لا مباشر يستهدف حماية الطفل من الاحداث الخطرة فى سعيه وراء الاشباع •

وثم نوعان من دينامية الذات ، دينامية رئيسية ، وتختص بالعمليات البيولوجية البحتة وهى متماثلة عند جميع افراد المجتمع الانسانى • وذات دينامية ثانوية ، وهى موضوع البحث الرئيسى ويطلق عليها سيلفيان نسق الذات ،وهى تتباين فى اسلوب التعبير عنها حسب التجارب التى يعيش فيها الانسان •

وينشأ نسق الذات نتيجة التجارب الاجتماعية المزعجة التى يمر بها الطفل منذ الرضاعة، وتمهد كل عمليات القمع اثناء عمليات التربية السبيل الى نمو الذات • وتتحمل الأم مسئولية تنظيم نسق الذات عند الطفل حسب تقاليد المجتمع• ويبدأ تكوين نسق الذات فى المرحلة الاولى من حياة الطفل اثناء فترة الرضاعة ، واتصال الطفل بثدى الأم لاشباع حاجاته العضوية ، ولتخفيف التوترات التى تنجم عن عدم الاشباع • وقد ارجع سيلفيان الاصل الأول لتكوين الذات الى المرحلة الفمية ، اثناء تعلم الرضيع لبعض كلمات اللغة ، واصطدام الطفل مع الام اثناء محاولته اشباع حاجاته العامة والموضعية ، وتدريبه على نماذج معينة من السلوك • فالرضيع اذا احس ان حاجاته الموضعية لا تشبع مباشرة ، شعر بالقلق ، ويبدأ تدريجيا فى تمييز حدود العالم المحيط به ، فهذه التجارب التى يمر بها الطفل فى الموقف ذات اهمية قصوى فى انبلاج شخصيته ، ونمو نسق الذات • لكن انبلاج نسق الذات والشعور به لا يعنى تخفيف التوتر ، فما زال التوتر باقيا • ويتأثر نمو الذات بالعناصر الثقافية التى يواجهها الطفل اثناء الاتصال بالآخرين ذوى الأهمية • فالذات محصلة

التفاعل مع العناصر الثقافية فى الموقف • بيد ان الذات لا تنشأ نتيجة الادراك العقلى للثقافة بقدر ما هى تعبير عن الوعى الذاتى للثقافة والمجتمع • وهكذا يرى سيلفيان أن نسق الذات انما قد ينشأ نتيجة لاضطرار المرء فى نزعة عاطفية الى الاحتفاظ بعلاقات مجدية ومريحة مع زملائه ، اذ لو كان تصرفه فى الموقف عقليا محضا لما وجد نسق الذات ، الذى يوجد فعلا لدى كل واحد منا • ومن ثم فان نسق الذات ليس الوجه المعبر عن الثقافة السائدة ، لكنها تعبر عن الثقافة كما يتمثلها الشخص [1] ويعى بها •

واذا كان الاحساس بالذات عند فروم ينمو نتيجة نشاط الفرد الاجتماعى والاقتصادى باعتباره انسانا منتجا ، وان هذا الاحساس لا يتم الا فى مرحلة الرشد ، فان الامر عند سيلفيان يختلف ، اذ تتولد الذات عنده نتيجة احساس الطفل بالانتماء فى الموقف وارتباطه بالاخرين وتقديرهم له ، ويحدث ذلك فى الثلاث سنوات الاولى [2] ، اذ تقوم الذات نتيجة التجارب التى يمر بها الطفل للمحافظة على الشعور بالطمأنينة ، وتجاربه ازاء المحرمات التى يفرضها عليه المجتمع ، والشعور بالرضا او العقاب • وهذه التجارب لها اثرها فى تكوين الذات ، لان آثارها تظل باقية ، تعبر انما عن نشاط وظيفى حقيقى فى علاقات الذات مع الاخرين ، اذ تقف الذات دائما عقبة اساسية امام التغير المقبول فى الشخصية ، كما تحول دون حدوث تغير مكروه • ويرى سيلفيان ان تكوين الذات كعملية تقوم على الشعور والحد من ذات اهمية لتأكيد تمثل الطفل للمحرمات التى يفرضها الوالدين والتى تنكر الاشباع المباشر ، ويولد انكار اشباع الحاجات الاساسية اشباعا مباشرا — نتيجة عدم رضا الكبار — القلق لدى الطفل • ومن ثم فالذات تنظيم هام لفهم العلاقات المتبادلة ، واداة الوعى والادراك والشعور بما يحدث فى العالم ، كما انها اداة لتحقيق الشعور بالطمأنينة • وليست الذات وحدة ثابتة تحتل موضعا محددا داخل الجسم ، كما ان الذات ليست منطقة هامة أو موضعا خاصا للتفاعل تختص بعمليات فسيولوجية بحتة ، كما انها لا تشبه الهو او الانا أو الانا الاعلى ، لانها محصلة التفاعل مع الام وحدها [3]

---

(١) Sullivan Harry Stack: The interpersonal theory of Psychiatry, op. cit. P. 188.

(٢) Blum Gereld: Psychoanalysis theories of personality. N.Y. McGraw-Hill, 1953, P. 73.

(٣) Sullivan Harry Stack: Beginning of the self-system, in Eugene A. Southwell and Michal Merbaum (editors) Personality theory and research. op.cit. PP. 69-70.

واستمرارا فى الاتجاه اللالبيدى ، وايمانا بالتربية والتلقين الثقافى كعمليات اجتماعية فى تكوين الشخصية ، انكر سيلفيان فكرة الذات الفطرية ، وبين ان الذات تكتسب اثناء التجارب الاولى للطفل مع الام فى مواقف معينة • فالذات ولو انها تنظيم داخلى للضبط فانها تتولد نتيجة ارتباط الانسان الثابت واللا مفر منه مع العناصر الشخصية والثقافية التى تسبب له القلق • فالذات ليست عنصرا وراثيا بحتا فى الشخصية ، ولكن نموها وانبلاجها يرتبط بالتعلم والتلقين الثقافى ابتداء من مرحلة الرضاعة • وهى حصاد تنظيم التجارب المكتسبة التى تهدف الى تجنب القلق اللامحتمل واحداث التكامل مع الاخرين • وليست الذات تنظيما خاملا او عنصرا يبغى تحقيق الاشباع بل هى تنظيم ذو وظائف ، ومن اهم وظائف الذات السيطرة على الشعور ،واذا ما استغنى الشخص عن وظائف الذات اصبح يعيش فى عالم الخيال ، وانفصل عن عالم الواقع • ويساعد نمو الذات على ازدياد درجة الفهم والتبصر عند الشخص • ويساعد اكتساب اللغة على انبلاج الذات ونموها • ويرى سيلفيان ان اكتساب اللغة من اهم العوامل التى تساعد على نمو الذات • واذا كان سيلفيان قد انكر تشبيه الذات بالهو او الانا او الانا الاعلى منفردين ، فان الذات عنده تشبه الانا والهو والانا الاعلى مجتمعة • فالذات النشطة هى الطاقة ، وهى ذات قاعدة بيولوجية ، ومن هذه الجهة فهى تشبه الهو الفرويدى ، اما المحرمات التى تدفع الى تكوين الذات فهى تشبه اسباب تكوين الانا الاعلى الفرويدى • أما الجانب الادراكى من الذات فيناظر الانا الفرويدى وسيط الشخصية الى العالم الخارجى •

ويمكن لنا ان نقرر فى نهاية هذا العرض لمفهوم الذات عند سيلفيان انه فى تفسيره لتكوين الذات ، استعار هذا المفهوم من الفلسفة ، بيد انه يعبر فى تفسيره وتحليله له عن وجهة نظر نفسية اجتماعية ، وحاول ان يربط العوامل البيولوجية والنفسية بالعوامل الاجتماعية لتكوين الذات ونموها •

ثانيا : نسق المدركات العقلية

بين سيلفيان اهمية المدركات العقلية فى تكوين بناء الشخصية ، وبين أن هذه المدركات تختلف حسب كل طور من اطوار النمو • وكل طور يتميز بمدركات عقلية معينة • فالعام الاول يتميز بمدركات عقلية غير منظمة فى مواقف التجربة ، وعدم قدرة الطفل على التمييز فى المكان والزمان ، بل ان الطفل لا يدرك امه الا بعد فترة من الميلاد ، والمدركات

العقلية فى طور الحضانة مدركات عارضة ، وتعبر عن الحالة البدائية لتطور الطفل.(١) • فكل تجارب الطفل عارضة ، وحالة منفصلة فى الوجود • وبنمو الطفل تبدأ المدركات العقلية فى التباين والتمييز امامه • ولكنه لا يدرك العلاقات بين التصورات والافكار • وعندما يبدأ الطفل فى فهم مدركات اللغة ومعانيها من خلال التجارب والنشاط المتبادل تبدأ فى حياة الطفل مرحلة عقلية جديدة يطلق عليها ما بعد التنسيق ، وهى مرحلة وقتية عارضة فى حياة الشخص • وتلى هذه المرحلة مرحلة التركيب بين المدركات العقلية • وتبدأ هذه المرحلة فى مرحلة لاحقة من حياة الشخص ، يعرف فيها العدد والكلمات الرمزية • وقدرة الفرد على التمييز ، وادراك الفروق ، تعبير عن ان المدركات العقلية وصلت الى مرحلة استخدام الاسلوب المنطقى والتجريبى فى التفكير •

ثالثا : المتشخصات (٢) Personifications

يدل مفهوم المتشخصات على صور الشخص عن ذاته ، او عن الاخرين ،وتتكون هذه الصور عن الذات والاخرين نتيجة لمجموعة من الاتجاهات والتصورات والمشاعر التى تنمو نتيجة التجربة التى يمارسها الفرد بعد وصوله حالة اشباع الحاجات وازالة القلق • وتتكون هذه المتشخصات فى البداية اثناء تبادل العلاقات فى الموقف ، بيد ان ما يعرفه الشخص عن صور الاخرين يوثر فى اتجاهاته نحو الناس والاخرين ، ومن ثم فالتشخص ليس ادراك الكائن الحى او الشخص او صفات الشىء المتشخص ، بل تعبير عن ادراك العناصر الثقافية واندماجها فى الشخصية • فهذه المتشخصات هى العناصر الاجتماعية المدمجة فى الشخصية، وهى الصور البنائية المميزة للشخصيات • وقد اصطلح على تسمية العملية التى تتكون بها المتشخصات بعملية التشخص ، وهى العملية التى تجعل من الكائن الحى شخصا اجتماعيا مثل الاخرين ، وفيها تتكون مجموعة من الاتجاهات والتصورات والمشاعر • وهذه المتشخصات هى اساس بناء نسق الذات • وهذه المتشخصات التى تكون نسق الذات مشخصات مشتركة، ومتفق عليها بين عدد كبير من الناس ، وتتوارث من جيل الى جيل • وليست عملية التشخص عملية سهلة بل عملية تعكس علاقات الشخص بالمتشخصات، ومن ثم فهى علاقة مركبة ومعقدة •

---

(١) Sullivan Harry Stack: The Interpersonal theory of Psychiatry op.cit. P. 274.

(٢) استعرنا اسم المفعول من شخص ، وتدل لغويا على تمثل الامر وتبينه تعبيرا عما يريده سيليفان من كلمة personification

وتبدأ عملية التشخص منذ فترة الرضاعة ، وجسد الرضيع هو اول ما يتشخصه الرضيع • ويرى سيليفيان ان الرضيع في اول اطوار الطفولة لديه تشخصين فقط عن اى فرد من الناس الذين يحيطون حوله ، اما اشخاص يعطفون عليه ويحنون عليه ، او اشخاص يقسون عليه[1] • ومن ثم يشخص بعد ذلك الذات المطمئنة التى ترتبط بالحنو واشباع الحاجات ، ثم يشخص بعد ذلك الذات القلقة التى تعكس ظروف القلق فى المواقف الاجتماعية ابتداء من فترة الحضانة• ثم يتطور بعد ذلك ويدرك المتشخصات الاخرى • والام اول من يشخصهم الرضيع ، فيعرف الام الرؤم ، والام القاسية ؛ والام الخيرة الرؤم رمز للاشباع خلال المشاركة فى موقف الرضاعة ،وترمز الى التكامل ، اما الام القاسية الشريرة فهى رمز للقلق • ولا يعرف الطفل فى فترة الرضاعة والطفولة الا المتشخصات الخيرة او القلقة ، الا ان شخصيات الراشد يبين لهم تشخصات متباينة عند الطفل تتباين بتباين الموقف • ويرى سيليفيان ان التوقعات الوالدية التى يواجهها الطفل تتداخل فى تحديد تشخصاته عن الآخرين ، كما تترك تعبيرات الحزن او الفرح على وجهيهما آثارها على متشخصات الطفل •

وقد أكد سيليفيان اهمية اللغة كعنصر اجتماعى هام فى عملية ادراك المتشخصات • فاللغة عند سيليفيان تلعب دورا هاما فى انصهار المتشخصات ومزجها عند الطفل •وادراك الطفل للمتشخصات عملية هامة وضرورية تساعده على التفاعل فى الحياة ، كما ان الجنس عامل هام فى تحديد تشخيص الشخص لذاته • فاحساس الطفل بالالفة للوالد من نفس الجنس ، وشعوره المخالف نحو الوالد من الجنس الآخر ، يساعد على سرعة تشخصه للذات• ولقد اكد سيليفيان ان عملية التشخص ليست عملية ثابتة بل عملية متطورة ، تبدأ منذ الرضاعة الى الرشد • وكلما نما الشخص تعددت وتباينت متشخصاته بتعدد المواقف وتباينها •

ان النتائج التى وصل اليها سيليفيان كانت محصلة دراسات قام بها على المرضى الذين يعانون من اشكال مختلفة من الامراض النفسية ، وخاصة الاطفال الذين يعانون من مرض الفصام • وقد وضع سيليفيان مكانا لعلم النفس فى اطار العلوم الاجتماعية ، كما عنى كذلك بالعلاقات الانسانية المتبادلة فى الموقف بين شخصين فى اطوار الرضاعة والطفولة والمراهقة•

---

(1) Sullivan Harry Stack: The interpersonal theory of Psychiatry, op.cit. P. 66.

وبين مرونة الخصائص الانسانية وقابلية المجتمع للتغير ؛ وان المجتمع قادر على التأثير على الفرد الى حد ما • كما اهتم سيلفيان بايضاح تأثير المتغيرات الاجتماعية على الشخصيــة• وحدد أبعاد الشخصية فى ابعاد اجتماعية وبيولوجية وعقلية • ورغم ذلك فان سيلفيـــان كعالم نفسى أخفق فى تفسير علاقة الفرد بالمجتمع ، وتفسير كيفية صياغة المجتمع لافـراده ، وكيفية اكتساب المرء الطابع الاجتماعى لشخصيته •

ثانيا : النظرية الاجتماعية والشخصية

يقابل المدرسة النفسية التى اتخذت الفرد محورا لدراستها ، والتى جعلـت دور المجتمع ثانويا من حيث التأثير على الفرد ، يقابل هذه المدرسة النفسية المدرســـة الاجتماعية الدوركيميــة التى تركزت دراستها حول المجتمع والجماعة ، وبحثت الظواهـــر الاجتماعية فى حدود وظائفها فى التفاعل الاجتماعى ، وسلبت الشخصية حريتها فـــى السلوك •

واذا كانت الشخصية موضوعا نال اهتمام معظم علماء النفس، فان قلة من الاجتماعيين قد عالجوها فى دراساتهم ضمن النظرية الاجتماعية ، فالشخصية ليست موضوعا للمعرفـــة تقتصر دراستها على علم النفس• لكن الاجتماعيين اهتموا بدراسة الشخصية تأكيدا لـــدور المجتمع الايجابى على الفرد • الا ان دراسة الاجتماعيين للشخصية دراسة ثانوية هامشية بالنسبة لاهتمام علماء النفس• فهم لم يفردوا لها مكانا مستقلا داخل النظرية الاجتماعيــة، كما ان الاهتمام الاجتماعى بنظرية الشخصية لا يعنى أصالة الاتجاه الدوركيمى فى هـــذا المجال• اذ من العسير علينا ان نقر وجود أصالة فى موضوع الشخصية عند الاجتماعيــين كما هو الحال فى موضوعات أخرى مثل الظواهر الاجتماعية والعمليات الاجتماعية وجماعـــات المرجع ، والاتصال ، والحراك الاجتماعى •

وتبين لنا الدراسة التاريخية للنظريات الاجتماعية ان علم الاجتماع الدوركيمى لم يهتم بالشخصية ولم يعطها القدر الكافى من الدراسة ، حتى جاء بارسونز وتلاميذه الذيـــن أقاموا لها مكانة هامة فى النظرية الاجتماعية المعاصرة ، كما افرد لها بارسونز مجالا فـــى

نظرية الفصل واكد انها احد الانساق الاساسية لتحديد السلوك فى الموقف الاجتماعى ، فى محاولته الناجحة لبيان الصلة العضوية بين البناء الاجتماعى والشخصية ، ولتفسير طبيعة العلاقات الانسانية والسلوك الانسان تفسيرا جديدا مخالفا فى ذلك الاتجاهات التقليدية لعد ارس علم النفس التحليلى وعد ارس علم الاجتماع الدوركيمى • فعلم النفس يهتم بدراسة الشخص من الداخل ، أى دراسة العمليات النفسية الذاتية والعمليات العقلية ، وعلى عكس ذلك نجد علم الاجتماع عند دوركيم لا يهتم بالعمليات الذاتية الشعورية او اللاشعورية ، ويرى انها موضوعات خارج نطاق العلم ، بل ان دوركيم فى محاولته تأكيد استقلال علم الاجتماع رفض ان يخصص لعلم النفس مكانا لدراسة الظواهر الانسانية الموجودة فى العالم[١] • ومن ثم جعل بين موضوعات العلمين سدا ضخما • ويرى دوركيم ان التعبير بالمعرفة حقا هو "المجتمع وليس الفرد"[٢] • كما أن معارفنا التى تأتينا عن طريق الشعور معارف ناقصة ومحدودة • وموضوع علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية ، التى تدرس كأشياء ، بصفتها وقائع خارجية عن الافراد[٣] • وهذه الظواهر الوضعية حقيقة لا مفر منها • ويقرر دوركيم ان انتباهنا يجب ان ينصرف الى دراسة الظواهر الاجتماعية والعلاقات بينها ، وخصائص هذه الظواهر ، وقوانين العقل الجمعى ، والعلاقات الاجتماعية داخل الجماعة والعلاقات بين الظواهر وانعكاسها على السلوك الجمعى •

اميل دوركيم (١٨٥٨ — ١٩١٧)

واذا حاولنا ان نفهم موقف النظرية الاجتماعية من الشخصية ، علينا ان نتراجع خطوات الى الوراء الى دوركيم مؤسس النظرية الاجتماعية لنعرف آراءه فى الشخصية داخل اطار نظريته الاجتماعية • يرى دوركيم ان المجتمع يتكون من مجموعة من الافراد يرتبطون سويا ويكونون كلا عضويا هو المجتمع ، والمجتمع حقيقة اجتماعية واقعية لا يدرك ولا يعرف الا من خلال العلاقات والترابط بين افراده[٤] • والظواهر التى تنظم هذه العلاقات ، والصفات الاولية التى تتكون منها الحقيقة الاجتماعية توجد فى عقول الافراد ويعبر عنها

---

(١) Gillin John (ed.): For a science of a social man, op.cit P. 16.

(٢) دوركيم اميل : فلسفة وعلم اجتماع — ترجمة حسن انيس القاهرة الانجلو ص ١٠١ سنة ١٩٦١

(٣) Durkhiem Emile: Suicide, A study in sociology. Trans., By John.A Spaulding and George Simpson. London. Routledge and Kegan Paul. P. 38.

(٤) Durkhiem Emile: Ibid. P. 310.

العقل الجمعى . فالمجتمع عند دوركيم لا يتكون الا من مجموعة الافراد الذين يكونونه ، وهؤلاء الافراد هم القوة النشطة فى المجتمع . بيد ان هذا المجتمع لا يتكون من خصائص الافراد فقط ، بل له الصفة المميزة عن خصائص كل فرد من افراده ، وعلى ذلك فالمجتمع وان كان لا يتكون الا بوجود الافراد فانه ليس هو مجموعة الافراد الذين يكونونه ، وانما هو حقيقة واقعة مستقلة عن الافراد ، فالى جانب هؤلاء الافراد الذين يتألف منهم المجتمع توجد مجموعة ظواهر اجتماعية مثل الدين ، والقانون ، والاخلاق ، والاسرة تشكل الحياة الاجتماعية ، وتلعب دورا هاما فى تنظيم العلاقات الاجتماعية ، وهذه الظواهر الاجتماعية التى تحكم المجتمع ، والتى تنبثق عن طبيعة الحياة الاجتماعية فى المجتمع ، توجد قبل وجود الفرد الذى يخضع لها ، وتشكل له وجودا ذاتيا داخليا . وقد أخذ دوركيم فكرة المجتمع باعتباره كائنا عضويا تتباين اجزاؤه من خلال ظاهرة تقسيم العمل من سبنسر . بيد انه يختلف معه فى تحديد اساس الوجود المستمر للمجتمع . وقد رفض دوركيم فكرة سبنسر ان الخوف الوقتى من افراد المجتمع من ردود الفعل هو اساس استمرار المجتمعات ، ورأى ان المساهمة فى الحياة الاجتماعية هى اساس وجود المجتمعات ، ويوازن المجتمع بين التزامات الحياة الاجتماعية واشباع حاجات الافراد ، ويحاول ان يحافظ عليها من خلال الروابط الممكنة ، ويسمح هذا التوازن بالتطور المتجانس للمجتمع ، والنمو الاجتماعى للفرد . ويرى دوركيم أن المساهمة فى الحياة الاجتماعية وتقسيم العمل بين الافراد داخل التنظيم الاجتماعى فى الوقت نفسه هو تأكيد لوجود الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا ، وليس كائنا عضويا .

واذا كان المجتمع لا يتكون من افراد فقط ، بل من مجموعة افراد وظواهر اجتماعية واشياء مادية تلعب دورها فى الحياة الاجتماعية . فالحياة الاجتماعية لا توجد الا فى الكل المكون من اتحاد افراده ، ومشاركة هؤلاء الافراد فى الحياة الاجتماعية التى تحدد هما مجموعة الظواهر الاجتماعية . بيد ان المشاركة فى الحياة الاجتماعية والتماسك مع الجماعة يعنى عند دوركيم التزام الافراد بالمؤثرات الجماعية والقوى الاجتماعية ، اذ يرمى المجتمع بثقله على افراده ويمارس الضغوط الاجتماعية عليهم لكبح النزعات الفردية المنحرفة[1] . كما ان الافراد من جانبهم يشتركون فى تأكيد هذا الثقل على الآخرين ، وتجريدهم من كل المؤثرات الشخصية وتحبط القوى الاخلاقية الموجودة فى المجتمع رغبات الافراد الى الحد

---

(1) Durkhiem Emile: Ibid. P. 319.

الذى يسمح باستمرار الحياة الاجتماعية ويجعلها مقبولة . ومن هذا الرأى بين دوركيم ان ضمائر الافراد لا تعكس ابدا الاخلاق الفردية ،ولا تتكون من قيم اخلاقية تخص الشخص وحده ،لكن الاخلاق تعبر عن ضمير المجتمع وتعكس العقل الجمعى ، وهى ليست حالة فردية شخصية بل هى حالة جمعية ،وبذا فالمجتمع عند دوركيم له قوة اخلاقية على افراده .وتأكيدا لقوة المجتمع الاخلاقية يؤكد دوركيم ان العوامل النفسية لا تعمل على توجيه سلوكنا كما انها تعجز عن صنع افكارنا الشعورية التى تحتل فى انتباهنا فى فترة من الزمن . لكن العادات والاحكام السابقة ، وكل ما يكون الطابع المعنوى ، وكل الرواسب المتروكة فى حياتنا هى التى تكون سلوكنا . ويضم المجتمع عند دوركيم مجموعة من القواعد الاخلاقية والظواهر الاجتماعية ،وله قوة القهر والالزام على سلوكنا ، وتفرض علينا هذه القواعد الاخلاقية من الخارج ولا تنبع من داخل انفسنا . اذ يدفع الافراد دفعا الى اداء افعال معينة بقوة قاهرة تفوق علينا ،هى قوة المجتمع . وهذه القوة ضرورية لقهر رغبات الانسان ، وبدون هذا القهر الذى يمارسه المجتمع تنطلق رغبات الافراد الى الحد الذى لا يمكننا من السيطرة عليها .

ان المجتمع عند دوركيم هو صانع كل شىء داخله ،يشكل سلوك الاعضاء حسب الظواهر الاجتماعية السائدة بما له من قوة القهر والالزام على تحوير السلوك ، وقهر الرغبات ، وهو صانع التفكير ، فالتفكير ليس ثمة للفرد ،ولكنه تعبير عن العقل الجمعى وانعكاس للحياة الاجتماعية التى يرتبط بها الفرد . كما لا يعبر السلوك داخل الجماعة عن الحالة الفردية او الشعورية للشخص ، بل يعبر سلوك الافراد عن الميل الجماعى الى الفعل . واستنادا الى هذا الرأى بين دوركيم ان السلوك سواء اكان سلوكا شاذا أو سويا ينبع من الظروف الاجتماعية فى الجماعة . فتأثير المجتمع على الافراد هو الدافع الى اداء كل مظاهر السلوك السوى او الشاذ . وانطلاقا من هذه الفكرة قرر دوركيم ان الانتحار ظاهرة اجتماعية، وليس ظاهرة فردية ، ومن ثم لا تفسر هذه الظاهرة الا اجتماعيا . فالانتحار ظاهرة اجتماعية تسببها ظروف المجتمع . ويؤيد دوركيم تفسيره هذا بقوله ان الرجال ينتحرون اكثر من النساء والاطفال والشيوخ نتيجة انغماسهم اكثر من غيرهم فى الوجود الاجتماعى . كما أن الانتحار ظاهرة اجتماعية ترتبط بمواسم معينة وفترات زمنية محددة ، تتميز بازدياد النشاط الاجتماعى فى تلك الفترة ، كما ان نسبة الانتحار تظل ثابتة فى المجتمع ما دام المجتمع ثابتا لم يتغير ، رغم تغير افراده من عام الى عام . وبذا فالمجتمع والتكوين الاخلاقى له

يساعد ان على تحديد الانتحار الارادى [1] •

ونستخلص من ذلك ان المجتمع عند دوركيم هو الحقيقة الواقعة الشاملة • فالفرد خاضع لها ، والمشاعر الاجتماعية هى التى تربط الفرد بالجماعة • ولا يستطيع الفرد ان يهرب منها كما ان المجتمع هو غرضها • ويقيد المجتمع الفرد ، ولا يستطيع ان ينفك من القوى الاجتماعية التى تحاول ان تمتلك الشخص وتسيطر عليه • كما ان هذه القوى تفوق قوة الفرد ، وتعكس هذه القوى الاجتماعية الحقيقة الاجتماعية والاخلاقية ، وهى ذات تأثير قوى على شعور الافراد وتصوراتهم ، وهى تحاول ان تخضع الفرد للمجتمع وتسلبه كل ارادته وتخضع العقل الفردى للعقل الجمعى ، والتفكير الفردى للتفكير الجمعى •

واذا كان المجتمع يتكون من مجموعة افراد يرتبطون فيما بينهم فى كل عضوى طبقا لنظام ينشأ عن اتحادهم ، ويتغير طبقا لتصرفهم فى رقعة المكان ، وطبقا لما يقوم بينهم من ارتباطات جماعية ، ومشاركة فى الحياة الاجتماعية ، فان التصورات الاجتماعية هى النسيج الاجتماعى للحياة الاجتماعية • فالحياة الاجتماعية عند دوركيم تتألف من تصورات مثل الحياة الفردية • وتسود هذه التصورات فى الحياة الجماعية وتتميز بصفاتها الخاصة • ولا يعنى هذا انه ماج الحياة النفسية فى الحياة الجمعية ، بل يرى دوركيم ان الحياة الجمعية مستقلة استقلالا كاملا عن الحياة النفسية • فالتصورات الفردية تفقد خواصها اثناء اتحادها وترابطها ، ولا تدخل ضمن تكوين التصورات الجمعية ، فالخصائص الفردية تذوب فى الحياة الاجتماعية ، وتتلاشى وتفقد تميزها وفرديتها • وتتكون تصورات جمعية جديدة لها خصائص تميزها وتعبر عن الحياة الجمعية • وتنشأ هذه التصورات الجمعية عن العلاقات التى تربط الافراد بعضهم ببعض ، كما تنجم عن العلاقات التى تربط الجماعات الفرعية فيما بينها ، فهذه " التصورات الجمعية انما تنشأ عن الافعال وردود الافعال المتبادلة بين المشاعر الأولية التى يتكون منها المجتمع " [2] • وليست هذه التصورات الجمعية من صنع الافراد ، بل من صنع قوة خارجة عنهم ، فهى امور خارجة عن مشاعر الافراد تتولد نتيجة ما يقوم بينهم من مشاركة وترابط وتماسك • وتتكون فى عقول الافراد عند ما يترابطون سويا فى علاقات منذ أجيال عدة تجمع معارفهم وافكارهم على ان وجود الافراد ووجود عقول انسانية قادرة على التفكير شرط

---

(1) Durkhiem Emile: Ibid. P. 299.

(2) دوركيم اميل : فلسفة وعلم اجتماع — المرجع السابق — ص ٤٩ •

اساسى لوجود التصورات الجمعية ، لكنها لا تعتمد فى نشأتها على الافراد عند ما يكون كل منهم فى عزلة عن الآخر ، ومن ثم فهى ليست من صنع الافراد كالتصورات الفردية ، لكنها من صنع المجتمع ،وهى ذات اساس دينى واجتماعى [١] .

واذا كان هذا رأى دوركيم فى التصورات الجمعية ، فانه قد فرق بين التصورات الجمعية والتصورات الفردية ، ورأى ان موضوع علم النفس هو التصورات التى تعبر عن الحالة العقلية الفردية ، اما موضوع علم الاجتماع فهو التصورات الاجتماعية ، وهذه التصورات الاجتماعية ليس لها ما يعادلها من التصورات الفردية ، فهى وليدة التجمع فى جملته ، وهذا التجمع أصل كل شئ فى المجتمع • ومن ثم فالحقيقة الاجتماعية جزء من ذواتنا وجزء من المجتمع ،فهى لا تنحصر فى الجسد ، لكنها تمثل المجتمع فى داخلنا • والفرق بين التصورات الفردية والتصورات الاجتماعية هو الفرق بين الفرد والمجتمع • وهذه التصورات الجماعية هى أساليبنا المشتركة داخل الحياة الاجتماعية ، وهى ضرورية لاستمرار الحياة الاجتماعية • واذا استحال الاتفاق على تصورات اجتماعية بين اعضاء المجتمع استحالت الحياة الاجتماعية ، وصعب الارتباط والاتصال بين العقول [٢] • وتنشأ هذه التصورات خارج عقول الافراد ، وهى لا تنبع من ذواتنا • وتتكون من عناصر خارجة عنا ، ولا تعبر عن رغبات فردية ، بل تعبر عن اشياء خارج ذواتنا تعكس افكار الجماعة ، كما ان لها صفة القهر والالزام على الافراد ، اما التصورات الفردية فتتكون من صور وردود الفعل التى تعبر عن الفعل والكائن الحى والعمليات النفسية الذاتية فى الافراد • ولا تختلف التصورات الاجتماعية عن التصورات الفردية من الناحية الكيفية ،ولكن التصورات الاجتماعية توجد خارج عقول الافراد عند ما تنفصل الحياة الجمعية عن الحياة الفردية•

واذا كانت تلك قوة تأثير المجتمع على الفرد ، فما مكانة الشخصية عند دوركيم ؟وما مفهومها ؟

لا ينكر دوركيم وجود الشخصية الاجتماعية ، فهى ما يميز الانسان عن الحيوان • فلو اكتفى الفرد باشباع حاجاته البيولوجية لمضت حياته مثل حياة الحيوان ، لكن الانسان لا يوجد الا فى جماعة ، وهو لا يعيش على مستوى الحاجات البيولوجية ، ولكنه يسمو عليها • وقد أكد دوركيم اهمية الشخصية الاجتماعية عند دراسته للمقولات وأشار اليها كفكرة توجد فى عقول

---

(١) Durkhiem Emile: Les formes elementaires de la vie religieuse. op. cit. P. 13.

(٢) Durkhiem Emile: Ibid. P. 24.

الافراد فقط • وقد وصف دوركيم الشخصية بانها مقولة اجتماعية مثلها مثل مقولات الزمان والمكان والعدد والعلية والجنس[١] • وتحمل الشخصية باعتبارها مقولة صفات المقولات الاجتماعية ، فهي مثل كل المقولات الاجتماعية تصورات اجتماعية توجد في الذهن ، وهي تشكل حسب الاساليب التي تشكل بها الجماعة وتنظمها ، وهي تصورات لا شخصية تعبر عن الحياة الاجتماعية ، والفكرية للجماعة ، ولا تنشأ تلقائيا بل لها اساس في الوجود والاشياء • وهي لا تعتمد علينا في وجودنا بل تفرض علينا ، فهي تشكل حسب التركيب المورفولوجي للجماعة ، والدين ، والاخلاق ، والنظم الاقتصادية • وتتميز الشخصية مثل كل المقولات الاجتماعية بأنها عامة ، وانها ضرورية ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، وهي تطبق على الحقيقة كلها ، فهي لا ترتبط بموضوع خاص ، وهي مستقلة عن الموضوعات الجزئية ، كما انها الوعاء الذي ندرك فيه ذواتنا •

وقد وصف دوركيم الشخصية كفكرة في الذهن بصفات المقولات الاجتماعية ، وأشار الى اننا عرفنا المقولات الاجتماعية من تحليلنا المعتقدات الدينية السائدة في المجتمعات البدائية ،ومن ثم بين أن الشخصية تنبع من المجتمع ، وهي تعبر عن العقل الجمعي ،وهي الاطار الذي يتحكم في سلوكنا ، ولا ترتبط بموضوع خاص ، فهي سابقة علينا ، وتسبق التجربة ، وفي الوقت نفسه غنية بعناصرها الاجتماعية[٢] • وتوجد الشخصية بالضرورة عن طبيعة الحياة الاجتماعية ، وهذه الضرورة ليست ضرورة فيزيقية أو ضرورة ميتافيزيقية ، ولكنها ضرورة اجتماعية • كما ان وجود الشخصية ليس مثل وجود العادة الاجتماعية يمكننا أن نتخلص من قيدها بسهولة ، لكن وجودها ضروري لتسهيل الاتصال والارتباط بين الناس والمجتمع • كذلك ففكرة الشخصية ابعد من ان تكون فكرة فطرية عند الناس ، فهي كفكرة توجد في الذهن تتكون من عناصر اجتماعية ، وهذه العناصر الاجتماعية هي التي تضفي القيمة الاجتماعية على الشخصية رغم تغيرها في المكان والزمان ، وهي محصلة اجتماعية للظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد ، وهي مطبوعة بطابع الجماعة ولا تستطيع ان تنجو من تأثير الجماعة عليها •

وينكر دوركيم في دراسته للشخصية قدرة الشخص على تكوين شخصيته المتميزة ، لأن المجتمع عنده هو الذي يفرض عليه نمط الشخصية • فكل مجتمع يخلق شخصية اعضائه حسب

---

(١) Durkhiem Emile: Ibid. P. 26

(٢) Davey, George: Emile Durkhiem. Paris, Vald Resmuseen, P. 184.

تركيبه الاجتماعي والمورفولوجي ، كما ان الافراد لا يستطيعون الاستغناء عن النمط الاجتماعي للشخصية او تغييره • ويبدو لنا واضحا ان دوركيم قد سلب الانسان الحرية الكافية لتكوين شخصيته ، بل توجد لديه قوة داخلية تقاوم هذه الحرية وتحددها ، كما توجد في الوقت نفسه قوة الرأى العام في الخارج التي تمنعنا من ممارسة رغباتنا في التمرد على الشخصية الاجتماعية السائدة •

ولكن هل الشخصية مجرد فكرة بحتة في الذهن وليس لها وجود اطلاقا ؟ يرى دوركيم ان الشخصية تتكون من عنصرين[1]، العنصر الاول هو الجسد ، وهو مجموعة العناصر البيولوجية وهذا العنصر هو الجزء الدنيوى الزائل في الشخصية الذى يمثل العالم الفردى ، وهذا العنصر محدود النشاط ،وهو ما يميز شخصا عن آخر ، ويعطيه فرديته ، والجسد عنصر ضرورى يعبر لنا عما يميز الشخصيات ويحقق ذواتنا • اما العنصر الثاني فهو النفس ، وهو العنصر الاجتماعي في الشخصية ،وهو عنصر لا شخصى يعبر عن التصورات الرمزية للجماعة ، ويمثل في الوقت نفسه نفس الجماعة ، وهو مستقل عن الجسم ، يتميز عنه ، وتعبر النفس التي يحملها الشخص عن الميراث الاجتماعي ، وهي ذات أصل ديني ، اى اجتماعي بمفهوم دوركيم • فالنفس تعبر عن نفس الجماعة ولا تعبر عن نفس الفرد ، وهي تعكس كل التصورات الجمعية السائدة ، وتمثل الحقيقة العليا للفكر ، والنظام الخلقي والديني ، فهي تعبير عن المجتمع الذى يعيش فيه الفرد ، وتعلو بالفرد من مستوى الكائن البيولوجي الى مستوى الكائن الاجتماعي • فالنفس الكامنة في الفرد جزء من النفس الكلية للجماعة ، وهي ما يشكل مشاعر الفرد ، وتربطه باعضاء جماعته ،وتعطى كل هذه الصفات للنفس قيمة خاصة وتجعل منها العنصر الجوهرى الاساسي في الشخصية •

ولكن اذا كان العنصر الجوهرى في الشخصية هو العنصر الاجتماعي عند دوركيم ، فمن جهة اخرى يقرر دوركيم انه لن تكون هناك حياة اجتماعية اذا لم يكن هناك افراد متمايزون ، فالعامل الذاتي شرط للعامل الجماعي • فالمجتمع مملوء بالعناصر المتباينة التي تذوب في الكل الاجتماعي ، ولكن اذا كانت هناك اجسام متباينة تشغل مراكز مختلفة في الزمان والمكان ، فان الفردية ليست السمة المميزة للشخصية • فالشخصية ليست وحدة منفصلة متمايزة عن الآخرين ، ولكنها واقعة اجتماعية موجودة مرتبطة بالبيئة الاجتماعية ، كما ان كل جسم يكون

(1) Durkhiem Emile: Les formes elementaires de la vie religieuse op.cit. PP. 22-23.

مركزا خاصا تنعكس خلاله كل التصورات الجمعية • ونحن لا نعرف التصورات الا من خلال ارتباطها بالجسد[1] ، ومن ثم فليست الفردية هى السمة المميزة للشخصية ،كما ان الشخصية ليست منفصلة عن الآخرين ، ولكنها موجودة وترتبط بالبيئة الاجتماعية ارتباطا مباشرا على الرغم من استقلالها النسبى •

ويكشف لنا تركيب الشخصية من العنصرين المادى والاجتماعى ان الانسان موجود بيولوجى يقوم المجتمع بتربيته اجتماعيا والسمو به من مستوى الحياة الفطرية والبيولوجية ، وهى حياة الحيوان ، الى مستوى حياة الانسان الاجتماعى ليتلائم مع النظم الاجتماعية• فالشخصية الاجتماعية والتى تعكسها النفس الاجتماعية لا توجد الا فى المجتمع ، وبتأثير المجتمع• بيد ان الشخصية ليست اجتماعية فى شكلها فحسب ، بل هى اجتماعية فى مضمونها ، وتعكس لنا التصورات الاجتماعية المضمون الاجتماعى للشخصية ، وتعبر هذه التصورات عن تأثير المجتمع على الفرد ، وتكون هذه التصورات الاجتماعية شيئا جديدا عن الفرد ، وتضيف دائما شيئا الى تصوراته•

ويتضح لنا من هذا العرض لافكار دوركيم ان الشخصية الفردية تذوب فى المجتمع وتطبع بطابعه ،كما يتبين لنا كذلك ان أصالة صاحب النظرية الاجتماعية فى موضوع الشخصية الاجتماعية منعدمة ، فهو قد اخذ المفهوم الفلسفى عن النفس ، وفسره تفسيرا اجتماعيا بحتا يتفق مع نظريته الاجتماعية ، وجعل الشخصية مجرد تصور فى الذهن • وقد فصل دوركيم فى دراسته لمضمون الشخصية بين التصورات الفردية والاجتماعية ، كما فصل فى دراسته بين الفرد والمجتمع ، مما ادى به الى فصل علم الاجتماع عن علم النفس واقامة هوة بينهما وحواجز صناعية • ويبدو لنا ان هذا الفصل بين علم الاجتماع وعلم النفس فصل تعسفى متحيز ، اعاق تطور علم الاجتماع ، وحدد مجال دراسته • فالمجتمع هو صانع التصورات الفردية عند كل منا ، وتحمل التصورات الفردية جذورا من التصورات الاجتماعية ،وتعكس طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه الفرد • كما ان التصورات الجماعية هى محصلة التصورات الفردية ، وهذه التصورات شرط اساسى لوجود المجتمع •

لم تهتم المدرسة الاجتماعية فى تطورها بعد دوركيم كثيرا بموضوع الشخصية، وما يهمنا فى هذا البحث ليس تأثير دوركيم على الاجتماعيين المعاصرين له ، وانما يهمنا تأثيره اللاحق

(١) Durkhiem Emile: Ibid. P. 270.

على علماء الاجتماع المعاصرين ، كما تمثله المدرسة الاجتماعية الامريكية المعاصرة • وتكشف لنا الدراسة ان بعض المدارس الاجتماعية قد اهملت البحث فى الشخصية ، بل لم تحاول حتى ان تعرفها • اما الذين اهتموا بدراسة الشخصية ،فقد اتجهوا اتجاهات متشعبة ، فمنهم عدد قليل اهتم بالبحث فى الشخصية وتعريفها ، وبعضهم اهتم بدراسة العلاقة بين الفرد والمجتمع والثقافة والتداخل بينهم • وكان وليم توماس من اوائل الذين قالوا بأن الحقيقة الاجتماعية كل عضوى ، يتكون من المجتمع والشخصية والثقافة • وقد اهتم توماس بالتفاعل بين المجتمع والثقافة والشخصية فى الموقف ، واكد ان الفصل الاجتماعى فى الموقف هو الحقيقة التى يجب ان تفسر • اما تشارلز كولى فقد اهتم بالشخص الاجتماعى باعتباره ذاتا اجتماعيا تنمو نتيجة التفاعل بين الفرد والمجتمع • اما الاتجاه المعاصر فكان موضوع اهتمامه من أين ينتهى علم النفس، ومن اين يبدأ علم الاجتماع ، فى محاولة لربط الشخصية بالبناء الاجتماعى وتحديد العلاقة بينهما باعتبارهما نسقين متمايزين بالرغم من تداخلهما • وهذا الاتجاه الثالث الذى يهتم بتقريب وجهتى نظر علم الاجتماع وعلم النفس هو اهم الاتجاهات المعاصرة وأقواها • وقد حاول هذا الاتجاه ربط الشخصية بنظرية الادوار البنائية ، وبين ان عملية اكتساب القيم والادوار عملية اجتماعية • وحدد هذا الاتجاه نقاط التلاقى بين الشخصية والبناء • ويرى اصحاب هذا الاتجاه ان السلوك محصلة مطالب الادوار البنائية التى يحددها النسق الاجتماعى والثقافة واستعدادات شخصية الفرد • ويتخذ السلوك الانسانى دائما صفة السلوك المرتبط بدور ما • وما السلوك المرتبط بالدور الا دالة رابطة بين متغيرات ثلاثة ، هى شخصية الفرد الفاعل ، ومطالب الادوار الخارجية التى يحددها النسق الاجتماعى ، والقيم الثقافية • وهذه المتغيرات الثلاثة تترابط سويا لتحديد السلوك•

ويبين لنا هذا العرض الموجز لتطور اتجاهات دراسة الشخصية بعد دوركيم فى مدرسة علم الاجتماع الامريكى ، ان الاتجاه المعاصر بدأ يقرب بين علم الاجتماع وعلم النفس •ويرى اصحاب هذا الاتجاه ان الشخصية نسق نفسى ضرورى لتحديد السلوك • لكن العناصر المكونة للشخصية عناصر اجتماعية ، وهى عناصر دافعة للسلوك • ويكشف لنا هذا الاتجاه المعاصر ان الاهتمام بالشخصية كنسق نفسى متميز يتفاعل مع البناء الاجتماعى لتحديد السلوك مدى انحراف علم الاجتماع المعاصر عن موقف المدرسة الدوركيمية •

وسنحاول ان نعرض لهذه الاتجاهات الثلاثة فى دراسة الشخصية بشئ من التفصيل •

اما عن الاتجاه الاول الذى اهتم بمحاولة تعريف الشخصية فهو اتجاه اتسم بالعقم • ومما يبرر لنا هذا الرأى ان كثيرا من علماء الاجتماع ومنهم جيمس بوزارد وآرنولد روز ما زالوا يأخذون بتعاريف بارك وبرجس الذى قالا به فى عام ١٩٢٩ (١) • وهذا التعريف يقر به كثير من علماء الاجتماع • ومن رأى بوزارد ان التعاريف كلها يمكن ان ترد الى تعاريف برجس وبارك ، فما زال هذا التعريف هو التعريف المسلم به عند كثير من علماء الاجتماع •

اما عن الاتجاه الثانى الذى يؤكد التفاعل بين الفرد والمجتمع ، فمن ابرز رواده وليم توماس وتشارلز كولى •

وليم توماس (١٨٦٣ — ١٩٤٧)

ومن الدراسات الهامة الرائدة فى تأكيد العلاقة بين الشخصية والمجتمع والثقافة، الدراسة التى قام بها "وليم" توماس عام ١٩١٧ عن الفلاح البولندى ، تلك الدراسة التى يراها بوزارد دراسة رائدة فى موضوع الشخصية ، ويعتبرها ارنست بيرجس نقطة البداية للتفسير الاجتماعى للشخصية والثقافة• وتلك الدراسة محاولة لتأكيد العلاقة العضوية بين البيئة الاجتماعية والثقافية والشخصية • ودراسة توماس عن الفلاح البولندى هى دراسة عن تحول الفلاح البولندى من الموقف الاوربى الى الموقف الامريكى • وتعتبر هذه الدراسة مظهرا اساسيا للتحليل الاجتماعى وتبين التغير فى دراسة الشخصية من وجهة نظر علم الاجتماع •فقد رأى توماس ان الشخصية من مقومات الجماعة ، وان القيم التى تؤمن بها الشخصية ، وتحكم علاقاتها كانت ولا زالت وستظل قيما عامة لشخصيات كثيرة • بل ان بعضها قيم عامة للجنس البشرى كله • ولا يفهم التطور الشخصى الا بارتباطه بالحياة الاجتماعية ، فاعمال الناس انما هى النمط الانسانى الكامل للحياة الاجتماعية ، ولا يتسنى لنا فهم الحياة الاجتماعية الا اذا حللنا الطريقة التى من خلالها تبدو التجربة الشخصية لمختلف اعضاء الجماعة ، وانطباع تأثير هذه النظم على اسلوب وطريقة حياتهم•

---

(١) Bossard. James, H.S.: The sociology of child development Revised Edition. N.Y. Harper 1954, P. 34.
Rose Arnold, M.: Sociology of the study of Human Relation. N.Y. Alfred A. Kope 1957, P. 270

انظر ص١٢ من نفس الرسالة •

تبين لنا دراسة توماس للفلاح البولندى تأكيد الاجتماعيين للظروف الاجتماعية والثقافية التى تواجه الفرد فى المواقف الاجتماعية التى يعرفها ، وتأثير هذه الظروف فى تحديد سلوك المرء ، وكذلك تأكيد توماس لأهمية التفاعل فى المواقف الاجتماعية لتحديد الشخصية . وقد بين توماس ان الاسرة هى اول الانظمة الاجتماعية التى تنوب عن المجتمع فى تشكيل كل الشخصيات حسب النظم الاجتماعية السائدة ، كما بين ان تحديد موقف التفاعل يبدأ ببداية التربية فى الاسرة والتفاعل مع الوالدين . كذلك بين توماس أهمية المدرسة والمجتمع المحلى والنظام العقائدى فى تعريف الموقف وتحديده .

وقد قدم لنا توماس دراسة اجتماعية رائدة عن الموقف باعتباره الحقيقة الاجتماعية التى يجب ان تفسر . ويرى توماس ان دراسة السلوك للموقف الاجتماعى ، والتغيرات التى تحدث فى موقف ما ، وما يستتبعه من تغير فى السلوك أيسر طريقة يستطيع بها عالم الاجتماع دراسة السلوك واجراء البحوث الاجتماعية . ويتكون الموقف من ثلاثة عناصر مترابطة : العنصر الأول الظروف الموضوعية ، اى القواعد الاجتماعية الجبرية للسلوك . والعنصر الثانى الاتجاهات السابقة للفرد والجماعة . والعنصر الثالث ، تعريف الموقف عند الفرد الفاعل لنفسه (١) . وقد كانت دراسة توماس رائدة فى علم الاجتماع وتفسير الشخصية عندما اوضح ان الاتجاهات المميزة للفرد ، وشخصيته ، يرتبطان سويا بحوادث معينة ، او تجارب هامة خاصة به تعرف فى المواقف المتتابعة ، وتحدد غالبا توجيه حياة المرء . وما سمات سلوك الشخص الا محصلة ردود الافعال المتتابعة من ادراك الموقف ، وتشكلها فى مجموعة من الاتجاهات والتكوينات النفسية . كذلك كشفت لنا دراسة وليم توماس عن الطفل الامريكى فصله الواضح بين الدراسات التكوينية والموقفية ، واثر هذه الدراسات الاخيرة فى التأثير على الشخصية . وقد رفض وليم توماس الاتجاه الأول ، وقبل الاخير . وكان هدفه اثبات ان سلوك الفرد تحدده علاقاته مع الافراد الآخرين والمجتمع (٢) وان دراسات العلاقات فى الموقف هى المدخل الاجتماعى لدراسة الشخصية ، وان التغيرات فى الموقف تؤدى الى تغير السلوك ، ومن ثم تغير الشخصية .

---

(١) Timashef Nicholas, S.: Sociological theory. Its nature and Growth, op. cit. P. 149.

(٢) Thomas W.T.: The Polish Peasant. By W. T. Thomas and Florien Znaniechi. Boston. Richard and Budger 1919. The behaviour pattern and institution. Publication of American Sociological Society. 1928, Vol. 28, P. 122 in Bossard. The Sociological Child Development, PP. 32-34.

وقد قدم لنا توماس كعالم اجتماع تصنيفا ثلاثيا لانماط الشخصية ، يبين فيه مدى مفهوم الشخص للموقف ، النمط الاول ، الشخص صاحب الاتجاهات النفعية ، ويتميز باستقرار الاتجاهات وهو اكثر شخصيات المجتمع توافقا مع الجماعة • ويصون صاحب هذه الشخصية نمو الاتجاهات الجديدة • النمط الثانى ، الشخص الاهوج • ويتصف صاحب هذه الشخصية بالاتجاهات المتقلبة المفككة ، مما يعرض المرء دوما الى سرعة التأثر بالاتجاهات المختلفة • ويبدى الاهوج استعدادا دائما للتوافق ، بيد ان توافقه موقوت دوما • النمط الثالث ، الشخص صاحب الاتجاهات المبدعة الخلاقة • ويتميز صاحب هذه الشخصية بتنظيم اتجاهاته واستقرارها • ويؤمن صاحب هذه الشخصية فى الوقت نفسه بالتطور وضرورته • والشخص المبدع يتجه الى التغيير الكامن فى تخطيطه النشاط المثمر • وهو اكثر الاشخاص تأثيرا فى الموقف بما يقدمه من اختراعات وابتكارات • والشخصية الخلاقة هى اكثر الشخصيات تأكيدا للعلاقة بين المجتمع والثقافة والشخصية ورغم انها توحدت مع الجزء الاكبر من قيم المجتمع ، فانها تلعب دورا بارزا فى تطوير قيم المجتمع ، وتحديد فاعليتها • الا ان تصنيف توماس هذا لم يقبله رجال علم الاجتماع لانه يعكس انماط مثالية تعبر عن روح أدبية اكثر منها تصورات علمية(1) •

وقد اقتدى بعض علماء الاجتماع الامريكيين بوليم توماس ، فرفضوا رأى دوركيم أن الشخصية مقولة ، وبينوا ان الشخصية انعكاس للمواقف الاجتماعية التى ينشأ الفرد ويتفاعل فيها ، وما سلوك الشخصية وسماتها الا انعكاس للمواقف الاجتماعية • ويؤكد هذا الاتجاه الاجتماعى ان الشخصية ليست فطرية ، بل هى تكوين يكتسب نتيجة عمليات التكيف الاجتماعى ، على أن هذا الاتجاه فى المدرسة الاجتماعية الامريكية لم يغفل اثر التكوين البيولوجى الفردى • ويرى بوزارد مسايرا وليم توماس ان ثمة مجموعتين من عوامل التكيف تلعبان دورا هاما فى تكوين الشخصية• اولاهما التفاعل الاجتماعى ، اى تفاعل الشخص مع آخر او ما يطلق عليه التأثير الاجتماعى المتبادل • وتؤدى العلاقات الاجتماعية المتبادلة دورا هاما فى تحقيق التفاعل واكتساب الشخص تجارب جديدة ، على ان هذا التأثير المتبادل مع الغير يتعدل باستمرار بما قد يتعلمه من الاشخاص الآخرين • والثانية ، هى العناصر الثقافية وهى التى تحدد اساليب الفعل والتفكير المقبول لاعضاء الجماعة ، ومن ثم فالشخصية تحدد هنا القدرة على التكيف مع التراث الاجتماعى • كما ان انماط السلوك لا تورث من جيل لآخر ، الا اذا استمرت الجماعة فى قبول هذه الانماط السلوكية•

---

(1) Timashef Nickols S.: Sociological theory, its nature and growth, op.cit. P. 157.

تشارلز كولى (١٨٦٤ — ١٩٢٩)

لنا ان نعتبر تشارلز كولى ممثلا للاتجاه الذى اهتم بدراسة الذات ، ورأى ان الشخصية فكرة فى المدرسة الاجتماعية الامريكية • وقد حاول تفسير العلاقة بين الفرد والمجتمع ، ورأى أن هذه العلاقة علاقة ضرورية وثابتة ، فكلاهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به تفاعلا معه • ويترك هذا التأثير المتبادل بصماته على الفرد والمجتمع• وهذه العلاقة اساسية وجذرية فى علم الاجتماع •

ومن الواضح من دراسة التيار الفكرى السائد بين علماء الاجتماع الامريكيين فى الفترة من ١٩٠٩ الى ١٩١٩ ، ان نظرية كولى قد نشأت مثالا لرد الفعل القوى بين الاجتماعيين الامريكيين ضد مدرسة التحليل النفسى • وتتميز هذه الفترة برفض نظرية التحليل النفسى • وقد رفض كولى فى تفسيره للعلاقة بين الفرد والمجتمع آراء المدرسة الفرويدية التى ترى أن العوامل البيولوجية هى العوامل الحاسمة فى تفسير دوافع الشعور• وقد رفض كذلك الاتجاه النفسى الذى يدرس الفرد منعزلا عن الجماعة ، والذى لا يهتم بعلاقة الفرد بالجماعة وعاداتها وتقاليدها ومعاييرها ، والذى يغفل مدى تأثير النظم الاجتماعية والقيم على تفكير الفرد وسلوكه • وقد انكر كولى وجود الغرائز والليبيدو ، ورأى انها مجرد فروض لا حقائق • ويرى كولى ان اهتمام فرويد بالغرائز قد ادى الى اغفاله تأثير النظم والهيئات الاجتماعية فى تغيير سلوك الافراد •

ولقد أقام كولى نظريته ضد فرويد ، اذ انه يرى ان فرويد قد أخفق فى فهم ولادراك التطور الاجتماعى للفكر• فالفكر الانسانى لا ينفصم عن العملية الاجتماعية ؛ ومن جانب آخر ساير كولى رأى دوركيم بأن المجتمع كل عضوى • وأكد اهمية النظرة العضوية الى ظواهر المجتمع، فهذه الظواهر مترابطة ترابطا عضويا • وأشار الى ان علاقة الفرد بالمجتمع علاقة عضوية• بيد انه خالف الاتجاه الاجتماعى الدوركيمى الذى جعل من المجتمع الوحدة الاولى للدراسة• وانكر التفسير الاجتماعى البحت للسلوك الانسانى ، ورأى انه يجب على عالم الاجتماع ربط سلوك الاشخاص بالانسان والنظم التى يكونونها ، ومن ثم فاختلاف سلوك الاشخاص تبعا للنظم التى يكونونها ؛ قضية لم يثبتها العلم — عند كولى — اذ فى مقابل الانظمة الاجتماعية الموجودة فى البناء — والتى تتكون من مجموعة اشخاص يحتفظ كل منهم بجزء خاص لنفسه — يوجد الانسان الكلى[1] • ومن ثم لا ينبغى ان يقتصر مجال الدراسة على الفرد وحده أو

(١) Cooley Charles: Social organization. Glencoe. The Free Press. Illinois 1956, P. 319.

المجتمع وحده ، بل ينبغى ان يكون مجال الدراسة الحقيقى هو الطبيعة الانسانية التى تجمع المظهر الفردى والمظهر الاجتماعى فى آن واحد • فالبيئة الاجتماعية والخواص البيولوجية الوراثية عاملان يتفاعلان سويا ويتحد ان معا ليكونا الانسان الاجتماعى ، ويساهمان فى نموه• وينكر كولى بشدة امكانية عزل الفرد عن المجتمع ، او عزل المجتمع عن الفرد ، رافضا اعتبار كل من منهما ظواهر مستقلة ، ويرى ان كلا منهما مظهر لحقيقة انسانية واحدة ، فليس للفرد حياة نفسية خالصة لا يشاركه فيها احد ، والدعوة الى وحدانية الشخصية وفرديتها [1] ، دعوة خاطئة • فالفردية لن تتحقق للمرء الا بقدر انه عضو فى مجتمع ، كما يرفض كولى اعتبار المجتمع كلا متميزا عن افراده • ويقرر بمنهج هيجلى ان ما يوجد حقا هو الحقيقة الاجتماعية •

فما هى هذه الحقيقة الاجتماعية التى يرى كولى ان الفرد والمجتمع وجهان لها ؟ ان الانسان كائن اجتماعى خالق المجتمع ، والمجتمع مبدع الانسان ، والسبيل المباشر الى معرفة الحقيقة الاجتماعية هو البحث فى اصل افكارنا عن الاشخاص ، وتطور المشاعر والافكار ومعرفة ارتباطها بالذات الاجتماعية • وهذا المنهج هو المنهج الوحيد لمعرفة المجتمع• ويحاول كولى فى نظريته الاجتماعية ان يفسر كيف يصنع الانسان المجتمع ، وكيف يصوغ المجتمع الانسان ، فحل هذه المشكلة يمكننا من ادراك الطبيعة الانسانية والحقيقة الاجتماعية • وقد بنى كولى نظريته فى حل هذه المشكلة على اساس ان العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة عضوية ، فهذه الوحدة العضوية بين الفرد والمجتمع لا تنفصم ، اذ لا يستطيع الانسان ان يقتطع نفسه من المجتمع الانسانى ، فهو عضو فيه ، يستمد حياته من هذا الكل العضوى اثناء عمليات التحول الاجتماعى والبيولوجى ، وتتداخل السنن والمعايير المنبثقة من الوراثة والتعليم فى نسخ وجوده وتكوين شخصيته• ومن جهة اخرى فالكل الاجتماعى لا يوجد الا بوجود افراده الذين يرتبطون سويا فى الحياة العامة• فالمجتمع مثل بنية عضوية واحدة تتكون من مجموعة من الافراد ، وكل فرد يعتمد على الافراد الاخرين ، ويرتبط الجميع سويا كأنهم أعضاء جسد واحد • فالفرد ليس عنصرا مستقلا عن المجتمع ، والعلاقة بينهما علاقة من نوع التداخل الديناميكى ، وهذه العلاقة لا تقتصر على علاقة الفرد بالمجتمع ، بل تمتد الى علاقة الفرد بالنظم [2] • وايمانا منه بأن علاقة الفرد والمجتمع هى علاقة عضوية ، يرى انه لا وجود للشخص المنعزل بنفسه• فتصور الفرد

---

(1) Cooley Charles: Ibid. P. 9.

(2) Jandy Edwarde: Charles Horton Cooley. His life and his social theory, op.cit. P. 87.

تجريد لا وجود له فى الواقع ،كما ان المجتمع الخالى من الافراد تجريد لا مرلا وجود له. فالفرد والمجتمع وجهان لحقيقة واحدة هى الطبيعة الانسانية. والنظرة التكاملية الى الفرد هى فى الوقت نفسه نظرة تكاملية الى المجتمع، كما ان النظرة التكاملية الى المجتمع هى نظرة تكاملية الى الفرد . فالتفاعل الديناميكى بين الفرد والمجتمع امر حادث وضرورى ولا يجوز الفصل بينهما ، واذا كان الفرد لا ينفصل عن المجتمع والرابطة بينهما رابطة عضوية ،فان الشخصية وعناصرها نتاج اجتماعى ، كما ان المجتمع نتاج عقلى ، وكلاهما ينشأ من عملية التفاعل المتبادلة بين الفرد والمجتمع. ونحن عندما نهتم بالمجتمع فاننا ندرس الجانب العام من الحقيقة الانسانية ، فى حين اننا اذا ما اتجهنا الى الفرد فمحور دراستنا عندئذ الجانب الخاص من الطبيعة الانسانية. بيد أن التنظيمات الاجتماعية المختلفة التى يتكون منها المجتمع ليست وحدة منفصلة ، بل انها صور عامة وجزئية ، تعبر عن كيان متجانس من التفكير. فهذه النظم تعبيرات عن نسق تقديرى Appreciative system لاتجاهات تنظيمية للعقل العام توجد وجودا لا شعوريا فى عقول الافراد ، وتصير مادة فى الذهن شائعة بين جميع افراد المجتمع ، واذا كان الفرد نتيجة لهذه التنظيمات فهو منبع هذه التنظيمات وخالقها ، وهو مثلها ليس الا فكرة فى الذهن.

وعلى ذلك فان كلا من المجتمع والفرد عند كولى باعتبارهما مظهرين للحقيقة الاجتماعية ، لا يوجد ان الا فى المخيلة Immagination ،ومن ثم فان تصورنا عن الاخرين هو اساس معارفنا . والحقيقة الاجتماعية هى الفكرة الشخصية . فدراسة العلاقات بين الاشخاص تظهر ان المجتمع مجموعة من الافكار الشخصية ، وان الفكرة الشخصية هى الشخص الحقيقى . وهذه الافكار الشخصية هى اساس معارفنا عن الجماعات والنظم. ولن يكون لهذه النظم والجماعات وجود حقيقى الا اذا تكونت لنا عنها افكار شخصية . فالمجتمع هو مجموعة افكار شخصية متصورة توجد فى عقول الافراد نتيجة التفاعل الاجتماعى ، وبتأثير التفاعل المتبادل للافكار. وتتخذ هذه الافكار الشخصية صورا متماثلة مفروضة فى جميع الاذهان ،وتنشأ الافكار عن الغير نتيجة الاتصال بهم والتفاعل معهم ، والشخص لا يوجد الا فى مواجهة شخص آخر ، ويؤثر تأثيرا مباشرا على تفكيره ،ومن ثم يدركه كفكرة . واستنادا الى هذه النتيجة يبين كولى ان الحقيقة الاجتماعية المباشرة هى الفكرة عن الشخص[1] . وهذه الافكار عن الاشخاص هى الواقع الاجتماعى المباشر، وهى الحقائق الصلبة فى المجتمع ، وتسعى مباشرة فى سبيل تحقيق

---

(١) Cooley Charles: Human nature. Glencoe. The Free Press 1956, PP. 117-119.

انماط حياة الآخرين • والشخص الاجتماعي المباشر في البداية حقيقة في الذهن ، ولا ينفصل ابدا عن الكل الاجتماعي الذى تكونه الافكار الشخصية •

وتنشأ هذه الافكار الشخصية منذ الاسابيع الأولى لميلاد الطفل مما يؤكد استعداد الطفل للتنشئة الاجتماعية ،وتقبل الافكار الشخصية، وتتولد الفكرة الشخصية في البداية ، وتتطور من عنصرين ، عنصر حسى وعنصر رمزى ، يرتبطان سويا في كيان متراكب من التفكير والاحساسات • ويتكون الكل الاجتماعي من مجموعة من الاتصالات بين هذه الافكار الشخصية• وكل افكارنا مثلا عن الاسرة والجماعة الترفيهية والدولة لا تحددها الرموز والصفات التى ترتبط بهذه النظم ،بل تحدد من تصورنا للاشخاص الذين يمثلونها ، وتخيل هولاء الاشخاص وتكوين افكار عنهم هو سبيلنا الى تكوين الشخصية • والانسان العاجز عن تخيل الاشخاص انسان ابله يفقد حياة الفكر والقدرة على التفاعل ، وتبادل الافكار • كما ان هذه الافكار الشخصية ليست مبعثرة مشتتة في الفكر، بل مثلفة بالعاطفة التى ترتبط بهذه الافكار في الواقع •

واذا كان المجتمع والاشخاص كمظاهر للحقائق الاجتماعية لا يوجد ان الا في الذهن ، وان تصورنا عن الآخرين هو اساس معرفتنا عن المجتمع ، ولا مجال لدراسة المجتمع والشخصية الا في موضعهما الحقيقى وهو المخيلة • فكيف ندرس هذه الافكار ونصل الى الحقيقة ؟ يرى كولى اننا لا نتخيل المجتمع لكى ندرسه ، لكن موضوع الدراسة هو تخيل التخيل ، أى مجموعة الافكار في الذهن ، ومن ثم فعلينا أن نتخيل التخيل لندرس المجتمع • ويتولد هذا التخيل نتيجة حياة الاتصال والتفاعل مع الآخرين • وما هدف علم الاجتماع الا تفسير هذه الافكار المتخيلة وتحليلها • فالمجتمع فكرة ندركها بالتخيل • وموضوع الدراسة هو الفكرة المتصورة• وهذا المجتمع المتصور يوثر في دوافعنا وافعالنا •

وايمانا من كولى بأن الحقائق الاجتماعية الموجودة في مجتمع لها مظهران أحدهما فردى والآخر اجتماعي • يرفض كولى العقل الجمعى الدوركيمى • ويقرر ان العقل كل عضوى له وجهان ، احدهما فردى والآخر جماعى • فالعقل الفردى صورة مصغرة للمجتمع تعكس جانب المجتمع الذى ينتمى اليه الفرد ، كما تعكس تجارب الفرد الذاتية اثناء الاتصالات مع الآخرين • أما العقل الجماعى فيعكس الاتجاهات الجماعية ، وما العقل الا محصلة اجتماعية تتولد نتيجة التفاعل مع الآخرين • ويرفض كولى التمييز بين التفكير الفردى والتفكير الاجتماعى • فالتفكير مظهر للنظام الاجتماعى الذى يعيش فيه الفرد ، وفى الوقت نفسه مظهر

من مظاهر الشخصية الذى يحدد بالقدر الذى يشارك فيه الفرد فى الحياة العقلية مع الاخرين ويرتبط بهم •

كذلك فالشعور من خصائص المجتمع • وقد اهتم كولى بدراسته ، وبين ان الشعور الجماعى ملازم للشعور بالذات ، وكل شعور اجتماعى يعبر عن وعينا بالمجتمع[1] ، كما ان الشعور الشخصى يرتبط بأفكار الشخص ويلازمها • ولذا يؤكد كولى الارتباط بين الشعور والافكار ، ومن ثم رأى استحالة تفسير معانى الافكار دون رجوع الى الشعور ، واستحالة الاحساس بالشعور دون مساعدة من الرموز والافكار ، ويقرر اننا نلاحظ آثار الشعور الجمعى اثناء التفكير الخاص ، واثناء النشاط المشترك للعقول الكثيرة • كذلك ترتبط الافكار الاجتماعية مباشرة بأفكار الناس الاخرين وتتفاعل معهم فى الكل • ولقد ربط كولى الرموز العقلية بالمشاعر النفسية ، ومن ثم فعواطفنا لا تنفصل عنا ، لكنها ترتبط بموضوعات الحس ، والشخصيات الاخرى التى تضفى عليها صورتها الخاصة فى الذهن •

كذلك يرى كولى ان القوى التنظيمية التى تنشأ عن التنظيم الكبير فى المجتمع ترتبط مع القوى الشخصية مسايرا فى ذلك رأيه ان المجتمع والفرد وجهان لحقيقة واحدة • ومن ثم فالفكرة الاجتماعية هى فى الوقت نفسه فكرة شخصية ، والحقيقة الاجتماعية هى حقيقة شخصية • ورغم تأكيد كولى ان العلاقة بين الفرد والمجتمع هى علاقة ديناميكية فانه يرى أن علينا ان ندرس العمليات الاجتماعية ، لندرك طبيعة الحقيقة الاجتماعية ، لذلك فقد عجز عن ادراك المظهر المتغير لهذه الحقيقة ، وعجز عن ادراك التغير الاجتماعى وأثره فى الشخصية • وبقدر ما عجز كولى عن تفسير التغير ، رغم دوركيم فى تفسيره عندما بين ان الضمير الجمعى يمكن ان يتطور ، اذا ترك مجال من الحرية امام العباقرة ليعبروا عن افكارهم[2] • فهؤلاء لديهم القدرة لان يستشفوا ما تتطلبه احداث المستقبل ، وان يسبقوا عصرهم ، ويقدموا افكارا تغير من الواقع ، ان آجلا أو عاجلا •

والآن وبعد ان عرضنا للاطار العام لنظرية كولى نعرض رأيه فى الشخصية • يرى كولى ان الشخصية لها معنى لدينا لأنها فكرة تعبر فى اذهاننا ، باعتبارها جزءا من المجتمع • ولن تصبح الشخصية حقيقة الا اذا ارتبطت بنسق الافكار والرموز والمشاعر • فليست الشخصية

---

(١) Cooley Charles: Social Organization. op.cit. P. 5.

(٢) دوركيم ، اميل : قواعد المنهج فى علم الاجتماع •ترجمة محمود قاسم• القاهرة ، النهضة المصرية •١٩٥٠ — ص ١٢٤ •

نتاجا اجتماعيا صرفا ، كما انها ليست تكوينا بيولوجيا خالصا • فلا البيئة الاجتماعية، ولا العامل الوراثى ـ كل منهما على حدة ـ بقادر على ان يكون الشخصية ،ويسهم فى نموها ؛ او تحديد سماتها • فكلاهما لا ينفصل عن الاخر لتكوين الانسان الاجتماعى ؛ وتحقيق الطبيعة الانسانية• فالشخصية تتكون مباشرة من تلاحم القوى التنظيمية الاجتماعية مع القدرات البيولوجية • واذا كانت الشخصية تتكون من مجموعة من الافكار الشخصية، فهى فى الوقت نفسه محصلة اجتماعيـــة، لان الشخصية الفردية التى نعرفها ونواجهها اذا ما ارتبطت بنسق الافكار والرموز والاحساسات اثناء تفاعلها مع الاخرين ، تعبير جزءا من المجتمع ،ولا توجد فى عواطفنا واحساساتنا مستقلـة عنا ، بل ترتبط مع موضوعات اجتماعية محددة فى التجربة •

وقد اهتم كولى فى دراسته للشخصية بسماتها ، وتنتج هذه السمات من التفاعل بـــين الفرد والبيئة، وهى الصفات الاجتماعية لشخصية الانسان ، وتحمل ثمرة التطور الاجتماعـــى للانسان ، والمجتمع هو خالقها • ومن اهم السمات التى درسها كولى حب الذات ، والغرور ، والكبرياء ، والانانية ، واعتبرها سمات صحية للطبيعة الانسانية • كما اعتبر ارهاف الحساسية بالذات ،وشدة تأكيد الذات ، فشلا • وقد ربط كولى بين الحالة الصحية للذات وسماتهـــا •

اما عن العناصر المكونة للشخصية ، فقد رفض كولى العناصر الفرويدية الثلاثة المكونـــة لبناء الشخصية لما يحوطها من غموض ، وعدم تحديد ، وتناقض فى المعانى ، وهى عنـــده عناصر تأملية • وارتد الى مفهوم الذات ،واكد اهمية الذات باعتبارها انعكاسا لافكار الاخرين الذين يتصل بهم المرء • فالذات هى الوحدة البنائية فى تكوين الشخصية، وهى وحـــدة متطورة تعكس لنا دائما عقول الاخرين وأفكارهم ، ومدى تأثيرهم فى بناء الشخصية ونموهـــا • وليست الذات من معطيات الطبيعة ، وليست مسألة ميتافيزيقية ، ولا ترجع الى الجسد وحده، لكنها مثل الطفل لن يتحقق وجودها الا اذا نمت نموا طبيعيا • والذات باعتبارها عنصـــرا اساسيا فى تكوين الشخصية ،تنمو وتتكون تبعا للنمو الاجتماعى للشخصية • ومن ثم فان ذات الفرد تنمو نتيجة الارتباط والتفاعل مع ذات الجماعة ، وذات الاسرة ، وذوات أعضاء اللعب • ويرى كولى ان الذات أداة لربط الفرد والمجتمع سويا ، وهى فكرة أو نسق من الافكار تنبثـــق عن حياة الاتصال، ويدركها الفرد من الاتجاه المناسب والذى نطلق عليه" الوعى بالذات "[1] • ويتزايد الوعى بالذات يتولد النمط المميز للشخصية عندما يكتشف امام الذات معنى القبـــول

(1) Cooley Charles: Human nature. op.cit. P. 254.

والرفض فى المواقف المختلفة • ويساعد التفاعل بين الافكار على زيادة التجربة الداخلية ، واثراء الذات بمجموعة من الافكار، والارتباط فى علاقات تجعل الشخص يدرك وجوده فى المجتمع•فالذات والمجتمع يعبران عن وجهى حقيقة واحدة ، فالفرد يعى ذاته بقدر وعيه بالجماعة التى ينتمى اليها ، فتلازمهما امر حتمى ، والاعتقاد بالفصل بينهما أمر منافٍ للعقل •

ويؤدى نمو الذات الى زيادة الوعى بها خلال مراحل العمر المختلفة ، لكن تزايد الوعى بالذات لا يسير فى خط مستقيم خلال مراحل العمر، فانتماء الطفل للنظام الاجتماعى الموجود به يحدد نمو الذات • ويتزايد الشعور بالذات بقدر نمو الشعور بالملكية ،كما تزداد حدة الشعور بالذات فى فترة المراهقة • كما يتفاوت هذا الشعور بين الجنسين ، فالفتاة اكثر وعيا بذاتها من الفتى ، ومن ثم بالمجتمع ، بينما ان الفتى اكثر انغماسا فى النشاط[1] وخاصة النشاط العقلى • وقد استخلص كولى من دراسته لابنه وابنته اختلاف وعى كليهما بالذات • وأوضح أن الوعى بالذات عند الجنسين يبدأ ابتداء من العام الاول •

يرفض كولى كلا من الفكرة الميتافيزيقية والفكرة الوراثية عن الذات • ولا يقبل رأى سيلفيان ان الذات تعبر عن الجانب النفسى واللامعقول من المجتمع • فالذات عنده من صنع المجتمع• والوعى بالذات مجاله الحقيقى داخل الحياة نفسها لا خارجها ، وينمى اثناء التفاعل ، ولاينفصم الوعى بالذات عن الوعى بالمجتمع[2]• فلن نعى ذواتنا الا بالرجوع الى الجماعة، كذلك لن نعى الجماعة الا بالرجوع الى ذواتنا ، ومن ثم يبدو لنا ان كولى ينكر ارجاع فكرة الذات للدلالة على الجسم وحده ، او للاشارة الى الجانب النفسى من الشخصية • فالوعى بالذات عملية اجتماعية تنمو بنمو الشخص ، وبزيادة روابطه بالمجتمع لاتساع مداركه وزيادة محصوله اللغــــوى •

والذات نتاج انصهار عوامل وراثية وعوامل اجتماعية،ولا يمكن ان تفهم الذات ، او تدرك أو يتنبأ بها الا من خلال ارتباطها بالحياة العامة • ويسم كولى الرأى القائل بمعرفة الذات مستقلة عن المجتمع بأنه وهم، فنحن لا نعرفهما الا سويا • وقد بين تيماشيف ان تأكيد كولى ان التفاعل بين الذات والآخرين وعدم وجود تعارض بين الذات والآخرين شرط لتحقيق نموها ، ان هذا التأكيد من كولى ، يقربه من المدخل الثقافى المعاصر لدراسة المجتمع[3]

---

(1) Jandy Edwards: Charles Cooley, His life and his social theory. op.cit. P. 115.

(2) Cooley Charles: Social organization. op.cit. PP. 8,9.

(3) Timashef, Nicholas: Sociological theory, Its nature and growth, op.cit. P. 145.

ولا يرى كولى ان الذات هى العنصر الوحيد المكون للشخصية، بل ثمة عنصر آخر هـــو الضمير، وهو محصلة التنظيم النفسى للمجتمع ، وله صفات اجتماعية ويخضع فى تكوينه لتأثيرات الأسرة وجماعات اللعب والمدرسة والجوار. ويتكون الضمير منذ الطفولة المبكرة . لكن هـذا الضمير قابل للتحوير والتغيير. ويرى كولى ان مدرسة التحليل النفسى قد أغفلت أهميـــة الجماعات الأولية فى تكوين تجربتنا عن الوحدة الاجتماعية ، وأهميتها فى الاتصال الايجابى مع رفاق اللعب . كذلك تجاهلت اهمية الرفاق والجماعات الخارجية فى تكوين الضمير. كذلك فعملية التوحد الفرويدية ، وهى العملية الاساسية لتكوين الضمير ، عملية قاصرة ، لأنهـا حصرت وظيفتها فى التوحد مع الآباء ومعتقداتهم. فعملية تكوين الضمير أو عملية المماثلة بلغـة كولى ، عملية لا تقتصر على قيم الوالدين وحدهما ، فمثاليات الشخص ذات تاريخ وتنظيـم اجتماعى ، وتتكون اثناء الاتصال والتفاعل. ولا يغفل كولى فى دراسته للضمير نزعته الى المقابلة بين الفرد والمجتمع، فقد بين أن التفكير الخلقى يربط الفرد بالمجتمع، لأن ضمير الفرد وضمير المجتمع شىء واحد ، وبالأحرى هما وجهان لحقيقة واحدة هى الحقيقة الأخلاقية ، مخالفا فى ذلك رأى دوركيم الذى يرى ان كل الافعال الاخلاقية عادات جمعية ، هى فى جوهرها شىء خارج الفرد ، وهى ملزمة لكل منا ، علينا ان ننصاع لها.

وموجز هذه الآراء ان كولى يرى ان الحقائق الاجتماعية تتكون نتيجة التلاحم بين الفـرد والمجتمع ، وينتج هذا التلاحم عناصر اجتماعية ، ويقرر ان الفرد والذات والعقل والمجتمـع كلها موضوعات اجتماعية[1] .

ورغم ان كولى تأثر بالاتجاه الاجتماعى الدوركيمى عندما اكد ان المجتمع كل عضوى ، ولا يوجد الا فى عقول الافراد كأفكار ، فانه قد وقف موقفا مضادا عند تفسير قيمة ونوعية هـــذه الافكار. اذ نادى بأهمية الافكار الشخصية فى تكوين الشخصية والمجتمع. وبقدر ما أكد دوركيم أهمية التصورات الاجتماعية فى تشكيل لحمة الحياة الاجتماعية ، وبقدر ما انكر من قيمة التصورات الفردية فى تحديد الحياة الانسانية ، اكد كولى ان المجتمع يوجد فى الذهن نتيجة تفاعـل مجموعة من الافكار الشخصية ، وتكون هذه الافكار الشخصية الحقيقة الاجتماعية . ولقد وقـف كولى موقفا مضادا من مؤسس المدرسة الاجتماعية عندما اكد أهمية الافكار الفردية والعناصـر الوراثية ، واعطى العناصر البيولوجية للفرد قيمة بتأثير الداروينية . وبين ان البيئة الاجتماعية

---

(١) Cooley Charles: Social organization. op.cit. P. 3.

تعمل على تشكيل المادة الخام الوراثية. واستنادا الى هذا الاتجاه من كولى قد رأى جاندى ان المجتمع عند كولى ليس كلا اجتماعيا، بل له اساس نفسى يدركه افراده بالشعور الفردى[1] فقط، ويدعم جاندى رأيه فى تفسير المجتمع عند كولى برأى جورج ميد الذى يرى ان المجتمع عند كولى كل نفسى، لأنه يتكون من مجموعة من العلاقات بين الافكار الشخصية[2].

وقد اثار تفسير كولى والاتجاه الذى سايره وأكد اهمية معرفة الذات الاجتماعية، وأفرد لها مكانة فى الدراسات الاجتماعية، اثار هذا الاتجاه، احتجاج بعض علماء الاجتماع. واكد اصحاب هذا الاحتجاج أن هذه الدراسة لم تكن لها أصالة حقيقية فى مجال الدراسة الاجتماعية، فهو قد أحيا المفهوم الفلسفى عن الذات، واضفى عليها طابعا اجتماعيا. ويؤكد باتريك جون هين رأينا هذا ويقول " ان أى نظرية نفسية خالصة فى الشخصية لها نظير فى علم الاجتماع، عندما يوجه عالم الاجتماع اهتماماته نحو الذات. فالدراسات الاجتماعية والتى اهتمت بالذات قاصرة، لأن دراسة الشخص الاجتماعى فى علم الاجتماع تختلف عن دراسة الشخص الحقيقى فى علم النفس. فهذا الاتجاه فى دراسته للشخص معزولا عن البيئة الاجتماعية اتجاه يتسم بالضحالة والقصور الشديد فى تفسير الذات ونشاطها[3].

ويعيش الفرد عند كولى فى وعيه بالكل ومن احساسه بالكل، ويجد أهدافه وارادته فى هذا الوعى. كذلك فالمثاليات الاخلاقية والجمالية والدينية تنبع من الاتصال الجمعى بين الافكار، كما ان كل الحقائق الموجودة فى المجتمع، والتى تعمل على تماسك الطبيعة الانسانية لها مظهرها الفردى والجمعى، كما ان كل نموذج للنشاط له صورته الفردية والجماعية تبعا للزاوية التى ينظر اليه منها. فالاحساسات والتيارات والافكار تعبر عن وحدة شخصية كاملة، كما تعطى فى نفس الوقت صورة للعالم الاجتماعى، فهى ترتبط بالشخصية بقدر ما ترتبط بعالم الاتصال والتفاعل.

ومذهب كولى فى تعريف المجتمع بأنه مجموعة من الافكار الشخصية يذكرنا بمذهب باركلى الفلسفى. فقد خرج كولى عن مجال العلم الاجتماعى، واقام مذهبا فلسفيا اجتماعيا يكاد يطابق

---

(1) Jandy: Charles Horton Cooley, His life and his social theory P. 17.

(2) Jandy: Ibid. P. 138.

(3) Patrick John Hine: The problem of personality in sociological theory in Joseph, M. Wepman and Ralph W. Heine (editors) concepts of personality op.cit., P.204.

مذهب باركلى الفلسفى • حتى اننا نجد ثمة تطابق فى العبارات حين قرر كولى ان النظم الاجتماعية لن يكون لها وجود حقيقى الا اذا تكونت لها افكار شخصية فى الذهن • وهذا القول هو أساس مذهب باركلى الفلسفى الذى قال ان وجود الموجود هو ان يدرك وأن يدرك، اما تأثير الطاقة لديه أو العناصر الوراثية فلا يخرج عن كونه مسايرا لمبدأ الحسرعند باركلى نفسه • ويشبه العقل الجماعى عند كولى العقل الالهى عند باركلى ، وما أقرب هذا القول بأن الاشياء المدركة هى معلومة من عقل لا متناهى ، ومحدثة بارادته ، وعلى ذلك يتضح أن آراء كولى لا تخرج عن كونها مذهبا فلسفيا اجتماعيا ولا تقع فى نطاق العلم •

على ان كولى لم يقتصر على اقتباس آراء باركلى الفلسفية ، وعلى ادماج علم الاجتماع فى الفلسفة ، بل خرج عن نطاق التجريب اساس علم الاجتماع ، وقلب الحقائق الاجتماعية حين قرر ان المجتمع مجموعة من الافكار الشخصية • فعمليا لا يتسنى لنا فهم الظواهر الاجتماعية الا كأشياء لها وجود خارجى حقيقى مستقل عنا يخضع للتجريب والوصف •

ثالثا : النظرية الاجتماعية المعاصرة
تالكوت بارسونز (١٩٠٢ —)

تتجلى اهمية المدرسة الاجتماعية المعاصرة التى تمثل الاتجاه الاجتماعى الثالث فى دراسة الشخصية فى مدعها تالكوت بارسونز • الذى استغل المنهج الهيجلى فى التركيب والتوفيق بين آراء المدرسة الفرويدية والمدرسة الدوركيمية • فلم يغفل بارسونز الاتجاه الفرويدى الصرف الذى يقول ان الشخصية وحدة بيولوجية تستمد طاقاتها من الغرائز• وأن هذه الغرائز هى الطاقة الدافعة لكل سلوك انسانى • وكذلك عندما قرر ان فرويد وأتباعه بتركيزهم على شخصيات فردية عزلوها تعسفيا عن الواقع الاجتماعى ، لانهم اخفقوا فى ادراك مدى تفاعل الافراد مع الشخصيات الاخرى لتكوين نسق اجتماعى(١) • كذلك رفض بارسونز الاتجاه الدوركيمى الذى انكر وجود علم النفس ودراسة الفرد ، وفسر الظواهر الاجتماعية بالرجوع الى تأثير المجتمع • ونقد دوركيم ومن سايره من علماء الاجتماع الذين انصرفت دراساتهم الى النسق الاجتماعى بصفته نسقا وأغفلوا فى دراساتهم المنهجية فهم الحقيقة

---

(١) Parsons Talcott: The superego and the theory of social systems. In rose Laub Coser (ed.). The family: Its structure and functions. N.Y. St. Martins Press, 1964, P.436.

الهامة بأن النسق الاجتماعي — وهو محور دراساتهم — هو محصلة التفاعل بين الشخصيات • ويرجع اخفاق الاجتماعيين في فهم هذه الحقيقة الى عدم اهتمامهم اطلاقا بدراسة العمليات الدافعة ، اذ أن التحليل المناسب للعمليات الدافعة سوف يؤدى بهم الى مشكلة الشخصية • كذلك اختلف بارسونز مع دوركيم في موقفه من الفرد والقيم ، فهو ينكر موقف دوركيم الذى جعل دور الفرد من القيم سلبيا ، ويرى ان الفرد لا يلزم بقبول قيم المجتمع ، بل يتوحد بهـا • كذلك يخالف بارسونز دوركيم في موقفه من استقلال الظواهر الاجتماعية عن الظواهر الثقافية • ويرى بارسونز انه لا يتصور وجود علم اجتماعي مستقلا عن الثقافة ، اذ لا يجوز ان تقتصر مجال الدراسة في علم الاجتماع على دراسة الظواهر الاجتماعية وحدها ، بل يجب ان يتعداهـا الى دراسة الثقافة • كذلك عارض بارسونز دوركيم في موقفه من الفرد والمجتمع ،ورأيه ازاء انفصال علم الاجتماع عن علم النفس • ويرى ان الفصل بين العلمين أدى الى قصور دوركيـم عن فهم كثير من الظواهر الاجتماعية فهما واضحا [1] ، وعجزه من الناحية النظرية والتجريبيـة عن توضيح بناء انساق الفعل الاجتماعي لتجاهل اهمية الدوافع في تحديد وفهم بناء السلوك الاجتماعي ، والجوانب النفسية للفعل • وكل ذلك أدى الى عجز دوركيم ومن سايره مـن الاجتماعيين عن ادراك العلاقة الوثيقة بين البناء الاجتماعي والشخصية ، وارتباط علم النفـس بعلم الاجتمـاع •

ولما كان فشل كل من المدرستين الاجتماعية والنفسية في الالمام بكافة جوانب الظواهر الاجتماعية والنفسية ،يرجع الى الفصل بين كل ما هو فردى وما هو اجتماعي ، فصلا لا مبرر له ، في حين أن هذه الظواهر تتشابك ويؤثر بعضها في بعض لتكوين السلوك الانساني فـي الموقف ، فقد رأى بارسونز انه لا يوافق على دراسة الظواهر الاجتماعية مستقلة عن الظواهـر النفسية والثقافية ، فكل منها يتضمن الآخر •

وقد تابع هذه النزعة التوفيقية الكس انكلز أحد تلاميذ بارسونز ، فبين ان دراسة نسق الشخصية ، ومعرفة مكوناتها دراسة ضرورية وهامة لفهم الوظائف الثابتة في البناء الاجتماعي لمعرفة التغير الحادث في هذا البناء ، وادراك كل العمليات الاجتماعية داخله •كما اوضح اننا لن نفهم البناء الاجتماعي فهما واضحا اذا لم نعرف تأثير مكوناته على سلوك الشخصيـة

---

(1) Parsons Talcott: Essays in sociological theory, Pure and Applied. 3rd. Printing. Glencoe. The Free Press 1949, P. 353.

الانسانية وادائها لادوارها [1] ، فثمة حاجة ضرورية لربط علم الاجتماع بعلم النفس ، اذ بدا واضحا ان التحليل الاجتماعي لكثير من المشكلات الانسانية عقيم ، بل ومتعذر دون الاستعانة بالدراسات النفسية ، كذلك فبدون الرجوع لعلم الاجتماع لن نستطيع ان نفهم الشخصية وسلوكها والعمليات العقلية ، وصار لزاما الربط بين البناء الاجتماعي والشخصية لفهم الانسان فهما واضحا لاثراء مفاهيم كل من علم الاجتماع وعلم النفس . فالرابطة بين البنائين النفسي والاجتماعي رابطة حتمية باعتبارهما نسقين متلازمين ومتفاعلين يؤثران في العملية الاجتماعية . وهذا الاتجاه في الدراسة لا يعني اختزال علم الاجتماع في علم النفس ، او اختزال علم النفس في علم الاجتماع . فعلم الاجتماع يحتاج الى نظرة شاملة الى علم النفس ، وعلم النفس يحتاج الى نظرة ايجابية لعلم الاجتماع ، لفهم الظواهر الانسانية فهما واضحا ، ويعرف الاتجاه الاول بعلم الاجتماع النفسي ، ويهتم بدراسة وظائف النسق الاجتماعي وتغيرها ، اذ تنصرف هذه الدراسة الى دراسة خصائص الانساق الاجتماعية ، وتعطي اهتماما منظما لنظرية عامة في الشخصية او مثال الشخصية الاساسية عند اعضاء النسق وتوافقهم النفسي مع القوى الاجتماعية المفروضة عليهم . اما الاتجاه الآخر ويعرف باسم علم النفس الاجتماعي فيهتم بدراسة الشخصية وافعال الفرد معنيا بصفاته النفسية . ولا يغفل هذا الاتجاه اثر القوى الاجتماعية والثقافية على سلوك الفرد في الموقف .

فالاتجاه المعاصر في علم الاجتماع في دراسته للظواهر السلوكية والظواهر الاجتماعية يخالف علم الاجتماع السائد قبله الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية ، والعلاقات بينهما منفصلة عن افراد المجتمع ، ومغفلا اثر الدوافع في السلوك . ويرى بارسونز ان علم الاجتماع الدوركيمي قاصر لأنه اذاب الفرد في المجتمع لاغيا فرديته . فمحور النظرية الاجتماعية التقليدية ملاحظة وتحليل السلوك الاجتماعي ، او دراسة علاقات التفاعل بين الجماعات بعضها وبعض والاشكال التي تتطور فيها علاقات التفاعل داخل الجماعة ، مغفلا في ذلك دراسة الدوافع الى السلوك ، رغم أن عالم الاجتماع يواجه الدوافع الانسانية شاء ذلك أم أبى [2] .

كما يخالف هذا الاتجاه المعاصر في علم الاجتماع الاتجاه النفسي البحت الذي يهتم بسلوك الفرد . ويرى بارسونز ان علم النفس قاصر اذا نظر الى الفرد معزولا عن المجتمع وجعله

(1) Inkles Alex: Social structure and personality. op.cit. PP. 257-274.

(2) Persons Talcott: Essays in sociological theory, op.cit. P. 347.

موضوع دراسته ، فمحور الدراسات النفسية سلوك الفرد في حد ذاته ودوافعه ، ودراسة العمليات الأولية ودراسة التعلم والتذكر . والمدرسة النفسية في دراستها للفرد ارتأته كائنا بيولوجيا بحتا منعزل عن الجماعة ، وهو امر لا وجود له في الواقع ، فالانسان كائن اجتماعي[1] يتأثر بالنسق الاجتماعي والثقافي .

ولما كان مدار البحث في كلا العلمين هو سلوك الانسان[2] ، وان تباينت الظواهر موضوع الدراسة في كليهما ، وتلافيا لأوجه القصور في كل من النظريتين ، رأى بارسونز انه يجب علينا ان نوجه اهتمامنا الى دراسة تفاعلات الاشخاص داخل محتوى اجتماعي ، ومن ثم فلا مجال لعزل الشخص عن المحتوى الاجتماعي الذي يوجد فيه ، ولا مجال للفصل بين علم النفس وعلم الاجتماع . فالنظرة العلمية للظواهر الانسانية تحتم ان تكون شاملة وتضم وجهتي النظر ، النفسية والاجتماعية . ويقرر بارسونز أن العلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعي تعمق من فهمنا للسلوك التفاعلي في الموقف ، وتقرب بين علم الاجتماع وعلم النفس . وقد أرجع بارسونز تحليل العلاقة بين النظرية النفسية والنظرية الاجتماعية ، وتأكيد العلاقة العضوية بين البناء الاجتماعي والشخصية ، الى اطار نظرية الفعل — اى السلوك — وهذه النظرية تدرس سلوك الفرد الفاعل في موقف اجتماعي .

فما هي نظرية الفعل التي تتلاحم فيها الشخصية بالبناء الاجتماعي ، والتي تؤكد قوة الارتباط بين علمي النفس والاجتماع ؟ يشير بارسونز الى نظرية الفعل باعتبارها نظرية في السلوك تدرس العلاقات المتفاعلة بين المرء والآخرين في موقف محدد . ولا تهتم نظرية الفعل بالعمليات النفسية للمتعضي ، بل تهتم بتنظيم توجيهات الفاعل الى الموقف ، اى سلوك الفاعل في الموقف مستقلا عن أعداده الشخصية . وقد بين بارسونز ان بناء الفعل ليس هو الكائن الحي بل بناء علاقات الكائن الحي مع الموضوع الاجتماعي والموضوع الثقافي في الموقف . وينشأ بناء الفعل نتيجة تفاعل انساق الشخصية والنسق الاجتماعي والثقافة . وما الشخصية او البناء الاجتماعي أو الثقافة الا مظاهر مختلفة لنسق الفعل الاساسي . وثمة أربعة نقاط تلاحظ دائما عند تحديد او تصور الفعل (السلوك) . اولهما ، ان الفعل يوجه الى ادراك غايات واهداف أو امور أو مصالح متوقعة . النقطة الثانية ، ان الفعل ينظم معياريا . النقطة الثالثة،

---

(1) Parsons Talcott: Ibid. P. 346.

(2) Parsons Talcott:PSychology and Sociology. In John Gillin For a science of a social man. op.cit. P. 68.

ان الفعل يتضمن نوعية من الطاقة او المجهود او الدافع[١] • النقطة الرابعة ، ان الفعل لا يحدث الا فى موقف •

وتشير بارسونز الى ان الموقف هو اطار الفعل الاجتماعى ، وليس هو مجموعة المتغيرات الدافعية التى يواجهها الفاعل والغير فى لحظة معينة ، ومن ثم فالموقف يدل على العلاقات السائدة المنظمة بين المتفاعلين فى بيئة اجتماعية • ولا يعنى هذا ان بارسونز يضفى معنى التجريد على الموقف ، بل انه يقرر ان الفعل ليس حدثا مجردا ، بل هو حدث واقع ، ومن ثم فكل سلوك واقع ملموس هو سلوك اجتماعى[٢] •

ويتكون الموقف من تفاعل الغير وشخصية الفاعل والموضوعات الثقافية ، وهو جزء من العالم الخارجى ، وللموقف معنى واضح عند الفاعل ، فالموقف يوجه الفاعل نحو سلوك معين • ويرى بارسونز ان اتجاه الفاعل الى الموقف عامل حاسم فى تحديد الموقف وتعريفه • ويصف بارسونز السلوك الحادث فى الموقف بانه ليس حدثا عشوائيا يخضع للمحاولة والخطأ ، بل هو حدث منظم نتيجة التفاعل بين نسق الشخصية والنسق الاجتماعى والثقافة • ويؤدى تكامل هذه الانساق الى تحقيق الفعل — السلوك — فى الموقف[٣] • وتساهم مجموعة من المقولات الاساسية مثل الادراك ، والانفعال ، والتعميم ، والجنس والسن ، والطبقة ، والمجتمع المحلى مع هذه الانساق الثلاثة فى توجيه الفعل — السلوك — فى الموقف • ويصف ادوارد دفرو هذه الانساق الثلاثة بأنها انساق ضرورية للفعل — السلوك — الانسانى[٤] لأن انكارها ينطوى على تناقض مع الواقع • بيد ان دراسة هذه الانساق يقتضى تجريدها من كل نشاط وعزل كل منها عن الآخر • ولكن هل يمكن ان تعزل وتجرد الشخصية باعتبارها نسقا عن النسقين الآخرين وتدرس منفصلة عنهما ؟ يرى بارسونز ان هذه الانساق الثلاثة باعتبارها اساليب لتنظيم السلوك فى الموقف ليست متماثلة من حيث ادراكنا لمدلول كل منها • فنحن ندرك الشخصية والنسق الاجتماعى باعتبارهما اسلوبين للفعل ، اما الثقافة فندركها كنسق للانماط الرمزية لتحديد وتنظيم الفعل • ويصف بارسونز الشخصية والثقافة والنسق الاجتماعى بأنها كلها نماذج تصورية لا أشياء توجد فى العالم الخارجى ، فهى انساق للتصورات الحرة ، وكلها

---

(١) Parsons Talcott: Toward a theory of action. op.cit. P. 53.

(٢) Parsons Talcott: Essay in sociological theory op.cit. P. 336.

(٣) Parsons Talcott: Social system. 2nd Princting Glensoe. Free Press, 1952, P. 17.

(٤) Devreaux Edward: Parsons Sociological theory. In Black Max (ed.). The social theory of T.Parsons. Englwood Cliffs N.Y. Printing Hall 1961, P. 31.

تدرك عقليا مجردة عن النشاط • ويرتبط النشاط بانساق خارج الكائن الحى ، بيد ان ارتباط هذه الانساق فى الواقع لتشكيل الفعل امر حتمى ، ولا تشبه العلاقات بين هذه الانســـاق علاقة العالم الكبير بالعالم الصغير ، كما ان هذه الانسان ليست متماثلة رغم انها تصنع مــن مادة خام واحدة[1] هى القيم الاجتماعية • ولا يسبق احدهما الآخر وجوديا أو منطقيا • فالتلازم بينهم امر حتمى • فالعلاقة بين هذه الانساق هى علاقة تداخل وتفاعل — ويقصد بالتداخــل ان نسقين أو اكثر من انساق الفعل لكل منهما تنظيمه الخاص ، يعبران جزءا من معطيــات الواقع[2] — • فبلا ثقافة لا يوجد النسق الاجتماعى والشخصية • ويستحيل وجود الثقافـــــة والنسق الاجتماعى بدون الشخصية • ولن يوجد النسق الاجتماعى دون الثقافة والشخصية • فكل من هذه الانساق اساسية وضرورية لتكوين السلوك ، وكلها انساق لتكوين الفعل متلازمـــــة ومتساوية فى القيمة ، ووجود اى منها يقتضى وجود الآخر ، ولا يجوز ان يختزل احدهما فى الآخر من أجل تحديد الفعل ، على ان تلازم الانساق الثلاثة لا ينبغى ان ينسينا الحقيقـــة الهامة ، ان لكل من هذه الانساق صفته المميزة المستقلة • فبناء النسق الاجتماعى ووظائفــه اللازمة لبقائه وتغيره ، يختلف عن بناء الشخصية ووظائفها ، وكذلك الثقافة •

لكن ما معنى هذه الانساق الثلاثة عند بارسونز ؟ لا يميز بارسونز فى كتابيه النســـق الاجتماعى ، ومقالات فى النظرية الاجتماعية ، بين البناء الاجتماعى والنسق الاجتماعى • فكــل نسق اجتماعى هو اطار التفاعل بين مجموعة افراد ، ويتضمن جزءا من السلوك وينظم شخصيـــة اعضائه • اما فى كتابه البناء الاجتماعى والشخصية ، فيرى ان البناء الاجتماعى هو مجموعـــة من الانساق الاجتماعية التى يتكون منها المجتمع ، ويضم كل نسق من هذه الانساق مجموعة من الشخصيات المتفاعلة • اما الثقافة فهى نسق الانماط والمعانى الرمزية التى تتداخل فى بناء نسق التفاعل ، مع النسق الاجتماعى ونسق الشخصية • وتجد العناصر الثقافية لها مكانا فــى الشخصيات المكونة للنسق الاجتماعى ، وتتجسم هذه العناصر الثقافية فى انساق الفعل ، لكن يمكن ان تدرك الثقافة مستقلة عن تجسداتها فى النسق والشخصية ، ودراستها كانساق نمطية متراكبة ، كما يمكن ان تنتقل من احد انساق الفعل الى نسق آخر • فهى تنتقل من نســـق اجتماعى الى آخر بالانتشار ، وتنتقل من شخصية الى اخرى بالتنشئة الاجتماعية ، ويتعــــذر

---

(1) Parsons Talcott: Family socialization and interaction Process. op.cit., P. 357.

(2) Pitts, Jesse: Introduction to Part 3, In Talcott Parsons, and others editors theorites of society. op.cit. P.688.

استقرار الانسان فى اداءه لافعاله بدون توحده مع الانماط الثقافية " فالانسان مخلوق لا يستطيع ان يستغنى عن الثقافة "[1] • ويكشف لنا تأكيد بارسونز لاهمية الثقافة فى تكوين الشخصية وتنظيم نسق الفعل، اهمية الثقافة لتنظيم السلوك فى الموقف •

اما الشخصية بصفتها احد الانساق الرئيسية فى السلوك ، فيعترف بارسونز ان علاقاتهـــا بالانساق الاجتماعية ليست علاقة سهلة او بسيطة[2] ، كما ان الشخصية داخل الموقف ليســت وحدة تصورية بل هى نسق تجريبى محسوس • وفى هذا التفسير رفض بارسونز فكرة دوركيــم أن الشخصية مقولة اجتماعية ، ورأى كولى انها فكرة شخصية ، ورأى سيلفيان انها وحدة فرضيــة، كذلك اختلف بارسونز مع دوركيم عند ما اكد اهمية الجسد فى تكوين الشخصية باعتباره احـــد الجوانب الرئيسية فى تكوينها •

ولقد اعطى بارسونز تفسيرات متعددة للشخصية ،ففى كتابه نحو نظرية عامة للفعـــل الاجتماعى عرفها بأنها " نسق ذو نزعة ثابتة يهدف الى تحقيق مستوى عال من الاشباع[3] " واعطى لنا تعريفا آخر فى كتاب النسق الاجتماعى " انها نسق من العلاقات المتبادلة المتفاعلة للكائن الحى داخل الموقف، ومركز التفاعل هو وحدة الكائن الحى باعتباره ذاتا امبريقية"[4] • ويكشف لنا هذا التعريف ان علينا ان نفهم اساليب سلوك الشخصية من خلال مشكلاتهــــا الوظيفية التى تهدف الى تحقيق الاشباع ، وان ندرك ان نسق العلاقات الاجتماعية الـــذى يتداخل مع الفرد لا اهمية له الا فى الموقف ، وان نسق العلاقات يتداخل مباشرة فى تكويــن الشخصية ذاتها • كذلك يعرفها فى كتابه نحو نظرية عامة للفعل الاجتماعى " بانها نســق منظم يوجه دوافع الفعل عند الفرد الفاعل "[5] • تبين لنا هذه التعاريف ان كل تحليل تجريبى للفعل يستلزم تأكيد قدرات بيولوجية معينة من الفعل ، فالشخصية ليست انتاجا اجتماعيا بحتا ، او تكوينا بيولوجيا خالصا ، بل هى نسق نفسى ضرورى لتحقيق السلوك فى الموقف ، يبقـــى محافظا على وجوده ، ولا يرد الى الانساق الاجتماعية او الثقافة رغم التفاعل بينهم • وهـــذه التعاريف كلها متقاربة تدور حول معنى واحد ، لكن التعريف الاخير — فى نظرنا — هو أشملها وادقها صياغة ،واقربها الى نظرية الفعل •

---

(١) Parsons Talcott: Essays in sociological theory, op.cit. P.357.
(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit. P. 28.
(٣) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit. P.121.
(٤) Parsons Talcott: Social system, op.cit. P.17.
(٥) Parsons Talcott: Toward a theory of social action, op.cit.P.7.

ويبدو لنا من هذا العرض للعلاقة بين الانساق الثلاثة التي يتكون منها الفعل ، انها علاقة تفاعل وتلازم وتداخل • وهذا التفاعل بين الانساق الثلاثة ضروري لتكوين عناصر الشخصية ونموها ، ومن خلال التفاعل مع الانساق الاجتماعية والثقافية في الموقف المنظم ، توضع البذور الاجتماعية والثقافية لعناصر بناء الشخصية ودعامات نموها •

يرى بارسونز ان نظرية الفعل لا تنظر الى المتعضى باعتباره نسقا ، بل تعتبره وحدة ذات دلالة على الشخصية • فمركز الاهتمام في نظرية الفعل عمليات التوازن في العلاقات المتفاعلة بين الانساق في الموقف ، لا عمليات التعادل الداخلية للكائن الحي ، التي يكون فيها المتعضى ذات اهمية قصوى • ومن ثم فالعلاقات بين الانساق الثلاثة هي التي تكون نسق الفعل ، وهذا النسق هو محور اهتمام بارسونز ، ويتضمن هذا النسق نوعا من التوجيه نحو المستقبل ، ويتجسد تكامله في التماسك الذي يربط بين الاعضاء سويا ويعطيهم معنى الشعور الجمعي والاعتماد المتبادل •

وتخضع الشخصية عند بارسونز باعتبارها نسقا اساسيا من الانساق المكونة للفعل للشروط الاتية : الشرط الأول ، ان الشخصية بصفتها نسقا تقتضي الترابط بين افعال الفرد الفاعل • الشرط الثاني ، ان افعال الشخص الفاعل ينظمها بناء القيم وتوقعات الادوار التي تتوحد بها الشخصية • الشرط الثالث ، ان كل افعال الشخص تتطابق وتنظم وتتكامل سويا داخل نظام محدد هو الموقف ، كما انها تتأثر بأهداف الآخرين ومعاييرهم •

ولكل فرد فاعل مجموعة من العلاقات مع الموضوعات سواء اكانت الموضوعات الاجتماعية او الموضوعات الثقافية او الموضوعات الفيزيقية • وتكون هذه العلاقات نسق التوجيهات ، واتجاهات الفعل هي تصورات عن الموقف كما يريده الشخص الفاعل ، وغاياته ، وما يراه ، وما ينشده من الموضوعات التي يراها ، والاشياء التي يريدها • ولقد قرر بارسونز في دراسته للشخصية ، ان الشخصية تدرك باعتبارها نسقا ، فهي اكثر من تركيب محسوس • ويرى ان عملية تنظيم الشخصية وتحويلها من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي ، يتفاعل مع الآخرين ويؤثر في اغراضهم ، ويتأثر بمشاعرهم يتم في عمليتين • اولاهما تحدث داخل الشخصية ، وهي تغيرات تؤدي الى تغيير بناء الشخصية ، يسببها التغير في الاداء الوظيفي الذي يقوم به الشخص • والعملية الثانية تغير بناء النسق الاجتماعي ، ويحدث هذا التغير أثناء فترة اكتساب الادوار وتنظيمها في اطوار النمو المختلفة لاتساع علاقات المرء • وتؤكد هاتان

العمليتان التلازم بين الشخصية والبناء الاجتماعي كنسقين متمايزين يتفاعلان سويا لتحقيق الفعل الانسانى • ولا يؤدى هذا التفاعل الى اذابة الشخصية فى النسق الاجتماعى كما أراد دوركيم ، كما لا تعنى هذه العلاقة ان الشخصية صورة مصغرة للبناء الاجتماعى ، رغم الترابط بينهما لتكوين الفعل واستمراره • ويرى بارسونز ان التمييز بين هذين النسقين امر ضرورى ، وحاسم ، وأورد لنا ثلاثة مظاهر تؤكد استقلال نسق الشخصية كنسق نفسى •

المظهر الأول : ان الكائن الحى هو منبع الطاقة الدافعة للسلوك ولا يشاركه فيها احد • والمظهر الثانى : ان الجسد موضوع واسلوب متميز ، ومجموعة من المطالب يلزم اشباعها • ولهذا الجسد قدرات ادائية وصفات فطرية • ويساعد الجسد على تصنيف الانساق مع الاخرين حسب السن والجنس والذكاء ، ويميزه عن الاخرين • وتلزم الحاجة الفيزيقية للجسم الشخص باداء افعال معينة ، وتحول دون القيام بأفعال الاخرين ، فكل شخصية نسق متميز عن الشخصيات الاخرى ، لأن له متحضى متميز • والمظهر الثالث : تباين المشاركات فى الادوار الاجتماعية • اذ يبين تحليل انساق التفاعل الاجتماعى عدم وجود تماثل بين شخصين اثناء اداء الادوار فى الموقف ، فلا يوجد شخصان يؤديان الدور الواحد بطريقة واحدة ، كما يتفاوت مدى المشاركة باختلاف دورة الحياة والجنس ، ومن ثقافة لاخرى ، رغم وجود بعض الانماط المعيارية الثابتة •

ولقد اهتم بارسونز فى دراسته للعلاقة بين الشخصية والبناء الاجتماعى داخل الموقف بتحديد اهمية الدور ، اذ يرى ان الوحدة الهامة فى تحليل البناء الاجتماعى هى الدور لا الشخص • وهو فى هذا الرأى خالف رادكليف براون الذى أكد ان الاشخاص هم وحدات البناء الاجتماعى ، وبدون الاشخاص لن نستطيع ان نفهم البناء الاجتماعى • لكن لماذا رفض بارسونز اتخاذ الفرد وحدة اساسية فى البناء الاجتماعى ، ورأى ان الدور هو الوحدة الاساسية للبناء • أرجع بارسونز ذلك الى تعدد المشاركات الاجتماعية للفرد فى الانشطة المختلفة فى الحياة ، وتنوع عضويته فى جماعات متعددة ، فالشخص يتخذ علاقات ثابتة نسبيا مع أدوار الاخرين باعتبارها موضوعات للتوجيه ، وبصفتها وحدات للاداء ، ومنابع للجزاءات ، ولا يقتصر الدور عند بارسونز على كونه وحدة اساسية فى البناء ، بل هو عنصر اساسى من مقومات الشخصية باعتبارها نسقا ، اى هو عنصر مشترك بين البناء الاجتماعى والبناء النفسى • وفى هذا الصدد بين بارسونز ان للادوار اتجاهين ، احدهما اجتماعى بحت ، فوحدات

الادوار تعمل على تنظيم السلوك ليساير المطالب الوظيفية للمجتمع ، والآخر اجتماعي نفسي وله وظيفتان ، فالدور هو الذى يشكل سلوك المرء فى الموقف الواقعى ،ويحدد توقعات السلوك ازاء الآخرين ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالدور يكون جزءا من محتوى الانا الاعلى للفرد ، اذ ان الانماط التنظيمية فى بناء الادوار هى التى تحدد المعايير الاخلاقية التى تترسب اثناء عملية التنشئة الاجتماعية• وقد وصف بارسونز مشاركات الفرد فى اداء الادوار بأنها عملية ينظمها البناء الاجتماعى ،وفى الوقت نفسه لابد لها من اسباب دافعة باعتبار ان المشاركة جزء من الشخصية ، وهذا يعنى ان نمط النشاط نمط مستقر ومنظم ، اذ ان المشاركات فى الاداء هى استجابة لمواقف التفاعل المنظمة•

وقد بين بارسونز ان الادوار تتضمن مجموعة من التوقعات ،وتتوحد الشخصية مع التوقعات التى تحدد اداء الفاعل للفعل ، كما يحدد تبادل الاداء مع الآخرين ، وينظم المجتمع هذه التوقعات جميعها حسب الانماط الثقافية السائدة ، ومن ثم تتوافق التوقعات المنتظرة بين الشخصيات الى حد كبير•

ونوجز هذا العرض لآراء بارسونز ان الشخصية هى اداة الفعل الذى يشترك فيه المرء لتحقيق التوقعات المنظمة لادوار البناء الاجتماعى • ويؤدى الفرد افعاله فى الموقف حسب الادوار التى يتطلبها التفاعل اللازم فى البناء الاجتماعى ، وهذه الافعال يحددها نسق الثقافة•وتسهل لنا عملية تحليل الادوار فى البناء الاجتماعى تأكيد هذا الارتباط المفصلى بين البناء الاجتماعى والشخصية • ويؤدى تحليل الصور العامة للتفاعل بين الانساق الى تحقيق القضية الاساسية للربط بين علم الاجتماع وعلم النفس، وتحقيق التقارب بين الشخصية والبناء الاجتماعى ، فتحليل التفاعل يقودنا الى دراسة نسق الشخصية فى حد ذاته ، وعلاقاته بالشخصيات الاخرى بالنسق الاجتماعى(١)

لكن ما مفهوم الشخصية عند بارسونز ، وما مكوناتها ؟ قدم بارسونز نظرية جديدة من الوجهة الاجتماعية فى الشخصية وبنائها ، نظر فيها الى اعماق الشخصية ،ومظاهرها المتطورة، وجعلها محور دراسته مخالفا فى ذلك الاتجاه الاجتماعى الدوركيمى ومقتفيا اثر مدرسة التحليل النفسى الفرويدى لكن فى تفسير اجتماعى جديد •

وقد بين بارسونز ان أحد الجوانب الهامة للشخص هو الكائن العضوى ، ويتجلى هذا

(١) Parsons Talcott: Social structure and personality, 2nd Printing, N.Y. Free Press 1965, P. 20.

الكائن العضوى فى السلوك الملموس للشخص الفاعل • ولم يفصل بارسونز فى دراسته للشخصية بين شخصية الفاعل والكائن العضوى ، ورأى أنه لا يمكن فصلهما [(١)] • فكل فرد فاعل هو كائن بيولوجى اولا ، يفصل فصلا ما فى البيئة • بيد ان التكوين البيولوجى للمتعضى والبيئة الثقافية يحد ان من عملية التعلم الانسانى ، كما ان كل فرد فاعل يخضع لمطالب التفاعل داخل الموقف • وهذا الخضوع له اثره على تكوين عناصر الشخصية ونموها • ومن ثم فما الشخصية الا وصف لقدرات الشخص التى تحدد امكانيات الفعل لديه ، ويشتمل هذا الوصف للشخصية الدافع الى الفعل ، والتوقعات الاجتماعية وبناء العادات ، وانواع احداث البيئة التى يمارس فيها الفعل • فالشخصية عند بارسونز ليست ابدا وحدة بيولوجية ، بل هى سبب ونتيجة ، فهى التى تحكم سلوك الجسد ، وفى الوقت نفسه هى تنظيم يباشر وظائفه من المهد الى اللحد ، ولا يتوقف ابدا عن الارتباط فى عمليات وظيفية تحليلية • ومن ثم فالشخصية نسق نفسى ، ولا يدرك الا باعتباره نسقا من انساق الفعل فى الموقف • وهذا الفهم للشخصية يحول الاهتمام من العمليات الفسيولوجية الداخلية للكائن الحى ، الى تنظيم عمليات تفاعل الشخص مع الموضوعات الاجتماعية • ويبين ان تكامل الشخصية هو استمرار النمط البنائى المكون لها ، وكذلك التوافق الوظيفى للتوازن الداخلى فى موقف محسوس [(٢)] •

ولما كان مفهوم الشخصية لا يكتمل الا بعرض العناصر البنائية للشخصية ، فقد قدم لنا بارسونز تفسيرا جديدا فى بناء الشخصية يخالف التفسير الاجتماعى لمفهوم الذات الذى قدمه بعض الاجتماعيين • وقد عرض لنا بارسونز تفسيرا جديدا فى بناء الشخصية ، يعتمد على العناصر البنائية الفرويدية ، لكنه رفض التقيد بالمضمون الفرويدى لعناصر بناء الشخصية ، وقدم لنا تفسيرا اكثر شمولا ، اكد فيه اهمية المضمون الاجتماعى والثقافى لعناصر الشخصية كلها فى اطار نظرية الفعل • ويبين فيه ان التفسير البنائى للشخصية يرتبط بنقطتين اساسيتين ، احداهما اعتبار تنظيم الشخصية نسقا نفسيا ، والاخرى دراسة علاقة الشخصية بالبيئة الاجتماعية ، وخاصة اثناء عملية نمو الشخصية وعلاقاتها بالمجتمع [(٣)] •

وقد برر بارسونز اهتمامه بدراسة الشخصية وعناصر بنائها بأن هذه الدراسة تؤكد العلاقة بين البناء الاجتماعى والشخصية ، فبناء الشخصية مرآة عاكسة لبناء الموضوعات المتوحد بها [(٤)] •

---

(١) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit. P. 102.

(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 17.

(٣) Parsons Talcott: Social structure and the development of personality. In Smelser. Neil. Personality and Social system N.Y. John Wiley 1963, PP. 33-34.

(٤) Parsons Talcott: PSychology and Sociology. In Gillin Hohn, (ed.). for a sicence of social man, op.cit. P. 48.

ونسق نمطى لمعانى الموضوعات الاجتماعية عند الفاعل . فبناء الشخصية هو ما ينظم توجيهات الفاعل الى الموضوع فى الموقف ، وليست عناصر الشخصية وليدة اللحظة التى يعيش فيها الفرد ، او انعكاسا للموقف الوقتى الذى يتفاعل فيه الشخص ، والا سلبت منها صفتها المميزة الاساسية التى جعلتها نسقا متميزا ، بل هى محصلة ترابط وتوحد العناصر الاجتماعية والثقافية فى المجتمع اثناء التفاعل المستمر فى المواقف الاجتماعية . وتؤثر جميع عمليات التفاعل المستمرة فى المواقف المتلاحقة على تكوين بناء الشخصية ، كما تؤثر على عمليات ادراك الشخص وتوقعاته ، ولا تقف عمليات التفاعل التى تساهم فى تكوين الشخصية عند فترة معينة ، ولا تتقيد بأخرى بل تبدأ من الطفولة وتستمر متواصلة . فالشخص منذ طفولته ، واثناء مشاركته لنسيقات متباينة يلقن الكثير من العناصر الاجتماعية ويتعلمها ، ويتوحد بها ، وايضا يتوحد مع الانماط الرمزية التى تساهم فى تكوين بناء الشخصية ليصير عضوا قادرا على المشاركة .

ويرى بارسونز فى عرضه لنظريته فى بناء الشخصية ان فرويد كان صائبا فى رده لبناء الشخصية الى عوامل ثلاثة تؤثر فى تكوين هذا البناء . العامل الاول الكائن العضوى ، ويرتبط بالهو . والعامل الثانى ، الموقف الاجتماعى ويرتبط بالانا . والعامل الثالث ، انماط الثقافة ويرتبط بالانا الاعلى . والانا الاعلى هو آخر عناصر الشخصية نموا واصعبها توافقا فى الشخصية ، كذلك كان فرويد صائبا عندما اكتشف اهمية عملية توحد الفرد مع العناصر الاخلاقية التى تعمل على تكوين الضمير ، لكنه اخفق حينما اعتبر هذه العملية عملية نفسية بحتة ، كما اخفق عندما قصر دور الثقافة على تكوين الانا الاعلى ، وخالف الاعتبار الدورى الذى يؤكد الدور الذى تلعبه العناصر الاجتماعية فى تكوين الطابع الاجتماعى للشخصية .

وقد اوضح بارسونز ان العناصر البنائية للشخصية ليست عناصر منفصلة ، يتميز كل منها عن الآخر ، بل كلها نتيجة تراكب عمليات اجتماعية فى المواقف المتتابعة . فالمحتوى الرئيسى لنسق الشخصية انبثق من تفاعل الانساق الاجتماعية والثقافية مع الكائن الحى ، اثناء عمليات التنشئة الاجتماعية . وقد قرر بارسونز ان فرويد قد عجز عن فهم الشخصية الانسانية بصفتها نسقا اثناء تحليل التفاعل الاجتماعى ، فاعتبار الشخصية نسقا امر هام ، فالشخصية نسق متميز فى علاقاتها بالنسق الاجتماعى والثقافة .

وقد رفض بارسونز الزعم بان عملية بناء الشخصية عملية بيولوجية بحتة ، واوضح ان البناء الاساسى للشخصية يتكون اثناء عملية التفاعل الاجتماعى فى الموقف . فأثناء التفاعل تمارس

عمليات التلقين والتوجيه ، وتحدث عملية التوحد بالموضوعات الاجتماعية والانماط المعيارية التي تحكم تفاعل الطفل مع الاشخاص الاخرين . واكد ان الاسرة هي البيئة الاجتماعية المسئولة عن وضع اللبنات الاولى في طوري الرضاعة والطفولة ، وتساعدها المدرسة وجماعات الرفاق في اداء وظيفتها في طوري الصبا والمراهقة .

واذا كان بارسونز قد قبل العناصر الفرويدية الثلاثة المكونة لبناء الشخصية — كما ذكرنا — فانه اسبغ عليها مفهوما اجتماعيا . وسنعرض فيما يلي تفسير بارسونز لعناصر الشخصية مع بيان اوجه الاختلاف بين فرويد وبارسونز . ويجدر بنا في البداية ان نقرر ان طريقة فرويد في معالجة هذه العناصر تختلف عن طريقة بارسونز ، فقد درس فرويد العناصر الثلاثة المكونة لبناء الشخصية باعتبارها وحدات بنائية منفصلة ، اما بارسونز فرفض التقسيم الطبوغرافي للشخصية، واقام جسرا من نسق الثقافة يربط بين هذه العناصر الثلاثة .

الهــو : ان الهو عند بارسونز غير الهو عند فرويد . اذ يرى بارسونز ان وصف فرويد للهو بأنه عماء وغير منظم رأى لا يمكن قبوله . لذلك رفض بارسونز ان الهو تعبير عن الغرائز وحدها . فالهو عند بارسونز شأنه شأن الانا الاعلى والانا ينظم في التجربة اثناء علاقاته مع الموضوع ، ويتداخل في تكوينه العناصر الفطرية والمكتسبة[1] ، مثل تداخلها في تكوين الانا والانا الاعلى . ومن ثم يدخل بارسونز العنصر الاجتماعي في تكوين الهو ، رافضا في ذلك مفهوم الهو عند فرويد ، ويرى ان هذا العنصر يتكون اثناء التوحد مع علاقات الموضوع[2] . ويحمل الهو بقايا علاقات الموضوع التي يعرضها في بداية حياة الفرد التي لما تنتظم بعد ، والتي تنتظم فيما بعد اثناء تجارب الحياة المتأخرة . ويرى بارسونز ان وجهة النظر التحليلية للهو فاشلة لعدم ادراكها لحقيقتين اساسيتين . احداهما ، ان الطاقة العضوية التي تدخل في تحديد الانفعال بصفتها دافعا ، ضرورية ولازمة لبناء الشخصية . والاخرى ان القيم وتوقعات الادوار المتوحدة والتي تنتظم في الشخصية اثناء علاقاتها مع عالم الموضوع هي جزء اساسي من البناء المكون لنسق القيم .

وقد بين بارسونز ان مضمون الهو لا يقتصر على الطاقة الفسيولوجية الغريزية البحتة، بل يتضمن الهو بعض المحتويات الثقافية. فتوحد الموضوع الثقافي لا يقتصر على الانا الاعلى

(١) Persons Talcott: Social structure and Personality, op.cit P. 110.

(٢) Persons Talcott: Ibid. P. 81.

او الانا وحدهما ، بل يدخل التوحد بالعناصر الثقافية فى تكوين عناصر الشخصية كلها لان الشخصية نسق متكامل • وقد نظر بارسونز الى الهو فى مواضع مختلفة اثناء علاقاته النوعية لمبدأ اللذة ، وبين ان اللذة وسيلة منظمة تهدف الى تكامل الدوافع المختلفة فى المستويات الدنيا لتنظيم الشخصية ، واكد ان الهو يتمايز عن التنظيمين الاخيرين فى جانبين رئيسيين احدهما ان الهو عند بارسونز يوجه جسم الشخص باعتباره موضوعا متمايزا فى ذلك عن الانا والانا الاعلى • وهذا المظهر الذى يتجلى فيه الهو هو المظهر العام لمبدأ اللذة بصفته مبدأ يحكم الهو • والجانب الاخر ان انفعالات الموضوع ومكونات الهو انفعالات متوارثة عن التنشئة الاجتماعية المبكرة ، ومن ثم فان اى صراعات داخلية تتضمن مشكلة النكوص ، وتمثل دوافع الهو الجانب المرتد للعدوان • وقد اعتبر فرويد الهو بؤرة للمؤثر الدافع لارتباطه بالمؤثرات الثقافية والاجتماعية والبيئية • فالتنظيم الاساسى لنسق الدوافع لا يمكن عند بارسونز ان ينبثق من منابع غريزية بحتة ، اذ ان هذا التنظيم يتولد من المنابع الغريزية اثناء عملية التوحد مع الموضوعات الاجتماعية •

الانا : اما معنى الانا عند بارسونز فمغاير للتفسير الفرويدى الذى جرده من المعنى الثقافى • فليس الانا نتاج الحقيقة الخارجية وحدها (1) ، بل ان العناصر الثقافية تصوغ الانا كما تصوغ الانا الاعلى • ويرى بارسونز أن هذا هو ما نادى به فرويد وقد استند بارسونز فى تفسيره هذا لفكرة فرويد فى التنشئة الاجتماعية ، بأن البناء الاكبر للانا هو رواسب علاقات الموضوع التى يحملها الفرد طوال حياته • ويرى بارسونز ان التوحد مع البيئة الاجتماعية والثقافية تقدم لنا اساس الشخصية الانسانية ، ويمدنا بمحتواها الرئيسى ، اى بصفتها الاجتماعية• وقد ميز بارسونز بين الانا والهو ، فالهو يرمز الى العاطفة ، اما الانا فيعبر عن النظام• ومن ثم فالعواطف المنظمة تكون جزءا من الانا • ويرفض بارسونز رأى فرويد القائل بأن الانا تنظيم نفسى بحت ، ويرى انه طالما ان الانا هو المحل الاول للتفاعل بين الشخصية والعالم الخارجى للحقيقة ، وطالما ان الجانب الاكبر من الحقيقة نفسها اجتماعى المنهج ، فان النتيجة التى لا مفر منها من تحليل علاقات الموضوع ، هو ان محتوى الانا عناصر اجتماعية (2) • فالانا يتكون نتيجة التفاعل الاجتماعى فى الموقف ، وما استجابات الانا للعالم الخارجى الا استجابات مكتسبة تنشأ اثناء عملية التنشئة الاجتماعية • ويرى بارسونز ان الانا يتكون اثناء تبادل العلاقات

(1) Parsons Talcott: Social structure and the development of personality. op.cit. P. 34.

(2) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 108.

مع الغير فى مجالات التفاعل المختلفة • ويرى بارسونز ان الشرط الهام لقيام انا منظم تكامل الدلالات الداخلية والخارجية ، اى تكامل الواقع الخارجى مع مبدأ اللذة فى مرحلة تكوين الضمير • ويخضع الانا اثناء تكوينه لضغوط ثلاثة هى جسد الفرد ، والموقف الخارجى ، وانساق الثقافة المتوحد معها والتى تحدد المستويات الاخلاقية والرموز التعبيرية• والتكوين الاجتماعى للانا منبع هام من منابع السمة التنظيمية للانا • فالسمة التنظيمية للانا التى يرد اليها تكامل الشخصية تستمد من مبدأ الواقع ، اى من الاستجابات التوافقية مع العالم الخارجى ، ومن الثقافة العامة المكتسبة من الموضوعات المتوحد معها ، وتقرب الثقافة الانا من الانا الاعلى ، وتهمد الصراع بينهما (١) •

ويحقق الانا بصفته عنصرا اساسيا فى تكوين الشخصية التكامل فى الاداء ، ويعرف اثناء تفاعله فى الموقف ، فالموضوعات الاجتماعية ، اى الاشخاص التى تكون الانساق الاجتماعية، تتوقع من الانا ان يفصل شيئا ، لهذا فهو يستجيب لها ، اما الموضوعات اللااجتماعية — أى الثقافية والفيزيقية — فتفتقد خاصية التوقع هذه ، ولا ينتظر الانا من الموضوعات اللااجتماعية ان تتأثر بتوقعاته السلوكية ، بيد انه يتأثر بها ، كما يتأثر سلوكه بتوقعاته من سلوك الغير•

ويساعد تكامل قيم الجماعة على تكامل الانا وتنظيمه ، وتفرض عليه قيم الجماعة الالتزام بالجماعة ، واداء سلوك معين حسب توقعات الآخرين ، واذا ما تفككت قيم الجماعة تمزق الانا ، وعانى من الصراع والاضطرابات النفسية • وليست علاقات الانا بالغير علاقات عشوائية غير منظمة ، بل هى علاقات منظمة يحددها عنصر الزمان ، اذ يتواجد الانا والغير دوما فى زمن معين ، ويتقيد الانا بصفته موضوعا بالقيم والاتجاهات السائدة ، كذلك يهتم الانا باتجاهات الآخرين ، التى تعبر عن مظاهر الموافقة والحب والتقدير • فالانا حساس يتأثر باستجابات الآخرين ، وينفعل بانعكاس استجاباته نحو الآخرين ، وكذلك يتأثر بعملية التنشئة الاجتماعية•

• **الانا الاعلى :** وقد حلل بارسونز الانا الاعلى فى اطار نظرية الفعل ، ورأى ان تحليل الانا الاعلى تحليلا اجتماعيا يقودنا الى مركز التقارب بين الدراسات النفسية والاجتماعية (٢)• فدراسة الانا الاعلى وتحليل مكوناته — عند بارسونز — هى فى المحل الاول محاولة لايجاد الصلة بين آراء فرويد وآراء دوركيم والتوفيق بينهما • فمكونات الضمير جسر يربط بين البناء الاجتماعى والبناء النفسى ويبرز التفاعل بينهما •

---

(١) Parsons Talcott: Ibid. P. 31.
(٢) Parsons Talcott: Ibid. P. 18.

ولقد قبل بارسونز مفهوم الانا الاعلى الفرويدى بيد انه رأى ان وجهة النظر الفرويدية بأن الضمير عنصر اخلاقى فى تركيب الشخصية — رغم صحتها — قاصرة • فالمرء يتوحد مع العناصر الاخلاقية والعناصر الثقافية والاجتماعية ، وتتداخل كلها فى تكوين بناء الشخصية اثناء عملية التفاعل فى الموقف • فهذه العناصر الاخلاقية ليست الانا الاعلى كله ، بل انها جزء مكون للانا الاعلى والشخصية • ويرى بارسونز ان اهتمام فرويد وتأكيده لتوحد الانا الاعلى مع القيم الاخلاقية اثناء تبادل العلاقات مع الموضوع الاجتماعى فى فترة الطفولة ، قد أثرى النظرية الاجتماعية ، وساعد على تطوير علم الاجتماع • ويرى بارسونز ان المفهوم الفرويدى للانا الاعلى يقترب من نظرية دوركيم التى تؤكد الدور الاجتماعى للمعايير الاخلاقية ، ولكنه رفض رأى دوركيم ان الفرد باعتباره عضوا فى جماعته ليس حرا فى تقرير احكامه الاخلاقية ، وانه يلزم على قبول الاتجاهات الاخلاقية الشائعة فى المجتمع لما لهذه القواعد الاخلاقية من سلطة القهر والالزام • ولقد رفض بارسونز كذلك رأى دوركيم عن قوة المجتمع الاخلاقية على افراده ، وقرر ان تأثيرات المجتمع الاخلاقية لا تعرف بالقهر والالزام ، لكن الافراد يتوحدون معها ، كما توحدون مع العناصر العقلية والوجدانية • وهذه العناصر هى التى تكون مضمون الشخصية ، وفى الوقت نفسه تنظم تلك العناصر العلاقات داخل البناء • ويرى بارسونز ان رأى دوركيم ان المجتمع يوجد فى عقول الافراد يتحقق اذا ما توحدت الشخصية مع العناصر الاخلاقية والاجتماعية ، باعتبارها منابع هامة لتحقيق اساليب التفاعل المستمر •

وانطلاقا من هذا الفهم للانا الاعلى الفرويدى ، والدور الاجتماعى للاخلاق عند دوركيم ، يبين بارسونز ان دراسة مضمون الانا الاعلى ، وتحليل مكوناته ، خطوة الى ادراك تكامل النسق الاجتماعى ، اذ ان تكامل هذا النسق يتحقق بتوافق الانماط المكونة للانا الاعلى مع الحاجات الوظيفية للنسق الاجتماعى داخل البناء عند الاشخاص الذين يشغلون مراكز اجتماعية مناسبة فى البناء[1] • وترجع اهمية الانا الاعلى الى انه معيار يضبط سلوك الافراد ، ويتحكم فى الاداء ، ويوجه سلوك الشخص ، ولا يتكون الانا الاعلى من عناصر اخلاقية فقط ، بل هو وريث المجتمع • ويتكون من العناصر الاخلاقية والاجتماعية والثقافية ، ومن اهم هذه العناصر القيم وتوقعات الادوار • وقد اوضح بارسونز ان الشخص لا يمتلك أنا اعلى واحد ، بل للشخصية أنات عليا متعددة متكاملة ، او بعبارة اخرى فالانا الاعلى يتخذ عند بارسونز مظاهر متباينة تتكامل فى شخصية الفرد ، وذلك لتعدد العناصر المتوحد معها ، ولتعدد مجالات مشاركات

(1) Parsons Talcott: Essays in sociological theories, op.cit. P. 338.

الفرد ، وتحدد الادوار التى يؤديها ، وتحدد الجماعات التى ينتمى اليها[1] .

ويرى بارسونز ان الانا الاعلى يبدأ فى التكوين فى مرحلة الطفولة المبكرة ، ويوضح اساسه عندما يتوحد الطفل مع نسق المدركات العقلية ونسق الرموز التعبيرية ، وعندما يعى الطفل قواعد المحرمات والارشادات التى تفرض عليه . فالانا الاعلى نتاج التفاعل الاجتماعى ، أى تفاعل الطفل مع افراد اسرته فى شتى المواقف الاسرية ، وتساعد عمليات التفاعل اللاحقة على تطوير الانا الاعلى وصقله . والانا الاعلى بصفته جزءا من بناء الشخصية يتكامل مع العنصرين الاخيرين . وبصفته ممثلا للعالم الخارجى يعبر عن الثقافة والمعايير الاخلاقية السائدة فى المجتمع ، ومن ثم فهو وسيط يصل الشخصية بالبناء الاجتماعى ، ويؤكد التفاعل بينهما ، وهو عامل استقرار لنسق التفاعل الاجتماعى ، وبهذا المعنى يتحقق التكامل بين الدراسات النفسية والاجتماعية . ولنا ان نوجز الفرق بين فرويد وبارسونز عن الانا الاعلى فيما يلى : اولا ، نقد بارسونز فرويد لعجزه عن ادراك ان نواتج التوحد المكونة للانا الاعلى هى العناصر العقلية والتعبيرية والاخلاقية للوالدين لا المعايير الاخلاقية وحدها ، فالانا الاعلى البارسونى محصلة التوحد مع العناصر الاجتماعية الثقافية كلها الى جانب المعايير الاخلاقية التى سلم بها فرويد . ثانيا ، رغم أن فرويد قد وضع أسس النظرية القائلة بان الضمير محصلة التوحد فانه اغفل اهمية تحليل بناء العلاقات التى تحدث فيه عملية التوحد لتكوين الضمير . ثالثا ، قصر فرويد عملية توحد الطفل على موضوع واحد ، بيد ان بارسونز يرى أن التوحد يحدث مع مجموعة متتالية من الموضوعات ، تحددها الادوار المتبادلة التى يؤديها الوالدان والآخرون مع الطفل فى مختلف أطوار العمر .

ويرى بارسونز ان الاجزاء المتوحد بها والتى تكون مضمون الشخصية هى الرابطة بين المرء والغير ، ولا تتخذ هذه الموضوعات المتوحد معها اشكالا مستقلة عند كل فرد ، بل هى اجزاء من شخصية الفرد وشخصيات الآخرين تنتظم اثناء التفاعل فى المواقف . فعملية التوحد مع توقعات الادوار والقيم عملية اساسية لتكامل شخصية الفاعل مع الغير ، وبها يستقر نسق الشخصية ويتكامل مع اهداف الجماعة ، وينظم البناء الاجتماعى . وترجع اهمية القيم فى تكوين الشخصية انها المبدأ العام الذى يربط بين الشخصية وبناء الادوار داخل النسق الاجتماعى[2] ويؤثر الحب الاسرى فى تماسك العناصر المكونة للشخصية ، كما ان تماسك المحتوى الاجتماعى يجعل من الشخصية نسقا مستقلا فى علاقاتها بالجسد ، وتصبح ظاهرة متميزة خارج البناء

(1) Persons Talcott: Toward a theory of action, op.cit. P. 145.

(2) Persons Talcott: Social system, op.cit. P. 228.

الاجتماعي • بيد ان عملية توحد الموضوعات الاجتماعية والثقافية والاخلاقية ليست عملية متماثلة لدى الجميع ، ولذا فان بناء الشخصية لن يكون اطلاقا صورة واحدة عند جميع أعضاء البناء ، ولكنه يتماثل حسب المراكز التي يشغلها الافراد في الانساق الاجتماعية •

ومن هذا العرض السابق لآراء بارسونز ومفهوم الشخصية عنده ، يتضح لنا أصالة نظرية بارسونز في تفسير الشخصية وبنائها • فالشخصية لديه لم تعد مجرد فرض ، او تصورا اجتماعيا في الذهن ، ولم تعد نتيجة تفاعل بيولوجي عضوى مستقل عن تأثير المجتمع ، بل الشخصية نسق نفسي لا ينعزل عن البناء الاجتماعي والثقافي ، ولا تدرك الا في مواقف التفاعل ، وتتداخل مكونات البناء والثقافة في تشكيل عناصر الشخصية ، ومن جهة اخرى فالبناء الاجتماعي لا يدرك الا في علاقات المرء مع الشخصيات الاخرى •

رابعا : الاتجاه الانثروبولوجي والشخصية

لم تقتصر دراسة الشخصية على علماء النفس او علماء الاجتماع المعاصرين ، بل كانت موضع اهتمام بعض علماء الانثروبولوجيا • وفي هذا الموضوع كان بعض هؤلاء هم السابقون عن علم الاجتماع في محاولة الاستفادة من نتائج علم النفس في دراسة الشخصية ، وتحديد صلتها بالثقافة فقط لا البناء الاجتماعي •

ولقد ثار جدل بين علماء الانثروبولوجيا حول طبيعة العلاقة بين علم الانثروبولوجيا الذى يهتم بدراسة الثقافات المختلفة ، وعلم النفس الذى يدرس السلوك الفردى والعمليات العقلية الشعورية • فبعضهم نادى بأن كل علم منهما متميز مثمر ، وله مجاله الخاص المستقل عن العلم الاخر • والبعض الاخر يرى ضرورة اعتماد الانثروبولوجيا على نتائج علم النفس ، والاستفادة من نتائجه • وخير مثال للفئة الاولى راد كليف براون الذى يرى ضرورة الفصل والتمييز بين الانثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس ، ويؤكد ان كل منهما مستقل عن الاخر • كما يتميز علم النفس عن الفسيولوجيا ، مسايرا في ذلك الاتجاه الدوركيمي في علم الاجتماع [1] • ويرى راد كليف براون أن الافراد ليسوا موضوع اهتمام علماء الانثروبولوجيا ، فمجال اهتمام علم الانثروبولوجيا هو الكل الثقافي ودراسة العمليات الاجتماعية ، وردود الافعال الاجتماعية

(١) Radcliff-Brown; R.R.: Methods in social anthropology. Chicago. Univ. Press.of Chicago Press, 1958, P. 16.

المتبادلة داخل الانظمة الاجتماعية. فعالم الانثروبولوجيا يدرس السلوك الجمعي والنظم الاجتماعية وعلاقاتها مع الجماعة، ويهتم في المحل الاول بالنظر الى الثقافة كنسق متكامل كل عنصر فيه له وظيفته المحددة في علاقاتها بالكل الاجتماعي[1]. وايمانا بهذا الرأى يرى راد كليف براون ان كل المحاولات التى تستهدف الاستفادة من علم النفس في التطبيقات الانثروبولوجية كانت نتائجها اعاقة تقدم الانثروبولوجيا، بل ادت هذه المحاولات الى تأخر علم الانثروبولوجيا في احتلال مكانته بين العلوم. فكل هذه المحاولات التى تحاول ربط الانثروبولوجيا بعلم النفس ليست الا محاولات لتفسير الفرد، لا لتفسير العمليات الاجتماعية، ومن ثم فلكى يتقدم هذا العلم يجب ان يتميز كلية عن علم النفس الفردى، ويستقل عنه، اذ أن مجالات الانثروبولوجيا الاجتماعية هى دراسة الظواهر الثقافية، وليست الظواهر الفردية، اذ ان التعميمات في علم الاجتماع المقارن هى تعميمات اجتماعية. وليست تعميمات نفسية. ومن ثم تصبح كل محاولة لتفسير الظواهر الاجتماعية في حدود علم النفس محاولة فاشلة وغير مثمرة.

وموجز فكرة راد كليف براون ضرورة التمييز بين علم النفس والانثروبولوجيا، فكلاهما ينظر الى الافعال من زوايا مختلفة، ومن ثم يصلح ما هو مناسب وملائم لاحدهما، غير مناسب لمجال دراسة الاخر. وهذا الفصل بين العلمين شرط ضرورى لتقدم العلمين من وجهة نظر راد كليف براون. وهذا الفصل بين الانثروبولوجيا وعلم النفس يقتضى بالضرورة الفصل بين البناء الاجتماعى والشخصية، ومن ثم فلا مجال لدراسة الشخصية دراسة انثروبولوجية.

اما الفئة الثانية فتمثلها المدرسة الانثروبولوجية الامريكية، وقد ظهرت فيها نزعات قوية تؤكد ضرورة تطبيق نتائج ومفاهيم علم النفس عند دراسة المجتمعات البسيطة والمتجانسة لفهم تكوين ثقافات هذه المجتمعات وتركيبها فهما واضحا. ويعرف هذا الاتجاه باسم "الثقافة والشخصية". ومن اهم اصحاب هذا الاتجاه ادوارد سابير، وايرفنج هارلد وول، و أ. ل. كوبر، ومرجريت ميد، ودوجلاس هارنج، وكليد كلاكهون، وجون هونجمان، أ. كارد نير. ويحاول اصحاب هذا الاتجاه ربط العناصر الثقافية بمتغيرات الشخصية، ويسعون الى تفسير اثر العناصر الثقافية على بناء الشخصية في مختلف اطوار نموها، وكذلك أثر العناصر الثقافية على السلوك الشخصى والدوافع الانسانية. ويحاول اصحاب اتجاه الثقافة والشخصية تحطيم الفواصل بين علم النفس والانثروبولوجيا، ومن ثم الثقافة والشخصية، ويرون

(1) Redcliff-Brown: Ibid. P. 67.

ان الثقافة لا يمكن ان تفهم بمعزل عن الاشخاص ، كما ان الشخصيات لا تدرك منفصلة عن الاتجاه الثقافي العام الذى يشكل جوهرها ومضمونها ، ويحدد شكلها وسلوكها • والثقافة عامل حاسم فى نمو الشخصية ونموها • ويؤمن انصار هذا الاتجاه باهمية دراسة العلاقات بين متغيرات الشخصية والثقافة ، وان ثمة عوامل متداخلة بينهما ، فليست الشخصية أو الثقافة بالوحدتين المنعزلتين ، بل ان كلا منهما يكمل الاخر[1] •

وعلى الرغم من ان هذا الاتجاه قد اثار ثورة بعض الانثروبولوجيين الذين يرون ان مجال علم النفس هو دراسة الفرد ، ودراسات الفروق بين الافراد ، وان مجال دراسة الانثروبولوجيا الاجتماعية هو علاقات الاشخاص وتركيب الجماعات فى المجتمعات البسيطة والمتجانسة ،ودراسة الدوافع الاجتماعية للسلوك لا الدوافع الغريزية ، ومن ثم فلا مجال للتفاعل والتقارب بين العلمين ، فان اصحاب اتجاه " الثقافة والشخصية " يرون اهمية الترابط بين الانثروبولوجيا وعلم النفس لكى تستطيع الانثروبولوجيا ان تلقى ضوءا كافيا على الحاجات والرغبات ، ودوافع السلوك الضرورية للانسان للحصول على الاشباع من العالم الخارجى[2] ، فثمة التحام بين الشخصية والثقافة ، اذ ان الشخصية عندهم هى انعكاس الثقافة السائدة على الكائن العضوى • وفى هذا الصدد يرى نورمان براندبيرن ان اتجاه الثقافة والشخصية يساعد على تفسير الانماط الثقافية تفسيرا علميا دون اللجوء الى مفاهيم غامضة مثل الاشكال الثقافية[3] ، اذ أن محاولة اثبات التباين فى اشكال الانماط السلوكية فى المجتمعات بالرجوع الى الاشكال الثقافية وحدها تقود الى تعقيدات كثيرة • فثم من ارجع تفسير السلوك الى قوى ميتافيزيقية كالطبيعة الانسانية ، عندما اهمل دراسة الدوافع النفسية والبيولوجية • فقد اثبتت الدراسات أن التباين الواسع فى السلوك لا يفسر بالرجوع الى الطبيعة الانسانية وحدها ، ولكنه محصلة النظام الثقافى الذى يعيش فيه المرء • واذا كانت الحاجات البيولوجية واحدة نسبيا فى المجتمعات ، فثمة اساليب مختلفة للحقيقة الخارجية التى يتوافق معها الشخص فى كل مجتمع لاشباع هذه

---

(١) Brewster Smith: Anthropology and Psychology. In Gillin John for a science of social man,, op.cit., P. 32.

(٢) Kardiner, A. : Individual and society, N.Y. Colombia Univ., 1929, P. 2. In Honigmann, John. Culture and Personality. N.Y. Harper, 1954, P. 3.

(٣) Norman Brandburn: The cultural context of personality theory. In Wepman Joseph and Ralph Heine (editors) concepts of personality, op.cit. P.352.

الحاجات • وهذه الحقيقة الخارجية لا تتكون من البيئة الطبيعية التي يعيش فيها أفراد الثقافة، وانما تتكون من الانساق التنظيمية للثقافة، وتفرض هذه الحقيقة الخارجية على الاشخاص اعضاء الثقافة اساليب تفكيرهم والصفات المشتركة اللازمة لتكوين الشخصية الاساسية •

ان موضوع دراسة " الشخصية والثقافة " موضوع مشترك بين مجالات علم النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية ، وهي دراسات تهدف الى بيان اثر الثقافة على الشخصية ، وتتجاهل اثر المواقف العرضية على بناء الشخصية وتطورها •

لكن ما مفهوم الشخصية عند اصحاب اتجاه " الثقافة والشخصية " ؟ يعرفها جون هونجمان بقوله " ان الشخصية الى حد كبير نتاج الافعال المتوقعة ، وايحاءات الاخرين التي ترى وتدرك عند التواجد في مواقف التفاعل "(١) • ان انماط الشخصية عند هونجمان تكون جزء من الانماط السلوكية الاجتماعية المعيارية • ويهتم هذا الاتجاه بدراسة الفرد ، وتطوره الاجتماعي في بيئة ثقافية معينة ، وكيفية ارتباط الشخصية بانماط السلوك الاجتماعي المتفق عليها ، وتحليل نتائج السلوك السائد في الجماعة • وتساعد هذه الدراسة الانثروبولوجي على ادراك الانماط الثقافية السائدة ، ومن جهة اخرى فان الانثروبولوجي في دراسته للشخصية كشف الغطاء عن السلوك الاجتماعي ، وحاول ان يبين كيف تنتشر الثقافة على مستوى الافكار والمشاعر وافعال الفرد ، وان كان قد اغفل البحث في الاسباب التي تدعو الى ذلك كله •

ومن تعريف الشخصية الاخرى عند الانثروبولوجيين تعريف رالف لنتون الذي يعرف الشخصية " بأنها اصطلاح يستعمل للدلالة على كافة الصفات العقلية للفرد ، اى مجموعة القدرات العقلية ، ومدركاته ، وافكاره ، وعاداته ، والاستجابات العاطفية الشرطية "(٢) ويتبين لنا من الفقرة الاخيرة من هذا التعريف " الاستجابات العاطفية الشرطية " ان ثمة علاقة بين شكل الشخصية وثقافة المجتمع الذي ننتمي اليه • وهو ما قرره لنتون صراحة ، وذكر أن الثقافة توجد في عقول افراد المجتمع ، وتستمد الثقافة صفاتها من شخصيات افراد المجتمع وتفاعلهما سويا •

بعد هذا العرض لتعريف الشخصية عند بعض اصحاب اتجاه "الثقافة والشخصية" ، تعرض

(١) Honnigman John, J.: Culture and Personality. N.Y. Harper, 1954, P. 193.

(٢) Linton Ralph: The study of man. Introduction: N.Y. Appliton 1936, P. 464.

الآن لرأى كليد كلاكهون فى الشخصية باعتباره من ابرز الداعين لهذا الاتجاه • يرفض كليد كلاكهون اعتبار الشخصية وحدة متميزة منعزلة عن الموقف والظروف الثقافية • ويرى أن علماء النفس فى دراساتهم للشخصية ، يدرسون المكونات الرئيسية للشخصية ، ولا يعنون فى ابحاثهم بدراسة الشكل العام للشخصية الكلية ، لانهم يرون اننا لا نستطيع ادراك الكل [1] •
كذلك يرون ان الدراسات التى لا ترى من الشخصية الا شكلها العام ، ولا تهتم الا بمحتوى الشخصية الرئيسى نظريات واهية • ويقرر كليد كلاكهون ان موضوع البحث الرئيسى عند الانثروبولوجى هو دراسة العملية التى تحول الشخص الى عضو ممثل للثقافة • ويقرر كليد كلاكهون ان الانثروبولوجى فى دراسته للشخصية لا يدرسها كوحدة متمايزة ، بل يدرسها باعتبارها نتاج صراع الحاجات والرغبات عند اعضاء الجماعة • وهذه الحاجات أو الرغبات اما بيولوجية او اجتماعية • واهتمام الانثروبولوجى ينصرف الى دراسة هذه الحاجات الفسيولوجية والاقتصادية والعاطفية داخل الموقف [2] ، ليتسنى لنا فهم السلوك فى اطار الثقافة •

ويرى كليد كلاكهون ان الشخصية الانسانية تتكون من تفاعل عناصر ثلاثة : هى الثقافة ، والموقف ، والتكوين الفطرى البيولوجى • ومن ثم فان كليد كلاكهون لا ينكر كما نرى اثر العوامل الفطرية فى تكوين الشخصية • فهذه العوامل تتفاعل مع اساليب الثقافة ومع ظروف الموقف لصوغ الشخصية ، وتحديد مسار نموها • وضرب لنا مثلا لذلك بما يحدث فى مجتمع راهم Rahm • فقال ان الشخصية فى هذا المجتمع هى تفاعل العمليات الفطرية البيولوجية والمواقف الاقتصادية والاساليب الثقافية فى هذا المجتمع [3] • ويرى كليد كلاكهون ان مكونات الشخصية الثلاثة هى التى تضفى الطابع العام على شخصيات مجتمع ما لتميزهم عن شخصيات مجتمع آخر ، كما ان هذه المكونات هى التى تميز افراد كل مجتمع فيما بينهم • ويرى كليد كلاكهون ان الشخصية نسق متغير ، يتأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية • ومن ثم يعرفها بأنها " الطابع المميز الذى يعبر عن اتجاهات الشخص امام الرأى العام " • ومحور هذا التعريف سلوك الشخص الفرد [4] الذى يعكس ثقافة المجتمع • فالشخصية ليست ثابتة بل

---

(١) Kluckhoon Clyde: Personality in nautre, society and culture op.cit., P. 30.
(٢) Kluckhoon Clyde: Mirror for man. London. George G. Harrap, 1950, P. 186.
(٣) Kluckhoon Clyde: Culture and behaviour. N.Y. The Free Press of Glencoe 1952, P. 178.
(٤) Kluckhoon Clyde: Personality in nature, society and culture, op.cit., P. 14.

متغيرة متقلبة ، تتميز بالصيرورة ، كما انها تتفاوت في شكلها العام ، ومضمونها من مجتمع لآخر . ويرد كليد كلاكهون هذا التفاوت الى اساليب التنشئة الاجتماعية ، وقرر ان اساليب التنشئة لها آثارها على المخلوق البيولوجي ، فبناء الشخصية بناء اساسه بيولوجي ، لكن تشكله وتحدد معالمه واطوار نموه النفسي والاجتماعي اساليب التنشئة في اطار الثقافة العامة .

وقد رفض كليد كلاكهون المبدأ الفرويدي القائل بأن اساليب التربية في الطفولة تحدد عناصر شخصية البالغ . فبين ان شخصية الراشد في مجتمع نوفاهو تختلف عن شخصية الطفل ، فهذا المجتمع يهتم باشباع حاجات الطفل في العامين الثاني والثالث ، ومع ذلك فسلوك الراشد في هذا المجتمع يغلب عليه القلق ، مما يدل على ان اساليب السلوك المقبولة من الراشد تحول دون اشباع كل رغباته على نحو مرض . فشخصية الراشد استجابة واقعية للموقف تظهر ما يواجهه من صعوبات في الموقف باعتباره شخصا ينتابه الفزع والضغينة ، أو الفرح والحزن . وهذه العوامل الموقفية تتداخل وتترابط مع الانماط الثقافية في تحديد الشخصية وتكوين بنائها .

ومن كل هذا يستخلص كليد كلاكهون ان الظروف الموقفية والثقافية تحدد بناء الشخصية في كل مجتمع ، وان لكل ثقافة اضطراباتها النفسية المميزة ، فالاضطرابات النفسية الشائعة في الينيزيا هي السعار ، كما يشتهر أهل سومطرة بالغلمه ، ويتسم سلوك الهنود المقيمين بكندا بالعدوان المرتبط باشتهاء لحم الانسان ، كما يشيع بين قبائل سيبريا امراض الهستيريا . ويدل تباين الاضطرابات النفسية بين مختلف الثقافات على أن هذه الاضطرابات لا تنبع من الفطرة البيولوجية ، بل ترتبط بالظروف الموقفية والثقافة السائدة التي تؤثر في بناء الشخصية . ويستخلص كليد كلاكهون ان الشخصية ليست محصلة تجارب الطفولة فقط بل ما يتراكم عليها من ضغوط اجتماعية في المواقف المتتالية اثناء حياة الرشد [1] .

وهكذا فبناء الشخصية ليس ثابتا بل متغيرا ، ولا تحدد تجارب الطفولة الشكل النهائي للشخصية ، بل ان التجارب اللاحقة تحور من شخصية الطفل ، وتصوغ صور الشخصية عند النضج والرشد . فهذه التجارب تندمج في الشخصية الاصلية ، وتظهر في اتجاهات العمل والتفكير والشعور ، كما ان اتجاهات الرأى العام وطبيعة النظام الاجتماعي لهما اثرهما في تغيير

---

(1) Kluckhoon Clyde: Mirror for man, op.cit., P. 185.

بنـاء الشخصيـة .

وقد قبل كليد كلاكهون الصورة البنائية الفرويدية فى الشخصية ، ولكنه حورها وعدلها لتتلائم مع نظريته الانثروبولوجية . فقد رفض رأى فرويد أن الهو مكمن السجايا اللامعقولة، والمقبولة ، وقبل رأى يونج فى الهو بأنه المنبع الخصب الذى يتدفق منه الحب والعبادة . كما انه مصدر التخيلات الخصبة فى القصص التى يهذبها المجتمع وينظمها . ومن ثم يرى كليد كلاكهون ان الهو يتكون من كل الطاقات الاساسية والعواطف والحاجات الفطرية المكونة للشخصية ويتقبل المجتمع بعض هذه الطاقات والعواطف والحاجات قبولا كاملا ، ويعبر عنها فى اشكال ثقافية مقبولة نحو موضوع ثقافى فى بيئة ثقافية فى زمن معين ، كما يستهجن بعض هذه الطاقات والعواطف وينبذها . وتكمن السجايا المستهجنة والمنبوذة للهو فى اللاشعور، وتظهر على صورة قلق أو ملل أو حسد أو انتكاس او اخفاق ، او قد تظهر فى عدة صور منها تلك الصور التى تحول دون تجانس الحاجات او تحقيقها .[1]

اما الذات او الانا ، فيرى كليد كلاكهون ان الانا يتحمل مسئولية تكامل ادوار الفرد والتخطيط لحياته [٢] . وان وظيفة الانا هى التحكم فى اشباع الحاجات بدون افراط أو تفريط لا كبتها . ويتشكل الانا فى مرحلة الطفولة ويعتبر بنية اساسية فى التنظيم الكلى للشخصية ، ويعتمد فى تكوينه على كيفية اشباع الحاجات، وطريقة معاملة الاباء والاقارب ، ويؤدى اشباع حاجات الطفل الى الطمانينة واشباع الحاجات الفسيولوجية الى نضج الذات ، ثم يكتسب الفرد الاحساس بذاته اثناء تعلمه لأدواره . فالاحساس بالذات يكتسب فى أثناء اطوار النضج ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية . ويؤدى احساس المرء بذاته الى ادراكه قيمة الدور الذى يؤديه . ويسيطر نسق الذات النامى على كل حاجات الفرد البيولوجية ويحكمها . بيد أن طبيعة نسق الذات لا تعتمد على فطرة الانسان وحدها بل تعتمد اساسا على الظروف الثقافية السائدة والتجارب اللاحقة .

اما العنصر الاخلاقى فى الشخصية او الانا الاعلى بمفهوم فرويد ، فيتكون اثناء عملية التنشئة الاجتماعية، اذ تدمج كل اشكال السلطة عند الوالدين والاجداد ورجال الدين والمدرسين اثناء عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة . وتمارس هذه الاشكال المدمجة قدرتها على الثواب والعقاب . ويؤدى التوحد مع انماط الثواب والعقاب الى تكوين جزء متميز فى

---

(١) Kluckhoon Clyde: Personality in nature, society and culture, op.cit., P. 24.
(٢) Kluckhoon Clyde: Ibid. P. 48.

الشخصية يعرف بالانا الاعلى [1] . ويرتبط تكوين الانا الاعلى باتجاه عاطفى يتمثل فى الحب والاحترام والخوف ، ويحمل هذا الانا الاعلى او الضمير ثقافة المجتمع الاخلاقية ، ويحد من انحرافات الشخص ، ويمارس الانا الاعلى وظيفته على الذات ، فهو يعاقب الذات على افعالها المنحرفة كما يكافئها اذا اقتضى الامر ذلك . ومن ثم فالحد من الانحراف لا يرجع الى الخوف من عقاب القوى الخارجية ، بقدر ما هو فزع من عدم رضا الانا الاعلى والشعور بالذنب .

ويرى كليد كلاكهون أن تصور الانا الاعلى يمدنا بالرباط الضرورى بين العادات والقوانين فى المجتمع ككل من جانب ، وبين تماثل انماط سلوك الاعضاء من جانب آخر . كما يتضمن الانا الاعلى لكل فرد نسقا من القيم ، وفى حدود هذا النسق يجوز للفرد ان يحكم على الآخرين ، وان يربى اولاده . ويؤكد كليد كلاكهون ان هذا العنصر اكثر عناصر الشخصية تأثرا بالام ، ويرجع الى الام الفضل فى تكوين الأنا الاعلى ، فهو اكثر عناصر الشخصية تأثرا باحكامها وقيمها [2] . وكذلك لطول الفترة التى يعتمد فيها الطفل على امه لاشباع حاجاته الفسيولوجية والعاطفية . كذلك فهذا الانا الاعلى صورة للثقافة السائدة التى تعكسها تصرفات الأم . بيد ان الأم ليست وحدها التى تؤثر فى الطفل ، فالاشخاص الذين يتفاعل معهم فى البداية يتركون آثارهم فى الانا الاعلى ، وهم ينقلون الميراث الثقافى الى شخصية الطفل ، اذ ان عملية النمو الفسيولوجى لا تسير منفصلة عن عملية النمو الاجتماعى للشخصية . فعمليتا النمو الاجتماعى والفسيولوجى تسيران جنبا الى جنب ، ويحتاج الانسان فى تكوين الشخصية ونموها الى عملية التعلم ، تلك العملية التى يفتقدها الحيوان .

واذا كانت علاقات الطفل باسرته فى ظاهرها مسألة شخصية داخلية ، فانها تشير فى الوقت نفسه الى علاقة الطفل بالمجتمع الكبير . وهذه العلاقة تحددها عادات الجماعة ، والانماط الثقافية التى يجسمها لدى الطفل هؤلاء الكبار . ويرى كليد كلاكهون ان معرفة الثقافة تقوم على معرفة الافراد الذين يكونون المجتمع أو يوجدون فى هذه الثقافة ، فمعرفة الافراد ضرورية لفهم المجتمع وادراك الكل الثقافى ، على ان اشكال الشخصية لن تعرف الا فى مواضعها فى الكل الثقافى او الكل الاجتماعى الذى أوجدها . وينبغى علينا ان ندرك اسباب التماثل فى الشخصيات واسباب الاختلاف بينها ، فالفرد لا يعيش منعزلا عن البيئة الاجتماعية او الثقافية التى ينتمى

---

(1) Kluckhoon Clyde: Ibid. P. 44.

(2) Kluckhoon Clyde: Ibid. P. 27.

اليها ، ولا يستطيع ان ينفصل عن دوره او مركزه في البناء الاجتماعي • فكل شخص حي هو أولا شخص اجتماعي ، وجزء متفاعل في نسق التفاعل • ومن ثم يرى كليد كلاكهون ان بنـــاء الشخصية يتباين من مجتمع لآخر ، ومن طبقة لأخرى [1] • ويفسر هذا التباين في بنية الشخصية نتيجة لاختلاف التكوين البيولوجي للفرد من جهة ، واختلاف اساليب التنشئة الاجتماعية ، والتجارب الاجتماعية في الموقف وكذلك اختلاف مفهوم الثقافة عند الاب والام •

بيد ان قبول كليد كلاكهون للعناصر البنائية الفرويدية لا يعني قبول المدرســة الانثروبولوجية كلها للعناصر الفرويديــة • فقد أرفض لنتون التنظيمات الفرويدية ، ووصفهــا بأنها مفاهيم لا يمكن ادراكها بسهولة ، ورأى أنه من الممكن تحليل محتويات الاشــكال المتكاملة الثابتة للشخصية الى الاستجابات التلقائية التي تشتمل عليها ، وتؤلف المجموعــة المنظمة للعادات التي ثبتت لدى الفرد الجزء الاكبر من الشخصية • وتضفي هذه المجموعــة على الشخصية شكلها وتحدد بناءها المستمر والمتغير ، وهذه العادات عناصر اجتماعية ذات أصل نفسي ، وهكذا فان كل شكل متكامل للشخصية ، يضم اشكال العادات والـــردود والاستجابات التي تحددها الثقافة ، كما تضم القدرات الفطرية والنفسية التي تختلف مــن شخص لآخر •

ويؤكد لنتون اهمية العلاقة بين شكل الشخصية وثقافة المجتمع الذي ينتمي اليـــه الفرد • فالثقافة تؤثر في الشخصية ، كما ان الشخصية تؤثر بدورها في الثقافة ، كذلك عناصــر الشخصيــــة مرآة للظروف الثقافية العامة السائدة • كما تستمد الثقافة كل خصائصهــا من الشخصيات الموجودة ، ومن ثم فاختلاف الشخصيات مرده الى اختلاف الثقافات والـــى الفروق الفسيولوجية بين الافراد • ويرفض لنتون الاتجاه الفرويدي الداعي الى ان الســلوك الانساني جبري تحدده الغرائز • فالعوامل الفطرية عند لنتون — مثل كل الانثروبولوجيـــون المعاصرون — تتداخل مع العوامل البيئية في تحديد مركز الفرد ، فالعوامل الفطرية وحدهــا لا تصلح لتفسير الكثير من الفروق الفردية بين الشخصيات بين مختلف الجماعات • ويــرى أن هذه الفروق ترجع الى البيئات التي ينشأ فيها الافراد ، اذ تتداخل النظم الاجتماعية والافراد والعوامل البيولوجية في تكوين الشخصية [2] • ويرى لنتون ان السلوك الانساني الذي يؤديــه

---

(1) Kluckhoon Clyde: Mirror for man, op.cit., P. 183.

(2) Linton Ralph: The Cultural background of personality, N.Y. Appliton century Grofts, 1945, P. 157.

الشخص داخل المحتوى الثقافي هو سبيلنا لمعرفة الشخصية وفهمها • فوظيفة الشخصية أن تجعل الفرد يؤدي اشكالا من السلوك يتقيد بها في الظروف التي تفرضها عليه البيئة • وليست انماط السلوك البشري استجابات لحاجات واحدة فحسب ، فمعظمها استجابات لطائفة من الحاجات ومن اهمها الحاجة الى الحصول على رضا الآخرين واستجاباتهم •

وينكر لنتون الاتجاه الاجتماعي البحت او الثقافي البحت في تفسير الشخصية وسلوكها ، فمن مكونات الشخصية امكانيات الفرد النفسية على اداء الفعل وقدراته الفطرية • وهما عاملان حاسمان في تكوين الشخصية ونموها ، على أن تأثيرهما يتكيف الى حد كبير بفعل عوامل البيئة والثقافة التي هي على جانب هام في تكوين الشخصية [1] • ويؤكد لنتون ان عناصر تكوين الشخصية ، هي الامكانيات الفطرية والعناصر البيئية تتخذ شكلا متكاملا عند الفرد • فالعنصر الاجتماعي ضروري لفهم السلوك ، وهو الذي ينتقل من جيل الى جيل ضمن التراث الاجتماعي والثقافي • وبدون العنصر الاجتماعي والعنصر النفسي لا تدوم المجتمعات الانسانية ولا تؤدي وظيفتها كوحدات متكاملة • ويستخلص لنتون من ذلك ان الشخصية شكل متكامل من ردود الفعل في مواقف معينة ، والتي يكتسبها بتفاعله المتبادل مع البيئة ، على ان الصفات الفطرية للفرد لها تأثير حاسم على نوع الخبرة التي يكتسبها من هذا التفاعل • وهكذا فان حادثة خاصة من حوادث البيئة قد تكسب الطفل القوي البنية خبرة قد تختلف تماما عن الخبرة التي يكتسبها الطفل الضعيف •

ولم يقتصر اهتمام الانثربولوجيين على دراسة اثر العناصر الثقافية في تكوين الشخصية ، أو تأكيد ان السلوك الانساني في الموقف ليس فطريا بحتا بل له بعد نفسي [2] وبعد ثقافي ، ويهدف الى تحقيق غرض ، وتأكيد ان تعبيرات الشخصية في المواقف المختلفة تعبيرات منظمة تنظمها ادراكات الشخص لنفسه ، وادراكات الآخرين للتكوين الثقافي • بل اهتم الانثربولوجيون بدراسة الشخصية التي تنشأ في وسط ثقافي معين • ونشأ اتجاه عرف باسم " الشخصية القومية " أو " الشخصية الاساسية " لتأكيد العلاقة بين الشخصية والثقافة ، وان الانماط الثقافية هي التي تشكل شخصياتنا ، ولا وجود لشيء فطري خالص داخل المجتمع • ويقصد بالشخصية القومية مجموعة الصفات الشائعة والسمات المميزة لجماعة من الناس كالشجاعة ،

---

(١) Linton Ralph: Ibid. P. 181.

(٢) Kluckhoon Clyde: Culture and behaviour, op.cit., P. 219.

والاخلاص ، والتسلب ، والقدرة ، والمهارة فى العمل ، وحب العمل ، والكرم ، والسماحة ، والبخل ، والكسل[1] ـ تعيش فى كل ثقافى متجانس .

وقبل ان نعرض لرأى الانثروبولوجيين فى الشخصية القومية نرى أن نعرض رأى ايريك فروم فى الطابع الاجتماعى للشخصية ، وهى دراسة ـ فى نظرنا ـ قريبة من آراء الانثروبولوجيين عن الشخصية القومية او الاساسية . يرى فروم ان الشخصية الاجتماعية أعم من الشخصية الفرديـــة . فالشخصية الفردية عند فروم تدور حول مجموعة من السمات التى يتصف بها الفرد ، والتى تتخذ لديه شكلا خاصا مميزا . تتكون هذه السمات الشخصية الفردية المميزة . اما الشخصية الاجتماعيـة فيرى فروم انها تتكون من مجموعة مختارة شائعة من هذه السمات ، وهذه السمات المختارة الشائعة بين افراد مجتمع ما ، هى النواة الاساسية لبناء الشخصية الاجتماعية ، او الشخصية الغالبـــة بين أعضاء المجتمع التى تتكون وتنمو نتيجة التجارب الاساسية التى يمارسها الفرد حسب طريقـــة الحياة السائدة فى المجتمع . ومن ثم فالشخصية الاجتماعية عند فروم هى اساس فهم العمليات الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وتتولد نتيجة التوافق الديناميكى للشخصية مع المطالـــب الاجتماعية ، وبتأثير المطالب الاجتماعية والاقتصادية تتشكل الطاقة الانسانية فى اشكال معينـة وتصبح حافزا للسلوك من أجل اداء المرء لادواره فى النسق الاجتماعى والثقافى[2] .

لكن هل الشخصية الاجتماعية عند ايريك فروم هى الشخصية الوحيدة السائدة فى البناء الاجتماعى ؟ ينفى فروم هذا الرأى . ويرى ان الشخصية الاجتماعية لا تعكس الظروف الاجتماعية السائدة فى البناء كله ، فالبناء الاجتماعى لا توجد فيه شخصية اجتماعية واحدة ، اذ ينقسم المجتمع الى طبقات وجماعات جزئية تعمل وتمارس نشاطها باساليب متميزة ، ومن ثم فلكل جماعة او طبقة شخصيتها الاجتماعية المتميزة التى تحدد ها اساليب التربية . ومن ثم فوظيفة الشخصيـــة الاجتماعية لطبقة ما ان تشكل الطاقة الحيوية لافراد هذه الطبقة تشكيلا كفيلا بأن يعكـــس معلوماتهم وأفكارهم ، وان يعبر سلوكهم عن حاجات الطبقة لمسايرة الانماط الثقافية بدلا من أن يكون تعبيرا عن حرية الشخص[3] . ويرى فروم ان قلب الشخصية الاجتماعية هو مجموعة المفاهيم والاهداف والسمات التى تعبر عن ثقافة المجتمع . وتتكون الشخصية الاجتماعية وتتشكل حسب طريقة

---

(١) Gorer, Goeffrey: The concept of National Character: Crammer, J.L. (ed.). New Science. Penguin Book. Vol. 18, 1954, PP.105-122.

(٢) Fromm Erick: The Fear of Freedom, op.cit., P.239.

(٣) Fromm Erick: The sane society, op.cit., P.59.

الحياة الموجودة فى المجتمع • وتعبر السمات السائدة المكونة للشخصية عن تأثير القوى الانتاجية فى تشكيل اسلوب الحياة الاجتماعية • ويتخذ فروم موقفا اقتصاديا عندما يؤكد ان العمل من العوامل الهامة فى تحديد الطابع الاجتماعى للشخصية بجانب الفلسفة والدين والسياسة ، وتحديد عناصرها البنائية واستقرار سلوكها • وليست الشخصية الاجتماعية ثابتة ، لكنها تتغير بتغير النظم الاجتماعية والبناء الاجتماعى • ويؤدى تغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية الى تغير الطابع الاجتماعى للشخصية ، اذ يولد التغير عند الاشخاص حاجات جديدة ومطالب جديدة وصور جديدة للقلق • واذا كانت الظروف الاجتماعية مستقرة انعكس ذلك على اداء الشخصية الاجتماعية ، واذا كانت الاوضاع الاجتماعية مفككة متصارعة فيما بينها أثر ذلك على اداء الشخصية لأنها اصبحت لا تتكيف مع الاوضاع الموجودة التى لا تشبع الحاجات الى الطمأنينة • واستنادا الى النظرية النفسية الاجتماعية ، قرر فروم ان الوالدين وأساليبهما فى التربية لهما اثرهما فى تشكيل الطابع الاجتماعى لشخصية الطفل •

اما الشخصية القومية فى الاتجاه الانثروبولوجى فيرى هونيجمان ان عملية التربية والتعلم ذات اهمية فى المحافظة على انماط الشخصية القومية ، واستمرار الشخصية القومية التى تنتقل من جيل الى جيل [1] • اما جوفرى جورر ، وهو من أهم الذين كتبوا فى الشخصية القومية ، فيرى ان دراسة بناء الشخصية القومية ، هى محاولات لعزل ووصف الدوافع المشتركة بين اعضاء الجماعة الواحدة ، التى يعبر عنها العادات والثقافة المشتركة عن دوافع الجماعات الاخرى • ولا تلاحظ هذه الدوافع المشتركة ابدا مباشرة فى الظروف الطبيعية ، لكنها تدرك من تحليل النتائج الفعلية للسلوك المتتابع ، فدراسة الشخصية القومية هى دراسة للشخص داخل البيئة الثقافية ، وليست مجرد دراسة للافراد المنعزلين • ومن ثم فبناء الشخصية القومية هو بناء العناصر الثقافية التى يشترك فيها اعضاء الثقافة الواحدة ، ويعبر عن التنظيمات الثانوية والجوانب الثقافية السائدة فى المجتمع ، مثل الفن والاساطير والادب الشعبى والدين • ويرى جورر ان دراسة الاساطير تعطينا المفتاح لفهم الشخصية القومية • ويرى كذلك أنه بالامكان تحديد معالم الشخصية القومية فى المجتمع الصغير الحجم ، لكن يصعب اجراء الدراسات التى تحدد معالم الشخصية القومية فى المجتمع الكبير ، فحجم المجتمع يتدخل الى حد كبير فى تحديد نوع السمات التى تكون الشخصية القومية ، وتسهل

---

(1) Honnigman, John: Culture and personality, op.cit., P.207.

لنا معرفة الشخصية القومية معرفة الصفات المشتركة والعادات المتماثلة والدوافع المتناسبة في المجتمع الصغير، بيد ان هذه الدراسة تفشل في المجتمع الكبير الحجم مثل مجتمعات الصين والهند وروسيا • كذلك لا جدوى من محاولة دراسة الشخصية القومية لدى المغتربين عن اوطانهم في المهجر • ويرد جوفرى جورر الاختلافات بين الشخصيات القومية الى الفروق في الشخصيات الفردية ، بيد أنه لا توجد سمات ودوافع تقتصر على مجتمع دون آخر، فالسمات مشتركة في معظم المجتمعات وبدرجات متفاوتة (1) •

اما كليد كلاكهون فيرى ان الانثروبولوجيين يهتمون بدراسة الشخصية القومية باعتبارها محاولة لتفسير تكامل الانماط الثقافية ، فالشخصية القومية تعبر عن نماذج السلوك السائدة وانعكاس أسلوب الحياة • والنظرة الى العالم عند افراد المجتمع • ومعنى ذلك أن الشخصية القومية هي ما تميز قوما عن قوم ، وجماعة عن جماعة ، وطبقة عن طبقة ، في فترة زمنية محددة (2) • ويؤيد كليد كلاكهون رأى جوفرى جورر بأن حجم المجتمع يؤثر في تحديد الشخصية القومية • فالشخصية القومية لا توجد الا بين جماعات الفلاحين والعمال وتضعف عند الجماعات المتحركة الصاعدة ، وفي المجتمعات المتغيرة • كذلك تضمر العناصر المميزة للشخصية القومية عند الجماعات ذات التطلعات الطبقية ، ولا وجود للشخصية القومية عند اولئك الذين يحتلون مكانة في اعلى السلم الاجتماعي •

ويؤكد رالف لنتون موقف الانثروبولوجيين من دراسة بناء الشخصية الاساسية ، ويرى ان افراد المجتمع الواحد يشتركون في مجموعة من الصفات والقدرات المكونة لعناصر الشخصية ، والاتفاق على اداء سلوك مشترك في مواقف واحدة ، كما يجمع الافراد قيما مشتركة ، وردود افعال متقاربة • ويرى أن معالم الشخصية الاساسية يحددها مجموعة من الافراد العاديين في المجتمع والذين يختلفون باختلاف المجتمعات نتيجة العوامل الوراثية (3) ويرد رالف لنتون اسباب اختلاف انماط الشخصية الاساسية الى اختلاف اساليب التربية من مجتمع لآخر، كما أن اتفاق اسلوب التربية في المجتمع الواحد يساعد على اشتراك مجموعة كبيرة من أبناء المجتمع الواحد في العناصر المكونة للشخصية •

(1) Gorer Geoffery: The concept of national character, op.cit. PP. 105-122.
(2) Kluckhoon Clyde: Culture and behaviour, op.cit.,P.210.
(3) Lintoh, Ralph: The cultural background of personality.N.Y. Appleton-Century, Crofts, 1945, P. 137.

ونستخلص من عرض آراء فروم فى الطابع الاجتماعى للشخصية وآراء اصحاب الاتجاه الانثروبولوجى فى الشخصية القومية ان صورة الشخصية القومية عند فروم لا تختلف كثيرا عن مفهوم الشخصية القومية عند الانثروبولوجيين ، وان اختلف المنبع والمغزى من أهمية الدراسة فى كلا المجالين . فالاهتمام بدراسة الشخصية القومية عند الانثروبولوجيين بدأ بين الحربين الأولى والثانية لدراسة الشعوب لا المجتمعات ، وفهم الحضارات والثقافات لاغراض سياسية وعسكرية ، وهى دراسات وصفية تقريرية حق عليها وصف موريس جينزبرج بأنها دراسات دعت اليها ظروف طارئة [1] . والشخصية القومية عند الانثروبولوجيين جامدة تعبر عن سلالات الانسان المختلفة ، ولا يؤمن الانثروبولوجى بتغير الشخصية القومية لأنها دائما محصلة اساليب التربية ، وتعتمد فى وجودها على الميراث الثقافى الذى قلما يتغير . اما الشخصية الاجتماعية عند فروم فمتغيرة تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة . ونرى ان اساليب التربية لا تمكننا من فهم الشخصية القومية ، فاساليب التربية تعلمنا فقط ان نفهم كيفية انتقال الثقافة من جيل الى جيل ، ذلك لأن الشخصية الاجتماعية متغيرة ، كما ان اساليب التنشئة الاجتماعية فى فترة الطفولة لا تكون لنا الشخصية القومية . ان ما يؤسس الشخصية القومية ليست عمليات التنشئة الاجتماعية المبكرة بل التجارب التى يمر بها الشخص فى مراحل النمو والمراهقة والرشد .

وقد اهتم علم الاجتماع المعاصر بدراسة مفهوم الشخصية الاساسية . ويعبر الكس انكلز عن موقف علم الاجتماع المعاصر ، فيرفض فكرة الشخصية القومية ، ويرى ان التغير الاجتماعى الذى يؤثر فى المجتمع الحديث وخاصة فى المجتمعات التى تتجه الى الصناعة يؤثر على عمليات التربية واساليبها ، ومن ثم يصعب على الابناء وراثة شخصيات آبائهم الاجتماعية ، أو يعبرون فى سلوكهم عن قيم متماثلة لقيم آبائهم ، اذ تخلق دوما انماطا جديدة لشخصيات المجتمع ، وبناء الشخصية الاساسية [2] .

وقد رفض كوهين يهودى الاتجاه الذى يدرس اثر الثقافات فى الفرد . ويرى أن الشخصية هى انعكاس للجانب الثقافى . ويرى ان بناء الشخصية الاساسية لا يرتبط بالثقافة بل يرتبط بالبناء الذى توجد فيه الشخصيات . فنمو الشخصية وأداؤها لانماط السلوك يرتبط ببناء

---

(1) Ginsberg Morris: Reason and unreason in society. Cambridge Harvard Univ. Press, 1948, P. 138, in Wepeman Joseph and Ralph W. Heine concept of personality, op.cit., P. 397.

(2) Inkles, Alex: Social change and social character. In Smelser Neil & Smelser William, Personality and Social system, op.cit., P. 359.

المجتمع ، فاحدهما لا يستغنى عن الآخر ، ونحن لا نعرف الشخصية الا فى حدود البناء الاجتماعى ، ولا ندرس البناء الا من خلال الشخصيات (1) .

ولكن ما موقف بارسونز من مفهوم الشخصية الاساسية ؟ لقد تبنى بارسونز مفهوم الشخصية الاساسية لكاردنير ، بيد انه صاغه فى اطار نظرية الفعل التى تؤكد ان السلوك محصلة انساق ثلاثة هى الشخصية والبناء الاجتماعى والثقافة . ويشير مفهوم الشخصية الاساسية عند بارسونز الى العناصر المكونة لبناء الشخصية العادية فى المجتمع ، ولا يشير الى بناء الشخصية الفريدة المميزة باعتبارها وحدة ملموسة محسوسة . وقد أكد بارسونز ان عملية التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يكتسب بها المرء فى طفولته عناصر الشخصية الاساسية . وهذه العناصر هى التى تكون لب الشخصية الاساسية هى المتغيرات النمطية التى تبدو فى توقعات الادوار وتوجيهات القيم التى تعمل الى حد كبير على بناء الادوار الاساسية والقيم السائدة فى البناء الاجتماعى ، كما تلعب هذه التوجيهات دورا اساسيا فى تحريف توقعات الادوار وبناء الشخصية .

وقد اوضح بارسونز ان الطابع الاجتماعى للشخصية الاساسية توضع دعائمه فى الطفولة الأولى ، فليست العناصر التى تكون الشخصية الاساسية عناصر فطرية جبليه ، بل هى عناصر اجتماعية . بيد أن هذه العناصر ليست صلبة او جامدة ، بل انها فى الوقت نفسه ليست طيعة مرنة يستطيع المرء ان يغيرها حسب ارادته ، لكنها تتنوع محتفظة بالسمات الاساسية للشخصية بتغير تجارب المرء . فاهم ما يميز العناصر المكونة لبناء الشخصية هو استقرارها النسبى . ورغم أن هذه العناصر المكونة لبناء الشخصية الاساسية عناصر مكتسبة ، ومحصلة عملية التوحد ، وتكون بناءا ثابتا مستقرا نسبيا ، فقد اوضح بارسونز ان بناء الشخصية لا يتغير من بناء لآخر فحسب ، بل اكد أن بناء الشخصية الاساسية ليس متماثلا عند جميع اعضاء البناء . فبنية الشخصية تتباين حسب الجنس وحسب المراكز المتباينة التى يشغلها اعضاء البناء فى النسق القرابى ، وبتأثير الاختلافات الطبقية والسلالية والبيئة المحلية . ويتضاءل هذا التباين بين اعضاء المراكز المتماثلة داخل البناء ، ويظهر بوضوح عند من يشغلون مراكز متباينة بالنسق للاسباب الاتية : اولا ، تباين بناء المتمضى من شخص لآخر . ثانيا ، تباين تأثير عمليات التنشئة على الاشخاص أعضاء النسق . ثالثا ، اختلاف التأثيرات الموقفية ونتائج تفاعل الادوار بين اعضاء النسق . ومع ذلك فبناء الشخصية الاساسية هو المظهر الوحيد لبناء

(1) Cohen Yehudi: Social structure and personality, N.Y. Holt. Rinhert & Winston 1961, P. 11.

الشخصية الكلى الواقعى ، وفى الوقت نفسه هو المظهر المميز لتوجيهات القيم .

واستنادا لهذه الاسباب اوضح بارسونز ان اعضاء البناء الواحد لا يتوحدون قيما متماثلة ، ولا يجمع بينهم توقعات للأدوار متطابقة ، لاختلاف المواقف ، وتباين قدرات الافراد على التوحد مع للموضوعات الثقافية . بيد أن تباين بناء الشخصية داخل البناء للذين يشغلون نفس المراكز بالبناء ليس مسألة صدفة ، فهذا التباين يقدم لنا التبريرات الاساسية لتحديد العلاقة بين البناء الاجتماعى والشخصية ، وتأكيد عملية التداخل .

وقد ارتفع بارسونز عن جميع العلماء الذين اهتموا بدراسة الشخصية الاساسية او القومية عندما بين ان تباين بناء الشخصية الاساسية بين اعضاء البناء يرتبط بالعمليات الدافعة ، فاختلاف بنية الشخصية الاساسية بالنسبة لبناء الادوار فى النسق الاجتماعى يقودنا الى عدم الاعتماد على هذا المفهوم لتفسير العمليات الدافعة الاساسية داخل النسق الاجتماعى(1) . اذ ان ما يحدد العمليات الدافعة ما يلى : أولا ، قدرة المرء على التوافق العقلى مع لزوميات الموقف . ثانيا ، اكتساب المرء لتوجيهات القيم . ثالثا ، اساليب الضبط الاجتماعى .

ونخلص من دراسة بناء الشخصية الاساسية عند بارسونز بأنها تعبر عن ارتباط المرء بنسيق من انساق الثقافة داخل البناء . وقد اتفق بارسونز مع الانثروبولوجيين عندما اكد ان الشخصية القومية شئ متعذر فى البناء المعقد واللامتجانس . بيد أن بارسونز قد تفوق على الانثروبولوجيين عندما أشار ان افراد البناء او الجماعة لا يستقطبهم جميعا المثال السائد عن الشخصية الاساسية ، فان بعض الافراد ينحرفون عن المثال ويتوحدون مع انماط الشخصية الاساسية من جنس أو طبقة اخـــــرى .

مما تقدم بعد عرض آراء الانثروبولوجيين لمفهوم الشخصية وعلاقاتها بالثقافة يتضح لنا ان الدراسات الانثروبولوجية اتفقت على النتائج الآتية : اولا ، اختلاف انماط الشخصية باختلاف الثقافات . ثانيا ، وجود اختلافات فردية مقبولة فى الشخصية نتيجة لاختلاف القدرات الفطرية . ثالثا ، ان الشخصية القومية قلما تتغير . رابعا ، اهمية اساليب التربية فى تكوين الشخصية حسب الانماط الثقافية السائدة . خامسا ، ان الكثير من أوجه الاختلاف فى الشخصيات ، وايضا الكثير من انماط الشخصيات تتكرر فى كل المجتمعات . سادسا ، أن الشخصية ذات أبعاد ثلاثة : بعد اجتماعى ، بعد نفسى ، وبعد فسيولوجى .

(1) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P230.

واستنادا الى وجهة النظر الرئيسية التي يدور حولها البحث نرى أنه يجب علينا أن نفرق بين موضوع الشخصية والثقافة ، وموضوع البناء الاجتماعي والشخصية ، رغم ان كليهما يحاول أن يحطم الحواجز العازلة بين الدراسات التي تهتم بالانسان . فالموضوع الأول يمثل الاهتمام بأثر الثقافة على الفرد ، والعلاقة بين الشخصية وبعض الاشكال الثقافية مثل الانماط الثقافية والافكار ، والنظرة الى العالم ، ونفسية الشعوب . ومن خلال دراسة الثقافة والشخصية يتسنى لنا اثبات مدى صدق او كذب بعض المفاهيم الفرويدية ، ويتبين لنا كيف أن بعض الثقافات الخاصة تشكل وتصوغ الصفات الانسانية . اما موضوع البناء الاجتماعي والشخصية فله مجال آخر اذ أن محور هذه الدراسات ما يلي : اولا ، بيان اثر تأثير النظم الاجتماعية على عملية التنشئة الاجتماعية للأولاد وعلى تطور الشخصية بوجه عام . ثانيا ، الاهتمام بدراسة عناصر الشخصية ومظاهرها التي تؤثر على الاداء الناجح للسلوك في النظم الاجتماعية المعينة . ثالثا ، تأثير النظم الاجتماعية على العمليات التي يقوم بها الشخص الراشد . ومن ثم فاتجاه البناء الاجتماعي والشخصية اتجاه يبحث في الاساليب البعيدة وراء السلوك . أما اتجاه الثقافة والشخصية فيبحث عن أثر الابعاد الثقافية في الشخصية [1] . والاتجاه الأول ، هو الاتجاه الذي أخذنا به ، ويسير عليه هذا البحث .

<u>وجهة نظر :</u>

بعد هذا العرض لبعض النظريات النفسية والاجتماعية في مفهوم الشخصية وبنائها ، يتبين لنا ان نظرية بارسونز هي اكمل النظريات لاعتبارها الشخصية نسقا نفسيا متميزا لا وجود حقيقي له بدون الثقافة والبناء ، فالشخصية نسق نفسي يتوحد مع العناصر الاجتماعية المكونة للبناء من أجل اداء الفعل . ويبدو لنا واضحا من عرض هذه النظريات أن ثمة مفاهيم شائعة بين هذه النظريات وان اختلفت طرق معالجتها ، واخرى متباينة . ونجد أن ثمة اختلاف وعدم اتفاق بين الباحثين في علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس ، وأنهم اخفقوا في التوصل الى تعاريف موحدة محكمة عن الشخصية وبنائها .

فمن جهة نرى ان فرويد قسم الشخصية تقسيما طبوغرافيا يتكون من الأنا والانا الاعلى والهو . وهذا التقسيم لبناء الشخصية رفضه جميع علماء النفس والاجتماع عدا بارسونز وكليد كلاكهون ، وان اختلفا مع فرويد في نوعية محتويات هذه العناصر الثلاثة . وقد اختلف علماء الاجتماع وعلماء

(1) Cohen Yehudi: Social structure and personality, op.cit., P. 3.

النفس مع فرويد فى تفسير منبع الضمير وكذلك مكوناته . واذا كان فرويد قد أقام فكرة الضمير على اساس احساس بالرغبة والخوف من الأب حلا للصراع الاوديبى ، واعتبر الاب الدعامة التى يرتكز عليها ضمير الابن ، وأقام الضمير على اساس توحد الطفل مع المعايير الاخلاقية وحدها ويسعى هذا الضمير الى انكار اللذة ويبنى تحقيق الطاعة العمياء للصورة الابوية المتوحدة ، فان المدارس الاجتماعية والنفسية لم تسلم برأى فرويد أن الضمير يتكون على شاكلة ضمير الأب وحده . ويرى سيلفيان أن الضمير ينشأ على مثال الأم . اذ يتكون ضمير الطفل على غرار مبادئ الأم والمربية . كذلك هناك مجموعة سلطات اخرى غير سلطة الابوين تدعم الضمير وتعمل على تكوينه مثل المدرسة ، والجماعة الدينية . أما فروم فوقف موقفا وسطا بين فرويد وسيلفيان ، فيرى أن الضمير يتكون على شاكلة ضميرى الاب والأم ، ولا يوجد ضمير واحد للفرد ، فهو يمتلك مجموعة انات عليا ، تمارس نشاطها فى مجالات متعددة . ويشارك بارسونز فروم فى الرأى ، أن الفرد يمتلك مجموعة من الضمائر تنشأ رد فعل ضد السلطة الابوية . اما عن مكونات الضمير فقد رفض كثيرون ومنهم فروم وسيلفيان وبارسونز تحديد مكونات الضمير على العناصر الاخلاقية وحدها . فتكوين الضمير لا يقتصر على العناصر الاخلاقية وحدها بل يتضمن العناصر الثقافية والاجتماعية والاخلاقية . وقد اختلف النفسيون والاجتماعيون فى تحديد طبيعة الضمير . فيرى فرويد ان الضمير هو العنصر الاجتماعى الوحيد فى بناء الشخصية ، فى مقابل فرويد نجد دوركيم يعتبر العناصر الاخلاقية عناصر عقلية تعكس العقل الجمعى . اما شارلس كولى فيرى أن الضمير هو محصلة التنظيم النفسى للمجتمع . ونجد بارسونز يرفض وجود عنصر نفسى متميز فى تكوين الشخصية ، أو عنصر اجتماعى متميز عن العناصر الأخرى ، فكل العناصر المكونة للشخصية تتداخل فى تكوينها عناصر اجتماعية وثقافية ، وتفسير بارسونز للضمير هو التفسير الذى نقبله ونتمسك به .

ولقد بين فرويد أن الشخصية تنظيم حقيقى يتضمن مجموعة من الدوافع الليبيدية والغرائز الجنسية تدفع المرء الى أداء افعال معينة . وقد رفض الاتجاه الفرويدى الجديد والاجتماعيون تفسير الحياة الانسانية فى حدود الدوافع الليبيدية والغرائز الجنسية ، ولكنهم سلموا فيما عدا دوركيم بتداخل العناصر البيولوجية فى تكوين الشخصية ، اذ من المستحيل أن ننكر تأثير الدوافع البيولوجية فى تكوين بناء الشخصية . وقد أكدت الاتجاهات المختلفة أهمية العناصر الاجتماعية والنفسية والبيولوجية فى تكوين بناء الشخصية ، وان اختلفت درجة تأكيد أهمية هذه العناصر من مدرسة الى أخرى . ويرى كثيرون من شارحى سيلفيان أن

ديناميه الذات عنده تشبه الهو الفرويدى ، كذلك قبل كليد كلاكهون وبارسونز مبدأ وجود العنصر البيولوجى فى تحديد الشخصية ، الا أن بارسونز تميز عن الجميع عندما ميز بين الانا كجسد والانا كشخصية والانا كفاعل . وقد رفض بارسونز اعتبار الجسد منبعا للدوافع ، فالدوافع الى الفعل هى العناصر الاجتماعية والثقافية المتوحدة بالشخصية . وقد اتفق معظم الاجتماعيين والنفسيين على وجود العنصر البيولوجى ، واهميته فى تكوين الشخصية معارضين فى ذلك رأى دوركيم ، أن ما ليس اجتماعى فهو بيولوجى ، ويقع خارج نطاق بحث علم الاجتماع . ونحن لا ننكر أهمية العنصر البيولوجى ، فى تكوين الشخصية ، فهو الاطار الذى يحدد شكلها . أما مضمون الشخصية فهو العناصر الاجتماعية والثقافية .

وقد رفض الاتجاه الفرويدى اللالبيدى فى علم النفس التحليلى ، كذلك الاتجاه الاجتماعى عند دوركيم وكولى المفهوم الفرويدى للانا ، لأن الانا الفرويدى يفتقد الطاقة الذاتية ، وأحيوا من جديد فكرة الذات . ولكن الجميع عالجوها معالجة تتناسب مع اتجاه الدراسة . ونرى من معالجة مفهوم الذات عند سيلفيان وكولى ودوركيم وفروم ان هذا المفهوم يختلف عن مفهوم فرويد للانا اختلافا اساسيا . ويرى سيلفيان ان الذات الشخصية المتميزة وهم . والذات تتكون بفعل التربية وتتأثر بالظروف الثقافية ، وتتشكل بتأثير الأم على الابن ابتداء من فترة الرضاعة . فالأم الرؤم الحنون يختلف تأثيرها على ذات الابن عن الأم القاسية . أما فروم فيرى ان الاحساس بالذات ينمو من نمو دور الانسان الاجتماعى والاقتصادى ، وليس من دوره كانسان منتج محب . ويتولد الاحساس بالذات من احساس الفرد بالانتماء الى الآخرين وليس لأنه شئ ما . فشدة انتماء الفرد الى الآخرين يزيد من شدة احساس الشخص بذاته ، ويتأثر هذا الاحساس بالظروف الاجتماعية والنفسية .

ويعاب على المدرسة الفرويدية الحديثة التى انكرت النزعة الليبيدية والدوافع اللاشعورية والتى حاولت ان تضيف أبعادا اجتماعية الى الشخصية ، انها تعجز عن فهم البناء الاجتماعى فهما واضحا ، هذا البناء الذى يضع مجموعة من الظروف والتى تؤدى الى ممارسة المرء لنشاطه فى الموقف . فالابنية الاجتماعية هى آثار انسانية تنم عن رد الفعل النفسى والافراد الذين يكونون هذه الأبنية . وليست هذه الأبنية مستقلة عن الافراد الذين يكونونها . كذلك اخفق هؤلاء عن فهم العلاقة المتبادلة بين البناء الاجتماعى والشخصية ، وكيفية التفاعل بين الفرد والمجتمع .

والاتجاه الاجتماعى فى التحليل النفسى رغم تأكيده لأهمية التأثيرات الاجتماعية فى تشكيل الشخصية ، فهو يميل الى تأكيد الفرد ، كما يعبر عنه النشاط داخل النظام الذى يؤثر فيــه . وهذا الاتجاه فى الدراسة اتجاه نفسى اكثر منه اتجاه اجتماعى ، كما ان العوامل الثقافية والاقتصادية لا تعمل مستقلة عن العوامل النفسية . والتى لها المرتبة الأولى عند أصحــاب هذه المدرسة . ونرى ان كل المشتغلين بالتحليل النفسى مالوا لتفسير الاتجاهات الاجتماعية فى حدود الدوافع النفسية والبيولوجية للفرد ، واقتصر بعضهم فى دراسته على بيان تأثير الثقافة على الفرد ، ولكن تقييمهم للبناء الاجتماعى ظل محدودا ، ورغم ذلك فهذه النظريات قــد ساهمت فى افراد مكان لعلم النفس فى مجال العلوم الاجتماعية عندما أعطت الشخصية بعــدا اجتماعيا بجانب الشىء الفطرى فى الطبيعة الانسانية .

ورغم ان كولى اقرب الى الاتجاه النفسى من المدرسة الاجتماعية عندما اكد ان الافكــار الشخصية هى التى تكون الشخصية والمجتمع ، فنحن نرى تقاربا بينه وبين دوركيم عندما عبر عـــن رأى دوركيم ، وأكد ان المجتمع يوجد فى عقول الافراد من خلال الافكار التى يكونونها عـــن الآخرين ، وأن المجتمع كل عضوى .

ويتضح لنا من العرض السابق ان الاتجاه الاجتماعى يخفض من شأن الفرد ، ويسلبــه قدراته ويلغى قيمة الدوافع الفردية ، بينما يعلى من قيمة الانظمة الاجتماعية ويعطيها حق القهر والالزام ، اما الاتجاه النفسى الفرويدى فيعلى من قيمة الفرد ويطلق العنان للدوافــع الفردية فى توجيه السلوك ، ويسلب المجتمع قيمته . اما المدرسة المعاصرة فى علم الاجتماع ، عند بارسونز وتلاميذه ، فكانت أكثر قربا الى الواقع . وقد رفضت اعتبار الشخصية تصورا اجتماعيــا بحتا يحمل صفات الظواهر الاجتماعية ، كما رفضت اعتبار الشخصية تنظيما يوجد منعزلا ، واعتبرت الشخصية نسقا نفسيا يوجد اثناء علاقة التفاعل مع البناء الاجتماعى ، ولا يوجد احدهما مستقلا عن الآخر . وترى المدرسة البارسونية انه من الصالح أن نوفق بين حاجات الفــرد ومطالب المجتمع ، وان نربط بين الشخصية والبناء الاجتماعى ، وان نؤكد التفاعل بينهما فــى الموقف بالاضافة الى الثقافة لتحديد الفعل . وهذا التفاعل بين الشخصية والبناء لا يؤدى الى ذوبان العناصر الاجتماعية فى الشخصية ، أو فناء الشخصية داخل البناء الاجتماعى ، بــل الشخصية نسق له درجة عالية من الاستقلال فى مواجهة البناء الاجتماعى داخل الموقف ، ولا يتحقق وجود شخصية الا بوجود البناء الاجتماعى ، ولن يتحقق وجود البناء الا بوجود الشخصية ،

وتبين لنا دراسة بارسونز ان تأثير فرويد لم يكن خافيا على افكاره ، فهو قد أخذ المفاهيم الفرويدية ، واعطاها تفسيرا اجتماعيا ، وحاول أن يركب بين آراء فرويد ودوركيم واستخلص نظرية جديدة لعلم الاجتماع توفق بين آراء الاثنين ، لا تختزل علم الاجتماع فى علم النفس ، ولا تـرد علم النفس الى علم الاجتماع . فقد أكد بارسونز اصالته فى علم الاجتماع المعاصر عندما ربط بين الشخصية والبناء الاجتماعى ، وبين ان العناصر المدمجة فى بناء الشخصية تعكس البنـاء الاجتماعى ، وان هذه العناصر المتوحدة مع الشخصية هى الدافع الى اداء الفعل فى الموقف .

وقد أكد بارسونز أهمية الحب والطمأنينة لاكتساب العناصر الاجتماعية وادماجها فى الشخصية ، واعتبر الحب والطمأنينة شرطين لتوحد الشخص مع المجتمع ، ولنمو الشخصية نفسيا واجتماعيا . وهذا ما أغفله رجال علم النفس وعلم الاجتماع . فالنفسيون اهتموا بالحب كشرط للنمو النفسى ، وبينوا ان فقدان الحب يؤدى الى انفصام العلاقة بين الأنا والانا الأعلى . ولكنهم عموا عن فهم أهمية الحب والطمأنينة كشرطين لاكتساب العناصر الاجتماعية المكونة لبنـاء الشخصية . كذلك فالاجتماعيون عجزوا عن فهم أهمية الحب باعتباره الرافع الذى يرفع المرء من المستوى البيولوجى الى المستوى الاجتماعى ، باعتباره عاملا لتأكيد النمو النفسى واستقرار سلوك الشخصية وتماسك ابعادها . ولكن يعاب على بارسونز رغم اهتمامه بتأكيد أهمية الحب انه اغفـل تحليل القدرات العقلية وصلتها بتطور بناء الشخصية داخل الموقف ، تلك القدرات التى اعتبرها دوركيم شرطا لاكتساب العناصر الاجتماعية .

ولقد أكد بارسونز أهمية التفاعل فى الموقف فى تكوين الشخصية ونموها متميزا فى ذلك عن فرويد ، الذى جهل قيمة عملية التفاعل فى التأثير على نمو الشخصية وتكوين عناصرها ، بل ان فرويد لم يستعمل اصطلاح " التفاعل" اطلاقا . والتفاعل فى الموقف عملية ضرورية ومستمرة بين الكائـن الحى والجماعة منذ لحظة الميلاد . ويساهم التفاعل مع الآخرين على توحد المرء مع العناصـر الاجتماعية المكونة لبناء الشخصية ، فلا يوجد مخلوق يمكنه ان يتخلص من تأثير عملية التفاعل فـى الموقف . فقد بين بارسونز ان الموقف الذى يتم فيه التفاعل ليس وقتيا كما يرى بعض رجال علـم النفس ، وليس مجرد علاقات شخصية متبادلة ، بل الموقف هو الاطار الذى يحدث فيه الفعل . وهذا الموقف تنظمه العناصر الثقافية المتفق عليها . وقد اوضح بارسونز اهمية التفاعل بين الشخصيـة والبناء الاجتماعى والثقافة فى الموقف لتحديد الفعل . وبين أن البناء الاجتماعى الذى يعيش فيـه الفرد لا يلغى شخصيته المميزة ، ويمكن للانسان أن يكون شخصيته ، وان تصير الشخصية نسـقا لها تكوين مميز فى الموقف . وقد اكد بارسونز حرية الشخصية فى التوحد مع بعض العناصـر

الاجتماعية بما يتفق وقدراتها العقلية، أو رفض التوحد بها . فالانسان لا يطبع اجتماعيا لكى يصير اشبه بسن الآلة الضخمة ، ولا تسير سلوكه الغرائز الجنسية ، ومن فليست العناصر المكونة لبناء الشخصيات متماثلة عند جميع الافراد ، ويرجع ذلك الى تباين التكوينات الداخلية فى شخصية كل فرد ، والى اختلاف التجارب التى يمارسها الافراد فى المواقف . فالشخصية عند بارسونز هى محصلة تفاعل التكوين النفسى والبيولوجى للفرد مع العناصر الاجتماعية المتوحد معها ، والسلوك الناتج عن الشخص هو محصلة هذه التكوينات الثلاثة .

وتتفق جميع المدارس النفسية والاجتماعية عدا دوركيم على تأكيد اهمية الاسرة فى تكوين بناء الشخصية ، وتطبعها بالطابع الاجتماعى . اما دوركيم فارجع الى المدرسة اهمية تكوين العناصر الاجتماعية للشخصية ، وتكوين طابعها القومى . وقد وفق بارسونز بين دوركيم ورجال علم النفس فأكد اهمية مشاركة الطفل مع افراد الاسرة باعتبارها نسقا اجتماعيا . وهذه المشاركة تبدأ منذ الميلاد لتكوين الابعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للشخصية . كذلك أكد اهمية المدرسة وجماعات الرفاق والجماعات المهنية فى اثراء الشخصية بالقيم وتوقعات الادوار وأنماط السلوك . فعملية بناء الشخصية ليست محدودة بطور الطفولة الاولى كما يرى فرويد ، ولا يبدأ تكوين العناصر الاجتماعية بطور الطفولة المتأخرة كما يرى دوركيم ، بل عملية تكوين عناصر بناء الشخصية عملية مستمرة تساهم فيها الاسرة والمدرسة وجماعات الرفاق .

ومن ثم فنحن نرفض وجهة النظر التى تحاول ان تفسر الشخصية نتيجة اسباب بيولوجية بحتة أو نفسية ، وتهمل الظروف الاجتماعية وتنكر الثقافة . فالثقافة لها اثرها فى تحديد اساليب التربية ، وتحديد قيم الوالدين ازاء الابناء . فمن الخطأ ان نحلل علاقة الفرد بالبيئة من وجهة نظر الفرد وحده ، او من وجهة نظر المجتمع وحده . فنحن لا نتفق مع المدرسة الدوركيمية التى ترى الشخصية ظاهرة اجتماعية وتهمل العوامل النفسية ، كأحد العوامل الدينامية فى العملية الاجتماعية ، وتحديد السلوك الاجتماعى ، وضد دوركيم الذى يحاول ان يبعد الموضوعات النفسية عن علم الاجتماع . ونرى ان الشخصية نسق نفسى يتضمن عناصر اجتماعية ، ولا تدرك الا فى مواقف التفاعل ، وتساهم مع النسق الاجتماعى والثقافة فى تحديد الفعل الانسانى . وهى موضوع فى الدراسة لا يقتصر على علم النفس وحده ، بل موضوع مشترك بين علم النفس وعلم الاجتماع ، لأن الشخصية تحمل الكثير من طابع المجتمع وتساهم فى تشكيل السلوك الانسانى ، وهى لا تدرك منفصلة عن البناء ، بل هى فى تفاعل وتداخل مع البناء الاجتماعى وهذا التفاعل والتداخل بين الشخصية والبناء والثقافة ، هو ما يحدد السلوك فى الموقف .

الفصل الثانـــــى

نمو الشخصيـة تغيــير الســـــــلوك

تمو الشخصية تغيير للسلوك

يخرج الكائن الحى المولود الى العالم وحدة بيولوجية ، حاملا معه عنصرا واحدا من مكونات الشخصية وهو العنصر البيولوجى . ويبدأ المجتمع من الميلاد فى التأثير على العنصر البيولوجى لتحويل المولود من كائن حى الى كائن اجتماعى . وتبدأ الشخصية فى النمو كنسق ، نتيجة تفاعل الكائن الحى مع البيئة الاجتماعية والثقافية . ومن ثم فعملية نمو الشخصية ونضجها ليست عملية فسيولوجية بحتة ، بل محصلة عمليات تفاعل متعددة متداخلة ، ترتبط بالنمو الفسيولوجى والضغوط التى تمارسها النظم الاجتماعية والاقتصادية ، والتوافق النفسى ، وقدرات الشخص على التحصيل ، وتجاربه السلوكية . تتداخل كل هذه العمليات وتساعد على تحقيق النمو الاجتماعى والنفسى للشخصية . ويصف هنرى ماير عملية نمو الشخصية بأنها تعبير عن تتابع اطوار نمو الشخصية من الطفولة الى الرشد فالشيخوخة ، ومن ثم فهى تطور ديناميكى[1] . والنمو اصطلاح استعارته العلوم الاجتماعية والنفسية من علم الأحياء ، ويدل على الزيادة الملحوظة والطبيعية فى بناء وحجم الكائن الحى فى فترة زمنية محددة ، أما مدلول هذا الاصطلاح عند الاجتماعيين والنفسيين فيدل على الأطوار أو الخطوات أو المراحل المتعاقبة التى تجتازها شخصية الفرد من الطفولة الى الرشد . فالنمو يعنى النضج النفسى والاجتماعى نحو الرشد[2] ، وبيان ما تكتسبه الشخصية فى كل طور من اطوار النمو من قيم وادوار ومراكز وعلاقات اجتماعية جديدة .

ونحن نعرض فى هذا الفصل بعض الآراء المختلفة فى نمو الشخصية عند بعض اصحاب النظريات النفسية والاجتماعية ، باعتبار ان هذا الفصل يكمل الفصل السابق ، اذ ان كل نظرية فى الشخصية تبحث بطريقة مباشرة عن جواب للاسئلة الآتية : اولا ، ما مكونات الشخصية ؟ وما اثر هذه المكونات على السلوك الانسانى ؟ ثانيا ، ما مراحل نمو الشخصية ؟ وما دعامة هذا النمو ؟ ثالثا ، لماذا يتجه المرء الى سلوك معين ويرفض الاتجاه الى سلوك آخر ؟ . ونحن نهتم بدراسة نمو الشخصية لسببين أولهما : ان عملية النمو عملية تغيير للسلوك من طور لآخر ، ولا يعنيها تتابع العمر الزمنى ، فالعمر الزمنى يعبر عن مظهر واحد من مظاهر النمو ، هو النمو الفسيولوجى بيد أن النمو الفسيولوجى ليس هو العامل الوحيد فى تحديد اسباب اختلاف الادوار والمراكز والعلاقات الاجتماعية المتغيرة من طور لطور ، بل يرجع الاختلاف فى تحصيل الادوار والمراكز

---

(1) Meier, Henry W.: Three theories of child development, N.Y. Harper & Row 1965, P. 5.

(2) Meier, Henry W.: Ibid., P. 3.

واكتساب القيم الى عوامل اجتماعية ، كما ان هذا الاختلاف يتباين من مجتمع لآخر لاسباب ثقافية تميز المجتمعات بعضها عن بعض ، ويفسر هذا التباين خلال المراكز وأداء انماط السلوك المرتبطة بأدوار معينة ، واتساع نطاق العلاقات من طور لطور فى حدود القيم الاجتماعية لا العوامل الفسيولوجية التى ترتبط بالشخص • فتأثير السن الزمنى على السلوك لا يرتبط بالعوامل الفسيولوجية وحدها ، بل يرتبط بعوامل وراثية واجتماعية ونفسية • والسبب الثانى أن شخصية الانسان تتأثر منذ الميلاد بالبيئة الاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها المرء • فالفرد محاط منذ الميلاد بمجموعة من القيم والمعايير التى تمارس تأثيرها على المخلوق الحى من المهد الى اللحد ، كما تمارس تأثيرها كذلك على اعضاء اسرته ، فيتوقع الطفل منهم انماطا معينة من السلوك تتغير كلما نما الطفل ، كما يتوقع منه أعضاء اسرته سلوكا معينا كلما كبر فى السن ، فاهتماما بدراسة عملية نمو الشخصية محاولة لدراسة السلوك الاجتماعى للانسان فى مراحل الحياة المتتابعة [1] ، وبيان اسباب سلوك الانسان سلوكا معينا يقبله المجتمع ، وكيف يحقق المرء من اداء هذا السلوك توافقا بين رضا الجماعة واشباع حاجاته ، وذلك فى طور معين من اطوار النمو ، بينما يشعر بعدم التوافق النفسى والاجتماعى لو سلك سلوكا آخر فى نفس الطور من العمر ، كذلك تفسير اسباب تغير السلوك فى كل طور من اطوار النمو ، وفى مواقف التفاعل المتعاقبة فى دورات الحياة ، وكيف يقيم سلوك معين كسلوك مقبول فى طور معين من اطوار النمو ، بينما يقيم نفس السلوك كسلوك شاذ فى طور آخر او موقف آخر ، ذلك لأن النشاط الاجتماعى للانسان والسلوك فى الموقف يحددهما النمو الاجتماعى والنفسى للشخصية ، كما أن هناك مجموعة من القيم وتوقعات الادوار المميزة لكل جماعة من جماعات العمر ، وايضا مجموعة من الحقوق والواجبات ترتبط بكل طور من اطوار الحياة •

وقد قدمت مدرسة التحليل النفسى عند فرويد أول دراسة علمية عن نمو الشخصية الانسانية ، وصنفت نمو الشخصية فى اطوار متباينة تعتمد على دعائم فسيولوجية ، كما أكدت ان عملية النمو عملية نفسية توضع دعامتها فى فترة الطفولة • وترجع اهمية نظرية فرويد فى نمو الشخصية الى أن كل نظريات نمو الشخصية قد انبثقت منها رد فعل لآرائها فى عملية النمو • بيد أن آراء فرويد لم يقبلها انصار الفرويدية الجديدة • فقد رفض سيلفيان اطوار النمو الفرويدية ، والدعامات التى يرتكز عليها فرويد فى تصنيفه لمراحل النمو ، ونادى بتقسيم جديد يعتمد على مراحل العمر

(1) Dewey Richard: An introduction to social psychology. By Richard Dewey and W.J. Humber. 2nd printing, N.Y. Mcmillan 1967, P. 441.

الزمنى ، كما اهتم سيلفيان باطوار الطفولة والصبا والمراهقة • كذلك رفض انتونى ستور وهو من المشتغلين بالتحليل النفسى التفسير الفرويدى فى نمو الشخصية ، وبين أن عملية نمو الشخصية عملية مستمرة لا تكتمل ابدا (١) •

ولقد اغفلت الاتجاهات النفسية كلها ارتباط نمو الشخصية بالانساق الاجتماعية ، وأن عملية النمو عملية تحول من نسق بسيط الى نسق مركب ، نتيجة تراكم العناصر الاجتماعية المكونة لبناء الشخصية لاتساع مجالات التفاعل الاجتماعى ، ونتيجة لتراكم العلاقات الاجتماعية التى يرتبط بها الشخص • ومن جهة اخرى فقد عرض دوركيم فى كتابه " التربية الاخلاقية " لاطوار نمو شخصية الطفل ، واهتم بعمليات التربية الأخلاقية والهيئات الاجتماعية التى تتولى تشكيل الشخصية • وبين دوركيم أن الشخصية الاجتماعية مرآة للمواقف الاجتماعية فى زمن معين • ويعيب على الاتجاه الدوركيمى هذا عجزه عن ادراك ان عملية نمو الشخصية نتاج التفاعل الاجتماعى المستمر بين الكائن الحى والبيئة الاجتماعية والثقافية • وانها محصلة ادماج العناصر الاجتماعية والثقافية فى الشخصية ، كما أغفل دراسة الشخص والعمليات النفسية ، كما غاب عنه دراسة الدوافع الانسانية وراء السلوك • وقد نشأ هذا القصور فى الاتجاه الدوركيمى نتيجة الاهتمام بدراسة المجتمع ، واغفال دراسة الفرد •

اما الاتجاه المعاصر فى علم الاجتماع عند بارسونز فقد وجد فى موضوع عملية نمو الشخصية مجالا لربط الانساق الاجتماعية للبناء بالشخصية ، اى مجال دراسة تقرب بين التحليل النفسى وعلم الاجتماع • وقد بين بارسونز ان نمو الشخصية مظهر من مظاهر اتساع العلاقات اثناء التفاعل الاجتماعى وتراكبها ، كما انه مظهر لتراكم العناصر الاجتماعية المكونة لبناء الشخصية • وفى هذا الصدد يرى بارسونز ان نمو الشخصية كنسق يخضع لظروف ومثيرات تتخذ شكل بناء علاقات تفاعل اجتماعية ، وتتغير بتتابع الزمن ، فعمليات التعلم تشكل حسبما تمليه الظروف التى تفرضها الجماعة التى يتفاعل معها الفرد • وهكذا يرى بارسونز بحق ان نمو الشخصية الانسانية يعتمد على تجارب التفاعلات الانسانية فى مختلف اطوار النمو ومختلف التجارب (٢) •

وسنحاول الآن ان نعرض موقف نظريات التحليل النفسى عند فرويد وسيلفيان فى نمو الشخصية ، كذلك موقف الاتجاه الاجتماعى عند دوركيم وشارلز كولى وغيرهما ، مع بيان أوجه

---

(١) Storr Anthony: The integrity of the personality, Penguin Book 1964, P. 49.

(٢) Parsons, Talcott: Psychology and sociology. In Gillin John For a sdience of social man, op.cit., P. 85.

الاختلاف فى هذه النظريات ، واوجه القصور فى كل منها ، ثم نعرض اخيرا للاتجاه التكاملى عند بارسونز الذى يحاول أن يوفق بين آراء فرويد ودوركيم ، ورأى ان دراسة نمو الشخصية مجال خصب يحقق التكامل بين البناء الاجتماعى والشخصية .

اولا : نظرية التحليل النفسى

سيجموند فرويد

يرى فرويد ان السنوات الخمس الأولى سنوات حاسمة واساسية فى التكوين النهائى للشخصية الانسانية ، وان النمط السلوكى الذى يربى عليه الطفل فى السنوات الأولى من الحياة له اكبر الاثر فى تحديد نمو الشخصية فى الاطوار اللاحقة ، بل يرجع فرويد جميع الاضطرابات النفسية فى مراحل الرشد الى ضروب التثبيت فى مراحل الطفولة الاولى ، فالطفولة قادرة على تقبل كافة الانطباعات والتأثيرات الخارجية واسترجاعها فى مراحل البلوغ والرشد .

وقد رأى فرويد أن عملية نمو الشخصية عملية نمو نفسى بيولوجى ، تتم على مرحلتين . تبدأ الاولى من عملية التوحد مع الأم التى تبدأ من الايام الأولى للميلاد ، اما الثانية وهى عملية التوحد مع الأب فتساعد على تكوين الانا الاعلى الذى تتجسم فيه القيم الاخلاقية ، ويؤدى العجز عن التوحد مع الأب ، وعدم توزيع الطاقة النفسية فى الطور الأوديبى الى تأخير النمو النفسى للشخصية .

ولقد صنف فرويد طويرات النمو فى الطفولة الاولى الى ثلاثة ، وربط كل طوير بجزء معين من الجسم ، يكون موضع شهواته ولذاته ، وقد اشار فرويد الى ان اهمية هذه الطويرات لا ترجع الى اهتمام الطفل باجزاء معينة من الجسم فقط ، بل الى الخبرات التى ترتبط بهذا الجزء من الجسم ، وتصبح هذه الخبرات هى الوسيلة الى الاشباع والاحباط فى سنوات حياته التالية ، فأوجه النشاط التى يمارسها الطفل فى طويرات الطفولة — ونقصد بها كيفية ابتلاع الطعام ، أو كيفية الاخراج ، او كيفية تحقيق الرغبة فى اللعب بالاعضاء التناسلية والتعرف عليها — هى الدعائم التى تبنى عليها كل علاقات الطفل المقبلة مع غيره من الناس ، وتحدد سلوكه وتوافقه مع نفسه ، فكل الخبرات التى يكتسبها الطفل فى السنوات الأولى من الحياة ، وما يصاحبها من مواقف الآباء والامهات تطبع سلوك الطفل بطابع خاص ، تثبت عليه ، ويظل باقيا الى مراحل العمر المتأخرة . ويرى فرويد أنه لا توجد فترة زمنية محددة لتحول الطفل من خبرة الى خبرة ، كما انه لا توجد حدود فاصلة بين طوير وطوير ، وليس من المحتم ان ينتقل الطفل

من الطوير الأول الى الثاني الى الثالث ، ومن الممكن ان يثبت السلوك عند الطوير الفمى أو الطوير الاستى ، ولا تندثر الخبرات المرتبطة بكل طوير من حياة الشخص ، بل تطبع سلوكه وتحدده اثناء مرحلة الرشد .

ولقد كانت النتائج التى وصل اليها فرويد محصلة دراسات قام بها لمرضى الفصام ، وقد أدت به هذه الدراسات الى ايمانه بأن سلوك الراشد امتداد لسلوكه فى مرحلة الطفولة ، وأن سلوك الفرد يمكن ان يثبت حول ظروف معينة من السلوك فى أي مرحلة من مراحل النمو فى طور الطفولة . ويؤثر هذا التثبيت فى تكوين اتجاهات الراشد وسلوكه ، كما يؤدى الى عجز الفرد عن اثراء السلوك ، وتطويره ، والانتقال الى مرحلة لاحقة من مراحل النمو . وقد رد فرويد كمالم نفسى كل المؤثرات التى تؤثر فى انبلاج الشخصية الى التجارب الوالدية وحدها ، واغفل أثر الاخوة والاخوات فى طويرات الطفولة على الطفل ، كما غاب عنه أثر المدرسة والرفاق فى طورى الكمون والمراهقة .

ولقد قسم فرويد اطوار النمو الاساسية الى اطوار ثلاثة . ينقسم الطور الأول منها الى طويرات ثلاثة ، كذلك يعرف فرويد هذا الطور الأول من حياة الانسان بالطور القبتناسلية . وقد سمى فرويد الطوير الأول فى القبتناسلية بالطوير الفمى ، لأن المنطقة الفمية الشهوية هى التى تحكم ما يسميه بالنشاط الجنسى للرضيع ، ووسيلة الطفل للاتصال بالعالم الخارجى ، ويمتد الطوير الفمى حتى يبلغ الطفل الشهر الثامن عشر . واهم ما يميز المرحلة الفمية بدء تكوين الانا ، كما تبدأ مرحلة التحول من التمركز حول الوحدة البيولوجية للطفل الى مرحلة التفسير الفعال الايجابى للوحدات الخارجية ، والارتباط بالعالم الخارجى .

اما المرحلة الاستية فتبدأ ببداية تدريب الطفل على عملية الاخراج ، وهذه العملية ذات اثر بالغ عند فرويد فى تشكيل طباع الشخص وسلوكه ، وينتقل الطفل فى هذا الطوير الى اول خطوة فى الطريق نحو الاستقلال والاعتماد على النفس والسيادة ، عندما يدرب على التحكم فى الوظائف الفسيولوجية ، كما يصاحب هذا الطوير ارتقاء عام لوظائف الجهاز الحركى . ويتعلم الطفل المشى والحركة ، وكل التصرفات والانماط السلوكية الحركية التى تمنح الطفل القدرة على الشعور بالاستقلال ، كما يتعلم اهمية تنفيذ رغبة الام ليحصل على حبها وعطفها وحنانها ، ويدرك ان عصيانه لها ومحاولة التمرد على اوامرها يؤدى الى حرمانه من حنانها وحبها وعقابه منها . وتبدأ فى هذا الطوير اولى خطوات الطفل تعلم تأجيل اللذة ، وممارسة التجربة

الاولى مع التنظيم الخارجي ضد الدوافع الغريزية ، كما يتعود الطفل فى تلك الفترة احتمال اقصى ضروب الحرمان حتى لا يفقد حب الأم .

اما الطور الثالث او المرحلة القضيبية فيرى فرويد انه فى هذا الطور تنفجر فيما بين الثالثة والرابعة رغبة استطلاعية لأمور الجنس ، وترتبط هذه الرغبة بسلوك استمنائى وقدر معين من الاستثارة الجنسية ، وفى هذه الفترة يكون القضيب عند الطفل والبظر عند الفتاة أهمية لا يمكن ان نغفل عنها ، كما أن التجارب التى تثبت فى هذه المرحلة تحدد الشكل النهائى للحياة الجنسية عند الراشد . ويبدأ الطفل فى هذه الفترة الشعور بأن هناك منافسا له فى حبه للأم ، وهو الأب ، وهذا الأب فى نظر الطفل انسان قادر على كل شئ ، ويحس الطفل امامه فى الوقت نفسه بالضعف والعجز ، ويشعر الطفل ابتداء من هذه الفترة بالغيرة من أبيه ، ويتمنى قتله ، وأن يحل محله عند الام ، لكن الطفل يشعر ان امنياته لأبيه سترتد اليه ، وسيعاقبه الأب بحرمانه من العضو المميز له سبقوته . ويبدأ احساس الطفل بأقصى تجربة للقلق يمر بها المرء ، والتى يسميها فرويد بتجربة القلق الخصائى ، ويرى فرويد انه على قدرة الطفل فى هذا الموقف ، ونجاحه فى توحده مع ابيه ، يتوقف مستقبل شخصيته ، كشخصية سعيدة مستقرة ، أو شخصية مريضة فريسة للصراعات النفسية . ويرى فرويد أن الطفل يهجر الموقف الأوديبى ويكبته ويقضى عليه ، وينمو كحل للصراع الأوديبى أنا اعلى صارم نتيجة توحده بأبيه ، ويتضمن هذا الانا الاعلى المتكون فى آخر طويرات الطفولة المبكرة ، كل القيم الاخلاقية الموجودة فى المجتمع .

هذا التفسير الفرويدى لمراحل نمو الشخصية فى مرحلة القبتناسلية ، وارتكاز النمو على دعامات فسيولوجية قد أثار تلاميذ فرويد ، ويرى ايريك فروم ان ملاحظات فرويد عن النمو وارتباط سمات الشخصية اثناء نموها بمناطق جسدية ، وطبيعة هذه السمات التى تحدد سلوك الانسان فيما بعد ، ملاحظات على جانب عظيم من الاهمية . بيد ان فرويد فسرها تفسيرا خاطئا فى نظر فروم . ويرى فروم ان فرويد قد أساء فهم العلاقة بين المناطق الجسدية الشهوية وسمات الشخصية ، لأنه اعطاها تفسيرا بيولوجيا خالصا ، ولم يأخذ فى اعتباره تأثير العامل الاجتماعى . فسمات الشخصية التى تحدد السلوك لا تصدر من داخل الشخصية اى لا تنبع من منبع بيولوجى ، لكنها تتكون وتصير جزءا من الشخصية كرد فعل لعلاقة الشخص مع البيئة والآخرين ، فليست الاحساسات الفمية سببا للسلوك ، بل هى تعبير عن اتجاهات الشخص نحو العالم الخارجى فى لغة اعضاء الجسد ، كذلك الحال فى الشخص صاحب السمات السادية ، والذى تدفعه تجربته الخاصة الى الابتعاد عن الآخرين أكثر من الشخص ذى الميول الفمية

الذى يحاول ان يجد الطمأنينة ، فيخلق من ذاته حاكما مستبدا ، ويشعر بأن الحب تهديد لطمأنينته ، ومن ثم فرغبة الشخص فى نيل كل ما يرغب الحصول عليه من حب وحماية ومعرفة واشياء مادية باسلوب سلبى من موضع خارج عن الذات ، تنمو فى شخصية الطفل نتيجة تجربته مع الآخرين ، لا نتيجة سمات بيولوجية داخلية . ويرى فروم كذلك ان اهمية الأخيلة والاحساسات الجسدية المرتبطة بالفم والاست فى السنوات الأولى ، لا ترجع اطلاقا الى ما تبعثه من لذة جسدية ، او ما يحدثه هذه اللذة من تسام غامض ، ولكن ترجع اهميتها الوحيدة الى انها تعبير عن نوع معين من الارتباط بالعالم الذى يضمها ، ويعبر عنها ، ولذا رفض فروم اعتبار السمات الفمية والاستية سمات للشخصية ، ورأى انها تعبير عن اسلوب حياة المرء فى طبقة ما ، أو جماعة من الجماعات ، ووصم التفسيرات الفرويدية لأطوار نمو الشخصية بأنها غير مجدية فى علم النفس الاجتماعى(1) .

اما عن الطور الثانى من أطوار النمو ، فيعرف عند فرويد بطور الكمون . وقد وجد فرويد أن الأحداث الجنسية والصدمات الانفعالية التى يواجهها الطفل فى المرحلة القبتناسلية والتى تأتى مع الوليد لا تستمر فى نموها الطبيعى التدريجى ما دامت وظائف التناسل قد عطلت مؤقتا ، ومن ثم يبدأ طور الكمون ، ويبدأ الطفل يلغى تدريجيا الميل الجنسى الذى يوجد فى الطور الأول(2) ، وتبدأ فى حياة الانسان فترة ما بين المرحلة القبتناسلية والمرحلة التناسلية تتميز بالاستقرار عن المرحلة التى قبلها والمرحلة التى بعدها ، ولا تحمل مرحلة الكمون عند فرويد مشكلات نفسية جديدة نتيجة تبادل العلاقات ، فهى فترة تتميز بالاستقرار النسبى والهدوء الانفعالى ، ويتوقف فيها كل نشاط للطاقة الجنسية ، ويتعلم الطفل فى هذا الطور الأخذ والعطاء ، كما يبدأ فى تحصيل المهارات ، والتوافق مع آراء الاشخاص المحيطين به ، كما يبدو الأنا الأعلى فى طور الكمون اكثر استقرارا ، واكثر تماسكا بالقيم الاخلاقية ، وفى فترة الكمون يخرج الصبى من سيطرة الأسرة ، والتى كان حبيسها فى الطور الأول ، ويخطو خطوات الى الانضمام الى جماعات جديدة أهمها المدرسة ، ويرتبط بعلاقات جديدة ، ويتعلم النشاط الحركى والتفكير ، ويبدأ فى طور الكمون تماسك بناء القوى النفسية للشخصية ، تلك القوى التى تقف عقبة امام اشباع الغريزة الجنسية ، وتحد من انسيابها ، وتمنع من تدفقها واشباعها ، كما تحد رغباتها من الانطلاق ، وتقيم الحواجز التى تقيد مطالبها ، كل ذلك

(1) Fromm Erick: The Fear of Freedom, op.cit., PP. 148-150.

(2) فرويد سيجموند : ثلاث مقالات لنظرية الجنسية ، ترجمة سامى محمود على ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص ٦٣ .

لتحقيق المثل الاخلاقية والجمالية والتى يتعصب لها كل طفل فى هذا الطور، اذ يساعد النمو الطبيعى للطفل على تماسك نسق القيم المثبت من عهد الطفولة ،كما يصير الجزء الشعورى من الانا اكثر تجريدا [1] .

بيد أن عملية النمو النفسى فى هذا الطور محددة عضويا عند فرويد ، ومثبتة بالوراثة ، ولا دخل لعمليات التربية فى تدعيم هذا النمو الا قليلا ، وتوجه الغريزة الجنسية فى تلك الفترة الى اعمال بناءة ، فيتوجه نحو اهداف جديدة بتأثير عملية التسامى التى ترتبط بمرحلة الكمون . بيد أن مظاهر التسامى والهدوء والاستقرار الانفعالى ليست المظاهر الوحيدة للسلوك فى طور الكمون ، فهذا الطور يتميز بالتمرد على السلطة الأبوية والصراع مع الاخوة ، كذلك الاتجاه الى الزمر ، وتماثل القيم مع الاصدقاء ، والترابط القوى بعالم الرفاق من نفس الجنس . وفى الوقت نفسه الانفصال عن الجنس الآخر . ورغم كل هذه المظاهر فى حياة الصبى فى طور الكمون ، يرى فرويد ان هذا كله لا يتعارض مع انه طور كمون جنسى له صفات معينة تنمو نموا طبيعيا من المواقف الاوديبية .

اما عن الطور الأخير من اطوار النمو عند فرويد فهو الطور التناسلى ، ويتميز هذا الطور بالنمو الظاهر للأعضاء التناسلية . هذا النمو الذى توقف اثناء فترة الكمون ، ولم يهتم فرويد بهذا الطور مثل اهتمامه بالطور القبتناسلى ، بل رد خبرات وتجارب هذه الفترة الى خبرات السنوات الأولى . ويرى فرويد ان التنظيم الكامل للشخصية لا يدرك الا بعد البلوغ فى مرحلة الرشد ، حيث تصل الحياة الجنسية الى ذروتها الأولى التى كانت عليها فيما بين الثالثة والخامسة ، وتظهر مظاهر نشاط جنسى ينسبه فرويد الى غريزة المعرفة والبحث ،كما تتميز بداية هذه الفترة بانفصال المراهق عن اشخاص بيئته انفصالا قويا ، بعد أن كانوا يتمتعون من قبل بكامل ثقته ، كما تتميز المرحلة التناسلية بأن الغريزة التناسلية تقع على موضوع جنسى ، وتصبح فى خدمة وظيفة التناسل .

ويبدو لنا من دراسة اطوار النمو عند فرويد أنه اهتم بنمو الغريزة الجنسية وارتباط هذا النمو بالنمو النفسى للشخص ، كذلك اهتم بتحليل الانفعالات النفسية فى كل طور ، لكنه أهمل اثر علاقات الشخص فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وطبيعة بناء هذه العلاقات على نمو الشخصية . كذلك لم يهتم بدراسة جماعات الاطفال أو المراهقين ، وانماط السلوك الاجتماعى المميز لهم ، والاسباب الاجتماعية لصراع القيم عند المراهقين ، واختلاف معاييرهم مع معايير الكبار .

---

(1) Baldwin, Alfred, L.: Theories of child development. N.Y. John Willey & Son. 1968, P. 368.

هـارى سـتاك سيلفيـان

واذا كان فرويد قد ارجع نمو الشخصية الى نمو الغريزة الجنسية والانفعالات اللبيدية ، وحدد اطوار النمو بمواضع فى الجسد ، ورد كل سلوك الراشد الى سنوات الطفولة ، فان سيلفيان قد أنكر من قيمة الغريزة الجنسية فى نمو الشخصية ، ورفض تحديد اطوار النمو بمناطق جسدية ، وقدم تفسيرا جديدا فى نمو الشخصية ربط فيه بين العمر الزمنى ونمو الشخصية ، وأكد فيه أن نمو الذات هو فى نفس الوقت نمو للشخصية • وقد أكد سيلفيان فى تفسيره أهمية العامل النفسى والعامل الاجتماعى فى عملية نمو الشخصية • وبين ان العلاقات المتبادلة بين الاشخاص هى اساس نمو الشخصية وتكاملها ، وانبثاق الذات وتطورها ، وأكد قيمة العنصر البيولوجى كمنبع أصيل لكل عملية نمو ، لكن تأثير هذا العنصر البيولوجى فى تحوير عملية النمو قليل ونسبى[1] • وقد اشار سيلفيان الى ان التأثيرات الاجتماعية لها تأثير حاسم على نمو الشخصية • بيد أن هـذه التأثيرات قد تتعارض مع حاجات البيولوجية للشخصية ، ورأى بعكس فرويد أن هذه الحاجات قد تؤثر تأثيرا ضارا على الشخصية •

كما أنكر سيلفيان الدور الخطير لمراحل النمو الفرويدية ، وقدم أول نظرية تخطيطيـة [٢] تقوم على التقسيم الزمنى لمراحل نمو الشخصية • تعتمد على تحليل العلاقات بين الشخص والآخرين ذوى الأهمية والذين يتفاعل معهم فى المواقف المختلفة • تلك العلاقات التى تزداد كلما كبر الشخص ونضج وانتقل الى طور آخر من اطوار النمو • ولا يفهم نمو الشخصية وتطور الذات المصاحب لها عند سيلفيان الا فى المواقف التى تتبادل فيها العلاقات الشخصية ، فالانسان داخل هـذه المواقف يفكر ويشعر ويحس ويعمل كما يمكن ان يدرك سلوكه وتنعكس ثقافة المجتمع على السلوك الانسانى اثناء التفاعل الشخصى ، ويؤثر هذا التفاعل على نمو الشخصية ونضجها •

واذا كان سيلفيان قد اختلف مع فرويد فى تصنيف دعائم مراحل النمو والأسس التى يقـوم عليها هذا التصنيف ، فانه أكد موقف فرويد من أهمية سنوات الطفولة الأولى التى يكون فيهـا الطفل أسير امه وأبيه ، وبين انها ذات أثر خطير فى تكوين الشخصية واتجاهاتها ، وأشار الـى ان ظروف التربية التى تفرض فى مرحلة التربية الأولى تظل باقية عاما بعد عام ، وتحول دون ادراكنا التكامل لما يدور حولنا ادراكا كاملا ، كما ان اداءنا لدورنا ووعينا للموقف ينبع اساسا من التربيـة

(١) Nyde Jule: Interpersonality relation: A critque. In Eugene, R. Southwell and Michall Merbaum (ed.). Personality theory and research, op.cit., P. 99.

(٢) Nyde Jule: Ibid., P. 97.

الأولى ، ولا يتأثر هذا الأداء والادراك الا قليلا بما يحدث في الموقف الوقتي ، ومن ثم فالتغيرات التي تحدث في السلوك في اطوار النمو اللاحقة انما هي تغيرات سطحية وعارضة .

وقد قسم سيلفيان مراحل النمو الى سبع مراحل تصنف حسب النضج الجسمي والسن ، ونمو نسق الذات وطبيعة التجارب التي يمر بها الفرد في كل مرحلة ، وليست هذه الاطوار ثابتة أو عامة ، بل تتباين في المراحل المتأخرة من مجتمع لآخر ، تلك المراحل التي لم يولها سيلفيان حقها من الدراسة مثل المراحل الأولى .

اطوار نمو الشخصية عند سيلفيان :

الطور الأول : يبين سيلفيان ان طور الحضانة هو الطور الأول من اطوار نمو الشخصية ، وهو طور رئيسى ، وحدد لفترة الحضانة الشهور الثمانية عشرة الأولى من حياة الطفل ، ويعقب هذا الطور طور الطفولة الذي يمتد من منتصف العام الثاني الى العام الخامس . أما عن طور الحضانة فيبدأ منذ الميلاد ، حتى ظهور القدرة على الكلام عند الطفل ، وتمتد هذه الفترة عاما ونصف العام . وتتميز هذه المرحلة بالنشاط الفمي للرضيع ، فالفم والحلق والشفتان [1] واجهزة الاداء الفمي ، كلها مراكز النشاط في تلك المرحلة ، ويبدأ الرضيع في تلك المرحلة التمييز التدريجي لحدود العالم الخارجي الذي حوله ، عندما يدرك أن حاجاته الفسيولوجية لا تشبع مباشرة وفي الحال ، ومن ثم فالرضيع لا يعيش متمركزا حول نفسه ، او يعيش ساكنا ، بل يعيش في فترة ينظر اليها باعتبارها بداية فترة النضج ومرحلة التجريب والملاحظة المتمعنة الشديدة ، اذ يرى الرضيع منذ البداية العالم الذي حوله ، ولكنه لا يميزه ، فهو عالم صاخب ، لكنه يبدأ تدريجيا وفي خطوات متتابعة في ادراك هذا العالم ، والاشخاص الموجودين فيه ، ويميز بين العلاقات والمواقف ، ويبدأ نسق الذات في التكوين والنمو ابتداء من تلك الفترة ، نتيجة حالات الرضا أو عدم الرضا بما يحدث حوله ، ويتعلم الرضيع معنى تغير الاشخاص الذين حوله في البيئة ، ويتأثر لذلك وخاصة عند غيابهم . فتبدأ في تلك الفترة اولى مراحل التعلم ، وفي الوقت نفسه الشعور بعدم الاستقرار والقلق ، خاصة بيد أن هذا القلق لا يؤدى الى تعثر نمو الشخصية ، بل يساعد على سرعة تقبل الرضيع لعملية التلقين الثقافي ويعتمد الرضيع في فترة الرضاعة على ابويه — وخاصة الأم — اعتمادا كليا ، لاشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية ، وهو يرتبط بأمه برباط وثيق ، ويميل النشاط عنده الى التكامل في الموقف مع الام وممارسة النشاط معها ، واكتساب بعض الانماط الثقافية .

---

(1) Sullivan Harry Stack: The conception of modern psychiatry, op.cit., P. 15.

وقد اشار سيلفيان مثل فرويد الى اهمية الأم فى حياة الرضيع ، ورأى انها أهم الاشخاص فى فترة الحضانة ، ولكنه خالف فرويد فى نقاط معينة ، فبينما دور الأم لدى فرويد دور نفسى بيولوجى بحت يقتصر على اشباع حاجات الطفل العاطفية والبيولوجية ، يرى سلفيان ان دور الام دور اجتماعى اذ ينعكس اثر سلوكها الذى يتسم بالعطف او القلق على شخصية الرضيع اثناء تفاعله معها .
وقد ذهب سيلفيان الى أبعد من ذلك وقرر ان ثدى الأم أثناء فترة الرضاعة ذو معنى اجتماعى ، ودلالة نفسية عند الرضيع ، يفوق معنى الاشباع الفسيولوجى الذى يكفل له الحياة . وهو رمز للحنان اذا كانت الأم حانية على الطفل ، ويرتبط بالقلق عند الطفل اذا كانت الأم قلقة قاسية ، وهذه الظروف التى تحيط عملية الرضاعة تساعد على تكيف الرضيع وتلاؤمه بالبيئة الاجتماعية أو عدم تكيفه معها . فالحنان الذى تضفيه الام على الرضيع ، ويشعر به اثناء مصه لثدى الأم ، أو القلق الذى يبدو على وجهها ويستشعره الرضيع اثناء فترة الرضاعة ، يؤثران فى تكوين شخصيته واتجاهاته مستقبلا . واثر الأم المطمئنة اثناء فترة الرضاعة يختلف عن أثر الأم القلقة ، ومن ثم يتغير مدلول فترة الرضاعة عند سيلفيان من عملية فسيولوجية الى عملية نفسية اجتماعية ، تعتمد على المعنى الرمزى لثدى الأم ، ويقرر سيلفيان ان الرضيع لا يعى معنى ثدى الأم الا فى الموقف الذى يتفاعل فيه معها ، اذ تؤثر العاطفة المتبادلة بين الأم والرضيع اثناء فترة الرضاعة فى تكوين استجاباته ، فرد فعل الطفل للأم الحنون يتميز بالحب والعطف ، لكن رد فعل الطفل للأم القلقة يظهر فى شعوره بعدم الاستقرار ، فالتجارب الهامة التى يعيش فيها الرضيع مع الاشخاص الذين حوله فى بداية حياته ويشعر فيها باهتمامهم أو عدم اهتمامهم ، وحنانهم عليه أو قسوتهم عليه ، وملامح القلق والعطف التى تبدو على وجوههم ، وخاصة الأم ، لها اثرها على شخصية الرضيع ونمو ذاته ، وتعلمه بعض الانماط الثقافية السائدة فى مجتمعه ، فالرضيع يتأثر بالظروف التى حوله تأثرا نفسيا واجتماعيا .

ومن أوجه الخلاف الأخرى ان فرويد فى دراسته للمرحلة الأولى لم يهتم بعملية التوحد الأولى بالأم الا كعملية نفسية ، وغاب عنه أثر العمليات الاجتماعية والنفسية فى تلك الفترة . أما سيليفيان فقد بين ان الرضيع اثناء فترة الرضاعة يتعلم بعض الانماط الثقافية ، اذا أشبعت الحاجات الموضعية للرضيع ، اثناء ارتباطه بأمه ، ولعبه معها فى ايامه الأولى ومناجاته لها ، كذلك أدرك سيلفيان أهمية تعلم الطفل لبعض الكلمات فى أواخر فترة الرضاعة ، وبين أن تعلم الطفل للكلمات وسيلة هامة تفسح له المشاركة الاجتماعية ، وتنقله الى طور جديد من اطوار النمو الاجتماعى والنفسى والبيولوجى .

ورغم أن سيلفيان قد أعطى مرحلة الرضاعة تفسيرا اجتماعيا ، وبين اهتمامه بدلالة فى اكتساب الرضيع بعض الانماط الثقافية ، وبين أهمية التفاعل فى العلاقات بين الام والرضيع فى تكوين الشخصية القلقة او المطمئنة ، فانه يعاب عليه انه وصم الرضيع بانفعالات معقدة غامضة تفوق سنه ، عندما اشار الى أن انشغال الامّ عن ابنها او جهلها بأمور التربية يثير فى نفس الرضيع الشعور بالحقد والغيرة نتيجة لاستجابات الامّ القلقة له وسلوكها المذبذب نحوه . كذلك لم يدرك سيلفيان أن العلاقات بين الطفل والام تكون نسقا اجتماعيا بسيطا .

وقد اهتم سيلفيان بعملية التعلم واكتساب الانماط السلوكية ابتداء من فترة الحضانة ، وبين اهمية تكرار التجارب(1) والمواقف التى يتفاعل فيها الطفل مع الاشخاص الذين حوله ، واشار الى ان تكرار التجارب له أثره فى تحصيل الطفل لانماط السلوك المعقدة ، وتحديد استجاباته ، وتوقعاته لسلوك الاخرين فى العالم الذى يعيش فيه . كذلك اهتم سيلفيان بالعمليات العقلية فى طور الحضانة ، وبين أن نسق المدركات عند الرضيع غير واضح وغير متسق ولم يصل الى مرحلة التنسيق بين المدركات العقلية . وتقارب هذه الفترة من حياة الرضيع الطور الفمى عند فرويد ، فالفم عند كليهما هو محور النشاط ، لكن دور الامّ وعلاقاتها بالابن تختلف ، فالام عند فرويد لها دور نفسى ولكن لها دور اجتماعى ونفسى عند سيلفيان .

<u>الطور الثانى</u> : طور الطفولة : طور الطفولة هو الطور الثانى من اطوار النمو عند سيلفيان ، ويبدأ هذا الطور من منتصف العام الثانى الى العام الخامس ، أى من بداية تعلم الطفل الكلام حتى مرحلة شعوره بالحاجة الى رفاق اللعب والتعاون معهم . وتبدأ الاسرة فى هذا الطور تلقين الطفل الكثير من مظاهر السلوك المفضلة فى المجتمع وتربيته حسب ثقافة المجتمع ، ويصاحب عملية التلقين معرفة الطفل لأساليب الثواب والعقاب .

وتبدأ ديناميكية الذات فى النمو ، وتتأثر عملية نمو الذات فى تلك الفترة بمظاهر الثواب والعقاب ، ومشاعر القبول والرضا التى تبدو على والديه أو على الاخرين رد فعل لسلوكه ، كما يدرك نوعه ذكرا او انثى ، ويميز بين ذاته وافراد نوعه والنوع الاخر ، ويبدأ احساس الطفل بالالفة نحو الوالدين نفس الجنس وشعور بالتمايز عن الوالد من الجنس الاخر . لكن اهم ما يميز نشاط الطفل فى تلك المرحلة انه ذاتى . وقد اهتم سيلفيان بأهمية اللغة فى هذا الطور ، فبين أن تحصيل الطفل كلمات اللغة ، كعنصر ثقافى هام يساعد على نضوج الشخصية ، كما أنها فى الوقت

(1) Sullivan Harry Stack: The Interpersonal theory of psychiatry, op.cit., P. 172.

نفسه وسيلة الطفل الى اكتساب ثقافة المجتمع ، وما يميز الطفل فى تلك الفترة عند سيلفيان اكتسابه مزيدا من الكلمات وادراكه لمعانيها ، وان استعملت احيانا استعمالا غير منظم فى غير موضعها .

وقد حلل سيلفيان مشاعر الطفل فى تلك الفترة وأشار الى أن الطفل يحس بأن العالم الذى حوله يضمر له شعورا بالعداء ، كما ان اخفاقه فى اشباع حاجاته ، وعدم تحقيق رغباته يولد لديه شعورا بالقلق والتعصب . ويبين سيلفيان ان هذا الشعور يعد أكبر كارثة تحدث للطفل فى تلك الفترة ، لأن الاتجاهات السيئة التى تظهر فى تلك الفترة قد تكون عقبة امام التجارب التى يكتسبها الفرد فى مراحل حياته المقبلة . كذلك يبين سيلفيان أن القدرات النامية للطفل يصاحبها نمو فى العمليات العقلية ، وتؤثر مجالات التجارب المختلفة وهى مجالات اجتماعية أكثر منها فردية أو بيولوجية (١) فى تطوير عمليات التجارب العقلية .

واذا كان فرويد قد أكد أهمية التوحد مع الأب فيما بين الثالثة والرابعة لتكوين الجانب الاخلاقى فى الشخصية ، فان سيلفيان أكد المسئولية الاجتماعية للأم فى هذه الفترة ، وأكد دور العواطف والانفعالات المتبادلة بين الطفل والأم فى تحصيل الانماط الثقافية . وأشار الى أن التكامل بين الطفل والأم فى المواقف المختلفة هو محصلة عملية تفاعل مستمرة متبادلة بينهما ، وكل منهما يكمل الآخر ويتفاعل معه ، ويتعلم الطفل فى مواقف التفاعل مع الأم وأثناء تبادل العلاقات معها أن يتخذ لنفسه دورا فى الحياة ، وأن يندمج مع أبويه ، وأن ينفصل شيئا ، وأن يمتثل لما يلقنونه . وأن يلتزم بقبول الواجبات والمسئولية . ويؤكد سيلفيان لنا أن عملية تدريب الطفل وتعليمه أنماط السلوك ، عملية لها أثرها فى تحديد اتجاهاته ومواقفه ازاء المجتمع وتكيفه مع المواقف التى تسبب له القلق فى المراحل اللاحقة . وبذا يعتبر تهيئته لأداء وظائفه فى الحياة أمرا ضروريا ، وأكد سيلفيان أنه فى تلك الفترة توضع البذور الأولى للشخصية واتجاهات الشخص وقيمه ازاء السلطة .

ويبين لنا عرض آراء سيلفيان عن طورى الحضانة والطفولة أن طورى النمو الأول والثانى عند سيلفيان يقابلان الطور القبتناسلى ، لكن أساس النمو ومظاهره يختلفان عند كليهما ، فنمو الغريزة الجنسية هو اساس النمو عند فرويد ، لكن اساس النمو عند سيلفيان هو القدرة على تبادل العلاقات واكتساب اللغة وأنماط السلوك ، وما يصاحب ذلك من انبلاج الشخصية

(١) Munroe, Ruth, L.: Schools of Psychoanalysis thought, op.cit. P. 447.

ونموها ، كما أكد سيلفيان ان الرضيع والطفل يتمايزان فى هذا الطور من النمو بالعجز النفسى والبيولوجى ، ويعتمد على ابويه لتحقيق ضرورات الحياة لقلة تجربته الاجتماعية ، وضعف قدرته على التفكير المنظم .

ولقد أكد فرويد أهمية العلاقة مع الوالدين فى تكوين عناصر الشخصية ، وبين ان العناصر الأخلاقية تدمج فى الشخصية نتيجة التوحد مع الأب فى هذا الطور ، بيد أن سيلفيان أكد أهمية الأم فى حياة الطفل ، كذلك أهمية التراث الاجتماعى من الحكايات والقصص التى تسرد على الطفل داخل الأسرة فى التأثير على سلوكه واتجاهاته . وقد حلل سيلفيان سلوك الطفل واشار الى أن اهم مايميز الطفل هو عدم التمييز بين الموضوعات الخيالية والواقعية وأيضا عدم الفصل بين الاحداث الواقعية والخيالية فى القصص التى تروى وتستقر احداثها فى الذهن .

ويتعلم الطفل فى السنوات الأولى كل ما يقابله من نماذج السلوك والاتجاهات والقيم الوالدية ويتقبلها كما هى دون نقد أو تمحيص ، فالطفل والرضيع عند سيلفيان لم يتخطيا بعد مرحلة ما بعد التنسيق بين المدركات العقلية ، ويرى سيلفيان أنه فى حالة التحول من مرحلة الطفولة الى مرحلة الصبا يتكون عند الطفل انطباع عام بأن هناك مجموعة من القيم والقواعد والتقديرات الخلقية لانماط معينة من السلوك . ويرى سيلفيان ان الصبى يتمسك بما يراه أفضل هذه القيم وتظل هذه القيم الفضلى لديه باقية تتحكم فى مختلف مواقف النشاط .

<u>الطور الثالث :</u> طور الصبا : يبدأ من منتصف العام الخامس حتى العام الحادى عشر ويقابل فترة الكمون الفرويدية . وتتميز هذه الفترة بالهدوء الجنسى وأيضا الحاجة الى الصحبة من نفس الجنس ، تلك الصحبة التى تؤكد وجود الفرد فى جماعته وانفصاله عن الجنس الآخر . وقد أكد سيلفيان أهمية هذا الطور أكثر من فرويد ، فالصبى يكتسب فى هذا الطور الكثير من الانماط السلوكية والثقافية التى تساعد على تكوين المخلوق الاجتماعى ، وزيادة ارتباطه بالواقع الاجتماعى . وقد اهتم سيلفيان بأهمية اثراء الصبى بالانماط الثقافية ، وحاجة الانسان اليها . فالكائن الانسانى يبحث عن الثقافة ، ولا يستطيع ان يعيش الا فى وجود مستمر معها ، كذلك الحاجة الى الاندماج مع الآخرين والتعاون معهم والاستحواذ على رضاهم ، وتلك صفات هامة تميز هذا الطور عن الاطوار الأخرى(١) . وقد ارجع سيلفيان أهمية هذا الطور الى أنه انسب الاوقات فى تكوين الانسان الاجتماعى . اذ يبدأ الصبى فيه الخروج عن سيطرة الأسرة ،

(١) Sullivan Harry Stack: The conception of modern psychiatry, op.cit., P. 38.

والذهاب الى المدرسة ، ويتعرف فى المدرسة على جماعات جديدة ، كما يمارس تجارب جديدة كان يجهلها فى طور الطفولة . ويبدأ التفاعل مع اشخاص جدد غير الذين اعتاد عليهم داخل الاسرة . ولكل من هؤلاء الاشخاص الجدد ، قيمه ، واتجاهاته التى قد تتعارض مع القيم الاسرية للصبى . وقد اهتم سيلفيان ببيان أثر المدرسة على شخصية الصبى ، وأشار الى أن المنهج المدرسى يساعد على اكتساب الصبى معارف جديدة وأفكار جديدة ونماذج سلوكية جديدة وتبدأ فى تلك الفترة الاختبارات الأولى لقيم الأسرة ، كما تبدأ ظلال الشك أو ادلة التدعيم تسقط عليها كمحصلة لمقدار توافقه فى علاقاته المدرسية أو عدم تكيفه مع المدرسة ، ويعانى الطفل من ردود فعل الأسرة ازاء ما يتعلمه فى المدرسة . فرضاء البيت على انماط السلوك الجديدة يساعد على تثبيتها ، كما أن عدم رضاء البيت على هذا السلوك يدفع الطفل الى مراجعته ، ويعانى الصبى فى تلك الفترة من تقييم قيم الاسرة وقيم المدرسة ، ومحاولة التوفيق بين نماذج السلوك التى ورثها عن اسرته ، ونماذج السلوك التى يقابلها وتتطلبها منه المدرسة ، ويعانى الصبى فى البحث عن قيم توائم بينهما ، والا عاقت القيم الأسرية عملية نمو الشخصية فى المراحل اللاحقة .

ولم يهتم سيلفيان بمظاهر الكمون الجنسى فى تلك الفترة ، لكنه اهتم بدراسة اشكال السلوك الظاهرة فى مرحلة الصبا ، وبين أن الصبى يميل الى التنافس ، والتنافس ظاهرة طبيعية فى هذا الطور من النمو ، وفى الوقت نفسه لا يبالى الصبى بتقدير الآخرين له[1] ، كما يبدأ الصبى فى تكوين افكار خيالية عن نفسه وقد تكون هذه الافكار مشوهة ، كذلك يعرف الصبى معنى الاختلاف عن الآخرين ، والتحدد فى المواقف التى يمارس فيها النشاط . وتبدأ فى هذا الطور حاجات الصبى الى التكامل مع الآخرين ومع نفسه ، وتتداخل قوى معينة كالمدرسة وجماعات الرفاق فى التأثير على حاجات الشخصية . ومن أهم مظاهر التكامل فى هذا الطور ، تكامل نسق الذات . فيبدأ الصبى فى اتخاذ موقف ثابت نسبى فى الحياة ، كما يخضع الصبى لتأثير الاغراء الاجتماعى لتعديل سلوكه ، كما يمارس تجربة التكيف الاجتماعى لكى يحقق لنفسه الطمأنينة ، ويرفع عنها القلق . ويمارس الصبى فى هذه الفترة بعض التجارب الاجتماعية مع رفاقه وأقرانه فى السن ، هؤلاء الذين ليس لهم اتجاه واضح المعالم من العالم ، كما يتعلم أن يكون لنفسه اتجاها عاما ازاء هذا العالم الذى يعيش فيه ، ويتخذ لنفسه قيما معينة ، تحدد له كيف يتفاعل مع من حوله ، وكيف يرتبط بهم ، وتمنعه فى الوقت نفسه من الانحراف ، ويعنى اختيار هذه القيم ان الصبى قبل قواعد السيطرة والضبط الاجتماعى[2] ، وبذلك ينجذب الى الواقع انجذابا شديدا .

(١) Sullivan Harry Stack: The Interpersonal theory of Psychiatry, op.cit., P247.

(٢) Sullivan Harry Stack: Ibid., PP. 238-240.

وتتميز هذه المرحلة بأن الصبية يتخطونها الى مرحلة ما قبل المراهقة ، حاملين معهم انماطا ثابتة سائدة عن أوضاع الحياة ، لا يتخلون عنها بسهولة ، كذلك يعرف الصبى من خلال تجاربه فى تلك الفترة معنى الفشل والنجاح ، ويواجه سلطات جديدة غير السلطة الوالدية ، كما يتعلم كيف يوفق بين مطالب البيت والرفاق ، وظروف المجتمع الكبير الذى ينتمى اليه . وقد اهتم سيلفيان بتحليل عمليات التفكير عند الصبى فأوضح ان الصبى يدرك التفاوت بين معنى التماثل والاختلاف ، ومن ثم يصل الى مرحلة عقد المقارنات بين حالات الصحة المتفاوتة وحالات المرض ويقارن بين المستويات الاقتصادية المختلفة ، ويدرك الفروق فى الميول ، والفروق فى مستويات المعيشة ، كما يتجه التفكير عند الصبى الى الناحية التركيبية بين الموضوعات العقلية ، ويبدى اعجابه بالشخص المرن فى التفكير . وقد حلل سيلفيان أثر المدرسة على الصبى فى هذا الطور من النمو ، وأشار الى أن المدرسة لها جوانبها السلبية والايجابية على الصبى ، وبين أنه فى هذه الفترة يعانى الصبى كثيرا اذا اختلف الابوان فى اساليب المعاملة ، ولم يتفقا على طريقة ثابتة لتربية الابن . ويمتاز سيلفيان كمحلل نفسى بأنه لم يقصر دراساته عن الصبى على عالم الاسرة وحده ، بل اوضح أن عالم الصبى يزداد فى الاتساع ابتداء من هذا الطور ، كما تزداد تجاربه وخبراته ، ويتحقق توافقه مع الخارج الى الحد الذى يدرك فيه أنه يسهل عليه ان يعرف ما الحاجات التى تحرك علاقاته مع الآخرين .

<u>الطور الرابع</u> : **طور المراهقة** : اهتم سيلفيان بدراسة اثر طور المراهقة فى حياة الفرد ، وجعلها فترة تمتد تسع سنوات من عمر الصبى ولم ير فيها أنها فترة تبعث فيها الغريزة الجنسية من مكمنها ، وما يصاحب هذا البعث من صراعات نفسية ، ولم يدرس أهداف هذه الغريزة وغرضها ، وكيفية اشباعها ، وانما درس هذه الفترة باعتبارها تعبيرا للنمو الجسدى السريع والظاهر ، والبلوغ الجنسى ، ونمو الدينامية الحيوية للأعضاء التناسلية . وقد اهتم سيلفيان بدراسة مظاهر سلوك المراهق باعتبارها تعبيرا عن نمو الذات فى هذا الطور . وقد اشار سيلفيان الى أن النمو البيولوجى للمراهق يدفعه الى محاولة تأكيد ذاته وفرض بعض أفكاره وسلوكه على المجتمع الذى يعيش فيه ، لكن المجتمع من جانب آخر لا زال ينظر الى المراهق رغم نموه الجسدى على انه مخلوق ضعيف وعاجز وغير قادر على تحمل المسئولية . ويولد هذا التباين فى النظرتين ، نظرة المراهق الى ذاته ونظرة المجتمع له ، مشكلة المراهقة التى تنفرد بها المجتمعات الحديثة ، والتى تعبر عن اتجاه المراهق الى الانحراف عن أساليب التربية التى نشأ عليها المراهق فى المراحل المبكرة ، ويقف هذا الانحراف عقبة امام النمو

الطبيعي للشخصية • وقد أكد سيلفيان فترة المراهقة تأثرا منه بالتركيب الاجتماعي للمجتمع الامريكي المشبع بفكرة خطورة فترة المراهقة • وقسم هذا الطور الى ثلاثة طويرات:

الطوير الأول : وهى مرحلة ما قبل المراهقة ومداها عامين وهى آخر مراحل الطمأنينة •

الطوير الثانى: مرحلة المراهقة ومداها خمس سنوات •

الطوير الثالث : مرحلة بعد المراهقة ومداها عامين •

اما مرحلة ما قبل المراهقة فهى فترة قصيرة نسبيا لكنها ذات أهمية ، تتميز بمرحلة انفضاض الجنس والبلوغ وأيضا ظهور نمط من الاتجاه الى الميل والاهتمام بشخص من الجنس الآخر ، نتيجة البلوغ الجنسى ، وتطور تجارب المراهق • لكن هذا الاهتمام بالآخرين من الجنس الآخر ليس عاما ، مثل استعمال اللغة فى مرحلة الطفولة أو الحاجة الى الرفاق فى طور الصبا • وتتميز هذه الفترة بصور وميول واتجاهات متكاملة ، ونعنى بها الاتجاه الى الحب والتعبير عن الحاجة الى الألفة الشخصية والارتباط بالغير ، ويحاول الشخص فى مرحلة ما قبل المراهقة أن يدرك السلوك المعوج ليقومه سعيا منه الى تحقيق الألفة مع الآخرين ، كما تتصف علاقاته مع الزمر بالقوة والاستمرار • وتزداد علاقات المراهق مع المراهقين ، وتتسع وتتشابك علاقاته مع أعضاء الاسرة ورفاق السن ، كما يبدو على سلوك المراهق الكثير من مظاهر العطف على زملائه ، والاهتمام بهم وتأكيد المساواة معهم ، ومن جهة أخرى ينزع الى خداع وغش الكبار ، واستعمال الحيل التى يواجه بها مطالبهم •

لكن أهم مايميز المراهق تقبله المستمر لكل جديد ، كما يتسم سلوكه بالتطور المستمر والتغيير ، كذلك تتميز هذه الفترة بازدياد التجارب الاجتماعية للمراهق وسعيه دائما الى الحصول على تقدير الآخرين • ولا ينكر المراهق دور الآباء ، أو دور السلطة الضابطة فى المجتمع ، لأنه يشعر بعدم القدرة على الاستقلال ، وفى الوقت نفسه شعوره بالخوف من المستقبل المجهول ، وخاصة عندما تزداد المشكلات التى تواجهه فى تلك الفترة من حياته ، كذلك تتحقق مظاهر السلوك الجماعى عند المراهق بظهور النزعة الى القيادة عنده • ويصف سيلفيان هذه النزعة القيادية بأنها ذات أهمية فى التنظيم الاجتماعى[1] للمراهقين ، كما أن هذه الفترة ذات أهمية فى حياة المراهق ليراجع خلالها الأفكار الخيالية التى كونها عن نفسه والآخرين فى الاطوار السابقة ، ويرى سيلفيان ان الحب الجنسى ينشأ فى هذا الطور ، وأنه يتجه نحو

(1) Sullivan Harry Stack: The Interpersonal theory of Psychiatry op.cit., P. 250.

فرد من الجنس الآخر ولا يرتبط بالأم .

وقد حلل سيلفيان مظاهر السلوك فى هذا الطور ، فأوضح ان المراهق يخلص دائما الى جماعته ، ويخاف النبذ من الآخرين ، وخاصة الرفاق ، فهو يهفو دائما الى تبادل الحب والتعاطف معهم ، اذ أنه يكره الوحدة ، فشعور الانسان بالوحدة تجربة مريرة ، ويرى سيلفيان ان كراهية الوحدة تصل الى ذروتها فى مرحلة المراهقة (١) ، ولذا يسعى المراهق أن يكون محبوبا دوما ، ويسعى الى الانتماء الى الزمر ، ويتفق فروم مع سيلفيان فى كراهية الانسان للوحدة ، اذ يبين أهمية الجماعات والزمر فى حياة الشخص ، وكشف أن الاحساس بالوحدة هو مصدر كل الاضطرابات النفسية . ويبين لنا أن الاحساس بالوحدة ظاهرة مرضية ، تظهر من العام الأول من عمر الطفل ، لكن المناخ الاجتماعى الذى يعيش فيه الطفل له اثره فى اندماجه بالعالم ، وتنمية الشعور بالانتماء عنده ، فالطفل منذ البداية يحتاج الى اشباع حاجاته الحيوية والعاطفية ، ويعتمد على أمه التى تمنحه الحياة بالولادة وتمنحه الحب وتود الاستمرار فيهما ، فالانسان يحتاج الى الآخرين والحب منذ البداية . ويرى فروم أن فقدان الطفل حب الأم يولد عنده الشعور بالوحدة ، وكذلك النزعة الى التدمير ، فالطفل ان لم يستطع أن يحب ، دمر (٢) .

أما عن سلوك المراهق فى بداية طور المراهقة ، فيبين سيلفيان انه يتسم بتغير نسق الذات ، واحساس زائد مفرط بالتجربة الاجتماعية التى يعانيها ، والشعور بالميل الى نقد الآخرين ، وملاحظة سلوكهم ، وتحليل تجربته معهم ، والاعتزاز بالذات وتأكيد قيمته الذاتية ، كذلك يهتم المراهق بالزعامات والابطال الحقيقيين وخاصة الذين لهم دور بارز فى التنظيم الاجتماعى ويلعبون دورا هاما فى المجتمع .

اما عن الطور الثانى من المراهقة فيبدأ من سن الثالثة عشرة ، ويستمر خمس سنوات وتتميز بالنضج الجنسى الكامل للمراهق او المراهقة ، كذلك تزداد المعاناة من اضطرابات الذات فى هذا الطور . فالمراهق يعيش طوال الخمس سنوات فى عالم يتميز بعدم الاستقرار النسبى ، ويعانى من ثنائية العلاقات ازاء الجنس ، فهو يميل الى الولاء الى الجماعة من نفس الجنس ، لكنه يشتهى الجنس الآخر ، ويميل نحوه ، ويتجه تفكير المراهق فى هذا الطور الى الناحية التركيبية ، كما يتجه الى الانتماء الى جماعات متعددة ، كما تتنوع ميوله الاجتماعية واهتماماته ، وابرز سمات المراهق فى هذا الطور هو اعتداده بذاته وأعماله وأفكاره والنزعة الى الاستقلال

(١) Sullivan Harry Stack: Ibid., P. 245.

(٢) Fromm Erick: The sane society, op.cit., P. 38.

المطلق عن المجتمع والتمرد على نفوذ الاسرة ٠

اما فى الطور المتأخر من المراهقة والذى يستمر عامين من السابعة عشر الى التاسعة عشر وهو يشبه بدايةمرحلة الشباب فى مجتمعنا ، فيتميز بالنضج الجنسى والرشد الفسيولوجى ٠ وتصبح الذات اكثر استقرارا وتكاملا عن الاطوار السابقة ، وتستقر اتجاهات الشخص نحو القيم السائدة فى الجماعة ، ويحتمى من القلق والصراعات والصدمات التى كان يعانى منها فى المرحلتين السابقتين ويتعلم الحيل والاساليب التى يواجه بها اسباب القلق والصراع ، وتتسع دائرة الجماعات التى ينتمى اليها ، ويصبح اكثر شمولا فى اعماله ، متحررا عن قيود الاسرة ، كما يتحرر فى نشاطه عن اصنام الفكر التى ورثها فى مناهج التعليم ٠

وأرى أن تقسيم سيلفيان لطور المراهقة تقسيم تعسفى ، حاول ان يبرز فيه خطورة هذا الطور ، وان يؤكد خطورته فى تكوين الشخصية ، وفى الوقت نفسه قلل من أهمية المراحل اللاحقة لها ٠ ونرى ان هذا التقسيم هو محصلة تأثر سيلفيان بثقافة المجتمع الذى يعيش فيه ، فهناك مجتمعات بدائية كثيرة أكد علماء الانثروبولوجيا أنها لا تعرف طور المراهقة ، ولا مشكلاته الانفعالية والاجتماعية التى يعرفها المجتمع الصناعى ٠ كذلك نرى ان سيلفيان قد أطال فترة المراهقة ، اذ نرى أن المجتمعات التى تبرز فيها مشكلة المراهقة ، ويبدو فيها سلوك المراهقين واضحا ، لا تستغرق فيها كلها مرحلة المراهقة تسع سنوات ٠

اما عن الطور الأخير من اطوار النمو ، وهو طور الرشد ٠ فقد بين سيلفيان أن طور الرشد يمتد فترة زمنية تبلغ عشرين عاما ٠ تبدأ من اوائل العقد الثالث حتى نهاية العقد الرابع ٠ وهى فترة النضج الجنسى الكامل عند الشخص ، واشباع حاجاته الجنسية اشباعا طبيعيا بالزواج ٠ كما تتميز الذات بالاستقرار وتكوين اتجاهاتها الثابتة فى المواقف المختلفة ، كما تتسم العمليات العقلية والادراكية للفرد بالتركيب ، ويميل فيها الفرد الى التعبير الرمزى ، كما ينزع فى هذا الطور الى الاستقلال عن اسرته الاولى ، سواء أكان هذا الاستقلال ماديا بالحصول على عمل يتكسب منه ، او بالاستقلال المكانى ، او بالاستقلال بتكوين أسرة جديدة خاصة به ٠ ويرى سيلفيان ان الرحلة الانسانية فى نهاية هذا الطور تبلغ ذروتها ، ويصبح الوليد انسانا كاملا تطبع ثقافة المجتمع سلوكه وأعماله ٠

ومن عرض آراء سيلفيان فى نمو الشخصية ، يتضح ان اتجاهه النفسى أشد بروزا من اتجاهه الاجتماعى ، رغم تأكيده اثر الانماط الثقافية على سلوك الشخص فى أطوار النمو ، فهو قد اهتم بالتغيرات التى تطرأ على نسق الذات و تغير العمليات العقلية فى اطوار النمو

المختلفة . لم يهتم سيلنيان بالصلة بين الشخصية والانساق الاجتماعية ، وتحليل هذه الصلة فى اطوار النمو المتلاحقة . وقد ادى به اهتمامه بالشخص والسلوك الشخصى الى عدم ادراكه العلاقة بين نمو الشخصية والتعقيدات البنائية التى تصاحب عملية النمو ، ومن اهم أوجه القصور فى دراسته بنمو الشخصية انه جعل القلق عملية حافزة لنمو نسق الذات ، بيد أنه جعل القلق ظاهرة فردية ، ترجع الى الشخص وحده . وأغفل عن ابراز القلق باعتباره محصلة تغير علاقات المرء داخل البناء أو نتيجة تفكك عناصر البناء الاجتماعى ، وتعدد القيم والمعايير المتشابهة فى الموقف .

ثانيا : النظرية الاجتماعية التقليدية

لم تهتم المدرسة الاجتماعية فى بدايتها الا بدراسة الظواهر الاجتماعية ولم تدرس الشخصية ونموها دراسة مستفيضة ، لكن البعض درس الشخصية دراسة هامشية ، وجاءت دراستهم ضمنا اثناء دراسة مشكلة التنشئة الاجتماعية داخل النظام الاجتماعى ، ودراسة كيفية اكتساب القيم الاخلاقية والاجتماعية . كما أن هؤلاء العلماء فى دراستهم لعملية نمو الشخصية لم يهتموا بتصنيف أطوار نمو الشخصية ، وتحليل مظاهر السلوك المرتبط بكل طور ، وما يصاحب ذلك من عمليات اجتماعية ونفسية ، بل انصرفت دراساتهم الى طور واحد فقط وحاولوا تفسيره على ضوء الظاهرة الاجتماعية التى يعالجونها .

وفى جميع الدراسات التقليدية انكر الاتجاه الاجتماعى أن عملية النمو تعبير عن ظاهرة نمو الذات ، وعزز الرأى بأن نمو الشخصية عملية تحدث داخل محتوى اجتماعى يتفاعل فيه المرء مع الآخرين الذين يورثونه الميراث الاجتماعى والثقافى ، ويعكس الآباء فى علاقاتهم مع الأبناء طبيعة النظم الاجتماعية التى يوجد فيها المجتمع ، كما اتفقوا على أن عملية نمو الشخصية محصلة عملية التكيف الاجتماعى .

اما عالم الاجتماع المعاصر تالكوت بارسونز فقد اهتم بدراسة عملية نمو الشخصية فى اطوارها المختلفة ، ولم ير ان دراسة عملية نمو الشخصية ، دراسة قاصرة على علم النفس التحليلى ، أو علم النفس الاجتماعى ، بل انها مجال فى علم الاجتماع يوضح الفروق الاجتماعية بين الاجيال وملاحظة مدى اثر جيل الآباء على جيل الابناء ، ومدى تغير المكونات الاجتماعية لشخصية كل جيل ، وتباين السلوك بين الأجيال لاثبات اختلاف السلوك الاجتماعى من طور الى طور ، ومن جيل لجيل داخل

البناء الواحد ، ومن بناء لبناء .

وان عدنا الى دوركيم مؤسس النظرية الاجتماعية الفرنسية لوجدنا ان كتابه " التربية الاخلاقية " هو اساس علم اجتماع الطفل ، فعملية نمو الشخصية او نمو شخصية الطفل كما عرضها دوركيم ، ترتبط بعملية التربية الاجتماعية والاخلاقية للطفل من أجل توجيه السلوك حسب القواعد الاخلاقية[1] واتباع السلوك الواجب حسب القواعد الاجتماعية الثابتة المفروضة علينا ، ونرى أن ربط عملية التربية الاخلاقية بالسلوك فى كل طور من أطوار النمو عند الطفل عند دوركيم ، هو الرباط الذى يربط موضوع نمو الشخصية الاجتماعية للطفل بعلم الاجتماع أوثق رباط .

وقد أشار دوركيم الى أطوار نمو شخصية الطفل فى كتابه التربية الاخلاقية ، وبين أن الطفولة تمر بطورين ، أولهما[2] يبدأ من الميلاد حتى دخول الطفل المدرسة ، ويخضع فيه خضوعا كليا للتربية الاسرية ، والطور الآخر يبدأ بدخول الطفل المدرسة ، وخروجه عن نفوذ الاسرة ، وخضوعه لتأثير المنهج المدرسى الموجه .

وقد اختلف دوركيم عن فرويد فى أى الطورين هو الاشد أثرا فى تكوين الشخصية ونموها ، فالمدرسة النفسية تؤكد أهمية السنوات الخمس الأولى فى تكوين بناء الشخصية ، كما اكدت اهمية الاسرة كقوة نفسية تؤثر فى خبرات الطفل ، اما دوركيم فقد اتجه اتجاها مخالفا لرأى المدرسة الفرويدية متأثرا بالنزعة العقلية فى الاخلاق " لأن التربية عنده تخضع لحكم العقل "[3] . فالطفل عند دوركيم فى طور الطفولة المبكرة وقبل أن يدخل الى المدرسة يكون فى سن صغيرة تتسم بضيق أفق الطفل العقلى ، وتحد هذه القدرات العقلية القاصرة من مبادئ الطفل الاخلاقية ، كما تتصف حياته العاطفية بالسذاجة ، وفى الوقت نفسه تصطبغ افكاره بالبساطة والسطحية والضعف ، ولا تسمح حياته النفسية ان يقوم سلوكه على اساس عقلى ، ومن ثم رفض دوركيم مسئولية الاسرة فى التربية الاخلاقية والاجتماعية لأن الاسرة بحكم تكوينها — فى مفهوم دوركيم — لا تستطيع ان تكون اداة صالحة لاعداد الطفل للقيام بواجباته فى الحياة الاجتماعية ، ورأى ان المدرسة هى الأداة الاجتماعية الحاسمة فى الطور الثانى من الطفولة فى تكوين الشخصية الاجتماعية ، وتلقين الطفل المبادئ الاجتماعية والاخلاقية

---

(١) Durkhiem Emile: L'education morale: Nouvelle edition. Paris Libraire. Flex Alecan 1938, PP. 126-130.

(٢) Durkhien Emile: Ibid., P. 19.

(٣) Durkhien Emile: Ibid., P. 4.

لأن العمر العقلى للطفل يسمح بذلك ، وفى الوقت نفسه تتحمل المدرسة مسئولية المحافظة على الطابع القومى للشخصية ،كما تخضع التربية فى تلك الفترة لمبادئ التفكير العقلى ، وتعبر عن قهر الجماعة للسلوك الشخصى . ونرى أن اهم ما يميز الاتجاه الدوركيمى فى نمو الشخصية عن مدرسة فرويد ان عملية نمو الشخصية عند فرويد عملية فردية ، اما عند دوركيم فعملية اجتماعية ،يمتص المجتمع الفرد ويصوغ شخصيته حسب القوالب الاجتماعية ،ويخلق منه الشخصية الاجتماعية المناسبة ،كذلك فشلت المدرسة النفسية فى ادراك ارتباطات الطفل والراشد مع الآخرين ،وغاب عنها التفاعل الاجتماعى فى الموقف ، هذا التفاعل الذى يثرى الشخصية بالعناصر الاجتماعية وتساعد على نموها . اما المدرسة الاجتماعية التى يمثلها دوركيم فقد اهتمت بالشخصية الاجتماعية التى تنمو داخل محتوى اجتماعى منظم تنعكس فيه العقلية الجمعية . وقد اكدت المدرسة الاجتماعية الدوركيمية اهمية دور المجتمع فى تشكيل الشخصية والسلوك الاجتماعى ، لكن غاب عنها ادراك دور الشخص نفسه فى اختيار سلوكه وتغييره بتغير اطوار البناء . فتأكيدا لدور المجتمع الكبير فى تكوين الشخصية الاجتماعية وصقلها منذ الطفولة فى طور الدراسة ، ألغى دوركيم كل قيمة للعنصر النفسى فى تكوين الشخصية ، وصارت الشخصية مرآة المجتمع ، بل هى المجتمع ، فهى نتاج المجتمع ، وكل مكونات الشخصية فى اطوارها من صنع المجتمع ،تعكس العقل الجمعى ، كما ان عملية التربية لا تهدف الى تكوين الشخص ، بل تكوين الكائن الاجتماعى حسب المبادئ الاجتماعية الموجودة .

كذلك رفض دوركيم تأكيد المدرسة الفرويدية لقيمة الاسرة كقوة نفسية تمنح الحب والحنان وتشكل سلوك الطفل ، وأكد سلطة المدرسة فى الطور الثانى من الطفولة فى تكوين جميع العناصر الاساسية للشخصية ، وتكوين الطابع الخلقى والقومى للشخصية ، ولا تقتصر مهمة المدرسة على تكوين عنصر واحد من عناصر الشخصية ، بل تشكل كل العناصر الاجتماعية للشخصية . ومن اهم هذه العناصر قدرة المرء على التحكم فى ذاته ، وتكوين روح النظام الاجتماعى ، والارتباط بالهيئات الاجتماعية ، ويبدأ الطفل منذ التحاقه بالمدرسة فى الارتباط بالحياة الاجتماعية . والمدرس لا الوالدان هو وسيلة المجتمع الى توجيه سلوك الطفل الى المبادئ الاجتماعية والاخلاقية .

ويمكننا أن نقرر ان دراسات دوركيم فى التربية الاخلاقية اثناء طور الطفولة الثانى هى اساس علم اجتماع الطفل ، بيد ان هذا الطور ، وهذه الدراسة ، لم تلق اهتمام علماء الاجتماع ،وانصرفوا الى دراسة جماعات الراشدين ،حتى جاء علماء الاجتماع المعاصرون ،وأكدوا

اهمية دراسة جماعات الاطفال والمراهقين والراشدين كجماعات اساسية يتكون منها البنـــاء •
وقبل ان نعرض لرأى بعض علماء الاجتماع المعاصرين نعرض لرأى عالم الاجتماع شارلز كولى الـذى
درس نمو الشخصية دراسة تجريبية تعتمد على الملاحظة ، يختلف فى ذلك عن دوركيم الذى درس
اطوار النمو والتربية الاخلاقية دراسة اجتماعية نظرية •

عرض لنا شارلز كولى فى نظريته للشخصية ومراحل نموها دراسة واقعية ، بملاحظة نمـــو
شخصيتى ابنه وابنته ، وربط بين نمو الشخصية وعمليات التفاعل • بيد ان كولى فى دراســـته
للشخصية ارتد الى مفهوم الذات ، وركز عليها ملاحظاته • وقد بين كولى ان نمو الشخصيــة
عملية اجتماعية لا عملية نفسية فردية ، فهى نتيجة للتفاعل ، ويزيد هذا التفاعل من تجاربنا الداخلية (١)
ويساعد على تكوين الذات من جراء الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم • فالطفل أثناء تفاعله مـــع
الآخرين يدرس حركاتهم وانطباعاتهم ، بل ان الطفل ابن الشهر السادس يبذل محاولة عن قصد
لجذب اهتمامات الآخرين ، وتتغير شخصيته حسب علاقاته بالناس المختلفين ، كما يهتم فى العام
الثانى بما يعكسه سلوكه على فرد معين ، وايضا تأثير شخصيته على شخصية ما ، لكنه فى الوقت
نفسه لا يهتم بهذا التأثير على شخصية أخرى.(٢)

ويرى كولى ان تقبل الطفل للآخرين عامل هام لنمو شخصيته ، وقد أكد كولى اهميــــة
سنوات الطفولة فى تكوين الشخصية ، وعرض لنا تقسيما لاطوار النمو ، بيد انه يرى انه لا جـدوى
تعود على الباحث من تحديد مراحل النمو ، ورغم ذلك قدم لنا دراسة جديدة فى علـــــم
الاجتماع عندما قارن بين مراحل نمو ابنه وابنته ، ولاحظ تباين انماط السلوك عند الفــــتى
والفتاة اثناء عملية النمو • وقد بين كولى ان نمو الذات يتباين عند كل من الطفل والطفلـة
منذ البدايـــة • فالفتاة تتميز بحساسية اجتماعية مفرطة ، وتهتم كثيرا بصورتها الاجتماعية امام
الناس ، ورأى هؤلاء الناس فيها • أما الفتى فاهتمامه مركز حول النشاط العضلى من أجل ذاته
فقط ، كذلك يهتم الفتى بالاعمال التركيبية ، والاعمال البناءة أو التخريبية ، ورغم هذا التبايـن
فى نشاط الفتى والفتاة فان ما يشغل بالهما وخيالهما فى تلك الفترة هو الاهتمام بالموضوعات
والاشياء أكثر من الاشخاص(٣) • ويرى كولى أن عملية النمو فى طور الصبا ، وخاصة نمو الـذات
الاجتماعية تختلف كذلك عند الفتى والفتاة ، وأوضح أن نمو الذات عند الفتاة أسرع منه عنـــد

---

(١) Cooley Charles: Social organization, op.cit., P. 102.

(٢) Jandy Edwards: Charles Horton Cooley. His life and his social theory, op.cit., P. 115.

(٣) Cooley Charles: Human nature, op.cit., p. 202.

الفتى • فالفتيات لديهن حساسية اجتماعية اشد من الفتيان ،كما يزداد اهتمامهن بالنقد ، اما الصبية فيزداد اهتمامهم بالنشاط الحركى من أجل ذاته فقط • وقد عرض كولى كذلك لفترة المراهقة ، وبين انها فترة تتميز بازدياد الشعور بالذات أكثر من الاطوار السابقة •

وتكشف لنا دراسة كولى فى نمو الشخصية تأثير النظرية العضوية والاتجاه النفسى ، ولقد اكد كولى كذلك اثر الجماعات الأولية والتفاعل الاجتماعى والاتصال فى نمو الشخصية • وأوضح لنا كمالم اجتماع ان الذات هى معيار النمو ، تنمو بتفاعلها فى علاقات اجتماعية (١) • والواقع ان دراسة أطوار نمو الشخصية التى رأى كولى انها جدوى منها هى المساهمة الايجابية الوحيدة لكولى — عن غير قصد منه — فى علم الاجتماع ، اذ أنه درسها دراسة تجريبية تقوم على دراسة سلوك ابنه وابنته ،فاثرى بذلك الدراسة الاجتماعية فى هذا المجال ، وان كانت تفسيراته لاطوار النمو تقيدت بنظريته عن الذات ، فانه غاب عنه ربط النمو بمراحل العمر بالتنظيمات الاجتماعية •

اما علم الاجتماع المعاصر فقد اهتم بدراسة اطوار نمو الشخصية ، ورأى أنها عملية اجتماعية تحدث داخل بيئة اجتماعية ،كذلك نالت شخصية الطفل اهتماما ملحوظا فى علم الاجتماع المعاصر ، وخصص فرع فى علم الاجتماع عرف بعلم اجتماع الطفل • ويرى بوزارد أن الطفل يكون عنصرا هاما فى تكوين الجماعة التى يعيش فيها ، ولا ينبغى تجاهله عند دراسة المجتمعات (٢) • ويرى علم الاجتماع المعاصر ان الاهتمام بالطفل يرد الى مظهرين ،أولهما تغير السلوك ، والآخر تغير المراكز والادوار التى يشغلها المرء فى اطوار حياته (٣) • أما طور الصبا فلم يلق من علم الاجتماع ما نرى أنه جدير به من اهتمام ،على أن بوزارد أشار الى أهمية هذه المرحلة عندما بين أن الاتجاهات الاجتماعية للصبى تبدأ فى التحول فى هذا الطور بسرعة من العالم الاجتماعى للأسرة الى حياة الجماعات (٤) ويؤثر هذا التحول الى الجماعات الخارجية على سلوك الصبى وعلاقاته الاجتماعية وقيمه • ويتميز الصبى فى هذا الطور بازدياد الوعى الاجتماعى • ويتمركز نشاطه حول الاهتمام بالجماعات والولاء للرفاق من نفس الجنس، وتزداد لديه القابلية لأن يكون مقبولا من الجميع ، ويكره أن يكون مرفوضا ، ويهتم بعض الصبية كذلك بالالعاب الرياضية ، كما تتميز هذه الفترة ببداية التمرد ، والثورة على معايير الوالدين •

(١) Timasheff, Nicholas; S.: Sociological theory, its nature and growth, op.cit., P. 145.

(٢) Bossard James: The sociology of child development, op.cit., P. 6.

(٣) Bossard James: Ibid., P. 3.

(٤) Bossard James: Ibid., P. 455.

وقد نالت فترة المراهقة اهتماما ملحوظا من علماء الاجتماع المعاصرين باعتبارها مرحلة يتم فيها النضج النفسى والاجتماعى ، ويبدأ فيها التمايز فى السلوك على اساس ادوار الجنس وتنمو انماط جديدة من السلوك ، والافكار ، والقيم . لكن تتميز هذه المرحلة بالصراعات النفسية والاجتماعية ، وتتكون ما اصطلح على تسميته " ثقافة المراهقين والمراهقات " ، كمرحلة انتقال من طور الطفولة الى مرحلة الرشد .

وقد اهتم بعض علماء الاجتماع المعاصرين بطور المراهقة ، بصفتها مرحلة تتميز بسلوك معين يتصف بالصراعات والتوترات وازدياد التجارب الاجتماعية للمراهق من أجل التوافق الاجتماعى ، كذلك تتميز هذه الفترة باتساع دائرة العلاقات الاجتماعية وتبلور قيمهم وأفكار الحياة .

وتختلف دراسات الاجتماعيين فى طور المراهقة عن دراسات علماء النفس الذين يهتمون بالانفعالات النفسية وارتباطها بالتغيرات البيولوجية . فعلم الاجتماع يهتم بمجتمع المراهقين والمراهقات ، ويحلل نوعية السلوك ، والعلاقات الاجتماعية لهذه الجماعات وتباينها عن علاقات المجتمع الكبير . ويدرس كذلك السلوك الاجتماعى لمجتمع المراهقين داخل الأنظمة الاجتماعية وعلاقة ذلك كله بالتغير الاجتماعى . فقد أظهرت الدراسات المعاصرة فى علم الاجتماع أن سلوك جماعات المراهقين يتميز بالعنف ، والتمرد فى بعض المجتمعات ، وارجعت ذلك كله الى ظاهرة صراع القيم بالمجتمعات السريعة التغير .

ويرى بوزارد أن مشكلة المراهق هى انتماؤه الى ثلاثة مجتمعات تتميز عن بعضها فى التركيب والعلاقات ، وفى درجة تقبلها للتغير الاجتماعى . وهذه المجتمعات هى الاسرة ، وجماعات الرفاق ، والمجتمع الكبير . وهذه المجتمعات لها اهميتها المتباينة عند المراهق ، وهو يحاول أن يوفق بين مطالب ومعتقدات هذه المجتمعات فى مجتمع سريع التغير . فالمراهق فى مجتمع الاسرة يعتمد على والديه اقتصاديا ، ويعيش فى اسرته ، وتتطلب منه اسرته الخضوع لمطالبها والتزاماتها وقيمها والولاء لأعضائها . اما مجتمع الرفاق فيحقق للمراهق ذاته الاجتماعية وهو مجتمع جديد له قيمه المتغيرة المتطورة التى تشبع حاجات المراهق ، ويجمع بين أعضاء هذا المجتمع صفات مشتركة وقيم متقاربة ، وكذلك التهافت على الجنس الآخر ، والقراءات المشتركة . اما المجتمع الثالث فهو المجتمع الكبير الذى يخطو اليه ، ويحاول ان يرتبط به خوفا من أن يلفظه ، الا ان المراهق لا يستطيع ان يرتبط بهذا المجتمع الا ارتباطات متقطعة

طارئة ، ويخضع هذا المجتمع الكبير المراهق لواقعيته الصلبة ، والتزامات محددة ، ونظامه المضبوط ، كما يشعر المراهق ـ د وملى هذا المجتمع بالإختلاف بين القول والفعل ، وبين المثال والواقع ،على ان هذه الضغوط الاجتماعية والانماط الثقافية التى تقدمها هذه المجتمعات الثلاثة للمراهق غالبا ما تكون متغيرة كليا الى حد كبير وقلما يوجد بينها توافق(1) مما يولد عنده الانفجار والتمرد على السلطة .

وعلم الاجتماع عندما اهتم بدراسة مجتمع المراهقين اهتم بدراسة الصراع الاجتماعى الذى يشعر به المراهق ، وكذلك طبيعة العلاقات المتوترة بين المراهق والوالدين . وقد عالج دافيد كينجسلى الصراع بين الوالدين والابناء من المراهقين ورد هذا الصراع الى تباين السن بين الآباء والأبناء ، وقلة الرعاية والتنشئة الاجتماعية كلما كبر الابناء ، وتباين الاهتمامات الاجتماعية بين الكبار والصغار فى المجتمعات سريعة التغير(2) .

اما جماعات الراشدين او اعضاء المجتمع المنتجين ، فكانت العلاقات بينهم هى المحور الاساسى فى الدراسات الاجتماعية . وقد اهتم علماء الاجتماع بالعلاقات الاجتماعية لجماعات الراشدين فى حالات التكامل والتفكك فى التنظيمات البنائية المختلفة ، كما درسوا نماذج السلوك فى هذه المجتمعات ، ولكنهم جميعا أغفلوا دراسة تطور العناصر المكونة للشخصية عند البالغ ، ولم يهتموا بالحوافز وراء أنماط السلوك المختلفة ، أو دراسة الشخصية كوحدة يتركب منها البناء .

من هذا العرض لآراء الاجتماعيين التقليديين يتضح بجلاء ان دراساتهم لاطوار نمو الشخصية دراسة هامشية تعرضوا لها اثناء دراساتهم لتطور الجماعات ، او دراسة ظواهر معينة . وكان مدى اهتمامهم من دراسة الشخصية ابراز مدى قوة المجتمع على تشكيل الشخص وتوجيه سلوكه حسب السلوك السائد ، او دراسة طور ما من اطوار النمو كظاهرة تعبر عن التغير الاجتماعى وخاصة عند جماعات المراهقين . وقد غاب عن علماء الاجتماع الذين اقتدوا بدوركيم ، اثناء دراساتهم الرئيسية للنظم الاجتماعية والجماعات والعمليات الاجتماعية ، دراسة ومعرفة الدوافع وراء السلوك ، والعوامل النفسية التى تحكم السلوك ، كما فصلوا بين الشخص والبناء ، وأذابوا الفرد داخل الانساق الاجتماعية ، واعتبروا دراسة الشخصية بصفتها نسقا متميزا ناميا ،

(1) Bossard James: Ibid., PP. 455-457.

(2) David Kingsly: The sociology of parent-youth conflict .In Rose Laub Coser (ed.). The Family: Its structure and function, op.cit.,P471.

ومتابعة اطوار نموها ، موضوعا يقع خارج نطاق علم الاجتماع ·

وأدى هذا الاتجاه الى قصور علم الاجتماع عن فهم الانسان فهما واضحا لاغفاله الشخص مكون البناء ، ولتجاهله ان التفاعلات الاجتماعية بين الشخصيات هى الاساس الذى تنسج منه الابنية الاجتماعيـــة ·

النظرية البارسونيـــة فى نمو الشخصيـــة

واستكمالا لأوجه النقص فى النظرية الاجتماعية ، صاغ بارسونز نظريـــة فى نمو الشخصية ، وخاصة فى نمو شخصية الطفل ، تؤلف جانبا صغيرا من نظريته الاجتماعية · وكان هدف بارسونز من دراسة نمو الشخصية توضيح أن الشخصية نسق ، وتفسير علاقة المرء بالبيئة الاجتماعيـــة ، وبيان تغير هذه العلاقة كلما كبر الشخص[1] · ولقد حاول بارسونز بنجاح أن يربط اطوار نمـــو الشخصية بتغير الانساق الاجتماعية ، وبالتالى ربط بنجاح بين اشكال السلوك وبناء الانســاق الاجتماعية التى يتفاعل فيها المرء فى اطوار النمو ، وازاء ذلك ، لم ير أن نمو الشخصية عمليـــة فسيولوجية بحتة تخص الفرد وحده ، وترتبط بمواضع فسيولوجية بحتة ، وانما رأى أنها عمليـــة اجتماعية نفسية ترتبط ببناء الانساق الاجتماعية · ومن ثم فليس التكوين الوراثى الاساس الذى يحدد الشخصية فى صورتها الأخيرة ، بل تتداخل فى تكوين الشخصية القيم الثقافية وتوقعات الادوار ، ومعانى الموضوعات الاجتماعية التى يتوحد بها الشخص أثناء دورة الحياة ·

ومما لا شك فيه ، ان نظرية بارسونز فى نمو الشخصية ، لم تكن كلها ابتكارا أصيلا مـــن بارسونز · فقد استعار بارسونز نظرية فرويد فى نمو الشخصية باعتبارها نظرية توضح علاقـــات الموضوع ، وأسبغ عليها تفسيرا اجتماعيا · والفرق بين بارسونز وفرويد فى معالجة نمو الشخصية ان فرويد حلل علاقات الموضوع مهتما بالفرد دون اهتمامه ببناء الانساق الاجتماعية ، أمـــا بارسونز فقد نهج فى تحليل علاقات الموضوع نهجا اجتماعيا ، وبين أن عملية النمو عمليـــة يكتسب بها المرء عضوية مستمرة فى جماعات جديدة كلما تقدم فى العمر ، ويتعلم فيهـــا أدوارا جديدة ، ويتوحد باستمرار مع قيم جديدة ، كما تحقق عملية النمو تكامل الشخصية بالنسق الاجتماعى والثقافة[2] · فالجديد حقا الذى أتى به بارسونز ، أنه ربط بين تغير اطوار نمـــو الشخصية كنسق ، وبين عدد الانساق الاجتماعية التى يتفاعل فيها المرء فى اطوار النمـــو

---

(1) Parsons Talcott: Social structure and Personality, op.cit., P. 79.

(2) Parsons Talcott: Ibid., P. 107.

المتلاحقة ، اذ يصاحب عملية النضج استقطاب للشخص داخل البناء الاجتماعى ، واتساع علاقات المشاركة الاجتماعية وتغير السلوك ، ومن ثم يقول بارسونز " ان تطور علاقات الموضوع ، هو تطور المجتمع نفسه "[١] عند المرء • كذلك كان بارسونز مجددا عندما حلل اطوار النمو ، وحلل العلاقة بين اطوار النمو والانساق الاجتماعية التى يرتبط بها الشخص ، وفسر اسباب تغير سلوك الشخصية من مرحلة الى أخرى من مراحل النمو ، وبين ان سلوك الراشد يختلف عن سلوك الطفل ، وتباين الانساق التى يرتبط بها كل من الطفل والراشد • وقد ارجع بارسونز هذا الاختلاف فى السلوك داخل الانساق فى أطوار النمو الى تباين بناء الشخصية أثناء نموها[٢] • ومن أصالة بارسونز فى موضوع نمو الشخصية أنه اكد أهمية دراسة نمو الشخصية حسب تغير علاقات المرء بالموضوع الاجتماعى ، باعتبارها مجالا هاما لربط نظرية التحليل النفسى بالنظرية الاجتماعية فى البناء[٣] ، وهو فى هذا التفسير أثبت عادته لعلم الاجتماع المعاصر من أجل تطوير علم الاجتماع الديركيمى ، وتكوين علم جديد لدراسة الانسان الاجتماعى يستعين بمفاهيم علم النفس عند دراسة العلاقات الاجتماعية وتحليل الأنساق الاجتماعية•

وقد رفض بارسونز تثبيت سلوك الشخصية فى مرحلة الطفولة ،أو مرحلة الصبا ، وبين أن الشخصية نسق متطور ، ينمو نتيجة التفاعل الاجتماعى مع الموضوعات الاجتماعية فى المواقف الاجتماعية ، واثناء عمليات التوحد المستمرة مع الموضوعات الثقافية ، وانماط المعايير التى تحكم التفاعل فى المواقف الاجتماعية• كذلك رفض بارسونز النظر الى عملية نمو الشخصية كعملية تحوير للغرائز والدوافع الأولية • واعتمادا على رأيه فى ان الشخصية نسق نام ،أكد أن عملية نمو الشخصية ، عملية خلق وتكوين متواصلة • ويؤدى هذا التغير المستمر للشخصية الى تحولها من نسق بسيط فى البداية الى نسق أكثر تعقيدا وتركيبا ويزداد هذا النسق تعقيدا كلما كبر المرء ونضج وازدادت عمليات التفاعل مع الآخرين ،وتعقدت العلاقات الاجتماعية للشخص مع الموضوعات الاجتماعية • كذلك أوضح بارسونز ان الشخصية نسق لا يوجد عند الميلاد ،ولكنه يعلن ميلادها ببدء تكوين نسق ثابت ومحدد نسبيا ، يدرك اتجاهات الغير نحو أفعاله ، وتفسح له هذه الاتجاهات مجال المشاركة والاختيار فى الموقف ،فالشخصية تتكون كنسق عندما ينظم الانا نفسه بالبحث عن موضوع جديد فى الخارج يتفاعل معه ،ويبحث عن أهداف جديدة•

---

(١) Persons Talcott: Ibid., P. 107.

(٢) Persons Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 111.

(٣) Persons Talcott: Social structure and personality, op.cit., P. 107.

(٤)

وقد اهتم بارسونز بدراسة اطوار نمو الشخصية ، وأفاض فى وصف السلوك الاجتماعى فى كل طور ، متميزا فى كل ذلك عن كل علماء الاجتماع ، كما أكد اهمية دراسة نمو شخصية الطفل باعتبار هذه العملية تمثيلا موجزا للتطور التكوينى للمجتمعات [1] ، بل لقد شبه عملية النمو من الطفولة الى الرشد ، بتطور الانسانية بالمعنى الدوركيمى من المجتمع الآلى الى المجتمع العضوى •

وقد وافق بارسونز فرويد على أن اطوار النمو الثلاثة الأولى حتى طور الكمون ، تتم داخل الأسرة واثناء التفاعل الاجتماعى مع اعضائها ، وتتحمل الأم مسئولية التنشئة الاجتماعية فى الطورين الأول والثانى • كما تتحمل الاسرة كنسق اجتماعى المسئولية الكاملة للتربية الاجتماعية فى الطور الثالث ، ويتكون فى الطور الثالث نتيجة هذا التفاعل مع اعضاء الاسرة ، وبالتدريج نمط ثابت للسلوك لدى كل شخص من اشخاص الاسرة ، اى عند الام والاب والاخوة ، وان اختلفت درجة تعقيد هذا النمط • وقد حلل بارسونز عمليات التفاعل فى هذه الطورات الأولى ، وبين ان التغير الحادث فى شخصية الطفل فى سنوات الطفولة لا يقتصر على الطفل وحده ، بل يعم التفسير سلوك جميع اعضاء الأسرة الذين يتفاعل معهم الطفل ، كذلك يحدث التغير فى أدوار جميع افراد الاسرة وقيمهم • وتساعد عمليات التربية الاجتماعية فى اطوار الطفولة على تلقين الطفل أنماط السلوك السائدة والمتغيرة ، وتوجيهات القيم ، وكيفية اداء الادوار المناسبة مع السن ، وأن يصير عضوا قادرا على التفاعل الاجتماعى فى النسق الاجتماعى • فالاسرة نسق اجتماعى هام يؤثر فى تكوين شخصية الطفل • وبارسونز فى تأكيده لدور الأسرة - كما فعل فرويد - يخالف دوركيم الذى سلب الاسرة دورها فى التربية الاجتماعية والخلقية ، وتحديد الطابع القومى للشخصية ، بيد أن عملية التنشئة عند بارسونز لا تحدها فترة الطفولة داخل الاسرة • اذ تقوم الاسرة وجماعات رفاق السن فى توجيه السلوك فى أطوار الكمون والشباب •
وفى هذا التفسير لعوامل توجيه السلوك فى طورى الكمون والشباب ، تبدو محاولة بارسونز التوفيق بين آراء فرويد ودوركيم فى تفسير نمو الشخصية • كذلك أكد بارسونز اهمية المدرسة ورفاق السن والنسق المهنى فى تكوين عناصر الشخصية فى أطوار النمو اللاحقة •

ولقد قدم بارسونز تصنيفا لاطوار نمو الشخصية ، يرتكز على دعامة اجتماعية تؤكد تحول علاقات الشخص مع الموضوعات الاجتماعية من البساطة الى التعقيد كلما كبر الشخص ونضج • وقد

(1) Parsons Talcott: Social Structure and personality, op.cit. P. 42.

ربط بارسونز كل مرحلة من مراحل النمو بعملية معينة من عمليات التنشئة وبأنساق محددة ، بيد انه لم يحاول أن يحدد لكل طور سنا معينا فاصلا له عن الأطوار الأخرى .

وقد صنف بارسونز نمو الشخصية الى اطوار معينة مقتفيا فى ذلك الاطار العام لنظرية فرويد ، على أنه جعل الاطوار الثلاثة الاولى الفرويدية ، تمثل طور الطفولة الأول الدوركيمى قبل الالتحاق بالمدرسة . والطفل فى هذا الطور حبيس نسق الاسرة ، يتوحد بقيمها ، ويخضع لعمليات التفاعل مع اعضاء اسرته ، وأساليبهم التربوية ، أما فى طور الكمون ، فيواجه الطفل مشكلات انتقاله من عضوية الاسرة الى المشاركة فى المجتمع من خلال نسق التعليم ، ورفاق السن . ويقابل هذا الطور ، طور الطفولة الثانى عند دوركيم ، كما تبدأ العمليات الاجتماعية والادوار التى عرفها فى الاسرة فى الازدياد والتراكم . أما فى مرحلة الرشد ، فيصير المرء عضوا كاملا فى المجتمع ، ويؤدى ادوارا متمايزة فى البناء . وفى كل طور من هذه الأطوار ، لا تنمو الشخصية تلقائيا ، ولكن يتكامل جانب من جوانب الشخصية فى كل طور اثناء تفاعلها مع الأنساق الاجتماعية فى البناء الاجتماعى ، ويتسم هذا التكامل بعملية خاصة من عمليات التعلم تحدث فى نسق اجتماعى يتضمن مجموعة متراكبة من العلاقات الاجتماعية .

وسنحاول الآن أن نعرض لهذه الأطوار ، والتى افاض بارسونز فى تحليلها بشىء من التفصيل .

ساير بارسونز فرويد فى تقسيم مرحلة القبتناسلية الى ثلاثة اطوار ، ولكنه لم يهتم بارتباط نمو السلوك بمواضع معينة فى الجسد ، بل نهج نهجا مغايرا لفرويد ، وحلل اشكال السلوك الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية فى كل طور من اطوار النضج ، وربط السلوك بأنساق معينة .

الطور الأول : الطور الفمى : هو اول اطوار نمو الشخصية . وهو طور التحول من موقف الوليد الى طور تكوين نسيق الأم والابن . وهذا النسيق جزء من نسيق الأسرة . وهو يلزم افراده بعلاقات اجتماعية قهرية ، ومجموعة من القيم والمعايير لكى تتكامل علاقات الأم والابن . ويحققا التوافق مع البناء الكبير . وقد اشار بارسونز الى ان المولود الجديد ليس عضوا فى أى نسيق اجتماعى عند الميلاد ، وينظر اليه فى البداية كموضوع للملكية يخص الأم والاسرة ، ولذا تهتم به الام والاسرة ، وتعطى له الأم المساعدة لمواجهة حاجاته والتكيف مع المجتمع (1) ، وقد اكد بارسونز قيمة الفم فى هذا الطور ، كرمز للحب والاشباع ، فهو المصدر الأول لاشباع الحاجات وكفالة الحماية وتحقيق الطمأنينة . لكنه رفض اعتبار عملية الرضاعة كعملية تغذية ،

(1) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit., P. 63.

عملية غريزية بحتة ، تهدف الى اشباع الحاجات الفسيولوجية والحيوية للطفل ، او اعتبارهـــا عملية اساسية تحتل مركز الصدارة فى تحديد السلوك · وبين انها عملية اجتماعية تعتمد علـى قواعد من السلوك يعتمد على المهارة ، والتنظيم الشرطى بين الام والطفل ، اذ يتعلم الطفل فى هذا الطور المعنى الرمزى لنسق الافعال المعقدة من الام ، كذلك يتعلم أن يوجه سلوكـه حسب توجيهات الام ، وقد رفض بارسونز اعتبار العلاقة بين الطفل والام علاقة شهوية ، ولكنـــه أكد قيمة الام باعتبارها انسانا مسئولا اجتماعيا عن اشباع الحاجات العضوية والحاجات النفسية، وتوجيه سلوك الطفل حسب معايير المجتمع · وقد اشار بارسونز الى أن هذا الطوريد اية تكوين نسق الشخصية نتيجة لحدوث أول تفاعل اجتماعى بين الطفل والام ، فالعلاقة بينهما تكون مـــا نسميه جماعة بالمعنى السوسيولوجى (١) ، وهذه الجماعة جماعة بسيطة ، يرتبط فيها الطفل بشخص واحد كموضوع اجتماعى هو الام ، ويكونان معا من خلال التفاعل نسيقا سماه بارسونز نسيق الام والطفل داخل نسق الاسرة · وتضفى الام على الطفل داخل هذا النسيق الكثير من مظاهـــر الحب والرعاية والحنان لاشباع الحاجات الفسيولوجية ، كما يتكامل الابن منذ البداية مع هذا النسيق الاجتماعى من أجل ارضاء الام ، ويتكون لديه نسق التوقعات المحددة للسلوك، ويصبح لهذه التوقعات معنى معيارى ·

وقد بدا واضحا من تحليل دور الام مع الابن كموضوع وحيد يتفاعل معه الطفل فى الطور الاول ، عند بارسونز ، ان الام هى الحقيقة الاجتماعية الهامة فى هذا الطور ، وهى تـــؤدى دورها فى نسيق التفاعل من اجل تكوين شخصية الطفل ، فالام عند بارسونز هى أول الاشخاص الذين يرتبط بهم الطفل ، وهو يرتبط بها باعتبارها موضوعا اجتماعيا ، ويعتمد عليها فى بدء حياته ، لانها تعطيه معنى رمزيا بالشعور بالوجود ·

ويرى بارسونز ان الطفل اثناء ارتباطه بالام يحاول أن يصير مثلها حبا منه لها ، وسعيـــا وراء الحصول على رضاها ، فيتعلم ان يشبع حاجاته الفسيولوجية النفسية حسب رغب الام ، وينظم سلوكه حسب نمط عام من المعايير يحدد معانى السلوك عند الام والطفل ، ويكشف لنا تنظيـــم نسق الدوافع النامى عند الطفل فى هذا الطور استجابة الام لحاجات الابن ، ومحاولة الطفـــل أن يرتبط بالام ليطمئن على حيازته حبها ورضاها ، واحساس الطفل بهذا الحب يبعث فيـــــه الطمأنينة ، كما يشبع حاجاته الى الحب فى آن واحد ·

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 89.

لكن العلاقة بين الام والطفل داخل هذا النسق البسيط اجتماعيا ، غير متكافئة، وغير متساوية ، ويسودها عدم المساواة ، فالام بجانب انها تضفي على الطفل الحب والحنان والحماية وتشعره بوجوده اثناء وجودها معه ، هى التى تمارس عملية التنشئة الاجتماعية داخل نسق التفاعل ، وتفرض عليه منذ البداية نسقا من الجزاءات ، يتولى عملية الضبط الداخلى للحوافز والغرائز . فيتعلم الطفل أن يستجيب لأوامرها ونواهيها ، ليتوافق مع رغبات الآخرين وتوقعاتهم، ويعنى توافق الطفل مع رغبات الام ، انه تعلم هدفا عاما جديدا فى الحياة ، هو ان يحصل على رضا الام . ويرى بارسونز أن ادراك الطفل لهذا الحدث ، هو ما عرفه فرويد بالتوحد الاولى [١] ـ ويساعد الحب المتبادل بين الام والطفل على نجاح عملية التوحد ، وتكوين أنا حقيقى عند الطفل ، فهذا الحب أشبه بالرافع الذى يرفع الطفل من المستوى البيولوجى الى المستوى الاجتماعى .

وقد اوضح بارسونز اهمية التوحد بالطور الفمى كاسلوب لتنظيم الانا . فالانا يتعلم فى هذا الطور اثناء علاقته مع الام ان يسلك سلوكا يتوافق فيه مع مجموعة المعايير السائدة فى نسيق الام والطفل . وقد بين بارسونز كذلك ان استقرار الانا يعتمد على استقرار علاقات الابن والام، وأن استقرار هذه العلاقة حافز للطفل لاكتساب اللغة لتكون وسيلة للاتصال ، وتقبله قيم المجتمع. وقد سرد بارسونز بعض نماذج لسلوك الطفل فى هذا الطور الفمى ، فنفى عنه الصفة السادية الفرويدية ، فهو يتعلم أن يأخذ وينال ، ويحترس ويمتنع ، لكنه لا يعطى ولا يجيب ، ويتوقع من الام ان تشبع كل حاجاته . بيد ان هذا السلوك الانانى من الطفل والمتمركز حول نفسه، سرعان ما يتوقف ، ويتعلم انماطا جديدة من السلوك . وقد نفى بارسونز ان عالم الطفل جنة يعيش فيها الطفل كما يشاء ، او فترة تتميز بالاحلام ، فعالم الطفل ليس سهلا او خياليا ، بل مملوء بالمشكلات ، يعانى فيه الطفل من المشكلات العقلية الكثيرة ، ومن اهمها مشكلة فهم الظروف التى تعتمد عليها الاشباعات والاحباطات ثم تحديد الشكل العام للسلوك الذى يبغى منه تحقيق الاشباع العام . كما ان الطفل فى هذا الطور ليس خاملا ، ولكنه عضو نشط داخل نسق التفاعل مع الام يحاول ان يفعل شيئا اثناء تفاعله معها ، وكلما نما الطفل ، تغيرت عمليات الثواب والعقاب التى تمارسها الام عليه ، عندما يوفق أو يفشل فى أداء السلوك المطلوبة منه.

وقد ظهرت لنا اصالة بارسونز كعالم اجتماع ، عندما حلل اساس العلاقة بين الام والطفل فى المرحلة الفمية ، متميزا فى ذلك عن المدرسة الفرويدية ، وقد بين بارسونز أن التفسير

---

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 83.

الفرويدى الذى يربط عمليات التنشئة للطفل بالاشباعات العضوية وحدها ، تفسير قاصر . ويبين ان الاهمية النفسية للاعتماد الفسيولوجى على شخص آخر يرجع بعضها الى اشباع الحاجات الفطرية . فاشباع الحاجات الفطرية يكون جانبا واحدا من عمليات التفاعل لا كل عمليات التفاعل التى تؤدى الى تكوين السلوك(١)، ويفصح بارسونز عن اصالته الاجتماعية عندما يؤكد ان عملية اكتساب السلوك عند الطفل لا ترتبط بالاشباع الفسيولوجى وحده ، لكنها ترتبط كذلك بعملية الثواب ؛ وأشار فى هذا الصدد الى ايمانه باستقلال اساليب العقاب والثواب والمكافأة عن اشباع الحاجات الغريزية ،وان كان اشباع الحاجات الغريزية يعطى الطفل شعورا باللذة ، فاحباطها يثير المه . وقد برر بارسونز رفضه للمفهوم الفرويدى عن التنشئة والاتحاد الفسيولوجى بأن الاشباعات ليست غريزية آليةدائما ،بل انها احيانا مكافأة على السلوك المقبول ،ويبين اهمية ادراك الطفل ان اشباع حاجاته يعتمد على سلوكه وسلوك امه ، ويتعلم الطفل اثناء النمو ابتداء من اواخر المرحلة الفمية امكان تأجيل الاشباع الذى يحقق الالم، وتنظيم الاشباعات . هذا التفسير البارسونى للعلاقة بين اساليب الثواب واشباع الحاجات ،وتأكيده ان عملية الاشباع عند الانسان ليست عملية غريزية فطرية ، قد أعطى الطور الفمى عند بارسونز تفسيرا جديدا ، واوضح لنا العمق الاجتماعى للعلاقة بين الطفل والام .

وقد اثرى بارسونز النظرية الاجتماعية فى مبحث نمو الشخصية ،عندما اشار الى التغيرات التى تطرأ على شخصيتى الام والابن فى تلك الفترة المبكرة اثناء تفاعلهما داخل نسيق الامّ والطفل؛ ويبين ان اهم التغيرات التى تحدث فى شخصية الطفل هى تنظيم نسق الحاجات العضوية فى ضوء معايير المجتمع(٢)،لتتحول الشخصية الى نسق ،ويتكون لدى الطفل نسق من السلوك، ويدرك نمطا من العلاقات مع الآخرين ،ويتكامل مع نسيق الام والابن . بيد ان هذه الانماط من السلوك والعلاقات لم تبلغ بعد مستوى التنظيم والتعميم . فهى اشكال بسيطة بدائية فى شكلها ومضمونها . لكنها ذات أثر فى حياة الطفل ،لأن هذا النسق الحركى البدائى يحدد اتجاهات الطفل الى العالم الخارجى ، وهو وسيلة لرفع الطفل الى مستوى جديد يبين قدرته على تنظيم السلوك ،وادراك الاهداف والانفعال فى المواقف المختلفة. ولذلك يتكون فى هذا الطور تنظيم جديد ثابت للحوافز اللبيدية والدافعية والحاجات الفطرية، تلك الحاجات التى تقدم فى احد وجوهها نسقا لضبط الحوافز ، ومن جهة أخرى يتكون نمط يهفى

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 84.
(٢) Parsons Talcott: Ibid., PP. 85-86.

الاستفادة من الاحداث والمصالح الاخرى • وقد اوضح بارسونز ان التغير فى شخصية الابـــن يقابله تغير فى شخصية الام لكن التغير فى شخصية الام تغيرثانوى ، فهى فى علاقاتها بابنها لا تنعزل عن علاقاتها باسرتها والمجتمع الكبير والاب وان كان لا يشارك فى تربية الابن مشاركـــة مباشرة وايجابية ، ولا يمارس اسلوبا مباشرا من اساليب التربية مع الابن ، فهو عضو ثالث يتدخـــل بطريق غير مباشر فى نسيق الام والابن ، اذ تنعكس علاقاته بالام ، باعتبارها زوجة له ، على ابنها ، كما ان الام بصفتها عضوافى الاسرة تخضع لضغوط بنائية ، وقيم اجتماعية ، تفرض على الام أن تأخذ بها باعتبارها معايير لتربية الابن •

ومن ثم تؤكد لنا النظرية الاجتماعية المعاصرة عند بارسونز ان الطور الفمى مرحلة بسيطـــة بالمفهوم الاجتماعى ، يرتبط فيها الطفـــــل بشخص واحد هو الام ، وهو ينظم ذاته مع الام كموضوع اجتماعى ، فيشبع حاجاته الى الحب ، يتوحد معها ، ويحقق معها نسقا للتفاعل ، وتبدأ مرحلة تغير الاشباعات من المعنى الفطرى الغريزى الى مستوى أعلى يحقق أنماطا معينة من السلوك •

الطور الثانى : طور اختيار الموضوع : رفض بارسونز تسمية هذا الطور بموضـــــع الجسد ، كما فعل فرويد ، واطلق عليه طور اختيار الموضوع • ورأى انه استمرار وامتداد للطور الاول لهذا • نسيق الام والطفل ، لكن تغيرت طبيعة العلاقات بينهما فى اطار هذا النسيق ، كذلك تغير نسق القيم وانماط السلوك اللذين وضعا فى الطور الاول • فلم تعد مكانة الطفل لـــــدى الام كما كانت عليه فى الطور الاول ، وصارت الام اكثر حزما ازاء سلوكه • ويرى بارسونز ان الام فى الطورين الاول والثانى هى الموضوع الاجتماعى الخارجى الوحيد امام الطفل ، وهى الانسان الذى حمله المجتمع مسئولية تلقين الابن قيم المجتمع ، وهى تدربه على اشكال السلوك المتفـــق عليها • ويتميز دور الام فى هذا الطور عن دورها فى الطور الاول ، فدورها فى المرحلة الفميـة هو دور الانسان الباحث عن راحة الطفل ومكافأته على توقعاته البسيطة الساذجة كطفـل ، امـا فى الطور الثانى فالام تكافئ الطفل او تعاقبه على محاولاته الاداء على مستوى ارقى من الطور الاول ، ودور الام فى هذا الطور مثل دورها فى الطور الاول لا يقتصر على الابن بل يتجاوزه الى ادوارها الاسرية والخارجية ، وهذه الادوار عقبة فى سبيل تفرغها له •

كذلك تغير سلوك الطفل ، فلم يعد الطفل موضوعا للملكية الاسرية كما كان فى الطور الاول عليها ان تحافظ عليه • فالطفل فى هذا الطور قد اندمج فى النسق الاجتماعى الحقيقى ، وبدت النزعة الاستقلالية التلقائية فى التأكيد ، بيد ان رواسب الاندماج الفمى من المرحلة الاولـــى

لا زالت لها اهميتها فى مكافأة الطفل وسلوكه(١) . فسلوكه فى هذا الطور الاول يتميز بالتلقائية والذاتية والاعتماد الفمى ، ويرتبط بامه كموضوع أول للحب لا يستطيع الاستغناء عنه حتى وان كانت قاسية ، فهو لا يستطيع الا ان يحبها ، بيد انه فى الطور الثانى بعد نضوج الانا وتنظيمه ، بعد عملية التوحد فى الطور الاول تختلف علاقاته بامه ، فهو يختار امه ، ويبادلها الشعور ، ويرتبط بها ، ويحبها حبا ايجابيا ، ان كانت تمنحه الحب ، او يكرهها ان كانت قاسية ، فالرابطة بينهما رابطة واقعية ، كما يبدأ الطفل فى هذه المرحلة الخطوات الاولى نحو المشاركة الايجابية المتبادلة ، ويتعلم الاخذ والعطاء(٢) ، ويبذل جهده لينظم سلوكه فى البيئة الاجتماعية حسب رغبة الام للحصول على حبها ، فاختيار الام كموضوع للحب ، فى هذا الطور هو بمثابة استثمار تلقائى من الانا للشحنات الانفصالية للبيدو فى بحثه عن الارتباط بالموضوعات الخارجية(٣) . وما يميز هذا الطور عند الطفل بدء ادراكه لذاته كموضوع مستقل عن الام ، وادراكه لمعنى التنافس مع الآخرين ، وتعلم الطفل التنافس خطوة نحو نمو الشخصية المستقلة التى هى شرط لحدوث عمليات التفكير ، كما انها خطوة لتحصيل قيم تلقن له ، دون توقع الثواب الذى كان شرطا لاداء افعاله فى الطور الاول . ويبدأ الطفل فى هذا الطور الخطوات الاولى للتمييز بين الادوار التى ترتبط بصلات القرابة والادوار العمومية نتيجة نشاطه وتفاعله المتزايد مع الام ، ويتعلم الطفل فى هذا الطور المهارات الاساسية للسلوك كالمشى الذى يعتبر اساس المهارات الحركية والكلام اساس مهارات الاتصال والتفاهم . كذلك تتمايز هذه المرحلة باتساع العلاقات الاجتماعية ، فيعرف الطفل اباه واخوته ، لكنه لا يندمج معهم . كما يتعلم أن يوجه الى انماط القيم السائدة بتأثير الحب الذى تضفيه عليه الام . كذلك يتغير الهدف عنده من الاشباعات الفسيولوجية البحتة ، فليست الاشباعات الفسيولوجية هدفه الوحيد فى علاقاته بأمه فى الطور الثانى ، بل اظهار حبه لامه هو الهدف الاول . ويتجلى حبه لامه فى محاولته اثبات قدرته على اداء السلوك المنظم فى مواقف التفاعل ، وتفضيل اداء السلوك ، واعطائه الاسبقية على اشباع الحاجات العضوية من اجل الاستحواز عليها ، كما تتميز هذه المرحلة بازدياد القدرة على التفاعل مع الام ، ويؤدى الاندماج العاطفى معها الى اتساع نطاق ارتباطات الطفل مع العالم الخارجى الذى يتعرف فيه . ويحاول دائما أن يرتبط فيه بمهارات جديدة ، ويحاول ان يعرف هذا العالم ، اما بالملاحظة المباشرة ، اما بالسؤال بالكلمات التى بدأ يتعلمها .

---

(١) Parsons Talcott: Family Socialization and Interaction process, op.cit., P. 67.
(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P.42.
(٣) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 93.

ومن ثم يتميز نسيق الام والطفل فى الطور الثانى عن الطور الأول ، فالام تسيطر على هذا النسيق فى الطور الأول ، وتضفى على الابن الكثير من الحب رد فعل لافعاله التلقائية، وهو موضوع الاهتمام والرعاية • اما العلاقات بين الام والابن فى الطور الثانى فتتمايز لسببين : الاول : تأثير العالم الخارجى على نسيق الام والطفل ،وعلى العلاقات بينهما • والسبب الاخر ،يؤدى التفاعل بين الام والطفل الى فهم الطفل المعنى الرمزى لهذه العلاقة ، ولا يتوحد الطفل بموضوع واحد ، بل يتوحد مع نسق من الموضوعات ومجموعة من القيم[1] ،كشرط لاستقرار هذا النسق • وحب الطفل للام هو الهدف من سلوك الابن فى الطور الثانى ويدفعه حرصه على تبادل الحب معها الى اكتساب مستويات جديدة من السلوك ، وتحصيل نسق من القيم والجزاءات ،واحساسه لأول مرة بالمشكلة الاخلاقية وقواعد الضبط الاجتماعى ،كشرط لاستقرار هذا النسيق الذى يحاول الارتباط به الى الابد ، ولكن يحاول عبثا •

الطور الثالث : الطور الأوديبى : يرى بارسونز ان الطفل فى هذا الطور يبدأ الخروج من النسيق البسيط الهادى الذى يرتبط به ،وهو نسيق التفاعل مع الام ويدخل فى ارتباطات وعلاقات متعددة متراكبة مع الام والاب والاخوة • وتنتظم هذه العلاقات داخل نسق الأسرة ، وترتقى علاقات الطفل مع افراد اسرته ،وترتفع الى مستوى عال من التنظيم ، ويبدأ الانا الاعلى ممثل السلطة الاخلاقية فى التكوين نتيجة التوحد مع الاب رمز السلطة والنظام عند الطفل • وقد ميز بارسونز بين عملية التوحد بالام فى الطور الفمى والتوحد بالاب فى الطور الاوديبى ، فبين ان التوحد بالام فى الطور الأول كان توحدا بالام فقط ، دون ادراك لنوعها أو سنها • وكان الهدف منه ضمان حبها له ، اما التوحد فى الطور الاوديبى فهو أكثر تعقيدا ، ويقوم على دعامتين اساسيتين هما التوحد بفئة النوع ،والتوحد بجماعة السن • والسن والجنس صفتان كان الطفل يجهلهما فى الطور الأول ، والطفل فى المرحلة الأوديبية يتوحد مع الصفات المرتبطة بالنوع ،كذلك يتوحد مع أنماط السلوك المرتبطة بالقيم الاجتماعية المناسبة لسنه• لكن اهم ما يتميز به التوحد فى هذا الطور الزام الطفل التوحد مع مستوى عال من التنظيم العام• وتعلم الاستقلال والاندماج مع نمط من توجيهات القيم •ويساعد نجاح الطفل على اكتساب هذا النمط الذى يشاركه فيه اعضاء الاسرة على اداءه لسلوكه فى المجتمع الكبير، دون توقع الجزاء • بيد أن توحدات الطفل مع الموضوعات الاجتماعية ليست مطلقة بل تحددها

(1) Persons Talcott: Social Structure and Personality, op. cit., P. 47.

صفات السن والجنس ، ولا يتوحد الا ما يتفق مع سنه وجنسه ، كما تتميز تلك الفترة بازدياد معرفة الطفل بانماط السلوك المرتبطة بالادوار المختلفة ، التى يقوم بأدائها نتيجة التحول الى نسق الاسرة ، ومطالبته بتحقيق التكامل مع اعضائها . ويبدأ التفاعل مع اعضاء اسرته الذين يكونون معه مجتمعا صغيرا .

ويرى بارسونز ان الوظيفة الاسرية فى هذا الطور ، هى التنشئة الاجتماعية للطفل ، وتشبه هذه الوظيفة ، الوظيفة الوالدية عند فرويد (١) . فالاسرة هى الموضوع الهام للتوحد عند الطفل . ويساعد توحد الطفل بقيم الاسرة على تحقيق عضويته الكاملة بالاسرة والمجتمع ، كما ان هذا التوحد له اثره فى تحديد المراكز الاجتماعية للطفل فى المجتمع الكبير . وقد اهتم بارسونز بتفسير العلاقات فى الطور الاوديبى ، ولكن ان هناك تباينا فى موقف الطفل من الجنسين فى هذا الطور . فأهم ما يميز هذه الفترة التمييز بين الافراد على اساس النوع ، وتصبح الاعضاء التناسلية رمزا للتوحد بالنوع (٢) . فالطفل فى هذه الفترة يدرك الفوارق البيولوجية بين الذكر والانثى . ويقدم هذا التباين البيولوجى ركيزة وراثية يعزى اليها تخصص الافراد فى اداء سلوك معين حسب الجنس فى الجماعة ، ويعى الطفل اهمية ارتباط السلوك بصفات معينة عند الجنسين ، ومن ثم يتوحد الابن بابيه وصفات ابيه ، وسلوك ابيه ، ويرتبط بجنس امه ، فلا يتوحد بصفات نوعها ، اما الابنة فتتوحد بالام وترتبط بصفاتها مشدودة بالجنس .

ويؤدى اندماج الطفل فى نسق الاسرة الى ادراكه دور الاب واضحا ، كعضو يمثل العالم العالم الخارجى داخل الاسرة ، ويمثل الاسرة فى الخارج ويدرك انه مصدر اعالة الاسرة ، على ان الاندماج فى الاسرة لا يحطم نسق التفاعل مع الام ، ولا يدفع الطفل الى الانطلاق متحررا من ربقتها عليه لكنه يظل مرتبطا بها وهى تلعب دورا حاسما فى حياته ، ولا يتلاشى اثر توحده بها . فالام فى الطور الاوديبى لا زالت شخصا هاما فى حياة الطفل . ولا زالت هى المنبع الاول للطمأنينة والقبول وعلامات الحب ، ومصدرا للراحة الجسمية والنفسية ، وتتمركز اهمية مكانة الام عند الطفل فى انها لا زالت مصدر المساعدة والعفو ، اما الاب فيتمركز دوره كممثل للسلطة والتنظيم والاحترام . وهذا الاب هو وسيلة الابن الى معرفة العالم الخارجى . وهو يبدى له الكثير من مظاهر الحب والاحترام والتودد ، رغم انه ليس اول من أحبه ، و...

(١) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit., P. 96.

(٢) Parsons Talcott: Ibid., P. 99.

يشبه الحب والاعجاب لحب امه له٠

وفى هذا الطور تبدأ مظاهر تعقيد بناء الاسرة بعد تكوين بناء الانا الاعلى ، وتصل مكونات الشخصية الى مستوى عال من القيم المتوحد بها ، ويبدأ الطفل يواجه بناء اكثر تعقيدا من الموضوعات المتوحدة تساعده على الاستغناء عن الحب الشهوى الذى لم يعد يمنح له كمكافأة على سلوكه ، وكأسلوب هام فى التنشئة الاجتماعية ، ولم تعد المكافآت تضفى عليه دون حساب ، وصارت ضرورة تقبله وانتماءه من الجماعة ومعايير ما شرطا لتوافقه معها وقبولها له٠ واصبح يتحمل المسئولية لذاتها ، ويعود ذاته على النظام دون انتظار اضفاء الحب عليه ، اذ اصبح الموضوع الهام هو الجماعة والارتباط بالجماعة الاسرية٠

ولم يقتصر بارسونز فى دراساته للطور الاوديبى على دراسة بناء العلاقات الاجتماعية للطفل ، وتعقد بناء القيم ، ونسق التوجيهات الذى يحكم السلوك ، بل درس عواطف الطفل نحو والديه فى تلك الفترة ٠ وهو فى دراسته عالج المشكلة الاوديبية ، وبين أن تحقيق المطالب الاجتماعية فى الطور الاوديبى ، وانبثاق الانا الاعلى ، يجعل الطفل يعانى الكثير من مظاهر التوتر نتيجة لاضطراره هجر امه موضوع حبه الاول ، ولا يستطيع ان يتوحد بصفات ابيه توحدا كاملا ، وهو لا يستطيع ان يحتل مكانته فى الاسرة ، او يقوم بدوره لصغر سنه ، ولإلزامه بعدم الاعتماد على الام لتحقيق اشباعاته تبعا للمعايير الاجتماعية التى تفرض عليه ٠ بارسونز وان اتفق مع فرويد على ان الاب هو مصدر القلق والتوتر فى حياة الطفل ، فانه فسر اسباب هذا القلق تفسيرا جديدا يتفق مع نظريته الاجتماعية ٠ وقد رفض بارسونز تفسير مشاعر التوتر عند الطفل برغباته الجنسية نحو الام ، او المشاعر العدوانية نحو الاب ، والخوف من الخصاء ، كما رفض أن التوحد بالاب وتكوين انا أعلى صارم يحمل نواهى الاب كان علاجا له من هذه التوترات والمشاعر الجنسية والعدوانية ، وبين ان الانا الاعلى الناشئ رمز الخوف من عقاب السلطة الابوية ، وهو مبعث كثير من علامات التوتر ، ومصدر تهديد فى حياة الطفل ، واذا كان بارسونز قد قبل الرأى الفرويدى عن الانفعالات العنيفة فى الطور الاوديبى ، فانه ارجع هذه الانفعالات الى مصدرين اجتماعيين ٠ أولهما ، التحول الهام الحادث فى حياة الطفل بنزعه من عضوية نسق التفاعل مع الام ، هذا النسق الذى لا يشاركهما فيه احد ، الى نسق اكثر تعقيدا يتكون من الوالدين والاخوة ، كما يعرف الابن فى هذا الطور اشكالا جديدة من العلاقات ، ولم تعد الام تقوم بوظيفتها العاطفية دون حساب ، ولكنها اصبحت تقوم بوظائف نفعية وتوجيهية ، تهتم بتوجيه الطفل وارشاده وحسابه ، وكذلك يواجه الطفل علاقات جديدة مع الاب الذى يفرض عليه

التزامات ومطالب اجتماعية ، تهفي خلق الابن الراشد ، وتعويده على السلوك الاجتماعي السائد • والمصدر الآخر : هجرة الابن لموضوع حبه الأول ، وقطع علاقات الحب الشهوى مع الام والمتوارثة من المرحلة الفمية بتأثير المطالب التى يفرضها عليه توحده مع الاب • لـذا يشعر الطفل بمشاعر عدوانية نحو الاب ، لا بصفته غريم الاب فى حب الام ، بل بصفته رمزا للسلطة التى تفرض عليه ضغوطا اجتماعية تقيد سلوكه التلقائى ، تلك القيود التى يقاومها الطفل ، ويكرهها لانها تهدم نسق الطمأنينة مع الام •

بيد ان الاب لا يمارس سلطة القهر الاجتماعى وحده على الطفل • فالام تساعده فى ذلك • لذا يتقبل الطفل مطالب الاب حسب رغبة الام التى يكن لها الحب ، وتساعد الاب فى غرضه ، ويتحول الى اكتساب الادوار النفسية التى يقوم بها الاب اثناء علاقاته مع الام • كذلك بين بارسونز ان هذه التوترات لا تستمر طويلا اذ تساعد عملية التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة على تخفيفها • وتعمل اساليب الضغط الاجتماعى على تنظيم وتهذيب وكبت هذه التوترات ، كما تدفع هذه التوترات الطفل الى ازدياد توافقه مع الاسرة كنسق اجتماعى ، وانهلاع الانا الاعلى رمز السلطة الابوية ، ويتعلم انماط السلوك المناسبة المرتبطة بالادوار الاسرية ، وان كان ادراكه لكل هذه الادوار قاصرا •

من هذا العرض يتبين لنا مدى مساهمة بارسونز الاجتماعية فى تفسير المشاعر الاوديبية • وقد يأخذ البعض عليه انه جعلها ظاهرة عامة دون تأكيد من دراسات تجريبية ، بيد أن رأى بارسونز بعمومية هذه الظاهرة رأى سليم ، فقد قرر ان مظاهر التوترات التى تصاحب هذه الظاهرة تتباين من مجتمع الى آخر ، نتيجة تباين الاوضاع الثقافية فى تلك المجتمعات •

ومن ثم يمكن لنا ان نوجز أهم ملامح هذه المرحلة بأن الطفل لم يعد فى الطور الاوديبى يعتمد على الام ، واصبح الاعتماد عليها ظاهرة مرضية ، وانها فترة يندمج فيها الطفل بالاسرة باعتبارها جسرا لانتقاله الى المجتمع الكبير ، كما تعقدت انساق القيم وادوار السلوك التى يتوحد بها الطفل ، ولم يعد يعتمد على طلب الحب كثواب لافعاله ، لذلك ارتقى الطفل من مجرد كائن حى يعتمد على الام الى انسان يؤدى سلوكا تحكمه القيم الاجتماعية • وهذه القيم التى على مستوى من التنظيم يتوحد بها الطفل دون سند من الاشباع الشهوى • أما التوترات فمصدرها السلطة التى يعانى منها ، والتى تفرض عليه لاول مرة •

الطور الرابع : طور الكمون : واذا كان فرويد لم يهتم بقدر كاف بالطور اللاحق للطور الاوديبي لانه طور كمون تسكن فيه الانفعالات النفسية ، وتكمن فيه الغريزة الجنسية ، فان بارسونز اتجه اتجاها مغايرا ، وحلل العلاقات الاجتماعية واشكال السلوك داخل بعض الانساق في هذا الطور• ويبين ان هذا الطور يتسم بتكوين نسق من الاتجاهات اكثر تنظيما واستقرارا (١) وخروج الفتى والفتاة عن دائرة الاسرة ، والاتصال بالعالم الخارجي ، والالتحاق بالمدرسة ، والانضمام الى جماعات الرفاق ، وهذه الجماعات لها ثقافات مغايرة لثقافة الاسرة، كما يتميز هذا الطور بظهور علاقات الصبي مع الغير من رفاق السن والجنس•

وقد حلل بارسونز طبيعة الانساق التي يرتبط بها الفرد في هذا الطور ، فبين أن أهم ما تتميز به هذه المرحلة تكوين انساق من الذكور والاناث ، لتدعيم دور الجنس الذي حصله الطفل في المرحلة الاوديبية ، كذلك يتزايد التباين في اداء السلوك المرتبط بالادوار القرابية والادوار العامة المتحصلة، وتدرك الفروق بين الادوار ذات التوجيه الخاص ومحورها الاسرة، والادوار التي لها توجيه عام ومحورها العالم الخارجي الذي دخله لأول مرة•

ويرى بارسونز ان تثبيت فرويد للسلوك الانساني في اطوارها قبل التناسلية ، يحمل كثيرا من المبالغة ، لان توحدات الشخص من القيم وانماط السلوك عملية مستمرة ، تهدف دائما تحقيق تكيف الشخص مع المجتمع ، وازاء ذلك فالسلوك لا يثبت في طور معين من اطوار الطفولة، بل يتغير باستمرار حسب مراحل النمو • ويرى بارسونز ان مرحلة الكمون تبدأ بالتحاق الطفل بالمدرسة • ويعلن هذا التغيير الحادث في عالم الطفل بداية خطوات تحرره من نفوذ الاسرة ، كما تخف كل الصراعات التي عانى منها نتيجة حبه وارتباطه بامه ، وممارسة الاب مظاهر السلطة عليه• كما يحاول الصبي بلوغ مستوى جديد من التكامل في العلاقات الاسرية ، وتكوين دور مستقل نحو كلا الابوين ، وتقوم علاقاته مع ابويه على الاحترام والمحبة بدلا من الارتباط الانفعالي • وفي الوقت نفسه يندمج مع زملاء المدرسة وجماعات رفاق اللعب ، وبانطلاق الفتى الى العالم الخارجي يبدأ في ادراك ان العالم الخارجي أرحب من الاسرة ، ولم يعد العالم الخارجي مخيفا او غريبا كما كان يتصور • وتبدأ علاقاته الاجتماعية في الاتساع • كما يشتد ارتباط الصبي بالمجتمع من خلال عالم المدرسة وجماعات السن • وتبدأ مرحلة اعادة تقييم معايير الاسرة ، وتنظيم العناصر الثقافية التي لقنتها له الاسرة باتصال الصبي بزملاء المدرسة ، وممارسته بعض

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 156.

انماط النشاط ، لكنه لا يفقد القيم التى توحد معها فى الطور الأول ، ولا يكفر بها نتيجة اتصاله بالعالم الخارجى ،كما لا يعنى خروج الطفل الى العالم الخارجى انحلال نسق الام والطفل ، كما لا يعنى تخلى الام عن ابنها وتركه وشأنه ، بل لا زالت ترى ابنها صغيرا ، لا يستطيع مواجهة العالم الكبير وحده • كما تؤكد الاسرة حمايتها له ضد منافسة اخوته او زملائه • كما يحس ايضا انه ما زال محتاجا الى اسرته والاعتماد عليها لأخذ النصيحة• كذلك يشعر الصبى بقوة الرباط العاطفى مع اعضاء الاسرة ، وفى الوقت نفسه تقوم الاسرة بوظيفة كبح مظاهر الانحراف كبحا ناجحا ، والتدعيم المستمر لاتجاهاته نحو انماط جديدة مقبولة من السلوك تدعيما قويا • ويمثل الانا الاعلى فى هذا الطور السلطة الابوية • كما يبدى الصبى اهتماما ملحوظا وولاء شديدا للطقوس الدينية التى بدأ يتعرف عليها • كما يدرك الفتى فى تلك الفترة ضرورة تنظيم الحاجات العاطفية ، ويعرف الفتى ان اطلاق العنان لاشباع حاجاته الشهوية عملية مستحيلة فى مجتمع منظم ، لذا يغلب على سلوكه طابع المثالية الاخلاقية، وتأسره القيم الاخلاقية فيحاول ان يقتدى بها • وقد اهتم بارسونز بتحليل مظاهر التفكير وانواع الاتجاهات التى تحيط بالطفل نتيجة تشعب علاقاته الاجتماعية ، فاوضح انه فى هذه الفترة يدرب الصبى على اسس المهارات العقلية ، وتبدأ مرحلة انتقاله من مرحلة التفكير المحسوس الى مرحلة التفكير المجرد ، وبداية مرحلة نمو التفكير المنطقى المجرد ، كما يعانى الفتى من تنازع الولاء بين الاتجاهات والغايات المباشرة الخاصة أو الاهتمام بفئة من الغايات يحددها مبدأ معين ، بيد انه يبدى الولاء للتوجيهات والغايات الخاصة المباشرة ، وفى مواقف التفاعل بين الاسرة والمدرسة يفضل اسرته واخوته • وفى مواقف المفاضلة بين الاصدقاء والغرباء ، يعطى الاسبقية لاصدقائه على الغرباء •

وكما ذكرنا ينتقل الصبى فى هذا الطور من نسق الاسرة الى الخارج ، ويندمج فى نسق المدرسة ، ونسق جماعات اللعب • وهذان النسقان هامان ويلعبان دورا هاما فى حياة الصبى فى تلك الفترة ، ويكونان مع نسق الاسرة انساق التفاعل الثلاثة فى عالم الصبى • ويلعب المنهج المدرسى والنشاط دورا هاما فى اعادة تنظيم وتدعيم قيم الصبى (١) • فالفصل المدرسى مجال هام للتنشئة الاجتماعية فى طور الكمون ، فالصبى يتعلم حينئذ توجيه سلوكه توجيها جديدا يهتم بالتحصيل • ويعى من المدرسة معنى النجاح والفشل ، ويدرك اهمية تحصيل

(١) Parsons Talcott: Family Socialization and Interaction Process, op.cit., P. 116.

دروسه ، ومن ثم قيمة التخصص فى تحديد مستقبله. وتبدى المدرسة وظيفتها فى التنشئة باعتبارها سلطة جديدة فى عالم الصبى ، تفرض عليه التزامات معينة ، وتوجه سلوكه توجيهــا خاصا. بيد ان دور المدرسة فى تدعيم القيم الجديدة ليس مطلقا ، لكنه مقيد . فنجــاح المدرسة فى اداء رسالتها ووظيفتها لن يتحقق تحققا كاملا الا اذا تعاونت المدرسة والاسرة ودعم كل منهما الاخر، واعطت المدرسة الولاء والتقدير للميراث الاجتماعى الذى يحمله الصبى من الاســرة .

كذلك يبدأ الصبى الاهتمام بالعالم الخارجى من خلال عالم الرفاق ، ويخطو خطــوات الى هذا العالم ، وتتعدد الجماعات التى ينتمى اليها ، ويمارس فيها اوجها متعددة مــن النشاط . ويعرف التباين فى المراكز من خلال هذا النشاط . وتظهر لديه نزعة نحو القيادة او التبعية . ويعرف الفرق بين القائد أو الزعيم والعضو التابع . وقد اوضح بارسونز الفرق بين الدعامة التى يقوم عليها السلوك فى هذا الطور والسلوك فى الطورين الاولين ، فبين أن العلاقات فى الطورين الاولين لها مضمون شهوى (١) ، وان العلاقات فى طور الكمون لا تقوم على أســاس الحب الشهوى ، وطلب الجزاء على الاداء ، بل تتميز العلاقة بالتنافس مع رفاق السن بعيدا عن سيطرة الاسرة ونفوذها ، كما تدور علاقات وانشطة الصبى حول محورين اساسيين . المحور الاول اهتمام بالمنهج التعليمى والتحصيل الدراسى . والمحور الثانى الارتباط بكل مظاهــر السلوك المرتبطة بالشجاعة والتربية الرياضية. كذلك أوضح بارسونز تميز طور الكمون بتقــدم هائل يحققه الصبى فى اكتساب مبادئ الفصل النفعى ، وتسامى القدرات العاطفية الـــى مستوى مجرد من الارتباطات الشهوية ، كما تتغير طبيعة علاقاته مع والديه عن الطور الأول .

واذا كان فرويد قد أكد اهمية الوظيفة الوالدية فى تحديد الشكل النهائى للشخصيــة، واذا كان دوركيم قد وصم الاسرة بالتحيز والعاطفة ونزع عنها دورها فى التربية القوميــــة وارجعه الى المدرسة وحدها ، فان بارسونز قد وفق بين آراء فرويد ودوركيم وأكد اهمية التربية الاسرية فى سنوات الطفولة ، واشار الى اهمية المدرسة فى طور الكمون ، وافصح مؤكدا أن التربية الاسرية تدعم الوظيفة التربوية للمدرسة ، ولها دور حاسم لا يقدر فى التأثير على السلوك فى طور الكمون (٢) ، كما ان القيم الاسرية التى ورثها الطفل قبل التحاقه بالمدرسة تنعكس علــى اداء سلوكه فى المجتمع الخارجى .

(١) Parsons Talcott: Social Structure and Personality, op.cit., P. 104.

(٢) Parsons Talcott: Family Socialization and interaction process, op.cit., P. 112.

ولم تقتصر دراسة بارسونز لطور الكمون على التغير الجديد في بناء شخصية الصبي، ولم تقف دراساته على بيان التغير الحادث في العلاقات في طور الكمون، بل حلل موقف الاسرة من القيم الجديدة في تلك الفترة وأثر موقفها من هذه القيم على سلوك الصبي، فاوضح انه اذا وقفت الاسرة موقفا سلبيا من القيم التي يتلقاها الطفل في المدرسة، او نبذتها واعلنت رفضها لها صعب على الصبي الاندماج فيها او التوحد معها. واشار بارسونز الى ان خوف الصبي من العقاب المدرسي يقلل عندئذ من ولائه لاسرته، ويتجه الى المجتمع الجديد بشخصية تحمل قيما مزدوجة متعارضة، بعضها توارثه من البيت، والبعض لقنته له المدرسة.

كذلك بين بارسونز اهمية هذه الفترة، فاوضح انها فترة يتأكد فيها التمييز بين الادوار التي ترتبط بالسن والجنس. ويدرك فيها الطفل الفرق بين الام والاب، والاخ والاخت، والذكر والانثى، والصبي والصبية، والكبير والصغير. وتؤكد المدرسة الابتدائية هذه الفروق فتفرض عليهم المدرسة زيا معينا حسب الجنس، وتفرق بينهم خارج الفصل في الفصول المتقدمة. ولذا يهتم الصبي بالتمييز في العلاقات على اساس الجنس. كذلك عنى بارسونز بوصف سلوك الصبي واتجاهاته. فبين ان مرحلة الكمون هي مرحلة ازدواج بين البطولة الواقعية والخيالية. ويبدى الصبي اعجابه بالبطل الرياضي الجرئ وكذلك بابطال مجتمعه الحقيقيين، وفي الوقت نفسه يؤمن ويعجب بالبطولات الخرافية (١). كذلك يتخذ الصبي الامريكي موقف اعجاب واحترام للشخص القادر على فعل ما يريد بصرف النظر عن ماهية هذا الشخص، ويعبر هذا الاعجاب بالافعال عن التعويض الذي يعانيه الصبي عن اداء هذه الافعال. وقد أعرب بارسونز عن أن اهم ملامح هذا الطور، ارتباطه بالاطوار السابقة. فتوحدات الصبي السابقة هي التي تدفعه الى تعلم ادوار جديدة داخل المدرسة واثناء تفاعله مع رفاق السن، ويدرك الفتى الفروق بين القيم الخاصة والعامة، ويعاني من الولاء بينهما، ولكنه لا يدرك الفروق الواضحة بين القيم المتوارثة والمتحصلة (٢). وتبدأ مرحلة ظهور التفكير المنطقي المجرد، والربط والفصل بين العمليات العقلية، كما تتسع دائرة علاقات الصبي. فلم يعد عالمه محصورا في اشخاص الاسرة، لكنه تجاوزها الى علاقات جديدة ويرتبط بجماعات متعددة اكثر من ارتباطه بالاشخاص. يدرك الفروق بين ذاته ووالديه، ويتعرف بأبنية اجتماعية جديدة، ويتعلم فيها ادوارا جديدة، يتبادل مع العلاقات يدرك معنى الافعال الموجهة من

---

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 118.

(٢) Parsons Talcott: Ibid., P. 121.

الآخرين ، وتكامل الادوار مع الآخرين ،وتكيف سلوكه اثناء التفاعل مع الصغار والكبار.

الطور الخامس: طور المراهقة : اهتم بارسونز بتحليل طور المراهقة ،فلم يصرف اهتماماته الى الانفعالات النفسية المتفجرة عن نمو الغريزة الجنسية ،ولكنه عالج هذا الطور من وجهة نظر اجتماعية خالصة ،فقد فسر الانفعالات النفسية التى يعانى منها المراهق ،وبين اهمية المظاهر النفسية المرتبطة بالنمو فى هذا الطور . اذ فى هذا الطور تستيقظ الشهوة التى كانت نائمة فتسبب للمراهق صراعات نفسية يعيش اسيرا لها ، وبدفعه اليها اهتمامات المراهق بالجنس الآخر وزيادة تقدار الشهوة الجنسية فى فترة ما بعد البلوغ .وقد ميز بارسونز بين الرغبة الجنسية فى هذا الطور ،وبين الرغبة فى الطور الاوديبى . فاوضح ان الرغبة فى الطور الاوديبى موجهة نحو الام . اما فى هذا الطور فتوجه الرغبة الى موضوع قريب من عمر المراهق لكنه من جنس مغاير له، يستطيع ان يشبع معه رغباته اثما بطريقة غير مباشرة ،سواء بالحديث معه ، او بالتعبير عن رغباته من خلال الشعر أو الفنون . ويهدف المراهق دائما الى اعلاء هذه الشهوة الى مستوى العاطفة . وقد بين أن هذا الطور يتميز عن اطوار الطفولة الاولى فى مدارين ،احدهما ان موضوع الشهوة قد صار انسانا من نفس السن ومن الجنس الآخر ، والآخر فان الشهوة لم تعد تحكم سلوك الشخص على النحو القديم وتسبب له المشاعر الانفعالية العدوانية . ولكن بارسونز لم يقف عند حد وصف الانفعالات النفسية فى طور المراهقة، بل ارتفع عن مستوى الانفعالات النفسية الى دراسة شخصية المراهق وعلاقاتها بالانساق الاجتماعية ،تلك الانساق التى تحد من الاشباع المباشر لشهوات المراهق ،وتجعل من التعبير المباشر لها شيئا محرما (١) . فالشهوة فى فترة المراهقة ، تقام وتبنى حول نسق من القيم والمصالح الاجتماعية التى تسمو بها عن مستوى الشهوة الحقيقية . كذلك حلل بارسونز علاقات المراهق ، وفسر اهمية تلك المرحلة فى حياة المراهق . فافصح ان أهمية تلك المرحلة يرجع الى انها المرحلة التى يتقدم منها الى المجتمع ، لكى يخطو الخطوات الاولى الى المجتمع الكبير مجتمع العمل ، وانه الطور الذى يسبق مرحلة الاستقلال الاقتصادى عن الاسرة ، الذى فيه يحصل المرء على عمل ، ويعول الشخص نفسه .

ويرى بارسونز ان المراهق فى هذا الطور عضو فى انساق الاسرة والمدرسة والرفاق ،لكنه يزداد ارتباطا بالرفاق . وتحل هذه الجماعات عند المراهق محل الوالدين ، كمحور هام

---

(١) Parsons Talcott: Social structure and Personality, op.cit., PP. 105-106.

وأساسي للاستقرار النفسي والعاطفي الضروري لنمو شخصية المراهق وتكاملها • ويبدي المراهق الكثير من مظاهر الولاء لرفاقه ، ويفسر بارسونز سلوك الولاء بين المراهقين بأنه تعبير لا مباشر عن التوتر النفسي الشديد الذي يعاني منه المراهق(١) • ولم يرد بارسونز هذا التوتر الى اسباب بيولوجية او نفسية، بل ارجعه الى عوامل اجتماعية ، فالمراهق يهرب من اسرته الى عالم الرفاق ، اذ يرى أن عالم الاسرة بعيدا عن اغراضه وآماله ،بينما يرى عالم الرفاق قريبا من اهدافه وأغراضه، وينفر من قيم الاسرة لشعوره بعدم التوافق في علاقاته الاسرية ، وعدم تكيفه معها ، ويندمج مع عالم الرفاق ليتكامل مع افراده ، ويتكيف معهم • ويرى بارسونز ان هذا الطور يتميز بصورته الخاصة المميزة عن الاطوار الاخرى ، فهو ليس طور انتعاش في الحوافز الجنسية فحسب ، بل هو طور تمرد على الميراث الاجتماعي • وقد اشار بارسونز انه رغم الانفعالات التي يعاني منها المراهق ،فالمراهق لديه رغبة في المشاركة في المجتمع الكبير، والارتباط بالعالم الذي حوله ، كما تتبلور لديه فكرته عن الاعتماد على نفسه والمشاركة والمسئولية الجماعية • كذلك الرغبة في الاندماج والمشاركة في ثقافة الكبار ، بيد ان هذه الرغبة يشوبها في نفس الوقت نبذ اهتمامات الكبار والتمرد عليها والرغبة في معارضة الكبار وكل ما يفرضونه عليه • ويكتسب المراهق في نهاية طور المراهقة ، الميل الطبيعي للمشاركة خارج الاسرة • ويرتبط مع اربع جماعات ، ثلاثة اساسية والرابعة هامشية • ويندمج مع قيمها ويصبح قادرا على اقتفاء اثر الاهداف المناسبة لهذه الجماعات مستقلا عن انماط الجزاءات التي كانت تتحكم في سلوكه في الاطوار السابقة • وهذه الجماعات هي : أولا ، جماعة نظراء السن ، وتضم رفاق السن بوجه عام ، ويحكم هذه الجماعة قيم ثقافية خاصة بها • ثانيا ، جماعة المدرسة وهي نموذج يبغي تحصيل هدف معين من خلال اداء معين • ثالثا ، جماعات الاصدقاء ، وهي نمط أولي لتنظيم اجتماعي نشأ نتيجة اشباع الرغبات ، والاهتمامات المتبادلة مع الاصدقاء • رابعا ، جماعات تتداخل فيها علاقات المرء مع أعضاء الجنس الآخر • وهي جماعات حديثة التكوين ، وهي شكل اولى للعلاقات الوحيدة المسموح بها لاشباع الرغبات الشهوية التي تلعب دورا هاما في حياة المراهق(٢) ، وهذه الجماعات الاخيرة ليست اساسية ــ في نظرنا ــ في عالم المراهق في كثير من المجتمعات •

كذلك اهتم بارسونز بتحليل السلوك الاجتماعي في هذا الطور من النمو ، فأشار الى

---

(١) Parsons Talcott: Ibid.,PP.218-219.

(٢) Parsons Talcott: Ibid., P. 106.

تباين سلوك المراهق عن سلوك المراهقة . ويرد هذا التباين الى اختلاف مضمون بناء شخصيتهما ويظهر هذا الاختلاف بين الجنسين فى مجالات النشاط المختلفة. فالفتاة تهتم فى هذا الطور بالسلوك الذى يبرز انوثتها ،كما تغلب العاطفة على سلوكها وتصرفاتها . اما المراهق فيزداد اهتمامه بالنشاط الرياضى كمجال مصغر للمنافسة القادمة والمتوقعة فى المجتمع المهنى[1] . اذ ينحصر اهتمام المراهقين فى البطولات الرياضية والالعاب التى تبرز القوى العضلية. كذلك يشارك المجتمع فى تأكيد هذا الانفصال ، فالمجتمع الكبير يفصل مجتمع المراهقين عن مجتمع المراهقات فى جميع مجالات النشاط . وفى الوقت نفسه يزداد حرصه واهتمامه بجماعات المراهقات ويضع المجتمع الكبير الكثير من القيود واسوار التقاليد التى تحول الاتصال بينهم ، وتحول دون اتصالهم بمعزل عن رقابته ، ويفرض المجتمع هذه القيود لادراكه بشدة الجذب العاطفى والافتتان بالجنس الآخر.

الطور السادس: طور الرشد : يرى بارسونز ان بناء الشخصية عند الراشد يختلف عن نظيره عند الراشدة ، وان كان قد بلغا اعلى مستوى من التنظيم والتجريد والارتقاء، ومن ثم يختلف سلوك الراشد عن الراشدة . بيد ان سلوكهما معا يتصف بمظاهر توتر ورثت من مجتمع المراهقة . ويحدد هذا التباين فى السلوك المركز الاجتماعى لكليهما . والرجل ينشد العمل والاستقرار ثم الزواج . ويحل الاهتمام بأداء العمل والنجاح المهنى محل السعى الى البطولات الرياضية[2] ، الذى كان ملحوظا فى مرحلة المراهقة. كما تتميز صفات ادوار الرجل بالتحصيل والتخصص والمسئولية فى مجالات العمل . ويحدد نوع العمل الذى يؤديه الشخص ويحصل منه على الأجر مركزه الاجتماعى ، الذى بدوره يحدد المركز الاجتماعى للاسرة ومستوى معيشتها ، وتؤثر الصفات الفردية للشخص ،وقدرته على التحصيل والانجاز تأثيرا مباشرا وغير مباشر على اسلوب اختيار الرجل لمهنته . فالتأثير المباشر يخفى المعنى الرمزى للمهنة او الوظيفة باعتباره معيارا لتحديد المكانة. اما التأثير غير المباشر فيظهر فى ان المهنة هى المصدر الاساسى لدخل الاسرة الذى يحدد مستوى معيشتها . وقد أدى التخصص المهنى الى انصراف معظم طاقة الرجل الى العمل ،وقلة اهتمامه بالمسائل الشخصية ، وقلة ما يخصصه للمسائل العاطفية. يقابل ذلك ان الحدث الهام فى فترة الرشد عند المرأة هو الزواج ، كما يغلب على سلوكها الصفة العاطفية ، وتحدد الانثى فى هذا الطور لأداء ادوارها كأم وزوجة ،ويزداد اهتمام

---

(1) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 202.

(2) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, Op.cit., P. 256.

الزوجة لبيتها وأولادها دائما أكثر من أى شىء آخر ، وتنحصر وظيفتها فى تربية الاولاد والشئون المنزلية، ويزداد اهتمامها بأمور بيتها والاولاد ، يحتل هذا الاهتمام المكانة الاولى فـــى تفكيرها ، لكن مركز الام او الزوجة تابع لمركز الزوج الاجتماعى ، اما مركز الفتاة قبل الزواج ، فيحدده المركز الاجتماعى للاسرة وسماتها الشخصية والخلقية.

على انه فى بعض المجتمعات الحديثة التى خرجت فيها المرأة الى ميدان العمل ،وبدأت تشغل مراكز هامة فى النسق المهنى تنافس فيها الرجل ، وتتحرر من سيطرته ، ظهر أمـــارات التقارب فى أداء الادوار المهنية ، وذوبان الفروق بين بعض مظاهر السلوك فى مجــــالات العمل ، مما قد يؤدى الى التغير فى مكانة المرأة الاجتماعية فى هذه المجتمعات • وتغـير مكونات شخصية المرأة ، ولا ريب ان لهذا اثره على علاقاتها الاجتماعية داخل الاسرة وخارجها •

ويرى بارسونز ان سلوك الراشد فى هذا الطور يتميز عن سلوك الطفل ، ففى هذا الطـــور يتسم سلوك الراشد بالتميز فى طريقة الاداء وتصنيف الموضوعات ، أى بلغة اجتماعية يـدرك الراشد الفروق بين الصفات الوراثية والمتكسبة اثناء السلوك فى الموقف ، كذلك يرتبط الراشد بارتباطات متعددة مع جماعات متباينة تؤثر فى سلوكه ، فالاسرة تطلب منه التوافق مع الجنـــس الاخر ، والمجتمع المحلى الذى حوله يطالبه بدوره كمواطن ، اما المجتمع المهنى فيشير الـــى مسئوليته نحو مواجهة المستقبل ومسئوليته نحو الغير والمسئولية نحو المجتمع المهنى ، بيـد أن مسئولية الرجل نحو المهنة لم تعد مسألة تخص الرجل وحده ، بل صارت مسألة تخص الفتـــاة المعاصرة كذلك •

وهكذا نرى أن الشخصية قد بلغت أعلى مستوى من التنظيم فى طور الرشد ، واصبحـت متميزة عند الذكر والانثى ، ويظهر هذا التميز واضحا فى أداء السلوك المرتبط بأدوار معينـة، وغلبت على اداء الرجل الصفة الانجازية والارتباطات بجماعات وعلاقات كثيرة خارج البيـــت ، بينما تغلب الصفة العاطفية على اداء الامهات المتفرغات • ويؤثر العمل كظاهرة اجتماعيـــة على بناء شخصية المرأة العاملـة ، ويميز بناء شخصيتها عن المرأة المتفرغة•

ولم يغب عن بارسونز فى تحليله لتطور علاقات المرء فى اطوار النمو المختلفة تأكيد أهمية التباين البنائى للأنساق التى تندمج فيها الشخصية فى مختلف أطوار النمو ، وتحليل أنســاق القيم التى تضبط السلوك فى كل مرحلة • وهذا الاتجاه فى الدراسة قد زاد دراسات بارسونز

عمقا وثراء • وقد بدأ بتحليل نسيق الام والطفل بصفته اول نسق يرتبط به الطفل • ثم حلل نسق الاسرة تحليلا اجتماعيا ، واوضح ان الاسرة نسق موجود في كل المجتمعات تتوارثه الانسانية من مختلف العهود • كذلك حلل بارسونز بناء العلاقات الاسرية ، فبين انها تتمايز على أساس السن والجنس ، ووصف علاقات الام والابن بالتماسك • وهي تسمو على مستوى الرعاية الفسيولوجية ، كما تربط الام كذلك بالرجل بصفته زوجا وأبا لاولادها ، أوضح أن نسق الاسرة يتميز في جميع المجتمعات بالثبات النسبي ، وينعكس اثر حجم الاسرة على علاقات اعضائها • وأشار كذلك الى أن وظيفة الاسرة البيولوجية هي الانجاب ، وان وظيفتها الاجتماعية تتلخص في التنشئة الاجتماعية للصغار ، اما وظيفتها العاطفية فتهدف الى تحقيق التجانس بين اعضائها واختزال التوتر النفسي عند الكبار • وقد بين بارسونز ان هذه الوظائف الاسرية اصبحت اكثر تحديدا في المجتمع المعاصر ، اذ اصبحت مسئولية الاسرة اعداد الطفل لمواجهة الحياة ، وتعويده الاعتماد على نفسه ، وتحمل المسئولية ، ومواجهة المنافسة ، ولا تنجح الاسرة كقوة تمارس عملية التنشئة في اداء رسالتها ، الا اذا عودت ابنائها عدم الاعتماد على والديهما ، وحررتهم من سيطرتهما ، ودربتهم على عدم تقليدهما ، واتخاذهما مثلا عليا لا يستطيعوا الخلاص منهما • كذلك تعتمد علاقات الطفل داخل الاسرة على علاقات المحبة والروابط التي تقوم على صلة الدم دون الاهتمام بالروابط الاجتماعية الخارجية • لكن بنمو الطفل يعرف علاقات الجوار ثم الزمالة في المدرسة ثم رفاق الصحبة • وفي تحليله لنسق الاسرة بين انه نسق مميز من حيث الشكل والحجم والوظائف ، وتسوده علاقات عاطفية ونفعية وعلاقات سلطة وعلاقات تبعية • وقد بين بارسونز اثناء تحليله لنسق الاسرة بأن نسق الاسرة المعاصرة يتميز بتقلص سيادة الرجل ، واختصاص العمل بجهده ، وخروج بعض النساء الى العمل ، وإعلاء مكانتها الاجتماعية ، كذلك ازدياد مسئوليات الام نحو الاولاد وتأثرها بمشكلاتهم •

اما النسق الثاني الذي اهتم بارسونز بتحليله اثناء دراسته لتطور علاقات المرء فهو نسق المدرسة • فبين انه اول الانظمة التي يواجهها الطفل في تجربته الاجتماعية ، ولا تقوم فيها العلاقات على أسس روابط الدم ، كما ان اهم ما يميز هذا النسق الاهتمام بالتحصيل ، ويرى بارسونز ان عملية التنشئة الاجتماعية في هذا الطور ما زالت مستمرة ، فالمدرسة تهدف الى توجيه سلوك الصبي واعداده لمستقبله المهني • وقد اكد بارسونز ان المدرسة هي المجال المناسب لتعليم الصبي والمراهق الاداء والتحصيل والاستقلال[1] • وتمارس عملية التربية في

---

(1) Parsons Talcott: Social Structure and Personality, op.cit. P. 219.

المدرسة باعتبارها عملية توجيه رسمية تخضع لاشراف الاجهزة الحكومية • وقد اشار بارسونز الى وظيفة المدرسة كنسق عام يوجه التلاميذ الى اكتساب قدرات واحكام تؤهلهم لاداء الناجح في المستقبل داخل البناء •

كذلك اهتم بارسونز بتحليل نسق جماعات السن ، وبين انه مجال للتحرر من سلطة الكبار ، ومجال لاكتشاف انماط جديدة من السلوك ، تظهر فيه انماط من السلوك غير المرغوبة من الكبار • وأكد بارسونز اهمية تأثير جماعات السن على سلوك الصبي والمراهق • وكل منهم حكم على سلوك الآخر ، يدافع عن سلوك زميله الذى يرغبه ويشجعه عليه ، أو ينقضه ، أو يطلب منه تقويمه • ويرى بارسونز ان الاهمية الاجتماعية لجماعات السن انها تدعم توحد الرفاق مع توقعات الادوار المناسبة لاعمارهم وجنسهم ، كما انها مرحلة لاعادة " تنظيم بناء الدوافع الذى وضع فى الطفولة الاولى " (١) •

مما سبق يمكن لنا أن نلخص اهم ما يميز بارسونز عن فرويد ودوركيم • ان ما يميز نظرية فرويد فى الشخصية أنها اهتمت بالفرد اكثر من اهتمامها بالبناء الاجتماعى • وقد أغفل فرويد اهمية البناء الاجتماعى وقيمته فى تحديد اطوار النمو • أما دوركيم فقد اهتم بتحليل اهمية المدرسة فى التربية الاخلاقية فى طور الطفولة الثانى ، اكثر من تحليله سلوك الطفل • اما بارسونز فقد نهج نهجا جديدا فى دراسته لنمو الشخصية كمشكل لتطور علاقات المرء فى البناء عندما ربط بين كل مرحلة من مراحل النمو ، ومدى الاندماج فى انساق البناء الاجتماعى • واكد ان عملية النمو عملية تغيير مستمرة فى السلوك • وان الشخص يكتسب أثناء نموه عضوية مستمرة فى الجماعات ، ويحتل داخل الجماعات ادوارا جديدة ، كما يتوحد مع قيم جديدة •

وجهة نظر :

يتبين لنا من العرض السابق لآراء بعض علماء التحليل النفسى وعلم الاجتماع فى نمو الشخصية ، ان نمو الشخصية تعبير عن تغير السلوك ، وان نظريات نمو الشخصية هى نظريات فى السلوك • كذلك تبين لنا أن هؤلاء العلماء لم يتفقوا على رأى قاطع واحد فى تفسير نمو الشخصية ، وأساس تصنيف اطوار النمو ، فهل هو العامل الزمنى وحده ، أو العوامل البيولوجية وحدها ، او تغير علاقات المرء داخل النسق الاجتماعى ؟

---

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 140.

ويبدو لنا واضحا ان كل نظرية من هذه النظريات الاجتماعية والنفسية تؤكد أهمية التعلم بمعانيه المختلفة فى تطور الشخصية • كما اتفقت جميعها فيما عدا نظرية دوركيم فى اهمية المناخ الاسرى عامة والعلاقة مع الام خاصة فى تنشئة الاولاد ، وتوجيه السلوك• بل ان بارسونز كون من علاقة الابن والام نسيقا اجتماعيا قائما بذاته يستند على الحب الذى تضفيه الام على الابن كوسيلة لاعلاء الطفل الى المستوى الاجتماعى ، واكتسابه القيم الاجتماعية وتواحده معها •

ويقدر ما اهتمت مدرسة التحليل النفسى بالدراسات الاكلينيكية لاستقراء نتائجها فى نمو الشخصية ،فان النظرية الاجتماعية منذ دوركيم حتى بارسونز قد اعتمدت على استقراء النتائج من الدراسات النظرية ، ومن ثم فهى دراسات تعوزها دقة التجريب •

وتعانى كل نظرية من هذه النظريات _ التى عرضنا لها _ قصورا فى جانب من جوانبها ، فاذا كان اصحاب الاتجاه النفسى عند فرويد وسيلفيان قد اهتما بنمو شخصية الفرد ، وأكدا قيمة العمليات النفسية ، فانهما عجزا عن رؤية تغير العلاقات الاجتماعية ،وتغير القيم كلما كبر الشخص • واثر هذا التغير على بناء الشخصية • كذلك عجزا عن ادراك اثر تعقيدات البناء الاجتماعى الذى يرتبط به المرء ويؤثر على سلوكه ، كما اخفقا فى تحديد صلة التفاعل بين الشخصية والبناء فى اطوار النمو المختلفة • ولم يهتما بتحليل انواع التفاعل الاجتماعى فى المواقف ، واثر هذا التفاعل فى اثراء بناء الشخصية بالعناصر الاجتماعية •

كذلك تعانى نظرية فرويد قصورا عندما اكدت ان شخصية البالغ استمرار لشخصية الطفل ،وان الطفل ابو الراشد ،وثبتت السلوك عند طور معين من اطوار النمو يرتبط بمنطقة معينة من مناطق الجسد • وان التربية الاسرية هى الاساس الوحيد الذى تقوم عليه اخلاق الفرد •

ونرى ان تفسير نمو الشخصية عند سيلفيان ، تبعا لنمو نسق الذات فقط تفسير قاصر، وعاجز عن ادراك ازدياد تفاعلات المرء فى الانساق الاجتماعية كلما كبر المرء • ونرى أن تحديد نمو الشخصية بنمو الذات ، رغم ادراك تغير السلوك ، قد اضعف هذه النظرية لغموض مفهوم الذات واغفال تأثير البناء على سلوك الشخص فى ادوار النمو •

ولا ريب ان كتابات دوركيم فى التربية الاخلاقية هى الدعامة الاساسية لعلم اجتماع الطفل • فقد اهتم دوركيم بطورى الطفولة ، قبل دخول المدرسة وبعدها ، وقد أكد دوركيم

القوة الجبرية للمجتمع في تكوين الطابع الاجتماعي للشخصية ابتداء من السادسة داخل المدرسة وفي الوقت نفسه يحصر دور الاسرة في تكوين الشخصية القومية دورا ثانويا . واغفل اثر العوامل الوراثية والبيئة الثقافية والفيزيقية في تكوين الشخصية . كما اغفل اثر النمو النفسي واشباع الحاجات النفسية في تحديد السلوك الاجتماعي .

على اننا نرى ان رأي بارسونز في نمو الشخصية هو اشمل الدراسات ، باعتبار نمو الشخصية مثالا لتغير علاقات المرء ، ومظهرا لتغير الابنية الاجتماعية وتعقدها كلما كبر الشخص . ومن هذا الرأي نرى أن بارسونز قد جمع اصوب ما في نظريتي فرويد ودوركيم . وقد رفض بارسونز تثبيت السلوك عند طور معين من اطوار النمو . كذلك رفض قصر عملية التربية الاجتماعية على طور معين ، او بيئة اجتماعية معينة تتولى امر التربية . وأكد ان الشخصية نسق نام متطور يتفاعل باستمرار مع الانساق الاجتماعية منذ البداية ، داخل مواقف التفاعل ، وان مراحل النمو مراحل متداخلة مترابطة .

وقد بين بارسونز اهمية التربية الاسرية في سنوات الطفولة ، واهميتها في تشكيل شخصية الطفل . واوضح دور المدرسة ورفاق السن اثناء طوري الصبا والمراهقة في تطوير وتدعيم سلوك الصبي والمراهق ، وتوحده مع القيم الاجتماعية . وقد حلل بارسونز العناصر المكونة للشخصية في كل طور من اطوار النمو ، وكذلك العلاقات الاجتماعية التي يرتبط بها المرء في كل طور ، وبين تركيب النسق الذي يحدث فيه التفاعل في كل مرحلة من مراحل النمو . وبين ان العناصر المكونة لنسق الشخصية ، وكذلك العلاقات الاجتماعية المكونة للانساق تتزايد تراكيا كلما كبر الشخص .

وقد تميزت آراء بارسونز بالجدة والاصالة عن كل المدارس الاجتماعية والنفسية عندما بين أن عملية نمو الشخصية كنسق نفسي ، عملية اجتماعية تحدث داخل أنساق اجتماعية ، ولا يمكن ان نعزل الشخصية عن البناء الاجتماعي ، كذلك تأكدت اصالة بارسونز عندما أوضح ان عملية نمو الشخصية يصاحبها تراكم مستمر في علاقة الشخصية بالانساق الاجتماعية ، ومعرفة الشخص بعلاقات جديدة ، وازدياد في القيم المتوحد معها كلما كبر المرء . وقد بلغت أصالة بارسونز قمتها عندما حاول أن يربط نمو الشخصية بالبناء الاجتماعي ، وعندما بين أن تطور بناء علاقات الموضوع في كل طور ، تطور لبناء المجتمع ذاته لدى الشخص ، وان نمو الشخصية تفسير لتغير علاقات الشخص مع الانساق الاجتماعية .

واذا كان فرويد قد بين ان عملية التوحد فى الطور الفمى ترتبط بالام ، وفى الطور الأوديبى ترتبط بالأب ، وجعل هذا التوحد عملية نفسية تقتصر على اطوار الطفولة ، فان بارسونز بين ان توحدات الشخص مع العناصر الاجتماعية عملية مستمرة ومتغيرة فى كل طور، وهذه التوحدات تتراكم فى كل طور. وقد أوضح بارسونز ان موضوع التوحد فى الطورين الأول والثانى هو الأم • اما فى المرحلة الثالثة فموضوع التوحد هو الاسرة وقيمها • اما فى المراحل اللاحقة ابتداء من طور الكمون فيرتبط الشخص بعضوية جماعات جديدة خارج الاسرة، ويتوحد مع قيمها وتوقعات ادوارها • وكلما نمت الشخصية عند بارسونز ارتفع مستوى تنظيم القيم المتوحد معها ، وفى الوقت نفسه اصبحت اكثر تجريدا •

كذلك تميز بارسونز عن فرويد فى تفسيره للانفعالات فى طور الطفولة • فقد أرجع فرويد الصراعات الى انفعالات نفسية غاضبة على الأب ، غريم الطفل فى حب الأم ، اما بارسونز فارجعها الى كراهية الطفل لمطالب السلطة التى يفرضها الأب ، باعتباره حلقة اتصال الاسرة بالعالم الخارجى ، وكذلك الى التصدع الذى يطرأ على نسيق الام والطفل ، ويجبر الطفل على الانضمام الى نسق الاسرة •

ولقد وقفت المدارس النفسية والاجتماعية مواقف متباينة من الطور الثانى من الطفولة — طور الصبا — الذى يبدأ بدخول الطفل المدرسة • وقد وصف فرويد ، وسليره فى ذلك بارسونز ، المرحلة التالية لمرحلة الطفولة بأنها مرحلة كمون ، تهدأ فيها الانفعالات النفسية والدوافع الجنسية • ولكننا نرى نتيجة لدراستنا الميدانية أن هذا الطور لا يتميز بالهدوء النفسى او السكون ازاء المتقابلات التى يواجهها الطفل فى المجتمع • فالطفل يخرج فى تلك الفترة من نسق الاسرة الضيق الى نسق المدرسة الأوسع رحابا ، ويقابل انساق تفاعل عامة جديدة تفرض عليه العطاء الايجابى ، ويرتبط بصداقات تزداد اتساعا بمضى الايام مع زملاء المدرسة ، ويخضع تفكيره لمنهج مدرسى موجه حسب القيم السائدة والمتغيرة فى المجتمع• ويبدأ الصبى الاحساس بالفروق الاجتماعية والتمييز بالاختلافات فى مستويات المعيشة • كما يدرك بوضوح الاختلافات او التماثل بين قيم الاسرة وقيم مجتمع الرفاق وقيم المدرسة ان وجدت اختلافات • ويبدأ خطوات فى التمييز بين الواقع والخيال • وتتصادم لديه القيم الاسرية التقليدية ، والقيم الجديدة النامية ان تباينتا ، فاذا نشب صدام بين قيم الاسرة والمجتمع الكبير ، وكثيرا ما يحدث ، فى المجتمعات سريعة التغير ، وفى

فترات التحول ، عانى الصبى من ازدواج القيم ، وافتقد الهدوء النفسى المزعوم •

فالصبى اثناء فترات التغير ، فى الطور الذى زعم فرويد انه طور كمون وهدوء يعانى من التعارض بين قيم الاسرة وقيم المدرسة وقيم الرفاق • فان اعلنت المدرسة رفضها لقيم الاسرة او لقيم مجتمع الرفاق او لكليهما ، وتكشف للطفل الفرق بين قيم الاسرة وقيم المدرسة ، وشعر بالفجوة الواسعة بين المثالية والواقعية ، عانى من التوتر وعدم الاستقرار فى السلوك ، نتيجة لازدواج القيم التى تحدد تفضيلاته او تشابهها عليه فى الموقف ، لاخفاقه فى اظهار الاخلاص والولاء والتقدير للقيم التى ربى عليها ، والقيم التى تفرض عليه وتلقن له فى المدرسة •

ونرى ان بارسونز قد أكد زعامته لعلم الاجتماع عندما أوضح فى دراسته لنمو الشخصية النقاط الاتيــة :

أولا : ربط بين البناء الاجتماعى والشخصية •

ثانيا : بين ان نمو الشخصية عملية نمو للسلوك الاجتماعى ، وتراكب للقيم ، وتوقعات الادوار المكونة لبناء الشخصيــة •

ثالثا : بين أن نمو الشخصية عملية نمو اجتماعى نفسى بيولوجى •

رابعا : خصص اشكالا معينة للسلوك ترتبط بتنظيمات بنائية معينة فى كل طور من اطوار النمو •

خامسا : أكد اهمية الحب والطمأنينة باعتبارهما شرطين لتحقيق النمو النفسى والاجتماعى •

سادسا : بين ان تحليل علاقات المرء فى اطوار النمو تؤكد وجـود اتصال وترابط بين أطوار النمو المختلفة • فالتكوين النفسى والاجتماعى للشخصية يبدأ منذ الميلاد ، وأن سلوك الانسان متغير • فاكتساب اشكال السلوك والقيم والمعايير عملية مستمرة • وقد ربط بارسونز بين عمليات التعلم فى كل طور واكتساب انماط السلوك والقيم • وأكـد أن عمليات التعلم ، مظهر هام من مظاهر تكامل الشخصية مع النسق الاجتماعى •

سابعا : بين اهمية استقرار البناء الاجتماعى اثناء التفاعل فى الموقف لتكوين الشخصيــة ونموها • وبين ان تباين التكوينات الداخلية للشخص يحد من تأثير المجتمع الكامـل على الشخصية •

واننا اذ نقبل نظرية بارسونز عن نمو الشخصية ، فاننا نتحفظ على تسمية المرحلة بين ٦ — ١٢ من حياة الشخص بمرحلة الكمون • ونرى ان الاجدر ان تسمى بمرحلة الصبــا • فهى مرحلة وان كمنت فيها مشاعر الطفل فانها حافلة بالتوترات باعتبارها مرحلة لاعادة تنظيم وتقييم قيم الاسرة بعد اتساع علاقات المرء داخل البناء الاجتماعى •

الباب الثاني

مظاهر الترابط بين البناء الاجتماعي والشخصية

۱۷۳ ــ ۲۲۸

الفصل الثالـــث

التنشئة الاجتماعية والبناء الاجتماعي والشخصية

التنشئة الاجتماعية والبناء الاجتماعي والشخصية

يتكون البناء الاجتماعي من مجموعة من الانساق الاجتماعية التي تتداخل وتتفاعل في تشكيل وتحديد انماط السلوك، وتنظيم الحاجات الانسانية حسب انماط القيم السائدة في المجتمع • وأهم الانساق التي يتألف منها البناء الاجتماعي ، نسق الاسرة ، ونسق الاقتصاد ويتضمن النسق المهني ، ونسق الدين ، ونسق السياسة ونسق التعليم • وأهم مميزات هذه الانساق التي يتكون منها البناء الاجتماعي الواقعية والوظيفية والحركة[1] • وترتبط هذه الانساق فيما بينها ارتباطا وظيفيا لتحقيق تكامل البناء الاجتماعي واستمراره ، كما تتباين هذه الانساق تبعا للوظائف التي تؤديها • ويؤدى تفكك العلاقات بين الانساق البنائية الى ظهور اشكال من الصراعات والتوترات داخل البناء والى اخفاق الافراد في أداء أدوارهم • ومن أهم هذه التوترات تلك التي تنشأ نتيجة عدم التكامل والترابط بين نسق الاسرة ونسق الاقتصاد•

وسنحاول أن نناقش في هذا الفصل مفهوم البناء ، وتحليل نسق الاسرة باعتباره أهم عناصر البناء ، وتفسير آراء علماء النفس والاجتماع في كيفية تكوين عناصر الشخصية ، واندماج الشخصية في البناء ، لبيان أهمية عملية التنشئة الاجتماعية بصفتها عملية اساسية تحقق التفاعل والتكامل بين البناء الاجتماعي والشخصية•

تتكون الانساق التي يتألف منها البناء من شبكة متراكبة من أنماط متباينة من الأدوار والقيم والعلاقات الاجتماعية ، كل منها قد بلغ حدا معينا من التراكب والتنظيم ، وهذه المكونات البنائية لكل نسق مترابطة فيما بينها ، ويقتضي الحد الأدنى من التكامل داخل النسق نوعا من الثبات بين القيم والمعايير التي تضبط العلاقات المتبادلة داخل النسق، كما تستلزم مستوى معينا من التخصص ، والتباين الوظيفي • ويشارك الفرد عادة في مجموعة من الانساق المتباينة ، ويؤدى أدوارا عديدة في الجماعات لمواجهة الحياة • ويقول نادل أن البناء الاجتماعي مجموعة أفراد يتفاعلون في ادوار ، وهذه الادوار هي اساليب الفعل[2] ، داخل البناء ، يرتبط اعضاء البناء في علاقات اجتماعية تحددها مجموعة من الانساق داخل المواقف الجزئية •

---

(١) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op. cit. P. 91.

(٢) Nadel, S.F.: The theory of social structure, Glencoe Illinois. The Free Press, 1958, P. 11.

وقد ميز رادكليف براون بين الصورة البنائية والمضمون الداخلى للبناء ، وتؤلف الصورة البنائية اسلوب ارتباط افراد البناء فى علاقات تنظيمية ، وتكون التنظيمات المستمرة بين الاشخاص علاقات اجتماعية منظمة تبدو فى افعال وتفاعلات تنسج منها الحياة الاجتماعية. ويرى رادكليف براون ان العلاقـــات الاسرية هى اهم الصور البنائية ، أما المضمون البنائى فهو أفراد البشـــر داخل البناء ، وقد أشار رادكليف براون الى أن الاسرة بناء اجتماعى دائم رغم تغير الاشخاص ، وهـــى مثل كل العناصر البنائية الاخرى تتسم بدرجة من الثبات والاستقرار والاستمرار (١) ، وتشير الـــى قبول الاشخاص الضمنى لمختلف المراكز والرتب والادوار داخل بنيان الاسرة.

نسق الاســرة :

فالاسرة بنية اجتماعية أساسية فى البناء تقوم على اساس بيولوجى . فالجنس ينظم علاقـــة الذكور والاناث ، ويحدد السن علاقة الصغار والكبار ، لكنها نسق اجتماعى يوجد فى كـــل المجتمعات ، ومن ثم لا تقوم على اساس بيولوجى بحت ، فثمة حقائق اجتماعية عامة وثابتة فـــى المجتمع لها أهميتها فى تنظيم الاسرة وتكوينها ، فهى نسق يقوم على نظام الزواج ، وتنقـــل معايير المجتمع الى اعضائها الصغار ، وتلقن افراد ها الاتجاهات والقيم المرغوب فيها ، كمـــا يمارس اعضاؤها مجموعة من الادوار الثابتة فى المجتمع ، ويشغلون مجموعة من المراكز . والاسـرة بصفتها نسقا اجتماعيا ليست صورة رمزية توجد فى عقول الافراد . وليست مثالا مجردا فى الذهـن بل هى بنية اجتماعية ملموسة ومألوفة مثل المصنع (٢) ، وهى عنصر بنائى حقيقى وواقعى ، ويحتـل مكان الصدارة فى كل بناء اجتماعى . وترجع اهمية الدراسة العلمية للادوار المتبادلة بين أعضاء الاسرة كمجتمع صغير . وتعميم هذه الدراسة انها تكشف لنا عن طبيعة العلاقات الاجتماعيـــة فى المجتمع الكبير (٣) ، وتعكس لنا توجيهات القيم والمعايير التى تنظم العلاقات الاجتماعيـــة ، ومدى الترابط والانسجام والتوتر فى أداء السلوك المرتبط بأدوار معينة ، تلك القيم والادوار التى يتوحد بها الافراد فى طفولتهم أثناء التفاعل فى المواقف الاسرية.

ويرى بارسونز ان الاسرة مثل كل الانساق البنائية الأخرى ، تتكون من مجموعتين مـــن الادوار . المجموعة الأولى وهى مجموعة الادوار الفطرية التى يغلب عليها السجايا الجبليـــة والمجموعة الاخرى وهى مجموعة الادوار الاجتماعية المكتسبة . وتزيد هذه الادوار من تماســـك البناء الاجتماعى واستمراره . وهذه الادوار التى يؤديها اعضاء الاسرة ليست صفات للفاعـل أو

(١) Redcliff-Brow; A.R.: Methods in social anthropology, op.cit. PP. 168-178.
(٢) Inkles Alex: What is sociology? op.cit., P. 63.
(٣) Goode William; J.: The family. New Jersey. Prentic Hall 1964, PP. 2-3.

الاعضاء، وانما هي وحدات بنائية توجد في النسق الاجتماعي وتتوحد بها الشخصية[1] .

وقد تأثرت الاسرة باعتبارها نسقا اجتماعيا بالتغيرات البنائية التي حدثت في البناء الاجتماعي . فقد مرت الاسرة الانسانية خلال تاريخها الطويل باشكال متعددة من حيث الحجم ونوع الوظائف التي يؤديها الكبار والصغار ، وطبيعة العلاقات الاسرية .

وقد صارت وظيفة الاسرة المعاصرة الانجاب والتنشئة الاجتماعية ، واحتفظت الاسر لنفسها ببعض الادوار التي يغلب عليها صفة السجايا الجهلية ، كما لم تعد الاسرة وحدة انتاجية ، بل اصبحت وحدة استهلاكية تعتمد في معيشتها على انساق اجتماعية أخرى ، ومن أهمها النسق الاقتصادي . وصار العمل خارج البيت ظاهرة عامة في المجتمع الحديث، وعصب الحياة الاسرية من اجل اشباع حاجات الافراد الضرورية ، وتحقيق مطالب الاسرة ، واصبح استقرار الاسرة والعلاقات الاسرية مرتبطا باستقرار الدخل العائد من العمل وانتظامه، وصار التنظيم المهني كما يقول بارسونز هو البديل الاجتماعي للعائلة الكبيرة[2] . وكان العمل خارج الاسرة قاصرا على الرجل في البداية ، لكنه استقطب المرأة في العصر الحديث .

وقد تأثرت القيم الاسرية بالاوضاع المهنية في المجتمع ، وصارت تخضع لتأثيرات العمل ، كما اصبحت مشاركة الوالدين خارج الاسرة لها نتائجها في التأثير على ابنائها ، كما اصبحت الاسرة الحديثة عنصرا ثابتا في بناء متشعب الانظمة ينتمي اليه الفرد ، فالاسرة لم تعد بناء مستقلا مغلقا ، ولكنها اصبحت نسقا داخل البناء ، يتميز عن الانساق الأخرى ، ولهذا التمييز اهميته في نظرنا للاسباب الآتية . أولها : ان الاسرة هي الاساس الذي تقوم عليه الانساق الاخرى ، اذ تعتمد كل الانساق في استمرارها وادائها على ما يتعلمه الفرد داخل الاسرة من نماذج السلوك المرتبط بالادوار الاجتماعية ، والانماط السلوكية التي يتعلمها الفرد داخل الاسرة هي النمط السلوكي الذي يحتذى به في جوانب النشاط المختلفة خارج الاسرة[3] . والسبب الثاني : ان ارتباط وتفاعل الابوين مع الادوار التي يؤديانها في النسق الاجتماعية ينعكس على وظيفتها الاولى داخل الاسرة ، وهي التنشئة الاجتماعية للاولاد . والسبب الثالث: تهدف الانساق الاخرى ، مثل انساق المدرسة والصحبة ، الى تنشئة الطفل اجتماعيا ومشاركة

---

(١) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 25.

(٢) Parsons Talcott: The Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 12.

(٣) Goode William: The Family, op.cit., P. 3.

الاسرة فى وظيفتها ، ولكنها تمارس وظيفتها فى مرحلة لاحقة من مراحل نمو الطفل. فالاسرة أهم نسق اجتماعى يؤثر فى تكوين شخصية الطفل ، ويساعد على النمو الاجتماعى والنفسى للصغير ، وتشكيل سلوكه حسب سلوك والديه وقيمهما .

وبالرغم من التغييرات البنائية التى طرأت على شكل علاقات الاسرة وحجمها فى الدول التى اتجهت نحو الانتاج الصناعى ، فالاسرة المعاصرة ما زالت هى الوحدة البنائية الاساسية فى المجتمع ، وترتبط مع الانسان الاجتماعية من خلال الادوار الاسرية التى يقوم بها الراشدون فى أكثر من مجال من مجالات النشاط ، وما زالت تحتفظ بطابعها الاجتماعى فى كل المجتمعات الانسانية لوجود الظواهر الاتية :

اولا : ان السلطة داخل الاسرة ما زالت من اختصاص الوالدين .

ثانيا : ما زالت الادوار التى يقوم بها الرجل أبا أو زوجا فى معظم المجتمعات هى الادوار الادائية النفعية ، لانجاز الاعمال والمساهمة فى الانتاج ، وما زالت ادوار المرأة أما وزوجة أدوارا تعبيرية ، تهدف الى الاشباع النفسى (١) .

بيد ان التغير الاجتماعى الحديث ، وقد تبعه تغير فى الادوار الاسرية ، وخاصة ادوار الام ، وبدأ المجتمع يمنح المرأة بعض السلطة ، يسمح لها بالعمل خارج البيت ، وأضيفت الى الادوار التقليدية للمرأة ، بعض الادوار النفعية نتيجة اشتراكها فى العمل مما يؤثر على علاقاتها الاسرية ، وادائها لدورى الام والزوجة .

ثالثا : ما زالت الاسرة هى المرفأ الوحيد لاشباع الحاجات النفسية والعاطفية للكبار والصغار فى المجتمع الحديث ، فهى وسيلة لتخفيف التوتر الذى يعانيه الافراد خارج البيت ولتحقيق التوازن العاطفى ، كما يشعر الفرد داخل جدرانها بدفء الحياة .

رابعا : لازالت الاسرة هى النسق الاجتماعى المسئول عن تربية الاولاد ، بلا منازع ، حتى طور الدراسة ، اذ تحكم تجارب الطفولة الاولى داخل الاسرة المضمون الاجتماعى للمجتمع ، وتلعب دورها فى ربط الشخصية بالبناء . فكل قيم الشخص كالاعتماد والاستقلال والطمأنينة ، والحرية ، والصدق ، تشكل حسب نوع مشاركة الطفل وتفاعله مع اعضاء الاسرة ، ويؤيد مارتون هذا الاتجاه . فيرى ان الاسرة أداة لنقل التراث الثقافى للاجيال المتعاقبة ، واداة لتنظيم سلوك الطفل حول الاهداف الثقافية

(١) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 57.

والاجتماعية ، ولتكوين الوازع الخلقي عنده ؟

لكن ما علاقة الاسرة بالبناء الاجتماعي والشخصية ؟ ان الانسان عند مولده كائن حي يمتاز بقابليته للتطور ، وليست له القدرة الفطرية على التوافق مع البيئة الاجتماعية لاشباع حاجاته العضوية والفطرية ، ولا يستطيع تحقيق عمليات التفاعل الاساسية لتكوين الشخصية تلقائيا • فالشخصية الانسانية لا تورث ، ولا تصنع بالميلاد • ولكن الانسان مخلوق مرن يتشكل بالتأثيرات الاجتماعية التي يفرضها عليه والداه ، والتي تكون منه انسانا اجتماعيا • فالانسان يحتاج الى بيئة اجتماعية منذ بداية حياته ليحقق التكامل مع المجتمع الكبير ، ويسيطر على انفعالاته وداوافعه ونزعاته الفطرية ، ويطبعها بطابع المجتمع ، الذى بدوره يكسبه لغته كأداة للمشاركة والتفاهم مع الآخرين ، وتحصيل عادات المجتمع وقيمه ، وتعلم انماط السلوك المرتبطة بالادوار الاجتماعية• وهذه البيئة الاجتماعية تتخذ صورة الاسرة بصفتها نسقا اجتماعيا ، اذ لو كانت الحاجات الاساسية والفطرية تحدد بيولوجيا مستقلة عن البيئة الاجتماعية ، لما وجدت الاسرة ما دامت وظيفتها تقتصر على الانجاب والاشباع الفطرى ، لكن وجود الاسرة ضرورى لتكوين الشخصية الاجتماعية والتي تصاغ اثناء عملية التنشئة الاجتماعية• فالاسرة كما يؤكد بارسونز هي البيئة الاجتماعية المناسبة لخلق الكائن الاجتماعي من الكائن العضوى •

وقد اختلف الاجتماعيون والنفسيون في تقدير علاقة الاسرة بالبناء ، فبالرغم من أن فرويد قد أكد اهمية التربية الاسرية في تكوين السمات النفسية للشخصية ، وتكوين الضمير ، فانه اغفل ان العلاقة بين الام والطفل تكون نسقا اجتماعيا ، ولم يحلل دور الاسرة كنسق اجتماعي ، ولم يعرف علاقاتها بالانساق الاجتماعية الاخرى ، والارتباطات الضرورية بين هذه الانساق ، ومن ثم فقد وجد صعوبة في تحليل الرابطة بين الشخصية والظواهر الاجتماعية ، والعلاقة بين البناء الاجتماعي والشخصية• اما فروم فأكد ان الاسرة هي القوة النفسية للمجتمع ، وهي ذات اهمية للداخل ، لانها تبعد عنه شبح الاحساس بالوحدة ، والشعور بعدم الاهمية ، اذ تعوق هذه المشاعر من نموه النفسي والاجتماعي • وتنوب الاسرة عن المجتمع وتنقل الى الطفل العناصر الاجتماعية ، وتخلق لديه بناء الاتجاهات المرغوب فيها • فتوافق الانسان مع المناخ الاسرى ضرورى لتكوين شخصية سليمة خالية من المرض النفسي ،

وقادرة على اداء الوظائف المتباينة ،كما ان هذا التوافق النفسى يساعد على تأهيله لاداء عمله فى الحياة بنجاح •

على ان دوركيم قلل من قيمة الاسرة ،واعتبرها عنصرا ثانويا فى المجتمع ، ووصم الاخلاق الاسرية بأنها فى مجموعها عاطفية[1] ، وهى اقرب الى الفرد ، لانها تمثل غايات اقرب الى المصالح الشخصية ، وتساعد التربية الاسرية على تنمية المشاعر الفردية والانانية • ويرى دوركيم ان الاسرة بحكم تكوينها البسيط لا تستطيع ان تكون اداة صالحة لاعداد الطفل لاداء واجباته فى الحياة الاجتماعية ،كما انها تنقل الى الابناء عيوب الوالدين وحركاتهما اللاارادية، ولذا ارجع عملية التربية القومية والاجتماعية الى الطور الذى يلتحق فيه الطفل بالمدرسة• وميز المدرسة عن الاسرة ،وجعلها الجهاز الهام المسئول عن تلقين الطفل مبادئ الحياة الاجتماعية • ومن الواضح ان دوركيم قد قلل من دور الاسرة الهام فى التنشئة الاجتماعية والقومية ، وغالى فى تأكيد اهمية المدرسة فى تكوين الشخصية الاجتماعية• فقد اثبتت الدراسات الانثروبولوجية ان الافراد فى المجتمع البدائى يحملون الطابع القومى لمجتمعهم رغم ان هؤلاء الافراد لم يعرفوا الطريق الى المدرسة ، ولم يلقنوا المناهج المدرسية • اما المقول المؤيد لدوركيم بأن الاطفال الذين ينشأون بعيدا عن الاسرة يحملون طابع المجتمع ، فهذا صحيح • بيد ان هؤلاء قلة لا يعتد بهم ، والغالبية منهم اقل افراد المجتمع شعورا بالاستقلال والتوازن العاطفى لحرمانهم من الحب الاسرى فى طفولتهم •

وقد اكد الاتجاه الاجتماعى بعد دوركيم اهمية الاسرة كنظام اجتماعى ، ويرى أنها النظام الذى يحل محل المجتمع لتدعيم العناصر الاجتماعية والاخلاقية والثقافية عند الطفل ، ولتدريب الشخص على اداء السلوك المرتبط بالادوار الاجتماعية • والفرد يجب ان يعيش فى اسرة ترتبط بالبناء الاجتماعى ، وتمثل المجتمع لديه ، ليصير انسانا له شخصية اجتماعية تحمل طابع المجتمع الذى يعيش فيه •

وقد اكد بارسونز ان الاسرة نسق اجتماعى من اهم الانساق التى تربط البناء الاجتماعى بالشخصية• وأرجع هذه الاهمية الى ان عناصر تكوين البناء هى بعينها عناصر تكوين الشخصية• فالقيم والادوار عناصر تتوحد بها الشخصية اثناء التفاعل الاسرى ، وفى الوقت نفسه فالقيم

---

(١) Durkhiem Emile: L'education morale, op.cit., P. 141.

والاد وار عناصر اجتماعية تنظم العلاقات داخل البناء اذا ما توحد بها غالبية اعضاء الجماعة • وتؤكد هذه العناصر وجود علاقة التداخل والتفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعي ، وقد وجد بارسونز فى هذا التداخل بين عناصر الشخصية وعناصر البناء الاجتماعي الجسر الذى يربط بين رأى فرويد ان الشخص يوجد عند ما يتوحد بالمجتمع ، ورأى دوركيم ان المجتمع لا يوجد الا فى عقول الافراد[١] على ان كون الشخصية والبناء متداخلين لا يعنى انهما متماثلان من جميع الوجوه ، فكل منهما ينظم بطريقة متباينة حول مراكز بنائية ، ولكل علاقة متباينة مع منابع الطاقة الدافعة•

نسيق الام والطفل :

تتكون الاسرة عند بارسونز من مجموعة من النسيقات ، مثل نسيق الام والطفل ، ونسيق الاخوة ، ونسيق الزوجين[٢] • ويتألف النسيق غالبا من شخصين تنظم العلاقات بينهما مجموعة من القيم الاجتماعية ، التى يتوحد بها كل شخص من اعضاء النسيق • وتقسيم النسق الى نسيقات اتجاه جديد وأصيل لبارسونز • وهذا التقسيم لكل نسق الى نسيقات نظرة اجتماعية معاصرة للبناء الاجتماعي يوفق فيها بارسونز بين مفهوم البناء الاجتماعي عند راد كليف براون وايفانزبريتشارد • فيعرف راد كليف براون البناء الاجتماعي بأنه تنظيم متواصل للعلاقات الاجتماعية بين الاشخاص ، يخضع لمجموعة من النظم الاجتماعية والمعايير وانماط السلوك والالتزامات الاخلاقية والقيم ، وكلها عناصر ذات اهمية لتحقيق التكامل الاجتماعي[٣] اما ايفانز بريتشارد فينكر ان البناء الاجتماعي مجموعة علاقات بين الاشخاص ، ويرى انه يتكون من مجموعة علاقات بين الانظمة الاجتماعية• ونرى ان بارسونز قد نجح فى التوفيق بين الاتجاهين• اذ يرى ان البناء الاجتماعي يتكون من مجموعة انساق ، وتتكون هذه الانساق من علاقات تربط بين اشخاص ، وارجع الانساق المكونة للبناء الى نسيقات ، تتكون كل منها من شخصين أو اكثر• ونحن نوافق بارسونز على اتجاهه فى تقسيم انساق البناء الى نسيقات • ونرى ان نسيق الام والابن وهو جزء من نسيق الاسرة يرتبط به الطفل ، ويتقبله أفراد الاسرة ، لكنه لا يناظرها فى تكاملها أو وظائفها • وهو اهم النسيقات التى يتكون منها البناء الاجتماعي • وهو القاعدة الاساسية للبناء الاجتماعي • وتنعكس آثار العلاقة بين الام والطفل داخل النسيق على البناء الاجتماعي الكبير• ويرتبط نسيق الام والطفل مع النسيقات الاجتماعية داخل الاسرة•

---

(١) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 357.
(٢) Parsons Talcott: Ibid., P. 37.
(٣) Radcliff-Brown: Method in social anthropology, op.cit., P. 83.

وتنعكس عليه علاقات الأم بالزوج والاخوة . والام هي الرابطة بين نسيق الام والطفل ونسـق الاسرة والبناء الاجتماعي . ويتأثر هذا النسيق بالانظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في البناء . ويتأثر بمكانة الأم في المجتمع الكبير ، ومكانتها في نسق الاسرة ، ومـا تؤديه من ادوار داخل الاسرة وخارجها . ويشعر الطفل في بداية تكوين نسيق الأم والطفـل بتشتت علاقات الام بينه وبين الاخرين . ويدرك ان امه ليست له وحده . وان هناك عقبـات تحول دون انفراده بامه وتفرغها له واهتمامها به . ويتكون نسيق الام والابن في الايام الاولى من ميلاد الطفل لاعتماد الطفل حينئذ على امه لاشباع حاجاته الفطرية ، وتخفيف آلامـه عند اطعامه . ويقوم هذا النسيق في البداية على علاقة اللذة التي يحسها الطفل عند قربـه من امـه . فاعتماده الفسيولوجي على الأم ، ينمي عنده رابطة عاطفية نحوها ، لكن هـذه اللذة سرعان ما تسمو ، ويقوم هذا النسيق على قاعدة اخرى هي الحب المتبادل . وعلاقـات الطفل داخل النسيق هي اول العلاقات الاجتماعية التي يدركها الطفل في حياته . وهـذه العلاقات المتبادلة مع الأم ذات تأثير هام على الطفل طوال حياته . فالطفل يتفاعل مـع أمه في مواقف منظمة ، فاذا كان التفاعل بينهما يشبع حاجات الطفل جاءت شخصيته سليمـة ، واذا كان التفاعل بينهما ينقصه الحنان والحب تفككت شخصية الطفل . وتؤكد روز لوب كـوزر هذا الرأي ، وتقول " ان الام في علاقاتها بابنها اكبر عامل لتماسك شخصيته أو اضطرابها " (١) .

فالطفل يعتمد على امه منذ ميلاده اعتمادا كليا طوال السنة الاولى لاشباع حاجـاته وتوفير الطعام له ، وازالة التوترات التي تنشأ من الجوع وعدم النظافة . لكن وظيفة الأم لا تقتصر على الانجاب . ولا ينحصر دورها على اشباع الحاجات الفسيولوجية . فالام لا تمنـح الطفل الطعام فقط ، ولا تقوم علاقاتها معه على مستوى بيولوجي . فالام هي محور النشـاط التربوي في الاسرة ، وتتحمل مسئولية تربية الاولاد في السنوات الثلاث الاولى فهي تمنحهم شيئا اهم من الطعام ، تمنحهم الطاقة النفسية والحب اللازمين للاندماج في الجماعة ، وهـذا الحب الذي تضفيه الأم على ابنها ويشعر به ، اساس قبوله المعايير او اساليب السـلوك الاجتماعية . وتضفي الام على الابن ، اثناء اهتمامها باشباع حاجاته الفسيولوجية الكثير من اشكال الحب ، بينما تدربه على انماط السلوك الاجتماعي والنظام ، فيغير من حاجاتـه البيولوجية الفطرية الى حاجات اجتماعية ليتمكن من الانتماء الى الجماعة ، اذ أن الطفـل

(١) Coser, Rose Laub: Role Distance, sociological Ambivalence and transitional status system. A. J. of Soc. Vol. 72, No. 2, 1966, PP. 173-187.

يدرك بعد سنة انه لا يحول بينه وبين علاقة الا حب امه وتفاعله معها • فالام موضوع للحب ذات معنى عند الطفل يدربه على اشكال السلوك الاجتماعى • ويلقنه المعنى الرمزى لنسق السلوك المعقد • فهى مصدر الاشباع النفسى والطمأنينة اللذين يدفعانه الى تحصيل الانماط الثقافية والمعايير الاجتماعية والتوحد بقيم نسق الام والطفل فى البداية ، ثم نسيق الاسرة فقيم البناء الاجتماعى •

ويرى بارسونز ان علاقة الطفل بالام، وهى موضوع حبه الاول ، هى اساس علاقاته بالآخرين ، ويؤكد فقد ان موضوع الحب الاول الى ضياع فرص النمو النفسى والعاطفى للطفل ، بيد ان الطفل لا يظل حبيس حب الام ، لكنه فى سن الرابعة ينطلق خارج نسيق الام والطفل ، ويبحث عن علاقات جديدة مع الاب والاخوة ويتوحد مع صفات ابيه ، وتستمر الابنة فى توحدها مع صفات الام ، ويتوحد الاثنان بقيم الاسرة • وكسر الابن قيد الحب الطفلى مع الام ضرورى للانطلاق الى العالم الخارجى ، اذ يقف الارتباط مع الام حاجزا امام نجاح عملية التعلم[1] اللازمة لنموه الاجتماعى ، وتبادل العلاقات مع الآخرين • لكن اندماج الطفل مع اعضاء الاسرة فى البداية وفى المدرسة بعد ذلك لا يعنى فك أو تحطيم نسيق الام والطفل • لكنه يعنى اتساع مجال الحب ليشمل جميع افراد الاسرة والمجتمع، وتحرره من اعتماده على الام واندماجه مع قيم المجتمع الكبير•

ويرجع اهتمامنا بنسيق الطفل والام الى أن نسيق الام والطفل هو اكثر النسيقات تخصصا فى المجتمع[2] ، واشدها تأثرا بالتغير الاجتماعى الحديث ، نتيجة تغير مكانة الام الاجتماعية ، ومكونات الادوار التى تقوم بادائها • على ان العلاقة داخل نسيق الام والطفل علاقة غير متكافئة ، اذ يعتمد الطفل على امه للحصول على الطمأنينة واشباع حاجاته ، أما الام وان كانت تراعى مشاعر الطفل فانها ترمى الى تنشئة الطفل اجتماعيا ، وتدريبه على أداء نماذج معينة من السلوك والنظام وقواعد الضبط الاجتماعى • كذلك نرى اهمية هذا النسيق ترجع الى ان ارتباط الطفل بالام يبدأ قبل تأثير الاب والاخوة على الطفل • فالطفل يعتمد على الام منذ الميلاد ، لكن عضويته فى الاسرة تبدأ فى مرحلة متأخرة ، فهى تبدأ بعد الثالثة ، كذلك تختلف وظيفة الام عن وظيفة الاب ، اذ تمنح الام الطفل الحنان والحب اولا ، ثم

(١) Persons Talcott: Social system, op.cit.,PP. 223-224.

(٢) Persons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 357.

تمنحه الرعاية ثانيا • بيد ان الاب هو واهب الرعاية اولا ، ومانح الحب بعد ذلك • ثم أن ادوار الاب داخل الاسرة وخارجها لم تتغير، لكن ادوار الام بدأت تخضع لتأثيرات التغيير الاجتماعي •

ويعبر التغير الحادث في مكانة المرأة داخل الاسرة وخارجها ، وخروج بعض النساء الى العمل واكتسابهن ادوارا جديدة لم ينشأن عليها ، ولم يتوحدن بقيمها — يعبر هذا كله — عن ظاهرة اجتماعية جديدة في المجتمع ، تنعكس آثارها على الابناء • فظاهرة عمل الام في المدن ، وانشغالها بالمهن الحضرية في المجتمعات النامية والمتقدمة ظاهرة جديدة لها نتائجها السلبية والايجابية على الطفل • فارتباط الابن بالام في السنوات الاولى امر ضروري للنمو النفسي للطفل ، وتكيفه الاجتماعي • لكن غياب الام ساعات طويلة في العمل ، قد يؤثر على علاقاتها بابنها • فاذا كانت علاقة الطفل بالاب هشة لغيابه ساعات طويلة عن المنزل ، وانشغال الاب عن الطفل يؤخر من توحده به ، فان غياب الام عن البيت لن تكون له نتيجة مماثلة • فالام العاملة غالبا ما تحاول ان تعوض ساعات غيابها عن ابنها ، وتمنحه مقدارا زائدا من الحب والحنان يعوض ساعات غيابها عنه • وقد اثار غياب الام عن البيت في مجال العمل اهتمام رجال التحليل النفسي وعلم الاجتماع • فيرى ستور ان انفصال الام عن الطفل قد يثير نوازع القلق والشعور بالحرمان والاحساس بالخوف وعدم الاستقرار عند الطفل ، ويعاني الطفل من تعدد المعايير ونماذج السلوك والقيم التي تفرضها عليه الام ، ومن تحل محلها اثناء غيابها عن البيت في العمل[(١)] • اما رجل علم الاجتماع بوزارد فيتمادى في تأكيد خطورة ابتعاد الام عن طفلها في العمل ساعات طويلة • ويؤكد بوزارد ان هذا الابتعاد يؤثر في الطفل حتى يبلغ العاشرة • ويرى ان اهم حاجة عند الطفل تحت سن العاشرة عند الرجوع من المدرسة ان يجد أما في انتظاره ، فغياب الام عن البيت في العمل ، هو احدى التكاليف الباهظة التي دفعتها الاسرة من رصيد الطفل من الحب والاهتمام والعناية والرعاية[(٢)] •

فالحب والحنان شرطان لعملية التنشئة الاجتماعية والنمو النفسي والاجتماعي • ويظهر هذا الحب في صورته الاولى داخل نسيق الام والطفل • وقد أكد فرويد اهمية الحب بين الام والطفل لكي تثمر عملية نمو الشخصية ، فاحساس الطفل بحب الام هو مصدر احساسه بالحياة •

---

(١) Storr Anthony: The Integrity of the personality. op.cit., P. 81.

(٢) Bossard James: The sociology of a child development, op.cit. P. 79.

وقد سايره سيلفيان فى ذلك ، وبين ان احساس الطفل بالحب والدفء يعطيه الاحساس بالوجود ، ويزيد من شعوره بذاته[1] ويرى بارسونز ان احد الاكتشافات العظيمة لفرويد معرفته اهمية الحب فى مرحلة الطفولة. وقد تابع بارسونز فرويد فى تأكيد اهمية الحب فى انهلاج الشخصية . واظهر اصالة جديدة فى علم الاجتماع عند ما اكد ان علاقة الحب بين الام والطفل فى البداية ، ثم اتساع مجال هذا الحب ليشمل اعضاء الاسرة والمجتمع بعد مرحلة الصراع الاوديبى ، علاقة انفعالية منظمة تحكمها عناصر الثقافة[2] ، تهدو فى مواقف التفاعل بين الام والطفل . ويتضمن الارتباط بموضوع الحب ، أى الام ، التوحد مع القيم والعناصر الثقافية والاجتماعية التى توجد فى مواقف التفاعل . وهذا الحب بين الطفل وأمه هو اساس تماسك نسيق الام والطفل ، واساس تماسك نسق الاسرة ، بل البناء بأسره ، وهو دعامة تكامل نسق الشخصية . وقد اوضح بارسونز ان هذا الحب ليس حبا جنسيا ، وليس حبا فطريا خالصا ، بل ان جانبا كبيرا منه يكتسب بالتعلم . وقد بين بارسونز ان اتساع مجال هذا الحب ، منبع هام للتكيف الاجتماعى فى مواقف التفاعل . ويؤدى الحرمان من الحب الى الشعور بالقلق والتوتر ، والى دفع الطفل الى تحوير سلوكه الفطرى حسب السلوك الذى ترتضيه الام خوفا من الحرمان من حبها . فهذا الحب ضرورى لنمو الطفل اجتماعيا ونفسيا ، فهو الرافع الذى يرفع الطفل من المستوى البيولوجى الى المستوى الاجتماعى ، ويدفع الطفل الى تعلم نماذج جديدة من السلوك ، والى اكتساب ادوار جديدة ، والى ادراك اهداف جديدة ، كما يمكنه من تطويع امكانياته للتفاعل مع الجماعة ، ومن ثم يتضح ان تغيير الطفل لسلوكه الفطرى يتطلب توحده مع قيم الجماعة ، فهذا الحب الذى يربط الام بالطفل هو شرط لتدريب الام له على السلوك الحركى والاجتماعى ، وتلقينه عادات المجتمع ، وتوحده مع القيم السائدة . ويرى بارسونز ان قيمة هذا الحب ترتفع عند ما يدفع الطفل الى ادراك المعنى الرمزى للسلوك ... ولقد اكد بارسونز قيمة الحب كرابطة بين الطفل والام ، وبين ان لهذا الحب سمتين اساسيتين :

اولا هما : اضفاء لذة عضوية خاصة ترتبط بمناطق جسدية معينة . ولكن هذه اللذة ذات طبيعة مزدوجة . فاللذة العضوية مظهر واحد من مظاهر هذه السمة . فالاهم من ذلك

---

(1) Sullivan Harry Stack: The conception of Modern Psychiatry, op.cit., P. 259.

(2) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit., P. 60.

هى اللذة العامة التى تنتشر على صورة احساس عام بالسعادة .

وثانيتهما : ان هذا الحب اداة لتعميم الانفعال ونماذج السلوك ، وترتفع عن مستوى التخصيص ، ويرتبط بالموضوعات العامة ، ويعطى الافراد احساسا بالوجود (١) .

عملية التنشئة الاجتماعية :

ويقودنا تحليل نسق الطفل والام ، وتعريف الحب ووظيفته الى تحليل عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها مدخلا هاما لدراسة مجموعة من الانسان الاجتماعية . وترجع اهمية عملية التنشئة الاجتماعية الى ان البناء الاجتماعى يهدف الى تحقيق التوازن بين التأثيرات الثقافية واساليب الضغط الاجتماعى لدى الافراد اعضاء البناء ، والى ايجاد التوافق بين حاجات الشخصية ومطالب البناء الاجتماعى ، والى ايجاد نوع من السلوك يحقق رغبات الافراد ويرضى عنه الاخرون . فينيب البناء عنه الوالدين منذ الميلاد لتنشئة الصغار تنشئة اجتماعية ، ولتكوين بيئة اجتماعية تحول الطفل من كائن عضوى الى كائن اجتماعى . ولا تقتصر وظيفة الوالدين على أداء وظائف فسيولوجيــة ، فقد ربما الاهم اعداد الانسان الاجتماعى ، وتطويع امكانيــات الطفل ، وتحقيق توافقه وتكامله مع اعضاء نسق الاسرة وأعضاء الانساق الاخرى . وتبدأ عمليــة التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة لتكوين الانسان الاجتماعى ، اثناء عمليات التأثير المتبــادل بين الشخص والبناء ، اذ يترك الطفل منذ مولده التفاعلات الكيماوية والحيوية ، الى مرحلــة التفاعل الاجتماعى داخل انساق اجتماعية مترابطة ، ويزداد هذا التفاعل كلما كبر الشخــص ونضج نضجا اجتماعيا . فعملية التنشئة الاجتماعية هى عملية تعلم بالمعنى العام . وتهــدف الى اعداد الطفل ثم الصبى ، فالراشد للاندماج فى انساق البناء والتوافق مع المعايــــير الاجتماعية المقبولة ومطالب الادوار المختلفة واكتساب قيم المجتمع .

ويرى بارسونز ان فرويد قد عرف ان بداية عملية التنشئة الاجتماعية هى انفعــــال الاشخاص المسئولين عن التربية والعناية بالطفل . فالامُ اول الاشخاص الذين يقومون بعملية التنشئة الاجتماعية ، اذ هى تشبع حاجات الطفل العضوية ، وهى التى يعتمد عليها اعتمادا كليا فى طور الطفولة ويدرك انها انسان قادر على اطعامه واشباع حاجاته دون تأخـــير ، ويشعر الطفل بمعنى ابتسامة الامُ ، وان الابتسامة والرضا من الام يرتبط بقبوله اساليـــب

(١) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 69.

التنشئة التى تفرض عليه ، وتطويع ذاته حسب رغباتهم (١) . كذلك اكد فرويد دور الاب فى عملية التنشئة الاجتماعية عند ما اشار الى توحد الابن بالاب لحل الصراع الاوديبى وتكوين الانا الاعلى (١) .

اما دوركيم فيعرف عملية التربية الاخلاقية بانها عملية توجيه للسلوك حسب القواعد الاخلاقية ، ويرى انها عملية تعتمد على الايحاء لتعويد الطفل على الحياة الجماعية والتدريب على النظام واحترامه . وقد رفض دوركيم تثبيت السلوك فى فترة الطفولة الاولى داخل الاسرة ، ويبين فى كتابه " قواعد المنهج فى علم الاجتماع " ان عملية التربية تبدأ من السنوات الاولى ، وتعبر عن قهر الجماعة للسلوك الشخصى ، فالتربية عملية تهدف الى توجيه السلوك ، وتغييره حسب العقل الجمعى للجماعة . وهذا السلوك يختلف فى طور ما قبل المدرسة ، عن طور المدرسة ، عن طور الرشد . ويقول دوركيم " ان عملية التربية كلها تستهدف أن تفرض على الطفل أساليب الفكر والعاطفة والفعل ، فمنذ السنوات الاولى من الميلاد يفرض عليه أن يأكل ويشرب وينام على نحو معين ، وفى مواعيد منظمة ، وتقهر نزعاته ورغباته ، ويجبر على تعلم النظافة والهدوء والطاعة ، واخيرا يضغط عليه ليتعلم بعض قواعد السلوك الاخلاقى فى التعامل مع الآخرين . ويحترم العادات ويؤمن بالحاجة الى العمل ، وان عدم الشعور بهذا القهر بعد ذلك يرجع الى انه صار عادة مألوفة وميولا داخلية تجعل القهر لا ضرورة له ، ولكنه ما زال هو المنهج الذى نستقى منه العادات الاخلاقية (٢) " . ولا تقتصر عملية التربية على تنظيم حاجات الطفل وتدريبه على الطاعة والهدوء والنظام داخل الاسرة . فتلك عملية ثانوية للتربية ، اما عملية التربية الاساسية ، فتبدأ داخل المدرسة ، ابتداء من طور التحاق الطفل بالمدرسة لتكوين الطابع القومى للشخصية .

وقد وفق بارسونز بين آراء فرويد ودوركيم ، وأكد اهمية عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها عملية ديناميكية ، لا تقتصر على طور محدد من اطوار نمو الشخصية ، وتساعد على التكوين الاجتماعى والنفسى للشخصية . وقد رفض بارسونز اتجاه مدرسة التحليل النفسى بأن السنوات الخمس الاولى هى السنوات التى تحدد الشكل النهائى لشخصية الراشد . وكذلك رفض اتجاه دوركيم بان التربية الاجتماعية تقوم على القهر والالزام ، وان التربية الاجتماعية تبدأ من المدرسة على يد المعلم وحده . ونادى بأن عملية التنشئة تبدأ من

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 84.

(٢) Durkhiem Emile: The Rules of Sociological method, Glencoe Free Press, 1938, P. 6.

الميلاد ولا تقتصر على دوري الطفولة الاولى او الثانى ، ولكن يمتد تأثيرها الى شخصية الراشد • وتهدف الى اعادة تنظيم بناء الشخصية[1] فى كل طور من اطوار النمو • فهى أيضا تستخدم لوصف عمليات تعلم الراشدين لانماط السلوك والقيم والتوقعات المرتبطة بالادوار •

وقد قدم بارسونز تعريفا جديدا لعملية التنشئة الاجتماعية ، وبين انها عملية تعلم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الانماط العقلية والعاطفية والاخلاقية عند الطفل والراشد ، وهى عملية تهدف الى ادماج عناصر الثقافة فى نسق الشخصية[2] • وهى عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الاسرة وتستمر فى المدرسة ، وتتأثر بجماعات الرفاق وبنسق المهنة • ومن ثم تستمر عملية التنشئة باتساع دائرة انساق التفاعل كلما كبر المرء • فالتنشئة الاجتماعية عملية تبغى تحقيق التكامل فى مجموعة من انساق التفاعل والتوحد مع العناصر الثقافية والاجتماعية • ويستخلص بارسونز ان عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا نهاية لها تعبر عن نشاط البناء الاجتماعى • فالبناء الاجتماعى يضغط على الشخص لكى يتكيف دائما مع الآخرين ، ويتعلم كل يوم شيئا جديدا •

ويتبين لنا من عرض رأى بارسونز لمفهوم التنشئة الاجتماعية انه رفض التفسير الدوركيمى ، ورأى انه تفسير قاصر ، فعملية التنشئة لا يقتصر تأثيرها على الطفل ، بل يمتد تأثيرها على الراشد • وهى عملية لا تعتمد على صيغة الامر ، فالانسان يمتص انماط السلوك التى يتقبلها ويرضى عنها شعوريا ولا شعوريا • كذلك يظهر التباين بين دوركيم وبارسونز فى طبيعة العناصر التى يوجه اليها السلوك • ويرى دوركيم ان العناصر التى يربى عليها الطفل عناصر عقلية بحتة ، ولا مجال للحب فى عملية التنشئة • اما بارسونز فيرى أن عملية التنشئة الاجتماعية تشمل جميع العناصر العقلية والعاطفية والاخلاقية ، والحب دعامة اساسية لنجاح عملية التنشئة الاجتماعية • ولا تتم هذه العملية تلقائيا ، بل ان عملية تعلم الشخص طفلا أو راشدا لانماط السلوك عملية يدرب عليها فى مواقف معينة ، تبدأ بالمواقف الاسرية ، ويكون الدافع فى هذه المواقف الاسرية الاشباع المباشر للطفل او الراشد ، وما يحدد سلوك الراشد فى تلك المواقف مشاعره نحو الطفل واعضاء الموقف ، وتنعكس اثناء مواقف التفاعل وتنشئة الطفل مجموعة من المبادىء العقلية والاجتماعية السائدة فى المجتمع ، اى مجموعة من القيم والمعايير

---

(1) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 40.

(2) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 16.

التى يؤمن بها الوالدان ، وانماط السلوك المرتبطة بادوار معينة ، فيتمثل الطفل هذه القيم وادوار السلوك اثناء عمليات التفاعل ، وتشبع الحاجات النفسية للطفل والوالدين ، وتتكون لدى الطفل الصور العقلية لنسق العلاقات الاجتماعية (١) . كما يتكون لديه نسق الادوار والقيم . ويبين لنا تفسير بارسونز لعملية التنشئة ان الوالدين اثناء تفاعلهما مع الطفل فى المواقف المختلفة لا يقومان بادوارهما الشخصية ، بل يؤديان ادوارا ينظمها المجتمع ، كما لا يحكم سلوكهما قيم شخصية ، بل يمثلان قيما المجتمع السائدة اثناء تفاعلهما مع الطفل . وقد اختلف بارسونز مع ستور رجل التحليل النفسى فى تحديد قيمة الموقف الذى يتم فيه التفاعل وينشأ فيه الطفل . فيرى ستور ان التفاعل بين الوالدين والابن لا يتم فى موقف مطلق ، ولكن فى مواقف نسبية (٢) ، اى ان الموقف الذى يتم فيه التفاعل يتغير فى شكله وتركيبه ومضمونه من فترة لأخرى . اما الموقف عند بارسونز الذى تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية ، فموقف مستقر منظم ، نظمه الابوان حسب ثقافة المجتمع ، ويتقبله الطفل . وحصاد التفاعل الاجتماعى المستمر فى مواقف التفاعل المنظمة ، وهو حصاد عملية التنشئة ، هو شخصية تتوحد مع الاهداف الثقافية والمعايير الاجتماعية فى المواقف المنظمة .

ورغم ان بارسونز اكد ان عملية التنشئة عملية مستمرة ، فانه بين أن سنوات الطفولة المبكرة هى اهم سنوات التنشئة فى تكوين الشخصية لما يلى :

السبب الأول : أن الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة عجينة خام ، تشكلها الاسرة حسب القيم واشكال السلوك السائدة .

والسبب الآخر: ان العناصر المتعلمة فى فترة الطفولة هى اكثر العناصر الاجتماعية المكتسبة استقرارا (٣) .

وقد بين بارسونز ان عملية التنشئة الاجتماعية لها وجهان . الوجه الأول ، الوجه الادراكى ، ويعنى اقامة التصورات المناسبة عن الموجودات الثابتة ، واقامة التصنيفات العقلية عن الموضوعات واقامة الابنية المتوحدة المناسبة والجوانب الادراكية الثابتة ، وانصهار الموضوعات المتوحدة سويا . والوجه الآخر ، هو الدافع والتقبل ، وهو الجانب النفسى للتنشئة الاجتماعية التى ترمى الى تحقيق التوافق مع اغراضنا ، وتحقيق الاشباع النفسى

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 22.
(٢) Storr Anthony: The Integrity of Personality, op.cit., P.72.
(٣) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 208.

والطمأنينة فى كل اطوار التنشئة الاجتماعية عند الطفل والراغبين فى تنشئته • فالاشباعات التى تنبع من انفعالات المرء لن تستقر ، ولن تسكن ، ما لم تعمم المعانى العاطفية • ويرى بارسونز ان ارتباط هذه المعانى العاطفية بمعانى عامة عند الشخص يؤدى الى اكتسابه القدرة على التمييز بين الموضوعات ، وترتبط عملية التنشئة الاجتماعية بمظهريها العقلى والعاطفى بعمليات الاداء والتعميم والتشريط • وهذه العمليات تنظم العناصر المتعلمة داخل نسق الشخصية(١) •

ولم تقتصر دراسة بارسونز على تحليل عملية التنشئة الاجتماعية ، وبيان وظائفها الظاهرة بل قسم اطوار التنشئة الى اربعة اطوار ، وربط كل طور بأنساق اجتماعية معينة • ويرى بارسونز ان هذا التقسيم الزمنى لمراحل عملية التنشئة الاجتماعية داخل الاسرة تقسيم نظرى ، وليس تقسيما واقعيا(٢) يتم فى شكل دورة عند الطفل والاسرة •

الطور الأول : يتم داخل الاسرة حتى دخول الطفل المدرسة• وقد قسم بارسونز هذا الطور الى اربعة ازمنة• وسنعود الى التركيز على هذا الطور فيما بعد •

الطور الثانى : ويتم اثناء مراحل الدراسة المتعددة ، ويسميه بارسونز الطور الثانوى (٣) للتنشئة الاجتماعية • ويبدأ بدخول الطفل المدرسة الابتدائية ، بعد ان عرف تصنيف الجنس الذى ينتمى اليه ، وتعلم اداء بعض الادوار• والمدرسة عند بارسونز نسق اجتماعى وظيفته مثل الاسرة التنشئة الاجتماعية والتدريب والتخصص• وهذه الوظائف تربط الاسرة بالبناء الاجتماعى • وترجع اهمية المدرسة الى أنها اول نسق اجتماعى خارجى يدرك فيه الطفل التباين الاجتماعى على أسس غير بيولوجية ، بل على اساس قدرات التحصيل ، وانها تدرب الصغار على اداء ادوار الكبار حسب منهج معين • وتستمر المدرسة فى اداء وظيفتها مع الاسرة حتى يبلغ الفرد طور الزواج ، او يلتحق بعمل •والتنشئة الاجتماعية ضرورية فى المجتمع داخل الاسرة وفى المدرسة لاعداد الافراد لاداء ادوارهم فى المستقبل وادماجهم مع قيم المجتمع • ويقابل الطفل فى المدرسة رفاقا جددا • ويتعلم انماطا جديدة من السلوك، ويواجه مرحلة توضع فيها قيم الاسرة وافكارها لأول مرة فى الميزان ، ومن ثم يشعر الطفل لأول

---

(١) Parsons Talcott: The super-ego and the social system. In Coser Rose, Laub. The Family its structure and functions, op.cit., P. 446.

(٢) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 202.

(٣) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 156.

مرة بتعارض او توافق قيم الاسرة مع العالم الخارجى (١) .

فعالم المدرسة له اهمية عند الطفل لأنه صورة مصغرة للعالم الكبير الذى سينتسب اليه . فمواقف التجربة والتفاعل فى المدرسة مجال خصب للتنشئة الاجتماعية السليمة ، وتقويم الشخص وتدريبه على اداء الادوار المتخصصة . وتلعب المعلمة دورا هاما فى مرحلة المدرسة الابتدائية لأنها استمرار لشخصية الأم ، وتصبح عنده موضوعا للتوحد . وعلاقة الطفل بالمعلمة خطوة ملائمة للتحرر من الارتباط الأول بالأم ، وحنو المعلمة على التلاميذ ، واظهار اهتمامها بهم ، والتعبير عن حبها لهم شرط هام لعملية التوحد بها فى مرحلة الدراسة الابتدائية . ويؤدى المنهج الدراسى وظيفة هامة فى استمرار التنشئة الاجتماعية للطفل . فالمنهج المدرسى فى المدرسة الابتدائية يجب ان يتكيف مع النظام الاجتماعى لتقويم الطفل واعادة تنظيم افكاره وقيمه وسلوكه اذا تعارضت افكار وقيم ونماذج سلوك الاسرة مع المجتمع .

ويرى بارسونز ان عملية التنشئة الاجتماعية مستمرة فى المراحل الدراسية اللاحقة للمدرسة الابتدائية حتى الجامعة او معاهد التعليم العالى . ويزداد التخصص الدراسى فى تلك المراحل . ويبدأ الطالب بالاحساس بالفروق والتخصصات المتباينة ، ويدرك الفروق فى التخصصات المهنية ، ويتعلم ايضا القدرة على المسئولية ، واتخاذ القرارات فى المواقف المتباينة .

الطور الثالث : ويبدأ من الخروج من دور التعليم الى العمل . ويجب ان نؤكد أن عملية التنشئة لا تنتهى بحصول المرء على مركز فى النسق المهنى ، ولكنها عملية مستمرة ، ويؤدى استمرار عملية التنشئة الاجتماعية للتكيف مع التغير فى بناء الانساق الذى يرتبط به المرء ، الى تغير توجيهات القيم وايضا تغير مضمون الدور المهنى وازدياد عدد الادوار التى يقوم بأدائها . وكثيرا ما يؤدى التغير فى محتوى الدور الى احساس المرء بالتوتر (٢) ، على أننا يجب ان نؤكد ان التغير المستمر فى عمليات التنشئة ، وتحصيل الشخص لانماط سلوكية وافكار وقيم متجددة ، وما يحصله من خبرات جديدة ، يتأثر بتجاربه الاسرية المبكرة .

الطور الرابع : يبدأ بتكوين الفرد اسرة جديدة ، وهو يتداخل مع الطور الثالث . وقد يسبقه عند بعض الافراد . فالطوران الثالث والرابع متداخلان .

(١) Persons Talcott: An outline of the social system. In Persons and others (ed). Theories of Society. op.cit., P. 50.

(٢) Persons Talcott: Social system, op.cit., PP. 241-242.

بعد هذا العرض المجمل لاطوار التنشئة الاجتماعية ، نعود ونعرض بشئ من التفصيل لرأى بارسونز فى الطور الأول . فقد قسم بارسونز الطور الأول لعملية التنشئة الاجتماعية الى ازمنة اربعة تتم فى شكل دائرى عند الطفل والام . ولكنها تسير فى شكل معكوس عند كليهما . فالاسرة تبغى من عملية التنشئة ، وهى وظيفتها ، التوافق Adaptation ، وتحقيق الهدف Goal attainment، التكامل Integration، والكمون Latency

اما بالنسبة للطفل فتسير عملية التنشئة الاجتماعية من مرحلة الكمون الى التكامل الى تحقيق الهدف الى التوافق . ويبدأ الطفل مرحلة التنشئة كانسان عاجز ، واثناء عملية التنشئة الاجتماعية يحقق تكامله مع الانساق الاجتماعية .

الزمن الأول : يعيش الطفل فى هذا الزمن فى جنة عدن ، ولا تمارس عليه أية ضغوط اجتماعية ، ويعيش فى مرحلة كمون هادئة فى بداية هذا الزمن ، ثم يخرج منها الى مرحلة التكامل مع الام ، وتتحمل الام فور ميلاد الطفل مسئولية رعايته وتنشئته . كما يرتبط بها الطفل ويعتمد عليها . كما يرى اعضاء الاسرة الطفل موضوعا للملكية ، وتمنحه الاسرة والام كل الرعاية والحنان والعناية ، كما لا تتوقع منه الاسرة أية مشاركة ايجابية اطلاقا [1] . وتحاول الام ان تحافظ على علاقاتها بابنها وأعضاء اسرتها ، وتحاول جاهدة ان تحافظ على التوازن بين الادوار الاسرية وحبها لطفلها ، فهى تعطى الطفل الحب والحنان ، وتحقق له توقعاته ، لكنها لا تهمل واجباتها نحو الآخرين .

ويبدأ أنا الطفل فى تلك الفترة فى التكامل مع الام ، من اجل استمرار حصوله على اللذة ، كما تشبع حاجة الطفل لتحقيق استقلال الذات ، فهو يحبها ، وهى تضفى عليه الحب . ويتميز سلوك الطفل اثناء تفاعله مع الام المتوحد معها حينئذ ، بانه سلوك ازدواجى يتقبل الرعاية من الآخرين الذين يعتمد عليهم ويحبونه ، ويستطيع فى الوقت نفسه أن يمنحهم الحب .

الزمن الثانى : ويبدأ فى هذا الزمن رياح التغيير ، وينزح الطفل من جنة عدن التى كان يعيش فيها للأسباب الآتية :

السبب الأول : ان الطفل بدأ ينضج فسيولوجيا واجتماعيا ، فالجسم بدأ يكبر ، وبدأ

---

(١) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 202.

اعضاء الاسرة يشعرون بانه صار قادرا على اداء مستويات من الفعل ارقى من ادائه في الزمن الاول • ويبدو الطفل في نظر اعضاء الاسرة اكبر من ان يستمر في سلوكه الطفلي المصاحب للزمن الاول ، وتبدأ الاسرة ممارسة اول مراحل دورة التنشئة الاجتماعية لتحقيق تكيف الطفل مع الاسرة •

السبب الاخر : ومن مظاهر النمو والنضج التي تبدو في شخصية الطفل تعلمه بعض المهارات الجديدة واكتسابه كلمات تسهل له الاتصال وابلاغ رغباته • وترى الاسرة في شخصية الطفل في هذا الزمن نسقا يتحرك الى مرحلة التكيف •

وتبدأ الاسرة في هذا الزمن مرحلة السيطرة والضبط على الطفل ، وتنوب الام عن الاسرة في علاقاتها بالابن • وتحقق مطالب الاسرة بالسيطرة على سلوك الطفل وتدعمها الاسرة في اتجاهاتها الجديدة(1) • وتتحمل الام مسئولية التنشئة الاجتماعية في هذا الزمن ، وتنوب عن الاسرة في تقويم سلوك الطفل الفطري ، واعلاء سلوكه الغريزي الى سلوك اجتماعي ، وتبدأ اولى مشاعر الطفل بالتوتر بتأثير ظروف الاحباط التي تفرضها عليه الام ، والحرمان النسبي من الاشباعات ، واحساسه بأن الام بدأت تحجب جزءا من الحب الذي كانت تضفيه عليه ، كما يدرك ان سلوك الام الذي تعود عليه بدأ يتغير ، ويشعر الطفل بالقلق على علاقاته بأمه • ولكن حجب الام بعض حبها عن الطفل ، لا يتجه أن يتحمل مسئولياته الكاملة عن انفصاله ، كما تحس الام بشعور القلق على الطفل ازاء العالم الجديد الذي سيقتحمه ، وتتوقع الام ان يؤدي الطفل اشكالا من السلوك المنحرف والمستهجن والعدواني احتجاجا على فقدانه حب الام ، وتسمح الام للابن في هذا الطور بأداء انواع من السلوك ، وتبدأ من هنا مرحلة ما يسميه طور السماح Permissive في التنشئة الاجتماعية ، لكنها لا ترتد الى علاقاتها الاولى معه • وتستمر شخصية الطفل في هذا الزمن في التكامل مع الام ، وتنمو بعض العناصر العقلية عنده •

الزمن الثالث : وهو مرحلة تحصيل الاهداف عند الاسرة • ولم يعد دور الام دورا نفعيا اداتيا كما كان في الزمن الاول ، بل يحمل دورها الكثير من المعاني التعبيرية ، والمساعدة للطفل • ويساعد العنصر العاطفي على ربط الطفل بالام • وهذا الحب سرعان ما ينمو ، وتنتشر عاطفة المحبة على الغير • وتبدأ قدرة الطفل على تعميم الحب الى ما وراء

(1) Persons Talcott: Ibid., P. 207.

الامُ والمشاركة فى نسق الاسُرة(١) . وهذا يعنى أن الاسرة قد نجحت فى تحقيق هدفها من التنشئة الاجتماعية. ويبدأ الطفل فى ادراك معنى عضويته للاسرة ، ومعرفة ان الابُ والام يمثلان موضوعا واحدا عنده ، لاتفاق مواقفهما نحوه . وتبدأ مرحلة توحده مع افراد الاسرة وقيمها من اجل استمرار نسيق الامُ والطفل . وهذا يتحقق فى هذا الزمن لكل من الاســـرة والطفل هدفه .

ويبين بارسونز ان ابرز ملامح التحول فى دور الامُ ، هو التحول من اتجاه اكثر سلبية لا يسمح للطفل بأداء سلوك مستقل معين ، الى اتجاه ايجابى يساعده على هذا الأداء ، ويسمح له بأداء ما يرغب فيه . ويعنى هذا التغير فى سلوك الامُ ان الاسرة بدأت تقبل الطفل عضوا ايجابيا فيها ، وقبلت مشاركته فى عضوية الاسرة ، وتتخلى الامُ فى هذا الزمن عـــن مسئولياتها للابُ . ويرى بارسونز أن قبول الاسرة لعضوية الطفل تظهر شعور الاسرة بتهديد تكامل نسق الاسرة . لذا قبلت الاسرة الطفل عضوا فيها رغم مظاهر السلوك المنحرف الــذى يبدو منه فى نهاية الزمن السابق . وتفيض الامُ من حبها على الطفل ، ويمنع هذا الحب مـن تفكك الشخصية ، وما يهدد الانا ، ويمتص قلقه ، ويعطيه شيئا من الطمأنينة. كما تضفى عليه الامُ الكثير من الثواب لكى ينمو الانا نموا طبيعيا . فالانا فى تلك الفترة يعيش فى مرحلة مـن الاضطرابات ، بعد أن فقد الاستقرار القديم فى الزمان الاوُل . ويعيش فترة تنكر اشباعاتــه الاولى الفطرية ، وتلاحقه مجموعة من الاوامر والتعليمات التى تقيد حركاته وتضبط سلوكـــه ، التى يعجز عن فهمها رغم ادراكه لها ، ويساعد ما يحصله الطفل من خبرات ومهارات فـــى هذا الزمن على اتاحة الفرصة للطفل على اكتساب مراكز جديدة فى الاسرة .

الزمن الرابع : يبدأ الزمن الاخير فى تنشئة الطفل فى محيط الاسرة بالتوحد مـــع الابُ كموضوع جديد . ويبدأ دور الام فى التغيير ، ويصبح دورا والديا . وهذا الـــدور ثمرة دورها فى نسيق الامُ والطفل ، ويبدأ تكوين العنصر الجديد فى بناء الشخصية ، أى نشوء الضمير ، وتدعيم نسق الجزاءات ، ويصبح الابُ والاخوة موضوعا هاما عند الطفل يتبادل معهم العلاقات .

وفى هذه الفترة تعترف الاسرة بالعضو الجديد اعترافا كاملا ، ويقبل هو هذه العضوية لتحقيق اشباعات جديدة غير التى تعود عليها . ويبدأ دور الابُ فى البروز والتأثير علـــى

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 209.

الطفل • ويؤدى الاب فى هذا الزمن دورا هاما كموضوع للاشباع العاطفى • كما اصبحت الام اكثر ايجابية نحو الطفل • واقل مساعدة له ، وتؤيد الاسرة الام فى تحولها عن الطفل الى وظيفتها الجديدة كانسان قادر على الثواب والعقاب • وتتقبل الام عن طواعية هذا الاتجاه الجديد نحو الطفل • وتزداد عند الطفل فى هذه الفترة القدرة على الادراك، فهو يدرك عقليا معنى دور الاب فى الاسرة ، ومعنى دور الام ، ويدرك ان الاب والام يكونان نسيقا ، والتفريق بين علاقاته بامه فى نسيق الام والطفل ، وعلاقاته معها فى الاسرة • ويعى ان امه هى والدته اكثر منها موضوعا للحب ، وانها شخص مساعد له ، ومعين على تلبية حاجاته ، كما يدرك معنى الاخوة، ويفهم الفروق بين افراد الاسرة على اساس الجنس والسن • أى بين الاخ والاخت ، والاب والام ، وتحقيق التكامل معهم • وهذا هو هدف الاسرة من التنشئة فى هذا الزمن •

وهذه المرحلة عند الطفل هى مرحلة التوافق مع المراكز الجديدة فى الاسرة ، والتى يكبت فيها رغباته السابقة ، كما يصاحب توافقه مع اعضاء الاسرة تغير بعض المراكز الاسرية لتتناسب مع التغير الجديد فى الاسرة • ولكن رغم انضمام الطفل الى الاسرة واعترافها بشرعية عضويته ، فلا زالت بعض المراكز والادوار مجهولة لديه لم يعرفها ، وبعد مرحلة التوافق مع اعضاء الاسرة ، وتكامل العلاقات الاسرية ، تسير عملية التنشئة الاجتماعية لدى الاسرة نحو حالة من الكمون •

ونلاحظ أثناء عملية التنشئة الاجتماعية فى الازمنة المتتالية ، ان الاخوة والاب والرفاق يبدون للطفل مثلا ونماذج تجسم شخصياتها وأفعالها القيم التى يتوحد بها ، ويصاحب اطوار عملية التنشئة الاجتماعية تغيرات بنائية لنسق ادوار الطفل ، ولادوار الاسرة ، وفى كل طور تزداد الادوار التى يعرفها الطفل ، كما تحدث تغيرات فى الانساق التى ينتمى اليها • (١)

ويرى بالدوين ان بارسونز فى تحليله لفترات التنشئة الاجتماعية ، ربط بين أطوار التنشئة ووظائف الانساق الاجتماعية ، وأكد ان الاسرة تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية وراء دافع معين هو تحقيق الانسجام والتوافق مع الانساق الاجتماعية • فالتنشئة سبب ونتيجة (٢)

---

(١) Parsons Talcott: An outline of a social system, op.cit., P. 76.

(٢) Baldwin Alfred: Theories of child development, op.cit., PP. 570-577.

لتغير بناء نسق الاسرة والانساق الجزئية داخلها • اذ فى كل طور من اطوار التنشئة الاجتماعية تواجه الاسرة مشاكل فى علاقات اعضائها ، ومشاكل الاطفال ، ومشاكل شخصية لاعضائها ، لما يحدث من عمليات التنشئة الاجتماعية • ولكن هذه المشاكل لا تدوم ، بل تحل بما للنسق من اساليب تمكنه من حل المشكلات ، وما لدى الافراد اعضاء النسق من رغبة فى حلها •

بعد هذا العرض للتفسيرات المختلفة لعملية التنشئة الاجتماعية نتساءل ، ما وظيفة هذه العملية ؟ ان الوظيفة الظاهرة لعملية التنشئة الاجتماعية هى تدريب الطفل على اداء انماط معينة من السلوك ، والتى يرضى عنها المجتمع ، ويتخذها الشخص دعامة لسلوكه طوال الحياة ، اما وظيفتها الكامنة فتتضح فيما يلى :

١ـ ان محور عملية التنشئة الاجتماعية توحد الطفل مع مجموعة من الانماط الثقافية للمجتمع ، وأهم هذه الانماط الثقافية انماط القيم الاجتماعية والجمالية والاخلاقية ، وتوقعات الادوار التى تنظم الانساق التنظيمية للبناء ، والتى يتكون منها البناء الاساسى للشخصية[1] • ونتيجة لذلك يكتسب الطفل مجموعة من الاتجاهات والمهارات والمعارف واشكال الثقافة السائدة فى المجتمع الذى ينتسب اليه • وهذه الاتجاهات والمهارات ترتبط باتجاهات ومعارف الوالدين • فالتنشئة الاجتماعية كما وصفها ملرتون وسيلة للانتشار الثقافى[2] ، اذ تهدف عملية التنشئة الاجتماعية تلقين الاطفال قيم الجماعة ، وتحقيق التقارب بين الدوافع المشتركة للاطفال ، فالتوافق الاجتماعى هو محصلة توحد اعضاء البناء مع القيم ، وهذا يساعد بدوره على توافق الشخصيات الاجتماعية وربطها بالبناء الاجتماعى •

٢ـ تساعد التنشئة الاجتماعية على اكتساب المرء نسقا من المعايير الاخلاقية التى تنظم العلاقات بين الفرد واعضاء الجماعة ، وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على المرء •

٣ـ تهدف عملية التنشئة الاجتماعية الى تكوين القيم لتحقيق توقعات الادوار[3] • فعملية التنشئة الاجتماعية تهدف الى اعداد الفرد لاداء الادوار المختلفة التى سيواجهها يوما ما • فمن اهدافها اعداد الطفل لاداء دور الابن والاخ والزميل والاب ، واعداده لاداء الدور المهنى • أى من وظائف التنشئة الاجتماعية تعليم الطفل اشكال السلوك

---

(١) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction Process, op.cit., P. 17.

(٢) Merton Robert: Social theory and social structure, op.cit., P. 158.

(٣) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 148.

المرتبطة مع اداء الدور • وهذه عملية لاحقة لتحصيل قيم المجتمع • فعملية التخصص على اداء ادوار معينة داخل مختلف الانساق ، وعملية التنشئة الاجتماعية عملية واحدة ينظر اليها من جانبين • فالفرد ينشأ داخل الاسرة على مجموعة من الحقوق والواجبات تعرف بعلاقات الادوار ، ويعي الفرد هذه الادوار بعد فترة طويلة من التنشئة الاجتماعية • وهذا الوعي عملية يدرك بها الطفل ان الآخرين يتوقعون منه أن يسلك سلوكا معينا في موقف معين حتى لا ينال عقابا • ويتعلم ايضا ان هذا السلوك المتوقع هو السلوك المقبول لمجتمعه • ويرى بارسونز أن عملية التنشئة الاجتماعية لا تعد افراد لأداء الادوار على الوجه الاكمل ، بل تمنحهم التوجيهات العامة والتوقعات التي تساعد على اضافة ما يراه مناسبا بتأثير التعلم لتحقيق التوافق الاجتماعي • كما ان التغيرات البنائية المستمرة والتي يخضع لها نسق الطفل والام تحدد الزيادة المستمرة في عدد الادوار التي يواجهها المرء •

٤- تمهد عملية التنشئة الاجتماعية الى اعلاء رابطة الحب بين الطفل والام ،واقامة الالتزامات حول امكانيات الانجذاب نحو الغير ،والذى يتضمن اختيار الموضوع خارج الاسرة ،والاستقرار في التوجيه نحو الموضوعات الخارجية ، وأيضا تعميم هذا الحب وشموله للموضوعات الرمزية(١) ، ومن اهم الوظائف الابوية اثناء عملية التنشئة الاجتماعية أن يدرب الطفل على التحرر من حبه وارتباطه بوالديه ، ومن الاعتماد عليهما وحدهما ، لاشباع حاجاته ، ليستطيع ان يصل الى مستوى عال من الاستقلال وتحمل المسئولية•

٥- تمهد عملية التنشئة الاجتماعية الى تغيير الحاجات الفطرية الى حاجات اجتماعية ، وتغيير السلوك الفطري ليصير الفرد انسانا اجتماعيا ، يتعلم صفات الجنس الذى ينتمى اليه ، واخلاقيات المجتمع الذى يعيش فيه ، ويتقبل المكانة الاجتماعية التى يحددها المجتمع•

٦- تمهد عملية التنشئة الاجتماعية الى ان يحصل الفرد اثناء تفاعله مع الآخرين من أعضاء الاسرة على الادوات التى تساعده على الاندماج في الجماعات المتعددة في أطوار النمو المتتابعة ، وأهم هذه الادوات اللغة كأداة رمزية تسمح بالترابط بين الجماعات ، وتحصيل المعارف •

(١) Parsons Talcott: The Incert taboo in relation to social structure and the socialization of the child. In Smelser. Personality and Social system, op.cit., P. 145.

ان عملية التنشئة الاجتماعية كما يتبين لنا ، هى عملية تعنى ادماج العناصر الاجتماعية فى الشخصية ، وربط الشخصية بالبناء الاجتماعى . ولنا ان نسأل هل اساليب التنشئة الاجتماعية متغيرة متجددة ، تتكيف باستمرار مع التغيرات الاجتماعية وبالتالى تتغير مكونات بناء الشخصية من زمان الى آخر ، او أن اساليب التنشئة اساليب جامدة لا تتغير ، وتحاول أن تخلد من شخصيات الوالدين ؟ . فى الاجابة على هذا السؤال يرى المحللون النفسيون ويسايرهم بعض رجال علم الاجتماع ان المجتمع ينوب عنه الوالدين للقيام بتنشئة الصغار ، ويقوم الابوان بوظيفتهما التربوية فى تنشئة الصغار وتوجيههم استجابة للتجارب التى مرا بهما فى طفولتهما ، ويحاول هؤلاء الاباء أن يكتبوا لاساليب التنشئة فى مجتمعهم الخلود ، وأن يخلدوا ثقافة مجتمعهم بفرض ثقافة جيلهم على جيل ابنائهم . ويتطرف انصار هذا الاتجاه ويرون ان الاسرة عنصر محافظ فى البناء الاجتماعى يعارض التجديد والتغير ومن ثم يصعب تغيير اساليب التنشئة الاجتماعية رغم تغير البناء الاجتماعى . وتؤكد مدرسة التحليل النفسى صعوبة تغيير انماط الشخصية لاستحالة تغيير اساليب التنشئة فشخصيات الابناء تكرار لشخصيات الاباء ، وضمائر الابناء تخليد لضمائر الكبار .

ان هذا التفسير لعملية التنشئة الاجتماعية يصدق على المجتمعات البسيطة والمجتمعات المستقرة ، ولكنه لا يصدق على المجتمعات النامية والمجتمعات السريعة التغير . فالاباء فى هذه المجتمعات لا يقلدون تجارب الطفولة تقليدا اعمى . وهناك من يؤمن منهم بالتغير الاجتماعى ، ويرى انه من الضرورى ان يرتفع الى مستوى مسئولية العصر ، ويجدد هؤلاء من اساليب التنشئة الاجتماعية بما يتلاءم مع ظروف البناء المتغير حسبما يرون ، ويتناسب مع تجارب الزمن الذى يعيشون فيه ، لا ان يخلدوا اساليب التربية السائدة فى طفولتهم . ونرى انه من الصعب ان يورث الاباء ابنائهم كل انماط القيم وعادات وافكار جيلهم ، غافلين عن تأثير التغير الاجتماعى . فكل جيل من الاجيال له اساليبه الخاصة فى التنشئة الاجتماعية للصغار ، تلك الاساليب التى تهدف الى تنظيم السلوك ، وتوافق الصغار فى فترة زمنية محددة . فالتنشئة الاجتماعية هى التزام ابوى لتوجيه الصغار نحو المستقبل[1] . وتتأثر بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى تحدث فى البناء الاجتماعى . وتغير اساليب التنشئة الاجتماعية فى البناء أمر ضرورى لاستمراره وتوافق انساقه ، وتكيف العلاقات بين افراده ، لا من أجل

(1) Cohen Yehudi: Social structure and personality, op.cit., P. 41.

الافراد فحسب ، ولكن من اجل الدوافع التى وراء الاقفال والتى اجبرت على التغير البنائى ، والا تفكك البناء وسادت الظواهر الاجتماعية المعتلة •

وقد اوضح يورى برونفنبرنر فى بحثه " الطفل الامريكى المتغير " (1) ما يؤكد هذا الرأى ؛ فبين ان اساليب التنشئة الاجتماعية تغيرت فى الربع الثانى من القرن العشرين فى الولايات المتحدة الامريكية ،واستدل على ذلك بأن الطبقة المتوسطة قد هجرت اساليب التربية والنظام التى تعتمد على القسوة والصرامة والتى سادت فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن • وبدأت الطبقة المتوسطة تستعمل الاساليب الحديثة فى التربية التى تعتمد على التسامح امام رغبات الطفل والايمان بحق الطفل فى التعبير الحر عن انفعاله• كذلك بدأت هذه الطبقة تستهجن استعمال العقاب البدنى باعتباره وسيلة للتوجيه والتقويم • وقد بين الباحث نفسه ان الاساليب الحديثة فى التربية كان له اثرها على تطور شخصيات الاطفال ،ومن ثم فان بناء شخصية الاطفال من البنين والبنات المعاصرين ، يغاير الى حد ما بناء شخصية الاطفال فى العقدين الماضيين • كذلك تتفاوت شخصية ابناء الطبقة الوسطى فى امريكا عن ابناء الطبقة الدنيا • وقد اوضح الباحث ان تربية ابناء الطبقة المتوسطة تفوق الطبقة الدنيا فى الموضوعات التى ترتبط بضبط النفس والتحصيل والمسئولية والقيادة والشهرة • فقد ابرز هذا البحث ان انقسام المجتمع الامريكى الى طبقات يبرز لنا فى نفس الوقت اختلاف اساليب التربية والسلوك فى كل طبقة ، ويكشف لنا الباحث ان التربية عند الامريكان البيض تختلف فى اساليبها عن الامريكان السود • وكل طبقة فى المجتمع الامريكى لها اساليبها المعينة فى التنشئة ، بيد أن اعضاء الطبقة الوسطى هم اكثر طبقات المجتمع ادراكا لعدم التجانس الثقافى لتفاوت اساليب التربية بينهم •

وتكشف لنا هذه الدراسة ان اساليب التربية تختلف فى المجتمع الطبقى من طبقة لاخرى لتأثر اساليب التربية بالوضع التعليمى والمهنى والاقتصادى لاعضاء الاسرة • ويؤدى تباين اساليب التربية الى تباين بناء الشخصية الاساسية فى المجتمع الواحد • ويدفعنا تباين أساليب التنشئة فى المجتمع الواحد الى التأكيد بأن نماذج السلوك ليست متجانسة بين جميع افراد المجتمع فى الموقف الواحد ، لأن السلوك الناتج من الشخص هو محصلة تفاعل

(1) Bronfenbrenner Urie: The changing American child: In Smelser Neil (ed.). Personality and Social system, op.cit., PP. 347-356.

العوامل البنائية مع الشخصية ، وليس محصلة الشخصية وحدها ، وليس محصلة البناء وحده ، والا اصبح السلوك متماثلا فى المواقف الاجتماعية المتباينة .

ولا يقتصر اختلاف اساليب التربية على اختلافها من طبقة لأخرى ومن زمان لزمان ، بل ان اساليب التنشئة تختلف من بناء لبناء . وقد عرض لنا ويتنج باترس[1] نماذجا لست ثقافات بسيطة مختلفة تكشف اختلاف اساليب التربية فى هذه الثقافات ، وما يتبع ذلك من اختلاف فى شخصيات الاولاد . وتؤكد لنا هذه الدراسة اختلاف الشخصية من بناء لآخر .

وسنعرض فيما يلى لاربعة نماذج للتنشئة ، ثلاث منها غير التى عرضها ويتنج باترس لاساليب التربية فى ابنية اجتماعية متباينة فى مناطق متفرقة من العالم ، اثنان منها يعبران عن البناء الاجتماعى فى شكله البدائى ، والآخران يعبران عن بنائين صناعيين يختلفان فى انظمتهما الاجتماعية ، لنوضح مدى اختلاف اساليب التنشئة فى هذه الابنية ، وأثر هذا الاختلاف فى تكوين شخصيات مختلفة .

وقد اخترنا قرية سلوا بمحافظة اسوان لتكون النموذج الأول[2] . وسلوا قرية مصرية تقع فى محافظة اسوان فى منطقة تعد من أفقر اقاليم مصر — وقت اجراء البحث — تعتمد فى معيشتها على فلاحة المحاصيل الاستهلاكية . وهى صورة للقرية المصرية التى لم تتأثر بالاحتكاك الثقافى مع الثقافة الغربية الذى بدأ منذ دخول الحملة الفرنسية الى مصر . وتتميز سلوا ببطء التغير ، فهى ابعد مراكز الجمهورية عن عوامل التغير . وهى بناء متجانس ، تتماثل فيه العادات والتقاليد والسنن المتوارثة عن الثقافة الاسلامية . ولا يمارس اهل سلوا الا الزراعة وحدها الا قليل ، كما يتميز البناء بقلة الحراك الافقى والرأسى ، وازدياد علاقات المواجهة بين اعضائه ، ويتميز هذا البناء المتجانس بأساليب محددة للسلوك المرتبطة بأدوار القرابة والسن والجنس .

وينتمى اهل سلوا الى اصل واحد ، نزحوا جميعا من الجزيرة العربية ، وتنقسم سلوا الى عشيرتين كبيرتين ، هما الجعافرة والعبابدة . والعائلة الابوية هى الوحدة الاجتماعية الاساسية فى سلوا ، وتتمركز حولها كل الالتزامات المتبادلة ، وتنتظم داخلها كل مظاهر

(١) Whiting Beatrice (editor): Six culture studies of child rearing. N.Y. John Wily 1963.

(٢) Ammar Hammed: Growing up in Egyptian village: Silwa province of Aswan. London. Routledge & Kegan Paul, 1954.

السلوك • فالروابط العائلية هي القوة الاخلاقية وراء تماسك القرية ، وتتحمل العائلة مسئوليتها كاملة عن سلوك اعضائها • وتمثل كل التنظيمات العائلية في اشكالها المختلفة المجالات التي يتحرك ويتفاعل فيها المرء كلما كبر وازدادت علاقاته • كذلك فالعائلة وحدة اقتصادية هامة ، يمارس اعضاؤها مهنة واحدة ويعتمد مركز العائلة على الملكية ، وملكية الارض مشاعة بينهم ، ويشارك الجميع فلاحة الارض • وتنمي المعايير الاخلاقية بين اعضاء العائلة قوة الشعور بالانتماء والشعور بالصحبة واحترام الزعيم •

وتنقسم العائلة الى مجموعات من الاسر الزواجية ، ينتمون الى اصل واحد • والأب هو العائل والمسئول عن اعالة الزوجة والاولاد ، ويجب عليهم طاعته واحترامه والخضوع له • كذلك يطلب الأب من الأولاد الطاعة والاحترام ، وقلما يظهر الأب لأولاده الحب والعاطفة • ويمارس الاب سلطاته المطلقة على اسرته لاعتقاده أنهم يخصون عائلته ، ويحملون اسمها • فالأب له سلطة مطلقة في تكوين التنظيم الاجتماعي ، وفي تحقيق التماسك الاسرى الذى يعرف بالعصبية وما يستلزمه هذا التماسك من مسئوليات في الحقوق والواجبات • ويبدو هذا التماسك العائلي في مظاهر المباهاة والتفاخر بالانتماء الى العائلة • ويتعلم الطفل منذ نعومة اظافره أهمية القرابة بالنسبة له — رغم ما يشوب العلاقات القرابية من توتر — وأن الاقارب سند له وقت الشدة والحاجة • فهو يتعلم انماط السلوك والعواطف اللازم عليه تبادلها مع الاقارب • ولا تسمح له العائلة باللعب والأكل الا مع اقرانه من اقاربه • فاللعب والاكل مع الغرباء أمر محرم على الصغار •

ويميز مجتمع سلوا بين الكبار والصغار ، فهو يرفع مكانة الكبير على الصغير ، ويقسم مجتمع سلوا الى جماعات للسن : جماعة الصغار ، وجماعة الشبان ، وجماعة الكبار ، لكل منها عالمه الخاص ، ومشاكلها التي لاتهتم بها الجماعات الاخرى • وقد وجد عمار أنه رغم المسافة الاجتماعية الشاسعة بين الكبار والصغار ، فان الصغير يتعود العطاء من الكبير ، كما ان احترام الكبير واجب على الصغير ، ويجب على الصغار الانسحاب من مجتمعهم ، ولثم أيديهم كلما قابلوهم في الطريق • وتدعم هذه القواعد الاخلاقية كلما كبر المرء • وتختفي من هذا المجتمع ظاهرة صراع الاجيال ، كما يفرق اهل سلوا في المعاملة بين البنين والبنات ، وتتضح التفرقة بين الذكور والاناث في جميع مجالات النشاط ، ويبدو هذا التمييز واضحا عند تناول الطعام مع الكبار ، ومجالات النشاط المختلفة بعد البلوغ •

فلو نظرنا الى أثر علاقة هذه العناصر البنائية فى نمو الطفل نجد ان للتنشئة الاجتماعية فى سلوا هدفين ، اولهما عملى ، ويرمى الى تدريب الطفل مهنيا ، ويهدف الى تدريب الصغار على اداء ادوار الكبار ، والثانى ثقافى ، ويعنى تلقين الاطفال قواعد السلوك الاجتماعى ، ونقل التراث الاجتماعى . ويرى اهل سلوا أن الهدف من تلقين الطفل قواعد السلوك "تأديب الطفل" ليتوافق مع معايير المجتمع ويطيع اوامر الكبار ويخشاهم . ويرى عمار ان تأديب الطفل عملية اساسية تعنى استمرار البناء الاجتماعى ، وتحقيق الانحياز الى العائلة الابوية ، واحترام العلاقات . ويهتم اهل سلوا كثيرا بتربية الاولاد ، ويستندون فى تربية اولادهم الى قواعد دينية . فاساليب التربية فى سلوا تنبثق من القرآن ، ولا يفصل أهل سلوا بين مفاهيم الدين وتعاليم الحياة . وكل قواعد السلوك تستند على اساس من القرآن والاحاديث النبوية . ويعتقد هولاء الناس ان الاهمال فى التربية يثير غضب الله ، فيحل عليهم المرض ، وتنفق البهائم ، وتفسد المحاصيل . وتستمر عملية التأديب حتى مرحلة الصبا ، ولكنها تتغير باختلاف اطوار العمر . فابتداء من الثالثة يحرم على الطفل التبرز خارج البيت ، وفى العاشرة يحرم على الطفل كشف اعضاءه التناسلية ، كما يحرم على الجنسين اللعب معا ابتداء من السابعة ، بل حتى الاختلاط سويا ، وعلى الانثى ان تغض الطرف كلما قابلت رجلا فى الطريق . كما يفرض على الابن ان يذهب الى المسجد فى سن معينة . ويدرب على ان يقف فى مجالس الكبار . ويطلق على الطفل الذى يطيع الكبار ، ويتقبل السلطة المفروضة عليه " ابن حلال " .

وتقوم عملية تلقين الطفل لقواعد السلوك الاخلاقية على القهر والالزام ، وعلى القول السائد فى هذه القرية " اذا عصى الابن ألوى رقبته " ، ويؤدى اللجوء الى القسوة فى التربية الى غرس سجايا الخنوع والطاعة والخوف والرهبة فى الطفل . وذكر عمار أن العاب الصغار يغلب عليها القسوة والخشونة والعدوان ، وان هذه المظاهر اساليب مقبولة ثقافيا للتنفيس عن المشاعر العدوانية المكبوتة ضد الاخوة والاب ، والتى يحرم عليه التعبير عنها .

وتسود مجتمع سلوا ظاهرة التنافس والغيرة والصراع بين الاخوة . ويرى عمار أن نظام النسل يؤكد الغيرة والتنافس بين الاخوة . فالكبير يغار من الصغير ، والصغير ينافس من يكبره فى السن . ويعتقد اهل سلوا ان التنافس ظاهرة اساسية لتحقيق النمو ، ويبدو هذا التنافس واضحا فى مناسبات اللعب والاكل . ويعنى الصبية من التنافس الحصول على رغبا

الوالدين ، كما يشجع الوالد ان التنافس بين الاخوة لاعتقادهم انه اسلوب يدفع الطفل الى التخلي عن النزعات الطفلية ، وان يسلك سلوكا مقبولا لكي ينال رضا الوالدين . ولا تقتصر عملية التربية على تأكيد الغيرة والتنافس ، بل تسعى الى بث الخوف عند الصغار . فالوالدان يخيفان الصغار دائما بما يحكيانه من اساطير وقصص .

وقد عرض لنا عمار مظاهر التربية فى اطوار النمو المختلفة . واوضح ان طور الحضانة يمتد حتى يبلغ الطفل سن الرابعة . ويفطم الطفل غالبا فى نهايتها . ويتعلم الكلام والاستجابة لمطالب الكبار . وتتميز تلك الفترة بالتساهل فى عملية التربية ، ويعيش الطفل فى عالم اشبه بجنة عدن . ويرى عمار ان الاهتمام بعملية الرضاعة يرجع الى الاعتقاد الشائع بأن ثدى الام يرمز الى الحنان ، ويقترب الطفل فى هذا الطور اقترابا شديدا من الامّ، وخاصة اذا لم تنجب طفلا آخر . وتسهم جدتا الطفل فى تربية حفيدهما اذ أن عملية التربية عملية مشاعة تتولاها العائلة كلها . ويرى عمار ان الرضاعة فى هذا الطور لا تتقيد بأوقات منتظمة . اذ تعطى الامّ ثديها للابن متى رغب فى الرضاعة ، كذلك تعطى الامّ ثديها للابن متى امتلأ . ويفطم الطفل عادة فى نهاية هذا الطور بطريقة قاسية . ونلاحظ تباين اتجاهات الاب والامّ من عملية الفطام . فالام ترغب فى اطالة مدة الرضاعة لاعطاء الابن مزيدا من الحنان ، اما الاب فيرغب فى خضوع الابن للنظام الاجتماعى مبكرا .

اما فى طور الطفولة ، فيبدأ انفصال الابن عن الام ، وتستقطبه جماعات السن ، ويلعب الاخوة دورا بارزا فى تشكيل اتجاهات الطفل . ويقف الاخوة الكبار موقف الحراس على اخوتهم الصغار اثناء اللعب . ولا يشارك الطفل مشاركة ايجابية فى الحياة الاجتماعية . ولا يقوم بدور ايجابى فى اسرته . ولا يتعود الطفل ان يحل محل الوالدين لاداء التزامات معينة . وتهدف عملية التربية الى ادخال الطفل الى عالم الرشد ، وتحويله من عبء اقتصادى الى انسان منتج . ويلقن الطفل الكثير من العادات والافكار المميزة لمجتمع سلوا ، وتتم عملية اكتساب الطفل للمعايير والنظم الثقافية اثناء مساهمته فى النشاط اليومى ، أو ملاحظة سلوك الكبار وتقليدهم .

ويرى اهل سلوا ان فترة الطفولة أنسب الاوقات لفرض قواعد الادب والنظام على الطفل ليعرف مكانه فى العالم الكبير ، ويدعم عملية التربية والتوجيه الى النظام استعمال العقاب لردع كل انحراف ، وقد شاع بينهم المثل القائل " العصا لمن عصا " لاعتقادهم أن العصا سترد ع المنحرفين الى الصواب . وتحمل التربية فى سلوا مزيجا من الحنان والقسوة ،

فالام رمز للحنان وللأب رمز للقسوة • ويرى عمار ان استعمال القسوة فى التربية تدفع الأولاد الى الكذب بل وممارسة الخداع فى اللعب ، ولا يقتصر الكذب على عالم الطفل وحده بل يسود عالم الكبار ، وتسود فى مجالات التفاعل بين الكبار الريبة والتكتم والظن والغموض ، اذ يعتقد أهل سلوا " أن الخوف بركة " •

ويتميز الطور الأول بعدم العناية بالأولاد والاهتمام بمظهرهم ويبدو ذلك واضحا فى مظهر الأولاد الخارجى ، وتتصف ملابس الأولاد بالقذاره ، ويفسر عمار عدم اهتمام الاسرة بنظافة الأولاد التى تؤدى احيانا الى ارتفاع نسب الوفيات لديهم الى الاسطورة الشائعة عن الحسد ؛ ولكننا نرجع عدم الاهتمام بنظافة الاولاد الى انخفاض مستوى المعيشة وانتشار الفقر • ولا تسمح الاسرة للأبناء بعد العاشرة بلبس الملابس الممزقة ، وكشف عوراتهم ، بل ويسخر منهم ويتهكم عليهم اذا بدر منهم ذلك • كذلك تهتم الاسرة بتغذية الطفل أكثر من اى شيء آخر • وقد صار من الامور المألوفة مشاهدة الطفل يلعب ، ويقضم قطعة خبز فى الوقت نفسه •

ويبدو واضحا فى هذا الطور تفاوت الاساليب المستخدمة فى توجيه الفتى والفتاة الى السلوك المقبول • فالمجتمع يميل الى استعمال القسوة والالزام على الفتاة اكثر من تطبيق هذه الاساليب على الفتى • فالشدة هى ما يميز معاملة الاسرة للبنت ، ولا يرجع التفاوت فى أساليب التربية الى تفوق جنس على آخر ، بل الى القيمة الاقتصادية والاجتماعية للجنس التى تحقق للاسرة الاستمرار والبقاء •

ولا يرى المجتمع فى طور البلوغ امتدادا لفترة الطفولة ، بل هو مرحلة فاصلة بين الطفولة والشباب • بيد ان القيم الاجتماعية والمعايير وتوقعات الادوار المدمجة فى شخصية الطفل فى سلوا تماثل قيم الكبار • فالاختلاف بين شخصية الكبير وشخصية الصغير اختلاف كمى ، وليس اختلافا فى نوع القيم المتوحد بها الشخص ، اذ يحمل الطفل سمات الوالدين والاقارب المحيطين به وقيمهم ومعاييرهم •

وقد استخلص عمار من دراسته لعناصر البناء فى سلوا واساليب التربية السائدة ، أن الشخصية فى سلوا تتميز بالمثابرة والدأب على العمل ، والرغبة فى الالحاح ، وضمور الخيال ، والانطلاق والانبساط ، والاستجابة ، ورد الفعل السريع ازاء الامور والاشياء •

وثمة نموذج مجتمع بدائي آخر يقع في المكسيك ، وهو قرية سانت د ومنجو بريو في ولاية اوكساكا بالمكسيك [1] • ولم يتأثر بناء هذه القرية بالثقافة الاسبانية التي غزت البلاد منذ القرن الخامس عشر الا تأثرا طفيفا • ولم يحدث الا تغيرا طفيفا في مظاهر استغلال الارض ووسائل الحصول على الرزق ، والاقامة وتنظيم القرية • يتسم هذا البناء بالفقر وانخفاض الأجور، وانخفاض المستوى الاقتصادي ، وضعف القوى الشرائية • ويقوم البناء الاجتماعي في هذه القرية على ثلاثة عناصر هامة هي القرابة والجنس والسن • وتتلاحم هذه العناصر لتكون انواعا من التنظيمات والعلاقات الاجتماعية • فيقوم بناء قرية بريو على تأكيد نظام العائلة الممتدة • وتتكون العائلة الممتدة من مجموعة من الاسر الزواجية ، كل منها لها حياتها الخاصة • فالاسرات وحدات اجتماعية صغيرة ، لها ممتلكاتها الخاصة • وتأكيد الروابط بين الاقارب المجانبين ، وقوة الشعور بين الاقارب والتماسك بينهم • ويسود نظام الزواج الداخلي ، وتبدو المشاركة الجماعية واضحة في مواسم الحصاد ، ومناسبات اعداد الطعام والحفلات الدينية • ومن الأمور الطبيعية مشاركة ابناء العمومة والخؤوله من الكبار في تربية الصغار من أقاربهم • ويؤكد هذا البناء اهمية الانجاب في حياة الاسرة • ويرى اهل القرية ان الاسرة لا تتكون الا عندما يولد الابن الأول • وينظر اهل القرية الى عدم الانجاب كظاهرة غير طبيعية ، فالحمل والانجاب أمور مفضلة في هذا البناء الصغير • وتفضل الامهات انجاب أولاد كثيرين في سن مبكرة • والاطفال جزء طبيعي من المعيشة في القرية ، ولهم قيمة اقتصادية ، ويمثلون جزءا من امتداد هذا العالم واستمراره • والعائلة الكبيرة هي البيئة التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية ، بل يرى البعض انها افضل من الاسر الزواجية في تنشئة الصغار • ويرى الباحثان ان مسئولية العناية بالرضيع تقع اولا على الام ، تساعدها في ذلك اختها ، او عمة الرضيع، ولا يهتم الاب اطلاقا بعناية الطفل لانصرافه الى اعماله خارج البيت ، بيد أنه كثيرا ما يمنحه حبه وعطفه عندما يتواجد معه في المنزل ، أو اثناء مرض الطفل •

ويميز البناء بين الجنسين في جميع مجالات النشاط منذ الطفولة الأولى ، فيعاون الابن الذكر اباه في العمل ، وتساعد البنت امها ، كذلك يفصل هذا البناء بين الصغار والكبار ، وأهم ما يميز هذا البناء التفاعل القوي بين الصغار من جانب ، وبين الكبار من جانب آخر •

وتعمل هذه العناصر البنائية على تحديد اساليب التربية ومضمونها ، فنجد ان الرضيع

(1) Romaney Kimball: The Mixticans of Juxtlahuaca Mixco by Kimball Romney & Romaine Romney. In Beatrice Whiting (ed.). Six culture studies of child Rearing, op.cit. PP. 545-691.

ينال عناية امه وحنانها منذ ميلاده • وينظر اهل القرية الى عملية الرضاعة باعتبارها عملية اساسية وضرورية • وتعطى الام ثديها للطفل كلما بكى ، ولا تستمر عملية الرضاعة طويلا بل تدوم نحوا من عامين ، يفطم الطفل فى نهايتها • ويرتبط التحول من الرضاعة الى الطفولة بمظاهر التغيير فى معاملة الطفل ، ومن أهم مظاهر التغيير فطام الطفل وتغيير مكان النوم ، اذ عليه أن ينام مع اخوته بدلا من نومه مع ابويه ، وتنتقل الرعاية الى الاخوة والاقارب • ويرى الوالد ان ان الطفل فى هذا الطور لا يملك القدرة على التفكير ، وانه يتعلم انماط السلوك بالتقليد والتكرار ، ولا يميز بين الخطأ والصواب ، ولا يسأل عن أسباب سلوكه ، ولا يعاقب عن سلوكه المنحرف • والطاعة أمر مرغوب فيه من الطفل ، لكنه لا يلزم بها ، ويمنح الطفل المطيع دائما الثواب على طاعته •

وتبدأ فى هذا الطور اولى مظاهر التفرقة فى المعاملة بين الولد والبنت ، لكن هذا التمييز يبدو طفيفا ، فتبدو التفرقة فى المعاملة فى طور الطفولة المتأخرة اكثر وضوحا • ولا يضرب الابناء من الذكور ، بل تضرب البنات • ويعيش الاطفال فى مجتمع منفصل عن مجتمع الكبار • وتقلد العابهم دائما سلوك الكبار الذى يلاحظونه اثناء نشاط الحياة اليومية • بيد أن حياتهم ليست لعبا خالصا • فهم يساعدون الاسرة فى العناية بالطفل والحيوانات ، ولا يتعدى نشاط الابناء فناء منزل الاسرة ، وتفضل الامهات ان يلعب الاولاد الكبار بمفردهم ، كما تؤثر الامهات الفصل بين الجنسين فى اللعب بعد طور البلوغ • يلعب الصغار من الجنسين سويا ، لكن تحت اشراف فتاة كبيرة • فالسن والجنس لهما اثرهما فى تحديد استجابات الام للعب • فاللعب مجال للتفاعل الاجتماعى ، بيد ان هذا المجال محدد بأفراد ، وان كانت له مظاهر كثيرة •

ويعمل الابن فى مجتمع بريو بالزراعة عندما يبلغ الثانية عشرة من عمره ، تدرب الام ابنتها على أداء الادوار النسائية ، وتتيح لها ان تتعامل مع الاخرين كامرأة ، وتمنحها دائما النصح والارشاد •

ولا يمارس العقاب البدنى الا قليلا ، وقلما تلجأ الاسرة الى العقاب ، واستعمال العصا • ويرى اهل بريو ان اسلوب العقاب المفضل هو التأنيب والعزل • واذا لجأت الاسرة الى العقاب البدنى ، فانها تلجأ اليه لتأنيب الصغار لا الكبار • ويرى الباحثان ان قلة من الامهات تهتم بتأنيب الابن على اخطائه • وتقف الباقيات موقف اللامبالاة من تصرفات الطفل ، ويعتقدن أن

الطفل سيتعلم السلوك المناسب تدريجيا ، بل ولا تهتم الامهات بتدريب الطفل على ضبط امعائه ، ولبس ملابسه • ومن الشائع أن يسير الاطفال عراة من ملابسهم ، ولا تفرق الامهات بين ملابس البنين والبنات • ويلبس الجميع ملابس متماثلة • ويعتنى كثيرا بتغذية البنات أكثر من الأولاد الذكور • ولا تهتم الامهات بتربية الاولاد تربية جنسية فى الطفولة المبكرة ، فقلما يغطى الابناء الاعضاء التناسلية ، وكثيرا ما يمارسون عادة الاستمناء • وترى الامهات ان الابناء يعرفون الامور الجنسية بطريقة عرضية ، ولكن فى طور الطفولة المتأخرة تهتم الاسرة بهذه الامور كثيرا • وتهزأ الاسرة من ابنها اذا ما سار عاريا من ملابسه •

اما فى طور الطفولة المتأخرة ، فيبدأ ببلوغ الطفل العام الثانى عشرة ، بدخوله طورا جديدا فى حياته ، واندماجه فى عالم جديد غير عالم رفاق السن ، فتتغير اساليب التربية التى تعود عليها الابن فى الطور الأول ، فتختفى مظاهر التسامح فى التربية ، وتتغير كمية الغذاء التى تعطى للطفل ، كما تتغير طريقة معاملة الابوين لأولادهما ، وما يضفيانه عليهم من عطف • وتبدو مظاهر التمييز بين الفتى والفتاة واضحة ، ويبدو التمييز بينهما فى مجالين ، اولهما ، ان الفتاة ترتبط باعمال البيت مع الام ، والآخر اختلاف سلوك الفتيات عن الفتيان من الذكور • فالفتاة أكثر احتراما واذعانا لارادة الراشدين من الصبية ، وتفرض عليها الاسرة قواعد الطاعة الصارمة • ويلزم الوالدان البنت فى هذا الطور بمطالب محددة • ويتعلم الابن الطاعة للأب والاستجابة له ولمطالبه قبل الأم • وتطلب الام الطاعة من الابنة ، وتعطى ابنها الحرية كاملة • وتهدف التربية فى الطور الثانى من الطفولة افساح المجال للفتى والفتاة للمساهمة الايجابية فى العمل الجماعى المطلوب منه • ولا يمارس أهل بريو أساليب التسلط والعقاب البدنى او اى شكل من اشكال العقاب الاخرى على الاطفال • وينظر اهل بريو الى التنافس والصراع والتنازع بين الرفاق كانماط مكروهة للسلوك •

لكن يتعلم الطفل من اهل بريو الافعال العدوانية الظاهرة مثل الرفس والضرب وخاصة مع الاطفال ابناء المدينة • ويتعلم ايضا سرد الاكاذيب ، وقول الزور ، ولا يعرف هذه الانماط الجديدة من السلوك داخل الاسرة ، بل يتعرف عليها اثناء ممارسته للنشاط خارج البيت • وتكره الأم دائما اعتماد الابن على ذاته ، ولا تشجعه على الاداء المستقل ، ولكنها تهتم بغرس القيم التى تؤكد التحصيل والتنافس •

ولا تلعب المدرسة دورا اساسيا فى التربية ، ولا تنال اهتمام الابوين ، ولا يلتحق بها

الا نصف أبناء القرية ، وتتنافر قيم الاسرة مع قيم المدرسة لافتقاد الآباء للتجربة التعليميـة ، والهنات أكثرا قبالا على التعليم من الابناء ، اذ لا تسمح الاسرة لابنها بالالتحاق بالمدرسـة لحاجتها اليه لمساعدة ابيه .

ويؤدى اختلاف اساليب التربية للفتى والفتاة ، الى تميز شخصية الابن عن الابنة . فالابن يتصف بالعنف مثل ابيه ، اما الابنة فتتميز بالوداعة مثل الام . وتتميز شخصية أهل بريو بعدم الفصل بين المسائل الكونية ومسائل ما بعد الطبيعة ، والفصل بين العالم الواقعى والعالم الروحى ، والاحساس بالطمأنينة والتكامل . ولا يسعى وراء النفع الخاص أو التفوق او التميـيز عن الآخرين ، والبساطة ، وعدم التطلع ، والمرح ، والمرونة ، والايمان بالخرافات . وقـد اظهر البحث أن اساليب التربية فى بريو تولد افرادا يؤمنون بالسحر ، ويقدرون العمل ، ويؤكدون كافة مظاهر النشاط التى تعلى من قيمة المجتمع على الفرد ، ويسود اهل بريو التعاون والمساواة ، والتوافق مع الآخرين لتجنب الصراع ، ومن الامور الشاذة وغير المألوفة ان يستغل فرد ما الآخرين .

ولقد عرضنا فيما سبق اسلوبين من اساليب التنشئة الاجتماعية فى مجتمعين بدائيين ، وسنعرض فيما يلى اسلوبين من اساليب التنشئة الاجتماعية فى اقوى دولتين صناعيتين فى التاريخ المعاصر ، وهما الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى(١) . وكل من الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى يختلف عن الآخر فى التنظيم الاجتماعى ، والسياسى ، والاقتصادى ، والايديولوجى والطبقى . وقد ادى هذا الاختلاف الى تباين اساليب التربية ، وفى مدى اهتمام الجيل الكبير باعداد الجيل الصغير فى كل منهما ، وتأثير القوى الاخلاقية والفكرية على سلوك الافراد . ويختلف المجتمع الرأسمالى عن المجتمع الاشتراكى فى مفهوم التنشئة والبيئة التى تمارس فيها هـذه العمليـة . وهما وان واجها مشكلات متماثلة باعتبارهما مجتمعين يقومان على الانتاج الضخـم ، ويتكونان من أنساق متقدمة معقدة فى مجالات الانتاج ، والتربية ، والاتصال ، فهما يختلفـان فى تحديد النسق الذى يتولى مسئولية التربية .

ففى الولايات المتحدة تتمركز التربية داخل الاسرة . ويلعب الابوان دورا هاما فـى التربية ، فهما يلقنان الطفل قيم الطبقة التى ينتميان اليها ، اما الاشخاص الآخرون فدورهم ثانوى فى تربية الاولاد . ولكن الامر مخالف فى الاتحاد السوفيتى ، فليست الاسرة نسقا مغلقـا

---

(١) Bronfenbrenner Urie: Two worlds of childhood. U.S.A. and U.S.S.R. N.Y. Russel Sage foundation 1970.

فى المجتمع الكبير مثل العائلة البرجوازية ، بل هى جزء يرتبط ارتباطا عضويا بالبناء السوفيتى ، وتعكس السلطة الابوية السلطة الاجتماعية ، كما ان مسئولية الاب نحو ابنائه هى استمرار لمسئوليته نحو المجتمع . وليست الاسرة هى النظام الاجتماعى الذى ينفرد بعملية التربية ، فهذه الوظيفة تسهم فيها منظمات الاطفال ، وهذا يبين لنا ان الطفل فى الاتحاد السوفيتى داخل الاسرة وخارجها ، وفى منظمات الاطفال والصبية ، يخضع لتنظيم جماعى فى التربية . اما فى الولايات المتحدة فتعمل الاسرة على تلقين الطفل قيم الطبقة التى ينتمى اليها الصغير ، وتكمل وظيفتها جماعات السن ، وهذه الجماعات مستقلة عن اشراف الكبار الى حد كبير . وتتصف هذه الجماعات بالمرونة فى افكارها ، ولذا تتعارض مبادئها مع مبادئ الاسرة .

وتهتم الاسرة والدولة فى الاتحاد السوفيتى بجسد الطفل وحاجاته ، وتؤكد الاسرة اهمية عملية الرضاعة لاشباع الحاجات الطبيعية والنفسية للطفل ، وتأكيد الارتباط العاطفى بين الابن والاسرة . وقد اوضح الباحث ان الطفل الروسى يحظى بقدر وافر من الحنان والدفء الاسرى فى صورة العناق والقبلات يفوق ما يناله الطفل الامريكى . ويرتبط الطفل السوفيتى بالاسرة برباط وثيق من الحب . ويؤدى الحب الزائد للابن الى تحديد الاسرة لحركته الذاتية ، ولا تقتصر التربية فى الاسرة السوفيتية على الام وحدها ، بل تمتد هذه المسئولية الى الآخرين من الاقارب والاطفال الكبار . اما فى المجتمع الامريكى ، فيرى الباحث أن التربية مسئولية الاسرة وحدها . واستنادا الى هذه الحقيقة يبين الباحث ان الاطفال السوفيت اقل تعرضا للقلق اذا ما تركوا فى عناية شخص آخر ، أو فى دور الحضانة .

ويحتل العمل جزءا كبيرا من اوقات الآباء واغلب الامهات فى الاتحاد السوفيتى ، ويقضى الابناء تلك الفترة فى موسسات اجتماعية تتولى الرعاية والتوجيه ، الا ان الوالدين يعوضان الساعات الكثيرة التى يقضيانها بعيدا عن الصغار بالحنان الزائد الذى يضفيانه على أولادهما فى الساعات القليلة التى يقضيانها معهم .

وقد دلت نتائج الدراسات التى قام بها يورى برونفنبرنر على أن التربية فى الاتحاد السوفيتى تقوم على الاقناع والتشجيع والمدح . ويلجأ السوفيت فى عقاب الابن المتمرد الى التأنيب والتهديد بسحب الحب ، فالسوفيت يكرهون العقاب البدنى ، ويهدفون من التربية الى ادماج القيم التى تؤكد الطاعة وضبط النفس وطاعة الوالدين والكبار . ويهتم السوفيت اهتماما

شديدا بنظام التربية ، وتضع الدولة معايير التربية الجماعية ، وتقدم التسهيلات الاجتماعية التى تسهم فى تربية الاولاد • فتؤسس الدولة دور الحضانة ، ورياض الاطفال ، والمدارس الداخلية ، ومدرسة اليوم الكامل لخدمة النساء العاملات خاصة ، وابناء الاسر عامة • وكل هذه المؤسسات تنظيمات تخدم ايديولوجية المجتمع فى التربية ، ويكتسب فيها الطفل خبرات جديدة ، وتهدف الدولة من هذه الانظمة الى أن تقدم للطفل فى طفولته المبكرة الظروف الاجتماعية والنفسية والعقلية الضرورية لنموه الكامل ، تلك الظروف التى قد لا تتيسر فى الاسرة •

وتهدف التربية داخل الاسرة فى الاتحاد السوفيتى الى تحقيق ما يلى :

١ـ التعود على التفاعل الجماعى ، فمن الضرورة ادماج القيم التى تؤكد الاتجاهات الايجابية نحو الصغار والكبار •

٢ـ المساهمة فى النشاط المشترك ، ومن مظاهر النشاط المشترك التعود على اللعب الجماعى والتدريب على نقد السلوك من وجهة نظر الجماعة •

٣ـ الخضوع للنظام ، والاندماج فى النظم الاجتماعية والاعتماد على النفس •

٤ـ التأكيد على احترام الممتلكات العامة ، والايمان بأن ما يخص المرء يخص الآخرين ، وما يخص الآخرون يخص المرء •

ويربى الطفل فى المدرسة على احترام العمل وتنظيمه وتقديسه ، ويتعلم المنافسة الجماعية فى نطاق الجماعة التى ينتمى اليها ، واحترام النظام الجماعى ، ويتعلم الطفل ان يرفع من قيمة احكام الجماعة ، وان يخضع مصالحه لمصالح الجماعة •

ويبدو لنا واضحا ان الصورة البارزة للتربية الجماعية فى الانساق الاجتماعية المختلفة تهفى تأكيد السلوك الغيرى للطفل والعمل من اجل الجماعة واحترامها ، ويتعلم الطفل أنه يوجد فى جماعة ، ويقوم وجوده على الجماعة ، وهو يعمل من اجل الجماعة ، فالتوحد مع القيم التى تؤكد الجماعة هو الهدف الاساسى من عملية التربية فى الاتحاد السوفيتى •

وقد اكد الباحث الامريكى ان وجود الطفل داخل التنظيمات الاجتماعية وخضوعه للتربية الجماعية لا يعنى حرمان الطفل من حنان الاسرة والعاطفة الوالدية ، اذ يشعر الطفل دوما بالمشاعر العاطفية ، فكلاهما منبع قوى للطمأنينة والعون والاشباع ، ويفسر الانحراف بأنه خيانة ، ويعاقب المنحرف بحرمانه من عضوية الجماعة التى ينتمى اليها اذا كرر مثل هذا

الفصل • ولا تستقطب الطفل السوفيتى مواقف الضغط والسلوك المنحرف مثل رفاق سنه فـــى الولايات الامريكية ، ولا يعانى من صراع القيم ، فلا فرق بين القيم والسنن التى يتلقاها فـــى الاسرة وبين القيم التى يعرفها داخل جماعات السن • فالهدف من التربية تحقيق الاهـداف المرغوبة فى الدولـــة والمتفق عليها والمقبولة من الجميع • ومن اهم الاهداف التربوية الخضوع للنظام واحترامه والطاعة • فالطفل فى الاتحاد السوفيتى يعيش فى مجتمع متجانس ، وتقابلـــه مجموعة من المعايير المتجانسة • وتهدف التربية السوفيتية الى تكوين طفل يتوافق تماما مـــع معايير الكبار • اما فى البناء الامريكى فتقوم التربية على اهداف متباينة ، وقيم متصارعة بـــين طبقة وطبقة • ويواجه المرء منذ طفولته تيارات متباينة من المبادئ والقيم ونماذج المســلوك داخل الاسرة وخارجها • وعندما يخرج عن نطاق الاسرة يقع تحت سيطرة اتجاهات وقيـــم جماعات السن ، ونسق الاسرة • وهى اتجاهات وقيم قد تكون متناقضة فيما بينها ، علاوة علـى اختلافها مع قيم واتجاهات الاسرة • ويبدو لنا واضحا من هذا العرض لوظيفة جماعات السن فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، ان جماعات السن عند السوفيت تدعـــم انماط السلوك المقبولة من الكبار ، اما فى امريكا فتدعم هـــذه الجماعات من النزعة المعاديـــة لقيم الكبار واهتماماتهم •

ويستخلص يورى برونفنبرنر من دراسته الميدانية ان اهم نتائج التربية فى الاتحـــــاد السوفيتى هى :

اولا : خلق شخص يؤدى سلوكا طيبا يتوافق مع معايير الجماعة •

ثانيا : قوة الجماعة فى ضبط السلوك •

ثالثا : التحول من الاسرة الى الجماعة باعتبارها المنبع الاول للطمأنينة والسلطة •

اما بناء الولايات المتحدة الامريكية فيتميز بعدم التجانس بين الثقافات ، وتعـــدد الطبقات ، ويؤكـد التعبير الحر للفرد ولو على حساب التماسك الاجتماعى • ويواجه المجتمـع كثيرا من المشكلات الصناعية الضخمة • ويتميز هذا المجتمع الكبير بالقيم الخاصة بالطبقة والسن والجنس • فلا تخضع عملية التربية لمنهج محدد يرتبط بنظام الدولة ، بل التربية عملية شخصية ، تثمر نتيجتها حسب جهد الابوين او احدهما فى توجيه الابن • اذ يتميز البناء الامريكـــى بتفاوت دور الاب والام فى عملية التربية ، واتخاذ القرارات الوالدية ، واستخدام العقـــاب البدنى ، ووضع القيود على حركة الابناء • كذلك تختلف بعض الطبقات فى اسلوب تربيـــة

البنت والولد • ويبدو هذا الاختلاف واضحا عند الطبقة العاملة التى تعاقب الابنة على أفعال تغفرها للابن الذكر • ومن مظاهر عدم التجانس فى اساليب التربية الامريكية اختلاف القيم التربوية عند الامهات اللائى ينتمين الى الطبقة الوسطى ونشأن فى المدينة ، وامهات الطبقة العاملة اللائى نشأن فى الريف • ويبدو لنا واضحا ان اختلاف القيم التى تلقن للابناء يؤدى الى تكوين مجتمع طبقى يتميز بتباين انماط السلوك •

لكن اهم ما يميز اساليب التربية فى المجتمع الامريكى ضعف دور الاسرة فى عملية توجيه الابناء ، رغم مسئوليتها الشرعية والاخلاقية فى تكوين طابع الشخصية ، اذ انها تفتقد السلطة او القوة لاداء ذلك • ويرجع ذلك الى ان الوالدين لا يبذلان جهدا ولا ينفقان وقتا فى المواقف التى تتطلب تقديم النصح والارشاد وتوجيه السلوك لضعف علاقات الود والالفة داخل الاسرة ، وعزوف الوالدين عن قضاء وقت طيب مع ابنائهما ، بل هما يجهلان كيفية قضاء مثل هذا الوقت مع الصغار ، والاندماج معهم فى العابهم ، والتحدث اليهم ، وقص القصص عليهم ، وتبادل العاطفة معهم • ومن الجانب الاخر نجد السوفيت يؤكدون اهمية التربية الجماعية والحماية الزائدة ، وقوة الروابط العاطفية بين افراد الاسرة •

وقد اشار الباحث الى ضعف الروابط الاسرية بين الصغار والوالدين عامة ، وبين الكبار بعضهم وبعض خاصة • وارجع ذلك الى عوامل التحضر ، وتباين اهتمامات الصغار والكبار ، وعمل الام ، واجهزة التليفزيون •

ويمكن لنا بعد هذا العرض لاساليب التربية فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ان نقرر ان الاسرة فى الولايات المتحدة تلقن ابنها قيم الطبقة التى تنتمى اليها ، وكثيرا ما تتعارض قيم الاسرة مع قيم الجماعات الاخرى ، وخاصة جماعات الصحبة • اما التنشئة الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى فتهدف فى جميع اطوارها تحقيق قيم الجماعة وتأكيدها واستمرارها • فالقائمون بالتنشئة يلتزمون بخط معين واضح يؤكد اهمية غرس القيم الاشتراكية•

بعد هذا العرض لاساليب التنشئة فى ابنية مختلفة يتبين لنا ان دور الاسرة فى تنشئة الاطفال فى الابنية المختلفة عامل حاسم فى تكوين الشخصية ، وادماج القيم بها ، فاذا انصرفت الاسرة عن اداء هذا الدور ، وتعارضت قيمها مع قيم المجتمع ، كان ذلك عاملا حاسما على انحراف الطفل ، كذلك فان هدف التربية لا يختلف من مجتمع لاخر ، انما الاختلاف بينهما

اختلاف فى أسلوب اندماج الطفل مع الجماعة •

كذلك فالقيم وانماط السلوك فى كل المجتمعات النامية والمجتمعات سريعة التغير، مثل المجتمعات التى تتحول من مجتمعات زراعية الى مجتمعات صناعية ، او من مجتمعات رأسمالية الى مجتمعات اشتراكية تتغير لتتلائم مع التغير الحادث فى العناصر المكونة لهذه المجتمعات• ويدرك بعض الآباء انهم يعيشون الآن فى مجتمع غير مجتمع طفولتهم ، وان ثمة قيما وأنماطا سلوكية تتولد فى المجتمع الذى يعيشون فيه الآن مغايرة لما لقنوه فى طفولتهم • واصبح كثير من الآباء والامهات وخاصة الذين نالوا حظا من التعليم يعون اثر التغير الاجتماعى والاقتصادى والسياسى على القيم الاجتماعية واشكال السلوك التى ربوا عليها • وان هذه القيم والعادات صارت بالية ، وتعبر عن مجتمع تقليدى مغلق ، ولا تحقق لاطفالهم الاستقرار والطمأنينة فى المجتمع الجديد المفتوح • وقد رأى بعض الاباء ضرورة تغيير اساليب السلوك التى تلقن للصغار ، وايضا القيم التى تحدد انماط السلوك المختلفة ، لكى تتلائم مع ظروف المجتمع المتغير ، وبدأوا يبحثون عن اساليب جديدة تتلائم مع توقعاتهم لنوع المجتمع الذى سيعيش فيه الابناء • وأيضا نوع القيم والافكار والسلوك التى ستسود فى المجتمع الجديد • ويساعدهم على ذلك وسائل التثقيف والاتصال ، فالتنشئة الاجتماعية تصاحب دائما التغير البنائى ، لأن التغيرات البنائية يصاحبها تغير فى الافكار والقيم والعادات والسنن •

على ان التغير الحادث فى الجانب اللامادى من البناء الاجتماعى يعتبر ابطأ دائما من التغير الحادث فى الجانب المادى • وينعكس اثر العجز عن مسايرة التغير المادى على سلوك بعض الآباء ، ويدفعهم هذا الى تغيير اساليب التربية ، ومن ثم يدفعهم الى تغيير قيم جيل الابناء عن قيم جيل الآباء ، اذ من الضرورى ان ينشأ الوالد ان ابنائهما حسب اشكال جديدة من السلوك تغاير الاشكال التى ربيا عليها • فالآباء دائما ينشئون أولادهم مفترضين توقعات جديدة لمستقبل ابنائهم [1] • ويؤكد مرتون هذه النظرة المستقبلية للتنشئة الاجتماعية ، ويرى انها عملية تدريب على سلوك متوقع ، وتهدف الى اكتساب الفرد القيم والاتجاهات والتوجيهات المرتبطة بادوار ومراكز فى جماعات لا ينتسب اليها المرء حاليا ، بل يحتمل ان ينتمى اليها مستقبلا ، فهى عملية تهدف الى اعداد الفرد لشغل مراكز وأداء ادوار يراها الوالدان صالحة لابنائهما فى الزمان المقبل [2] •

(1) Cohen Yehudi: Social structure and personality, op. cit., P. 44.

(2) Merton Rober: Social theory and Social structure, op. cit., P. 384.

ومن الواضح ان الوالدين يغيران من اساليب التنشئة الاجتماعية للصغار، اما لشعورهما بعدم الرضا على اساليبهما التربوية التى شبا عليها بما تتميز به من حالة الصراع، ونتيجة القلق الذى يعانيان منه نتيجة عدم اشباع حاجاتهما، واما لادراكهما أنها اصبحت لا تتلائم مع روح العصر بتأثير عملية التغير الاجتماعى، ووعيهما بعدم جدوى اساليب التنشئة الاجتماعية المتوارثة التى شبا عليها، لتوجيه سلوك ابنائهما حسب القيم المتغيرة .

ويبين لنا هذا العرض لعملية التنشئة الاجتماعية انها عملية تهدف الى تكوين الشخصية الاجتماعية، وان اساليب التنشئة الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، وان هذه الاساليب تحددها الثقافة السائدة، وان الاسرة هى المجال الاساسى لتكوين هذه الشخصية ونموها، وان العملية الاجتماعية التى تحدث مبكرا داخل الاسرة تعد الفرد لأداء ادواره داخل الاسرة وخارجها بانداماجه مع قيم البناء الذى يعيش فيه . ويرى بارسونز ان اعداد الفرد للقيام بادواره وتقبله قيم الجماعة التى يعيش فيها، لا يفسر بالرجوع الى الصفات البيولوجية وحدها دون الرجوع الى الشخصية والبناء والثقافة(١)، اى توحد الشخص مع العناصر الاجتماعية والثقافية التى تنظم البناء الاجتماعى .

<u>التوحد عملية اجتماعية :</u>

ان عملية التنشئة الاجتماعية لدى الطفل لها جانبان، احدهما سلبى، وهو تلقى ما يفرضه القائمون بعملية التنشئة الاجتماعية، والآخر ايجابى وهو التوحد . والتوحد عملية تستهدف امتصاص الطفل ثم الراشد عناصر الحياة الاجتماعية لتصير جزءا اساسيا من شخصيته، كما تستهدف تحقيق المماثلة فى سلوكه مع سلوك شخص آخر، او موضوع آخر اتخذه مثالا يحتذيه ليسهل اندماجه فى المجتمع .

والتوحد اصطلاح صاغه علماء التحليل النفسى، وهو احد المفاهيم الاساسية فى هذا العلم لتفسير نشأة الشخصية ونموها، ولتفسير نماذج السلوك المرضى والسوى، الا أن هذا الاصطلاح جذب اهتمام المشتغلين بعلم الاجتماع والانثربولوجيا لأهميته فى اعطاء الباحثين تفسيرات صائبة لاشكال السلوك المتعددة، وتراكب هذه الاشكال السلوكية، التى لا تفسرها

---

(1) Parsons Talcott: Strucsure and Process in Modern Societies Illinois, Free Press. Glenaoe 1960, P.272.

الآراء النظرية في العلم تفسيرا واضحا [1] . لكن الاجتماعيين لم يستعملوا الاصطلاح بمفهومه النفسي البحت ، بل توسعوا في مجاله ليشمل مدلولات جديدة . لكن كيف يمتص المرء القيم الاجتماعية والاخلاقية ؟ وكيف يتشرب طريقة اداء انماط السلوك المرتبطة بالادوار الاجتماعية ؟ وما التفسيرات المختلفة لعملية تمثل العناصر الاجتماعية عند الاجتماعيين والنفسيين ؟ وهل هي عملية نفسية بحتة ، أو انها عملية اجتماعية ؟ وهل عملية التوحد عملية مستمرة ، أو يقتصر حدوثها على طور معين من اطوار النمو ، ومن ثم هل يرتبط التوحد مع القيم بنسق اجتماعي معين ، او يرتبط بمجموعة متراكبة من الانساق ؟ .

التوحد اصطلاح استعمله فرويد لأول مرة في علم النفس التحليلي ، وميز منه نوعين ، التوحد الاولى ، والتوحد الثانوى . اما التوحد الأولى فقد عرفه فرويد بأنه التعبير المبكر للرابطة العاطفية للطفل مع شخص آخر . وتقوم هذه الرابطة على رغبة الطفل في وضع نفسه مكان شخص آخر ، وان يصيرا كلا واحدا . وهذا نوع بدائى للتوحد اشبه بالعاطفة الوجدانية . ويرى فرويد ان هذا التوحد الاولى له دور كبير في تكوين الشخصية ، وهو دعامة الاستقرار النفسي للشخصية ، ويعبر التوحد الأولى عن رغبة الطفل في ان يصير شبيها بالأم ، وهي عملية تحدث منذ الشهور الأولى من حياة الطفل ، والأنا لما يتميز بعد في تلك الفترة عن الهو ، ويساعد نوع العلاقة بين الأم والطفل وما يترسب في الشخصية من آثار هذه العلاقة نتيجة ارتباطه بها على تكوين أنا الشخص ، واحلال العمليات الثانوية محل العمليات الأولية ، واختزال التوتر كلما زاد حب الأنا للآخر ، ويقوم التوحد الأولى في المواقف الأولى من حياة الفرد بوظائف متعددة . فهو يشبع عنده الحاجة الى الحب والاحساس ، والموافقة ، والتقدير من الآخرين . فالرابطة هي الشكل الاساسي والاول لعملية التوحد . ويبدأ التوحد عادة من جانب المتوحد باختيار الموضوع ، ويبدأ الأنا في محاكاة سمات الموضوع [2] ، واثراء ذاته بصفات موضوع الحب المختار ، ويتسم التوحد في هذا الطور بأنه عملية لاشعورية . وقد وصف نيفت سنانفورد سلوك الشخص في فترة التوحد الأولى بأنه آلي وغير متراخ ، وغير واقعي ، وقلما يكون السلوك في هذه الحالة مناسبا لتحقيق غاية يدور حولها النشاط في المدى البعيد ، كما بين انه يجب ان نميز بين التوحد والتقليد .

(1) Sears Robert, R.: Identifications and child rearing. By Robert Sears and others. Standford. California. Standford Univ. Press 1967, P. 1.

(2) Freud Sigmond: Groupe psychology and the analysis of the Ego, op.cit., PP. 69-76.

فالتقليد عملية شعورية يحس بها الشخص ويهدف اليها ، اما التوحد فعملية لا شعورية[1] .
ونرى ان الجانب الاجتماعي في العملية الاولى عند فرويد منعدم ، اذ رأى انها عملية نفسية آلية بحتة . اما التوحد الثانوى فيعرفه فرويد بأنه عملية نفسية تحمل عاطفة الحب والكراهية ، فهي ترتبط بالتعبير عن الحب والحنو نحو الام وكراهية الاب . وقد شرح فرويد ذلك في عرضه لمرحلة تكوين الانا الاعلى ، وبين ان الطفل يتخذ من الاب مثالا يرتبط به ، ويتوحد معه حلا للصراع الاوديبي . ويرى فرويد ان الانا الاعلى أو الضمير ، يتكون بعد عملية التوحد بالقيم والمعايير الاخلاقية التي يتصف بها النموذج الذى اختاره الطفل موضوعا للتوحد ، وهو الاب للابن ، والام للبنت . وقد بين فرويد ان التوحد بعد الطور الاوديبي لا يقتصر على الاب وحده أو الام وحدها ، لكن العملية تشمل عندئذ التوحد بالوالدين معا لانهما يمثلان السلطة الخارجية . ويتبين لنا ان عملية التوحد الثانوى التي يندمج فيها الطفل مع المعايير الاجتماعية لتكوين الضمير ، ـ وبلغة فرويد يتوحد الطفل مع الدين والاخلاق والشعور الجمعي والقيم[2] ـ عملية تحدث نتيجة الخوف من المعتدى ، ومن ثم فتوحدات الضمير الفرويدى ، تعبر عن أخلاق الرهبة والخوف والصرامة والتأنيب المستمر .

وتكشف لنا دراسة عمليتي التوحد عند فرويد ، انه اكد دور الابوين والاسرة في تكوين الضمير ، واعتبره العنصر الوحيد في بناء الشخصية الذى يكتسب نتيجة التوحد الثانوى ، وكذلك فان عملية التوحد ليست شاملة لكل عناصر الشخصية ، او انها عملية مستمرة ، بل هي عملية جزئية محددة ، تحاول استعارة سمة أو بعض سمات موضوع الحب المتوحد به في فترة معينة .

وقد اتصفت عملية التوحد الفرويدية بالخصائص الآتية :

الخاصية الاولى : ان التوحد هو الشكل الاول للرابطة العاطفية بين الام والطفل .

الخاصية الثانية : أن التوحد عملية بديلة عن روابط الموضوع اللبيدية باسقاط صفات الموضوع على الانا .

الخاصية الثالثة : أن التوحد يمكن ان ينشأ مع كل ادراك جديد بصفة عامة لاشخاص آخرين ليسوا موضوعا للقرابة ، وان كان امكان التوحد بالقيم محصورا في تكوين الانا الاعلى .

---

(١) Standford Nevitt: Self and society, op.cit., P. 102.

(٢) Freud Sigmund: ID & Ego. Article in the Major Work of S. Freud, Op.cit., P. 707.

ولم يقصر فرويد في كتابه علم النفس الجماعات وتحليل الانا عملية التوحد على الابوين ، بل وسع من دائرة الاشخاص الذين يتوحد بهم الشخص ، واشار الى اهمية التوحد مع العشيرة والجيش والاسرة لتحقيق التماسك ، والانتماء والمشاركة الايجابية الجماعية . ويبدأ التوحد اذا ما حدد الشخص موضوع الاختيار ، ومن ثم موضوع الحب . وقد بين فرويد ان التوحد عملية تساعد على ربط الانا بالموضوع ، وتساعد على تكوين البناء الليبيدى للجماعات ، ويساعد التوحد بالجماعات على تكوين مثال الانا ، واشتراك الشخص في صفة جماعية [١] .

ورغم ان فرويد كان أول من أكد اهمية التوحيد في تكوين الشخصية ، فانه يعاب على نظرية فرويد اغفالها الجوانب الاتية :

١ـ اغفل قيمة اللذة في تسهيل عملية التوحد .

٢ـ أنكر دور التوحد في تكوين الانا .

٣ـ حصر فرويد التوحد مع الوالدين كمثال لتكوين الضمير ، وهو العنصر الوحيد من عناصر الشخصية الذى يحمل الصفة الاجتماعية ، فهو حامل التراث والتقاليد التى تتوارث مع الاجيال .

٤ـ تقوم نظرية فرويد في التوحد على العاطفة والارتباط الانفعالى فقط ، فالاستجابة العاطفية للوالدين هي الشرط المناسب لعملية التوحد .

لكننا نرى في هذا الصدد ان عملية التوحد لا تحدث في فراغ ، بل في موقف يستجيب فيه الفرد لسلوك الآخرين ، او الموضوعات الاجتماعية . وقد يكون هذا الموقف واقعيا أو خياليا ، ومما يؤخذ على فرويد أنه اغفل اهمية العلاقة بين الموقف والتوحد .

وقد نجح علم الاجتماع المعاصر في معالجة هذا النقص . ويؤكد بارسونز اهمية الارتباط بين الموقف والتوحد ، ويبين ان التوحد مع الموضوعات الاجتماعية شرط اساسى لاستمرار واستقرار التفاعل الاجتماعى ، وتنظيم السلوك داخل الموقف [٢] ، كما ان السلوك المتوحد به يتغير بتغير الموقف .

وقد فسر مفهوم التوحد عند فرويد بمعانى مختلفة ، وشمل مفاهيم جديدة ، فهو يعنى احيانا الرغبة في أن يحل الشخص محل الشخص الآخر ، واحيانا اخرى يعنى التوحد التسامى

(١) Freud Sigmund: Group Psychology and the analysis of the Ego, op.cit., P. 101.

(٢) Parsons Talcott: Family: Socialization and Interaction Process, op.cit., P. 55.

بشعور الكراهية نحو الأب فى المرحلة الأوديبية ، ومرة أخرى يعنى تكوين الضمير والاندماج فى المعايير الاخلاقية. وقد فسر التوحد عند آنا فرويد بالتوحد بالمعتدى ، وبه يسيطر الطفل على مخاوفه من شخص آخر او موضوع يتوحد به (١) .

وبعد فرويد استخدم هذا المفهوم ليدل على معان ومفاهيم جديدة ، فيعرف ستور التوحد بأنه عملية تهدف الى تباعد الذات عن نفسها فى مقابل الاندماج مع موضوع آخر ، وهى وسيلة لمعرفة الذات . ولا تقتصر على مرحلة الطفولة أو شخصية الوالدين ، بل ان الطفل يتوحد باشخاص غير والديه يرتبط بهم ، وخاصة المدرسين . ويؤكد ستور ان الشكل الاول للتوحد هو التوحد بالأم ، واثناء عملية التوحد يشعر الطفل بوجود مستقل عنها . فالتوحد بالوالدين عملية محدودة زمنيا ، يعقبها فترة تباعد سريع عنها كلما كبر المرء ، لكن الشخص ليس بقادر على التحرر من أسر التوحد بالوالدين . فالطفل يظل اسيرا لمجموعة المعتقدات الاسرية والطبقية التى نشأ عليها . فقد قبل ستور التقسيم الفرويدى وان تمايز عنه . فالتوحد الأولى عند ستور يعقبه عملية توحد ثانوى ، فيها تدمج صفات الوالدين والآخرين الذين فى مركز السلطة فى شخصية الابن ، ويساعد اندماج هذه الصفات على شعور الابن بالأمن والطمأنينة ، ويكتسب الاتجاهات وخصائص السلوك السائدين ، والتى قد تنبذ او تترك حينا ، لكن سيظل بعضها على الاقل يؤلف جانبا مستقرا هاما فى بناء الشخصية. وهذا البعض هو ما رضى الوالدان عنه ، وقد يظل كامنا (٢) . وفى هذا الاتجاه يظهر باستمرار الاتجاه الفرويدى ، وان اضاف اثر الاشخاص الآخرين فى توحد المرء مع المعايير ، الا أنه ربط التوحد بمهرضا الوالدين .

وقد رفض تولمن المفهوم الفرويدى للتوحد ، وعرف التوحد بما يلى :

١ـ ان عملية التوحد يقصد بها محاكاة الآخرين عن قصد .

٢ـ ان التوحد يشمل تماسك الفرد مع الجماعة ، وشعوره بأنه جزء منها .

٣ـ ان التوحد يتضمن اعتناق الفرد لفكرة ما (٣) .

---

(١) فرويد سيجموند : ثلاث مقالات فى نظرية الجنسية ، المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) Storr Anthony: The Integrity of the Personality, op.cit., PP. 76-87.

(٣) Tolman E. C.: Identification and the post-war world. J. of Abnormal and social psychology 38, PP. 141-148. 1943 In Sanford Nevitt. Self and Society, op.cit., P. 99.

اما سيرز فقد اتجه اتجاها آخر نتيجة اهتمامه بدراسة عملية التربية عند الاطفال وارتباطها بالنشاط • فبين ان عملية التربية لاداء سلوك معين هي عملية توحد ، وهي عملية طبيعية للجنسين في المرحلة الاولى ، ويرى سيرز ان الولد والبنت يتوحد ان بامهما في تلك المرحلة ، وتعمى الام ذهنيا دور الذكر ، وتحاول ان تساعد ابنها وترشده • وتتأثر علاقة الام بالابن بدور الاب في الاسرة • ويرى سيرز ان اعتماد الطفل على والديه يدفعه الى تكوين الشكل المناسب للسلوك محتذيا بسلوك الوالدين امامه • فقد صنف سيرز عملية التوحد الى نوعين • التوحد المرتبط بعاطفة الحب مع الموضوع Anaclectic Identification والتوحد الدفاعي • وهاتان العمليتان لا تنفصلان ابدا ، بل هما متداخلتان[1] • وقد ميز سيرز بين نوعين من التوحد •

النوع الاول : التوحد المرتبط بعاطفة الحب مع الموضوع • وهذا أسلوب من التوحد يهدف الى تحقيق المشابهة عند كل من الجنسين • ويظهر في سنوات العمر الثلاث أو الاربع الاولى • ويحاول به الطفل أن يصير مثل والديه ، ويدرك التماثل بين ذاته وبين والديه • ويرى سيرز ان العلاقة الوالدية في هذه الفترة من العمر علاقة من نوع خاص تعني تقديم الرعاية النفسية والجسمية الى الطفل • ويجد الطفل في هذه الرعاية نوعا من المكافأة والتقدير له ، فيحاول دائما ان يحاكي الافعال التي يؤديها الابوان لاشباع حاجاته، ويسعى جاهدا ان يأتي بمثلها لينال رضا الوالدين • وقد ربط سيرز بين التوحد بالوالدين وبين نمو القدرات العقلية ، اذ يرى ان نمو القدرات العقلية للطفل يساعد على ادراكه وامتصاصه لنسق المعتقدات والقيم والاوضاع الايديولوجية ، فيقلد ما ارتآه من هذه المظاهر عند المثال[2] •

اما النوع الثاني من التوحد فهو التوحد الدفاعي • وهذا النوع من التوحد هو عملية نفسية بحتة ، يعني اختزال التوتر والقلق الذي يعاني منه الطفل جراء العداوة نحو الاب ، ويتم حل هذا الصراع الاوديبي بالتوحد مع الاب العدواني • ويرى سيرز ان شعور الطفل حينئذ شعور مزدوج ، فالعاطفة نحو الاب مزيج من الحب والكراهية ، لكن هذه الثنائية تكبت وتصل الى منبع لا شعوري ، لأن الطفل يعجب بأبيه ، ويود ان يصير مثله ، وفي الوقت

---

(1) Sears Robert: Identification and child rearing, op.cit., P. 259.
(2) Sears Robert: Ibid.,PP. 3-5.

نفسه يريد ان يبعده عن طريقه ، ويكبت الطفل هذه الرغبة الاخيرة خوفا من الخصاء ، بيد ان هذه الرغبة تظل منبعا لاشعوريا للاحساس بالذنب • ويرى سيرز أن الشعور بالذنب يولد عند الطفل انواعا من الصراع والحب الحفاز[1] • وان التوحد الدفاعي ظاهرة يتفرد بها الرجل تتراكم بواسطتها المعايير الاجتماعية الجديدة فوق المعايير التى توحدها اثناء علاقته بأمه ، وفى الوقت نفسه يدفع الطفل الى تعلم اداء انماط من السلوك تتناسب مع المعايير الوالدية •

ومن هذا العرض لسيرز يتبين لنا أنهساير فرويد الى حد كبير ، أما ما اضافه سيرز فانه ادمج العمليتين سويا وبين انهما عمليتان متداخلتان ، وربط بين القدرات العقلية والتوحد بالمعايير الاجتماعية • كذلك لم يحصر التوحد فى القيم الاخلاقية وحدها ، بل وسع من القيم وانماط السلوك المتوحد بها •

وموجز القول ان علماء النفس بعد فرويد قد اعطوا تفسيرات متباينة للتوحد ، فبعضهم رفض قبول التوحد الاولى كعملية مثمرة لتكوين العناصر المتوحدة للشخصية ، ورأى اعتبارها عملية فجة غير واقعية ، والبعض الآخر اعتبرها عملية ضرورية لتفسير التنشئة الاجتماعية[2]• كذلك أكد الاتجاه النفسى ان تأثير الموضوعات المتوحد بها فى فترة الطفولة حاسم للسلوك • وقد فسر فوت Foote اسباب شدة تأثير الموضوعات المتوحد بها على الطفل ، بأن الطفل يتوحد مع موضوعات لا توجد مقابلات لها ، ومن ثم فهو يسلم بها بلا جدال ، اذ تفرضها ظروف خارجية يعجز الطفل عن السيطرة عليها[3] • وسلم بأن توحد الموضوعات يعتمد على العاطفة والحالة الوجدانية •

وقد اتخذ رجال التحليل النفسى مواقف متباينة من عملية التوحد ، ففى الوقت الذى رفض فيه البعض اعتبارها عملية يومية لاشعورية ، رأى انصار الفرويدية الحديثة أن التوحد هو المنهج الذى نستقى منه بعض الانشطة ، ويعبر عن الشعور الواعى ويشكل الانماط العامة للسلوك فى حياتنا اليومية •

---

(١) Sears Robert: Ibid., P. 78.

(٢) Kegan Teronne: The Concepts of Identification, Psychological review, Vol.IXV. 1958, PP. 296-305.

(٣) Foote, Nelson: Identification as the basis of the theory of motivation. A.S.R. Vol. 16, 1961 PP.14-21.

اما عملية التوحد عند الاجتماعيين ، فلا نجد لها ذكرا فى كتابات المدرسة الاجتماعية الكلاسيكية كلها • ففى كتاب دوركيم "التربية الاخلاقية" نجد ان الاهتمام قد انصرف الى الناحية السلبية فى التنشئة لدى الطفل ، فاستجابة الطفل للايحاء المشوب بصيغة الامر هو وسيلة الى اكتساب العناصر الاخلاقية المكونة للشخصية • ونرى ان فكرة الايحاء وهى حالة عقلية عند دوركيم (١) — وهى العملية الاساسية لاكتساب الطفل السلوك الاخلاقى والتزامه به — تشبه فكرة التوحد الثانوى الفرويدية فى هدفها • وان كانت عملية التوحد الفرويدية عملية نفسية لا شعورية ، فان الايحاء حالة عقلية تعتمد على قوة خارجية ملزمة آمرة تستطيع ان تحد من نزعات وأهواء الطفل وتخضعه لقوالب السلوك الاجتماعى • ويقف الطفل من العناصر المكونة لشخصيته موقفا سلبيا ، ويتلقنها كما هى • وقد بين دوركيم ان نجاح عملية الايحاء يتطلب النمو الفكرى للطفل ، فيدرك تفوق المعلمين والمربين عقليا عليه ، وارتباطه الخلقى بهم • ويرى دوركيم أن احساس الطفل بهذا التفوق يشعره بالهيبة لاشخاصهم ، والتقدير والرهبة لأوامرهم ، لكنه لا يظل اسير الرهبة لنواهى الوالدين ، ويتعود الطفل هذه الاوامر والنظم كلما كبر ، وتصبح للعادة سلطانها فى توجيه سلوك الطفل •

وبعد دوركيم استعار بعض علماء الاجتماع المعاصرين اصطلاح التوحد من التحليل النفسى وأسبغوا عليه معانى اجتماعية • فقد استحوذ هذا الاصطلاح على اهتمامهم عند دراستهم للتطور الاخلاقى للطفل ، واكتساب انماط السلوك المناسبة والقيم الاجتماعية • فقد دعا البعض الى بيان قيمة عملية التوحد ، بعد ان تبين للاتجاهات الحديثة فى علم النفس والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ان اشكال السلوك والقيم يبدأ تكوينها فى مرحلة مبكرة من العمر بطريقة تلقائية • ويرى إلمر Elmer اننا يمكن ان نلاحظ عملية التوحد الاجتماعى اذا درسنا سلوك الطفل • فالكثير من مظاهر سلوك الطفل تنجم عن محاولته التوحد مع الجماعة بطريقة تلقائية • ويرى الاجتماعيون ان السلوك الذى يمارسه الاطفال ليس نتاج عملية لا شعورية تحكمها حالات وجدانية تبدى ميولا متضاربة ، بل السلوك انعكاس للتوحد الاجتماعى بتجارب المجتمع ، والاندماج مع معايير الجماعة • ويقول إلمر ان علماء الاجتماع قد اثبتوا أن التوحد الاجتماعى ينصرف الى توحد الفرد مع قيم الجماعة ، ليتسنى له الاندماج فى عضوية الجماعة • فنجاح عملية التوحد بصفتها عملية اجتماعية يضع اساس تماسك الجماعة ، وهو اساس

---

(١) Durkhiem Emile: l'Education morale, op.cit., P. 134.

السلوك الاجتماعى ، ذلك لان توحدات الفرد مع عضوية المجتمع توضح له معنى الاسرة والجوار والوطنية والوحدات الاجتماعية المكونة للمجتمع ، اذ تستند توحداتنا بالقوى الاجتماعية التى تنظم عضوية الجماعات على القيم الاجتماعية ، واهتمامات اعضاء البناء ، تلك القيم والاهتمامات التى لا تنفصل عن الموقف • ويرى الدر ان مفهوم التوحد فى التحليل النفسى محصور فى عالم ضيق ، اما مجاله فى علم الاجتماع فعالم أرحب • ويشمل التوحد بالقيم الاخلاقية والاجتماعية والموضوع الاجتماعى والاشخاص ، كما ان التوحد رابطة تبين تكامل القيم الاجتماعية ، واهداف السمات النفسية ورموز الجماعة التى يتوحد بها المرء • ويقرر الدر انه من اجل البحث الاجتماعى علينا ان نرى التوحد مظهرا اجتماعيا لصفة متغيرة يعبر بها الافراد عن تشربهم للقيم ، ولا نراه عملية نفسية فردية ، كما ان التوحد عملية ترتبط بوعى الفرد بالموقف الاجتماعى الذى يتفاعل فيه مع الآخرين ، وتتحقق بمدى انتمائه واحساسه بهذا الانتماء • فليست عملية التوحد عملية آلية عشوائية ، بل هى عملية تنظمها العوامل الاجتماعية السائدة فى الموقف.(١)

كذلك اخذ بارسونز مصطلح التوحد من مدرسة التحليل النفسى والبسه معنى اجتماعيا ساعد على اثراء النظرية الاجتماعية • وتلعب نظرية فرويد عن توحد الانا الاعلى بالمعايير الاجتماعية دورا هاما فى النظرية الاجتماعية البارسونية ، لانها عملية تفسر مكونات بناء الشخصية ، وادماج عناصر النسق الاجتماعى والثقافة فى الشخصية ، وتفسر النمو الاجتماعى للشخصية نتيجة اتساع علاقات المرء داخل البناء واندماجه فى عضوية جماعات متعددة • ومن ثم ربط هذا المفهوم الفرويدى للشخصية بالبناء الاجتماعى ، وتحقق التفاعل والتكامل والتداخل بينهما عند بارسونز(٢) • ويرى بارسونز ان عملية التوحد عملية عامة من عمليات تعلم الموضوعات الاجتماعية ، وتسهم مع عمليات التقليد والتلقين فى تكوين السلوك •

وتبعا لمنهج بارسونز فى الدراسة الاجتماعية الذى يحاول فيه ان يوفق بين الاتجاهات النفسية والاجتماعية ، بين ان عملية التوحد عملية شعورية ولا شعورية فى الوقت نفسه، فالتوحد عنده اشمل من التوحد فى مدرسة التحليل النفسى التى ترى أن التوحد عملية لا شعورية بحتة،

---

(١) Elmer Gasister: Identification as a social concept. Sociological and social research. Vol. 39, No. 54, 1952. PP. 103-109.

(٢) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 84.

كما انه اعمق من مفهوم التوحد الذى قصر د راسته على الناحية الشعورية فقط • كذلك بين أن التوحد والمحاكاة عمليتان من عمليات التعلم مخالفا فى ذلك فرويد الذى يميز بينهما ، وأيضا خالف بارسونز دوركيم الذى يجعل عملية الايحاء اساسا لكل نشاط تربوى وتقوم على الالتزام وصيغة الامر •

ومع ان بارسونز قد استعار مفهوم التوحد من التحليل النفسى ، والبسه ثوبا اجتماعيا فانه قد وسع من نطاق المعايير المتوحدة ونوعها ، فالتوحد يعرف جانبا من جوانب تكامل الشخصية مع النسق الاجتماعى ، ويمارس فى موقف اجتماعى ، ويشترط تبادل العلاقات الاجتماعية مع الغير • ويتخذ التوحد اشكالا متعددة • ويبدأ التوحد مع الام ثم يمتد نطاق التوحد فيشمل الاب ثم اعضاء الاسرة حتى يخرج الطفل من محيطها ويرتبط بعلاقات جديدة فى المدرسة وجماعات رفاق السن ، ويبدأ التوحد معهم • كذلك لا تقتصر عملية التوحد عند بارسونز على توحد الاشخاص مع العناصر الاخلاقية المكونة للضمير ، بل تشمل عملية التوحد جميع انساق الموضوعات الاجتماعية والقيم والمعايير وانماط السلوك ، والتمييز بين نماذج السلوك المرتبطة بأدوار الجنس •

واذا كان فرويد قد ربط عملية اكتساب العناصر الاخلاقية بالتوحد الثانوى ، وحدد لها العام الثالث ، واقامها على دعامة وبدنية تحمل تكافؤ الضدين ، واذا كان دوركيم قد حدد العملية التربوية التى تكون الطابع القومى للشخصية بنضوج الحياة الفكرية فى الطور المتأخر من الطفولة ، فان عملية التوحد البارسونية فى شكلها الاول تبدأ منذ الايام الاولى من الميلاد ، عندما يتوحد الطفل مع الام بصفتها موضوعا للتوحد ، بيد ان توحد الطفل بالام لا يحجب عنه تأثره بأبيه فى السنوات الاولى قبل المرحلة الاوديبية • فتوحد الطفل بالام خطوة الى التوحد مع الاب فى الوقت نفسه ، فكلاهما يشترك مع الآخر فى المعايير الاجتماعية التى تلقن للطفل ، ولا يميز الطفل فى بداية عملية التوحد بين صفات جنس الام والاب ، ويصاحب التوحد فى المرحلة الاولى تكوين الانا والهو ، وهما حصاد عملية التوحد فى نظرية بارسونز ، اثناء تفاعل الطفل بالام ، ولا يتوحد الطفل بالام كشخص ، بل يتوحد مع دورها فى الجماعة والقيم التى تربط اعضاء اسرته اثناء تفاعله مع أمه • ويرى بارسونز ان موقف التفاعل مع الام يعتبر فعلا بسيطا من الوجهة الاجتماعية لارتباط الطفل اوليا بشخص واحد كموضوع لحبه وهو الام ، لكن الطفل لا يظل إسير التوحد الاولى مع الام ، ففى الطور الاوديبى ، ومـا

يصاحبه من انفعالات ضد السلطة الابوية التى تفرض عليه لتهذيب سلوكه ينطلق من نسيق الام والطفل الى نسق الاسرة ، ويتبادل العلاقات مع الاب والاخوة ، ويندفع الى التوحد مع القيم الاسرية ويميز ادوار السلوك المرتبطة بمقولات الجنس • والتوحد بالاسرة شرط أساسى لانتمائه الى المجتمع الكبير ، وتوحده بقيمه • ويرى بارسونز ان عملية التوحد مع الاب قد تكون قاسرة او صعبة اذا ما تباينت اساليب التنشئة الاجتماعية بين الاب والام ، وكان الاب دائما صارما مع ابنه ، ومنبعا مستمرا للاحباطات • وقد رأى بارسونز ان نجاح التوحد بالاب يعتمد على التوافق العاطفى بين الاب والابن من جانب ، وانسجام العلاقة بين الام والاب من جانب آخر • واذا كان الاب منبعا للاحباطات ومصدرا للقلق والتوتر المستمر فى الاسرة ، فان الابن لن يجد اى اغراء يدعوه الى التوافق مع ابيه والموضوعات الجديدة ، ولن يجد من المبررات ما يدفعه الى التقرب من الاب ، والاعجاب به ، والتوحد بجنسه ، واداء أدوار السلوك الذى يرضى عنه الاب ، ويحس الطفل بكراهية نحو ابيه وتباعد عنه[1] • فحب الابن لابيه شرط لاتساع مجالات توحده بأمه ليشمل توحده بأبيه والموضوعات الاجتماعية المرتبطة بالاب •

ويجب ان نوكد انه من المبادىء الاساسية فى نظرية الفعل البارسونية ان الثقافة لا تقتصر على كونها أحد مكونات الموقف الذى يتم فيه التفاعل ، بل هى كذلك العنصر المباشر فى تكوين الشخصية اثناء عملية التوحد[2] ، كما ان عملية التوحد بدورها لا تقتصر على تكوين الضمير ، بل هى عملية تساعد على تكوين جميع عناصر بناء الشخصية ، وفى الوقت نفسه تساعد على اندماج المرء فى انساق البناء من أجل تماسك الانسان وترابطها •

لكن ما معنى التوحد عند بارسونز ؟ فقد عرف بارسونز عملية التوحد تعريفات متعددة ، فهو يرفض المفهوم الفرويدى للتوحد ، واعتبار التوحد العملية التى يصير بها الانا مثل الموضوع ، اى يصير الانا شبيها بالشخص الآخر ، ويرى ان التوحد هو اندماج مع العناصر الثقافية العامة ، ويعتمد على الانفصال مع الموضوع[3] • وقد ألقى بارسونز فى هذا التعريف ضوءا جديدا على تعبير فرويد "ان يصير مثل" وبين ان فرويد قصد بهذا التعبير توحد الشخص مع مراكز العضوية ومع قيم العامة • ويعرف بارسونز التوحد فى كتابه

(١) Parsons Talcott: Family Socialization and Interaction Process, op.cit., P. 81.
(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit., 34.
(٣) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit., P. 29.

" الاسرة والتنشئة الاجتماعية وعملية التفاعل " بأنها العملية التى تشير الى تكوين بناء الشخصية الاجتماعية ، وهى اسلوب من الاساليب الاجتماعية ، وتهدف الى تكوين الموضوعات الاجتماعية والاندماج فيها [1] ، واكتساب القيم الاخلاقية والاجتماعية والجمالية والدينية عن طريق تمثل الطفل لشخصية الام ثم الاب • ومن شروط التوحد لديه قيام علاقات متبادلة للادوار تضبطها القيم الاجتماعية ، وقد أعطى بارسونز تعريفا ثالثا للتوحد ، فعرفه بأنه العملية التى تحمل الشخص على الانتماء الى عضوية الجماعة اثناء عملية تعلم تبادل أداء الادوار مع الاشخاص الآخرين حسب انماط القيم التى تحكم الجماعة [2] ، واثناء نمو الانا تصبح المعايير الاجتماعية جزءا من الشخصية وتحدد بناءها ، ويستطيع الانا ان يتوقع أدوار الآخرين وان يؤدى ادوارا معينة ،ويرى بارسونز ان الموضوع الاجتماعى المتوحد به ينظم سلوك المرء اثناء تبادل العلاقات بينهما •

وتشير هذه التعريفات البارسونية عن مفهوم التوحد فى مجملها الى أن التوحد عملية من عمليات التعلم لاكتساب القيم وتوقعات الادوار وتعلم اداء الادوار ، لأن المرء فى البداية لا يمتلك القيم موضوع التوحد ، وان التوحد عملية متعددة الجوانب ، وفى الامكان تصنيفها تصنيفات جزئية حسب انماط القيم ، وطبيعة الارتباط بالغير ، كما لا يتم التوحد مع الموضوعات المتوحد بها بدرجة واحدة وفى آن واحد • وتكشف لنا خلاصة هذه التعريفات ان التوحد عملية تسهم فى تكوين الشخصية الاجتماعية باندماجها مع القيم الاجتماعية والمعايير والسنن وتعلم اداء ادوار السلوك الاجتماعى ، وهى عملية اساسية عند بارسونز لتحقيق الرابطة العضوية بين البناء الاجتماعى والشخصية •

ويبين لنا دراسة مفهوم التوحد عند بارسونز انه قد فسر المفهوم الفرويدى تفسيرا جديدا ، كذلك رفض بارسونز الاتجاه المعاصر الذى يرى ان التوحد عملية تقتصر على تحصيل الادوار ، ورفض الاتجاه الدوركيمى الذى يرى ان اكتساب القيم عملية يقف الفرد امامها عاجزا مسلما • فقد جعل بارسونز عملية التوحد عملية اساسية يحقق بها الفرد اندماجه مع أنساق الموضوعات الاجتماعية ،ويشارك مشاركة متكاملة فى نسق الفعل الاجتماعى • فالتوحد عملية

---

(1) Parsons Talcott: Family. Socialization and Interaction Process, op.cit., P. 142.

(2) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 91.

قبول وخلق عند بارسونز ، واتجاهه الى استعمال المفهوم الفرويدى عن التوحد باعتباره عملية تفسر ادماج العناصر الاجتماعية فى الشخصية ، رفض حاسم من بارسونز لرأى دوركيم عن الايحاء ، وان المجتمع يفرض على اعضائه المعايير الاجتماعية والخلقية وانماط السلوك بصيغة الامر والالزام ، الا انه تجاوز المفهوم الفرويدى ان التوحد عملية لا شعورية بحتة الى كونه عملية لا شعورية وشعورية فى الوقت نفسه ، واتجاهه الى المفهوم الفرويدى يؤكد أن الشخص له حرية قبول هذه المعايير بما يتناسب مع قدراته التكوينية والنفسية ، ويحصل التوحد الثانوى للصراعات النفسية التى يعانيها الطفل ، كما انه هو توحد مع سلطة الأب وحزمه فى الوقت نفسه .

واننا نرى أن مفهوم التوحد عند بارسونز والاجتماعيين ليس تكرارا للمفهوم الفرويدى للتوحد ، فهناك اختلاف بين فرويد وتلاميذه من جانب ، وبين فرويد واعضاء المدرسة الاجتماعية المعاصرة من جانب آخر حول قيمة هذه العملية ومدلولها . فالمفهوم الفرويدى له معنى نفسى ، ويستند على العاطفة المتبادلة بين المرء والموضوع الآخر ، ويهدف الى مماثلة شخص بآخر لتحقيق الاستقرار النفسى للشخصية ، لكن بارسونز والاجتماعيين يرون ان التوحد لا يعنى ان يصير المرء شبيها بالموضوع ، بل يعنى الاندماج مع الموضوعات الاجتماعية ، واكتساب عضوية الجماعات وتحقيق تماسكها ، وقبول انساقها . وقد اكد بارسونز الدعامة الوجدانية التى يقوم عليها التوحد ،واعتماد التوحد على الانفعال بالموضوع اثناء التفاعل بين الطفل والراشد . وقد امتاز بارسونز عن فرويد عندما ربط بين الانفعال بالموضوع والتفاعل بالموقف كشرط لاستقرار التفاعل الاجتماعى داخل الموقف ، وتعلم وتنظيم ادوار السلوك، وبين ان الانماط السلوكية والثقافية المتوحد معها اثناء التفاعل هى جانب من شخصية الأم او الأب أو الغير التى توحد معها المرء يوما ما .

واذا كان فرويد قد اكد اهمية التوحد الأولى لتكوين الشخصية ونموها النفسى ، فان بارسونز لا يرى عملية التوحد الأولى الفرويدية عملية اجتماعية ، فهى ليست الا عملية لا شعورية وجدانية ترتبط بالشدة العاطفية . كذلك يختلف فرويد عن بارسونز فى ان الأول قصر عملية التوحد بالموضوعات الاجتماعية على تكوين الضمير ، وحدد بدايتها ونهايتها بين العام الثالث والعام الرابع ، بينما يرى بارسونز ان عملية التوحد عملية اساسية تدخل فى تكوين جميع عناصر الشخصية عند الطفل والراشد ، وبين ان اتساع علاقات المرء تؤدى الى تراكب التوحدات مما يؤدى الى تغير سلوك الشخصية وعلاقاتها الاجتماعية . كذلك تمايزت المدرسة الاجتماعية

التى قبلت مفهوم التوحد عن اصحاب المفهوم لتأكيدها نوع العلاقة الاسرية فى نجاح عملية التوحد او فشلها ، فاتفاق الابوين على اساليب التربية وتوافقهما النفسى يساعد على نجاح توحد الابناء بهم ، وان المناخ الأسرى المشحون بالتوترات والخلافات فى تطبيق اساليب التنشئة له اثره فى فشل عملية التوحد ، واخفاق الابناء فى التوفيق بين المفاهيم الاسرية •

ورغم اختلاف بارسونز وفرويد فى مدلول وطبيعة عملية التوحد ، فاننا نرى أن نظريتى بارسونز وفرويد تعتمد أن على دعامتين متماثلتين هما الخوف من فقد ان موضوع الحب والخوف من المعتدى • وقد اهتم بارسونز وفرويد بتأكيد اهمية اعتماد الطفل من الجنسين وارتباطه بأمه ، كذلك اتفقا على ان الطفل يتوحد بالأب بغية حل الصراعات •

وانطلاقا من فكرة بارسونز التى تهفى تحقيق الترابط بين الشخصية والبناء الاجتماعى ، يبين ان عملية التوحد عملية تنقسم الى مراحل ، ترتبط كل مرحلة بنوع من الانساق التى يتفاعل داخلها المرء مع الآخرين • فالمرحلة الأولى تبدأ من الميلاد حتى الثالثة ، وترتبط بطور الاعتماد على الأم ، وفيها يهدف الطفل الى التوحد مع امه وأن يصير مثلها • ويقصد بالتوحد مع الام فى تلك الفترة ان يحصل الطفل الادوار ، ويكتسب القيم داخل نسيق الأم والابن ، وان يتوحد مع مراكز العضوية فى هذا النسيق • فالطفل قادر عند بارسونز على تحقيق توقعات الغير مقابل توقعات الثواب والعقاب • ولا يتوحد الطفل فى المرحلة الأولى بموضوع واحد ، بل يتوحد بنسق يتكون من مجموعة متراكبة من الموضوعات ، اى يتوحد بمجموعة من القيم المتباينة ، وتوحده بهذه القيم شرط لاستقرار نسيق التفاعل بين الأم والطفل وثباته ، ويتميز التوحد الملازم لهذا النسيق بأنه عملية تلقائية ، اذ فى بداية تكوين هذا النسيق والتوحد مع الأم يستجيب الطفل لنواهى الأم تلقائيا ، ويأتى افعالا سعيا وراء المكافأة والثواب ، بيد أن للتوحد الناجح فى نهاية تلك المرحلة يتطلب ان تنمى القدرة عند الطفل لانجاز مستوى عال من السلوك الذاتى غير المشروط بالجزاء عند الغير[1] • وهذه القدرة على الانجاز هى المظهر الهام فى بناء الشخصية ، وتعنى ان الطفل اصبح قادرا أثناء توحده بامه على تعلم المهارات الاساسية كالمشى والكلام • فالام فى مرحلة الحضانة بجانب انها منبع الحب والعناية فهى المنبع الذى يستقى منه الطفل القيم الاخلاقية ، ويتعلم اداء بعض ادوار الجنسين ، رغم اختلاف صفات كليهما •

---

(١) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 92.

أما المرحلة الثانية ، وهى المرحلة الاوديبية تبدأ فى سن الرابعة ، يبدأ الطفل فى التوحد مع ابيه هروبا من الصراعات التى يعانيها جراء حبه لامه ، وتمرده على السلطة التى يمارسها عليه الاب لتعويده على النظام ، فيتكون الانا الاعلى . وتتميز هذه الفترة بثلاثة أنواع من التوحد : النوع الاول : التوحد مع قيم الاسرة ، فيعرف الطفل صفات الام والاب ويدرك الفروق بينهما . النوع الثانى : التوحد مع صفات الافراد من نفس الجنس . النوع الثالث : ارتباط الطفل بأبيه وتوحده معه ، وتمييزه بين جنس وآخر .

ويصاحب التوحد فى المرحلة الاوديبية التمييز بين الموضوعات على اساس السن والجنس. وقد ربط بارسونز بين التوحد والتمييز ، وادرك ان ارتقاء موضوعات التوحد يعنى ارتفاع مستوى التمييز . ويبدأ دور الاب فى البزوغ فى تلك الفترة من حياة الطفل ، ويحتل مكانة هامة عند الطفل الذكر بعد ان كان يلعب دورا ثانويا فى الطور الاول ، ويصبح المثال الاعلى للطفل ، ويكون الابن اتجاها عاما مستقلا عن ابيه ، ويميز فيه بين امه وابيه ، ويحذو حذو ابيه ويمنحه ولاءه ، فهو حاميه ومرشده ، والمثال الاعلى الذى يقتدى به فى تحصيل المراكز وادوار الشخص البالغ . فعملية التوحد فى الطور الاوديبى عملية تسهم فى اعادة تنظيم نسق الشخصية فى نطاق العلاقة مع العالم الخارجى .

وقد اهتم بارسونز بتحليل عملية التوحد فى طور الصبا ، وبين ان الطفل يخرج من البيت الى العالم الخارجى ، يبدأ فى مقارنة الادوار الاسرية مع الادوار الموجودة فى العالم الخارجى ويقابل بين قيم الاسرة وقيم المدرسة ، ويميز انماط السلوك المرتبطة بالادوار الاسرية عن أنماط السلوك المرتبطة بالادوار المدرسية . ويعى الطفل فى المدرسة معنى النجاح والفشل ، ويعمل المدرسون أجل توحد تلاميذهم مع الصفات والموضوعات الاجتماعية لكى يؤدوا ادوارهم أداءا ناجحا فى المستقبل . ويساعد خروج التلميذ الى عالم المدرسة على ادراكه ان مجال الادوار الاسرية محدود بالمنزل ، بينما تتشكل أدواره الاخرى بفئة من الغايات تحددها مبادىء عامة.

وقد بين بارسونز ان عملية التوحد تحددها شروطا أساسية :(1)

الشرط الاول : ان شعور الطفل بالطمأنينة فى الموقف يساعد على استقرار نسق القيم المتوحد بها عند الطفل . ويتمركز هذا الشرط حول علاقة الطفل بأمه كانسان يرتبط به ويتفاعل معه منذ بداية حياته ، وتتأثر هذه العلاقة بالاب ، ويساعد على ذلك

(1) Parsons Talcott: Social structure and persohality, op.cit., P. 140.

الاستقرار الاسرى كمنهج يستمد منه الطفل الطمأنينة والاستقرار •

الشرط الثانى : الاحساس باستقرار اساليب معاملة الطفل فى المواقف المختلفة حسب نظام معين •

الشرط الثالث : التوازن بين انساق الجزاءات التى تؤدى الى انكار واحباط حاجات ورغبات الطفل الفطرية ، وايضا عدم التذبذب فى الوعد بالمكافأة لتحقيق توقعات الآخرين او لتحصيل تجارب فى مواقف جديدة •

ويرى بارسونز أن عدم تحقيق هذه الشروط يولد عقبات امام عملية التوحد مع قيم الاسرة بيد أن عدم النجاح الكامل لعملية التوحد لا يدفع الطفل الى نبذ هذه القيم أو رفضها ، بل يتكون لديه شعور بالاحترام نحوها لأنها قيم عامة يشترك فيها أعضاء الجماعة كلها [1] • ويرى بارسونز ان ثمة مجموعة من الصفات يتحتم ان يتحلى بها الطفل اثناء عملية التوحيد ، وهى قابليته للتعلم وقدرته على تكوين ارتباطات مع الغير ، واعتماده عليهم ، ومن جانب آخر يبين بارسونز انه يلزم ان يتحلى الراشد الذى يتوحد به الطفل بصفات تؤثر فى عملية التوحد اهمها قدرته على البذل والعطاء والثواب والعقاب • فعملية التوحد التى تدمج الطفل فى البناء الاجتماعى ترتبط ارتباطا اساسيا بوعى الطفل بدور البالغ فى مواقف التفاعل داخل الموقف • فالصفة الاساسية لعملية التوحد هى قبول الطفل لقيم الراشد فى الموقف المناسب ، ويصبح ما يطلبه الراشد هو ما يطلبه الطفل • فالطفل يتوحد مع قيم لشخص الراشد اثناء التفاعل بينهما ، ويساعد هذا التوحد على تنظيم الحاجات الفطرية ، ولذا فان رد الفعل الصادر من الراشد له أهميته الحاسمة فى تنظيم واختيار الطفل للقيم ، كما أن ما يتوحد به الطفل من القيم يختلف باختلاف القيم التى تنظم المواقف ، ومدى وضوح او غموض كل قيمة عند الاشخاص المتفاعلين • بيد أن نسق الموضوعات المتوحد بها فى الطفولة لا يجمع كل الموضوعات الاجتماعية ، وليس نسقا منغلقا ، بل نسقا مفتوحا يتيح قبول قيم جديدة تضاف الى حصيلته السابقة من القيم •

وقد ميز بارسونز اثناء التفاعل فى الموقف بين التوحد مع القيم والادوار العامة ، وبين التوحد مع القيم والادوار التى ترتبط بالفعل المحسوس وانماط السلوك الوقتية • فالشخص

---

(1) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction process, op.cit., P. 365.

عند ، لا يتوحد مع الانماط النوعية والفعل المحسوس ، لكنه يتوحد مع انماط القيم العامــــة .
فالتوحد يرتبط بمثال له اتجاهات عامة[1] ، اى ان الشخص يتوحد بمجموعة متعددة من الانساق
والانماط ، فهو يتوحد مع نسق المرجع الفكرى ، ونسق الرموز التعبيرية ، ونسق الاحكـــــام
الاخلاقيــة • بيد اننا نرى أن الطفل لا يتوحد مع القيم العامة والمجردة فى الموقف ، ولذا
فاننا اكثر ميلا الى قبول رأى يورى برونفنبرنر الذى يرى ان الطفل لا يدرك الا الافعــــال
المحسوسة التى يؤديها الابوان ، والتى تتناسب مع سن الطفل ، ولكن بعد فترة من الزمــن
ونمو قدرته على التعميم والتجريد والتمييز ، يبدأ فى التوحد مع الانماط الرمزية والكامنــــة
والانماط السلوكية المجردة[2] ورغم هذا القصور فى نظرية بارسونز فى التوحد فانه تجاوز الجميع
عندما بين ان التوحد عملية اجتماعية ، وان التوحد مع العناصر الاجتماعية يساعد على تكويـن
الشخصية وتكوين نمط انسانى عام للنسق الاجتماعى •

وقصارى القول ان التوحد عملية اجتماعية تهدف الى تحقيق تكامل الشخصية مع البناء
الاجتماعى ليتسنى حدوث التفاعل فى الموقف • وتبدأ عملية التوحد منذ الميلاد داخل الاسرة ،
وهى عملية مستمرة تحدث داخل الانساق الاجتماعية التى يرتبط بها المرء كلما كبر • والعناصر
الثقافية والاجتماعية المتوحد بها ، عناصر اساسية لتكوين نسق الشخصية باعتبارها عناصـــر
دافعة للسلوك ، ولتنظيم البناء الاجتماعى بعد ان يتوحد معها اغلبية أعضاء البنــاء •
وتعمل العناصر المتوحد معها على تقارب اهتمامات ومصالح الجماعة مع مصالح الفرد الخاصة
واهتماماته • وتخضع الدوافع لمطالب الادوار الاجتماعية لتحقيق تكامل البناء ، كما أن توحدات
الطفل بقيم الوالدين تتأثر بأساليب التنشئة الاجتماعية المتفق عليها • فاذا ما اختلف الوالدان
فى اسلوب التنشئة ، او اصطدمت قيم الاسرة مع قيم المدرسة ، فان الطفل يعجز حتما عن تكويـن
نسق عام محكم متكامل للقيم والتوقعات المرتبطة بسلوك الآخرين ، ويعجز الطفل عن تحقيـــق
التوحد الكامل مع قيم الجماعة ، ويخفق فى ادراك التعميمات ، ولن يرقى من مستوى الســلوك
المحسوس الى مستوى السلوك المجرد الا بصعوبة بالغة ، ويصبح عاجزا عن ادراك عالـم مــا
وراء الابوين ، ولن يستطيع تكوين تصور عام عن التصورات المتصارعة فى المواقف اليومية •

---

(١) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 17.

(٢) Bronfenbrenner Urie: Parsons theory of Identification in Max Black: The social theory of T. Parsons, op.cit., P. 206.

الفصل الرابع

الدور الاجتماعي

الـدور الاجتماعـــــي

يتكون البناء الاجتماعي من مجموعة من الانساق الاجتماعية المترابطة وظيفيا ، ويتضمن كل نسق مجموعة من الاشخاص ترتبطهم علاقات اجتماعية ، يشغلون مراكز اجتماعية ، ويتبادلون أداء أدوار معينة في المواقف الاجتماعية . ونحن ندرك الادوار والمراكز في مواقف التفاعل ، فالشخص ينعكس في الموقف تصوراته عن الادوار التي يقوم بادائها ، وتوقعاته المنتظرة لأدوار الآخرين الذين يتبادل معهم أداء الادوار .

وترجع أهمية دراسة الادوار والمراكز انها مفاهيم تمكننا من ادراك السلوك الاجتماعي في الموقف ، ليتسنى لنا فهم البناء الاجتماعي المجرد [1] والشخصية ، اذ انها ترتبط بالمطالب البنائية الاجتماعية ، وافكار الشخص وسلوكه واهتماماته ، كذلك ترتبط مفاهيم الادوار والمراكز بالقيم ، اذ تحدد مجموعة القيم السائدة والمتغيرة في المجتمع أنساق الادوار والمراكز التي يتكون منها البناء والتي تنظم السلوك الصادر من الشخص داخل الموقف . ويؤدى تغير البناء الى تغير القيم الذى يتبعه تغير في الادوار والمراكز . ونحن نهتم بالدور لاننا نساير رأى بارسونز ان عملية اكتساب الادوار الاجتماعية اهم نتائج عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها عملية تعلم [2] . فهذه الادوار تكون عنصرا أساسيا في بناء الشخصية ، ويتغير نسق أدوار الشخصية ، والسلوك المرتبط بكل دور ، وتوقعات الشخص المنتظرة من الآخرين أثناء تبادل العلاقات معهم ، نتيجة اتساع علاقات المرء داخل البناء كلما كبر ونضج .

ومفهوما الدور والمركز من المفاهيم الحديثة في علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس وهما من المفاهيم التي تحاول ازالة العوائق المصطنعة بين الدراسات النفسية والاجتماعية ، واقامة الرابطة بينهما ، اثناء تحليل سلوك اعضاء الجماعات ، ويهدف هذان المفهومان الى سد الثغرة بين الفرد والمجتمع ، ومن ثم فقد استخدم هذان المفهومان لتأكيد ان سلوك الفرد محصلة قوى نفسية واجتماعية ، وان الصفات والرغبات المشتركة بين مجموعة من الاشخاص هي صور مختلفة للمطالب الاجتماعية والقدرات الشخصية ، ولا يشير مفهوما الدور والمركز الى فرد معين يعمل ويعيش وينفعل في زمان معين ، ولا يعبران عن مجموعة من الصفات

(١) Goode William: Theory of Role strain. A.S.R. Vol. 25, 1960, PP. 483-496.

(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 205.

لاشخاص حقيقيين [١] ، وانما الادوار والمراكز وحدات تربط بين الانساق الاجتماعية والشخصية ، فالشخصية تعبر عن الافراد ، ولا تعبر عن الانساق الاجتماعية ، ومن ثم فالشخصية ليست هي الوحدة الاساسية في البناء ، وانما الدور هو الوحدة الاساسية في البناء • فالدور هـــو الوحدة الصغيرة المميزة للحدث السلوكي داخل البناء الاجتماعي ، ومن ثم تنتظم وتصنــف الافعال الانسانية في ادوار ، ومن الاهمية ان نحلل الادوار والمراكز التي يتكون منها البناء والتي تدمج في الشخصية ، لكي نفهم طبيعة السلوك الاجتماعي في الموقف •

لكن ما علاقة الدور بالمركز ؟ هل هما اصطلاحان مترادفان في العلوم الانسانيــة والاجتماعية؟ • ان مفهوم الدور وما يشير اليه يختلف عن مفهوم المركز وما يشير اليه • فالدور يشير الى سلوك الشخص ، والى الاسلوب المنتظم الداخلى الى المشاركة في الحياة الاجتماعيـة ، واشباع الحاجات والرغبات حسب مجموعة من المعايير والقيم ، ويدل على اداء الشخص ومــا يفعله في المركز الذى يشغله • اما المركز فيدل على المكانة او الوضع الاجتماعي الذى يحتله الشخص في النسق الاجتماعي • ويتضمن المركز الاجتماعي مجموعة من الوظائف التي يؤديهـــا الشخص ، وتفرض عليه مسئوليات محددة تجاه بعض المراكز الاخرى الاعلى ، وتمنحه سلطـــة واضحة على مراكز اخرى في ادنى السلم الاجتماعي ، كذلك يرتبط المركز بشبكة من الارتباطـــات مع مجموعة من المراكز الاخرى [٢] •

ورغم اختلاف مدلول الدور والمركز داخل البناء فهما متلازمان ، ولا ينفصل احدهمـا عن الاخر ، فالدور هو الجانب الحركى للمركز [٣] ، وتمثل مجموعة المراكز والادوار الحد الادنى من الاتجاهات التي يلتزم بها الشخص ليقوم بدوره في البناء الاجتماعي ليحقق انجاز فعل ما ، ومن ثم فأداء الدور هو اداء الشخص لفعل ما حسبما تحدده القيم • وما الفعل الاجتماعـى الا محصلة مجموعة الادوار التي يؤديها الشخص شاغل المركز ، والتي تتفاعل سويا ، وتساعد على الربط بين الانساق •

اما عن الصلة بين الدور والمركز ، فيرى لنتون ان كل دور اجتماعي يؤديه الشخـــص يرتبط بمركز اجتماعي محدد ، وتحدد الادوار والمراكز المترابطة الاتجاهات ونماذج السلــوك

(١) Nadel S.F.: The theory of social structure, op.cit., P. 20.

(٢) Cartwright Dorwin: The structural properties of Groups: Introduction of Part six, Dorwin Cartwright & Alvin Zander (ed.). Group Dynamic 2nd ed. N.Y. Harper 1960, P. 643.

(٣) Linton Ralph: The Man, op.cit., P. 114.

التى يعبر بها الشخص تعبيرا واضحا عن سلوكه ، ويحول كل من الدور والمركز انماط السلوك المثالية للحياة الاجتماعية الى مستوى الواقع ، اى الى مستوى الفعل المحسوس ، وهما نماذج لتنظيم اتجاهات سلوك الافراد ، وليسا صفات للشخص ، ليتسنى تحقيق التكيف والتماسك بين الاشخاص المشتركين داخل النسق[1] ، ولا يرتبط المركز بالشخصية ، بل هو كالدور مظهر لها . والمركز ظاهرة اجتماعية وليس ظاهرة فردية ، وان كانت بعض المراكز تتوافق مع الجانب النفسى للشخصية التى تشغل المركز .

على ان مرتون يرفض اتجاه لنتون لقصره كل مركز اجتماعى على دور واحد ، ويرى أن كل مركز اجتماعى يستلزم مجموعة من الادوار ، ويرى مرتون أن البناء يتكون من مجموعة من المراكز ومجموعة من الادوار ، وان شاغل المركز الواحد يؤدى مجموعة من الادوار ، ولا يؤدى دورا واحدا . ويقصد مرتون بمجموعة الادوار مجموعة علاقات الادوار الكاملة التى يشترك فيها الاشخاص الذين يشغلون مراكزا اجتماعية ، كذا يقصد بمجموعة المراكز النظام المعقد للاوضاع المميزة المخصصة داخل الانساق . وقد بين مرتون ان مجموعة المراكز اساسية لربط الانساق الاجتماعية التى يرتبط بها الشخص الواحد . وان شاغل المركز الواحد لا يعمل بمفرده ، لكنه لا يتفاعل فى جميع الاوقات مع جميع اعضاء مجموعة الادوار ، بل يتفاعل مع بعضهم فى آن معين ، ويتفاعل مع البعض الآخر فى آن آخر ، وقد يتفاعل معهم جميعا فى آن واحد ، ولا تتفاعل المراكز فيمابينها فهى مجردات ، فالتفاعل يتم بين اشخاص يشغلون مراكز معينة[2] .
ويرى مرتون أن مجموعة الادوار والمراكز وحدات بنائية تشير الى جزء من البناء فى فترة معينة ، وتهدف الى ربط التوقعات البنائية المحددة مع انماط السلوك والعلاقات التى يتكون منها البناء . فمجموعة الادوار التى يؤديها الشخص لا تترك للاجتهاد الشخصى ، بل تحددها مجموعة من النظم التى تتجسم فيها المراكز الاجتماعية . وتفسر مجموعة الادوار قدرات الافراد على فرض ارادتهم لاداء الفعل الاجتماعى ، ويفسر تعدد مجموعة الادوار التى يؤديها المرء التباين البنائى لانماط بناء الادوار ، كذلك تفسر لنا القوة النسبية لشاغل المركز الواحد وتوجيهات القيم اسباب رفض الناس لشغل مراكز معينة ، واحساسهم بالكراهية نحوها ، وارتباطهم باخرى مقبولة لديهم ، وشعورهم بالتوافق نحوها[3] . وقد بين مرتون أن هناك مجموعة من

(١) Linton Ralph: Ibid., PP. 476-477.
(٢) Merton Robert: The Role set. B. J. of S. Vol. 8, No. 2, 1957, PP. 106-118.
(٣) Merton Robert: Social theory and social structure, op.cit., P. 383.

الاساليب الاجتماعية ترتبط مجموعة الادوار سويا ، وتحدد اكبر قدر من النظام عند الأدا التخفيف التوتر والصراع •

اولها : اضفاء اهمية اكبر على بعض الادوار دون غيرها •

والثاني : توزيع السلطة والقوى النسبية لشاغلى مجموعة الادوار •

والثالث : مراعاة اعضاء مجموعة الادوار للمطالب المتصارعة •

والرابع : التعاون المتبادل بين شاغلى المركز الواحد •

والخامس : تقليل عدد الادوار التى يفرضها المركز •

والسادس : تحديد النشاط المرتبط بالدور ليتسنى تجنب الصراع •

بعد هذا العرض للصلة بين مفهوم الدور والمركز ، نرى ان مفهوم مرتون لهـــذه العلاقة اكثر قربا للواقع من لنتون • فشاغل المركز الواحد لا يؤدى دورا واحدا ، بل مجموعة ادوار ترتبط بالمركز • ولكننا نلاحظ أن مرتون قد اهتم بدراسة الادوار والمراكز باعتبارهـــا وحدات بنائية للبناء الاجتماعى ، وحصر اهتمامه فى انساق الادوار الكلية فى بناء محـدد ، ولم يهتم اطلاقا بمشكلة توحد الاشخاص مع السلوك المرتبط بالدور ، او التوقعات المنتظـــرة للأدوار ، ومن ثم لم يهتم بمشكلة تكامل الشخص فى ادائه لنسق السلوك •

وقد ثار جدل بين المهتمين بمفهوم الدور ، هل الدور مجرد تصور فى الذهن ، أم له وجود واقعى ؟ فثمة اتجاه يعبر عنه مرتون يرى أن الدور مجرد تصور فى الذهن يربـط بين العناصر البنائية والتوقعات المحددة ثقافيا (1) • ونحن نرفض هذا الاتجاه ، ونقبـــل الاتجاه الآخر الذى يرى ان الدور ليس تصورا فى الذهن ، يعبر عن مجموعة افكار مجـردة ، أو مقولات ذهنية ، بل ان الدور واقع اجتماعى ، وليس الدور فكرة تقف خلف الواقعة الاجتماعية• فالدور ظاهرة حقيقية تعيها عقولنا ، اذ لو كان الدور مجرد فكرة فى الذهن لا صبحت دراستنا الاجتماعية مستحيلة ، فعلم الاجتماع لا يدرس المجردات ، بل يقيم دراسته على وقائـــع اجتماعية تخضع للتجريب • ويدعم انكلز هذا الاتجاه ويقول " انه يجب ان نميز بين الفصـــل المحسوس والمعنى التحليلى للبناء ، فاننا لا ندرس الا الابنية المحسوسة ، التى تشير الـــى المصنع والاسرة ، وتتكون هذه الابنية المحسوسة من ادوار ، اما المعنى التحليلى فيشير الـــى

---

(1) Merton Robert: Ibid., op.cit., P. 368.

المجموعة الكلية للطرق الاجتماعية السائدة بين انظمة اجتماعية توجد في المجتمع[1]. فالدور يتجسم دائما في السلوك الاجتماعي ، ولا يفهم الا اثناء التفاعل الاجتماعي بين المرء والآخرين . فمفهوم الدور يشير الى المجهودات الانسانية الواقعية ، واذا ما بدا الدور خاليا من التمثلات الواقعية فهو يدل على الانحراف والتفسخ الوقتي بين عناصر البناء ، كما أن معنى الدور لا يدرك الا في ضوء العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، والافعال الانسانية داخل موقف اجتماعي . وتمثل الادوار محاولة الفرد لبناء حقيقته الاجتماعية ، وتوجيه سلوكه في الموقف ، فهي ترشده في سعيه وراء الاشباع والقصد . كما تبين لنا دراسة الادوار ، والتي لا تفهم الا في ضوء دراسة العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الشخصيات ، استحالة الفصل بين التأثيرات الاجتماعية على سلوك الشخص واتجاهاته ، وبين القوى الذاتية التي توجد في الشخصية وتصوغ افعالها . ولكي نفهم الدور فهما واضحا ، علينا ان نبين تعاريف المدارس المختلفة لمفهوم الدور .

تعريف الدور :

وقد انقسم العلماء المعاصرون في تفسير الدور الى ثلاثة اتجاهات . الأول يرى أن الدور تصور يرتبط بالشخص ، وهذا الاتجاه اقرب الى علم النفس . والاتجاه الثاني يرى أن الدور يدل على المطالب البنائية للسلوك ، اى المعايير والتوقعات التي ترتبط بمركز معين ، وهي شيء خارج عن الفرد ، ويقود الفرد الى أداء منظم . وهذا الاتجاه نظرة اجتماعية بحتة تؤكد المفهوم الدوركيمي الذي يلغي دور الفرد في تحديد السلوك . والاتجاه الثالث يرى ان الدور محصلة ظروف نفسية واجتماعية ، فهو يدل على افعال الاعضاء المتوافقة مع البناء الاجتماعي ، او الاساليب التي يؤدى بها الاشخاص السلوك في الموقف حسب المعايير المنظمة . وهذا الاتجاه اكثر شمولا من الاتجاهين السابقين ، واقرب الى الواقع .

اما عن الاتجاه النفسي فنجد نيفيت سنفورد يرى ان الدور صفة من صفات الشخصية لأنه تعبير عن حاجات الشخص[2] . اما البورت ممثل علم النفس الفردي فقد عرف الدور بأنه اسلوب المرء في المساهمة في الحياة الاجتماعية ، وهو مجرد ما يتوقعه المجتمع من شخص يشغل وضعا اجتماعيا معينا[3] . ولا تتكون الادوار التي يقوم بها الشخص من عناصر اجتماعية

---

(١) Inkles Alex: What is sociology. op.cit., PP. 63-68.
(٢) Sanford Nevitt: Self and Society, op.cit., P. 150.
(٣) Alport Gordon: Pattern and Growth in personality, op.cit., P. 181.

بل تتداخل فى تكوينها مجموعة من المشاعر والواجبات والافعال والافكار • وقد ميز الهورت بين توقعات الادوار واداء الادوار وتصور الدور ، وقبول الدور او رفضه ، ورأى ان توقعات الادوار واداء الدور يرتبطان بالنسق الاجتماعى ، اما تصور الدور وقبول المرء للدور او رفضه فهما مسألتان ذاتيتان ترتبطان بالشخصية ، كما ان اداء المرء للدور وتوقعاته لسلوك الآخرين تتباين من شخص لآخر ، وتحدد قدرات الشخص قدرة المرء على اداء الدور وتوقعاته المنتظرة من الآخرين داخل اطار الموقف •

كذلك قدم لينول نيمان تعريفا للدور يتمشى مع الاتجاه النفسى ، فقد ادخل فى تحديد الدور تصور الفرد عن ذاته ، وادراك المرء الذاتى للموقف ، ودرجة الاتفاق بين اتجاهات الفرد واتجاهات الآخرين •وقد استعمل نيمان اصطلاح الدور للدلالة على سلوك الشخص فى موقف خاص تحدده علاقات محددة • ورأى نيمان ان اتجاهات الفرد هى استجابات متعددة مكتسبة لمجموعة من المتغيرات تعلم فى وسط اجتماعى (١) • ومن الواضح ان نيمان قد اغفل الادوار الاجتماعية التى يتكون منها البناء الاجتماعى ، واهتم بادوار الفرد وعلاقات دوره مع الدور المتبادل اثناء تفاعل العلاقات مع الآخرين • ونحن نرفض هذا الاتجاه الذى يؤكد ان الادوار تكون الشخصية • فالادوار الاجتماعية تكون جانبا من جوانب الشخصية، ولا تكون كل الشخصية• فالشخص يتعلم اداء الادوار ويكتسب التوقعات والعادات ويتوحد مع القيم التى تكون محصلتها الجانب الاجتماعى للشخصية •

ومن انصار الاتجاه النفسى الذى طعم آراءه بمفاهيم اجتماعية كوترل لينورد الذى عرف الدور بانه مجموعة من الاستجابات الشرطية المترابطة داخليا عند شخص ما فى موقف اجتماعى والتى تعبر عن اسلوب مثير فى اثارة مجموعة متماثلة من الاستجابات الشرطية المتماسكة فى نفس الموقف • ويرى لينورد ان الجانب الهام فى الشخصية تنظيم ادوار الشخص التى يؤديها فى الجماعة ، وكل شخصية لها دور اساسى وادوار ثانوية تابعة • فالرجل يقوم بدور اساسى وهو الدور المهنى وتقوم المرأة بدور الام ، وهما الدوران المميزان للجنسين• فالدور عنده تنظيم لاتجاهات وعادات الافراد المناسبة لوضع معين فى نسق العلاقات الاجتماعية، وتصور المرء للادوار التى يؤديها اما تصور شعورى او لا شعورى (٢)• وقد اكد لينورد

---

(١) Nieman Linoel: The problem of the concept of Role. op.cit? PP. 141-149.

(٢) Cotterll Linord: The adjustment of the individual age and sex relations. A.S.R. No. 7, 1942, PP.617-620.

كذ لك أن تعلم الدور عامل اساسى فى نجاح عملية التنشئة الاجتماعية للطفل •

ويبين لنا هذا التعريف النفسى الاجتماعى ان لينورد اغفل مطالب الواقع الخارجـى على الشخصية والتى يفرضها البناء الاجتماعى ، ويحاول ان يحققها الدور ، ويبين لينورد أن المرجع الاساسى للاستجابة فى الموقف هو ذات الشخص • ومن ثم فالاستجابات نسبية ما دامت استجابات داخلية ، وهى تتخذ من اساليب السلوك المميز التى تتسم بالعمومية عند أداء دور معين • ونرد على لينورد بأن الادوار ليست استجابات داخلية لمؤثرات خارجية تحكمهـا عمليات نفسية ذاتية داخلية ، بل هى اساليب شائعة تنظم مشاركة الفرد فى المجتمع ، وهـى تشبع حاجاته حسب نظام المجتمع ، وهى مطالب فوق حاجات الفرد تحدد افعالا معينة وتحرم اخرى ، ولا تنبثق هذه المطالب من ذات الفرد ، لكن من تأثير النظم الاجتماعية التـى تحددها الجماعات التى ينتسب اليها الفرد كالاسرة والطبقة والتنظيم السياسى وجماعـات الرفاق والعمل • كما يختلف الدور الذى يؤديه الفرد وتوقعاته للسلوك المرتبط بادوار الآخرين من جماعة لاخرى •

ويقابل الاتجاه النفسى فى تعريف الدور الاتجاه الاجتماعى • وقد اهتم بعض علمـاء الاجتماع والانثروبولوجيا بتعريف الدور وأعطوا فى ذلك تعريفات متباينة • ويعرف نادل عالم الانثروبولوجيا الدور من خلال تحديد البناء • ويرى ان البناء تركيب يتركب من علاقات الأدوار التى يؤديها الشخص ،ولا يتركب من علاقات بين اشخاص ، والدور باعتباره اسلوب الفعل فـى البناء تحدده معايير المجتمع • فالادوار مجموعة من صفات للسلوك ، وكل دور له مضمون مـن الاغراض والافعال والتوقعات والالتزامات • وترتبط بينهم جميعا مجموعة من العلاقات لتأكيـد ثبات السلوك الانسانى • ويصعب عند نادل الفصل بين الادوار المترابطة التى يؤديهـا الشخص الواحد ، فالادوار تتبادل التأثير فيما بينها ، ويتجسد كل دور فى مواقف التفاعـل • وهناك مجموعة ادوار اخرى منظمة فى الموقف ، ويحمل كل دور قيمته بالنسبة للأدوار والاشخاص الآخرين(١)

اما الفريد بالدوين ، فيعرف الدور بانه تصور اجتماعى ، لأنه يرتبط بالبيئة الاجتماعية وهو صورة مستقرة للسلوك تبين أن من يؤدون دورا معينا يسلكون سلوكا موحدا (٢) •

(١) Nadel S.F.: The theory of social structure, op.cit.,P. 11.

(٢) Baldwin Alfred: The Parsonian theory: In Black Max. The Social theory of T. Parsons, op.cit.,P.157

ويوفق عالم الاجتماع ادوارد تولمان بين اتجاه بالدوين واتجاه نادل ، اذ يقول ان الادوار هى اساليب السلوك المناسبة والمتوقعة بالنسبة الى موضوعات معينة لمن يشغلـون مراكز معينة فى النسق الاجتماعى[(١)] . وتتكون هذه التوقعات من مجموعة من الاتجاهات المشتركة والمعتقدات المقبولة والمؤيدة من الناس بما يجب أو لا يجب ان يفعله شاغلو الـدور ، وتؤثر طبيعـة هذه التوقعات على كيفية اداء الفرد لادواره .

وتجمع كل هذه التعاريف على ان الدور هو اسلوب السلوك داخل البناء ، وان معايير المجتمع هى التى تحدد السلوك المرتبط بالدور ، وان الاشخاص يؤدون الدور الواحـــد بطريقة موحدة ، مما يظهر اتفاق وتماسك الاشخاص داخل النسق ، ويبين أن التغير فـــى مكونات الادوار يتأثر بالتغير الاجتماعى .

ونرى أن كلا من الاتجاهين النفسى والاجتماعى قد اهتما بناحية وأغفلا ناحية اخرى ، فقد اهتم الاتجاه النفسى بالشخص واهمل المطالب البنائية ، واكد الاتجاه الاجتماعـــى المطالب الاجتماعية وغاب عنه اثر قدرات الشخص فى توجيه السلوك . ومن ثم فكلاهما قصـــر فى تعريف الدور ، ولذلك ما تلافاه الاتجاه الثالث الذى يرى فى الدور قنطرة تربط الفـــرد بالمجتمع ، لتحقيق الترابط بين الشخصية والبناء الاجتماعى . وقد تزعم بارسونز هــــذا الاتجاه ، ورأى ان الدور عنصر مشترك بين البناء الاجتماعى والشخصية ، وأوضح أن توقعـات الادوار هى اجزاء تنظيمية داخل البناء ، كذلك هى عناصر متوحدة مع الشخصية تؤلف جــزءا من بنائها ، وتساعد عملية التوحد مع القيم على تكوين السلوك المرتبط بالدور ، وتدعيمـــا لهذا الاتجاه قال بارسونز أن كل دور من الادوار التى يؤديها الشخص تكون جزءا مــــن الشخصية[(٢)] . وقبل ان نعرض لرأى بارسونز بشىء من التفصيل ، نعرض لرأى عالم آخــر اتخذ نفس اتجاه بارسونز فى تفسير الدور .

وقد اتجه دانيال ليفنستون اتجاها مماثلا لبارسونز ، وقدم تعريفا للدور يركب فيـه بين حاجات الشخصية والمطالب البنائية . ويؤمن ليفنستون بأن البناء يحتوى على صفـــات نفسية ، كما يحتوى على صفات اجتماعية . ويشير الدور الى أفكار الافراد وافعالهم ، وفى الوقت

---

(١) Tolman Edward: Value standards; Pattern variables; Social Roles, Personality in Parsons and others. Toward a theory of Social action. op.cit., P. 350.

(٢) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 233.

نفسه يرتبط بتأثير المطالب البنائية الاجتماعية على الافراد ، ويتضمن الدور باعتباره مظهرا من مظاهر الوظائف التنظيمية عناصر ثلاثة : هى الوظيفية والتوافق والعملية • وقد حلل ليفنستون الدور فى دراسته ، وبين ان للدور مظهرين ، احدهما نفسى والآخر اجتماعى • فالمظهر النفسى جانب من جوانب الشخصية تبين قدرة المرء على التحليل ، وحل المواقف المتعارضة والاستفادة من الفرص الموجودة ، وتحقيق بعض التوازن بين التغير والاستقرار والمثال والممكن فى بيئة معقدة • فهو يمثل محاولة الفرد لبناء حقيقته الاجتماعية ، ويحدد مكانته خلالها ، ويرشده فى سعيه وراء المعرفة والرضا ، ومن ثم يمكن ان نقرر ان تعريف الدور فى جانبه الشخصى يعنى تحقيق الذات ، اما الدور فى مظهره الاجتماعى فيعبر عن تأثير المعايير التنظيمية والقيم • ويؤدى التغير البنائى الى عدم الاتفاق على تصورات الادوار • فبناء الادوار يستلزم اتفاق مطالب الادوار وتصورات الادوار ، كما ان عدم التوافق يؤدى الى تغير البناء فى ظروف معينة •

ويميز ليفنستون فى تحليله للدور بين مفهومين للدور ، الدور النظرى ، اى باعتباره فكرة ، والدور العملى اى باعتباره سلوكا • ويرى أنه يجب علينا ان نفرق بين المعنيين • فادراك المرء لمعنى الدور يعمل على استقرار البناء الاجتماعى ، او تغييره • فاستقرار البناء الاجتماعى يستلزم ان تكون تصورات الافراد متطابقة مع مطالب ادوار الآخرين • ويؤدى عدم تطابق تصورات الافراد للادوار المثالية مع الواقع الاجتماعى الى احداث تغيرات فى النظم الاجتماعية ، ويرفض ليفنستون الاتجاه القائل بأن الذين يشغلون مراكز واحدة يحملون تصورا واحدا عن الدور لارتباط تصورهم مع المطالب البنائية ، وان مدى انحرافهم عن المثال ضئيل • ويرى ان تصور الشخص للدور يتكون ـ نوعا ما ـ بتأثير عناصر البناء الاجتماعى فى الشخصية • فادراك الشخص للدور يتأثر بتصور الشخص عن الدور والقيم واهداف الحياة وتصوره عن ذاته ، كذلك فتصورات الفرد عن الدور تتأثر بتجارب الطفولة والقيم وسمات الشخصية ومناهج التعليم والممارسة ، ومن ثم يرى ليفنستون أن ادراك الشخص للدور تصور يربط بين الشخصية والبناء الاجتماعى ، فهو انعكاس لمظاهر شخصية الفرد التى تنشط وتدعم فى بيئة ايكولوجية معينة ، ونرى ان وجهة نظر ليفنستون تعبر عن اتجاه تكاملى فى دراسة الدور تضم رأى الاجتماعيين الذين يرجعون سلوك الدور الى البيئة الاجتماعية ، ورأى النفسيين الذين يردون الدور الى الخواص النفسية • والدور جسر يربط الصفات النفسية للنسق الاجتماعى مع الصفات البنائية التى يتوافق معها المرء(١) •

(١) Livenston Daniel: Role, Personality and social structure in the organizational setting. In Smelser Neil (ed.). Personality and Social system, op.cit., PP. 228-240.

وقد كان بارسونز من اوائل الذين اكدوا اهمية التكامل بين الخصائص النفسية والمطالب البنائية فى تعريف الدور • ويرى بارسونز ان البناء الاجتماعى يقوم على أساس تبادل العلاقات بين الأدوار • وهذا الاتجاه فى دراسة البناء ، يعمل على تقدم النظرية البنائية منهجيـــا • وقد أوضح بارسونز ان البناء يتكون من مجموعة علاقات بين الادوار ترتب وتنظم الاشخاص الذين يكونون المجتمع • ويعبر التباين البنائى بين الجماعات الذى يبدو خلال النشاط ، عن تعدد الادوار التى يؤديها الاشخاص داخل الجماعة[1] فالدور هو اتجاه الى الموضوع فى اطار من المصالح والاهتمامات النفسية والوجدانية • فهو تعريف لمجال أهمية الموضوع بالنسبة الـى المرء • ويكون الدور وحده بنائية فى نسق الشخصية ، وفى البناء الاجتماعى ، فهى الوحـدة التى تربط بينهما • وكل دور يجب ان يبين مصالح واهتمامات الفاعل الخاصة ويؤكد مصالـح الجماعة والنظام[2] • ولا تعنى هذه الثنائية التى يتضمنها الدور التناقض بين الذات والاتجاه الى الجماعة بل تعنى التكامل بينهما •

وقد اعطى بارسونز تعريفات عديدة للدور ، غير التعريف السابق ، ففى كتابه " نحـو نظرية عامة فى الفعل الاجتماعى " يعرف الدور بأنه ذلك الجزء المنظم لتوجيه الفاعل والـذى يصيغ ويحدد مشاركته فى عملية التفاعل ، ويتضمن الدور مجموعة من التوقعات المكملة فيمـا يختص بسلوك الفاعل وسلوك الآخرين الذين يتفاعلون معه • وتتخذ الادوار شكل انظمة مستقرة عندما تتطابق مع الانماط الثقافية وتنظم التوقعات المتفق عليها لانماط الجزاءات الاخلاقيـة لتوجيه القيم المشتركة بين اعضاء الجماعة الذين يؤدون نفس الدور[3] وتساعد القيم الـتى تحكم التفاعل بين الادوار المتبادلة والاشخاص على تساند وترابط الادوار التى يؤديهـا الشخص • ويبين لنا هذا التعريف أن سلوك الشخص فى مواقف التفاعل يتأثر بالدور الـذى يؤديه فى النسق الاجتماعى •

ونجد تعريفا آخر للدور الاجتماعى فى كتاب " النسق الاجتماعى " كشف عن تأثره بالنزعة الوظيفية • فقد عرفه بأنه اسلوب أولى تتداخل فى تكوينه المطالب الوظيفية الضرورية[4] ، ويتوافق

---

(١) Parsons Talcott: Introduction to Part two. In Parsons and others. Theories of society, op.cit. P. 239.

(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit. P. 60.

(٣) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 23.

(٤) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 115.

الدور مع قدرات وحاجات من يؤدون الدور كما ان بناء الدور يتلاءم مع امكانيات الشخص .

ونجد تعريفا ثالثا للدور فى نفس الكتاب يبين فيه بارسونز ان الدور يعنى الاختيار بين الافعال المتقابلة بين الاشخاص وتخصيص الواجبات والحقوق والالتزامات والجزاءات [1] .

وقد عرف بارسونز الدور تعريفا آخر يدور حول المشاركة فى الفعل ، ورأى ان الدور هو ما يفعله الشخص اثناء علاقاته مع الآخرين فى داخل النسق الاجتماعى ، فهو المظهر العملى للمشاركة فى نسق الفعل فى حين أن المركز هو مظهر المشاركة الوضعى ، ويدل على مكانة الفرد فى نسق العلاقات . ويعبر الدور عن مشاركة الشخص مشاركة منظمة تنظيما معياريا داخل البناء لاداء فعل ملموس أثناء التفاعل الاجتماعى . ويكون الدور جزءا من نسق الفعل عند الفرد ، ومن ثم فالدور وحدة مشتركة فى تكوين الشخصية وفى تكوين البناء الاجتماعى [2] .

ولقد بين بارسونز ان الانساق الاجتماعية هى انماط مميزة لتوجيه الدور عند ما يلتقى الفرد بالمجتمع اثناء أداء دور ما ، وأن الانسان يتعلم منذ مرحلة الطفولة أداء الادوار داخل الاسرة عند ما يتوحد مع توقعات الادوار ، بيد أن عملية اكتساب الادوار ليست محددة بفترة الطفولة ، بل هى عملية مستمرة . وقد بين بارسونز فى مقاله السن والجنس فى البناء الاجتماعى أن مفهوم الدور يقتضى ارتباط أنماط السلوك بالسن والجنس داخل البناء الاجتماعى المميز . وقد اتخذ بارسونز فترة المراهقة رمزا لتباين السلوك المرتبط بادوار المراهقين باعتبارها تصورا لمجموعة من أنماط ونماذج السلوك تضم مجموعة أدوار متراكبة [3] .

ولقد اهتم بارسونز كذلك فى دراسته للدور بالربط بين الدوافع والادوار ، ورأى أن الافعال الانسانية ، وان سلوك الدور وهما محصلة الدوافع ، اذ يرتبط سلوك الدور بعلاقة وطيدة مع نسق القيم وتوقعات الادوار ، الذين يكونون نسق الحاجات الاضطرارية Need Disposition . فكل الافعال الانسانية التى تعبر عن تفاعل الادوار فى موقف معين تحدث نتيجة دوافع معين ، والوحدات الدافعة وحدات مترابطة تنتظم داخل توقعات الادوار [4] .

---

(١) Parsons Talcott: Toward general theory of action, op.cit., P. 142.

(٢) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P. 25?

(٣) Parsons Talcott: Age and sex in the social structure. In Rose Laub Coser. The family: Its structure and functions, op.cit., P. 254.

(٤) Parson Talcott: Family socialization and interaction Process, op.cit. P. 168.

وقد اشار بارسونز الى ان نجاح الدور فى تحقيق المطالب الوظيفية للنسق الاجتماعية يتطلب وجود حد أدنى من التوافق فى القدرات وحاجات الاشخاص الذين يؤدون دورا معينـــا ، كما يتطلب ان يتلائم تركيب الدور مع المطالب البنائية لتحقيق ارتباط المرء من مجموعة معينـــة من الادوار أثناء النشاط .

ويظهر لنا هذه التعريفات ان مفهوم الدور له معنى وصفى عند ما يصف سلوك الـدور ، ومعنى تفسيرى عند ما يحدد التوقعات المنظمة[1] المرتبطة بأداء السلوك . وتعكس لنا هذه التعريفات درجات متباينة من التركيب بين المطالب البنائية وعناصر الشخصية . وهذا التركيب ضرورى لفهم السلوك الانسانى . فاستخدام البناء الاجتماعى والشخصية باعتبارهما موجهـــين اساسيين لكل سلوك انسانى اشبه باستعمال العينين لرؤية الاشياء ، فاحدهما لا يكفى للرؤية السليمة الكاملة ، فتفسير السلوك بالرجوع الى البناء وحده لا يكفى لتفسير السلوك الانسانى ، والاعتماد على الشخصية فى تفسير السلوك تفسير ناقص تعوزه الدقة والموضوعية . فالاعتماد على البناء وحده ، أو الشخصية وحدها تفسير ناقص ينقصه من الرؤية الاجتماعية للموقف الاجتماعى ، وما يحدث داخله من عمليات تفاعل ، ويقيم حدودا مصطنعة لتفسير السلوك الانسانـــــى لا يتعداها ، ويصف تلك الدراسات بالتحيز والسطحية . ومن ثم فالدور وسيط بين حاجـــات الفرد والمطالب البنائية ويحقق التكامل بينهما . ويحاول مفهوم الدور أن يوفق بين افكـــار وسلوك الاشخاص وتأثيرات المطالب الاجتماعية والقوى المعيارية على الشخصية ، ولنا أن نرى الدور انعكاسا لجوانب الشخصية التى تؤدى نشاطها وتؤكد وجودها داخل البناء[2] . ومن وجهة نظر الدراسات الاجتماعية النفسية يتبين أن مفهوم الدور له دلالتان ، فهو يشير الـى الفرد والمجتمع ، ويعبر عن سلوك الاشخاص فى الموقف اثناء ممارسة النشاط اليومى . فالادوار وحدات بنائية يتكون منها كل من البناء الاجتماعى والشخصية لتنظيـم مشاركة الفرد فى النسق الاجتماعى ، يحدد السلوك المتوقع من المرء اثناء تطور الدور وافق المناسبة والمستقرة ، ويتعارض هذا الاتجاه مع الاتجاه الاجتماعى لتفسير السلوك الذى يرد جميع مظاهر السلوك والافعـال الى المجتمع وحده بما له من سلطة القهر والالزام . ويخالف الاتجاه النفسى الذى تنصـــرف الدراسة فيه الى تفسير السلوك بالرجوع الى الفرد ومجموعة من الانفعالات النفسية والعمليات

---

(١) Kaplan Bert: Personality and social structure. In Joseph B. Gittler, (editor). Review of Sociology. N.Y. John Wiley, 1957. P. 93.

(٢) Levenston Daniel: Role. personality and social structure, op. cit., P. 428.

العقلية والانفعالية ، او يانرجعون الى عوامل فسيولوجية مع انكار كل اثر للعوامل الاجتماعية.
ولكننا نرى ان الصفات النفسية تتداخل فى التأثير على البناء الاجتماعى ، وان العوامل الاجتماعية تتداخل فى تكوين الشخصية الانسانية ، ولا يعنى هذا رد احدهما للآخر او انكار وجود تناقضات داخلية بينهما ، بل هذه التناقضات موجودة لكنها لا تعوق التفاعل بينهما .
فالدور هو الجسر بين الشخصية والبناء الاجتماعى .

ويمكن لنا ان نستخلص من هذه التعاريف التعريف الاتى الذى يجمع بين تعريفى لنتون وبارسونز " الدور هو السلوك المنظم الذى يؤديه الشخص فى المركز المناسب ليشارك فى الموقف ، وتنظمه مجموعة من المعايير والقيم والاتجاهات التى يفرضها المجتمع ، ولا يؤدى الشخص دورا واحدا بل مجموعة من الادوار " .

بعد عرض التعاريف المختلفة فى الدور نرى ان نشرح بتوسع المعنى التفسيرى والمعنى الوصفى للدور ، أى المقصود بتوقعات الادوار والسلوك المرتبط بالدور.

توقعات الدور :

يقوم السلوك الذى يتطلبه اداء الدور على مجموعة من المعايير تصور اتصالا رمزيا بين الافراد يتخذ صورة توقعات كل منهم لسلوك الآخرين . وهذه التوقعات تحدد الواجبات اللازمة لكل دور ، وتختلف من دور لآخر ، فليس اداء الدور عملية آلية ، بل عملية تحكمها مجموعة من المعايير والتوقعات الممكنة التى يتوقعها الشخص اثناء تفاعله مع الآخرين . وهذه التوقعات هى ما يراه المرء والاخرون من سلوك مناسب ملائم متبادل بينهما اثناء التفاعل فى موقف معين . فالمرء اثناء تفاعله مع الآخرين فى الموقف يتوقع مجموعة من الافعال يؤديها الآخرون ، ويمارس نشاطه مقتديا بهذه التوقعات لكى ينال موافقة الغير على أفعاله وقبولهم لها ، وليتجنب عدم رضا الغير ، كما يتوقع مجموعة من الافعال لسلوك الغير معه ردا على سلوكه .

وقد اختلف علماء النفس والاجتماع فى تحديد طبيعة وصفات هذه التوقعات . وقد رأى البورت باعتباره ممثلا للاتجاه النفسى ان هذه التوقعات توجد فى النسق الاجتماعى وهى نتاج الثقافة . وهذه القواعد المنتظرة عند اداء الدور هى قواعد السلوك التى يتوقع معظم الناس ان يسلكها اى عضو فى المجتمع يشغل مركزا معينا . فهى المثال الخارجى لسلوك

منتظر ورائد افهميين ، على ان البورت لم يساير هذا الاتجاه الى غايته ، بل ارتد الــــى الاتجاه النفسى البحت ، ورأى ان التوقعات ليست ملزمة بل للمرء ان يفسرها على هواه ، وله ان يقبلها او يرفضها بعد ذلك[1] . وهكذا يتبين لنا ان البورت قد جنح الى الاتجاه الفردى وجرد التوقعات من قيمتها الاجتماعية ، وافقدها صفة الالزام ، واصبح السلوك عنده عمليـــة اجتهادية تشكل حسب حالة الشخص ، ولا تحكمها معايير ثابتة متفق عليها .

اما بوه Pugh فقد اتجه اتجاها اجتماعيا صرفا ، وبين ان التوقعات هى مجموعة من المطالب المعيارية البنائية والمسئوليات الجماعية الثابتة المحددة التى ترتبط بمركز اجتماعـى . وأشار بوه الى أن تصور المرء للدور ، اى ما يراه ملائم من صور التفكير والفعل لمن هو فى مثـل مركزه ، ليس الا محصلة لتوقعات الادوار[2] . ومن ثم تحكم المطالب الاجتماعية كل صور السلوك والتفكير ولا مجال لشخصية الفاعل فى تحديد سلوكه . ويبدو لنا واضحا مدى اختلاف البورت عن بوه ، فالاول اذاب التوقعات الاجتماعية فى شخصية الفرد ، وأسبغ عليها صفة فرديـــة . اما الثانى فأكد القيمة المعيارية لهذه التوقعات ، وأغفل دور الفاعل نفسه .

أما بارسونز فقد اتجه اتجاها توفيقيا فى تحديد التوقعات ، وبين انها وحدات فــى نسق التفاعل الاجتماعى ، فهى وحدات دافعة ، أى موضوعات تتوحد بها شخصية الفاعل[3] ، وهى فى الوقت نفسه دوافع منظمة لسلوك اعضاء البناء فى حدود المعانى الرمزية لتوجيهـــات القيم . فتوقعات الادوار هى موضوعات تنظمها وتحددها الثقافة السائدة . ومن الواضــــح أن بارسونز قد اعتبر التوقعات عنصرا مشتركا فى البناء الاجتماعى ، وفى بناء الشخصية . فالفرد فى تحقيقه لتوقعات الادوار المنتظرة منه ، او فى توقعه لسلوك معين من الآخرين ، لا يتبـع هواه ، او يقهر على قبول هذه التوقعات ، وانما يفعل ذلك اشباعا لدوافع معينة . فمجموعـة الادوار ترتبط مع نسق الدوافع ، لكن ارتباط عناصر الدوافع التى تولد السلوك يختلف من شخص لآخر . وهذا الاختلاف لا يدفع بارسونز الى تأكيد فطرية الدوافع ، بل الى تأكيد أن الدوافع التى ترتبط بالسلوك لها اساس اجتماعى ، ومن ثم فتوقعات الادوار التى هى وحدات بنائيـة فى مواقف التفاعل هى ايضا وحدات دافعة توحدت بها الشخصية وادمجت فيها . ويرى بارسونز

(1) Allport Gordon: Pattern and Growth in Personality, op.cit., P. 184.

(2) Bugh Dereck: Role activation conflict. A study of Industrial Inspection A.S.R. Vol. 31. 1966, PP 835-842.

(3) Parsons Talcott: Family Socialization and Interaction Process. P. 107.

ان التوحد مع توقعات الادوار ليس عملية مستقلة عن التوحد مع العناصر المكونة للنسق الاجتماعي بل عملية مكملة لها • ويسهم التوحد مع التوقعات في تحقيق تكامل علاقات المرء في مواقف التفاعل •

ويرى بارسونز ان توقعات الادوار التي تحدد افعال الشخصية تحقيق النظام لسلوك الشخصية ، وارتباط السلوك مع توقعات الاخرين ، ليست افعالا نفسية صرفة ، او ظاهرة اجتماعية ، بل هذه التوقعات ترتبط بالنسق الاجتماعي وتتكامل مع توجيهات قيم الجماعة ويتوحد بها الشخص • فالفرد لا يستطيع ان يؤدي دورا معينا دون حساب ردود الفعل المتوقعة من الاخرين ، تلك التوقعات التي ترتبط بالمعايير الاجتماعية ، كما ان توقعات الشخص لسلوك الاخرين ليست عملية عشوائية ، بل انها توقعات تخضع للنظام الاجتماعي ، اذ يتوقع المرء ردود الفعل من الاخرين حسبما ينبغي ان يكون [1] • ويعتمد تحقيق التوقعات على درجة التماسك الاجتماعي ، فاذا شعر أعضاء البناء الاجتماعي بالتماسك والمشاركة في القيم ، والارتباط بالالتزامات الاخلاقية المتفق عليها كان ذلك عاملا حاسما على تحقيق توقعات الادوار وأداءها لوظائفها في تحديد صورة الموقف ، وتحقيق مطالب النسق • واذا ساد البناء الاجتماعي الشعور بالاغتراب وعدم الارتباط واللامبالاة عجز الافراد عن تحديد التوقعات المنتظرة من الاخرين • والتوقعات باعتبارها وحدات بنائية عامة ومشتركة ، فهي تكون جزءاً من نسق الشخصية ، وفي الوقت نفسه تؤلف جزءا من الثقافة الحاكمة السائدة في البناء • فهذه التوقعات المتوحدة تتضمن عنصرا يعبر عن تاريخ البشرية ، وتحتوي رواسب التوحدات الماضية للكائن البشري ، وكل العوامل التي تولد الطاقة للفعل الاجتماعي " [2] •

وتهدف هذه التوقعات المتوحدة الى المحافظة على أستقرار السلوك وتماسك البناء الاجتماعي • ويشترك كل مجموعة من افراد المجتمع في مجموعة من التوقعات تعبر عن السلوك الواجب على الافراد ان يؤدوه • وتحدد هذه التوقعات السلوك المرتبط بالدور لشاغل مركز ما • وتحيط الدور مجموعة من الالتزامات والواجبات والحقوق التي تكتسب في مستوى الموقف ، كما تتضمن التوقعات مجموعة من الدوافع والمعتقدات والمشاعر والاتجاهات والقيم [3] • وليست هذه التوقعات التي تحدد السلوك المرتبط بالدور قيودا امام السلوك ، بل وظيفتها تسهيل انجازات الدور •

(1) Persons Talcott: Social system, op.cit., P. 157.
(2) Pettis Jesse: Introduction to Part 3, Vol. 2. In Persons and other theories of society, op.cit. P. 688
(3) Krech Devid: Individual in society, By David Kreck and others, N.Y. McGraw-Hill, 1962, P. 311.

وبهذا الصدد لنا ان نتساءل كيف صارت التوقعات وحدات فى نسق الشخصية ؟

ان عملية التنشئة الاجتماعية تؤدى الى تعريف المرء بالتوقعات المنتظرة لكل دور والتدريب عليها ، ويتعلم الطفل اثناء عملية التنشئة الاجتماعية السلوك المنتظر منه بالنسبة للآخرين ، والقواعد التى تحدده ، وكيف يستجيب ويتفاعل مع ادائهم ، ولانماط السلوك التى تحيط به فى الموقف • يتعلم الطفل ويدرب على التوقعات المنتظرة عند اداء الدور التى تتم داخل بيئة يتم فيها التفاعل ، وتشكل هذه التوقعات التى ينشأ عليها الشخص سلوكه فى المواقف الاجتماعية المختلفة • فيتعلم المرء ان يفهم مستوى الموقف ، وان يؤدى الادوار المتوقعة منه حسب المراكز التى يشغلها المرء • فالاشخاص الذين لهم ادوار متماثلة تربطهم مجموعة من التوقعات المتماثلة ، وكذلك مجموعة من القيم المتفق عليها التى تحكم اداء الدور ، ولكن عندما يواجه الفرد مجموعة من المتقابلات لا تكفى عملية التعلم السابقة على تحديد سلوكه ، اذ يجب عليه ان يتوافق مع الموقف ، وان يحل المتناقضات داخل الموقف من اجل تحديد التوقعات المناسبة وأداء السلوك المناسب • ويرتبط حل المتناقضات فى الموقف بقدرات المرء وخبراته وتوافق حاجات الشخصية مع توقعات الادوار • ويرتبط تبادل التوقعات فى الموقف الى ادراك الشخص لاتجاهات الآخرين ، ويساعد هذا الادراك على تكوين اتجاهات وقيم الشخصية •
فتوقعات الادوار مظهر من انماط القيم التى تحدد السلوك المناسب للآخرين ، وتنظم هذه التوقعات المتوحدة والمتفق عليها الاستجابات المتبادلة بين اعضاء النسق داخل نسق التفاعل المحدد(١) •

ويساعد تنظيم هذه التوقعات لدى المرء ، وتوحد الشخصية بها على استقرار افعال الشخص ، وثبات الاداء فى المواقف المختلفة ، وتنظيم العلاقات داخل البناء • ويرى بارسونز بحق ان هذه التوقعات المتوحد بها لا تختلف عند الانا والغير ، لكن التفاوت بين توقعات الانا والغير هو تفاوت فى الدرجة • ويرى بارسونز ان هناك شروطا اساسية ينبغى تحقيقها لتوافق المرء مع التوقعات المنتظرة للدور ؛ اولها العناصر الوجدانية ، ومن اهم هذه العناصر احترام الذات ، والشعور بالطمأنينة وتبادل المحبة والتقدير بين الانا والآخر • وثانيها ، القيم الادراكية التى تحدد المنزلة العامة لتوقعات الادوار ، واتجاه توقعات الادوار(٢) ، واخيرا نسق الجزاءات الذى يرتبط مع التوقعات ، ويتداخل معها فى تكوين السلوك المناسب للشخص

(١) Parsons Talcott: Toward a theory of action, , op.cit., P. 190.
(٢) Parsons Talcott: Ibid., P. 62.

المتبادل مع سلوك الآخرين • فالجزاءات والتوقعات كل منهما يكمل الآخر ويؤثر فيه ، اذ يضغط نسق الجزاءات على الفرد الفاعل ضغطا يولد لديه شعورا بالتوتر، يدفعه الى تحديد التوقعات المناسبة للدور وأداء السلوك المناسب •

وموجز القول ان التوقعات المتبادلة ليست مجرد حوافز نفسية للسلوك ، أو حيل نفسية للأداء ، او وحدات القوى الذاتية تحددت بها شخصية الفاعل ، ويرجع اليها اختلاف الافراد على تحقيق التوقعات ازاء مطالب الادوار • وليست هذه التوقعات عناصر اجتماعية ترتبط بالبناء وحده ، بل ان التوقعات باعتبارها عناصر مكونة للبناء هي نفسها عناصر مكونة لنسق الشخصية• فهذه العناصر متداخلة ، وهي تعبير عن علاقة التداخل بين الشخصية والبناء الاجتماعى • ويؤدى استقرار نسق التفاعل بين المرء والغير فى الموقف الى تكوين توقعات واضحة للسلوك المرتبط بالادوار ، كما يؤدى عدم الاستقرار الى غموض وتعارض هذه التوقعات • وتفسر التوقعات المتبادلة المشتركة الطريقة المناسبة للسلوك المنتظر من الدور ، اى التماثل فى السلوك ، واضطراد الأداء بالنسبة للأشخاص الذين يحتلون مراكز معينة • فوضوح التوقعات امر لازم وضرورى لتنظيم السلوك الاجتماعى اثناء التفاعل ، واحيانا قد تكون هذه التوقعات غامضة ومبهمة وخاصة فى فترات التغير ، ومن ثم لا تتلاءم توقعات المرء من سلوك الآخرين مع السلوك الفعلى ، وعندئذ يشعر الفرد بالعجز عن الاداء والاستمرار فى انجاز السلوك المناسب ، ويحس بالصراع والتنافر بين توقعاته وتوقعات الآخرين • ويظهر هذا الصراع بين التوقعات المتبادلة كمظاهر التفكك الموجودة فى البناء ، ويترك التنافر بين التوقعات المتبادلة اثره على الشخص اثناء الاداء فى مواقف التفاعل ، فيشعر بالتوتر والحيرة، بيد ان الحال لا يستمر طويلا ، اذ سرعان ما يبدأ البناء فى اعادة تكوينه من جديد ويبدو ذلك فى ظهور اساليب جديدة من الضغوط الاجتماعية• يدفعنا التوتر الظاهر فى أنماط السلوك والناشىء عن تضارب توقعات الادوار ونسق الجزاءات الى تأكيد أن البناء الاجتماعى والشخصية متداخلان • فعلاقة الشخص بالبناء ومشاركته فى الموقف تحددها مجموعة من التوقعات المكملة ازاء افعاله وأفعال الآخرين (١) ، ومن ثم فالتوقعات ذات دلالة اجتماعية ونفسية لأنها تحدد أداء الشخص للدور فى الموقف •

---

(١) Parsons Talcott: Ibid., P. 23.

اداء الـــدور :

بعد ان عرضنا لمعنى الدور التفسيرى نعرض لمعنى الدور الوصفى ، أى اداء الدور، ويقصد به السلوك او النشاط المعين الذى يقوم به المرء فى الموقف • وقد اختلف الاجتماعيون والنفسيون فى تفسير الاداء المرتبط بسلوك الدور • فيقرر البورت ان الاداء فعل نفسى (1) ، اذ ان مستويات القدرة على الاداء تختلف من شخص لآخر ، ومن ثم يختلف الاداء من شخص لآخر • واتجه كرتش اتجاها نفسيا مضفيا عليه صبغة اجتماعية، ويبين ان معنى الاختلاف فى الاداء يوجد فى الافراد لاختلاف القوى النفسية الاساسية مثل القوى الادراكية والارادة والسمات الشخصية • بيد أن التفاوت فى القدرات الفردية ليس مطلقا ، انما تحدده قيود البيئة (2) •

أما كوتو وبوه اللذان يمثلان الاتجاه الاجتماعى فى دراسة الدور فيقرران ان اداء الدور ظاهرة اجتماعية ، فاداء المرء لدور معين يعنى السلوك الفعلى للفرد بالنسبة الى مركزه اذ ان السلوك المرتبط بالدور يعبر عن قوة الضغط الاجتماعى (3) •

وقد قام اتجاه يوفق بين الاتجاهين النفسى والاجتماعى فى تفسير اداء الدور ويشير الى ان سلوك الدور يعبر عن الجانب الظاهر من تعاريف الدور عند المرء ، أى الاساليب المميزة التى يسلكها الشخص باعتباره شاغل المركز • ويرى ليفنستون ان المجتمعات تفترض نمطـــا مثاليا للاداء يرتبط بالمطالب البنائية ، بيد أن الاختلاف فى الاداء مسألة طبيعية مثل كـل اشكال السلوك الانسانى ، وهو محصلة عاملين ، احدهما ينبع من البناء التنظيمى ، وتحدده مطالب الادوار والجزاءات والضغوط الاجتماعية ، والآخر يعبر عن صفات الشخصية وتصورات الشخص عن الدور (4) • وقد اكد بارسونز هذا الاتجاه ويبين ان كل سلوك للدور له دافـــع، يرتبط بنسق القيم وتوقعات الادوار ، ويبقى الدافع تحقيق الرضا من وراء اداء الفعل، وقـد بين بارسونز ان اداء الدور فى داخل الموقف الاجتماعى هو استجابة لتوقعات الآخرين ، وتحقيق للمعايير الاجتماعية، بيد ان اختلاف الاداء يرجع الى اختلاف التعلم (5) •

---

(1) Allport Gordon: Pattern and Growth in Personality, op.cit., P. 304.
(2) Krech David: Individual in society, op.cit., P. 313.
(3) Couto Walter: Role Playing-vs Role taking: an appeal for clarification. A.S.R. Vol. 16, 1951, PP. 180-187.
Dugh Derck: Role activation, conflict, op.cit., PP. 835-842.
(4) Levenston Daniel: Role, personality and social structure in the organizational setting, op.cit., P.435.
(5) Persons Talcott: Structure and process, op.cit., P. 193.

ويقرر الاتجاه التوفيقي ان الاختلاف في الاداء ليس الا مسألة عرضية ، اذ يعتمد الاداء على استقرار نسق القيم والمعايير ونسق الجزاءات التي تتوحد بها الشخصية اثناء التفاعل • كذلك يعتمد الاداء على الاشباع المباشر الاختياري للدوافع • فالسلوك الواضح عند أداء الدور - الذي يظهر في مواقف التفاعل - محصلة قوى نفسية واجتماعية • وفي الوقت نفسه سلوك غرضي • وما تفضيل المرء لاداء دور ما الا تعبيرا عن محاولة الفرد التوفيق بين القوى الذاتية والظروف الاجتماعية ، لذا يختلف الاداء في المجتمع البسيط عن المجتمع المركب ، كما يختلف الاداء عند الرجل عند المرأة ، والطفل عن الراشد لاختلاف تعاريف الابعاد المتعددة لاداء الدور • فأداء الدور لا تحكمه المطالب البنائية وحدها بل يتأثر بالصفات النفسية التي تدفع المرء الى الاتجاه نحو دور ما أو آخر ، وتؤثر على كيفية الاداء •

ويدعم جيس بيتس هذا الاتجاه في تفسير السلوك ، ويرى ان الاداء هو الوجه الظاهر من الشخصية ، الذي يرتبط بالعالم الخارجي ، وينشق من بناء ادوار المجتمع بغية تحقيق شيء ما ، وبلغة فرويد تشبه الرغبة في الانفصال بالموضوع الرغبة في اداء الدور[1] • لكن لا يسير اداء المرء لادواره على نمط واحد • فاداء كل دور يتميز عن الادوار الأخرى في الجماعة، وهذا الاختلاف في الاداء ظاهرة اجتماعية سوية ، وليد قوى اجتماعية ونفسية تعبر عن ظروف تقسيم العمل والارتباط العاطفي بين اشخاص المجتمع[2] • وبدون هذا التخصص في الاداء لن يوجد مجتمع على الاطلاق •

وهذا الاتجاه في تفسير سلوك الدور هو أكمل التفسيرات ، اذ يرى ان اداء الدور لا تحدده قدرات الشخص النفسية - كالرغبة والادراك والمعرفة - وحدها بل تحكمه كذلك المعايير الاجتماعية ، لأن الاداء يتغير بتغير المراكز التي يحتلها الشخص في المواقف الاجتماعية • ويرفض هذا الاتجاه ربط السلوك بالقوى النفسية وحدها ، او المطالب البنائية وحدها ، ويؤكد ان السلوك المرتبط بالدور تحدده طبيعة مواقف التفاعل التي تعبر عن المشاركة المنظمة لتحقيق أداء الدور • ويرفض هذا الاتجاه الرأي القائل بأن الشخصية مجموعة ادوار • فليست الادوار كل الشخصية ، ولكنها جزء من النسق السلوكي للشخصية ، واستقرار

---

(1) Pettis Jesse: Introduction to Part 3, Vol. 2. In Parsons and others. Theories of society. op.cit., P.688.

(2) Parsons Talcott: The structure of social action, 4th Princtin N.Y. Free Press, 1966, P. 321.

اداء السلوك تعبير عن استقرار البناء الاجتماعي ، وتماسك نسق الشخصية في الوقت نفسه. ويعتمد الاستمرار الوظيفي للنسق الاجتماعي على الاداء المناسب والمنظم للافعال الاجتماعية التي تحدد نمط الدور الذي يؤديه الشخص ، كما يطلب المجتمع دائما الحد الادنى للاداء المطلوب من الشخص في مواقف التفاعل . فالمجتمع يفرض على افراده سلوكا معينا في المواقف الاجتماعية . وقد يختلف سلوك الافراد عن السلوك المثالي المطلوب منهم ، لكن المجتمع يكافئ سلوك الشخص المتوافق مع معايير المجتمع ويعاقب المنحرف ؟ فسلوك الدور تحدده قيم المجتمع ومعاييره المتوحدة مع الشخصية ، ثم قدرات الشخص .

لكن كيف يؤدي الشخص السلوك الذي يتطلبه الدور ؟ ان سلوك المرء عند أداء دور معين هو نتاج عملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ من الطفولة ، وبالاحرى فمنذ ان يدرك الطفل معنى اتجاهات الاخرين(١) يتعلم كيف يؤدي ادوارا معينة ، وهو يتعلم كيفية أداء الادوار التي تتناسب مع السن والجنس بأساليب شعورية ولا شعورية أثناء تفاعله مع افراد أسرته .

ويرى أنصار المدرسة النفسية ان السلوك المرتبط بالدور ثابت لا يتغير بتأثير التربية في السنوات الاولى ، ولا يتأثر بظروف العمل في البيئة الاجتماعية ، وقلما تنحرف الشخصية عن السلوك المتفق عليه عند اداء الدور ، ويتم هذا الانحراف ـ ان حدث ـ بطريقة لا شعورية . ونرى مقتدين ببارسونز أن انماط السلوك التي تتطلبها الادوار ، والتي يتعلمها الطفل في طفولته ليست ثابتة ، بل تتميز بالتغير المستمر كلما تشعبت وتراكبت علاقات المرء ، كما يرتبط التغير بالسلوك بتغير مضمون الدور من طور الى طور . فالدور الاجتماعي وما يتطلبه من سلوك مرآة لعلاقة البناء الاجتماعي والشخصية ، اذ يمتلك الشخص مجموعة من القيم والاتجاهات والاحساسات والانفعالات تلزمه بأداء سلوك معين في موقف محدد .

وقد اهتم نيوكم عالم النفس الاجتماعي في دراسته للدور ببيان أثر النمط الدافع في سلوك الدور ، وبين ان سلوك الدور له نمط دافع ، ويختلف من شخص لآخر ، ويتطلب قدرا من المعرفة والادراك ، ولكن كل هذا يستند الى مجموعة من المعايير الاجتماعية المشتركة التي تحدد اداء الدور ، فالادوار هي القوالب التي يتكون منها بناء المجتمع(٢) ، ويشكل داخلها سلوك

(١) Newcomb Theodre: Social psychology. London. TA vistock Publication Ltd. 1952, P. 310.

(٢) Newcomb Theodre: Ibid., P. 332.

الافراد . وقد اشار نيوكم الى مجموعة من العوامل التى تساعد على وحدة الاداء . العامل الأول السمات الفطرية البيولوجية . والعامل الثانى الظروف المميزة التى يتعلم منها المرء اداء الدور . والعامل الثالث وحدة ادراك الذات . والعامل الرابع المجموعة المميزة لاتجاهات الآخرين .

ويرى نيوكم انه يجب ان نميز بين الوظائف التى يؤديها الدور والدوافع المنظمة وراء نمط الدور فى شخصية معينة . فاحتلال الشخص لمراكز معينة لأداء ادوار اجتماعية يؤدى الى اشباع دوافع الشخصية . فالوظائف المرتبطة بالادوار تتبادل مع الدوافع لأداء هذه الادوار . وقد أعطى نيوكم مثلا لذلك عن سلوك الأم . فسلوك الأم يرتبط بالدوافع الى المحافظة على حب الزوج ورعاية الابن واحراز سمعة طيبة كزوجة مدبرة ترعى شئون زوجها وبيتها وتحافظ على علاقاتها مع زوجها واولادها . ويؤكد نيوكم اننا لمن نفهم سلوك الدور ما لم نفهم الدوافع وراء هذا السلوك . فمعنى الدور يتضمن الدافع وراء السلوك ، وارتباط الدافع بالدور يؤكد الرابطة بين الظروف النفسية والاجتماعية وتداخلهما فى تشكيل السلوك واداء الدور . وقد ميز نيوكم بين الدافع والادوار ، واشار الى ان الدوافع ترتبط بالشخصية ، اما الدور فيشير الى التنظيم الاجتماعى(1) .

وقد كانت نظرة بارسونز فى العلاقة بين الدافع والاداء اكثر شمولا من نظرة نيوكم . وقد اظهر بارسونز ان الرابطة بين اشباع الحاجات وتكامل البناء وأداء الادوار تتحقق فى مظهرين ، احدهما ان اشباع الحاجات دافع اساسى وراء اداء الدور والاستمرار فى الاداء ، رغم ما يكتنف المرء من صعاب ، وتحقيق الاشباعات سبب مباشر فى تكامل البناء وتماسك اعضائه . والمظهر الآخر ان الاختلاف فى الاداء لا يرجع الى الدوافع الفطرية ، بل يرجع الى اختلاف القيم المتوحد بها(2) .

ومن ثم نرى أن اداء الشخص لدور لا يرجع الى الدوافع البيولوجية وحدها أو الى قدرات نفسية وحدها ، ولا الى صفات الاستجابات الشخصية . فالواقع ان هذه الصفات النفسية والفطرية تسهم مع القيم المتوحد بها فى تحديد اداء السلوك الذى يتطلبه الدور ،

---

(1) Newcomb Theodore: Ibid., P. 614.

(2) Parsons Talcott: Structure and Process, op.cit., P. 193.

وتدفع المرء الى اختيار دور معين دون آخر . فأداء الدور وان ارتبط الى حد ما بسمات الشخصية ، فليس هو وظيفة للأنا ، تحكمه التفسيرات اللاشعورية والرغبات ، بل هو أساساً صورة واقعية لدرجة تنظيم البناء الاجتماعي ، ووظيفة من وظائف الشخصية . ففي البداية تحدد سمات الشخص طريقة الأداء ، ولكن استمرار الأداء يخضع المرء لتأثيرات اجتماعية خارجية وتحدد الجماعات التي ينتمي اليها ، يحدد أداء المرء وشخصيته بطابع الجماعة التي يرتبط بها الفرد في طور معين من اطوار النمو . فالأداء هو محصلة التفاعل بين العوامل الاجتماعية والعوامل النفسية في الموقف ، ويتقيد أداء المرء السوي للدور بالمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع والقيم الاجتماعية ، وتوجيهات الافراد الى المواقف ، والاتفاق الجماعي عليها أو عدم الاتفاق . ويستلزم التصور الواضح لأداء الدور والمحافظة على البناء الاجتماعي واستقراره وجود تجانس بين تصورات الأفراد عن الأداء ، ويطالب الادوار ليتسنى أداء الدور اداءاً سليما يتفق مع المجتمع ومعاييره ، كما يساعد وضوح الدور او غموضه في الموقف على اختلاف درجة الأداء ، ولن يستطيع المرء ان يؤدي السلوك المناسب للمسند هو اذا كان الموقف غامضا ، ولذا فان فكرة الشخص عن الدور المهني او دور الابوة أو فكرة المرأة عن دور الامومة او دور الزوجة او الدور المهني ، والسلوك المرتبط بكل دور ترتبط الى حد كبير ـ بتجارب الطفولة والقيم المتوحد بها في مواقف التفاعل . ويتغير أداء المرء للسلوك المرتبط بالدور بتغير علاقات المرء بالبناء الاجتماعي . فأداء الدور تحقيق لقيم المجتمع ومعاييره ، ويتحول لتصور الدور المثالي عن السلوك الواجب الى انجازات فعلية للدور ، ويلزم الافراد بأداء الادوار بطريقة معينة لتحقيق التوقعات المنتظرة والمقبولة قبولا شرعيا ، ورفض التوقعات اللاشرعية ، وتحدد مجموعة التوقعات كيفية الاداء التي تخضع للظروف البنائية . وما الاختلاف في درجة الأداء الا مظاهر الفروق النفسية بين الافراد وتباين توحد اتهم مع توجيهات القيم والالتزامات الاخلاقية .

مضمون الدور :

تكشف لنا تعريفات أصحاب الاتجاه الثالث التي تسم الدور بالتوافقية والوظيفية والديناميكية في الموقف ، ان السلوك المرتبط بالدور في مواقف التفاعل ، وتحديد المرء للتوقعات المنتظرة من ادوار الآخرين ، يتماثلان في المواقف المتماثلة ، ويختلفان في المواقف المختلفة ، كما يختلفان باختلاف السن والجنس في البناء الواحد ، وكذلك من

بناء لآخر ، ومن نسق الى آخر فى البناء الواحد • وهذا يعنى أن الدور ليس مفهوما ثابتا مجردا ، وانما هو اشبه بقالب تتغير محتوياته تبعا لما يصب فيه من عناصر ، وتمثل هذه العناصر التى يتوحد بها الشخص ليصير عضوا مقبولا على ضبط اداء السلوك المرتبط بالدور فى الموقف ، وتحدد التوقعات المتبادلة اثناء الاداء فى الموقف ، وتختلف هذه العناصر من دور لآخر ، كما يتفاوت ترتيب العناصر المكونة للدور من بناء لآخر حسب تنظيم البناء العام لادوار المجتمع • فلكل بناء تركيبه الداخلى ، او تكوينه المميز الذى يحدد تصورات اعضائه لمطالب الادوار • وقد عارض كثير من علماء النفس الاتجاه القائل بتغير مضمون الدور ، ورأوا ان مضمون الدور الواحد ثابت لا يتغير ، فبناء الدور الواحد يظل ثابتا لا يتغير لأن الشخص لا يستطيع ان يتحرر من ارتباطاته بالادوار التى اكتسبها ، ومن ثم لا يستطيع المرء ان يغير من تقمصاته للآخرين ، ويظل بناء ادوار شخصية المرء ثابتا لا يتغير ، رغم تغير علاقاته الاجتماعية •

ونحن نرفض هذا الاتجاه ، ونقبل الاتجاه الأول الذى يرى ان مضمون الدور يتأثر بالظروف البنائية الاجتماعية والنفسية والوراثية ، وهو بؤرة التلاقى بين هذه الظروف[1] والدور باعتباره احدى الوحدات التى يتكون منها المجتمع تتغير مكوناته تبعا للتغيرات الاجتماعية فى المجتمع ، وتغير المراكز الاجتماعية للمرء ، وتغير علاقات الشخص فى اطوار النمو ، وتغير حاجات الشخص وقدراته • وتؤثر هذه التغيرات فى العناصر المكونة للدور ، وتساعد على تغيير السلوك المرتبط بالدور ، وليس تغيير العناصر المكونة للدور بالامر اليسير اذ يصاحب عملية تغير مكونات الدور ظهور مظاهر من التوترات والصراعات يعانى منها المرء اثناء ادائه للسلوك المرتبط بالدور فى مواقف التفاعل •

وقد اكد بارسونز ان محتوى الدور يختلف باختلاف السن والجنس والمركز الاجتماعى ، وأوضح ان مكونات دور الام يتأثر بعدد الاولاد وأعمارهم ، وهذا كله يؤثر فى اداء الام لادوارها ، كذلك يتغير محتوى الدور المهنى بتغير مكانة المرء فى النسق المهنى • فمكونات الدور المهنى التى تقع فى قمة السلم المهنى والذى يرتبط بالمسئولية ، غير مكونات الدور المهنى الذى يقع فى أول السلم • ومن ثم يتغير مضمون الدور المهنى اذا تغير المرء من

---

(1) Goode William: Theory of Role Strain, op.cit., PP. 483-496

وظيفته وصعد الى وظيفة ارقى[1] . ويرى بارسونز ان انشغال الأم المتفرغة باعمال المنـزل وتربية اولادها يمتص كل جهدها ، وتخف هذه الاعباء المنزلية كلما كبر الأولاد ، ولكـن يصاحب ذلك ازدياد مسئوليات الرجل المهنية ، وتقوى التزاماته نحو المجتمع نتيجة صعود ه السلم المهنى ، ويرى بارسونز ان تخفيف الاعباء المنزلية عن المرأة بصفتها اما وزوجة ، وانصراف زوجها عنها الى عمله ، يؤدى الى تغير مضمون كلا من دورى الام والزوجة ، ويولد لديهـا شعورا بالتوتر وعدم الطمأنينة[2] .

وكما يتغير مضمون الدور الواحد ، كذلك يتباين تنظيم وتركيب العناصر المكونة لكـل دور ، فمكونات الادوار التى ترتبط بصلة الدم والتى تعتمد على الصفات الشخصية المستقلة عن الاداء النفعى تختلف عن مكونات الادوار المكتسبة التى تؤكد أهمية الانجاز والاداء اكثر مـن تأكيدها الصفات الوجدانية . ويتجلى هذا الاختلاف اثناء المشاركة فى مواقف متكاملة ، كذلك تختلف مكونات الادوار النفعية المكتسبة بعضها عن بعض ، فمكونات الادوار المهنية تختلف عن مكونات الادوار الزواجية ، كما تختلف مكونات دور العامل الصناعى عن دور كل من الزارع والطبيب والجندى ، كما تختلف مكونات ادوار الزوج عن مكونات ادوار الزوجة . وهذا الاتجاه فى تفسير ديناميكية الدور وهو الاتجاه الذى اخذت به المدرسة الاجتماعية المعاصرة ، هـو الاتجاه الذى تقبله وتسير عليه .

واذا كانت العناصر المكونة للدور تتباين من دور الى آخر ، مما يميز السلوك المرتبـط بدور ما عن السلوك المرتبط بأدوار اخرى ، فان بارسونز يرى ان مجموعة الصفات والعناصـر التى يكون مجموعها نظام الدور الواحد ، وتحدد كيفية الاداء ، تتكون من مجموعة من العناصر الاجتماعية والنفسية والوراثية[3] . بيد أن تركيب هذه العناصر غير متكافىء فى الدور الواحد ، فهناك مجموعة من الصفات الرئيسية فى تكوين الدور يؤدى غيابها الى تغير اساسى فى الاداء ، ورد الفعل المتوقعة ، وتعطى هذه الصفات الاساسية الدور الصفة الشرعية ، كما يحتـوى الدور على مجموعة من الصفات يؤدى غيابها الى عدم تمام الاداء ، واحساس الشخص الذى يؤدى السلوك الذى يتطلبه الدور بالتوتر والصراع ، كذلك يتضمن الدور مجموعة من الصفـات

---

(1) Persons Talcott: Social system, op.cit., PP. 241-242.

(2) Persons Talcott: Age and sex in the social strucure. In Rose Laub Coser (ed.). The Family its structure and functions, op.cit., P. 261.

(3) Persons Talcott: Family. Socialization and Interaction Process, op.cit., P. 314.

الثانوية لا يؤثر وجودها او غيابها فى تكامل الاداء وتحديد السلوك •

وسنحاول ان نحلل العناصر التى تدخل فى تكوين كل دور ـ ولكن بنسب متفاوتة ـ لتوجيه السلوك ، مراعين فى تحليل الادوار الابتعاد عن الاشخاص الذين يؤدونها •

اولا : القيم والمعايير :

اول العناصر الاساسية فى تكوين الدور هى مجموعة القيم والعناصر الثقافية ونسق الجزاءات السائدة فى المجتمع • وتضفى هذه القيم والمعايير على الدور الصفة المعيارية ، وتحدد له السلوك المناسب والمقبول شرعا • فنسق الادوار لا يوجد مستقلا عن نسق القيم والمعايير • فهذه المعايير تربط الادوار بالنسق التنظيمى للمجتمع ، وتشير هذه المعايير والقيم التى تكون الادوار تحجز عملية التفاعل عن الاستمرار والثبات ، كما تختفى كل التسهيلات التى تحقق التوافق لاداء السلوك ، وتحدد هذه القيم شرعية الجزاء لبعض اساليب الفعل والتفكير والعواطف عند الحكم على الآخرين • فالقيم من العناصر الاساسية فى تركيب الدور وتحدد القيم السائدة فى المجتمع مجموعة الادوار الاجتماعية ، وكيفية اداء السلوك المرتبط بها • وترى فلورنس كلاكهون ان الادوار تعكس القيم السائدة فى المجتمع ، وتبين توجيهات القيم السائدة والمتغيرة ومنزلتها فى المجتمع (١) • وترجع أهمية توجيهات القيم بالنسبة الى الدور الى انها تحدد مجموعة الادوار السائدة والمتغيرة ، ويؤدى تغير توجيهات القيم الى تغير الادوار ، وترتيبها فى المجتمع ، وأيضا تغير مضامين الادوار المختلفة • فالقيم هى التى تربط وتنظم العلاقات بين الادوار العامة والخاصة ، والادوار التى ترتبط بصلة الدم والادوار المكتسبة • وتسهم فى تشكيل السلوك المرتبط بالدور ، ومن ثم فالافراد الذين تتماثل ادوارهم ، وتجمعهم مجموعة قيم متماثلة تتكامل فى الشخصية وتربطهم مجموعة من توقعات الادوار ، لا يدركها الآخرون الذين لهم قيم مغايرة • فلكل من ادوار الاسرة والنسق المهنى مجموعة من القيم تحدد أهدافها ، وتشكل السلوك المرتبط بالادوار ، كما تختلف القيم التى تحكم الادوار داخل كل من النسق المهنى ونسق الاسرة • فمثلا تختلف القيم التى تحكم دور الأب عن القيم التى تحكم دور الأم فى نسق الاسرة ، كما تختلف القيم التى تحكم دور الزوج عن القيم التى تحكم دور الزوجة • فالقيم التى تحكم سلوك الرجل قيم عملية

---

(١) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation By Florence Kluckhoon and Fred L. Stodlbeck. N.Y. Row Peterson 1961, P. 39.

واقعية ، بينما قيم المرأة تتسم بالتحيز والايثارية •

ولا يرجع الاختلاف في اداء الادوار داخل نسق التفاعل الى نسق القيم بل الى منزلة كل من هذه القيم لدى الشخص الفرد ، وتوجيهات القيم عند الاشخاص داخل الموقف • ويتوحد الشخص في مواقف التفاعل المختلفة مع مجموعة من القيم السائدة في المجتمع كخطوة اولى لاكتساب الادوار ، وتعلم الاداء ، وتتداخل القيم السائدة والمتغيرة في تحديد الادوار التي يؤديها الاشخاص ، وتتماثل هذه الادوار مع القيم الموجودة في المجتمع ، كما تعمل هذه القيم المتوحدة على ترتيب وتحديد الادوار عند الشخص وتنظيم اسلوب الاداء •

ثانيا : الالتزامات الاخلاقية :

ومن العناصر الهامة في تكوين الدور الالتزامات الاخلاقية ، فكل دور يتضمن مجموعة من الالتزامات الاخلاقية ، ويؤكد قبول الفرد لهذه الالتزامات عضويته في الجماعة، وارتباطه بها • ولكن وقوف الفرد موقفا سلبيا من هذه الالتزامات او قهره على قبولها يولد لديه احساسا بالخوف والتوتر ، ويقبل الفرد الالتزامات الاخلاقية التي تحدد سلوك الدور خوفا من الجزاءات الرادعة في المجتمع • ونتساءل أثمة التزام اخلاقي واحد يضبط السلوك الذي تتطلبه الادوار؟ وبعبارة اخرى ، هل يدخل في تكوين الادوار عنصر اخلاقي واحد ، أم ثمة مجموعة من الالتزامات الاخلاقية المتعددة تكون كل دور مما يؤدي الى تنافر الادوار وحدوث الصراع فيما بينها ؟ •

ونرى أنه لا يوجد معيار واحد يحدد تركيب كل دور ، فثمة التزامات اخلاقية متعددة منها التزامات اخلاقية ترتبط بالسن والجنس ، ومنها ما هو عام يصلح لجميع الاعمار من الجنسين ، ومنها ما يعكس تركيب التنظيم الاجتماعي ، والانساق التي يرتبط بها المرء • وتحدد الالتزامات الاخلاقية التي تدخل في تكوين الادوار مطالب الادوار ، والسلوك المرتبط بالدور ، وتنبع هذه الالتزامات الاخلاقية من مصادر مختلفة متعددة منها :

المصدر الأول : الايديولوجيات التي تعبر عن ثقافة المجتمع السائدة •

والمصدر الآخر: طبيعة العلاقات داخل البناء•

ويجب ان تتميز الالتزامات الاخلاقية التي تدخل في تكوين الدور بالوضوح ، وان يتفق عليها افراد المجتمع ليسهل اداء السلوك المرتبط بالدور ، ولتحديد التوقعات المنتظرة عند اداء كل دور تحديدا واضحا ، وقد يشعر الافراد احيانا بغموض هذه الالتزامات الاخلاقية،

وقد يشعر قلة من الافراد بالتباين بين الالتزامات الاخلاقية الواضحة والاخرى التى يعجزون عن التعبير عنها سلوكيا لعدم ادراكها وفهمها ، ويؤدى التشابه والاختلاط بين المعايير والقيم الى الاختلاف والتضارب فى اداء المرء لدوره ، والى تنافر الادوار فيما بينها •

ثالثا : العناصر البيولوجيـــة :

تتداخل العناصر البيولوجية مع العناصر الاجتماعية لتحديد سلوك الدور ، فيؤدى الاختلاف البيولوجى بين الرجل والمرأة الى تفاوت نفسية كل منهما ، ويؤدى هذا التفـــاوت الى تمايز القدرات بينهما ، ومن ثم تباين القدرات على الانجاز والاداء ، مما يساعد علـى اختلاف اشكال السلوك لكليهما داخل المواقف الاجتماعية• وهذه العوامل البيولوجية أضعف العوامل فى تكوين الدور ، بيد ان السلوك المرتبط بعوامل السن والجنس يختلف من مجتمع لآخر ، كما يتميز فى المجتمع البدائى عن المجتمع الحضرى ، ولا يرجع التمايز بين ادوار المراهقة وادوار الرشد فى المجتمع البدائى والمجتمع الحضرى الى العمر الزمنى وحده بقـدر ما يرجع الى تحديدات اجتماعية ترتبط بكل سن • فارتفاع نسبة الطلاق بين صغار السن فـى المجتمع الامريكى يرجع الى عجزهم عن تحمل مسئوليات ادوار الراشدين[1] ، لا الـــــــى الاختلافات البيولوجية بينهـم •

وقد صنف بارسونز العناصر المكونة للدور تصنيفا جديدا ، وبين ان الدور يتكون مـــن عناصر ثلاثة : العناصر الاخلاقية ، والعناصر الوجدانية ، والعناصر الاخلاقية •

وتعبر العناصر العقلية عن المعايير الايديولوجية فى البناء • وتهتم هذه العناصـــر بالتفاعل النفعى بين الفاعل والآخرين من اجل تحقيق الاهداف والمعايير ، اكثر من اهتمامها بتحقيق الاشباع المباشر والوقتى اثناء الارتباط بالموضوع ، واثناء تقسيم العمل • وتهـــدف العناصر العقلية الى تغليب حكم العقل على اهواء العاطفة ، وترتبط هذه العناصر العقليـة بالاداء ، وتهدف الى تحقيق الانجازات • وهذه العناصر ثابتة ومستقرة ، ويعمل المـــرء دائما على حل المشكلات الوظيفية التى تنبع من علاقات الشخص مع الآخرين حلا مباشرا وفـــى الحال من أجل استمرار البناء الاجتماعى بمساعدة هذه العناصر•

---

(١) Merrill Francis: Society and cultures: By Francis Merrill and Wentworth Eldredge. 5th Printing. Englwood. Cliffs N.J. Prentic Hall 1960, P. 188.

اما العناصر الوجدانية فتعبر عن العناصر النفسية المكونة للدور وتهتم بتحقيق الاشباع المباشر ، وتستجيب للنداءات العاطفية • ولا تتأثر بأحكام العقل • يدعم لنتون رأى بارسونز فى أهمية العنصر الوجدانى فى تكوين الدور ، اذ يرى أن العنصر الوجدانى يمد الفرد بالحافز الاساسى لأداء الثابت والوعى بأدواره[1] •

اما العناصر التقييمية الاخلاقية ــ فتتضمن كل العناصر الاخلاقية ــ وتهدف هذه العناصر الى المحافظة على العلاقات المألوفة وتحقيق التوازن بين الادوار ، وتحقيق التكامل البنائى للنسق الاجتماعى •

وتتداخل هذه العناصر الثلاثة فى تكوين كل دور وتحديد السلوك المرتبط بالدور ولكنها تختلف فى درجة ترابطها داخل كل دور ، فمكونات الدور الواحد تتباين داخليا من دور لآخر ، مما يساعد على اختلاف مطالب الدور الواحد عن الادوار الاخرى • ويغلب على أداء المرء للدور احدى هذه العناصر، فتتكون لنا ادوار تهتم بالاغراض النفسية والانجاز وتحكمها العناصر العقلية او ادوار تهتم بالاغراض الشخصية وتحكمها العناصر الوجدانية • فتطبع الادوار المهنية بالطابع النفسى والادوار الاسرية بالصفة العاطفية • كما يغلب على أدوار الاهتمامات الوجدانية • ويحكم أداء دور الاب الاهتمامات النفسية • وتؤثر درجة تماسك العناصر المكونة للدور على الشخص القائم بالاداء ، فيؤدى تماسكها الى اضطراد الاداء وانتظام ايقاعه • أما اختلاف طريقة الاداء فيرد الى التنافر بين العناصر المكونة للدور وعدم تماسكها أو عدم التزام المرء بالتوقعات المطلوبة من الدور •

ونحن نأخذ بوجهة نظر بارسونز بأن الدور يتكون من عناصر عقلية وعناصر نفسية وعناصر تقييمية ، ولكننا ندمج العناصر الاخلاقية فى العناصر العقلية مسايرين رأى دوركيم فى أن العناصر الاخلاقية عناصر عقلية •

<u>نسق الادوار :</u>

بعد هذا العرض لتعاريف الدور ، ولمعناه التفسيرى ، ولمعناه الوصفى ، ولمضمون الدور نتساءل أيدرك المرء كل دور منعزلا عن الادوار الاخرى أم يدرك الدور من خلال نسق الادوار ؟

(1) Linton Ralph: The man, Op.cit., P. 476.

نحن نميل الى الرأى القائل بأن الدور فى حد ذاته يتضح اثناء تفاعله فى الموقف واثناء تبادل العلاقات مع الآخرين • وأن الوعى بنسق الادوار بصفته عنصرا يدخل فى تكوين الشخصية يحدث عند تناقض مطالب الادوار سويا اثناء التفاعل فى الموقف • وقد أدى تقسيم العمل فى المجتمع الى تعدد الادوار وتباينها نتيجة لتنظيم وتغيير العلاقات الاجتماعية بين الوحدات التنظيمية داخل البناء الاجتماعى ؛ وتعدد المهن والوظائف ، وتكوين مجموعة من القوانين والجزاءات التى تحدد السلوك فى المواقف المختلفة • فمثلا الحياة الحضرية تزيد من تعدد الادوار وتخصصها والتكوين المستمر لادوار جديدة • ومن ثم تعددت الادوار النفعية والادوار الوجدانية ، وزادت الادوار المتخصصة للرجل والمرأة وتمايزت الادوار حسب اطوار العمر المختلفة • فكل مجموعة من هذه الادوار المتخصصة المترابطة تكون نسقا فى البناء الاجتماعى يربط بينها ، ويتمايز عن انساق الادوار الاخرى داخل البناء • فنسق الادوار الاسرية يتميز بمجموعة مختلفة من الادوار ، اذ يقوم الاب بمجموعة من الادوار غير التى تقوم بها الام أو الابن كذلك يضم النسق المهنى مجموعة من الادوار المتباينة ؛ ومن الواضح أن نسق الادوار الاسرية يختلف عن نسق الادوار المهنية فى السلوك الذى يتطلبه كل دور ، والتوقعات التى تلازم كل دور ، والعناصر التى تضفى على الدور شكله المميز • فكل من ادوار نسق الاسرة والنسق المهنى يتمايز عن الآخر ، وكل منها يختلف عن أدوار النسق العسكرى والتعليمى • ونلاحظ أن نسق الادوار فى البناء الحضرى يتباين عن نسق الادوار فى البناء الريفى • فاتجاهات نسق الادوار فى الحضر تتميز بالشمول والتخصص والايجاز ؛ أما نسق الادوار فى الريف فيتميز بالوقتية والاهتمام بالغايات المباشرة وبصفات الافراد أكثر من المبادىء •

وتتكامل وتنظم الادوار المتخصصة فى نسق يميزها عن الادوار الاخرى ، نتيجة عملية التنظيم الاجتماعى • وتتكامل الادوار جميعها فى البناء الاجتماعى فى نسق الادوار الذى هو جزء من البناء • وتؤدى عملية التوحد الى تكامل وتنظيم الادوار داخل الشخصية • ويساعد تكامل أنساق الادوار فى البناء الاجتماعى على ترابط أنساق الادوار داخل الشخصية — بعد توحدها — • فهذا التنظيم والتكامل بين نسق الادوار لا يتم صدفة ، بل نتيجة عملية التنظيم الاجتماعى لعناصر البناء ، ومحصلة عملية التنشئة الاجتماعية • ويقصد بتنظيم الادوار مفهوم بارسونز تكامل توقعات الادوار المتبادلة وانماط الجزاءات مع نسق القيم المشتركة والسائدة بين معظم أعضاء الجماعة الداخلية ، وحيث يصير نسق أفعال الدور المتبادل جزءا من الشخصية[1] •

(1) Parsons Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 91.

وتساعد عملية التوحد مع القيم والمعايير على تكامل نسق الادوار الشخصية • كذلك تساعد عملية التنظيم على تماسك العلاقات بين الادوار وتكاملها فيما بينها • ويرجع تباين السلوك المرتبط بالأدوار ، وارتباط كل دور بنمط معين من السلوك الى اختلاف القيم المتوحد بها ؛ مما يؤدى الى اختلاف سلوك الافراد ، واختلاف كيفية الاداء من موقف لآخر •

ويرتبط تكامل الادوار داخل نسق الشخصية بتصور الانسان لذاته ، بدرجة انتمائه الى الجماعة • وتساعد المعايير الاجتماعية المتوحد معها على تنظيم ادوار نسق الشخصية، وتنظيم التوقعات التى توجه المرء الى اداء السلوك المناسب مع الاشخاص المشتركين فى النسق الاجتماعى ، ومن ثم تكون الادوار جانبا من الشخصية وجانبا من البناء الاجتماعى ، وليست هذه الادوار ثابتة أو محددة ، بل تتصف الادوار بالتغير المستمر • فالبناء الاجتماعى نشط يغير دائما من العناصر المكونة لمضمون الدور ، ويكف بعض الادوار عن العمل ، ويخلق ادوارا جديدة تتواءم مع المجتمع المتغير • ويكشف لنا تعدد الادوار عن ديناميكية البناء والشخصية وتغير الانساق الاجتماعية • وتغير نسق توجيهات القيم ، وعن تمايز كل مجموعة من انساق الادوار المتباينة بصورتها التنظيمية • وتعبر مجموعة الادوار المتعددة التى يقوم بها المرء عن درجة تراكب البناء الاجتماعى وبناء الشخصية ، كما تؤلف هذه الادوار احدى الوقائع الاساسية للتنظيم الاجتماعى ، وتكشف لنا عن العلاقة بين البناء والشخصية •

ويؤدى تعدد الادوار فى البناء الاجتماعى وتباينها الى نشأة مجموعة من العلاقات الاجتماعية الجديدة التى يواجهها الشخص مع الافراد الآخرين ، وتكوين مجموعة من نماذج السلوك المتباينة التى يؤديها الشخص فى الموقف • وكلما زادت مجموعة الادوار المتباينة داخل النسق الاجتماعى زادت مجموعة الادوار التى تنظم فى انساق شخصيات الافراد أعضاء البناء، واتسعت علاقات الفرد ، وتتولد الحاجة الى تنظيم هذه العلاقات بين من يشغلون هذه الادوار(1) • ولا يعنى تباين الادوار تفكك البناء الاجتماعى ، او تفكك الشخصية ، لكن هذا التباين بين الادوار شرط لوجود انساق الادوار ، وتوافقها فى نسق معقد التكوين • ويرجع هذا التباين الى انماط توجيهات القيم ، والمحتوى الوظيفى المميز لكل دور • كما لا يعنى تباين الادوار داخل البناء وجود تنافر بينها ، والصراع لا يحدث بين الادوار بعضها وبعض،

---

(1) Parsons Talcott: Family socialization and Interaction process op.cit., P. 422.

بل يحدث الصدام بين اهداف واغراض الادوار[1] ، وبين اتجاهات تخصصات الادوار. ويساعد تنظيم العلاقات الاجتماعية على تنظيم الفرد لادائه للادوار المختلفة ، وعدم قيامه بأداء نمطين متعارضين من السلوك فى وقت واحد . فقيام الفرد باداء مجموعة من الادوار المنسقة يشبه موقف الراعى عند حافة البئر، فهو يدلى بدلوه ليملأه بالماء ثم يرفع الدلو من البئر ، ولا تعارض بين رفع الدلو من البئر او ادلائه ، وتظهر لنا الطريقة التى تنظم بها الادوار وكيفية الاداء عن تناسق واطراد السلوك المنظم ، وتنظيم وتكامل نسق الشخصية وتكامل عناصر البناء .

وما اداء الشخص لمجموعة من الادوار المتباينة التخصصية الا نتاج لارتباطه بعلاقات اجتماعية متباينة داخل انساق متعددة ، ويتم نتيجة تنشئة المرء على اداء السلوك المطلوب منه فى المواقف المختلفة . ويزداد عدد الادوار التى يؤديها المرء كلما تقدمت الشخصية فى السن ، وازدادت علاقاته أو تغير البناء ، كما تزداد درجة التوافق فى الاداء ببلوغ الشخصية مرحلة معينة من النضج النفسى والتمييز والادراك وتوحده مع مجموعة من القيم والمعايير .

ولكل فرد من الافراد الفاعلين فى النسق الاجتماعى مجموعة من الادوار المتباينة ، ويكمل كل دور من هذه الادوار الادوار الاخرى ، ويتبادل معها التأثير . وهذا التبادل هو الدافع الاساسى للخروج من مستوى حياة الفطرة ، وبلوغ المرء الى مستوى من العلاقات الاجتماعية المتراكبة[2] . ويختلف اداء الاشخاص لهذه الادوار ، ويرجع هذا الاختلاف فى الاداء الى اختلاف الافراد فى معاييرهم وقيمهم وقدراتهم العقلية ، وهذا الاختلاف شرط اساسى لوجود النسق الاجتماعى واستمراره فى مجتمع معقد التكوين ، ورغم تباين هذه الادوار ، فهى تتوافق فيما بينها ، سواء اكان التوافق سلبيا يؤدى الى تجنب التعارض بين دور وآخر، او كان ايجابيا يسعى الى الارتباط بتحقيق اهداف جماعية مشتركة اثناء النشاط المشترك . فمثلا يضم نسق الادوار الاسرية مجموعة متباينة من الادوار، موزعة بين الزوج والزوجة والاولاد ، ويتسم سلوك الزوج داخل الاسرة بسمات معينة ، تغاير سمات دور الزوجة ، وسلوك الأم يغاير سلوك الزوجة ، وسلوك الرجل بصفته أبا وزوجا يتطلب منه اداء ادوار خارج الاسرة ، فعليه ان يعمل ويسعى الى الرزق ، وصارت ادواره الجديدة تكون قاعدة هامة فى البناء الاجتماعى نتيجة لازدياد ارتباطه بالمجتمع ، واصبح المجتمع الجديد يمتص جزءا كبيرا من وقت الرجل ، وقدرا كبيرا من

---

(1) Parsons Talcott: Ibid., P. 355.

(2) Parsons Talcott: The structure of social action, op.cit., P. 315.

جهده ، ولم يترك له من الوقت الا القليل ينفقه فى العناية باهتماماته ومصالحه الاسرية . وقد اعطى الرجل قليلا من الاهتمام للادوار الاسرية ، وصارت الام رمزا للحب والعاطفة فى اغلب الاسر ، والمرفأ الذى يأوى اليه الاولاد ، ويستقون منه الحب اللازم لتوحدهم مع قيم المجتمع ، وتعلمهم لانماط السلوك المرتبطة بأدوار معينة ، ويضفى عليهم ارتباطهم بالام شعورا بالامن والاستقرار ، ومن الواضح أن هذا التباين فى الادوار الاسرية يحقق توافقا ايجابيا داخل الاسرة ، اذ أن جميع افرادها يسعون لتحقيق اهداف مشتركة .

وقد تغير وضع المرأة فى المجتمع الصناعى ، فقد اندفعت تحت وطأة التغيرات الصناعية والحضرية الى العمل خارج البيت لمواجهة مطالب المجتمع الجديد ، ولم يعد نشاطها مقصورا على زوجها واولادها ، واصبحت الام والزوجة تؤدى نشاطا أكثر من نشاطها التقليدى ، وقامت باكتساب ادوار جديدة ، غيرت من طبيعة نسق الادوار التقليدية للمرأة ، وأضيفت ادوار جديدة الى ادوار نسق الاسرة . ولم يؤد هذا التغير فى ادوار المرأة واتساع مجالها الى انحلال او تفكك نسق الاسرة ، بل زاد من ترابطها .

ولكن هل يختلف نسق ادوار الرجل عن نسق ادوار المرأة اختلافا جذريا ؟ . ان اختلاف نسق ادوار الرجل التقليدية عن نسق ادوار المرأة ظاهرة اجتماعية سليمة ، ولا يرجع هذا الاختلاف الى اختلاف قيم الرجل عن قيم المرأة ، فلا توجد قيم مجردة خاصة بالرجل ، وقيم مجردة خاصة بالمرأة ، كما ان الام لا تعلم ابنها او ابنتها ادوار الرجال أو ادوار النساء ، لكن الاختلاف يعود الى اختلاف توجيهات القيم عند الرجل والمرأة . فالرجال والنساء والصغار وان اشتركوا جميعا فى نسق واحد من القيم ، فان الاهمية النسبية لكل من هذه القيم تختلف عند الرجال والنساء ، والصغار والكبار ، مما يؤكد لنا ان بعض التصرفات يقبلها المجتمع من الرجل ولا يقبلها من المرأة ، وان كان الاختلاف قد ضاق عن ذى قبل . ومن ثم فالاختلاف الجذرى بين ادوار المرأة والرجل داخل الاسرة يرجع الى الفروق البيولوجية التى تحدد مساهمة كل منهما فى بناء الاسرة ، وتباين اهتمامات ومصالح الرجل والمرأة واختلاف مشاعر كليهما .

وكما ذكرنا نظمت الادوار فى انساق ، بحيث يضم كل نسق مجموعة من الادوار بينها ترابط وظيفى ، فثمة نسق للادوار الاسرية ، وثمة نسق للادوار المهنية ، وهلم جرا . لكن اثمة معيار تصنف على اساسه الادوار؟ وهل كل الادوار ذات خاصية واحدة ؟ .

اختلف العلماء في تحديد معيار التصنيف ، فهناك اتجاه يقسم الادوار الى ادوار مكتسبة وادوار فطرية . واتجاه آخر يصنفها الى ادوار نفعية اداتية وادوار وجدانية . ولكل مجموعة من هذه الادوار صفات مميزة لها . فالادوار المكتسبة تتسم بالانتشار والعمومية ، وتتطلب قدرات خاصة ، وتدريبات محددة ، كما تهتم بالاداء والمشاركة فى مواقف التفاعل ، ويستطيع ان يقوم بها كل من الجنسين . اما الادوار الفطرية فتحددها العوامل البيولوجية ، وترتبط هذه الادوار بالصفات الشخصية مثل دور الام[1] . وتتسم الادوار الاداتية النفعية بصفات خاصة . فهذه الادوار تهدف الى الانجاز ، وترتبط بالعلاقات العامة مع الجماعة فى الموقف الخارجى ، وترتبط بالسلطة والقوة ، اما الادوار الوجدانية فتهتم بالتجانس والتماسك .

ونحن نرى ان انساق الادوار الموجودة فى البناء والمتوحدة مع الشخصية يمكن أن تصنف الى ادوار فطرية وجدانية كدور الام ، وادوار فطرية نفعية كدور الاب ، وادوار مكتسبة وجميعها نفعية . وتخضع مكونات الادوار كلها للقواعد الاجتماعية ، وتلعب العوامل البيولوجية دورا حاسما فى تحديد السلوك المرتبط بالادوار الفطرية ، بيد ان دور العوامل البيولوجية فى الادوار النفعية والمكتسبة ثانوى ، وأخذت أهميتها تتلاشى ، وأصبحت عوامل لاحقة فى تحديد المراكز والادوار المكتسبة فى المجتمع الحديث . اذ لا يميز المجتمع الحديث فى كثير من التخصصات المهنية بين الرجل والمرأة ، كذلك لا يفصل بين الجنسين فى مجالات التعليم ، ولا يحدث التخصص فى الادوار الا داخل نسق الاسرة . ويؤكد هارولد جوتزكو هذا الاتجاه فى التمييز بين الادوار ، وارجع الاختلاف فى الادوار الى عوامل داخلية وعوامل خارجية[2] . وتعمل العوامل الخارجية على تكوين الدور حسب ظروف العمل والعناصر الاجتماعية التى تحدد كيفية اداء السلوك . اما العوامل الداخلية وهى العوامل البيولوجية الوراثية فتهدف الى تمكين الاشخاص اعضاء البناء من اداء الادوار حسب صفات وراثية . اما بارسونز فقد اكد فى مقاله السن والجنس فى البناء الاجتماعى تباين سلوك الرجل والمرأة داخل البناء الاجتماعى ، ويضفى الجنس على سلوك الرجل والمرأة صفات معينة . وتؤثر هذه الصفات على اداء كل منهما وقدرته على الانجاز . كذلك تحدد انماط توجيهات القيم مجالات النشاط للرجل والمرأة ، وتنظم السلوك المرتبط بأدوار كل منهما داخل الانساق الاجتماعية . كذلك تحدد الصفات البيولوجية

---

(١) Parsons Talcott: Social system, op.cit., PP. 64-65.

(٢) Guetzkow Harold: Differentiation of Roles in Task-Oriented Groups. In Cartwright Dorwin & Alvin Zander (ed.). Group Dynamic, op.cit., P. 688.

التوقعات المنتظرة من ادوار الاخرين فى مجالات التفاعل • ويرى بارسونز ان عدم أداء الشخص رجلا أو امرأة للادوار الدارعة حسب انماط القيم المرتبطة بالسن والجنس، يولد لديه شعورا بالتوتر والاحباط • ورغم ما اضفاه بارسونز من قيمة على السن والجنس فى تحديد الدور ، وهو محق فى هذا الى حد ما ، اذ أنه حصر المقارنة بين ادوار المرأة المتفرغة وادوار الرجل فانه اغفل ادوار المرأة المهنية وأهميتها فى البناء الاجتماعى ، لتقارب الرجل والمرأة فى أداء الادوار المهنية ، ولم يهتم بمقارنة الادوار فى مجتمعات غير المجتمع الامريكى • واننا نساير رأى روز لوب كوزر التى ترد تغاير الادوار داخل النسق واختلاف السلطة فى الاسرة الى قيم المجتمع ونظامه الطبقى والاقتصاد السائد (١)

بعد هذا العرض الذى بينا فيه اختلاف تركيب انساق الادوار ، سنحاول ان نفسر علاقة نسق الادوار الاسرية بنسق الادوار المهنية ، لان الادوار المهنية هى الادوار المستحدثة عند المرأة •

كان من الاثار الاجتماعية للتغير الاقتصادى ، تغير التركيب البنائى للاسرة ، وفصل العمل المهنى عن نفوذ الاسرة ، فأخذت الادوار المهنية مكانة بارزة فى البناء الاجتماعى ، ونشأت ادوار جديدة تختلف عن الادوار التقليدية • وتغيرت مكانة المرأة وافسح لها مكان فى النسق المهنى ، وبدأت بعض النساء تلتحق بالتنظيمات المهنية ، وتؤدى الادوار المهنية خارج النسق الاسرى • وكان عددهن ضئيلا فى البداية ، ولكنه اخذ يتزايد باستمرار؛ وقد اصبح العمل فى البناء الاجتماعى المعاصر اداة لتحقيق المكانة الاجتماعية ، وتحديد مستوى معيشة الاسرة ، وصارت مظاهر الحياة الاسرية تعتمد على العمل الدائم والاجر المنتظم ؛ وقد ادى التغير فى التنظيم المهنى الى تغيرات بنائية عامة انعكست على الاسرة والمدرسة والتنظيم السياسى والعناصر البنائية الاخرى (٢) • فالتنظيم المهنى لا يعمل بمفرده ، بل يرتبط بعلاقات بنائية متبادلة مع الانساق الاجتماعية الاخرى ، واصبحت الوظائف المهنية من وجهة نظر الاسرة مجموعة من الانشطة الضرورية للحصول على الاجر الذى هو العامل الحاسم لاختيار العمل المهنى ، والعامل الهام لجذب الافراد الى العمل (٣) ، الذى يستنفد جزءا

---

(١) Coser Rose Laub: Role Distribution. In Rose Laub Coser (ed.) The family its structure and functions, op.cit., P. 249.

(٢) Parsons Talcott: Essays in Sociological theory, op.cit., P. 185.

(٣) Parsons Talcott: Structure and Process, op.cit., PP. 135-136.

من طاقاتهم واهتماماتهم ، ويعتمد على درجة عالية من المهارة والتدريب والانجاز، واصبح التنظيم المهنى فى المجتمع الحديث ضرورة للحصول على الحاجات المعيشية . وصار الأجر الذى يحصل عليه الفرد من اداءه للأدوار المهنية ضروريا لتوفير مستوى معيشى فى الاسرة، وتحديد المكانة الاجتماعية لاعضائها ، واصبح عمل المرء ومهنته مقياسا لمكانته الاجتماعية باعتباره أبا وزوجا .

وقد صار التنظيم المهنى فى المجتمع المعاصر تنظيما مستقلا عن التنظيم الاسرى له اهداف معينة ،وتوجيهات للقيم متمايزة عن الأسرة . وصار العمل يمارس تحت ظروف خاصة مختلفة عن الظروف الاسرية . فهناك انفصال بين النسقين المهنى والاسرى ، وتباعد بين قضايا البيت والعمل . فمشاكل المهنة غير مشاكل الاسرة ، واهتمامات العمل تباين اهتمامات البيت . فتوجيهات نسق الادوار المهنية تتسم بخلفية التحصيل والانجاز والانتشار والتخصص والارتباط بمجموعة من الغايات ، وتعلو من قيمة المسئولية المحددة والسلطة ، كما يتميز العالم المهنى بالتنافس والاجادة وبذل الجهد . وتؤكد الادوار المهنية العلاقات اللاشخصية ومطالب بالتضحية وانكار الذات ، وتضعف من قيمة حاجات الشخصية ومصالح الذات . وتضع الحدود الاجتماعية بين اعضاء النسق المهنى . أما النسق الاسرى فيتسم بتحديد العلاقات والوقتية والاهتمام باهداف مباشرة ، وتسود بين افراده علاقات الحب والتعاطف . وتتميز العلاقات بعدم وجود فواصل محددة للمسئولية والسلطة بين افرادها ؛ ولا مجال للتنافس بين اعضاء الاسرة للحصول على غايات محددة . وتؤكد الادوار الاسرية مصالح المرء والحاجات الشخصية والعلاقات القرابية .

وينعكس هذا التقابل بين الادوار المهنية والاسرية على الشخصية باعتبارها نسقا للسلوك، فان توافقت مطالب الادوار الاسرية مع مطالب الادوار المهنية ، ونجح الشخص فى اداء الادوار المهنية والاسرية أحس بالنجاح والتقدير الذى يحاول تحقيقه فى الحياة ، وزاد من انتاجه واحس بالاستقرار العائلى والطمأنينة النفسية . بيد أن كثيرا من الاشخاص يخضعون فى مجال العمل لمطالب الادوار المهنية ، ويجورون على مطالب الادوار الاسرية ، او يسرفون فى تأكيد مطالب الادوار الاسرية على حساب مطالب الادوار المهنية ، مما يؤدى الى تعارض مطالب الادوار المهنية مع مطالب الادوار الاسرية ، فاذا بالغ الشخص فى تحقيق الدافع النفسى للعمل لبلوغ اقصى النجاح فى اداء الادوار المهنية ، او اهتم بالادوار الاسرية اكثر

من اهتمامه بالادوار المهنية عجز فى الحالة الأولى عن اداء ادواره الاسرية أداءا ناجحا ، وفى الحالة الثانية اخفق فى اداء الادوار المهنية على النحو المطلوب منه ، وفى كلتا الحالتين يولد لدى المرء احساس بالقصور ، ويتولد لديه شعور بالتوتر والقلق والارتباك، مما يؤثر على سلوكه بدرجة اندماجه فى الجماعة ٠

ونود ان نؤكد ان اختلاف الادوار الاسرية عن الادوار المهنية ، لا يعنى التعارض بين مطالب هذه الادوار ، اذ ان اساس الاختلاف يكمن فى تسق توجيهات القيم الذى ينظم انساق الادوار المهنية والادوار الاسرية ٠ فتفاوت منزلة توجيهات القيم المكونة لكل دور هو الذى يولد التباين بينهما ، فهما يتكونان من نفس العناصر ، ولكن بدرجات متفاوتة [(1)] ، ومن ثم يوجد ارتباط اساسى بين الادوار المهنية والادوار الاسرية ٠ فالادوار المهنية جزء من النسق الاقتصادى وفى الوقت نفسه جزء من النسق الاسرى ٠ فهى ادوار تربط نسق الاسرة بنسق الاقتصاد [(2)] ٠ فالشخص الذى يؤدى الادوار المهنية هو نفسه الذى يؤدى الدوار الاسرية، وهو فى كلتا الحالتين يقدم الخدمات ويشبع حاجاته وحاجات الاخرين ٠ فالارتباط بين الادوار المهنية والادوار الاسرية تعبير عن ظاهرة الارتباط بين نسق الاسرة والنسق المهنى ٠ ومن ثم التفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعى ٠ والتكامل بين النسق المهنى والنسق الاسرى ضرورى ليكفل التماسك بين النسقين حتى لا يتولد لدى الشخصيات صراعات عنيفة نتيجة لاندماج الشخص اندماجا كليا فى مجال العمل واغفاله لمطالب النسق الاسرى ٠ او اندماجه فى نسق الاسرة واغفاله لمطالب النسق المهنى ٠

واذا كان هذا التكامل بين النسق الاسرى والنسق المهنى امرا ضروريا للرجل لتفادى الصراعات ، فانه امر حتمى بالنسبة للمرأة العاملة لا تستطيع الفرار منه ، لتتمكن من اداء ادوارها المهنية التى اكتسبتها حديثا ، وادوارها الاسرية التقليدية ٠ فليس خروج المرأة الى العمل أمرا هينا ، فقد غير عمل المرأة من شكل وبناء الاسرة ، وغير من مكانة المرأة الاجتماعية داخل الاسرة وفى المجتمع الكبير ، وايضا غير من علاقاتها الاجتماعية مع زوجها وأولادها ، وحور من نوع مسئولياتها نحو افراد اسرتها ٠ وتغيرت التوقعات المنتظرة من الزوجة اثناء ادائها لدورها ، كما اعطى العمل الحديث للمرأة شعورا بالطمأنينة والحرية

---

(1) Parsons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 48.

(2) Parsons Talcott: Family. socialization and interaction process, op.cit., PP. 12-13.

الاقتصادية بصفته موردا للدخل المنتظم العائد من العمل ·

ورغم ان عدد النساء العاملات قد زاد نتيجة الرغبة فى زيادة الدخل ، ورفع مستوى معيشة الاسرة ، واتاحة فرص العمل امام المرأة ، وضمور الروابط التى تربط المرأة بالبيت ، وزيادة التسهيلات التى تساعد على خروج المرأة الى العمل ، فلا زالت انجازات المرأة فى النسق المهنى فى كثير من الحالات دون انجازات ادوار الرجل · فالرجل فى كثير من الأحيان اكثر انتاجا من المرأة ، وادق فى ادائه لادواره المهنية منها بعد زواجها ، ويرجع ذلك الى حداثة دخول المرأة النسق المهنى ، ومن ثم تعوزها الخبرة والتدريب ، فهى لم تنشأ على اداء الادوار المهنية ، كما انها لم تتوحد فى طفولتها مع القيم وتوقعات الادوار التى تحكم السلوك المهنى · فالمرأة فى الحضر لم تدرب على اداء السلوك المرتبط بالادوار المهنية التى تؤديها بتأثير الظروف الاقتصادية المعاصرة ، ولم تعد فى طفولتها لشغل وظيفة فى النسق المهنى ، فلم تعرف ولم تتعلم معنى العمل وقيمته الانسانية ، ولا زالت تصوراتها عن أهمية العمل والسلوك المرتبط به غامضة · ولم تجد المرأة العاملة القدوة فى شخص امها كانسان يعمل ، ولم تتوحد مع السلوك المهنى بين ما توحدت من نماذج السلوك فى طفولتها · فأداء المرأة للعمل فى معظم الاوقات اجتهاد ذاتى ، تعوزه التقاليد والقيم المتوارثة ، اذ يعتمد الاداء على ما تتوحد به المرأة من قيم فى طور الشباب اثناء تبادل العلاقات فى النسق المهنى ·

ورغم ما احرزته بعض النساء من تفوق ونجاح يفوق نجاح بعض الرجال فى بعض الأحيان ، فان هذا النجاح لا يعتمد على اساليب التنشئة فى الطفولة مثلما هو الحال مع الرجل الذى يعتمد على تراث ضخم من التقاليد والقيم المهنية ، ذلك لأن المرأة كانت تعد منذ طفولتها لاداء ادوارها كأم وزوجة فحسب ، بل يعود هذا النجاح الى الجهد الشخصى والقيم التى توحدت بها المرأة فى شبابها ·

لكن ماذا يحدث لو جار الدور المهنى او الدور الاسرى كل على الآخر عند المرأة العاملة؟ · ان دور الرجل المهنى جزء هام من البناء الاجتماعى ، وقد استقرت العناصر الاجتماعية المكونة لادوار الرجل ، ولا تتعارض مطالب الادوار المهنية مع مطالب الادوار الاسرية ، بل الادوار المهنية تكمل الادوار الاسرية ، ويولى الرجل الادوار المهنية الاهتمام الأول · فالعلاقات الاجتماعية للرجل ومكانته الاجتماعية تحددها مهنته ، واساليب الانتاج التى يرتبط بها ، ويشعر الرجل دوما ان العمل هو هدفه من الحياة ، وترتبط مكانة الرجل المهنية

بصفاته وقدراته الانجازية ، وكلاهما يحدد ان مركز الاسرة فى البناء الاجتماعى تبعا للقيمة المعنوية التى يضفيها المجتمع على المهنة التى يشغلها الفرد ، وكذلك تبعا لما تدره المهنة من أجر .

ويعمل الرجل دائما مختفيا العمول على الأجر ، وان ارتبط بمصالح التنظيم المهنى الذى يعمل به ، ويعبر الاب فى الاسرة عن الجانب النفعى الادائى ، وتنعكس آثار عمله على علاقاته الاسرية ، وتتحدد مسئوليته تجاه اسرته فى المحل الأول على اداء الادوار المهنية التى لها الاسبقية على ادواره الوجدانية . وقد شعر الرجل نتيجة تحرره الاقتصادى واداء ادواره المهنية خارج الاسرة وقتا طويلا .. شعر بالاستقلال والاستعلاء ، كما شعر بتبعية افراد اسرته له ، وأخذت الزوجة بهذه التبعية ونشأت فى المجتمعات توجيهات للقيم تؤكد التبعية والخنوع ، وصارت الزوجة خاضعة لاهداف الرجل .

اما عن ادوار المرأة فالحال يختلف ، فقد كانت مكانتها الاجتماعية مستمدة من ادائها لدورها كأم وزوجة ، واهتمامها ينصرف الى اداء ادوارها الاسرية[1] ، فهى الانسان المسئول الأول عن رعاية الزوج وتربية الاولاد ومنحهم الحب وتوفير العطف لهم . لكن خروج المرأة الى العمل فى المجتمع الحضرى خلق لها مكانة اجتماعية فى النسق المهنى لا ترتبط بمكانة زوجها ، ولا تخضع لنفوذ الاسرة ، وشقت المرأة سبيلها الى العمل ، وتخصصت فى أداء ادوار مهنية خاصة نجحت فى ادائها نجاحا كاملا كالتدريس والتمريض . وأخذت تنافس الرجل فى مجالات معينة . وكان لهذا كله تأثيره الواضح على علاقاتها بزوجها وأولادها ، وادائها لوظائفها التقليدية نتيجة لامتصاص العمل لجزء من وقتها وجهدها ، ولم تستقر المرأة العاملة بعد على كيفية اداء الادوار المهنية ، والتوفيق بين الادوار الاسرية والادوار المهنية .

ونرى أن النفع الاجتماعى العائد على الاسرة والمجتمع من عمل المرأة لا ينبع من الدخل الاضافى الذى تحصل عليه المرأة ، بل ينبع من قدرتها على تحقيق التكامل بين الادوار المهنية والادوار الاسرية ، والتوفيق بين مطالب كل منهما . فلو جار الدور المهنى على الدور الاسرى للمرأة وعجزت عن التوفيق فى الاداء بين الادوار الاسرية والمهنية " فقدت المرأة الجانب النفعى لدور الام والزوجة " [2] لغيابها ساعات طويلة خارج البيت فى مجالات التخصص

Persons Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 49. (1)

Persons Talcott: Age and sex in social structure, op.cit., P. 260. (2)

الجديدة ، اذ يؤثر تعدد الادوار الخارجية للأم على رغبتها فى الانجاب والحمل وفى اساليب تربية الاولاد ، ويحدد المجتمع المسئولية الاجتماعية للأم بمدى ارتباطها بأطفالها ، لكن عجز الأم عن القيام بهذه المسئولية يعتبر فعلا غير طبيعى " ونقضا صريحا لالتزامات الأمومة " والالتزامات الاسرية التى يتطلبها منها المجتمع (١) •

وتؤدى المرأة العاملة فى المجتمع الحضرى ادوارا مشتركة بين الاسرة والبناء الكبير ، وعليها ان توفق بين مطالب الاسرة والانساق الاجتماعية الاخرى ، ولا يحمل السلوك المرتبط بدور الأم بمفرده ، بل تؤثر فيه الادوار الاخرى ، ادوارها بصفتها زوجة ، وام لأولاد آخرين، وعضوا فى أنساق اخرى • وصار عليها ان تراعى تأثير ادوارها الجديدة فى مجال العمل على أدوارها الاسرية ، بيد أن طبيعة ظروف العمل ، وغموض توقعات الادوار المهنية لدى المرأة والتى لم تنشأ عليها ، يؤدى الى شعور الأم بالمعاناة ، والارتباك ، وينعكس كل هذا اثناء محاولتها التوفيق بين مطالب الادوار المهنية ومطالب الادوار الاسرية ، اى التوفيق بين مطالب الادوار النفعية العملية التى تتطلب حكم العقل ، وبين مطالب الادوار الوجدانية التى تحكم العاطفة •

وقد ادت ظروف العمل فى المجتمع الحضرى الى اتساع شبكة العلاقات الاجتماعية للمرأة ، وبعلمتها تعى القيم التى نشأت عليها موضع الاختبار ، وتولد لديها شعور بصراع القيم ، يدعوها احيانا الى السعى الى قيم جديدة ، ونبذ القيم القديمة • فالاهتمام بالعمل ودقة الاداء والانجاز والطموح المهنى وتقدير الوقت والاهتمام بالكيف واحترام النظام والسعى الى تحقيقه والمشاركة فى العمل الجماعى واحترام القيادة او الخضوع لها وممارسة النقد والايمان بتنظيم الاسرة ، كلها قيم جديدة اصبحت تواجه المرأة وتؤثر فى ادائها لأدوارها • بيد أن النساء العاملات يتوحدن بها ، وعليهن الالتزام بها ، وان ينشئن عليها اولادهن • ويساعد توحد المرأة مع هذه القيم على نشأة علاقات جديدة استجابة للظروف التنظيمية التى يفرضها بناء الادوار المتغيرة ، وعلى تغير مضامين الادوار •

ومن العرض السابق يتضح لنا ان ثمة تيارات ثلاثة فى تفسير علاقة الدور بكل من الشخصية والبناء الاجتماعى • فالتيار الأول اتجاه نفسى بحت ، يغفل الجانب الاجتماعى ، ويرى أن

---

(١) Goode William: The family, op.cit., P. 21.

حياة الانسان مجموعة من الادوار ، وان الدور وحدة فى بناء الشخصية فقط ، ولا ترتبط بالبناء ، لانه يتأثر بقدرات وامكانيات الشخص الفطرية ، وحسب هذه النظرية فالتوقعات والسلوك المرتبط بالدور يختلفان من شخص لآخر . اما التيار الثانى ، فانه اتجاه اجتماعى صرف ، يغفل الجانب النفسى ، ويمثله مرتون ، ويرى ان تصور الدور لا يرتبط بالاختيار الحر للشخص ، بل الدور وحدة بنائية ترتبط بالتنظيم البنائى . فشاغل الدور لا يعيش بمفرده (١) ، لكنه يعيش فى بناء يشكل افراده بطابع خاص بتأثير عملية التنشئة الاجتماعية . وقد بين مرتون فى دراسته عن البيروقراطية والشخصية كيف أن اداء الفرد للدور فى الموقف الذى يشعر فيه بالاختلاف بين الواقع والمثال يولد عنده شعورا بالصراع . ويؤدى النسق البيروقراطى الى نمو العلاقات اللاشخصية والميول الطبقية عند الشخص ، والشعور بالاستعلاء ، ويؤدى الى نشأة الصراع بين الجماهير والبيروقراطى . فاحساس البيروقراطى بالكبرياء والغطرسة يؤثر فى الاداء المستمر للأدوار المكتبية المكونة لبناء الشخصية ، ويضعف من بعض السمات ويقوى بعض السمات الأخرى ، ويؤثر فى تفكيره وعلاقاته مع الآخرين ، لكن من اجل المحافظة على استمرار البناء الاجتماعى والمحافظة على تماسكه ، يجب ان تتوافق الشخصية – ولو ظاهريا – مع المراكز التى يشغلها الافراد (٢) ، والمطالب البنائية ، وان تتماسك الادوار التى يؤديها الشخص فى مجالات النشاط المختلفة.

وكما بينا فان هذين التيارين قاصران ، اما التيار الثالث فهو اتجاه تكاملى يرى الدور مفهوما يربط الشخصية بالبناء الاجتماعى . ويرى ان السلوك المرتبط بالدور دالة تعبر عن الرابطة الموجودة بين صفات الشخص الفرد ومطالب الادوار البنائية الخارجية التى تفرضها التوقعات الخارجية ونسق القيم . وهذا الاتجاه نظرة شاملة صائبة يرى ان تغير المطالب البنائية يؤدى الى تغير الشخصيات . فسلوك الدور لا تحدده القوى الداخلية وحدها ، او القوى الخارجية وحدها ، بل تحدده محصلة التفاعل بين القوتين الخارجية والداخلية.

وقد أيد هذا الاتجاه الكس انكلز ، ويرى ان العلاقة بين الشخصية والسلوك المرتبط بالدور علاقة متبادلة ، ومن ثم تؤثر عناصر بناء الشخصية فى طريقة الأداء ، اذ تتأثر كيفية الاداء بالسمات الشخصية والقدرات العقلية . فالتكوين النفسى والعقلى للشخصية له

(١) Merton Robert: The role set. B. J. of S., op.cit.,PP.106-118.

(٢) Merton Robert: Social theory and social structure,op.cit., PP. 276-277.

اثره على طريقة اداء السلوك المرتبط بالدور ، ونوع الصراعات التى يعانى منها الشخص ، ونوع المعايير والقيم المتوحد بها ، والدافع النفسى وراء العمل والشعور بالرضا والنجاح[1] .
كذلك يفرض البناء الاجتماعي على اعضائه مطالب وتوقعات معينة تغير من استعدادات الشخصية ، وتحور انماط الحاجات الفطرية الى حاجات اجتماعية .

وقد تبنى بارسونز هذا الاتجاه التكاملي ، وبين ان توقعات الادوار تنشأ فى مواقف التفاعل ، ورأى انه رغم وجود نسق توقعات متكامل متجانس للاشخاص الذين يؤدون دورا معينا ، فان السلوك يختلف من شخصية الى اخرى باختلاف الدافع عند كل شخص . وقد ارجع بارسونز الاختلاف فى السلوك الى العوامل الاتية :

اولا : ان الدور الذى يتطلب سلوكا معينا هو جزء من نسق الادوار عند كل شخص ، وهذا النسق تختلف مكوناته من شخصية لاخرى . ونادرا ما تتطابق انساق الادوار بين الشخصيات المختلفة ، ومن ثم تختلف محصلة توقعات نسق الادوار من شخصية لاخرى ، رغم تحديد البناء لتوقعات كل دور . ذلك لاختلاف العوامل الدافعة للسلوك داخل نسق الادوار .

ثانيا : اختلاف التكوين الفطرى لاعضاء النسق يؤدى الى تباين الادوار التى يقومون بادائها والسلوك الظاهر الذى تتطلبه الادوار .

ثالثا : لا يجب ان تؤدى ارتباطات الادوار الى اغفال مصالح الشخصية التى ترتبط بالجانب النفسى فى الموقف ، اذ ان الجانب النفسى للشخصية يتداخل مع الجانب الاجتماعى فى توجيه الدافع[2] .

ولكن هل تأثير الدور على الشخصية تأثير عرضى ، أم تأثير جذرى ؟ يخالف كابلن مرتون فى قيمة تأثير الاداء على الشخصية . يرى الأول ان تأثير السلوك المرتبط بالدور على تكوينات الشخصية تأثير عرضى فى تفسير التوافق ، وليس تأثيرا حاسما . وقد تكون له آثار وظيفية فى بعض الاوقات ، واحيانا لا تكون له نتائج وظيفية تساعد على التوافق[3] . على أننا

(1) Inkles Alex: Personality and social structure, op.cit., P. 266.
(2) Parsons Talcott: Social system, op.cit., P.
(3) Kaplen Bert: Personality and social structure, in Joseph Gittler, Review of Sociology, op.cit., P. 106.

نرى رأى موتون من ان تأثير اداء الدور يطبع الشخصية بطابع مميز • فالعلاقة بين الدور والشخصية ليست علاقة آلية تعتمد على الصدفة ، بل محصلة عملية التنشئة الاجتماعية والتدريب على شغل مراكز معينة • كما تتأثر بالتوحد مع القيم ، كما تحدد العلاقة بين الشخصية والسلوك المرتبط بالدور طبيعة الموقف الذى يتم فيه التفاعل ، ويتم فيه التأثير على مكونات الشخصية ، وكذلك يتأثر الاداء فى المواقف بالعناصر الشخصية •

ويمكن لنا أن نوجز هذا العرض ان العلاقة بين الشخصية والدور علاقة متبادلة • فالتكوين الفطرى للشخصية يؤثر فى طريقة الاداء ، كذلك يؤثر السلوك المرتبط بالدور على تغيير مكونات بناء الشخصية ، ويضفى عليها طابعا خاصا • وهذا السلوك يتغير من طور لآخر من اطوار النمو ، نتيجة لتغير مفهوم الدور بنمو الشخصية ، اذ ان الشخصية تتوحد مع توقعات الادوار نتيجة اتساع العلاقات داخل البناء فى مختلف اطوار النمو ، وتصير هذه التوقعات جزءا من بناء الشخصية ، ويسهم التوحد المستمر مع توقعات الادوار على تغيير مكونات بناء الشخصية ، وتغير سلوكها •

....

٢٧١ ـ ٣٢٧

الفصل الخامس

التباين في توجيهات القيم

التباين فى توجيهات القيم

القيم عنصر مشترك يدخل فى تركيب البناء الاجتماعى ، وتكوين بناء الشخصية . فالشخصية تتوحد بالقيم التى ترتبط بمعنى الحياة عند الشخص ، وتصير حافزا وراء كل سلوك وفعل وفكر . وهى فى الوقت نفسه عنصر منظم للعلاقات الاجتماعية داخل الانساق الاجتماعية ، وبين الانساق بعضها وبعض داخل البناء .

وقد اهتم الفلاسفة والاجتماعيون بتفسير القيم ، بيد انهم اختلفوا فى تفسير منابعها ، وتحليل مضمونها . فالفلاسفة يصفونها باسبقية الوجود ، وانها أفكار مجردة فى الذهن ، وقد اهتمت مباحث الفلسفة بدراسة القيم . فالمنطق يبحث فى قيم الحقيقة ، والاخلاق تبحث فى قيم الخير ، وفلسفة الجمال تبحث فى القيم الجمالية . ويرى الفلاسفة أن للقيم ركيزة اولية قام عليها البناء الفكرى . ولا تدرس الفلسفة وفروعها القيم فى الواقع الملموس ، لكنها تدرسها كأفكار مجردة بعيدة عن عالم الواقع . ومن ثم يرى بعض المفكرين ان القيم موضوع يقع خارج العلم لأن القيم شئ عقلى مجرد له وجود أولى سابق على وجود الافراد والمجتمعات . ولا يبحث العلم فى المجردات ، بل يبحث فى الوقائع الجزئية المحسوسة ، او ظواهر العالم الطبيعى والوقائع الاجتماعية والنفسية ، وكلها تخضع للملاحظة والتجربة ، وبتكرار الملاحظة والتجربة تستقرأ النتائج وتعمم القوانين . وهذه القوانين ليست قوانين مطلقة او مجردة .

ومهما تكن النظرة الفلسفية الى القيم ، وما يراه البعض من انها تقع خارج نطاق العلم ، يرى الاجتماعيون ان القيم من صنع المجتمع ، وانها تعبير عن الواقع . فالقيم حقائق واقعية توجد فى المجتمع ، ومن امثلتها الدين والاخلاق والقانون والاقتصاد ، وكلها ظواهر اجتماعية ، توجد كأشياء ، وتعتبر مثلا عليا . ويرى دوركيم انه يجب على عالم الاجتماع ان يشق سبيله نحو دراسة المثل العليا ، وعليه ان يهدأ الشوط من هذا المجال . فالمثل العليا هى مجاله الخاص ليكون علما وضعيا . وعالم الاجتماع فى دراسته للقيم لا يشرع قيما ، وليس من اختصاصه صنع قيم جديدة ، بل وظيفته ان يتناول القيم الموجودة بالتحليل والتفسير(١) باعتبارها احدى الركائز التى تعمل على توجيه السلوك ، ويمكن التأكد من وجودها كواقعة ،

---

(١) دوركيم اميل : علم اجتماع وفلسفة — تأليف اميل دوركيم وترجمة حسن انيس — القاهرة — مكتبة الانجلو — ١٩٦٦ ، ص ١٦٧ .

ولا ينفصل وجودها عن معايير الجماعة ، وتتمثل في النشاط الذى يقوم به الافراد ، وتعبير جزءا منهم • وليس للقيم معنى او اهمية الا فى المجتمع الذى توجد فيه [١] • فالقيم توجد فى عالم الحقيقة كوقائع منظمة متكررة ، ولا تختار بطريقة عشوائية ، ولا تنشأ نتيجة حدس أو تفكير مجرد ، بل تستقرأ بدراسة مستفيضة تهتم بدراسة اشكال السلوك السائدة فى المجتمع فى المواقف المختلفة •

ولا يرى علم الاجتماع فى دراسته للقيم نوعا من الوثنية او التعسف ، بل يهتم بدراسة القيم كما يهتم بدراسة " النظم والانساق الاجتماعية " [٢] • وهو يهتم بدراسة الانساق والنظم الاجتماعية باعتبارها تتضمن مجموعة من القيم وتعبر عنها • ويحاول علم الاجتماع عند دراسته للقيم ان يحللها ويفسرها • ويقارن بين قيم الجماعات المختلفة كظواهر ، يعبر الناس من خلالها عن مصالحهم فى مجالات النشاط المختلفة ، وعن مدى تأثير هذه القيم فى تنظيم سلوكهم •

ويرى علم الاجتماع ان القيم ترتبط بحياتنا العملية ارتباطا وثيقا ، فما هى الا تعبير لتقدير الاشياء ، وتعتمد على الوقائع والتجربة ، ولا تنعزل عن الحياة ، بل تعلو عليها ، وتسمو على الواقع لتكتسب الموضوعية والعمومية • فقيمة الشىء لا يمكن ان تقدر الا عن طريق بعض الافكار المثالية التى تفيض عن العقل الجمعى • ولا يعنى كون القيم ظاهرة عامة انها اشياء مجردة تخضع للقياس والبحث ، بل ان عمومية القيم تعنى عند دوركيم انها توجد فى الواقع كأشياء [٣] ، وأنها مشتركة بين مجموعة من الناس والجماعات ، ويجد فيها الناس اشباعا لرغباتهم التى يبحثون عنها بين موضوعات مختلفة فى مواقف متباينة • فكل وحدة فى المجتمع وكل جماعة لها قيمها الخاصة المنظمة لسلوك اعضائها • وتكتسب القيم واقعيتها " من توحد شخصيات المجتمع بها لتنظيم العلاقات داخل المجتمع ولتعبير جزءا من الموقف " [٤] .

---

(١) MyrdalGunner: Values in Social theory. N.Y. Harper, 1958, P. 9.

(٢) Inkles, Alex: What is sociology, op. cit., P. 74.

(٣) دوركيم اميل : علم اجتماع وفلسفة ـ المرجع السابق ص ١٦٨ •

(٤) Harlod, Falleding: A proposal of experimental study of values. A.S.R. Vol. 30, No. 2, 1965, PP 223-233.

ولا ينحصر الخلاف حول موضوع القيم بين علم الاجتماع والفلسفة ، بل يمتد هـــذا الخلاف الى علم النفس • فلقد انكر علماء النفس على علم الاجتماع دراسة القيم ، بدعوى انها لا تبدو واضحة الا عند الافراد • ومن ثم فمجال دراستها علم النفس لا علم الاجتماع • وقـد حاول عالم الاجتماع هارولد فالدنج ان يوفق بين علم الاجتماع وعلم النفس ، وقرر ان دراسة الشخصية تجذب اهتمام كل من علم الاجتماع وعلم النفس ، فالاشخاص فى البناء كالقوالب فـى البناء ، وما القيم الا مفتاح لفهم البناء الاجتماعي والشخصية[1] • فالقيم عنصر أساسى فـى تكوين المجتمعات الانسانية ، فهى تضبط سلوك الافراد وتحكم العلاقات بينهم ، وتنظـم الانساق الاجتماعية والعلاقات بينها •

ولا يوجد مجتمع انسانى ، بدائى أو حضرى ، صناعى أو زراعى ، يخلو من القيم الـتى تعطى لحياة افراده معنى وغرضا ، ويعبر عنها رمزيا ، وترتبط بتاريخ الجماعة • وتعطـى هذه القيم لعالم الانسان قدرا رفيعا ساميا يعلو به عن عالم الحيوان • وتنشأ هذه القيـم فى المجتمع ، استجابة من الافراد للقوى والضغوط التى تفرضها البيئة ، ويتشبث الافـراد بهذه القيم عن وعى منهم ، كما أنهم يتعقلونها ويلتزمون بها فى سلوكهم ، وتتوحد بهـا الشخصيات اثناء عملية التنشئة الاجتماعية • وكل قيمة من القيم الاجتماعية تؤدى وظيفة فـى البناء الاجتماعى لصالح الشخصيات المكونة للمجتمع ، ولصالح المجتمع كله ، وتعمل علـى التوافق الاجتماعى وتلح عليه • وهذه القيم مثل جسر يربط بين ضفتى النهر • فتوافـق الاشخاص مع القيم الاجتماعية السائدة وتوحدهم معها أمر ضرورى لتؤدى القيم الاجتماعيـة وظائفها ، فهى تعمل على تماسك المجتمع وتحقيق طمأنينة افراده ، الا ان توافـق الاشخاص مع هذه القيم يتطلب شيئا اكثر من التوحد بها ، فهذا التوافق يقتضى أن ترتبط القيم بالعلاقات الاجتماعية بطريقة تحقق مطالب المجتمع ، وتشبع حاجات الافراد النفسية ، مما يدعم ارتباط الافراد بالقيم ويزيد من تماسك البناء •

وتعبر القيم الموجودة فى المجتمع عن نماذج مختلفة ، تتباين فى المجتمع حسـب تقسيم العمل ، والنشاط المستمر لكل فرد ، ويرى دوركيم ان اساس تنوع القيم ووضع قيمـة معينة فى منزلة تعلو عن القيم الاخرى ، ان القيم كلها لا تؤثر فى المجتمع بقدر متماثل • فتأثير بعضها فى الحياة الاجتماعية اقوى من تأثير البعض الآخر ، حسب نوع النشاط السائد فـى

(١) Harlod Falleding: Ibid., PP. 223-233.

المجتمع الذى ترتبط به القيمة (1) . وثمة قيمة عامة يرتبط بها افراد المجتمع ، وثمة قيم خاصة تدعم التماسك ، وتحمى النشاط المتخصص لكل جماعة حسب تقسيم العمل . وكل قيمة من القيم تؤدى وظيفتها المتخصصة داخل المجتمع ، ولا يقتصر الأمر على تعدد نماذج ومعانى القيم ، بل ان هذه المعانى تختلف من مجتمع الى آخر ، كما يتفاوت ارتباط الافراد بالقيم الاجتماعية السائدة . فالقيم الاجتماعية تتميز بالنسبية لتغيرها من مجتمع لآخر ، ومن وقت لوقت تبعـــا لتغير الاهداف والمصالح والانشطة الانسانية بتأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصاديـــــة والسياسية .

معنى القيـم :

القيم من اصعب الموضوعات التى يمكن تعريفها فى عالم الانسان . فهى دائما محل نزاع وعدم اتفاق بين الاجتماعيين انفسهم ، كما هو الحال بين الاجتماعيين والنفسيين والفلاسفة . فالبعض يرى أن قيمة الشىء تعنى درجة نفعه المادى ، ومن ثم تصبح الموضوعات الروحيـــة عديمة النفع ، وتسقط القيم الروحية والجمالية من نسق القيم ، لأن القيم الروحية تتحرر مـــن النفعية بمفهومها الفردى والجماعى . وهذا الاتجاه قاصر ومبالغ فيه ، اذ انه يرى ان القيم حكم منفصل عن الشخص ، مرتبط بالموضوع ، ويتعلق بخاصية الشىء الذى يتصف به ، بمعنى أن القيم موجودة وجودا خارجيا عن الشخص الذى يصدر احكام القيمة . فالقيم فى نظـــر اصحاب هذا الاتجاه انما تتصف بصفة مستقلة عن كيفية الاحساس بها فى لحظة الحكم ، وهى تطابق نوعا من الحقائق الموضوعية (2) والموجودة خارج الذات ، وهى تجريد من التقديـرات الشخصية . وقد رفض دوركيم هذا الرأى الذى يرى أن القيمة أمر قائم فى الموضوع مبررا رأيــه بعدم وجود اى تناسب بين خصائص الاشياء من جهة ، وبين قيمها من جهة أخرى . وأكـــد أن جميع القيم تقدير فحسب للأشياء . فالقيمة انما تنجم عن العلاقة التى تربط الاشـــياء بالمظاهر المختلفة للمثل الأعلى ، والتى تكشف على نحو من الانحاء عن مظهر من مظاهـــر المثل الأعلى . فقيمة الشىء لا يمكن ان تقدر عند دوركيم الا عن طريق بعض الافكار المثالية . وليست هذه المثل العليا امورا مجردة ، او تصورات فكرية خالية من اى فاعلية ، بل هى علـى الحقيقة تصورات جمعية ، وامور مرغوب فيها ، وعوامل محركة تتجسد فى الواقع ، وترتبـــط

---

(1) دوركيم اميل : علم اجتماع وفلسفة ـ المرجع السابق ، ص ١٤٩ .
(2) دوركيم اميل : نفس المرجع ـ ص ١٣٢ ـ ١٤٢ .

باشياء يستطيع أن يدركها الناس . فهي وليدة العقل الجمعي ، وهي ترتبط بحياتنا العملية ارتباطا شديدا ، وليست منعزلة عن هذه الحياة ، بل المجتمع لا يمكن ان يتكون ويستمر دون نشوء المثل العليا . فالمثل العليا بالاجمال هي الافكار التي تنطوي على صورة الحياة الجمعية ، وهذه المثل تتغير لانها تنجم عن طبيعة الاشياء نفسها في عالم واقعي .

وقد بين دوركيم ان القيم مثل كل الظواهر الاجتماعية من صنع المجتمع ولها قوة ملزمة رغم انها امور مرغوب فيها . واكد تحت تأثير نظريته الاجتماعية ان القيم تصورات تتميز بالعمومية والالزام . فافراد المجتمع يشتركون في قيم واحدة ، او معايير متماثلة يفرضها عليهم المجتمع بما له من قوة القهر . كذلك انكر دوركيم امكانية تحرر الافراد من قيم المجتمع ، واتخاذ موقف صريح من هذه القيم ، سواء بالرفض أو التمرد ، او عدم القبول او اللامبالاة ، وامكانية خلق الافراد لقيم جديدة ، ورفض فصل عناصر القيم عن البناء الاجتماعي . وهذه النظرة الدوركيمية قاصرة . فقد اغفلت الكثير من الحقائق الواقعية . ونحن نرى ان التمرد على القيم ظاهرة شائعة بين الشباب ، تلك القيم التي يصفها دوركيم بصفة القهر والالزام والضرورة ، فهم ينبذونها ، ويتمردون عليها ، ويدعون الى قيم جديدة . كما أن ثمة افراد لهم القدرة على التبشير بقيم جديدة ، بتأثير الاستجابة للقوى والضغوط التي تولدها طبيعة العلاقات الاجتماعية الجديدة ، والظروف السياسية والاقتصادية الجديدة المناسبة في المجتمع كرد فعل للضغوط الاجتماعية السيئة .

ولقد صنف دوركيم احكام القيمة الى نوعين ، النوع الأول احكام تقريرية تقويمية ، وتعبر عن علاقة بين طرفين ، وتعني ما تراه الذات من قيمة لاشياء معينة ، ومطابقة هذه الاحكام لنوع من الحقائق الموضوعية التي يمكن ان ينعقد الاتفاق عليها . فهذه الاحكام تعبر عن علاقة الشيء بالمثل الاعلى . والمثل مثل الشيء نفسه امر معين . اما النوع الآخر ، فاحكام واقعية ، وينحصر عملها في تفسير وقائع معينة ، وهي احكام تشرح ما هو كائن . وتعبر عن الكيفية التي نتصرف بها ازاء بعض الموضوعات ، بمعنى اننا نحب اشياء ونكره اشياء أخرى ، ونفضل اشياء ونستهجن اخرى ، وهي مثل الاحكام التقويمية تعبر عن علاقة تربط بين طرفين وتستعمل المثل الاعلى .

ويرى دوركيم ان كل نوع من هذه الاحكام يستخدم المثل الاعلى معيارا لحكمه . ويعني هذا ان المثل العليا انواع مختلفة ، فمنها ما يقتصر دوره على شرح الحقائق التي يتعلق

لا مفر منه(1) فى المجتمع المتغير ، وخطوة لاعادة تكوين قيم جديدة محكمة يتوحد بها المرء توحدا كاملا ، بيد ان الظاهرة المرضية للصراع هو تحكم الصراع فى سلوك المرء وعجز الافراد عن التوفيق بين القيم المتناقرة ، ومن وقوع الافراد المستمر فى مواقف الشك والارتباك والحيرة.

ولا يقتصر الاحساس بصراع القيم على الراشدين بل ان الاطفال فى المجتمع المتغير يشعرون بالصراع والتضارب فى انساق توجيهات القيم التى تضبط عمليات التفاعل بين الابناء والاباء فى المواقف الاجتماعية ، او عند ملاحظتهم افعال الراشدين ، ويرجع احساسهم بهذا التناقض فى سلوك الراشدين الى ما يرونه من عدم استقرار احكام الاباء والمسئولين عن التربية ، وعدم ثبات سلوكهم فى مواقف التفاعل امام الاطفال ، وفشلهم فى الوصول الى قيم جديدة مستقرة(2) . ونرى ان تشابه القيم فى المرقف فى المجتمع المتغير يؤدى الى توحد الاطفال والراشدين مع احكام متعددة لمشكلة واحدة ، وشعور الافراد بالعجز عن تثبيت سلوكهم على اساس من القيم المحكمة المستقرة.

عملية اكتساب القيم :

هل تدمج القيم باعتبارها تصورات لتوجيه السلوك تنبع من مواقف التفاعل فى الشخصية اد ماجا تلقائيا ، ام تدمج نتيجة عملية اجتماعية؟ . كذلك هل يتوقف اكتساب القيم عند طور معين أم هى عملية مستمرة ؟ . ان نسق القيم لا ينشأ تلقائيا ، لكنه يدمج فى الشخصية تدريجيا اثناء توحد الاطفال مع ثقافة المجتمع اثناء عمليات التنشئة الاجتماعية . فعملية اكتساب القيم عملية تعلم لأن الانسان فى بداية حياته لا يمتلك أية قيمة ، بل تلقن له ، أو يتوحد بها اثناء تفاعله مع ابويه ، وعلينا ان ندرك ان القيم من مقومات شخصية الصغار ، كما انها من مكونات شخصية الكبار . فالصغار باعتبارهم عنصرا من العناصر المكونة للمجتمع يكتسبون قيمه ، ويعبرون عنها فى أحاديثهم وكتاباتهم وتصرفاتهم وتفضيلاتهم(3) . ويعتمد نمو الشخصية الى حد كبير على مدى اتساع مجال القيم التى يواجهها الطفل اثناء نشاطه ، وتساعد البيئة الاسرية الغنية الخصبة بالمتقابلات على اثراء شخصية الطفل وصقلها بالقيم الاجتماعية . ويبدأ

---

(1) Parsons, Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 229.

(2) Engbretson William, E.: Values of Children. How they are dveloped. Children Education, Vol. 35, No. 6, 1959, PP. 245-264.

(3) Melvin, Lang: Value Development in Class Room. Children Education. Vol. 41, No. 3, 1964, PP. 125-126.

بها المثال فيفسر ما نما عي ، ومنها على العكس ما تكون وظيفته تشكيل هذه الحقائق التي يعنيه امرها وهي المثل العليا التقويمية . فالمثل العليا في الحالة الاولى رمز للشيء الذي يجعل من هذا الشيء امرا يدركه العقل ، وهذا النوع من الاحكام ينحصر عمله في تحليل الواقع ووصفه كما هو . اما في الحالة الثانية فالشيء هو الذي يكون رمزا للمثل الاعلى على النحو الذي يجعل تصور هذا المثال امرا ممكنا بالنسبة للناس على اختلاف انواعهم . فالحكم يتوخى ان يضفي على الواقع مظهرا جديدا ، يزيد ثراء الواقع بتأثير المثل الاعلى .

ونحن نرى ان المواقف التي يواجهها الافراد لا تخلق حكما واحدا كما يعتقد دوركهيم ، بل يخلق الموقف توجيهات متعددة للحكم نظرا لتعدد المتقابلات امام الحكم القيمي .

ونستخلص من عرض آراء دوركيم في معنى القيمة ان قيمة الشيء لا توجد في الموضوع بل هي ما يحققه هذا الشيء من آثار تنشأ عنه حسب تقدير الذات . وهذه الذات ليست الذات الفردية ، بل الذات الجمعية . فالشيء الذي له قيمة هو شيء مقبول على وجه من الوجوه عند الذات الجمعية . وثمة تعريف آخر للقيمة يقبله كثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا قال به كلايد كلاكهون . ويعرف القيمة بأنها تصور واضح محكم أو مختلط عن الموضوع المرغوب فيه ، ويخبر فرد ا او جماعة ، ويتحكم في اختيار اساليب الفعل ووسائله وغاياته من بين الممكنات . وتتوائم القيمة كبناء منطقي مع الثقافة والبناء الاجتماعي (1) . فالقيمة عند كلاكهون تصور يقبل التجسد بالاشياء ليعطيها معنى ، لانها من معطيات العالم الخارجي . وليس معنى ان القيم من معطيات العالم الخارجي انها تنشأ تلقائيا او صدفة ، او انها توجد خارج الذات ، بل يقصد ان القيم من معطيات المجتمع الذي نعيش فيه ، وتشكل لنا الافكار القيمية واقعة ما ذات طبيعة عملية . ويؤكد تعريف كليد كلاكهون اهمية الثقافة والبناء وعلاقة الفرد بالثقافة ومكانة الجماعة عند اصدار احكام القيمة . وتتفاوت تصورات الافراد عن القيمة الواحدة وضوحا أو غموضا . ويؤدي هذا التباين في تصورات القيمة الى تباين احكام القيمة وتميزها بالنسبية . ويعني تعريف كلاكهون بتصور القيمة انها بناء تحكمه قوانين الفكر ، وانها تعبير عن احكام العقل يمكن ان تقارن بقيم اخرى داخل البناء الاجتماعي ، ليتسنى لنا بيان المنزلة التي تحتلها القيمة في سلم القيم ، وتحديد مدى

---

(1) Kluckhoon, Clyde: Values and value orientation in T. Parsons and others. Toward a general theory of action, op.cit., P. 395.

ارتباطها بنشاط المجتمع • ويهدف ايضا من ان القيمة تصور أن تكون القيمة الاسلوب الاول الذى يستطيع أن يفهم أو يدرك ويقيم درجة من التناسب بين الشخصية ونسق الدور المنظم ، فالقيم افكار تصوغ اداء الفعل ، وتحدد السلوك المرغوب فيه ، وما يجب ان يكون عند مجموعة من الافراد • وتبغى القيمة تثبيت السلوك الانسانى ، وتسهيل عملية اشباع الحاجات أو قهرها ، كذلك يتضمن التعريف أن القيم احكام تفضل شيئا معينا وتستهجن آخر •

ويؤكد تعريف كليد كلاكهون أن الانسان لا يمكن ان يلاحظ القيم مباشرة مثل العناصر الثقافية الاخرى ، فكلا من الثقافة والقيم يقومان على ما يقوله ويفعله الاخرون ، وكليهما يمثل التأثيرات والمراجع والتجريدات عن الحقائق المحسوسة(١) • وتحدد القيم المدى المسموح به لدوافع الاشباع وفق الاهداف السامية الدائمة للشخصية ، كما تقرر الحاجة الى احترام مصالح الاخرين فى الجماعة ، ولا تنبثق القيم من احكام الفرد وحده ، ولا من العالم المادى أو الجماعة وحدها ، بل تنبثق من التفاعل بين الفرد والجماعة • ومن ثم يستحيل فهم القيم بعيدا عن المجتمع أو بمعزل عن الشخصية ، وتبعا لهذا التعريف يختلف افراد مجتمع ما فى درجة ارتباطهم حول قيم معينة تبعا لغموضها أو وضوحها عن الافراد •

وتؤثر القيمة فى توجيه المعايير التى تحدد سلوك الافراد فى المجتمع ، كما تحدد نوعية الثواب والعقاب والامور المستهجنة والمقبولة ، وتحدد القيمة اشكال سلوك الافراد الذين يشغلون مراكز محددة ، ومن ثم تحدد القيم السلوك الذى يتطلبه الدور فى موقف معين ، فأثرها حاسم فى الموقف ، اذ تدفع الفرد الى اختيار خط معين من التفكير أو الفعل • وترك الاخر خضوعا منه لأحكام المجتمع ودوافع الشخصية المتوارثة • ومن ثم فالقيم تعبر عن رأى أو شعور التفضيل وقبول الاحكام ، وتتضمن القيم الانماط والجزاءات الرادعة التى تعين وسائل السلوك والاهداف المقبولة ثقافيا ، وتشمل كذلك القضايا الثقافية المتضمنة فى الموقف التى تحكم الغايات والوسائل والعلاقة بينهما الى أقصى مدى لتحقيق التصورات المرغوب فيها •

ويتبين لنا من تعريف كلاكهون أنه اعطى تفسيرا نفسيا اجتماعيا للقيم • فالتفسير النفسى يختص بالجانب الداخلى للشخصية • أما التفسير الاجتماعى فيتجه الى المعايير الاجتماعية

---

(١) Kluckhoon, Clyde: Ibid., P. 396.

والتى لا تنبع مباشرة من التوتر المباشر أو الموقف الذاتى ، وانما تصدر عن البناء والثقافة.

اما الاتجاه الماركسى فيعرف القيم بأنها صفات للموضوعات المادية ، وظواهر الشعور الاجتماعى ، وهى تصف مدى اهمية هذه الاشياء فى المجتمع والطبقة والانسان [1] ، وهى توجه سلوك الناس وتنظم نشاطهم . وتتنوع القيم تبعا لتنوع موضوعات اهتمامات الناس ، كما تعبر عن مصالحهم فى صورة ايديولوجية . وقد أكد هذا التعريف أهمية القيم داخل المجتمع والطبقة وعند الانسان ، كما انها تعكس الظروف الاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية للجماعة ، كما يتضمن هذا التعريف أن القيم ترتبط باشياء واقعية لها وجود ملموس خارج ذواتنا سواء الاشياء الملموسة أو الموضوعات الخارجية . والقيم التى تعبر عن الظواهر الاجتماعية والاشياء المادية متنوعة تشمل الجمال والاخلاق والاقتصاد والروحانيا والقانون . وهذا التعريف الماركسى للقيم يماثل تعريف كليد كلاكهون ، بيد أن هذا التعريف يتميز بأنه ربط القيم باساليب الانتاج وحدها وربط القيم بموضوع ملموس خارج الذات.

وقد اعطى كوتون تعريفا مغايرا للاتجاه الماركسى والدوركيمى ، ويقرب من تعريف كلاكهون . فالقيمة لفظة تستعمل لتدل على بعض القواعد والسنن التى خلدها الزمن ، وتعطى معيارا يمكن الناس من تنظيم مدى جنوح رغباتهم ازاء الموضوعات المرغوب فيها بحيث يستطيع الناس أن يضعوا عن ثقة الاشياء والافعال واساليب الحياة ، وما الى ذلك موضع الاستحسان أو الاستهجان أو القبول . ومن ثم تبدو استجاباتهم للموضوعات المرغوب فيها دلالات للقيم المكتسبة والتى تعكس ثقافة المجتمع [2] .

ويبين لنا تعريف كوتون أن وظيفة القيم تحدد استجابات الفرد أو عدم استجاباته للموضوعات وأكد هذا التعريف أن القيم الاجتماعية من خلق المجتمع لأنها تحدد تفضيلات الافراد ، وتحد من افراطهم فى اشباع حاجاتهم ، كما تتضمن عناصر من التراث الاجتماعى . ويتعلم الشخص القيم التى تحكم تفضيلاته ، وهى تحدد له افعاله المقبولة والافعال المكروهة والتى يجب عليه أن يرفضها . وقد بين كوتون أن القيم هى القواعد والسنن التى تحكم التفضيلات

---

(1) Rosenthal, M.: Dictionnary of Philosophy, edited by M. Rosenthal and P. Yudin translated from the Russian, Moscow, Progress Publisher, 1967, P.471.

(2) Catton, William: Theory of value. A.S.R. Vol; 24, 1957, PP. 310-317.

بين المتقابلات ، ومن ثم فهذا التفضيل ليس عشوائيا ، او تحكمه الصدفة . بل هذا التفضيل بين المتقابلات وتقييمها تحدده سنن وقواعد مقرره ، اذ أن كل شخصية وكل تنظيم اجتماعى يواجه فى فترات متكررة مسئولية الاختيار والتفضيل بين مواقف متقابلة.

اما بارسونز فى محاولته التوفيقية بين فرويد ودوركيم ، فيرى ان القيم عنصر مشترك فى تكوين كل من نسق الشخصية والبناء الاجتماعى . وقدم لنا تحليلا متكاملا للقيم وتفسيرها يساير تعريف كليد كلاكهون ، ويؤكد نزعته التوفيقية بين علم الاجتماع وعلم النفس والتفاعل بين البناء الاجتماعى والشخصية.

وقد اعطى لنا بارسونز فى كتاباته اكثر من تعريف للقيمة . فقد صاغ فى كتابه النسق الاجتماعى ١٩٥١ تعريفا للقيمة يرى انها " عنصر فى نسق رمزى مقبول من المجتمع ، ويؤدى وظيفته باعتباره معيارا أو قاعدة للاختيار بين متقابلات التوجيه المنظمة والمتيسرة للمرء فى الموقف"(١).

وقد اعطى لنا تعريفا آخر للقيمة فى كتابه " العملية والبناء " ، ويعرفها بأنها أحكام الاتجاهات نحو ادراك الاهداف الجماعية . فالقيم تحدد وتضفى الشرعية على اهداف النسق (٢) ، وترشد الاشخاص الفاعلين اثناء اداؤهم لنشاطهم وتفاعلهم فى الموقف، وتحدد من ولاء الشخص للدور ازاء الادوار الاخرى . وتساعد شرعية هذه القيم الموجودة فى المجتمع على اعطاء النظام صفة البقاء والاستمرار .

وقد اعلن بارسونز فى كتابه " البناء الاجتماعى والشخصية " ، قبوله الصريح لتعريف كليد كلاكهون ، وان القيم " تصورات للتفضيل وهى جزء من الثقافة" (٣) . فالقيم تصورات عن الموضوع المرغوب فيه سواء أكان نسقا اجتماعيا أو نسقا للشخصية أو العالم الطبيعى وتتسم هذه التصورات بالعمومية ، وتحكم كل أنساق الفعل وهى تصورات يقبلها مجموعة من الاشخاص هم اعضاء ثقافة واحدة ، وهذه التصورات ليست مجردة ، بل تصاغ فى كلمات، ويستدل عليها دائما من اشكال السلوك والاتجاهات الخاصة والشائعة ، كما يميل تصور

---

(١) Persons, Talcott: Social system, op.cit., P. 12

(٢) Persons, Talcott: Structure and Process, op.cit., PP. 174-187.

(٣) Persons, Talcott: Social structure and personality, op.cit. P. 194.

القيمة الى الارتباط مع محتوى معيارى قوى لتنظيم السلوك عامة ٠

وتظهر لنا تعاريف بارسونز المتعددة ، أن الابنية الاجتماعية العقلية ليست مجموعة من انماط القيم الشائعة ، بل انها محصلة تكامل أنماط القيم مع المكونات الأخرى للنسق الاجتماعى ، وتتوحد الشخصية بهذه القيم ، وتنظم القيم العلاقات بين الانساق داخل البناء ، وتكتسب القيم واقعيتها بعد تنظيمها وتوحد الشخصيات لها فتصير جزءا من الموقف الذى يتفاعل فيه الافراد ٠

ويؤكد بارسونز اهمية تماسك القيم الاجتماعية والا تفكك البناء الاجتماعى ، واصيبت الشخصية بالاضطرابات النفسية ٠ ويرى بارسونز أن الاشخاص الفاعلين يقفون من القيم موقفا عاما يعبر عن قبولهم للتوقعات المناسبة وتوافقهم معا ٠ وتبدو هذه القيم واضحة وحاسمة فى تحديد الفعل اثناء مواقف التفاعل ، اذ أنها من مكونات الموقف ٠

وتتجلى أصالة بارسونز فى تحليله للقيمة ، فالقيمة لديه لن تكتسب واقعيتها الا اذا توحدت بها الشخصية لتصير دافعا لها على اداء السلوك المرغوب فيه ، واذا توحدت بها الشخصيات صارت عناصر منظمة للعلاقات داخل البناء ٠ وبذلك تجاوز بارسونز المدرسة الاجتماعية التى تجعل القيمة من صنع العقل الجمعى وحده ، وتضفى عليها صفة الاجبار ، وتسلب الانسان حريته فى اختيار القيمة ٠ كذلك تجاوز المدرسة الفرويدية التى ترى أن القيم من اختيار الشخص ، وتدخل فى تكوين ضميره فقط ٠ ويبين أن الشخصية تتوحد بالقيم التى نظمها البناء ٠ وقد ارتفع بارسونز عن المدرستين الاجتماعية والنفسية عندما أكد أنه بدون تنظيم القيم وتوقعات الادوار ، وبدون توحدها مع الشخصية تصير الحياة متعذرة ٠

ويمكن ان نستدل من تعاريف بارسونز للقيمة ، انه اعطاها معنى اجتماعيا عندما أشار الى أنها من مكونات النسق ، وأنها من الموضوعات الثقافية التى تتوحد بها الشخصية ، واعطاها معنى نفسيا عندما يبين انها من الحاجات الاضطرارية لنسق الشخصية التى تكفل تحقيق العلاقات الوجدانية ، وتحقق مطالب نسق الشخصية وتدفع المرء الى أداء فعل معين ٠

ونستخلص من هذه التعاريف ان تعريف كليد كلاكهون ، والذى أخذ به بارسونز فى كتابه الشخصية والبناء الاجتماعى ، هو أكمل التعريفات المقيمة ٠ فالقيم تصورات توضيحية

لتوجيه السلوك فى الموقف ، تحدد أحكام القبول أو الرفض وتنمو من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية ، وهى عنصر مشترك فى تكوين البناء والشخصية ، فهى من مكونات الموقف الاجتماعى لتضمنها نسق الجزاءات المرتبط بنسق الادوار فى البناء الاجتماعى ، كما أنها تكون جزءا من لب الشخصية الاجتماعية ، لانها حصاد عملية التنشئة الاجتماعية • والقيم قد تكون محكمة واضحة تحدد السلوك تحديدا قاطعا ، أو غامضة متشابهة تجعل الموقف ملتبسا مختلطا •

تصنيف القيم ومضامينها والتغير الاجتماعى :

يتبين لنا من جميع التعاريف السابقة التى قال بها الاجتماعيون أن القيم لا تنبع تلقائيا ، ولا تصدر من الغرائز ، بل تنبع من عالم راق من الفكر والوجدان • فالانسان يعيش فى مجتمع متعدد الجماعات ، متشعب العلاقات يتطلب قواعد تنظم حاجات افراده ، وتوفق بين المصالح الخاصة والمصالح العامة ، وهذه القواعد هى القيم • واختلاف القيم هو المحك الذى يرينا أسباب تباين الجماعات واختلاف انماط السلوك ، ويرجع هذا الاختلاف الى تباين ترتيب القيم داخل السلم القيمى السائد فى البناء الاجتماعى ، والى مكانة القيمة وفقا لعلاقاتها الوظيفية بافعال الفرد [1] •

وليست القيم تصورات صماء ، بل تتكون من عناصر تأتى اليها من المجتمع تتآلف فيما بينها لتكوين القيمة ، ومن مجموع القيم السائدة يتكون نسق القيم من اجل استمرار البناء الاجتماعى واستقراره وتماسكه • وليست هذه العناصر المكونة للقيمة عناصر عرضية ، بل عناصر لها ارتباطات تاريخية ورمزية امتصتها الثقافة السائدة •

ويرى كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا مثل بارسونز وفلورنس كلاكهون أن معرفة العناصر المكونة للقيمة ، يساعدنا على معرفة التنظيم الاجتماعى ، فلكل جماعة أو طبقة اجتماعية نسق من القيم ترتبط به ارتباطا وثيقا • وتحدد انسان القيم السلوك الذى يسود البناء • ويرى بارسونز و فلورنس كلاكهون ان ثمة عناصر ثلاثة هى العناصر العقلية والوجدانية والارشادية الاخلاقية تسهم فى تحديد القيمة ، وتحديد وظيفتها ومعناها • بيد أن مساهمة

---

(1) Parsons, Talcott: Social system, op.cit., P. 12.

كل من هذه العناصر فى تكوين القيمة يتفاوت من قيمة لأخرى • وترى فلورنس كلاكهون أن العلاقة بين العنصرين العقلى والوجدانى علاقة عليه[1] ، بيد أن هذه الصفة تسقط عن العنصر الثالث•

والعنصران العقلى والوجدانى عنصران هامان فى تكوين القيمة • ويعطيان القيمة معنى انسانيا لتحديد القضايا الواقعية والمعيارية • ويحتوى العنصر الارشادى الاخلاقى على تأثيرات تكاملية ومرشدة يفتقدها العنصران الأولان • كذلك يتضمن العنصر الثالث العمليات التى تساعد الشخص الفاعل على تخصيص طاقاته وتوجيهها بين مظاهر الفعل المختلفة• ولهذا العنصر الارشادى اهمية اساسية فى تكوين تصور توجيه القيمة ، وبدون هذا العنصر يتعذر قيام نسق القيم كنسق منظم • كذلك يساعد هذا العنصر على ربط العلاقات داخل نسق القيم ، ويعطى للنسق حق الاستمرار داخل البناء• كما ان له اهمية خاصة • اذ انه يبين حق الفرد فى الاختيار والانتقاء والتحرر من الحتمية التى وصف بها دوركيم القيم • فهذه العناصر التى تدخل فى تكوين القيمة ليست اوليات منطقية كما يدعى الفلاسفة ،بل هى من صنع المجتمع• فهى تعكس ثقافة المجتمع وتعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة • واذا كانت المدرسة الاجتماعية المعاصرة ممثلة فى بارسونز ، تؤكد ان القيمة تتكون من عناصر ثلاثة متداخلة متفاعلة فيما بينها ، فهى تخالف رأى دوركيم الذى أكد أن القيم ظواهر اخلاقية تتكون من عناصر عقلية ، وبين أن العناصر العقلية تعطى القيم قوة الالزام ، وتستمد هذه العناصر ذراعها من اصولها الجمعية، وفى الوقت نفسه اهمل العنصرين النفسى والاخلاقى الارشادى اللذين يعطيان الانسان حرية اختيار توجيهات القيم فى الموقف •

وتصنف القيم الى فئات مختلفة ، منها القيم الجمالية والقيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية والقيم الدينية والقيم السياسية• وتحاول هذه القيم ان تبسط سيطرتها على سلوك الأفراد فى مجالات الأخلاق والاقتصاد والفن والدين ؛ بيد أنه يصعب رد هذه القيم بعضها الى بعض• اذ انها لا تصدر عن سبب واحد ، كما ترتبط كل قيمة بنشاط معين ؛ يختلف عن النشاط المرتبط بالقيم الأخرى •

ويتباين ترتيب القيم داخل السلم القيمى من بناء لبناء ،ومن زمان لزمان ، لأن القيم تعكس الواقع الاجتماعى السائد • ويرجع تنوع فئات القيم الانسانية فى البناء الواحد الى تباين

(1) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation. By Florence Kluckhoon and Fred Strodbek; N.Y. Row Peterson, 1961, P. 8.

الاهتمامات والمصالح الروحية والاقتصادية والسياسية والى اختلاف تفضيلات الافراد ، وتباين احكامهم التقديرية والواقعية لمظاهر النشاط الجماعى • فالقيم تتأثر بمؤثرات اجتماعية، فهى محصلة للظروف الثقافية السائدة ، وتعبر عن سمات الجماعة • كذلك يرجع تباين القيم الى انها انواع من الدوافع ، فهى تمثل توجيه الفرد نحو اهداف معينة ، وتعبر عما يفضله الاشخاص داخل البناء • فالامر لا يقتصر على تصنيف فئات القيم الى فئات داخل البناء، بل ثمة ترتيب للقيم تبعا لاثرها فى الحياة الاجتماعية وارتباطها بالنشاط الغالب فى البناء• فهناك قيم رئيسية وأخرى ثانوية • وهناك قيم واضحة محكمة واخرى متشابهات • وهناك قيم سائدة ، وقيم متغيرة •

وقد اعطى سبرينجر تصنيفا للقيم • فقد قسم القيم الى ست فئات حسب مظاهر النشاط الاساسى فى المجالات المختلفة• وهذه الفئات هى القيم النظرية والقيم الاقتصادية والقيم الجمالية والقيم السياسية والقيم الاجتماعية والقيم الدينية • وقد قبل هذا التصنيف معظم علماء النفس والاجتماع • وقد اعتمد عليه هؤلاء فى كثير من الدراسات التجريبية التى قاموا بها •

فالقيم النظرية تعبر عن اهتمام الانسان الزائد باكتشاف الحقيقة والمعرفة من أجل تحقيق هذه القيم • ويتميز سلوك المؤمنين بهذه القيمة بالاتجاه الفكرى والعقلى والنقدى والتجريبى • كذلك فالمؤمن بالقيم النظرية يفضل دائما ان يكون عالما فى مختلف العلوم أو محبا للفلسفة•

واما القيم الاقتصادية ، فتعبر عن الاهتمامات العملية ذات الفائدة والنفع ، وتتوافق هذه القيم توافقا وثيقا مع زيادة الاهتمام بالاشياء العملية فى الصناعة والثروة • ويهتم المؤمن بالقيم الاقتصادية بكل ما يهم رجال الأعمال أى الانتاج ، والتسويق ، والاستهلاك ، والائتمان• فتتصارع هذه القيم الاقتصادية مع القيم الاخرى • ويرى انصار القيم الاقتصادية أن القيم النظرية مضيعة للوقت ، ولا نفع لها • وهم يخلطون بين المتعة والجمال والمنفعة ، كذلك تحدد علاقات الناس على أساس المال والثروة لا حسب سلامتهم او ما يقدمونه من خدمات •

واما القيم الجمالية فتعتنى بالشكل والتجانس ، ومصدر احكام هذه القيم جمال الموضوعات وتناسقها وملائمتها • وتبدو الحياة للمؤمن بهذه القيم مجموعة من الاحداث

متعددة الاوجه ، ويتمتع بكل انطباع ازاء الاحداث • والقيم الجمالية تقابل القيم النظرية • فالمؤمن بالجمال يهتم بالتباين والتناسق • وهو يميل الى الفردية والاكتفاء الذاتى ، وهو ليس اجتماعيا • والفنان ليس ابدا فنانا خلاقا بل احيانا قد يكون فنانا ذواقا مستمتعا بالجمال محبا له • بينما يهتم المؤمن بالقيم النظرية بالتجربة وما تدل عليه • ويعارض المؤمن بالقيم الجمالية القيم الاقتصادية ،ويرى فى عمليات التصفيق والتجارة والاعلان وأد للقيم التى يؤمن بها •

اما القيم السياسية فتهتم بالسلطة والقوة والسيطرة والعزم • ويؤمن السياسى بالتسلط والتأثير والشدة • ويهتم اصحاب هذه القيم بالعلاقات الاجتماعية لا حبا فى الناس، بل حبا فى السلطة • وهذه القيم ليست من الضرورى ان تحدد بمجال السياسة ، بل تمارس فى مجالات أخرى •

اما القيم الاجتماعية فتهتم بحب الناس والتضحية من اجلهم ، وبذل الخدمات العامة • والمؤمن بالقيم الاجتماعية ليس انانيا أو عاطفيا ، بل يرى فى العمل على اسعاد الآخرين غاية فى حد ذاتها • ويرى المؤمن بالقيم الاجتماعية ان المؤمنين بالقيم النظرية والاقتصادية والجمالية يتجهون اتجاهات عاطفية باردة ، وهو ضد السياسى ، ويرى ان الحب فى حد ذاته هو صورة مثلى للسلطة • ويرى ان القوة الغاشمة سبيل الى تحطيم تكامل الشخصية، ومن ثم فالمؤمن بالقيم الاجتماعية انسان ينكر المصلحة الشخصية والفردية ، ويقترب كثيرا من الدين والجماعة •

اما القيم الدينية فتؤكد وحدة كل التجارب ، وادراك الكون ككل ، وتأكيد الايمان الاقصى فى مجالات النشاط المختلفة •

ان كل فئة من فئات هذه القيم الست لها معنى بالنسبة لنشاط الافراد وتعكس رغباتهم، كما انها تساعد على توجيه النشاط الانسانى • ولا يعنى تصنيف القيم الى فئات ست أن هناك انماطا ستة من الناس • ويقتد ألبورت رأى سبرنجر ، فيرى أن وجهة نظر سبرنجر مجانبة للطبيعة البشرية ، اذا لا يسمح هذا التصنيف بوجود شخصيات لا قيم لها مثل البوهيميين أو النفعيين ، كما ان هذا التصنيف قد اهمل القيم الحسية الصرفة • وهذا كله يضعف تصنيفه[1] • كما ان هذا التصنيف لا يطبق الا على الاشخاص الذين نالوا حظا من التعليم والتجربة • وقبولنا لهذا التصنيف لا يعنى ان مضمون القيم او معناها ثابت لا يتغير ، وانها متماثلة فى

(1) Allport, Gordon: Pattern and Growth in Personality, op.cit. P. 454.

المجتمعات الانسانية ، كما اننا لانرى ان هذا التصنيف جامع شامل عام • فلقد اكدت الدراسات الميدانية فى المجتمعات المختلفة والتى قام بها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ان تأثير القيم الاساسية على السلوك كتمثلات تصورية يرتبط بفترة زمنية محددة " ومجتمع معين " (١) • فالقيم مثلها مثل كل ظواهر المجتمع تخضع لتأثير التغير • وهذا التغير يحدث نتيجة تغير التركيب الداخلى للبناء الاجتماعى ، أو ضغوط القوى الخارجية • فالتغير الاجتماعى كمحصلة للتفاعل والتأثير المتبادل بين الانساق الاجتماعية والثقافية يعنى كذلك تغيرفى القيم التى تضبط أوجه النشاط المختلفة ونماذج السلوك • فالتغير فى القيم عملية اساسية تصاحب التغير فى بناء المجتمع ، وتعنى تغيرا فى تسلسل القيم داخل نسق القيم • كذلك تغير مضمون القيمة ومعناها وتوجيهاتها (٢) • وتؤكد فلورنس كلاكهون ان التغير فى انساق توجيهات القيم هو أهم أشكال التغير الثقافى ، ومن ثم فهو الصورة الاساسية للبناء الثقافى • وترى أن تغير توجيهات القيم لا يرتبط فقط بالتغير البنائى ، بل يرتبط كذلك بتغير علاقات المرء داخل البناء والتى تتغير بتغير اطوار العمر•

والتغير فى مضمون القيمة ومعناها او توجيهات القيم فى الموقف ، مسألة لا تخص الفرد وحده ، بل ان المجتمع يعانى من تغير القيم والصراع الذى لا مفر منه بين القيم السائدة والمتغيرة ، وأيضا التضارب بين توجيهات القيم ، ولا يعنى هذا عقما فى القيم بقدر ما يعنى كثرتها وثراءها (٣) • كذلك فالتغير فى القيم ومكوناتها وتباين توجيهات القيم ليست ظاهرة حديثة • فالانسان يواجه دائما مشكلة تغير القيم ، وتغير مضامينها ، وترتيبها على مسار التاريخ • فالارتباط بالارض والخضوع لها والايمان بالملكية الشخصية من القيم الهامة فى المجتمع الزراعى "تعبير عن الثقافة السائدة فى المجتمعات الريفية التى تفلح الارض ، لكن فى المجتمعات الصناعية تتوارى هذه القيم ، وتظهر قيم جديدة تمجد الحراك المكانى والعمل والمساواة والحرية • كذلك فالمجتمعات الرأسمالية التى تمجد التناقض الطبقى تعطى قيمة للملكية الفردية والمسئولية الشخصية والحرية الفردية • لكن بعد تحول هذه المجتمعات الى مجتمعات اشتراكية ، تأخذ هذه القيم فى الضمور ، وتحل محلها قيم أخرى تؤكد الملكية

---

(١) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation, op.cit., P. 8.

(٢) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 3.

(٣) Harlod, Fallding: A proposal of experimental study of values, A.S.R., op.cit.,

الجماعية ، وتقد من المسئولية الجماعية والحرية الجماعية.

وهناك مجتمعات تضع المال فى قمة نسق القيم ، ومجتمعات اخرى تضع الفن او العلم فى المقدمة. ويعبر ترتيب هذه القيم داخل النسق عن طبيعة الثقافة السائدة فى البناء. ولا يعنى اختلاف ترتيب هذه القيم عدم ترابطها او انعزال كل منها عن الاخر، بل ان الارتباط بين القيم ضرورى ، " فالقيم اجزاء متكاملة فى المجتمع" (١) . فالمجتمع يحتاج الى القيم المادية قدر حاجته الى القيم الروحية ، ولا غنى عنها لتنظيم نشاط الافراد .

بيد ان التغير فى القيم فى المجتمعات المعاصرة ظاهرة تتميز بالتكرار والسرعة على خلاف الحال فى المجتمع التقليدى حيث كانت القيم مستقرة لأجيال متعددة. وقلما تواجه التغير، الا بعد فترات طويلة من الاستقرار. الا ان التغير المعاصر السريع نتيجة ازدياد استعمال الاختراعات التكنولوجية ، وعجز الاسرة عن مواجهة التزامات العالم المتغير ، يساعد على تغير القيم من عقد الى عقد ، او من جيل الى جيل . فالتغيرات المتلاحقة تؤدى الى عدم تجانس القيم المتوحدة مع الفرد ، وتعارض مطالب البيئة الاجتماعية ، مما يساعد على تغير سريع فى نسق القيم . ولا يعنى هذا التغير فى القيم ، مجرد حدوث عمليات توافق او توازن او اختلاف بنائى ، بل ان تغير القيم يعنى تغيرا اساسيا فى النسق الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية ونسق الشخصية.

ويصاحب عملية التغير فى القيم دائما حالة من الصراع بين القيم نتيجة عدم التنظيم الكامل للقيم السائدة والمتغيرة ، وكذلك عدم التجانس بين مكونات القيمة الواحدة ، والاختلاف فى نسق الدوافع المكونة للشخصية . وهذا يعنى فى المحل الاول تباين توجيهات القيم فى البناء وعند الفرد الواحد فى موقف معين مما يؤدى الى احساس المرء بالصراع والتوتر (٢) . كذلك يشعر الافراد بالصراع عند المواجهة بين القيم الدينية والاقتصادية ، او المقابلة بين القيم الاسرية والمهنية . وهذا يعنى ان بناء توجيهات قيم الشخص والجماعة لا يتسق نحو توجيه معين بل يتركب من عناصر مختلفة تتضارب فيما بينها .

واحساس اعضاء المجتمع بالصراع بين القيم ظاهرة طبيعية قلما يخلو منها مجتمع فى فترات التغير نتيجة عدم توحد الافراد بالقيم توحدا كاملا . ويؤثر صراع القيم فى سلوك الشخص فى الموقف ، وعدم استقراره على نمط ثابت من السلوك ، بل ان هذا الصراع بين القيم أمر

(١) Cohen, Yehodi: Social structure and personality, op.cit., P. 114.

(٢) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation, op.cit., P. 32.

طور اكتساب القيم عند ما يتعلم الطفل تداول الكلمات ، وليست القيم مهارات تعطى للطفل عليه ان يتقبلها كما هي ، اواوامر تفرض عليه ، فهو لا يكتسبها ولا يتوحد بها على علاتها ، بل يدرك منها ما يستطيع ان يكتسبه اثناء تفاعله مع الام داخل نسيق الام والطفل ، ثم اثناء تفاعله مع اعضاء اسرته ، عند ما يدرك معنى التميز في الاحكام ، وتفاعل الطفل مع والديه واكتسابه نسقا لقيم جديدة يعنى تعلمه كيفية تبادل الادوار مع الاخرين ووعيه بتبادل الادوار والمراكز والمواقف والجزاءات السلبية والايجابية • وتقع على الام ثم على الاب مسئولية تلقين الطفل قيم المجتمع الكبير وأهدافه • وتلعب الام دورا هاما في توحد الطفل مع قيم المجتمع • فالارتباط القوى بالام ، وشعور الطفل بحبها يكون لديه نسق الطمأنينة ، ويسهم في استقرار سلوكه ، ويعكس توحده مع معان واضحة للقيم ، واتجاهات محكمة للقيمة في الموقف • اما شعوره بالتوتر والحيرة فيعكس توحده مع قيم متشابهات ، واتجاهات غير ثابتة ، كما يعكس لنا ما يراه من ازدواج توجيهات القيم في الموقف لدى الاسرة ، ومن ثم فان عملية اكتساب القيم لها ركيزة نفسية ، فما نجاح الطفل في استمرار قيم المجتمع الا نتيجة فائدتها في تحقيق الطمأنينة ، واشباع الحاجات النفسية والعضوية •

ان عملية توحد الطفل بالقيم عملية ضرورية لاكتسابه قيم المجتمع ، اذ ان القيم لن تستقر او توجه السلوك ما لم يتوحد بها نسق الشخصية • فمستويات القيم المتوحدة تحدد توقعات المرء لسلوك الاخرين • ويؤدى عدم التوحد بها الى جهله بتوقعات سلوك الاخرين ، وغموض الرؤيا امامه ، والتخبط في سلوكه لجهله بالقيم التى تحكم المواقف لعدم مواجهته لها والتوحد بها في مواقف التفاعل السابقة • ومن ثم لا تحظى هذه القيم بالتقدير ، ويتسم سلوك المرء بالانحراف عن السلوك المألوف في الجماعة ، ويجب ان نؤكد ان توحد الطفل مع قيم الاسرة يعنى توحده مع القيم السائدة والمتغيرة ، بيد ان عملية اكتساب القيم لا تقتصر على مجال الاسرة اذ تسهم الجماعة التى ينتمى اليها الطفل عند خروجه الى المدرسة ، وتفاعله مع اعضاء جدد في مواقف متعددة ومواجهته لقيم جديدة ، يساعد هذا على تدعيم القيم الاسرية ، واكتسابه قيما جديدة ، او يضع ما توحده من قيم اسرية موضع الشك والنقد ان تعارضت هذه القيم مع القيم التى ينادى بها البناء • وقد اصبحت وسائل التثقيف المعاصرة وسائل تنازع الام والاب مسئوليتهما في توجيه الطفل الى قيم جديدة • الا اننا نؤكد ان القيم المتوحدة داخل الاسرة ان كانت محكمة تحتل الافضلية لدى الطفل عند ما تتعارض هذه القيم مع القيم التى تحاول ان تفرضها اجهزة التثقيف والتعليم • لكن الامر يختلف عند ما يتوحد الطفل مع توجيهات متشابهات للقيم عن مشكلة

واحدة . كما يختلف دور اجهزة التثقيف فى فترات الاستقرار الاجتماعى عن دورها اثناء فترات التغير . فهذه الاجهزة تؤكد القيم الاسرية فى فترات الاستقرار، وترشد الابن الى توجيه محكم للقيمة فى الموقف . لكن فى ازمنة التغير قد تتعارض القيم التى تدعو اليها هذه الاجهزة مع قيم الاسرة ، ويواجه الابن مواقف الصراع والازدواج لتوجيهات القيم ، اى يواجه الصراع بين ما اكتسبه فى الاسرة وما يبشر به المجتمع .

ويرى بارسونز ان نجاح عملية اكتساب القيم يرتبط بثلاثة اسباب :

السبب الاول : مرونة المرء ، وتعنى قدرته على تعلم الانماط المتقابلة .

السبب الثانى : حساسية المرء ، وتعنى قدرته على تكوين رابطة مع الانماط المتغيرة .

السبب الثالث: اعتماده على الآخرين . وهذا السبب هو قاعدة الارتكاز فى تنشئة الطفل اجتماعيا[1] واكتسابه قيم ومعايير البناء . فاعتماد الطفل على الآخرين، وردود افعال الكبار المحيطين به ، داخل اسرته — كل ذلك — له اثره البالغ فى تنظيم اختيارات الطفل وتفضيلاته .

ويوجه الطفل فى مواقف التفاعل الى الرغبات التى تجسم له قيم الشخص البالغ وتشبع حاجاته العضوية وفق قيم البناء، وتصير حاجاته منظمة حسب ثقافة البناء السائدة ، وتشبع طبقا لاتجاه تكاملها مع نسق التفاعل . ويلعب الوالدان دورا هاما فى قبول الطفل قيما معينة ، ونبذ قيما اخرى مرفوضة منهما ، اذ يلاحظ الطفل اثناء سلوكه اليومى مع والديه مجموعة من القيم تعلن عن نفسها اثناء تفاعله معهما ، او تلقن له على شكل مجموعة من قواعد السلوك، يبدأ التوحد معها ، ويتقبل الطفل القيم الاسرية " ويصير ما يريده الوالدين هو ما يريده الطفل نفسه" [2] . ويساعد اكتساب الطفل للقيم الاجتماعية السائدة، على افساح المجال لوجود سلوك ذو حافز صادق داخل البناء ، وتخضع الدوافع لتحقيق كل توقعات الادوار[3] ، بيد ان الطفل لا يتوحد اثناء تفاعله مع والديه مع مجموعة القيم كلها فى آن واحد ، بل هناك درجات متتالية لتوحد القيم تتم تدريجيا اثناء عملية التنشئة الاجتماعية فى اطوار النمو المختلفة .

وثمة نتائج اجتماعية لاكتساب الطفل للقيم منها :

---

(١) Persons, Talcott: Social system, op.cit., P. 215.

(٢) Persons, Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 218.

(٣) Persons, Talcott: Social system, op.cit., P. 42.

١ـ ان القيم المتوحد بها والمشتركة تساعد على فهم المرء ادوار السلوك فهما واضحـــا وأد ائها اداءا ناجحا •

٢ـ أن نسق توجيهات القيم المتوحد به يساعد على استقرار نسق السلوك ، أى تكامـــل اهداف الشخصية مع اهداف الجماعة •

٣ـ ان اكتساب القيم يساعد على الارتباط بالجماعة ، وتكوين شعور بالتماسك الجماعـــى وايمان الشخص بالمعايير والسنن الاجتماعية •

ورغم ان عملية اكتساب القيم عملية لا تقتصر على طور الطفولة ، فالقيم المكتسبة فى فترة الطفولة قيم راسخة ، وهى الاساس الذى يقوم عليه نسق القيم فيما بعد ، وتعتمد درجة تأثير الجماعات الأخرى على كيفية التوحد ات السابقة بقيم الوالدين • وترجع اهمية اكتساب الشخص للقيم فى اطوار العمر المختلفة ، والتى تتغير بتغير علاقات الشخص ، الى أن القيم هى اللب الاجتماعى للشخصية • فالقيم عنصر يدخل فى تكوين الشخصية من اجل تنظيم الدوافع الانسانية اثناء عمليات التفاعل داخل مواقف متعددة ، اى انها تنظم سلوك الشخصية فى مواقف التفاعل ، ومن ثم فالقيم عنصر ضرورى لتنظيم البناء والعلاقات بين الانسان الاجتماعية ، وهى اســاس انجازات السلوك ، يدفع الافراد الى تكوين الجماعات ، وتحقيق الرابطة بين الجماعــات •

فالانسان اثناء تفاعله مع الآخرين فى المواقف الاجتماعية المتباينة يحتاج الى القيم التى تحدد التزاماته وواجباته ازاء الجماعة التى ينتمى اليها ، ويظهر اشتراك الاشخاص فى قيـــم متماثلة احساسهم بالمسئولية لتحقيق الالتزامات الاجتماعية ، وشعورهم بالتماسك • اما تبايـــن القيم وتصادمها بين الافراد ، فيؤدى الى صعوبة تحقيق النظام والتوافق الاجتماعى وزيـــادة الانحراف الاجتماعى • فتكامل نسق الشخصية مع نسق القيم هو عملية ملاقاة بين العناصـــر الوظيفية للموقف ، وانماط توجيه القيم السائدة فى البناء ، وتحدث هذه العملية نتيجة توحد الشخص الكامل مع قيم الجماعة ، ويساعد عدم اكتساب الشخص للقيم السائدة على تذبـــذب سلوكه ، وشعوره دائما بالارتباك والحيرة •

واذا كان الصبية والاطفال يتوحدون غالبا مع قيم الوالدين ، وينعكسون فى تصرفاتهـــم قيم الاسرة ، فان الشباب فى المجتمعات الرأسمالية سريعة التغير او فى المجتمعات الـــتى من الثورات الاجتماعية كثيرا ما يتمردون على قيم الآباء ، ويبدأ النقد او الصراع مع قيـــم

واهتمامات جيل الوالدين . وتنشأ فجوة واسعة بين قيم الشباب والشيوخ نتيجة لضعف سيطرة الاسرة ، مما ينمى لديه الشعور بالتمرد واللامبالاة بالقيم المتوارثة التى تعبر عن الطابع المحافظ للوالدين ، كذلك تنشأ وتنمو ظاهرة بعد المسافة بين الاجيال نتيجة لتباين اهتماماتهم ومصالحهم . فالشباب يهتمون بالمثالية فى تصرفاتهم ، واهتماماتهم ، اما الكبار فواقعيون .

توجيهات القيم :

رفض علم الاجتماع المعاصر والانثروبولوجيا المعاصرة فكرة الاحكام التقويمية التى تؤكد ان علاقة الشىء بالمثال ، لا تحكمها الا حكما واحدا يعكس العقل الجمعى ، ونادتا بأن ما يراه المرء من حلول ممكنة للمشكلات الانسانية يرتبط بالحقائق الموضوعية الموجودة فى الموقف ، وان ارتباط المشكلة الانسانية بالمثال لا يحمل معنى واحدا عند مختلف الافراد ، بل له اكثر من معنى . ويعرف هذا الاتجاه فى تفسير حلول المشكلة الواحدة بتوجيهات القيم . ويرى انصار هذا الاتجاه ان القيمة تصور يعبر عن توجيه اختيارى نحو الموقف ، يتضمن اداء فعل او نبذه ، وقبول سلوك او استهجانه ، وتحدد تفضيلات الافراد بين المتقابلات الممكنة للفعل ، والتى يتعلمها الشخص من البيئة الاجتماعية التى تحيط به .

وقد اهتم علم الاجتماع المعاصر بتوجيهات القيم ازاء المشكلات التى يواجهها الانسان فى العالم . ويرى ان توجيه القيمة الذى يقبله شخص ما يعبر عن الاساليب اللاشعورية لتفضيلاته داخل الموقف ، ويعكس لنا نظرته الى العالم ، وطبيعة علاقاته مع الآخرين ، ويتضمن معنى القبول والارتباط والرفض والاستهجان ، ومعنى التمييز والاختيار والتصنيف . فالقيم تحمل توجيهات الى مجموعة من المعانى والمفاهيم والآراء والاتجاهات تصف اتجاه الفعل والسلوك فى ثقافة ما . ففى البناء الاجتماعى يحمل كل فرد من افراده فلسفته الخاصة فى نطاق الثقافة العامة السائدة داخل البناء . وهذه الفلسفة الخاصة تطبع اسلوب الفرد بطابع معين فى اختيار توجيه القيم الملائمة والتى تقدم الحلول المرضية للمشكلات فى الابنية المختلفة من بين مختلف توجيهات القيم . ونحن نهتم بعرض توجيهات القيم اقتداء برأى بارسونز الذى يرى ان توجيهات القيم تحدد توقعات الادوار فى النسق الاجتماعى ، وتنظم العلاقات فى البناء ، وتسهم فى تكوين الشخصية (١) .

---

(١) Parsons, Talcott: Social System, op.cit., P. 228.

وقد بينت فلورنس كلاكهون ان من بين اسباب تباين توجيهات القيم ازدياد أوجه النشاط المتعددة والمتشعبة التى يمارسها الشخص داخل المواقف المتعددة ، وتعدد الجماعات التى ينتمى اليها الفرد ، ولا يوجد فرد أو بناء تسوده مجموعة انماط تعبر كل واحدة منها عن توجيه محدد لقيمة واحدة لكل المشكلات ، فكل فرد يمتلك كجزء من ذاته نظاما متسلسلا من توجيهات القيم[1] . وهذا التباين فى توجيهات القيم من شخص الى آخر، ومن بناء الى بناء يرجع الى التباين الثقافى بين المجتمعات ، والى الاختلاف النفسى للشخصيات[2] .

فالتكوين النفسى للشخصية عامل هام يحدد مدى خضوع السلوك لتوجيهات القيم المتوحد بها ، ويدفع الشخصية الى تفضيل سلوك معين ، ورفض غيره . فالسلوك الفعلى الذى يمارسه الاشخاص فى المواقف المختلفة والقواعد الاخلاقية المتباينة التى تضبط هذا السلوك ، يعكسان لنا توجيهات قيم الشخص ، وتسهم توجيهات القيم المتماثلة ازاء مشكلات معينة فى تماسك البناء ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بين اعضاء الانساق ، كما تسهم فى تعزيز نشاط الافراد ووضوح الرؤية امامهم ، واستقرار النسق الاجتماعى .

فالتوجيه فى موقف ما يعنى أن يختار الشخص بين متقابلين او اكثر ، فيفضل أحدهما على الآخر ، متأثرا بالقيم التى تحكم سلوكه . وهذا التفضيل قد يتعارض مع مصالح واهتمامات أشخاص آخرين فى داخل المجتمع ، ولا يحدث التفضيل بين المتقابلات فى الموقف عشوائيا ، لكن الحلول التى يختارها الشخص فى الموقف تحددها قواعد عامة ، تتولد من تفاعل العناصر العقلية والوجدانية والارشادية الاخلاقية المكونة للقيمة . وينتج تفاعل هذه العناصر الثلاثة فى الموقف نوعا من النظام على الافكار يحدد اختيار التوجيه الذى يبين مسار الفعل . فالتوجيهات الى حلول معينة تحددها القيم السائدة والمتغيرة ، وتؤدى هذه التوجيهات الى تنظيم اساليب السلوك المقبولة فى الموقف ، وان اختلف معنى التنظيم من مجتمع لآخر . بيد أن الاجزاء المكونة لنسق توجيهات القيم ليست ثابتة ، بل متغيرة ، كذلك تتغير هذه الاجزاء المكونة لهذا النسق بنسب متفاوتة بتأثير التغير الاجتماعى نتيجة تغير الانشطة والاهتمامات فى مجالات التفاعل . ويعطينا التباين فى نسق توجيهات القيم الدليل على العلاقة بين التغير والقيم .

---

(١) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation, op. cit., P. 31.

(٢) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 4.

لكن ما معنى توجيه القيمة؟ • يعرف كليد كلاكهون توجيه القيمة بأنه تصور عام ومنظم يؤثر فى سلوك الانسان ازاء الطبيعة ، ويحدد مكانته فيها وعلاقاته بالآخرين ، والاشياء المرغوب فيها او غير مرغوب فيها • وهذا التصور يؤثر فى سلوك المرء، اذ أن توجيهات القيم تتعلق بصلة الانسان بالطبيعة والبيئة والعلاقات الانسانية المتداخلة (١) •

ويرى كليد كلاكهون ان توجيهات القيم تصورات يدركها المرء فى مواقف التفاعل • ومن ثم فقد تكون هذه التصورات محكمات او متشابهات ، كذلك يؤكد هذا التصور العلاقة الواضحة بين الاحكام المعيارية والأحكام الواقعية ، وتأثير الثقافة اللامتناهى فى تحديد هذه الأحكام، اذ تحدد الثقافة توجيهات قيم الفرد وتوجيهات قيم الجماعة فى نفس الوقت • وهذا التعريف الذى قال به كليد كلاكهون تعريف دقيق لتوجيهات القيم ، وقد قبله معظم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ونحن نقبله اساسا فى دراستنا لتوجيهات القيم•

ويبدأ توحد الشخص بتوجيهات القيم المرتبطة بحلول معينة لمشكلات محددة فى هذا العالم من فترة الطفولة ، وتعكس لنا توجيهات القيم المتوحد بها تأثير الابوين وخاصة الأم ، وطبيعة العلاقات بينهما فى النسق الذى يصير فيه الطفل • وتتجسم توجيهات القيم التى يتوحد بها الطفل أثناء تبادل العلاقات مع الشخص الذى يقوم بتنشئته اجتماعيا ، ويساعد توحد الطفل بتوجيهات القيم على تكوين العناصر الاجتماعية والاخلاقية للشخصية ، وتدخل هذه التوجيهات فى تركيب عناصر الموقف اثناء عمليات التفاعل الاجتماعى ، كما انها تحدد انماط الحقوق المتبادلة والالتزامات التى تكون توقعات الادوار والجزاءات • وتساعد توجيهات القيم المتوحد بها على تنظيم توقعات الادوار بين الاشخاص داخل النسق الاجتماعى ومن ثم يتطلب البناء الاجتماعى المتماسك قدرا من التطابق فى تصورات الاشخاص لتوجيه القيمة ازاء المشكلة الواحدة ، ولنسق توجيهات القيم ، وليتحقق التكامل بين اهداف الشخصية واهداف المجتمع، وتنظيم أنساق الفعل ، ولذا يؤدى تباين أساليب التنشئة الاجتماعية الى تباين توجيهات القيم عن المشكلة الواحدة داخل الجماعة الواحدة ومن بناء الى بناء•

ويرى بارسونز ان توجيهات القيم لا تنصرف الى الشئون الشخصية والفردية للفاعل ، ولا تنصرف الى تحقيق التوازن بين الاشباع والحرمان ، بل تنصرف توجيهات القيم الى مضمون

(١) Kluckhoon Clyde: Values and value orientation in T. Persons and others. Toward a general theory of action, P. 411.

المعايير الاجتماعية المختارة لأنها تحدد انماط الحقوق والواجبات التي تكون توقعات الادوار ونسق الجزاءات • ومن ثم فتصورات توجيهات القيم اساليب لتكوين العلاقة بين العناصر الثقافية داخل النسق • ويدل ما يقبله الشخص من توجيهات قيم معينة على مراعاته لمعايير معينة ومستويات واختيارات محددة تدفعه الى سلوك معين عندما يكون في موقف يتيح له الاختيار•

ويمتلك الشخص عادة مجموعة من توجيهات القيم تتشابك كلها اثناء التفاعل في الموقف لتحكم اختياراته ، وتكون له معايير تحدد له الاختيار ، وترشده الى التمييز• وتعبر هذه التوجيهات التي تحكم سلوك الافراد - والتي يدخل في تحديدها العامل النفسي - عن الثقافة السائدة في الموقف ، وتساعد المشاركة في نسق توجيهات القيم على تنظيم سلوك الافراد اعضاء البناء ، وعلى تحديد التكامل بين الانساق الاجتماعية والشخصية والثقافة •

ونرى ان دراسة توجيهات القيم وتباينها ازاء المشكلات السائدة في المجتمع ذات أهمية لباحث التغير الثقافي أو التغير الاجتماعي ، ودارس البناء الاجتماعي والشخصية ؛ لأنها تعبر عن تنوع مظاهر السلوك في البناء الذي تؤثر فيه تغيرد وافع الشخصية ، واختلاف الانساق• وقد اهتم تالكوت بارسونز وفلورنس كلاكهون بدراسة تصنيفات توجيهات القيم• وقد وضع بارسونز نموذجا نظريا لتوجيهات القيم بتأثير نظريته عن المتغيرات النمطية • كذلك وضعت فلورنس كلاكهون نموذجا لتوجيهات القيم ، واستخدمته لدراسة خمسة مجتمعات بدائية في القارة الامريكية • وسنحاول ان نعرض لكلا النموذجين ؛ قبل عرض نموذج لنا يهدف لدراسة توجيهات القيم تضمن عشر مشكلات يواجهها الصبية في المجتمع النامي • اقتبسنا ثلاثة منها من فلورنس كلاكهون ، لتماثل مجال الدراسة في المجتمع البدائي ومجتمع الاطفال •

توجيهات القيم عند بارسونز :

يرى تالكوت بارسونز ان الشخص الفاعل يجب ان يقرر ما يختار داخل الموقف بين مجموعة من المتغيرات النمطية يواجهها المرء في الموقف •ولكل متغير نمطي منها توجيهان على الشخص الفاعل في الموقف أن يقبل احدهما ويرفض الآخر ؛ قبل ان يؤدى سلوكه ، ويكون نسق من الافعال له معنى ليصير الموقف مفهوما لديه • ويكون نسق الفعل ويتصف سلوكه بالقبول والشرعية والفرضية •.وحدد بارسونز مجال التفاعل بين متغيرات نمطية خمس • وتكون مجموع هذه الثنائيات المتقابلات الخمس التي يواجهها المرء داخل الموقف والتي يسميها بارسونز المتغيرات

النمطيــة ٠

وتتصف هذه المتغيرات النمطية عند بارسونز بأنها عامة ،وانها تسمح بالمقارنة بــين الجماعات مهما تعددت مجالاتها واحكامها ، واختلفت الثقافات فيما بينها ؛ وتنظم هــذه المتغيرات النمطية السلوك حسب حاجات الشخصية ٠ وتكشف لنا عن اوجه الاختلاف والتماثـل الحاسمة فى النسق الاجتماعى والثقافى بين الجماعات ، ولهذه المتغيرات النمطية عنـــد بارسونز " قوة عجيبة " (1) لقدرتها على التشكل فى صور مختلفة مع انساق متباينة ، فهـــى ترتبط بالنسق الاجتماعى لتحديد الدور وتعريفه ،وترتبط بالشخصية باعتبارها عادات للفعــل ، وترتبط بالنسق الثقافى لتوجيهات القيم ، فهى اشبه بالمنجم الذى يستخرج منه كل ما يريــد لتشكيل وتوجيه عناصر الموقف ٠

ويواجه الشخص كل متغير نمطى من المتغيرات النمطية الخمس داخل المواقف المتعددة، ويمثل كل منها توجيها لسلوك المرء ازاء مشكلة معينة فى الموقف ،يجب ان يحلها ٠ وهى تدخل فى تنظيم العلاقات الاجتماعية ، ونستطيع ان نحللها بأنها اساليب توافقية تتوسط بين الانماط الثقافية الكبرى ومقتضيات الموقف الاجتماعى + وتحدد هذه المتغيرات النمطية السلوكيـــة تفضيلات المرء والتوقعات المقابلة للشخص ، كما تحقق مواضع التماثل والاختلاف الضرورية لاداء النسق الاجتماعى لوظائفه ٠ وفى كل هذه الاشكال يكون الاساس الهام للاختيار هو توجيــه الاختيار فى الموقف المحدد ٠

وهذه المتغيرات يجب ان تتوائم مع اطار مرجع الفعل ، وتتوائم مع انساق القيم ٠ وهذا يعنى عند بارسونز ان هذه المتغيرات النمطية تدخل فى اطار الفعل فى المستويات الاربعـة٠ ففى المستوى الواقعى تقدم لنا هذه المتغيرات النمطية تصنيفا لانماط التوجيهات التى يقــوم بها الفاعل قبل اداء سلوكه ، وترتبط بالاشخاص الفاعلين ٠ وفى مستوى الشخصية تتصف هــذه المتغيرات بالضرورة والاستعدادات والتوقعات باعتبارها تقييمات محددة فى حدود الأنـــا والانا الاعلى ، وتعبير عادات لاختيار الحلول فى المواقف ٠ ولما كانت العادات جزءا مـــن الثقافة المتوحدة ، فان بارسونز يرى أن المتغيرات النمطية السلوكية معايير لمكونات توجيهـات قيم الفعل ٠ وفى مستوى الانساق الاجتماعية فانها تستخدم لتصنيف توقعات الادوار وتعريفهـا ،

(1) Max, Black, (ed.): Some questions about Parsons. In Black Max. The Social Theories of T. Parsons, op.cit., P. 284.

أى تحديد الواجبات والحقوق لاعضاء الجماعة والتى تخص السلوك المرتبط بأدوار الاشخاص، وفى مستوى نسق توجيهات القيم ، فاذا ما استخدمت مع الانساق الثقافية ، فانها تميز الانماط المعيارية، أى تحدد معايير القيم سواء كانت قيم شخصية أم كانت قيم جماعية • وهذه المتغيرات ذات فائدة للنسق توجيهات القيم التى يؤمن بها اعضاء النسق الاجتماعى ، فهى نقطة اساسية للدلالة على تحليل البناء الاجتماعى وعمليات النسق الاجتماعى •

ويرى بارسونز أن معايير القيم هى قواعد السلوك، وهى دائما قيم اخلاقية[1] • كما تتميز انماط توجيهات القيم بانها أكثر العناصر الثقافية اهمية فى تنظيم انساق الفعل، كما تمتلك هذه التوجيهات امكانية التعبير قيما عامة لاعضاء الجماعة، والمشاركة فى توجيهات القيم أمر حاسم ومتفق عليه لترابط الافكار والرموز التعبيرية، وتحديد استقرار الانساق الاجتماعية• وترسم هذه التوجيهات وتحدد التفضيلات والاستعدادات والتوقعات المتقابلة بالنسبة لكل من الشخصية والنسق الاجتماعى والانساق الثقافية• وقد صنف بارسونز هذه المتغيرات النمطية أو الثنائيات الخمس على النحو الآتى :

١- الوجدانية فى مقابل التحرر•
٢- الذات فى مقابل الجماعة•
٣- الخصوصية فى مقابل العمومية •
٤- الاهتمام بالنسب فى مقابل الاهتمام بالانجاز والاداء •
٥- التخصص فى مقابل الانتشار•

ويرى بارسونز ان ثلاثة من هذه المتغيرات النمطية التى ترتبط بالسلوك الانسانى تنتج من عدم وجود تنظيم بيولوجى لترتيب الاساليب المختلفة فى نسق تدريجى ، وينتج المتغيران الآخران من عدم التحديد فى موقف الموضوع ، وأما التوجيه نحو الذات فى مقابل الجماعة أو الاهتمام بالنسب فى مقابل الانجاز والاداء • كما ان هذه التوجيهات كلها احداث فى الزمان والمكان •

وترجع اهمية هذه التوجيهات عند بارسونز باعتبارها انماطا للاختيار بين متقابلين ، انها وسيط رئيسى بين الشخصية كنسق وبناء ادوار النسق الاجتماعى • وسنحاول ان نعرض للتوجيهات

(1) Persons, Talcott: Social system, op.cit., P. 50.

القيم او متغيرات القيم النمطية عند بارسونز، وموقفنا منها كتوجيهات تشير الى جوانب معينة من توجيهات الفاعل والتزامه بمراعاة معايير معينة، والارتباط بمقاييس للاختيار عند ما يكون فى موقف يتيح له الاختيار.

اولا : الوقتية فى مقابل التبصر :

يهتم هذا المتغير النمطى بامكانية اجراء عملية التقييم داخل الموقف او العجز عن ذلك فالمرء داخل الموقف يواجه المقابلة بين السعى وراء الاشباع المباشر للحاجات والخضوع للرغبات العاطفية والانفعالية، او الخضوع للنظام وقهر رغبات النفس فى مقابل اعتبارات طويلة الامد . ويكشف لنا هذا المتغير عن قدرة المرء على اعطاء الاسبقية لاشباع اللذات والسعى وراء النفعية الوقتية ، او تفضيل الاوضاع التى ترتبط بقيم عليا . ويعنى التوجيه نحو التبصر بالنظام والحياد وتمجيد العمل والتعاون . اما الوقتية فتعنى الفوضى والنفعية والتحيز . ويرى بارسونز ان الفرق بين الوقتية والتبصر هو الفرق بين الهو الفرويدى والانا . ويعاب على هذا المتغير النمطى انه لا توجد به اشارات توضح لصالح من يختار التبصر والحياد والنظام او النفع الوقتى . وتبدو هذه المشكلة واضحة فى المتغير النمطى الثانى عند ما يواجه الفرد المقابلة بين مصالح الذات ومصالح الجماعة. ولذا نرى ان المتغير النمطى الاول عند بارسونز يرتبط بالمتغير النمطى الثانى . فالتوجيه نحو الذات توجيه نحو الوقتية ، اما التوجيه نحو الجماعة فتوجيه نحو التبصر.

ثانيا : الذات فى مقابل الجماعة :

يكشف لنا هذا المتغير النمطى عن التقابل بين اهتمامات المرء ومصالح الجماعة وكيفية المفاضلة بينهما ، أى المقابلة بين الاهتمام بمصالح الذات واسعادها فى مقابل التضحية بمصالح الذات . وعند ما تتكرر المواقف التى تسود فيها المصالح المزدوجة المتنافرة تتولد مشكلة الاختيار بين الافعال التى تغلب عليها الاهداف الخاصة ، وبين الافعال التى تغلب عليها الاهداف العامة . ويحل هذا التضاد بين المصالح الذاتية والمصالح الجماعية ، اما باعطاء الاسبقية للاهداف والمصالح والقيم السائدة بين الاعضاء واما بتفضيل المصالح والاهداف الخاصة دون اكتراث بتعرضها مع المصالح الجماعية .

ويؤكد التوجيه نحو الجماعة أهمية النظام ، واسبقية القيم الاخلاقية والجماعية فى المواقف الجماعية على مصالح الذات . ويهتم بافضلية المعايير الاخلاقية فى عمليات التقييم

ويخدم مصالح الجماعة التى يهتم بها ، لأن القيم الاخلاقية داخل الموقف ذات معنى عام وجماعى • ويصف بارسونز القيم التى يغلب على تكوينها العناصر العقلية بأنها ذات توجيه جماعى ، والقيم التى يغلب عليها العناصر الوجدانية بأنها ذات توجيه نحو الذات •

ثالثا : الخصوصية فى مقابل العمومية :

يواجه هذا المتغير النمطى المواجهة بين المصالح ذات الاهداف المباشرة ، وبين الاهتمام بالمصالح المرتبطة بمبادئ عامة ، والأمور التى تتعلق بأحكام العقل ، أى مشكلة التفضيل بين المسائل الفطرية والتسامى عليها ؛ اى مشكلة الالتزام بالمجموعة التى ينتمى اليها الشخص والتى يرتبط بها بعلاقات وجدانية بيولوجية كالاسرة والاصدقاء والتعصب لهما ومشكلة الالتزام بالمجتمع وقضاياه •

ويواجه الفرد فى هذا الموقف التضاد بين القضايا والمبادئ التى تحكم الموضوعات فى المجتمع ، والطبقة التى ينتمى اليها الفرد ، والمبادئ الخاصة التى ترتبط بعلاقاته مع جماعته الخاصة • ويأتى حل هذا التضاد عند بارسونز اما باعطاء الاسبقية للقيم والمعايير العامة والتى لها دعائم من الصدق والتسامى ، واما بتفضيل المعايير التى تمجد العلاقات الخاصة والتى ترتبط بها فى علاقات وجدانية •

فالتوجيه نحو العمومية يمجد تقسيم العمل • ويحبذ فكرة تحديد المراكز • ويؤمن بتخصيص الاشخاص والتسهيلات والمكافآت ، وأداء الادوار على اساس من القواعد العامة التى تتعلق بتصنيف القدرات والاداء دون مراعاة لصلات القرابة • ويعنى التوجيه نحو العمومية ان النسق الاجتماعى نسق متطور يشجع على الابتكار والتجديد ، ويؤكد اهمية العمل النفعى وتبادل العمل والوظائف ، ويهتم بالمسئولية الجماعية والاهداف العامة• اما التوجيه الخصوصى فيعلى من الاهداف الخاصة التى ترتبط مع المرء بعلاقات وجدانية • ويؤكد أفضلية العلاقات الأسرية ، وعلاقات الصداقة على العلاقات العامة ، وكذلك اسبقية مصالح الأسرة والاصدقاء على مصالح الجماعة •

ويسم التوجيه نحو الخصوصية الفرد بالبدائية والتخلف وخضوعه لسيطرة العواطف الشخصية؛ ويؤكد اهتمام الفرد بذاته • ومن نماذج المواجهة بين العمومية والخصوصية المواجهة بين التزامات المجتمع تعبيرا عن التوجيه العمومى ، وبين التزامات الصداقة تعبيرا عن التوجيه الخصوصى •

رابعا : الاهتمام بالنسب في مقابل الاهتمام بالاداء والانجاز :

يؤكد التوجيه نحو القيم التي تؤكد الصفات التي ترتبط بالنسب صفات السلالة وخصائصها في تحديد توجيهات قيم الفرد ، ومدى الاهتمام بالصفات الوراثية والنوع والسن ، بينما يؤكد التوجيه نحو الانجاز أهمية الاداء في توجيه السلوك • فالتحصيل يؤكد النشاط كصفة للفاعل ولا يهتم بصفات الموضوع التي يؤكدها التوجيه نحو صفات الشخصية • وهذا التقسيم لتوجيه المتغير النمطي الى توجيه نحو القيم المرتبطة بالصفات الفردية وتوجيه نحو القيم التي ترتبط بالانجاز يشبه تقسيم رالف لنتون للصفات الى صفات بيولوجية وراثية وصفات اجتماعية مكتسبة •

ويقابل المرء داخل الموقف المواجهة بين اعطاء الاسبقية الى القيم التي تؤكد الصفات التي ترتبط بالنسب والمرتبطة بالسن والنوع والجمال والمركز الوراثي للاسرة والسلالة وقيمة الملكية ، أو اعطاء الاسبقية والافضلية لانجازات المرء من العمل ، ومدى ما يحققه من نجاح • فالمرء يواجه داخل الموقف مشكلة اصدار الحكم وفق طبيعة الشيء كما هو حسب صفاته المتوارثة ، او حسب الانجازات والافعال التي تصدر عن الموضوع •

ان التأكيد على اهمية الانجاز يحطل من تأثير القيم التي تؤكد الصفات الفردية، ويدعم الانجاز والتحصيل ، ويكشف لنا التقابل بين التوجيه نحو القيم التي تؤكد الصفات الفردية أو التوجيه نحو القيم التي تؤكد الانجاز مظاهر الصراع بين القيم الاسرية - وهي قيم تمجد الفرد لما هو عليه - وبين قيم العمل - وهي قيم تؤكد ما يستطيع ان يفعله المرء وينجزه - • ومن مظاهر الاهتمام بالصفات التي تؤكد النسب او الفرد التعصب للاسرة والدين والجنس باعتبارها مظاهر لضيق الافق ، والارتباط بعالم ضيق •

خامسا : التخصص في مقابل الانتشار :

يدرس هذا المتغير النمطي مجال الموضوع ، وهل تقتصر اهمية الموضوع على مجال محدد ، ويتأثر به اشخاص معينون لسبب خاص جدا ، أو أن مجال الموضوع منتشر ويتأثر به ويستجيب له مجموعة متعددة من الاشخاص لاسباب عامة ، أي ان الاستجابة قد تكون الى جانب معين من الموضوع أو الشخص ، أو ان التوجيه شامل ، ويضم جوانب متعددة من الموضوع أو الشخص

ويرى بارسونز ان التوجيه الشامل ليس توجيها مطلقا • فعلاقات الموضوع ليست علاقات مطلقة • فاساليب التقابل بين علاقات الفاعل ازاء الموضوع الاجتماعي محددة • فمسألة التفضيل

بين التوجيه نحو النمط الشامل أو النمط المتخصص مسألة اختلاف في الدرجة • ويؤكد التوجيه المتخصص الاتجاه نحو الذات والايمان بالفردية والقيم الفردية المتوارثة ، اما التوجيه نحـــو الشمول فيؤكـد القيم العامة ، ويواجه الفرد في الموقف الشامل مشكلة اختيار المدى الممكـــن للتباين الذى يستجيب به الى الموضوع ، او تظهر امكانية الصراع مع علاقات الآخرين ، ممـــا يؤدى الى تحديد التوجيه نحو الموضوع الاول •

وحسب نظرية بارسونز في المتغيرات النمطية التى تحكم توجيه القيم ، فان كل فعل نقوم به في زمان معين يؤكـد احد قطبى المتغير النمطى لهذه المتغيرات النمطية الخمس أو اكثـر • واقتداءا بهذا التقسيم فان علاقة الزوجة بالزوج توصف بأنها رقتية ذاتية خاصة ترتبط بالصفات الفردية ومنتشرة ، في حين ان علاقة الموظف بالعمل تؤكد القطب الآخر من كل متغير نمطـى ، اى تؤكـد التبصر والجماعة والاهداف العامة والانجاز والتخصص •

ويعاب على توجيهات القيم عند بارسونز ، انها تفتقد الدراسة الميدانية التى تدعمها • كذلك اكد بارسونز أن هذه الانماط المتغيرة كأسس لتحديد السلوك باعتبارها انماطا جامعـة مانعة لا تسمح باضافة انماط جديدة او الخروج عليها • ورغم أن بارسونز قد ناظر بين القيـــم وتوجيهات القيم الا أن هارولد فيلدنج يرى أن أى ميل لفهم واعتبار وادراك المتغيرات البارسونية كقيم في ذاتها يبدو امرا مضللا • ويرى ان بارسونز كان حذرا في تسميته المتغيرات النمطيـــة قيـم فعلية ، ورغم انه كان واعيا بدورها أى دور المتغيرات النمطية في تحديد التفضيـــلات والاحكـام (١) .

ان العمومية التى يخلعها بارسونز على هذه الانماط المتغيرة داخل كل موقف تجافـى الواقع ، فمن الصعب أن يختار الفرد خمسا من هذه المتقابلات في الموقف الواحد ، كمـــا تبدو العلاقات بين هذه المتغيرات النمطية غامضة غير مفهومة • وقد اشار بارسونز الـــى أن العلاقة بين التوجيه الوقتى والتوجيه في المجال المتخصص تؤدى الى تحقيق الاشباع الجزئـى ، كذلك تؤدى العلاقة بين التوجيه الوقتى والتوجيه الشامل المنتشر الى الحب ، اما العلاقـــة بين التبصر والتوجيه المتخصص فتساعد على تحقيق الموافقة •

---

(١) Harlod, Fallding: A proposal of experimental study of values. A.S.R., Vol. 30, op.cit.

ورغم ان بارسونز قد اشار الى أن هذه المتغيرات النمطية تحدد ها الثقافة وتنظمها في شكل انماط معيارية ، وبين قدرتها على الارتباط في علاقات مختلفة مع الشخصية والانساق الاجتماعية والثقافة ، فان اختيار هذه الانماط لتوجيه السلوك مسألة تعبر عن تفضيل الشخص الذى يحدده بناء الشخصية كمحصلة لعملية التنشئة الاجتماعية.

ويهمنا أن نؤكد ان الغموض الذى يحيط بالمتغيرات النمطية التى تحدد توجيهات القيم عند بارسونز ، وكذلك " المبالغة " [1] في تأكيد قدرتها على التشكيل في مستويات مختلفة داخل اطار الموقف لتحديد الفعل قد دفعا به الى " هجرها " [2] . فلم يعد ذكرها في كتاباته الأخيرة . وهذه العيوب في نظرية بارسونز عن توجيهات القيم لا تبخسها حقها في اهمية توجيهات القيم لدراسة السلوك الانسانى ، وان هذه التوجيهات هى حصاد التراث الاجتماعى والثقافى السائد فى المجتمع ، وتعكس التكوين النفسى للاشخاص.

توجيهات القيم عند فلورنس كلاكهون :

اهتمت فلورنس كلاكهون بتأكيد أهمية توجيهات القيم فى الموقف لمعرفة سلوك الافراد ، والجماعات ، اذ تعكس انماط السلوك الاجتماعى والتفكير توجيهات القيم المميزة للمجتمع، بيد ان درجة تأثير كل توجيه من توجيهات القيم على انماط السلوك متباينة ، فثمة توجيه لقيمة يؤثر فى السلوك أكثر من توجيهات القيم الأخرى . ولكل توجيه منها طبيعته الخاصة وتأثيره المميز على السلوك الانسانى . ويتضمن نسق توجيهات القيم كلا من القيم السائدة والقيم المتغيرة أيضا . فقد قامت فلورنس كلاكهون بدراسات تجريبية مقارنة مع زميل لها فى خمس مجتمعات بدائية فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة ، لدراسة طبيعة القيم وتوجيهاتها ، أكدت بها نسبية توجيهات القيم ، وتغيرها من مجتمع لآخر.

وترى فلورنس كلاكهون ان اسباب السلوك وأداءاته وأدى هى :

١ — ان هناك عددا محدودا من مشكلات الانسان العامة تتطلب حلا ما فى كل الازمنة ، وهذا هو المظهر العام لتوجيهات القيم ، لأن المشكلات الانسانية العامة تنتج بالضرورة

---

(١) Max, Black: Some questions about T. Parsons Theories, In Black Max (ed.). The sociological theory of T. Parsons, op.cit., P. 287.

(٢) Devreaux, C. Edward: Parsons Sociological theories. In Black Max. ed. The sociological theories of T.Parsons,op.cit., 43.

عن مواقف انسانيـــة •

٢ـ ان ثمة تباينا فى الحلول ازاء هذه المشكلات • ولكن هذه الحلول ليست عشوائية أو لا حد لها ، بل هى قطعا متغيرات محدودة فى مجال من الحلول الممكنة •

٣ـ ان المتقابلات التى تقدمها الحلول توجد فى كل الازمنة ، وكل المجتمعات ، ولكـــن هذه المجتمعات تتباين فى درجة تفضيلها لحل دون آخر(١) •

وترى فلورنس كلاكهون أن صفات الانسان ، وعلاقات الانسان بالكون ، والزمن والاشخاص ونوع النشاط الذى يقوم به كلها عوامل تحدد توجيهات القيم ازاء المشكلات الانسانية • وقـــد صنفت فلورنس هذه التوجيهات على النحو الاتى :

١ـ التوجيه نحو الصفات الانسانية : ويهتم بدراسة الصفات الانسانية •

٢ـ التوجيه نحو علاقة الانسان بالكون : يهتم بدراسة علاقة الانسان بالكون •

٣ـ التوجيه نحو الزمان : وتهدف الى دراسة نظرة الانسان الى الزمان •

٤ـ التوجيه نحو التقييم الانسانى : ويهتم بدراسة مثال النشاط الانسانى •

٥ـ التوجيه نحو نموذج العلاقات المثالية : ويهتم بدراسة نموذج علاقات الانسان مـــع الاخريـــن •

وهذه التوجيهات التى تعرضها فلورنس كلاكهون هى مبادىء نمطية شائعة تنتج عـــن التفاعل بين العناصر العقلية والوجدانية والارشادية الاخلاقية المكونة لكل قيمة ، وتعبر عـــن توجيه السلوك نحو هدف معين ، وتنظيمه • وتعكس التفكير السائد والمتغير لحل المشـــكلات الانسانية(٢) • وهذه التوجيهات ضرورية للانسان باعتبارها مثالا للتوجيه فى مواقف التفاعـــل ، فهى تساعد حتما على معرفة أنماط متعددة من اشكال السلوك ، والتنبؤ بجوانب هامـــة من علاقات الام بالابن ، وطبيعة انماط السلطة ، والانماط السلوكية المرتبطة بانقسام اوجـــــــه النشاط بين الجنسين(٣) ، وتؤثر توجيهات القيم فى الانسان الاجتماعية والشخصية تأثيراقويا(٤) ، فثمة تلاحم وتفاعل بين الانساق الاجتماعية والشخصية وانساق القيم •

وقد اشارت فلورنس كلاكهون الى ان توجيهات القيم تتغير من مجتمع لاخر نتيجة لتفاوت

---

(١) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation. op. cit., P. 15.
(٢) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 4.
(٣) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 155.
(٤) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 364.

تأثير كل من العناصر المكونة لها ، ولاختلاف النشاط الانساني في المجتمعات المختلفة لاختلاف الوعي بتوجيهات القيم التي تؤثر في السلوك • ولا ريب ان تباين تصنيف توجيهات القيم من مجتمع لآخر ، وقابلية توجيهات القيم السائدة للتغير يوكد ان لنا ظاهرة التغير البنائي وتغير النسق الاجتماعي وتغير نسق الشخصية • فالتباين في انماط توجيهات القيم حقيقة واقعة ، نتيجة لتعدد مظاهر النشاط الانساني وتباينها من جماعة لأخرى ، وكذلك فالتباين ضروري من اجل الأداء الناجح في الوظائف الاجتماعية للانسان ،واذا كان تباين التوجيهات بين المجتمعات حقيقة واقعة ،فان فلورنس تؤكد تباين الافراد في المجتمع الواحد ازاء تفضيلاتهم لتوجيهات القيم امام المشكلة الواحدة • وهذا التباين ظاهرة طبيعية ومقبولة • فهو منبع اساسي للتغير الثقافي من جانب ،ويحمل في طياته امكانيات التغير من جانب آخر • فالاشخاص الذين تتباين توجيهات القيم بينهم ، يلعبون ادوارا مختلفة أكثر تقبلا للتأثيرات الخارجية من الاشخاص الذين يؤدون ادوارا ثابتة (1) •

وقد بينت فلورنس كلاكهون ان كل الثقافات قد اكتشفت مدى واحدا بين المتقابلات والاوضاع التي يقفها الافراد من المشكلات الانسانية ، بيد أن هذه الثقافات تضع قيما مختلفة للمتقابلات المختلفة • فقد قسمت فلورنس كل توجيه من هذه التوجيهات الى ثلاث متقابلات • ونرى أن تحليل فلورنس لتوجيهات القيم ازاء المشكلات الانسانية قد تأثر بالفكر الهيجلي الى حد كبير • فتوجيهات قيم الافراد ازاء مشكلة ما في الموقف يتضمن حلا ما ، ونقيضه ، وحلا وسطا بينهما • وكل حل من هذه الحلول يعكس قيمة محددة • فالتوجيه نحو الصفات الانسانية يتضمن التوجيه نحو الخير او التوجيه نحو الشر أو التوجيه المركب من الخير والشر • كذلك يتضمن التوجيه نحو علاقة الانسان بالكون موقف الخضوع أو موقف السيادة والسيطرة أو موقف الانسجام بينهما • وهكذا الحال في التوجيهات الأخرى •

وسنحاول ان نعرض لتوجيهات القيم الخمس عند فلورنس كلاكهون •

اولا : الصفات الانسانية : الخير ـ مزيج من الخير والشر ـ الشر :

ترى فلورنس كلاكهون ان الطبيعة الانسانية تتجه اما الى خير خالص واما الى شر خالص ، واما تتجه اتجاها يجمع بين الخير والشر • ولم تبين لنا فلورنس كلاكهون ما المقصود

---

(1) Kluckhoon, Florence: Ibid., P. 360.

بالخير والشر ، لكنها بينت انه في حالة الخير تحدث السيطرة على الذات ، وتنظم مطالب الأنا اذا ما اردنا أداء خير خالص حقيقي والمحافظة عليه • بيد أن خطر الرجوع عن الخير موجود دوما • فالطبيعة الانسانية ليست شرا خالصا أو خيرا خالصا ، ولا وجود للمجتمع الخير الخالص ، او ما يشبه جمهورية افلاطون • وكذلك لا وجود للمجتمع الشرير ، انما الحياة الانسانية مزيج من الخير والشر ، كما ان الخير والشر مسألة نسبية • وترتبط توجيهات الصفات الانسانية بتوجيهات القيم الأخرى لتحديد السلوك الاجتماعي ، كما ان كل المجتمعات الانسانية سواء المتحضرة أو البدائية تعرف الخير والشر معا •

ثانيا : نموذج العلاقات الانسانية : علاقات فردية ـ علاقات القرابة ـ علاقات العصب :

وتقارب هذه التقسيمات للعلاقات تقسيم دوركيم للمجتمعات الى مجتمعات آلية ومجتمعات عضوية ، وأيضا تقسيم المجتمعات الى مجتمعات بدائية أو متحضرة • وترى فلورنس كلاكهون ان هذه التصنيفات للعلاقات كلها عناصر تحليلية للعلاقات بين الانساق من اجل التمييز بين الانساق ، اكثر منها تصورات عامة لتحديد الاختلافات الكبرى بين الانساق • وتوجد هذه التقسيمات لتوجيهات نموذج العلاقات في كل المجتمعات • فالنزعة الفردية توجد في جميع المجتمعات بما فيها المجتمعات البدائية • وأيضا يبدو الاهتمام بالقرابة والعصب في كل المجتمعات • ولن يصير الفرد انسانا اذا لم يكن عضوا في نظام اجتماعي • وعلاقات السلالة البيولوجية هي الشكل الأول لعلاقات القرابة • فالمجتمعات الانسانية تؤكد حقيقة ان كل الافراد يرتبطون بيولوجيا وثقافيا في كل المجتمعات •

وتنبثق علاقات العصب من اختلاف الاجيال والسنن والتقاليد الثقافية • وتؤكد فلورنس وجود انواع العلاقات الثلاثة في كل المجتمعات ، ولكن بدرجات متفاوتة ، كصورة لبيان تفاوت التغير الاجتماعي بين المجتمعات الانسانية • وهناك تباين داخل أنماط العلاقات من حيث طبيعة وأفضلية الاهداف التي ترتبط مع علاقات الادوار •

وتسود المجتمعات الحضرية والمجتمعات الصناعية النزعة الفردية التي تعلى المبدأ الفردي ، وترى ان اهداف الفرد لها افضلية على القرابة والعصب ، ويصبح الشخص محبا لنفسه ، لا يهتم بمصالح الجماعة ، لكن مسئوليته كفرد في المجتمع الكبير تحددها الاهداف والأدوار • بيد ان العلاقات القرابية والعصبية تنتشر في المجتمعات الريفية والبدوية • فمبادئ

الجماعة القرابية فى هذه المجتمعات لها الاهمية الاولى ، وتدعو الى الاستقلال عن الجماعات الاخرى . أما العصب ، فيقتضى ان يكون للاهداف العائلية الافضلية الاولى ، ويؤكد اهمية الزمن ، فالاستمرار فى الزمن له اهمية بالغة ، بيد أن علاقات العصب تحددها معطيات بيولوجية كالسن والسلالة بجانب الاستمرار الثقافى .

ثالثا : التوجيه الزمنى[1] : الماضى — والحاضر — والمستقبل :

ترى فلورنس كلاكهون أن التقسيم الثقافى لمعنى الزمن ينقسم الى ثلاث توجيهات : الماضى والحاضر والمستقبل . وتظهر درجة الارتباط فى التوجيه نحو زمن معين مدى الاختلاف بين ثقافة وأخرى . وتعارض فلورنس كلاكهون الرأى القائل بأن قوة الارتباط بالزمن يقتصر على الارتباط بالحاضر أو الأمل فى المستقبل ، وترى اهمية التأكيد على الماضى وتقاليده . ولذا فان كل مجتمع عنده ما يرتبط بالازمنة الثلاثة ، وكل مجتمع لديه تصوره الخاص عن الماضى والحاضر والمستقبل . ولكن تقدير هذه الازمنة يختلف من ثقافة لاخرى . ويساعدنا فهمنا للتوجيه الزمنى السائد على فهم العلاقات الاجتماعية السائدة واتجاه التغير .

رابعا : التوجيه لعلاقة الانسان بالكون : خضوع — سيطرة — تكامل :

يعالج هذا التوجيه المشكلة الازلية للانسان ، مشكلة هل الانسان مخير أم مسير؟ أى موضوع الجبر والاختيار فى هذا العالم . فقد قسمت فلورنس الحلول الممكنة لهذه المشكلة الى ثلاثة . أولها الخضوع ، وتظهر ان الانسان مخلوق خاضع فى هذا العالم ، عبد فى هذا الكون لا يستطيع ان يحمى نفسه من العواصف والكوارث ، ولا يستطيع أن يقهر مشكلات المجتمع . وثانى هذه الحلول السيطرة على حركة هذا العالم ، وتعنى ان الانسان مخلوق قادر على صنع مستقبله ، ومواجهة الصعاب التى تواجهه والتغلب عليها . وثالث هذه الحلول التكامل والانسجام مع احوال العالم ، وتكشف ان الانسان جزء متكامل مع العالم يعيش مستغرقا فيه ، ولا ينفصل عن الكون ، او موضوعات ما بعد الطبيعة . وقد ربطت فلورنس كلاكهون فى تحليلها لعلاقة الانسان بالكون ، هذه التوجيهات الثلاث بأنواع معينة من المجتمعات ، فالمجتمعات التى يغلب عليها الشعور بالخضوع هى المجتمعات البدائية التى يسودها الشعور الدينى ، أما المجتمعات التى يسودها الشعور بالسيطرة فيبرز فيها

---

(١) سنعرض لهذه التوجيهات الثلاثة الاخيرة بالتفصيل ، عندما نعرض للتصنيف الذى وضعناه عن توجيهات القيم والذى ينبثق من ظروف المجتمع النامى .

اهمية التقدم العلمي والايمان بالتكنولوجيا • اما المجتمعات التي يسود ها الشعور بالتكامل فهي مجتمعات تنتقل من البد ائية الى عصر العلم •

خامسا : التوجيه نحو نشاط معين : الاتي ـ الشاعر ـ الدؤوب :

يتمركز توجيه النشاط حول طبيعة الانسان في التعبير عن نفسه اذا مارس نشاطا في موقف ما • وقد صنفت انواع النشاط الانساني الى ثلاثة • نشاط مرح يبحث عن المتعـة، ونشاط عملي ، ونشاط يعكس روح الشعراء التي تبين اهتمام المرء بنفسه واحلامه ورغباته اكثر من الانجازات •

وقد كانت فلورنس كلاكهون أكثر واقعية من بارسونز حيث اشارت الى ان توجيهات القيم كلها توجد في بناء المجتمع ، ولا يتميز المجتمع بتوجيهات معينة واختفاء أخرى ، ولكن يغلب على المجتمع توجيهات قيم بعينها • كما اشارت الى انه قد يطرأ تغير على نسق توجيهات القيم ، فتسود توجيهات قيم كانت كامنة وتظل توجيهات كما هي ، وتكمن اخرى كانت سائدة • بل قد يطرأ التغير على جميع التوجيهات السائدة في مجتمع ما ، وهذا قلما يحدث • وهذا التغير الحادث في نسق توجيهات القيم لن يكون في درجة واحدة ، كما انه كلما كان نسق توجيهات القيم متكاملا متماسكا كان من العسير تغييره ، اذ أن قوته الذاتية عندئذ كفيلة بمقاومة تأثيرات التغير حتى لا يطرأ خلل على نسق توجيهات القيم •

وقد قامت فلورنس كلاكهون بدراسات تجريبية لتحقيق نموذج القيم الذى وضعته في مجتمعات بدائية • ويعاب على نموذج فلورنس كلاكهون رغم انه واقعي أنها قصرت توجيهات القيم اللازمة لحل المشكلات الانسانية على خمسة حلول • وقد جانبها الصواب في ذلك ، فالمشكلات الانسانية اعم من ذلك فهناك مشكلة توفير العمل ، والحلول الممكنة لايجاد العمل ، ومشكلات الانتاج ومدى استغلاله للافراد ، كذلك لم تتعرض فلورنس لمشكلة توزيع عائد العمل وما يترتب عليه من مشكلات ، كذلك غفلت فلورنس عن مشكلة الحرية الانسانية وحرية المجتمعات ، وغاب عنها مشكلات المسئولية والتعاون ، كذلك غفلت عن تأثير معنى البطولة والانجازات والافعال الخارقة ، وهل تقتصر البطولة على الفعل ذاته دون مبالاة بنتائجه وشخصية فاعله كما وصف بارسونز الصبي الامريكي ، أم ان البطولة تضحية وفداء من أجل مبدأ ولصالح جماعة من الناس •

توجيهات القيم فى مجتمع نام :

وإيمانا منا بأن نموذج فلورنس كلاكهون فى توجيهات القيم يعكس طبيعة المجتمع الامريكى ومفاهيم هذا المجتمع ، وإيمانا منا باختلاف بناء المجتمعات النامية عن بناء المجتمعات المتقدمة ، وتباين المشكلات الاجتماعية والاقتصادية من بناء لآخر ، وإيمانا منا بأن القيم وتوجيهاتها تتأثر بالتغير الاجتماعى ، فان تصنيف بارسونز النظرى يصعب تطبيقه فى مجتمعنا ، كذلك تصعب دراسة بعض أجزاء نموذج فلورنس كلاكهون • ولذا سنحاول ان نضع تصنيفا لدراسة توجيهات القيم ازاء بعض المشكلات التى يواجهها الصبية فى مجتمع نام ، يتحول من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى الذى يمجد الفردية والجهد الشخصى والتفاوت الطبقى والتواكل والخضوع الى مجتمع اشتراكى يهدف الى تحقيق العدالة ويضمن رفع مستوى المعيشة ، ويسعى الى تمجيد العمل الجماعى ، واعلاء شأن الجماعة •

ونرى انه يمكن تحديد بعض المشكلات التى يواجهها الصبية فى المجتمع النامى على النحو الآتى :

أولا : ما علاقة الانسان بالكون ؟ توجيه الانسان الى الكون •

خضوع ــ انسجام ــ سيطرة •

ثانيا : ما قيمة الزمن فى الحياة الانسانية ؟ التوجيه الزمنى •

الماضى ــ الحاضر ــ المستقبل •

ثالثا : ما مثال النشاط الانسانى ؟ توجيه النشاط الانسانى •

الدءوب ــ الشاعرى ــ الآنى •

رابعا : ما التقدير المثالى للانجازات والافعال الخارجية ؟ توجيه المحاولة •

افعال جماعية ــ أفعال فردية ــ لا محاولة •

خامسا : ما مفهوم الحقيقة ؟ التوجيه نحو الحقيقة •

صدق ــ كذب ــ مزيج من الصدق والكذب •

سادسا : ما النزعة الى أداء الواجب ؟ التوجيه الى اداء الواجب •

مسئولية جماعية ــ مسئولية فردية ــ هروب من المسئولية •

سابعا : ما مثال الاتجاه الى الارتباط بالغير ؟ التوجيه الى الغير •

تعاون ــ لا تعاون ــ مزيج من التعاون واللاتعاون •

ثامنا : ما طبيعة علاقة الانسان بالآخرين ؟ توجيه العلاقات •

الانانية - الغيرية - مزيج من الانانية والغيرية •

تاسعا : ما مفهوم الحرية الانسانية ؟ التوجيه الى الحرية •

حرية جماعية - حرية فردية - خنوع

عاشرا : ما تقدير الانسان للملكية ؟ التوجيه الى الممتلكات •

العامة - والخاصة •

وسنحاول ان نشرح هذه التوجيهات بشيء من التفصيل •

اولا : علاقة الانسان بالكون :

حدد كلاكهون علاقة الانسان بالكون على النحو التالي :

- خضوع الانسان للكون •
- علاقة انسجام بين الانسان والكون •
- سيطرة الانسان على احداث الكون

وقد اشارت فلورنس كلاكهون الى ان خضوع الانسان للكون يعني التواكل والفردية، ويتسم سلوك الانسان بالجبرية ، ويستسلم الانسان في هذا الموقف للقدر المسلط عليه، ويتقبل الأمر الواقع كشيء حتمي لا مفر منه • وهذا الانسان يؤمن بالموت والمرض ، وعجزه عن مقاومة المرض ، فهو يعترف بعجزه وقلة حيلته ازاء القوى الطبيعية كالعواصف والامطار وتغيير معالم الطبيعية كأمور قدرية لا مفر منها ، فهو عبد لظروف الطبيعة • أما علاقة الانسجام بين الانسان والكون فتبين لنا أن الانسان امتداد للكون ، وأن الطبيعة أم للانسان ، وكلاهما محتاج للآخر ومكون له ، واستحالة الفصل بين الانسان والطبيعة والعالم ، وترى انها تعبير عن ايمان بالتوافق بين العلم والدين • اما السيطرة على الكون فتؤمن بالسيطرة الكاملة على الأحداث الخاصة ، وسيطرة الانسان على الكون وتفوقه عليه ، واخضاع امكانياته لخدمة الانسان ، وترمز السيطرة على الكون للتقدم وتطور الحضارة الانسانية • فالانسان لم يستطع أن يبني حضارته الا بتسخير الكون لخدمته تأكيدا لقدرته على قهر العقبات والتغلب على الصعاب وسيادته لهذا العالم • والتوجيه نحو سيطرة الانسان على الكون يؤكد اهمية العمل في المجتمع وسيطرة الاساليب التكنولوجية على أحداث العالم من اجل خدمة الانسان وبناء مجتمع أفضل ، وهجر الاتكالية والاسلوب الخرافي في التفكير والايمان بالتفكير العلمي كأسلوب يستخدمه الانسان

فى قهر الصحراء والتغلب على الامراض بالعلم وغزو الفضاء .

ثانيا : التوجيه الزمني : الماضى ـ الحاضر ـ المستقبل :

قسمت فلورنس كلاكهون توجيه الافراد والجماعات نحو الزمن الى ابعاد ثلاثة ، الماضى والحاضر والمستقبل . واشارت الى أن النظرة الشائعة القائلة بأن عامة الشعب لا احساس لديهم بالزمن ولا حاجة لهم به قد أدت الى افتقاد معنى الفروق الثقافية بين الجماعات (١) ، فالمجتمعات كلها لديها احساس بالتصورات الثلاثة للزمن ، ولكن بدرجات متفاوتة . ويوجد الشعور بالزمن عند الافراد والمجتمعات . فالانسان لديه احساس بالزمن ، طفلا كان أم بالغا ، بدائيا كان أم حضريا . ونحن نهتم بالزمن ودراسته لأن الزمن يكون بعدا هاما وواضحا من ابعاد البناء الاجتماعي (٢) . فالابنية الاجتماعية ليست ثابتة بل هى دائما فى حركة . وقد بلغ من اهتمام الانسان بالزمن ان اخترع الساعة لقياسه ، وقسمه الى قرون وسنين وأيام بل وساعات ودقائق وثوان . على ان هذا التقسيم لا يهمنا عند دراسة التوجيه الزمنى . فالتوجيه الزمنى يعنى مدى قوة ارتباط الشخص بزمان معين . ويحدد هذا الارتباط الأوضاع الثقافية والحضارية لمجتمع ما وسلوك اعضائه ، ويرتبط عندهم بأداء الأدوار . وقد يميز ثقافة المجتمع عن ثقافة مجتمعات أخرى .

وقد أكدت فلورنس كلاكهون أن لكل المجتمعات تصورات عن الماضى والحاضر والمستقبل ، فى فترة زمنية محددة ولكنها تختلف فى درجة تفضيلها لهذه الازمنة . فمفهوم الزمن وقيمته يختلف عند كل من الريفى والحضرى . فالريفى يفهم الزمن جملة دون تفاصيل دقيقة ، أما الحضرى فيحسبه بالساعة والدقيقة ، اذ له قيمة فى تحديد نشاطه . وقد بينت فلورنس كلاكهون ان المجتمع الذى يؤمن بالحاضر ضحية قوى الطبيعة ، ولا يهتم بالماضى ، ويرى المستقبل امامه غامضا ، كذلك لا يؤمن بأهمية التخطيط العلمى للمجتمع والسعى وراء تغييره . أما المجتمعات التى تقدس الماضى ، فهى مجتمعات تعبد السلف وتحترم التقاليد وخاصة التقاليد الاسرية ، وتحن الى الماضى ، وتؤمن بأن الحاضر امتداد للماضى البعيد ، ولا أمل فى تغيير جذرى يحدث فى المستقبل . وترى أن النظرة اللامستقبلية والحنين الى الماضى والانجذاب اليه واضفاء هالة من القداسة عليه ، ومحاولة كتابة الخلود له تعبير عن ضعف الارتباط بحاضر المجتمع ،

(١) Kluckhoon, Florence: Variation in the value orientation, op.cit., P. 13.

(٢) Nadel, S. F.: The theory of social structure, op.cit., P. 129.

ومحاولة لاغفال مشاكله والهروب منها ، وتعبير عن فقد ان الطمأنينة ، ومرآة للقلق النفسى • وتتصف الشخصيات المؤمنة بهذا التوجيه بعدم الصبر واللامبالاة والهروب من المسئولية فى العمل وعدم المشاركة •

أما المجتمعات التى تؤمن بالمستقبل ، فهى مجتمعات تؤمن بحياة انسانية افضل ، وتبغى التجديد والتغيير ، وتؤمن بالتخطيط وتطبيق الاسلوب العلمى فى العمل ، ولا تقدس أعمال الماضى ولا ترضى عن الحاضر • بيد ان ايمان الشعوب بالمستقبل والتطلع اليه " باعتباره اتفاق منظم عن الاحداث المقبلة "(1) لا يعنى ابد اعند فلورنس الانفصال عن الماضى أو الحاضر ، وعدم الاتفاق معهما • ويرى ولترفيرى أن الشخص الواحد مجموعة تصورات ذاتية عن المستقبل • وكل تصور من هذه التصورات يتعلق بجانب من جوانب شخصيته ، ويرتبط بنظرته الى مظهر من مظاهر حياته • وتختلف هذه التصورات عن المستقبل على مر الزمان ، وتتغير بتغير العمر والمهنة ، واحوال الفرد ، كذلك يصدق الحال على المجتمع ، فللمجتمع نظرة الى المستقبل ، كما ان هذه النظرة الى المستقبل تختلف من مجتمع لآخر ، ويرى ولترفيرى ان ارتباط الافراد بالزمن اقوى من ارتباط المجتمع به • ومن الواضح ان رأى فيرى يعبر عن انفصال تطلعات الافراد عن تطلعات المجتمع ، لكننا نرى أن تطلعات الافراد لا تنفصل عن تطلعات المجتمع •

وقد قدم لنا تارد رأيا طريفا عن الازمنة ، واشكال المجتمعات • فذكر أن الشعور بالزمن يعكس روح الجماعة السائدة ، وأن النظرة الى المستقبل ظاهرة تنفرد بها الطبقة الارستقراطية • ويرى ان المجتمعات التى يشدها الماضى مجتمعات تحكمها سلطة التقاليد • ففى هذه المجتمعات تسود التقاليد ويفخر المرء ببلده ومواطنيها أكثر من الحاضر أو العصر الذى ينتمى اليه • فهو مبهور بالماضى يضفى عليه طابعا من القداسة • اما المجتمعات التى يجذبها الجديد وتقتفى أثره فهى مجتمعات ترتبط بالحاضر ، وتنتشر فيها البدع • وفى هذه المجتمعات يرتبط الافراد بالحاضر والعصر أكثر مما يرتبطون بالميراث الاجتماعى ، ويفاخرون بروح العصر متنكرين لقوميتهم ووطنيتهم(2) • ونرى أن قصر النظرة الى المستقبل على الارستقراطيين ووصف الجماهير بانها اما مرتبطة بالماضى أو منغمسة فى الحاضر ، رأى يعبر

(1) Welter Fairey: Condition for the realization of value remote in time. In Edward Tiryakian,(ed.) Sociological theory values and sociocultural change.. op.cit., P. 147.

(2) السيد محمد بدوى : " مذاهب ونظريات اجتماعية " ـ الاسكندرية ـ دار المعارف ص ١٠٣ ـ ١١٢ •

عن نظرة طبقية متطرفة لم تثبتها الدراسات العلمية •

وقد قدم لنا جاكوب كوهين ، ورنتا كالبرزى بحثا عن اتجاهات الزمان والشخصية اعتمدا فى استخلاص نتائجه على ملاحظة السلوك والتجربة الاكلينيكية ، وأشارا الى أن اتجاه الشخص نحو زمان معين يرتبط ارتباطا وثيقا ببناء الشخصية ، مثل ارتباط الزمان بالتوجيهات الاخلاقية ، او الربط بين البعد الزمنى للخيال والقدرة على تحمل المسئولية • واستخلصا من دراستهما أن توجيه الشخص وخاصة الطفل نحو زمان معين يرتبط ببناء الشخصية ، وينعكس هذا التوجيه على سلوك الشخصية وعلاقاتها بالآخرين • فالقلق من انسياب الزمان والحاجة الى السيطرة عليه ، والخوف من ضياعه والصراع مع الواقع كلها اتجاهات بارزة للزمان عند هؤلاء الذين يعيشون فى مناخ مشحون بالاحباط والفراغ ونقص الثقة بالنفس ، والعجز عن الابتكار والاعتماد على التقاليد القديمة والبحث عن التوجيه والنصح والارشاد والحماية من الآخرين • أما الاشخاص المتوافقون مع انفسهم والبيئة حتى لو كانت استجاباتهم التلقائية طفلية وسطحية الى حد ما ، فلهم تصور مرن عن الزمن ، وهم يؤمنون بالتغير ، وانسياب الزمن • اما الذين لديهم استعدادات للاستجابات للمثيرات الخارجية والاهتمام بالموضوعات والمهارات والالحاح فى الاداء ، فلهم اتجاه يهدف الى السيطرة على الزمان (١) •

ولا يدرك الصبى — وهو محور دراستنا — الزمن مباشرة ، فالزمان تصور مجرد ، ولكنه يدرك التغير والتكرار • ويبدأ الشعور بالزمن عند ما يعرف الطفل زمن الاكل والاستيقاظ من النوم ، وموعد الذهاب الى الفراش • ويعرف كلمات اليوم والامس والغد والصباح والمسا (٢) ، ويبدأ هذا الادراك من الثالثة • ولكن هل تصور الطفل يرتبط بالماضى أم الحاضر أم المستقبل ؟ يرى آرثر جرسيلد " ان تصورات الطفل دائما ترتبط بالحاضر " (٣) • ويدعم هذا الرأى اليزابيث هوك • فالطفل يدرك الزمن الحاضر اولا ، ويشير اليه دائما ثم يدرك المستقبل واخيرا يدرك الماضى • ونحن نرى أنه من الصعب ان يدرك الطفل دون الثامنة الزمان المرتبط بتراث الماضى قبل ان يدرس التاريخ ، بيد اننا نجد أن تمجيد الاسرة وما فى أحاديثها اليومية — وخاصة فى المجتمعات التى تعانى من عقبات امام التغير وتحقيق التقدم ، والتى تفتقد التنظيم الذى يقوم بعملية التوعية ، والتى يفتقد بعض افرادها الرغبة فى التضحية من أجل

---

(١) Rents, Celebrise & Jacob Cohen: Personality and time Attitude. J. of Ab. Psy. Vol. 73, No. 5, 1968, P. 431-436.

(2) Stonne, Levrence Joseph: Childhood and Adolescence Psychology of the Growing Person. N. Y. Randon House. 1957, P. 183.

(3) Jersild, Arther, J.: Child Psychology. 4th edition. N.Y. Prentic Hall, 1954.

تقدم المجتمع - يقيد الصبى بالماضى ، وتتكون عند الصبى نظرة لا مستقبلية .

ثالثا : توجيه النشاط الانسانى : المرح الاتى - الشاعر - الدءوب :

وقد انبثق هذا التقسيم للنشاط من تمييز الفلاسفة بين الوجود والصيرورة . وتختص هذه التوجيهات عن نشاط الفصل بطريقة الانسان فى التعبير عن نفسه أثناء ممارسته النشاط . فطريقة الانسان فى التعبير عن نفسه تتخذ اسلوبا معينا فى النشاط ، وتختلف أنماط النشاط باختلاف الظروف . لكن هذا الاختلاف بين اوجه النشاط ليس جذريا مثل الاختلاف بين السالب والموجب . ويقارب هذا التقسيم الثلاثى للنشاط فى رأى فلورنس تقسيم شارل موريس لانماط الشخصية حسب الاساطير اليونانية ، والتى شبهها بشخصية ديونيس رمز الحب والبهجة والمرح ومحب الرحلات ، أو أبولو الشاعر ، أو بروميثيوس العملاق الذى حمل النار الى البشر لفائدتها الى الانسان ليصنع منها الحديد والبرونز ليبدأ حضارته ، ولم يكترث لغضب الآلهة . فالتوجيه المرح الاتى يرتبط بشخصية ديونيس التى تسعى الى تحقيق الرغبات الحاضرة ، والانغماس فيها ، أما التوجيه الشاعرى فيمثله أبولو الشاعر ، ويهدف الى المحافظة على الذات والسيطرة عليها فى محاولة التنسيق بين الوجود والصيرورة مدركا للأمور التى حوله . اما التوجيه الثالث الذى اتخذه بروميثيوس رمزا له فيعنى العمل الدائب ، وتحكيم العقل ، وتسود الشخصية على التضحية وانكار الذات فى سبيل الجماعة .

الا ان فلورنس كلاكهون ترى ان تقسيم شارل موريس هذا لا يتطابق تطابقا كاملا مع تقسيمها لتوجيه النشاط ، والتى تعرضها كالاتى :

١- التوجيه الاتى المرح :

يعبر سلوك الشخص المرح الاتى عن تفضيله لتلبية الرغبات والحوافز تلقائيا أثناء ممارسة النشاط ، ويكره الشخص المرح النقد ، ولا يؤمن بتطور النشاط وتغييره ، ويحب الرحلات والمتعة ، ويميل الى انجاز الرغبات الحاضرة ، لكنه لا يكره العمل ، ومهما كان الشخص مرحا ومنطلقا فان عليه أن يراعى قواعد السلوك العامة مثل الشخص الشاعر أو الدءوب، لكن ادراكه للعمل ادراك ناقص ، اذا قورن بادراك كل من الشاعر والدءوب .

٢- التوجيه الشاعر :

يهتم الشخص الشاعر بالانسان نفسه أكثر من اهتمامه بما يمكن انجازه وهو توجيه يؤكد اهمية تحقيق الذات ، ويؤمن بالذات ، ويسعى الى تحقيق تكامل الذات ككل متكامل . ويكره

تقسيم الموضوعات بين الطبيعة والعقل • ويهتم الشاعرى دائما بما هو كائن • ويشبه التوجيه الشاعرى النشاط التلقائى للشخصية المتكاملة عند ايريك فروم كما ترى فلورنس • لكن ما هى التلقائية التى تميز الشخص الشاعر عند فروم ؟ •

يؤكد فروم فى كتابه " الخوف من الحرية " ان النشاط التلقائى يميز نشاط الاطفال عن نشاط البالغين ، لأن ممارسة النشاط التلقائى يهب الطفل الاحساس بالسعادة والبهجة والمرح ، ولا تعنى التلقائية الجبرية ، وعجز الانسان عن الاداء الحر ، وليست نشاطا آليا ، بل التلقائية نشاط حر للذات يعبر عن الارادة الحرة الخلاقة ، ويكره الفصل بين الفكر والوجود • ويرى فروم أن النشاط التلقائى عملية تبدأ بعد أية عملية التنشئة الاجتماعية باعتبارها حقيقة مسلم بها ، كما ان التلقائية ظاهرة نادرة نسبيا فى المجتمع الغربى • ويؤكد فروم ان النشاط التلقائى هو الطريق الوحيد الذى يتغلب به الانسان على الفزع من الوحدة دون التضحية بتكامل الذات ، اذ أن التلقائية تربط الذات من جديد بالعالم والانسان والطبيعة[1] • ويتجلى النشاط التلقائى فى الحب ، لكنه ليس هروبا من الوحدة ، بل النشاط التلقائى عمل خلاق ، يصير فيه الانسان خلاقا • ومن الواضح أن لمظاهر التلقائية التى ربطتها فلورنس كلاكهون بالتوجيه الشاعرى جذورا فى مظاهر التوجيه المرح الآتى •

٣ـ التوجيه الدءوب :

يهتم الشخص الدءوب بالاداء والفعل والتنافس ، ويتقبل النقد ، ويحكم على ذاته وعلى الآخرين بمقاييس العمل • وهو انسان خارق يتبصر الأمور ، ويفكر دائما فى المستقبل ولا يعيش لحظته • والدءوب يحب ان يكون السؤال ماذا يفعل ؟ وماذا يستطيع ان يعمل ؟ • وهو لا يهتم ابدا بالصفات الوراثية للشخص • وقد اكدت فلورنس أن بعض الدراسات الامريكية قد بينت ان الطفل الامريكى طفل دءوب •

رابعا : التوجيه البطولى : بطولة جماعية ـ بطولة فردية ـ لا بطولة

ان ايمان الشخص بالبطل واعجابه به ينعكس على سلوكه اليومى • فقيم البطولة مرآة للاشكال الرمزية للتقاليد • وليست البطولة تصور فردى بل تصور جماعى[2] • وخلق البطل عملية

---

(١) Fromm, Erick: The fear of freedom, op.cit., PP.223,224, 225.

(٢) Klapp, Orrin: The Origin of the hero. In Ralph Turner and Lewis Killian (ed.). Collective behaviour. Englwood Cliff Prentic Hall, 1957, P.459.

" لا ارادية جماعية " (1) . وتنشأ نتيجة تجارب اجتماعية يمر بها اعضاء الجماعة ، وتهدف الى تخليد قيم اجتماعية تجسدت فى البطل ، والى تدعيم المشاعر الاجتماعية الضرورية ، كما أن الاشخاص يسترجعون فى ذاكرتهم اثناء النشاط اليومى نماذج سلوك الابطال التى يجب الاقتداء بهـا .

وتؤثر قيم البطولة فى الشخصية كمعايير تحكم سلوك الشخص فى مواقف النشاط . وهى اشبه بنماذج للسلوك فى مواقف معينة لتوجيه الفرد لاداء أعمال معينة والانسحاب من أخرى ، وابداء الاعجاب لأعمال معينة ، او استهجان اخرى فى مواقف تخالفها . وقد امتلأت الاساطير الشعبية والقصص التاريخية والادبية والالعاب الرياضية بنماذج من البطولات تحكى تصرفات الأبطال ، كما عاصر بعض الناس فى كثير من المجتمعات كثيرا من البطولات الواقعية التى رفعوا اصحابها الى مستوى عال من الاحترام والتقدير والشهرة .

لكن ما معنى البطولة والبطل ؟ . البطل شخص حقيقى أو خيالى يعجب به الناس لارتباط اسمه بأفعال وانجازات خارقة . وتنال البطولة والابطال مكانة عالية من الشهرة . ويرتبط سلوك البطل عادة بمظاهر من الولاء والسمعة والشهرة والاحترام . ويمتلك البطل صفات غير عادية تميزه عن اعضاء الجماعة كالشجاعة وانكار الذات والاخلاص والولاء والغيرية ، ولا تقتصر افعال البطل على اداء الواجب ، بل يتجاوزه دائما ، ويتوقع الناس منه ذلك ، فالبطل فى الحياة اليومية اشبه بالاسطورة (2) أو الرمز . ومن ثم فالبطولة فعل من الافعال الخارقة يرتبط بمظاهر من السلوك غير المألوفة لا يقدر عليها الافراد العاديون . وترتبط البطولة عادة بالتضحية بالذات فى سبيل الآخرين أو فى سبيل مبدأ معين مثل الولاء والاخلاص والفداء ، أو ارتكاب افعال لا اخلاقية ضد السلطة .

والشخص البطل يبز دائما اقرانه بما يقوم به من أفعال فذة ، تميزه عن اعضاء جماعته لما وهب به من صفات تؤهله للتفوق والتميز . والبطل قد يكون رمزا للنجاح والنصر على الشر والتخلف وصورة للفداء والتضحية بما هو قدوة للتوحد به بين اعضاء المجتمع (3) . ويتضمن الاعجاب

---

(1) Klapp, Orrin: Heroes, villians and fools as agent of social control. A.S.R. Vol. 19, 1954, PP. 56-62.

(2) Klapp, Orrin: The origin of the hero. In Turner Ralph (ed.) Collective behaviour. op.cit., P. 457.

(3) Klapp, Orrin: Hero, villians and fools. A.J.R. op.cit.,

بسلوك البطل ذكرى ما انجزه من اعمال غير عادية ترفعه الى مستوى المثال ، وتجعل منه رمزا اجتماعيا مهابا ، او قد يكون شخصا دعائية يرتكب افعالا خارجة ضد القانون •

ويبدى الاطفال الكثير من مظاهر الاعجاب والتقدير للابطال ويحاولون أن يسمعوا الكثير عن قصص الابطال وأقاصيص البطولة ، ومشاهدة الافلام السينمائية والتليفزيونية التى تحكى عن اعمال الابطال • وتؤكد جيرسيلد أن اختيار الطفل للابطال والمثل يبصرنا بنوع القيم التى يؤمن بها الطفل وافكاره التى تحدد سلوكه المثالى • فاعجاب الطفل ببطولة معينة يدل على معايير تفضيل الطفل لافعال معينة والانجذاب نحو سلوك معين أو النفور منه واستهجانه (١) •

ويتأثر الطفل عند مشاهدة الافلام السينمائية والتليفزيونية ، أو عند قراءة أو سماع سير الابطال بما يشاهد أو يسمع أو يقرأ من أعمال البطولات ، ولكنه لا يميز بين الواقع والخيال فى البطولة • كذلك لا يدرك ان الشخصية المثالية للبطل والصفات التى يتحلى بها القائم بدور البطولة على شاشة التليفزيون او السينما لا تظهر الا فى عالم السينما او التليفزيون ، ولا تمارس هذه الصفات والاعمال البطولية فى عالم الواقع، كما ان الابطال السينمائيين لا يملكون حقيقة هذه الصفات • وترى جيرسيلد ان الطفل عندما يصف شخصية معينة بالبطولة ، وعندما يختار بطلا معينا ويبدى اعجابه به ، فالباحث يعجز عن ادراك حقيقة ارتباط الطفل بالبطل • فأحد الاطفال قد يطلق صفة البطولة على شخص ما يعجب به ، ويحاول ان يقتدى بسلوكه، بينما يشير الآخر الى شخصية عرفها بالسماع ، دون الاهتمام بالاقتداء به • فاختيار البطل قد يكون عن وعى حقيقى يدفع الطفل الى اتخاذ البطل قدوة ، أو مجرد سماع • ومهما كان الدافع الى اختيار البطل عند الطفل ، فان النماذج التى اختارها ترمز الى حد ما الى القيم السائدة والمؤكدة والمقبولة " فى المناخ الثقافى الذى يعيش فيه الطفل " (٢) •

وتكشف لنا تحليل سير الابطال ومظاهر البطولات ان هناك توجيهات متباينة للبطولات • فثمة بطولة جماعية ، وثمة بطولة فردية ، وثمة هروب من البطولة • وتدعو البطولة الجماعية الى اساليب معينة من الفعل الجماعى ، وتمجد التضحية والعمل من أجل الجماعة • فالبطل يعمل من أجل الجماعة ، ولصالح الجماعة لايمانه ان وجوده يرتبط بوجود الجماعة • اما التوجيه الى البطولة الفردية فيبغى تحقيق انتصارات فردية ، تعود بالمجد والكسب لصاحبها •

(١) Jersild, R. J.: Child Psychology. op.cit., P. 434.
(٢) Jersild, R. J.: Ibid., P. 533.

اما الهروب من البطولة فيسعى الى الهروب من الموقف بتأكيد السلبية فى كل المواقف التى تتطلب التضحية ٠

ان عملية خلق البطل ليست عملية عشوائية ،فالظروف التى تظهر فيها البطولات ليست ظروفا جزافية ، بل عملية ارادية جماعية ، تعبر عن ظروف اجتماعية قهرية تفجر البطل ، وتولد البطولات بين اعضاء المجتمع ، وتخلق انسانا يعبر عن ثقافة مجتمعه ٠ فهو قد يفدى زملاءه، او يستشهد فى سبيل الارض ، او يدافع عن الحق والعدل ، او يدعو الى حماية التراث والتقاليد ، او تنفجر فيه القوة والشجاعة للتمرد على السلطة الغاشمة لنصرة ابناء مجتمعه ، أو يساعد الفقراء والمحتاجين ، او يكون رجلا فذا يجمع ثروة لنفسه ، او يأتى من الافعال الخارقة دون مبالاة بنتائجها الاجتماعية والقانونية ٠ وهناك مجالات متعددة يظهر فيها السلوك البطولى مثل مجالات الحرب والسياسة والعلم والتربية الرياضية والترفيه والعمل الاجتماعى والمال وفى كافة المجالات التى يهتم بها الناس ٠

وترجع اهمية البطل انه المنهج الذى يؤثر فى توجيه الافعال فى ازمنة التغير[1] ٠ وتخلق عصور الازمات والصراعات نماذج من الابطال الحقيقيين والزائفين وتصقلهم بالتجارب، أو تلهم الكتاب والفنانين بنماذج لابطال يلتى على ايديهم الخلاص من الازمات التى يعيش فيها المجتمع٠ وليس البطل دائما شخصية تاريخية ٠ فأحيانا يتجسم فى شخصية رياضية أو مسرحية أو عسكرية أو خيالية ٠ فالبطولة نشاط انسانى معين يولد البطل ٠

وقد قدم لنا أورين كلاب تصنيفا لانواع من الابطال على النحو التالى :

١ـ البطل الخير : رمز يعبر عن فعل الخير وتأكيد شخصية البطل ٠ ويتمركز نشاط البطل الخير فى مساعدة الاخرين وخاصة المحتاجين فى أوقات الأزمات والمناداة بالعدالة فى توزيع الخير والخدمات ، ومواساة الجرحى والمرضى وزيارة المستشفيات٠

٢ـ البطل الفاتح : يعبر عن نمط من البطولات تخلقه الافعال التى تظهر القوة الفذة التى ليست من طبيعة البشر٠ وتؤثر هذه القوة على سير التاريخ ، أو كما تبدو فى أفعال الاساطير٠ ويتميز صاحب هذه البطولة بالقوة الخارجة العجيبة ٠ وهو اشبه بالبطل الاسطورى ٠

(١) Klapp, Orrin: The origin of the hero. In Turner Ralaph. Collective behaviour, op.cit., P. 458.

ويمتلك صفات خارقة مثل المهارات والشجاعة وقوة الاحتمال التي تفوق طاقة البشر • وحب البطل رغم تفوقه غير العادى يخلق منه بطلا شعبيا • الا أن تصرفات هذا البطل تؤكد المهـــارات والحذق أكثر من اعتماده على القدرة الفدائية • ولدينا فى التاريخ المصرى والعربى أمثلـــة عديدة للابطال الفاتحين مثل صلاح الدين الايوبى ، وخالد بن الوليد ، والظاهر بيبرس •

٣ـ البطل المنقذ : ويظهر هذا البطل فى اوقات الازمات والحاجة والشدة لانقاذ الافراد من المحن والخطر والازمات ،أو لتحقيق نصر رياضى لفريقه بعد أن غاب عنه النصـــر، او نصر عسكرى لوطنه بعد طول هزائم وبعد أن كان تحقيق النصر سرابا • ويعبر هذا النمط من الابطال عن المناخ الاجتماعى الذى يصير فيه هولاء الابطال • فافعال البطل وانقـاذه لجماعته من هزيمة ما ، او خطر محدق بها ، تعبير مباشر عما يسود الـجماعة من أفكار وقيم • وتخلق ظروف المجتمع الفرص لظهور البطل المنقذ • ويضفى المجتمع دائما على البطل المنقـــذ الكثير من التقدير والتمجيد لما يقوم به من خدمات اثناء الشدة وأوقات المحن وما يؤديه لانقاذ الآخرين •

٤ـ البطل الشهيد : هو رمز للاستشهاد والتضحية بالنفس من اجل تحرير الارض المحتلة او تحقيق نصر علمى يخدم الانسانية ، او نصرة مبدأ انسانى او عقيدة يؤمن بها البطل ، أو تخليص الافراد من عذابهم فى اوقات المحن والصراع • ان قبول الفرد للموت والتضحية بالنفس فى سبيل هدف سام يرفع من قدره فى نظر مواطنيه ،بل فى نظر الانسانية جمعاء ، ويخلق منـه بطلا شعبيا اذ أن عمله هذا رمز للنضال الانسانى والفداء • ولم تعدم الانسانية أبدا فـــى أوقات النضال وجود اشخاص يستشهدون ويفدون المجتمع بأرواحهم • وتاريخ المجتمع العالمى والاسلامى والمصرى مملوء بالابطال الشهداء مثل جيفارا ، وجان دارك ، والحسن بن على ، وأم صابر ، وعبد المنعم رياض ، ومحمد كريم •

٥ـ البطولة الداهية : هو الشخص الذى يظهر دهاءه ومهارته وذكاءه اكثر من قوتـه العضلية • ويعتمد البطل الداهية على الحيل الفجائية لهزيمة منافسيه • فهو يلجأ الى المكـر والدهاء والخداع وكل الاساليب التى لا يتوقعها منافسيه • ومن العادة ان يصير مثل هـــذا الشخص دائما معبود الجماهير ، ويخلق منه بطلا شعبيا وينسجون حوله الاساطير لانتصاراتـه التى يحققها على منافسيه الذين يتفوقون عليه فى القوة والمظهر والسلطة • وقد يستغل البطـل

الداعية ذكاءه لارتكاب افعال لا أخلاقية ، بل كثيرا ما يكون الداعية داعرا فاجرا .

لكن من يقرر البطل ؟ . هناك اساليب معينة تحدد البطل . اساليب رسمية وأساليب شعبية . لكن الاساليب الشعبية اقوى فى تحديد البطولة ، وكتابة الخلود للبطل . ونرى أن تصنيف كلاب رغم انه جامع ، فهو لم يبين لنا لماذا يضحى البطل ، ولصالح من يقوم بأفعاله . هل لصالح الجماعة ، أم لمنفعته الشخصية ؟ ومهما كان مصدر البطولات أو سببها فهى تعبير عن سلوك اجتماعى يقدره الناس وتعلو به الجماهير الى منزلة عالية ، لما يتميز به البطل من صفات معينة ، وتجسيده لقيم معينة سائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه المرء ويتوحد معها .

خامسا : مفهوم الحقيقة : صدق — كذب — مزيج من الصدق والكذب

الكذب فعل ارادى يعد نوعا من الغش ، ودليلا على عدم الاهتمام ، وتعبيرا عن مقدرة على تغيير الحقائق . أما الصدق فهو صفة الالتزام الخلقى نتيجة الارتباط بالآخرين ، ودليل على انتقال الطفل من مرحلة مركزية الذات الى مرحلة التفاعل مع الآخرين ، وتعبير سليم عن الواقعية فى التفكير .

وفحوى الكذب تجسيد الهروب من المسئولية ، وتعنى تحريف الواقع او تزويره أو تشويهه . ويرى بياجيه أن القيم المرتبطة بالكذب قيم تتنافى مع الدين والقواعد الاخلاقية ، بيد أن الكذب ميل طبيعى وتلقائى عند الطفل وجزء أساسى من تفكيره المتمركز حول الذات[1] ، ولا ضرر منه للآخرين . ومصدر الكذب عند الطفل الخوف من العقاب . ويعكس الكذب حالة الجبن التى يعانى منها الطفل لشدة قسوة احد الوالدين أو كليهما ، فهو سلاح من اقوى الاسلحة عند من لا يملك سلاحا . والصدق والكذب يحددهما مضمون الموقف ، ولا يرتبطان برغبة الشخص وميله الى الصدق والكذب . فالصدق تعبير عن الموضوعية فى الاحكام ، وخطوة نحو تحقيق السلوك الموضوعى . اما الكذب فميل الى الذاتية وعدم القدرة على الحكم والسلوك الموضوعى .

سادسا : النزعة الى اداء الواجب : مسئولية جماعية — مسئولية فردية — هروب من المسئولية . القدرة على التصرف وأداء الواجب مظهر من مظاهر القيم الاخلاقية ، وتعبير عن

---

(١) بياجيه جان : الحكم الاخلاقى عند الاطفال — ترجمة محمد خيرى حربى . القاهرة مكتبة مصر — سنة ١٩٥٦ . ص ١٢٢ .

مدى قدرة الشخص على التصرف فى المواقف المختلفة ، وتحمله تبعات عمله • وهى تعنى الشجاعة فى تقبل العقوبة[1] عند الخطأ حتى لا يعاقب البرىء أو يعمى • كذلك تعنى المشاركة فى زيادة العمل وتضافر الجهود لمواجهة مشكلة ما •

ويعرف بارسونز المسئولية بأنها تعنى تنظيم اوجه نشاط الشخص والجماعات بالرجوع الى تأثيرهم على المصالح العامة ، وهى تشير الى تنظيم مصالح اعضاء النسق الاجتماعى ، وتطابقها مع القيم الاجتماعية للنسق فى علاقاتها فى موقف ما[2] • ونرى ان هناك ثلاثة توجيهات تحدد مسئولية المرء الى اداء الواجب :

١- مسئولية جماعية : وتعنى ان تبعات العمل موزعة بين الاعضاء المشتركين ، وتعنى قوة الشعور الجماعى والترابط والتماسك من اعضاء الجماعة • ويرى بياجيه أن المسئولية الجماعية لا تنفصم عن المسئولية الفردية ،أى ان الفرد يتحمل تبعة عمله ضمن الجماعة •

٢- مسئولية شخصية : وتعنى ان الخطأ او نتائج العمل غير قابلة للانتقال ، ويتحمل كل شخص نتائج عمله ، واذا لم تقترن بشعور المسئولية الجماعية كانت تعبيرا عن انفصام الشخص عن الجماعة •

٣- الهروب من المسئولية : تعنى عدم القدرة على تحمل تبعات العمل ومحاولة القائها على الآخرين وعدم الالتزام بسلوك معين والعجز عن اصدار القرارات ، واعتراف ضمنى بعدم القدرة على الاداء ، وتعبير عن الخوف من الفشل والانفصال عن الموقف •

وتؤكد الاشتراكية دائما اهمية المسئولية الجماعية باعتبارها مظهرا من مظاهر ترابط المجتمع ، وتأكيدا لتضافر الجهود من اجل تحقيق مستوى من الحياة أفضل • والمسئولية الجماعية تعنى الشعور بالالتزام نحو المجتمع وقضاياه ومشكلاته ، والايمان بالمشاركة الجماعية فى حلها • وتتطلب المسئولية الجماعية نوعا من السلوك يؤكد المشاركة وبذل الجهد •

ولا يؤمن المرء بالمسئولية الجماعية جزافا ، انما يؤمن بها نتيجة تسهيلات كبيرة تقدم للافراد للمشاركة فى اداء الاعمال وافساح المجال امام الجميع لبذل الجهد • وهى تعنى

---

(١) بياجيه : نفس المرجع - ص ١٢٩

(٢) Parsons, Talcott: Structure and process, op.cit., P. 186.

تأكيد المجتمع لحقوق الأفراد وواجباتهم • وقد بين بياجيه في دراساته عن الطفل السويسري ان المسئولية الفردية وحدها هي التي لها دور عند الاطفال • فالطفل يؤمن بان الخطأ غير قابل للانتقال [1] • وهذا الحكم الذى يصدر عن الطفل يعبر عن قيم المجتمع الرأسمالى الذى تعكس انظمة اجتماعية واقتصادية تمجد الفرد ، وتعزله عن الجماعة •

سابعا : مثال الارتباط بالغير : تعاون ــ لا تعاون ــ مزيج من التعاون واللاتعاون •

ترتبط قيم التعاون بالشعور بقوة الاتحاد والاندماج فى الجماعة والانتماء اليهـــا • فالتعاون يتجسد فى القيمة ويعنى الايمان بتبادل الخدمات بين الافراد على قدم المساواة ، والتأكيد على مبدأ الأخذ والعطاء ، وتضافر الجهود لمقاومة العوائق أمام نشاط الجماعـة • أما اللاتعاون فسلوك شاذ مستهجن ، ويعنى قسمة جائرة بين افراد المجتمع تجعل البعض محظوظا يتمتع بكل شىء فى المجتمع ، والبعض الآخر مستغلا لا يكاد يحصل على ما يقيـم أوده • فالتعاون مظهر من مظاهر التماسك والوحدة والقوة ، ويدل على الايمان بقيـــم المساواة والعدالة [2] •

والتعاون شأنه شأن كل القيم التى تنظم السلوك تبدو فى مجالات النشاط اليوميـــة ، وفى مجالات الاقتصاد ، وفى مجالات الخدمات الاجتماعية ، وفى مجالات السياسة • وعند مـا تتماسك الجماعات لمواجهة عدو خارجى • وتبدو أبسط صورة للتعاون فى مجالات لعـــب الاطفال • فالتعاون تجسيم لرسوخ القيم الجماعية ، والتخلى عن المصالح الشخصية فـــى سبيل المجتمع والبذل والعطاء من أجل الآخرين •

والتعاون قيمة هامة فى المجتمع الاشتراكى ، يؤكد شكلا شاملا عاما للعمل ، لأن التعاون يزيد من الانتاج ، وله فوائد جمعية ، وهو تعبير عن تماسك الجماعة ، وتعبير عن تفـــوق العمل الجماعى على العمل الفردى •

ويؤكد بياجيه أن الايمان بالتعاون كقيمة محصلة لعملية تربوية ، فمن الصعب أن يمارس الطفل التعاون ، ويندفع الى المشاركة الجماعية ، ويؤمن بالتعاون كأسلوب لتنظيم سلوكه دون ممارسته والتمرن عليه لفترة طويلة [3] ، اى ان التعاون كقيمة يكتسبها الشخص أثناء عملية التنشـــئة

---

(١) بياجيه : المرجع السابق ـ ص ٢١٨ •
(٢) بياجيه : المرجع السابق ـ ص ١٨٠ •
(٣) بياجيه : المرجع السابق ـ ص ٨٥ •

الاجتماعية ، يتوحد الشخص مع قيم التعاون اثناء تعلمه من سلوك الآخرين المحيطين به ، وهي تظهر في مرحلة متأخرة من حياة الصبي تبعة بمرحلة مركزية الذات .

والتعاون له صوره واشكاله في المجتمعات المختلفة ، فصوره في المجتمع الرأسمالي غير صوره في المجتمع الاشتراكي . والتعاون قيمة عامة في المجتمع الاشتراكي ، تؤكد شكلا شاملا للعمل الجماعي لأن التعاون يزيد من الانتاج ، وله فوائد جماعية ، وهو تعبير عن تماسك الجماعة ، وتمييز للعمل الجماعي على العمل الفردي . ويرى الاشتراكيون أن المجتمع الرأسمالي يستغل التعاون في العمل لصالح البرجوازيين من أجل ثرائهم الذاتي ضد مصالح الكادحين،[1] وهو وسيلتها في مضاعفة الثروة ، اما التعاون في المجتمع الاشتراكي فيهدف الى تبادل الخدمات ، ويساعد على تصفية التناقض بين القرية والمدينة ، وازالة الفوارق بين الطبقات الاجتماعية، كما يجتاز حدود الوطن الى العوالم الأخرى .

وتعلي الاشتراكية من قيمة التعاون ، فالبناء الاشتراكي يقوم على نظام التعاون لتطوير الاقتصاد ومقاومة الاستغلال ، كذلك تبادل الخدمات والخبرات والمنافع ، فالايمان بالتعاون تعبير عن الايمان بعدم الانعزال ، وانعدام الفردية ، والتعاون الجماعي عامل حاسم لمواجهة التخلف الاقتصادي والضغوط السياسية ، واتاحة الفرصة لامكانية استغلال الموارد الداخلية استغلالا مجديا .

وتعبر الجمعيات التعاونية عن شكل بسيط من اشكال التعاون ، فهي تبيع البضائع الموجودة باسعار معتدلة لعدد من المستهلكين ، كذلك تقدم الجمعيات التعاونية في الريف الفلاح ، سواء بتوريد ما يحتاجه الفلاح من آلات وبذور واسمدة ، او تسويق المنتجات الزراعية أو منحه القروض ، وكلها مظاهر بسيطة للتعاون في مجال الاقتصاد تهدف الى تدعيم الاشتراكية .

ثامنا : علاقات الانسان بالآخرين : غيرية ــ انانية ــ مزيج من الانانية والغيرية :

تعني الغيرية تقديم الخدمات للافراد دون طلب منفعة ما ، كذلك تعني استعداد الشخص للتضحية بمصالحه ورغباته من أجل الآخرين ، وهي قيمة ضد الانانية ، وكل القيم التي

---

(1) خود وكور موف : الاقتصاد السياسي للاشتراكية ــ تأليف خود وكور موف وآخرين . موسكو ــ دار التقدم . ص ١٦٠ .

تمجد الذات • والغيرية تعبير عن النشاط المرتبط بحب الآخرين مثل الجار والصديق أو القدرة على العفو والسماح • ويرى دوركيم أن الغيرية تعنى التعلق بالجماعة بوجه عام ، وهى ميول تقع خارج نفوسنا [١] ، وتهدف الغيرية الى تأكيد اهتمام الشخص بالموضوعات التى لا تخصه مباشرة ، وانما تخص الجماعة •

ويؤكد الاتجاه الاشتراكى أن الغيرية فى المجتمع الاشتراكى تعنى الوحدة المتجانسة المنسقة للاهتمامات الشخصية الاجتماعية [٢] ، وعدم التنافر بين الذات والغير ، والترابط والانسجام الكامل بينهما ، وهى قيمة ترتبط بالمحبة وتضافر الجهود والتعاون • أما الانانية فتعنى حب الذات ومراعاة المصالح الشخصية • وهى أسلوب للسلوك يتمركز حول المصالح الشخصية ، ويرتبط بمنفعة الذات ، التى لا تبالى بمصالح الآخرين أو المجتمع • فالانانية مرآة لعدم التعاطف مع الغير ، وعدم الارتباط بهم • فهدفها خدمة الشخص نفسه على حساب الآخرين • والانانية اسلوب من السلوك يتعارض مع المجتمع الاشتراكى ، يرى فيه الاشتراكيون نوعا من الرذيلة [٣] •

وتعتبر مجالات اللعب من المجالات الواضحة التى توضح فيها الغيرية أو الانانية ، سواء فى مجالات الالعاب الفردية أو الجماعية ، مثل استئثار الطفل باللعب ورفض مشاركة الآخرين ، أو تقبل اللعب الجماعى • بيد ان الطفل يفضل دائما اللعب مع الآخرين لأنه يكره الوحدة ، ويفضل اللعب الجماعى ، لأنه يؤكد لديه الشعور بالانتماء الى الجماعة • ويرى دوركيم أن الطفل فى حياته الأولى انانى ، وتخفف عملية التربية من انانيته ، وتكون لديه القيم الغيرية التى يفتقد اليها اصلا • ويرى دوركيم أن الانسان يحمل دائما قدرا من القيم تمتد من الانانية والغيرية • فالقيم التى ترتبط بالميول الانانية او الغيرية توجد عند ذات الشخص ، واختلاف الناس فى الاهتمام بالانانية والغيرية اختلاف فى الدرجة ، فلا يوجد انسان يحيا حياة انانية خالصة أو غيرية صرفة ، فالانانية او الغيرية لا يوجد ان عند الشخص فى حالة نقاء خالص • واذا كان دوركيم قد وصف الانسان الراشد بالازدواج بين الانانية والغيرية ، وبين أن أنانيته تتجلى على اشدها فى مظاهر السلوك ، فان الطفل عنده يتمسك بالقيم الغيرية • ويرجع ذلك الى

---

(١) Durkhiem, Emile: L'education morale. op.cit., P. 237.

(٢) Rosenthal, M.: Dictionary of Philosophy, op.cit., PP. 16-17

(٣) Rosenthal, M.: Ibid., P. 135.

صفة من صفات الطفل وهى نزعة التمسك بالتقاليد ، وشدة تعلقه بما تلقنه منها ، لكن غيرية الطفل لا تمتد الى رحاب واسع ، وليست عظيمة التعقيد ، ولكن غيريته محدودة لضيق أفقه العقلى[1] . ويؤكد دوركيم ان الطفل أنانى ، ولكن له قيم غيرية فى الوقت نفسه ، وتكشف ذلك علاقاته مع زملائه فى السن .

تاسعا : مفهوم الحرية الانسانية : حرية جماعية ـ حرية فردية ـ خنوع :

الحرية قيمة تهدف الى تحقيق العلاقة بين النشاط الانسانى والقوانين الموضوعية للمجتمع او الطبيعة . ويقصد الفلاسفة المثاليون عادة بالحرية حرية الفعل الذى لا تقيده ظروف خارجية[2] .

وليست مشكلة هذا البحث هى وجود اوعدم وجود الحرية فى عالم الطفل ، انما المشكلة هى مدى ايمانه بالحرية باعتبارها قيمة تحكم السلوك وعلاقاته بالآخرين . ويتأثر هذا المفهوم بالظروف السياسية التى تحددها ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه ، لأن مفهوم الحرية فى المجتمع الاشتراكى غيره فى المجتمع الرأسمالى . بيد ان الحرية لا تعنى فى النظامين الخروج على القواعد الأخلاقية والاعتداء على الآخرين او حرية اللامبالاة ، بل هى تعنى المسئولية وتؤكد الاحكام الاخلاقية المرتبطة بالفعل ، وعلينا ان نفهم المعنى المقابل للحرية ، أى الحتمية أو الخنوع لنفهم معنى الحرية .

ولقد أنكر فرويد مفهوم الحرية وأكد ان معوقات الحرية ليست خارجة عنا ، بل توجد داخل أنفسنا ، ومن ثم فالسلوك الانسانى سلوك حتمى يتحكم فيه الأنا[3] ، وانطلاقا من هذا الرأى رفض فرويد الحرية الشخصية والاجتماعية ، وأكد أنها ليست ثمرة الثقافة وانما هى تمرد فردى على الثقافة نفسها[4] . ويرفض فرويد حرية الانسان التى نرى أنها الرئة التى يتنفس منها الافراد والشعوب ، وهى الطاقة الدافعة للانطلاق ، وبناء الحضارة ، ويؤكد حتمية سلوك الانسان .

أما فروم فيؤكد ان اثبات الفرد لحريته امام السلطات التقليدية تعبير تلقائى عن الفردية ، ويجعل الفرد منعزلا وعاجزا معتمدا عن ذاته وعن الآخرين . فالانسان فى تأكيده للحرية يحس

(١) Durkhiem, Emile: L'education morale, op.cit., PP. 205-218.
(٢) Rosenthal, M.: Dictionary of Philosophy, op.cit., P. 167.
(٣) Rozen, Paul: Freud Polotical and social thought. N.Y. Alfred A. Knoph, 1968, P. 294.
(٤) Freud, Sigmund: Civilization, its content: The major works of S. Freud, op.cit., P. 781.

بفرديته وعذاب الوحدة . فالحرية الايجابية باعتبارها تحقيق للذات تتضمن التعبير الكامل لوحدة الفرد اثناء نشاطه الذاتي ، وانعزاله وفرديته ، ويولد الانعزال الشك ، بيد أن الانسان يضحي بحريته من اجل الاندماج في الروابط الاجتماعية[1] ليتفادى هذه الوحدة القاتلة .

وهكذا يتضح ان اتجاه مدرسة التحليل النفسي عند كل من فرويد وفروم ينكر على الانسان حريته ، بل يرى فروم أن سعادة الانسان تستلزم منه التنازل عن حريته ، وان سلوكه حتمي تحدده الروابط المتصالبة . بيد ان الاشتراكيين يرون أن معوقات الحرية ليست داخلية كما يرى فرويد ، ويرفضون حتمية السلوك الانساني ، ويرون ان العالم الذي يعيش فيه الانسان هو منبع الفعل الهادف المعبر عن ارادة الانسان . فالعالم الموضوعي يتيح للانسان ان يضع لنفسه اهدافا متباينة ، وان يتخذ قراراته او يؤدي افعالا بطريقة أو بأخرى[2] ، وحرية الانسان عند الاشتراكيين ترتبط بمدى سيطرة الانسان على القوانين الموضوعية واخضاعها لخدمته . ومن ثم فالحرية منبع للخلق والابتكار ، ولها مكانتها في مجالات الفعل المختلفة وهي ضرورية للانسان ، بل وحق اخلاقي له .

وتخضع الارادة الانسانية الحرة لمطالب اجتماعية لا لقوى ذاتية داخلية تحد من انطلاقها او توجه افعالها ، كما ان الارادة التي تختار وتقرر منساقة وراء رغبات الذات ليس ارادة حرة اطلاقا . فالفعل الارادي ، أي المعبر عن الحرية ، هو محصلة قواعد اجتماعية وأخلاقية وضرورات موضوعية .

ان تقدم الديمقراطية ، وهو المظهر السياسي للحرية يعتمد على تأكيد حرية التعبير ، وحق الابتكار الخلاق للاشخاص والمجتمعات في كافة المجالات وأوجه النشاط الأساسية التي تحقق وجود الانسان في عمله . ولا يقتصر محتوى الحرية على حرية الافراد بل يشمل حرية المجتمعات ، ولا يوجد شخص حر الا بقدر ما يكون المجتمع الذي ينتمي اليه حرا مستقلا . فالحرية في مظاهرها المتعددة تترابط سويا . فالحرية السياسية ترتبط بالحرية الاقتصادية وحرية الاختيار وحرية البحث وحرية العمل وحرية العقيدة ، من أجل تحقيق تقدم المجتمع الانساني والمعايير الوحيدة لتحقيق قيمة الحرية هي مدى مساهمة الفرد بنشاطه في تحقيق

---

(١) Fromm, Erick: The Feer of Freedom, op.cit., P. 221.

(٢) Rosenthal, M.: Dictionary of Philosophy, op.cit., P. 481.

حياته وحياة المجتمـــع •

ان الحرية والسعى اليها أو الخنوع قيم ايجابية وسلبية يكتسبها الفرد ويتعود عليها بالممارسة• فالمقدرة على اختيار الهدف ، واتخاذ الاحكام دون اجبار أو اكراه ، وحرية الفعل على تحمل المسئولية ،ثمرات للتربية توضح بذورها فى دور الطفولة الاولى فى الاسرة، وترعاها المدرسة • ومن الصعب ان نطلب من شخص راشد ليمارس الحرية فى طفولته ويجهل الدفاع عن حرية الآخرين ممارسة حريته ، والدفاع عن الآخرين • ففاقد الشئ لا يعطيه •

عاشرا : تقدير الانسان للملكية : الملكية العامة ـ الملكية الخاصة :

ان الملكية ظاهرة اجتماعية وليست ظاهرة فردية لان الفعل الاقتصادى المحسوس يعتمد على نسق العلاقات (١) • فالملكية قيمة عامة من قيم المجتمع تحدد العلاقة بين الاشخاص والاشياء من جانب ، وتنظم العلاقات بين الجماعات من جانب آخر•

وتعنى الملكية ما يمتلكه الشخص او المجتمع من أشياء لاشباع حاجاته يستفيد منها • والملكية بصفتها قيمة تكون عنصرا هاما من العناصر الاجتماعية للشخصية ، بل ان وجود الشخصيـــة لا ينفصل عن الملكية كما يرى الاشتراكيون • ان الملكية فى شكلها الحقيقى والمباشر هى المجموعة الكلية لعلاقات الانسان ، ولها دور بارز وهام تلعبه بالنسبة لاشكال الروابط الاجتماعيـــة الاخرى • والشخصية هى المجموع الكلى للعلاقات الاجتماعية المميزة لاسلوب معين مـــن الانتـــاج •

فالملكية قيمة تحدد هذا العلاقات الاجتماعية باعتبارها انعكاسا فى حالة المجتمع، ولنظام التوزيع والاستهلاك فى الاشياء المادية • ولا يوجد مجتمع ما دون شكل من اشكال الملكيـــة ، وهى العامل الاقتصادى فى تشكيل الطبيعة الانسانية ، لانها تحدد الحوافز الى الفعـــل • وللملكية ثلاثة توجيهات ، فهى اما ملكية عامة ، واما ملكية جماعية ، واما ملكية فردية • وينعكس توجيه الملكية فى المجتمع على العلاقات الاجتماعية ، وتقدير الاشخاص للممتلكات العامة والخاصة•

وتمجد المجتمعات الرأسمالية الملكية الشخصية لوسائل الانتاج ، فهى اساس قيام هذه المجتمعات • لكن الاشتراكية ترفض الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وترى أنها تربى الانانيـــة

---

(١) Weber, Max: The theory of social and economic organization Trans. By A. M. Henderson & T. Parsons, Glencoe, Free Press, 1947, P. 163.

والجشع واللامبالاة ، وانها عائق يحول دون تقدم الانسان لتناقضها مع شكل الانتاج • وقد حلت الاشتراكية التناقض بين الملكية الفردية والملكية العامة فى اباحة ملكية الاشياء الخاصة للاستعمال الشخصى ، وتحريم الملكية الخاصة من اجل استغلال جهد الآخرين •

وتعنى الملكية العامة ملكية المجتمع ممثلا فى الدولة الاشتراكية لكل وسائل الانتاج بتأكيد المساواة فى العمل ، والفرص الاقتصادية والاجتماعية ، وهى شرط للتقدم الاجتماعى • كذلك يرحب الاشتراكيون بالملكية الجماعية حيث تمتلك جماعة ما وسائل الانتاج نيابة عن المجتمع ، وتعكس الملكية العامة للاشياء مدى الاستقرار الاجتماعى ، ومدى شعور الافراد بالحرية الاجتماعية وتبادل الاستفادة من هذه الممتلكات ، لأن الاشتراكية تؤمن بالجماعة وأن كل شىء لصالح افراد المجتمع وخدمتهم • وتؤمن باحلال مصالح الجماعة محل مصالح الاشخاص الذاتية الضيقة ، والايمان بأن الكل يرتبط بالمجتمع ، لأن المجتمع يهدف الى خدمة الجميع ويعتنى بالجميع •

ان الايمان بالممتلكات العامة شعور ضرورى يحتم وجوده فى المجتمعات التى تؤكد الملكية الجماعية ، اذ ينبغى ان يحس اعضاء المجتمع بأن هذه الممتلكات ملك لهم فردا فردا ، ويتحقق لهم الاستفادة منها • فالجميع يشعرون بالمساواة فى الاستمتاع بها ، لأن هدف المجتمع ان يخلق ظروفا لحياة سعيدة مرضية لكل فرد • واعضاء المجتمع جميعا اعضاء عاملون يرتبطون بروابط النشاط المشتركة والمصالح العامة • واحترام الممتلكات العامة دليل على شعور الافراد بالعدالة فى توجيه الخدمات ، وأن فرص الاستفادة منها متاحة للجميع بقدر متساو •

وتوجد الملكية العامة والخاصة فى كل المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية بنسب متفاوتة فى مجالات شتى • لكن احترام الممتلكات العامة فى المجتمع الاشتراكى والارتباط بها يختلف عما يأخذ به المجتمع الرأسمالى • فاسلوب الحياة فى المجتمع الرأسمالى يوجه الشخص الى تكوين الثروة الشخصية وحيازة الممتلكات ، واشباع حاجة الشخص الى الاقتناء • فالتملك قيمة عليا فى المجتمع الرأسمالى تعلى من قدر الشخص ، وتتطلب المحافظة على الممتلكات الخاصة ، ويرتبط تغيير النظرة الى الممتلكات العامة والايمان بها بتغيير النظرة الى الملكية وفائدتها • ويرى الماركسيون ان تغير النظرة الى الملكية لابد وان يرتبط بتغير اساليب الانتاج • ويولد

اهتمام وتأكيد النظم الاشتراكيــة على توفير الخدمات لكل شخص احساسا عند كل فرد بـــأن الممتلكــات العامة ملك للجميع يجب المحافظة عليها •

أما النظم الرأسمالية ، فلا تهدف الى خدمة جميع اعضاء المجتمع ، ولا توفر العدالــة الاجتماعية ، ولا يحصل كل فرد على متطلبات الحياة حسب حاجته ، بل يسعى الـــى الحيازة والاثراء مستغلا فى ذلك الآخرين ، مما يولد عند الافراد احساسا بالكراهية والحقد ينعكس فى موقف اللامبالاة من الممتلكات العامة أو ممتلكات الآخرين ، أو نشأة الصراع بـــين الجماعات • وتحاول الاشتراكية ان تقضى على هذا الصراع بازالــة الفوارق بين الطبقات أو التقريب بينها ، على انه فى مرحلة الانتقــال من الرأسمالية الى الاشتراكية قد تزداد حدة اللامبالاة أو الصراع نتيجة لسوء فهم الايديولوجية الاشتراكية ، فيسود بين بعض فئـــات الشعب السلوك التخريبى ضد الطبقات المستغلة أو ضد الممتلكات العامة • ويعبر الايمـــان بالملكية العامة والخاصة وتقدير الملكية والمحافظة عليها عن قيم ينميها المجتمع فى اعضائـــه اثناء مواقف التربيـــة فى الاسرة والمدرسة •

وتحاول القيم الاشتراكية فى مجتمعنا أن تخلق انسانا جديدا له سلوك جديد بالنسبة الى الممتلكات العامة والخاصة ، نتيجة الاحساس بالمساواة فى فرص الاستمتـــاع بها ، وتوزيع الخدمات ، والثروات توزيعا عادلا ، اذ تخدم الممتلكات العامة الجميـــع ، وترد جهود افراد المجتمع اليهم فلا تباع بسعر رخيص أو بأجور عليهم •

وتكون كل هذه التوجيهات للقيم جانبا من شخصية الصبى • فالعناصر المتوحدة الــتى تكون مضمون الشخصية هى الرابطة بين المرء والغير • وهذه الموضوعات المتوحدة لا تتخــذ اشكالا مستقلة عند كل فرد ، بل هى اجزاء من شخصية المرء وشخصيات الآخرين ، تنظم أثناء عمليات التفاعل فى مواقف التنشئة المتعددة والمتكررة • فعملية توحد القيم عملية اساسيــــة لتكامل شخصيات الشخص والآخرين فى المواقف ، وبها يستقر نسق الشخصية ، ويتكامل مــع أهداف الجماعة ، وينظم البناء الاجتماعى •

....

٣٢٨ ـ ٣٥٧

الفصل السادس

الصراع : معناه ، ومظاهره ووظائفه

الصراع : معناه ، ومظاهره ، ووظائفه

يتوحد المرء في طفولته المبكرة مع مجموعة من القيم وتوقعات الادوار • وتكون هذه العناصر المتوحد بها لبنة البناء الاساسي للشخصية ، وكلما كبر المرء واتسعت علاقاته الاجتماعية وتعددت الانساق التي يرتبط بها ، وازدادت مجالات مشاركته في أنساق الادوار ، توحد بقيم وتوقعات للادوار جديدة ، تتراكب فوق القيم والتوقعات التي توحد بها من قبل • ومن ثم فقد يشعر المرء بالتوتر والحيرة لاسيما اذا كانت بعض القيم والتوقعات المتوحد بها متشابهة ، وليست متماثلة • كذلك فالقيم وتوقعات الادوار التي تنظم العلاقات داخل البناء في المجتمع الحضري والصناعي ليست ثابتة وغير متجانسة ، نتيجة لما يطرأ على المجتمع من تغير ، وتعدد الجماعات التي يتكون منها البناء ، فهناك قيم تميز الجماعات المتباينة داخل البناء الكبير ، ولذا يحدث صراع بين القيم السائدة والقيم المتغيرة ، واصطدام بين قيم الشباب وقيم الشيوخ ، او صراع بين قيم الجماعات المختلفة •

ونحن نهتم بدراسة الصراع باعتبار أن الصراع ظاهرة لها علاقة بالبناء الاجتماعي والشخصية ،فهي تحدث في الابنية المتغيرة نتيجة للتغير التدريجي لقيمة بعض العناصر الاجتماعية المتوحد بها وتعارضها مع العناصر الجديدة التي يبدأ في التوحد معها ، وان الصراع بين العناصر البنائية له آثاره النفسية في الشخصية ، اذ يؤدي الى عدم استقرار السلوك ، وازدواج القيم المتوحد بها ازاء المشكلة الواحدة ، ومعاناة المرء من انواع مختلفة من الصراعات النفسية • وكان الصراع كظاهرة انسانية موضع اهتمام علماء النفس والاجتماع ، فتساءلوا عن معنى الصراع ووظائفه ، ومظاهره ، وقدموا اجابات متباينة تعبر عن الزاوية التي درسوا منها الصراع •

ويرى عالم النفس الاجتماعي " شريف مظفر " ان حالات الصراع والتعاون ظواهر طبيعية تبرز اثناء التفاعل[1] بين الافراد مما يؤدي الى انعكاس العلاقات الاجتماعية في حالات الصراع او تماسك الجماعة في حالات التعاون • فالصراع الذي يعانيه المرء وافراد المجتمع ليس فطريا ، بل يتولد نتيجة ظروف معينة تنشأ نتيجة تعارض المعايير والقيم التي تنظم الحياة الاجتماعية ،

---

(1) Sherif, Muzafer: Group conflict and cooperation. London. Routledge and Kegan Paul, 1966, P. 15 .

ومعاناة الافراد بين الولاء للقيم التقليدية التى ربوا عليها ، او الولاء للقيم الجديدة التى تتعارض وتتنافر مع القيم التقليدية .

اما عالم الاجتماع مرتون فيذهب الى ان المنبع الاساسى للصراع لا يوجد فى الافراد بل تخلقه الأحوال والظروف التى يوجد بها البناء الاجتماعى وأفراده والتى تؤدى الى تعارض القيم والتوقعات الاجتماعية بين مجموعة الادوار[1] . فالصراع بين افراد الجماعات يعنى التناقض والتباين بين الاتجاهات والمعايير والمصالح وتوقعات الادوار سواء داخل الجماعة التى ينتمى اليها الفرد أو بين الجماعات بعضها البعض . ويؤدى تعارض المعايير والقيم الى نشوء مواقف تتناقض فيها مصالح الافراد واهتماماتهم ، وتضارب السلوك الاجتماعى . لكن الصراع ليس انحرافا او تفككا ، بل انه يعبر عن عدم التوافق بين التوقعات المرتبطة بالسلوك[2] ، ومواجهة الفرد لمجموعة مطالب متعارضة من اعضاء الجماعة اثناء اداء السلوك المرتبط بأدوار معينة حيث يتوقع منه تحقيق المطالب الشرعية لكل دور ، والتى قد تتعارض مع مطالب الادوار الأخرى ، فمثلا ينشأ الصراع فى مجال الاسرة اذ اتضح تناقضت مطالب والتزامات الادوار الاسرية مع مطالب الادوار المهنية والتزاماتها والتى هى وسيلة لكسب القوت ، كذلك التنافر بين الأدوار الاسرية المختلفة والاحساس بالعجز والقصور عن الوفاء بالتزامات كل دور .

اما الماركسيون فيؤكدون ان الصراع ظاهرة اجتماعية طبيعية فى المجتمع الانسانى . وأن تاريخ الانسان هو تاريخ صراع جماهير الكادحين ضد الظروف المستغلة من أجل ارساء علاقات جديدة افضل من سابقتها تتلائم مع ظروف الانتاج ، وتحاول تغيير اساليب الانتاج الى أساليب أفضل . وقد بينت الاتجاهات الماركسية ان صراع الطبقات الكادحة من أجل تحقيق مستوى من الحياة الانسانية افضل قد يصطبغ بالصبغة الدموية فى مراحل متعددة من تاريخ الانسان ، لكن الصراعات التى تظهر بين طبقات المجتمع من اجل تحقيق سيطرة افراد الشعب الكادحة على وسائل الانتاج او الثورة ضد استغلال اصحاب رؤوس الاموال للقوى العاملة هى ثمرة تناقض المصالح الطبقية التى تنتج عن تعارض اشكال السلوك داخل مواقف معينة ، ونتيجة للعقبات التى تعترض تحقيق الاهداف ومصالح الجماهير الكادحة . ومن ثم فليس الصراع

---

(1) Merton, Robert: Social theory and social structure, op.cit. P. 370.

(2) Merton, Robert: Ibid., P. 351.

حالة مرضية يعانى منها المرء ، او حالة تفكك وانحلال للبناء الاجتماعى ، بل هو مغزى الحياة وسرها . وهو الحافز على التوفيق بين القيم والادوار المختلفة بالنسبة للشخص ، او التوفيق بين القيم القديمة والجديدة داخل الجماعة ، والتركيب بين العناصر القديمة والجديدة ، من أجل التقدم والارتقاء .

معنى الصراع :

وقد اختلف النفسيون والاجتماعيون فى تفسير منابع الصراع ، هل هو الفرد ؟ وبالتالى ينظر اليه كحالة فردية ، أم البناء الاجتماعى ؟ وبالتالى يعتبر ظاهرة اجتماعية ، أم محصلة التنافر بين المعايير الشخصية ومطالب الجماعة .

فعلماء النفس يرون ان الصراع ينشأ بين الشخص وذاته عندما يصطدم برفض آرائه فى عالم الواقع نتيجة تعارض وتباين مجموعة المعتقدات التى يؤمن بها الشخص عن موضوعات معينة ، كذلك تضارب اهدافه ومصالحه مع معتقدات ومصالح الآخرين وأهدافهم . فالصراع النفسى هو فى حقيقة الأمر صراع بين المثل والقيم التى ربى عليها الفرد والتى ادمجت فى شخصيته والواقع الذى يعيش فيه .

وقد قصرت مدرسة التحليل النفسى اهتمامها على الصراع النفسى . ويرى فرويد أن القلق النفسى عند الفرد ينشأ منذ الطفولة ، منذ لحظة الميلاد فزعا من الخروج من الرحم(١) وهذا القلق مصاد العجز النفسى للطفل ، وصورة واضحة لعجزه البيولوجى . ويذهب مينرو الى ان فرويد محق فى رأيه عن احساس الطفل بأعراض القلق والصراع النفسى منذ الميلاد ، فتعبير الطفل عن القلق النفسى منذ الميلاد جزء من نمط تطورى يظهر تلقائيا فى ظروف تهديد مختلفة(٢) .

ويرى فرويد ان الاحساس بالصراع يزداد فى المرحلة الأوديبية ، ويتطور الخوف من الخصاء الى خوف من الضمير ، اى الى قلق اجتماعى مستمر . فالقلق ظاهرة طبيعية عند فرويد تبدأ منذ الميلاد ، ويعانى الطفل دائما من صراعات اساسية بين رغبات الهو المتمرد ومعايير

(١) Freud, Sigmund: Anxiety as motivation: In T. Parsons, and others (ed.). Theories of Society, op.cit., P.803.

(٢) Munro, Ruth: Schools of Psychoanalytic thought, op.cit., PP.699-700.

الوالدين • ويؤكد فرويد ان كل فرد يعانى من اتجاهين متصارعين داخل ذاته ، احدهما فيهدف الى تحقيق السعادة الشخصية ، وأما الآخر فيميل نحو تحقيق الترابط والوحدة مع المجتمع الانسانى ، ويتصارع هذان الاتجاهان داخل الشخص حين يكتشف الفرد ان عملية نموه كفرد تتعارض مع عملية نموه الثقافى • فالصراع بين الفرد والمجتمع ممثلا فى الضمير لا ينبع من التنافر بين الغرائز الاولية فقط ، بل من نزاع بين الانا والموضوعات الخارجية من اجل المشاركة فى اللبيدو •وهذا الصراع محصلة التنافر بين مطالب الذات ، ومطالب الجماعة • أو بين مطالب الأنا ومطالب بناء الدوافع الغريزية ، أى الهو•

وأشار فرويد الى ان الصراع بين الأنا الاعلى والأنا يحكم التضاد بين العالم النفسى والواقع ، ويعبر عن التباين بين العالم الخارجى والعالم الداخلى ، ومآل هذا الصراع بين المكونات الاساسية للشخصية سقوط الانسان فريسة لمرض نفسى نتيجة لافتقاره الى التوافق الداخلى بتأثير المعوقات الخارجية التى يفرضها الأنا الاعلى ، عندما ينكر المجتمع على الفرد اشباع حاجاته العاطفية فى نطاق الواقع ،وما أعراض القلق الا محاولة لتخفيف حدة الصراع وتلافيه •

ويرى فرويد أن القلق أو الصراع حالة وجدانية يشعر فيها الفرد بالكآبة وعدم السرور ويصاحبه حالة من التفريغ الحركى Motor discharge والهياج النفسى • وتنشأ هذه الحالة الوجدانية كرد فعل لمواقف الخطر والابتعاد عنه • والصراع عند فرويد دائما له درجات متفاوتة ، اكثرها شدة حالة الكآبة التى تعبر عن حالة صراع حاد بين قوى الأنا والأنا الاعلى ، وأيضا من حالات الصراع عند فرويد حالات العصاب ، وتعبر عن الحالات التى لا يتسنى فيها كبت اغراض الغرائز الجنسية بنجاح ، وتعبر عن حالة من الصراع بين تلك الغرائز التى يتقبلها الأنا بعد ما يلى مرحلة الرشد ، وأوضاع هذه الرغبات المكبوتة كبتا تاما والتى تناضل فى اللاشعور لتحقيق الاشباع المباشر •

ومهما كانت صور الصراع عند فرويد سواء أكان الشعور بالصراع ينشأ منذ الميلاد أو عند تكوين الأنا الاعلى ، فان الصراع عند الراشد له منبع اجتماعى ، ما دام الانا الاعلى عنصرا مشتركا مع العناصر المتعارضة ، اذ أن الأنا الاعلى هو تأكيد لسلطة المجتمع فى صراعه ضد الرغبات الشخصية •

اما سيلفيان فيرى أن الانسان ليس حيوانا قلقا بالميلاد ، بل القلق محصلة الظروف الاجتماعية التي يمر فيها الفرد ويواجهه في الموقف ، ونتاج تبادل العلاقات الشخصية بين الاشخاص في المواقف المختلفة • وقد رد سيلفيان اسباب القلق الى اسباب واقعية او خيالية • ويرجع بداية احساس الانسان بالقلق الى تجربة السنة الأولى من حياة المرء اثناء الارتباط بثدى الأم لاشباع الحاجات • ويرى سيلفيان أن قلق الأم على طفلها ينتقل الى الطفل ، كما ان الأم التي يسم القلق سلوكها وتصرفاتها مع الآخرين ترضع ابنها قلقا • فاذا شب الطفل لاقى في حياته عقبات تعترض اشباع غرائزه ، وتهديدات تحرمه من الطمأنينة ، ومن ثم يزداد احساسه بالقلق ، ويشوب القلق سلوكه وتصرفاته • وقد ارجع سيلفيان القلق الى مصدرين ، اما احدهما فهو عدم اشباع الحاجات العضوية العامة والخاصة ، واما الآخر فهو فقد الطمأنينة • ويذهب سيلفيان الى أن القلق شعور عام يوجد عند البشر جميعا ، وله دور اساسي وهام في تحديد وتوجيه العلاقات المتبادلة ، وان اختلفت شدته عند كل فرد • وقد اشار سيلفيان الى أن شعور الطفل بالتوتر اشد من شعور الراشد ، اذ أن الراشد يناضل دائما لتخفيف التوتر ، اما الطفل فليس لديه القدرة على اداء السلوك الذي يخفف به حدة التوتر • ومن ثم يزداد احساسه بالقلق • ويرى سيلفيان ان للقلق دورا بارزا وايجابيا ودورا سلبيا • فدوره الايجابي يبدو في انه الدافع الأول للتعلم الذي يساعد على تكوين بناء نسق الذات ، اما دوره السلبي فيتجلى في الشعور بالحيرة وعدم الطمأنينة وعدم الاستقرار والعجز عن التفكير المنظم والاندفاع وراء افعال هوجاء بلا تفكير منظم • ومن ثم فالقلق له دور اساسي وهام في تحديد العلاقات الشخصية المتبادلة (١) •

ويرى سيلفيان ان سلوك الانسان في الموقف يحكمه اتجاهان ، اولهما ينزع الى الاستقرار والطمأنينة ، بينما يميل الآخر الى المغامرة واقتحام المجهول ، ومن ثم يتولد احساس بالمعاناة والقلق • فالسلوك تحدده مجموعة من المعايير التي تسهل للفرد اداء دوره ، فاذا أحس الفرد عدم الانسجام بين مجموعة من المعايير والقيم التي تحدد سلوكه ، عانى من القلق الذاتي ، والتوتر النفسي والصراعات الشخصية • وتؤثر هذه الصراعات التي يعاني منها الفرد في ادائه للسلوك المرتبط بالادوار المختلفة ، وفي القيام بانواع النشاط ، والى تضارب الادوار التي يؤديها الفرد في المواقف المختلفة • وهذا التضارب نتيجة الصراع بين الدوافع التي

(١) Sullivan, Harry Stack: The Interpersonal theory of Psychiatry, op.cit., P.44.

تحرك سلوك الفرد ، ويجهل الفرد بعض التوقعات المصاحبة لدورها •

وقد اتجه ريمون كاتل اتجاها آخر في دراسة القلق • وقد اتخذ كاتل القياس التجريبي في علم النفس اساسا لدراسته • واهتم بالبحث في الشخصية والدوافع ، وارتباط ذلك بالوراثة والثقافة • ورأى أن الصراع هو احساس بعدم الرضا والحرمان من السعادة فهو نوع من المشكلات الوجدانية[1] • وربط كاتل القلق بالصراع ، وبين انهما ينبعثان سويا من اصطدام البيئة مع الشخص ، ومن ثم ينشأ الصراع من عدم التوافق مع البيئة[2] • ويرى كاتل انه يجب ان نفرق بين نوعين من القلق ،قلق طارئ ،وهو حالة يعاني منها الشخص وقلق دائم باعتباره سمة للسلوك • ويعاني الفرد القلق بدرجات متفاوتة تبعا لمسببات القلق ،ولا يتماثل شعور الناس بالقلق والصراع في الحالات المتماثلة • وللقلق تعبيرات مختلفة يمكن قياسها كلها • وأعطى كاتل امثلة لهذه الحالات ، وبين ان الانسان الذى يعاني من القلق والتوتر والاجهاد والصراع يتسم سلوكه بالتردد والحيرة والالتجاء الى الآخرين ملتمسا معونتهم ، والهروب الى موضوعات ثانوية لا ترتبط بالموضوع الاصلى الباعث للقلق • كما يبدو الشخص حساسا للنقد الموجه اليه سواء بالمدح او الذم ، وتتكون لديه أفكار خيالية ، وتصورات غير مألوفة عن المجهول • ويتحيز في تصرفاته ، كما يشعر أحيانا بالعجز عن تذكر واسترجاع احداث تمت في الماضي ، ويجد بعض الصعوبة في الاندماج في علاقات اجتماعية ، وينتابه الخوف من الفشل في علاقاته الاجتماعية بالآخرين داخل الأسرة وفي محيط العمل ، والعجز عن التوفيق بين مطالب الادوار المتباينة ، ويشعر الفرد دائما بالتعب الجسمي ، ولكنه يهتم بنفسه الى درجة معقولة ، وبحل المشكلات الشخصية والاجتماعية •

ونتبين من هذا العرض أن كاتل يرى أن القلق حالة وجدانية نفسية تخص الفرد ، وأن أسباب القلق المتماثلة في الموقف تبعث في الافراد المختلفين درجات متفاوتة من القلق ، ومن الواضح ان كاتلساير فرويد عندما رأى أن القلق حالة وجدانية بحتة ، مظاهرها تتفاوت في الشدة ، بيد أنه اختلف معه عندما ارجع القلق الى أسباب خارجية لا الى التنافر بين مكونات الشخصية •

---

(1) Cattle, Reymound: The Scientific Analysis of Personality. Second Prenting. Chicago. Aldine Publishing, 1966, P. 202.

(2) Cattle, Reymound: Ibid., PP. 114-122.

ونرى من هذا العرض لآراء بعض الاتجاهات النفسية في الصراع ، انها جميعا ذهبت الى أن الصراع حالة وجدانية تعبر عنها الشخصية في سلوكها ، بيد أننا نرى أن الصراع في حد ذاته ليس ظاهرة ذاتية تخص كل فرد ، وليس ظاهرة نفسية بحتة ، اذ أن الصراع حالة عامة يتفاوت الاحساس بها نتيجة لاختلاف العناصر المكونة لبناء الشخصية[1] الذى يعكس البناء الاجتماعى • كذلك اغفلت هذه الآراء العلاقة بين الشخص والصراع الاجتماعى الذى يسود البناء • فشدة الاحساس بالصراع وانواعه تحدده عوامل اجتماعية متباينة منها حجم الجماعة النسبى ، ودرجة تماسك العلاقات الاجتماعية ، وموضوع الصراع من حيث كونه موضوعا عاما أو موضوعا شخصيا • ومن ثم فالصراع النفسى ومظاهره المختلفة التى يعبر عنها من خلال التوتر والقلق والشدة ، كلها نتاج ظروف اجتماعية تولد انسانا قلقا •

اما انصار اتجاه علم النفس الاجتماعى فقد ذهبوا مذهبا جديدا فى تفسير الصراع ، ورفضوا تفسير الصراع على انه حالة وجدانية ، تعكس مشاعر الفرد الداخلية ، وممن ذهبوا فى هذا الاتجاه مظفر شريف • فرأى ان الصراع عملية تعبر عن التضارب بين معايير الاشخاص ومعايير الجماعات التى ينتمون اليها ، اذ ينتمى الافراد فى المجتمع الحديث الى جماعات متعددة ذات معايير متناقضة ، ويشعر الافراد بهذا التنافر فى المعايير ، ولكنهم يؤدون ادوارهم ونشاطهم حسب معايير الجماعة التى يدينون لها بالولاء الاكبر • فاذا تعارضت مصالح الافراد مع مصالح واهتمامات الجماعات ، وتباينت توقعات الادوار فى المواقف المختلفة نشب الصراع بين الافراد والجماعات التى ينتمون اليها • وينشأ الصراع بين توقعات الادوار نتيجة التفكك بين عناصر البناء ، أى بين الاهداف الثقافية المحددة والمعايير التنظيمية لا نتيجة الصراع بين مصالح الشخص الواحد • ويؤدى هذا الصراع الى عدم تكامل الغايات القصوى للافراد ، ولا يبلغ هذا الصراع كذلك مرتبة الانحراف ، لكن الصراع بين القيم الثقافية المقبولة والعقبات البنائية هو الذى يولد ضغطا على السلوك ، قد يؤدى الى الانحراف الاجتماعى ، والتفكك فى نسق المعايير ، ويحدث الاصطدام بين الافراد والجماعات عندما يشعر الافراد ان الماضى اصبح عبئا ثقيلا يحول دون التقدم والتغير ، وأن ثمة معوقات اجتماعية داخلية تحول دون استفادة الافراد من امكانيات المجتمع ، وفى مرحلة

(1) Getzels, J. W.: Role conflict and affectiveness. By J. W. Getzels, E. and E. G. Guba, A.S.R. Vol. 19, 1954, PP. 164-176.

ظهور هذا النوع من الصراعات يتجلى سلوك يتميز بالتحيز والعداوة والاحباط بين أعضاء الجماعات المختلفة[1] ، بيد ان هذا الشعور نسبي ولا يسود افراد المجتمع كله.

ويذهب مظفر شريف الى أن الصراع بين الجماعات قد يؤدي الى زيادة التماسك بين اعضاء الجماعة ، وحل المتناقضات بينهم ، وكذلك هو الحال اذا نشب صراع بين مجموعات متباينة من الجماعات . ويؤدي الصراع داخل الجماعة الواحدة الى احداث تغيير في المراكز وعلاقات الادوار ونمط العلاقات وشعور الافراد اعضاء الجماعة بالصراع ظاهرة طبيعية ، فالجماعة ليست جزيرة منقطعة عن العالم ، ولكنها جزء من المجتمع المعاصر المفتوح . فمجموعة العواطف والاهداف والمقاصد والاغراض والقيم والمعايير السائدة داخل جماعة ما سواء أكانت متخلفة أم متقدمة ، كبيرة أم صغيرة ، والتي تحدد سلوك الافراد وتوقعاتهم ، ليست احداثا تلقائية ، فهناك تفاعل وارتباط بين مجموعة العواطف والاهداف والمقاصد والقيم التي تسود اعضاء الجماعة . ويولد هذا الارتباط والاتصال بين الاهداف والمقاصد الصراع . بيد أن حدة هذا الصراع يختلف بين اعضاء الجماعة الواحدة عن الجماعات الاخرى . وخلاصة رأي مظفر في الصراع ، أن للصراع وظيفة ايجابية هي حل المتناقضات حلا سلميا توفيقيا .

اما نيوكم فله اتجاه في تفسير الصراع والقلق مخالف لفرويد وسيلفيان وكاتل ومظفر ، فهو يرد الصراع الى وجود عقبات تحول دون اشباع نمط دافعي ، أو تحقيق الهدف من سلوك معين . وهذه العقبات قد تبدو داخلية ، مثلما يظهر عندما يمتنع الفرد تلقائيا عن أداء فعل يرغب فيه خشية العقاب ، لكنها في الواقع خارجية مفروضة على المرء[2] . وانطلاقا من هذا الرأي يبين نيوكم ان التوترات الداخلية مرجعها الظروف الاجتماعية الخارجية . ويرى نيوكم أن معاناة الفرد للقلق ينشأ من شعوره بالعجز عن اداء الدور حسبما ينبغي ، اذ تتشابه عليه القيم والمعايير ، ومن ثم يتملكه الخوف من اداء السلوك الذي يتطلبه هذا الدور ، فيبدو سلوكه شاذا ، ويعاني من الصراعات الداخلية[3] . ويؤدي الصراع النفسي الذي يعاني منه الشخص الى عدم استقرار نسق الشخصية ، فليس الانسان حيوانا قلقا تساعد الظروف الاجتماعية على ابراز هذا القلق ، بل الصراع الذي يعانيه الشخص نتاج صراع اجتماعي بين

---

(١) Sherif, Muzafer: Group Conflict and cooperation, op.cit., P. 12.

(٢) Newcomb, Thodre: Social psychology, op.cit., P. 361.

(٣) Newcomb, Thodre: Ibid., P. 466.

القيم والمعايير التى تنعكس آثارها على الشخصية بين الحوائل التى تحول دون اشباع حاجات الشخصية .

ويرى نيوكم ان الطفل يعانى من الصراع فى مرحلة الطفولة ،على أن وعيه بهذا الصراع ضعيف . لكن هذه المعاناة أمر حتمى يستلزمه نمو الشخصية وتطورها . ويرجع اهمية هـــذا الصراع الذى يعانيه الطفل الى دوره الحاسم فى تكوين عناصر الشخصية ، اذ يساعد علـــى اكتساب الشخصية لصفات وخبرات جديدة ، ومن ثم يتسلح الطفل باسلحة جديدة تساعد علـــى التوافق مع البيئة ، وتنمى قدرته على التغلب على ما يعترضه من عقبات ومشاكل ، هذا الـــى جانب ان الصراع فى مرحلة الطفولة قد يولد انماطا دافعة جديدة ، ويخلق اساليـــــب جديدة لتأدية السلوك الذى يتطلبه الدور .

ومن الواضح ان نيوكم قد خالف سيلفيان عندما بين أن وعى الطفل بالصراع واهـــن وعارض ، كذلك يختلف معه فى تأكيده ان الطفل قلما يعى الصراع الذى يعانيه والداه . ومن ثم ينفى نيوكم تأثر الطفل بقلق والديه تأثرا سلبيا ، ويبين أن الطفل قد يشعر فى ظروف معينة بالصراع الذى ينتاب الوالدين ، ومن ثم فقد ينفعل بأسباب هذا الصراع لا بمظاهر هـــذا الصراع ، فيتغير سلوكه تبعا لذلك (1) .

ولنا ان نعرض الآن موقف المدرسة الاجتماعية من الصراع بعد عرض آراء النفسيـــين وعلماء علم النفس الاجتماعى ، فقد اهتم كثير من علماء الاجتماع بدراسة الصراع لتفسير التغير والتقدم الاجتماعى ، واشاروا الى أن الصراع صفة اساسية للأنساق الاجتماعية ، وجزء اساسى من تركيب التنظيم الاجتماعى . ورأى اصحاب هذا الاتجاه ان النظرة التى تغفل الصراع عنـــد دراسة العلاقات فى المجتمع ، وعند تفسير التغير الاجتماعى نظرة قاصرة . فالصراع يولـــد الشعور واضطراد السلوك ويدعم الشعور بالذات ، ويبرز حقيقة أن السلوك قائم على دعامـــة عقلية ، وبذا يحقق الصراع التكامل والسيطرة والتبعيـــة بين الجماعات المتصارعة .

وقد اتجه الاجتماعيون فى دراساتهم للصراع اتجاهات متباينة . فالاتجاه الماركســـى بين أن الصراع منبعه اقتصادى ، وهو يدور بين الطبقات المختلفة ، اما الاتجاهات الغربيـــة

---

(1) Newcomb, Theodre: Ibid., P. 324.

فى علم الاجتماع فقد ذهبت الى اتجاهات أخرى •

ويرى الماركسيون ان الصراع الطبقى هو أهم صور الصراع ، وينشأ هذا الصراع بين الطبقات الكادحة والطبقات المستغلة فى ظروف تتناقض فيها ملكية وسائل الانتاج مع طبيعة نظام الانتاج ، والى تفاوت توزيع الثروات ، فتحتكر فئة الربح العائد من العمل لصالحها ، وتحرم الاغلبية من نتاج عملها • ويدفع نظام الملكية الخاصة المستغلة لوسائل الانتاج جماهير الكادحين الى التمرد والنضال والعنف ضد الطبقات المستغلة ، والشعور نحوهم بالكراهية والمقت • كذلك يشعر اصحاب رؤوس الاموال المستغلين بنفس الشعور تجاه طبقات الكادحين ، مما يؤدى الى ايقاف التقدم الاجتماعى ، ويصير نظام الملكية الرأسمالية عقبة تحول دون التقدم الاجتماعى والتكنولوجى مما يؤدى الى تفكك المجتمع • وقد أعطى الماركسيون أهمية خاصة للصراع ، فاظهروا وظيفته الايجابية ، عندما بينوا ان الطبقة تعرف نفسها من خلال الصراع ، كذلك أشار الماركسيون الى أن التناقض بين مصالح الطبقات الكادحة والفئة المستغلة تناقض جذرى يحل بصراع دموى ، وثمة تناقضات ثانوية تكمن فى المجتمع يمكن حلها حلا سلميا •

بيد ان علماء الاجتماع الغربيين قد انكروا وجود الصراع الطبقى الناشىء عن الظروف الاقتصادية السيئة ، ويرون ان الصراع هو محصلة تنافر بين العناصر الاجتماعية • ويرى مرتون أن الصراع ينشأ بين عناصر البناء الاجتماعى - أى مجموعة العلاقات الاجتماعية المتضمنة بين اعضاء المجتمع - وبين البناء الثقافى - أى مجموعة القيم المعيارية التى تحكم السلوك - وبلغة مرتون يحدث الصراع عند الانعدام بين الوسائل التنظيمية للبناء وبين الاهداف الثقافية • اذ أن البناء الاجتماعى قد يقف عقبة امام تحقيق المطالب الثقافية والقيم لبعض الافراد الذين يشغلون مراكز اجتماعية فى البناء • فالبناء الاجتماعى يؤدى الى اجهاد القيم الثقافية السائدة ، وبالتالى الى انهيارها ، وتسهل الظروف البنائية اداء السلوك لبعض الذين يحتلون مراكز معينة فى البناء ، او تعسر اداء ادوار معينة لبعض الذين يشغلون مراكز أخرى ، أو تجعل ادائها مستحيلا • ولا يحدث هذا الا فى المجتمع الذى يتسم بالتنافر وعدم التكامل بين البناء الثقافى والبناء الاجتماعى ، حيث يدعو البناء الثقافى الى مجموعة من القيم والاتجاهات ، ويؤيد نماذج من السلوك يرفضها البناء الاجتماعى • ويكشف لنا الصراع بين الجماعات والطبقات عن مجموعة من الاهداف الخاصة بكل جماعة ،

ومجموعة خاصة من الاساليب لتحقيق هذه الاهداف[1] • ويستمر هذا الصراع الداخلى بين الجماعات ، ولا يحل ما دامت الجماعات المتصارعة توجه افعالها وتمتدح انماط السلوك والقيم والمصالح والاهداف الخاصة بها ، دون اهتمام بمدى توافقها وانسجامها مع قيم واهداف الجماعات الاخرى •

اما بارسونز فقد اهتم بدراسة عناصر البناء الاجتماعي التى تؤكد استمراريته• وكانت دراسته للتغير الاجتماعي دراسة هامشية ، ولذا فلم يهتم بتحليل الصراع بين العناصر الاجتماعية ،بل وجه دراسته الى انواع الصراع التى تنجم عن عدم التوافق بين الشخص والبيئة• وقد اشار بارسونز الى الصراع فى أكثر من موضع وبأكثر من معنى• فالصراع عنده يعنى القلق والخوف والتوتر والاجهاد • وفى كتابه " البناء والعملية " يشير الى ان التوتر ينشأ من الصراعات بين المطالب التى تفرضها المواقف الجديدة ، وبين عناصر البناء التى تقاوم التغير • وقد رأى بارسونز التوتر والقلق والصراع ظواهر طبيعية فى المجتمعات المتغيرة ، ويؤدى تأثر الفرد والمجتمع بالتغير البنائى الى ظهور اشكال من السلوك يستهجنها اغلبية اعضاء البناء، ويؤديها البعض منهم نتيجة معايشتهم حالة من التفكك الواضحة لانماط القيم والمعتقدات الاخلاقية فى الموقف • ومن ثم فان التفكك فى القيم والمعتقدات ، وظهور اشكال من السلوك لا مقبولة تعبر عن حساسية انفعالية مرهفة ازاء الاحداث ، ووجود اتجاه يقبل التغير، واتجاه يرفضه ويتمسك بالقديم • وفى موضع آخر ارجع بارسونز التوتر الى حالة يتواجد فيها وحدتان بنائيتان أو اكثر تقبلان التغير فى العلاقات ، وتمليانه على اعضاء البناء ، ووجود وحدات اخرى ترفض هذا التغير ، ويعرف القلق بأنه نتيجة تجربة يعانى فيها المرء من احباط توقعاته[2] ، وهو تعبير عن استعداد المرء لتقبل الاسوأ فى أى موقف يثير الانزعاج •

ولا يميز بارسونز بين القلق والصراع والتوتر، وتعنى هذه الكلمات معنى واحدا • ويرى بارسونز ان صراع الفرد ضد قيود المجتمع هو الصراع ضد الدوافع ، ويرد بارسونز الصراع الذى يعانيه المرء الى البيئة • وتوجد منابع الصراع والتوتر فى داخل العلاقات الاجتماعية• فالانسان فى اتجاهاته وسلوكه ليس حرا ، ولكنه يخضع لثقافة المجتمع والانماط المعيارية المنظمة فى المواقف المختلفة • فليس القلق حالة نفسية خالصة تنشأ من الصراع بين عناصر الشخصية،

---

(١) Merton, Robert: Social Theory and Social Structure, op.cit., PP. 190-191.

(٢) Parsons, Talcott: Family socialization and interaction process, op.cit., P. 206.

بل له مسببات اجتماعية • ويرى بارسونز ان القلق هو نتيجة عملية التوحد ، فهو تعبير عن موضوعات توحد بها المرء تثير عنده الخوف[1] ، بمعنى أن المرء عندما يعانى من الخوف من الحرمان مرارا وتكرارا يتوحد مع مجموعة من القيم وتوقعات الادوار لتجنب القلق فى الموقف، والموضوع المثير للقلق • ويؤدى استرجاع هذه المخاوف الى اثارة القلق ومعاناة المرء للتوتر •

ويرى بارسونز ان القلق والاحساس بالصراع يهدد ان النسق الداخلى للشخصية ، فالشخص يعانى من التوتر فى الموقف نتيجة الاحساس بالفشل لعدم تحقيق بعض التوقعات أو لوجود صراع داخلى ، او انحراف التوقعات عن مسارها الطبيعى • ويؤدى احساس الفرد بالاخفاق فى تحقيق التوقعات المطلوبة منه فى موقف معين الى احساسه بالتوتر، وتخلق لديه مشكلة عدم التوافق مع الجماعة ، والاحساس بعدم الطمأنينة • ويرى بارسونز أن عدم الطمأنينه فى معناه النفسى هو احد الظواهر المستمرة والملحة لعدم تكامل النسق الاجتماعى[2] • فمصدر الصراع ليس ذاتيا ، ونتيجة لعدم التوافق بين الانا والانا الاعلى والهو ، بل يحدث من جراء عدم تكامل عناصر النسق الاجتماعى ، ويزداد الشعور بالصراع والتوتر كلما تفككت عناصر البناء اكثر من الصراع الشخصى •

ومن العرض السابق لآراء بارسونز فى الصراع يتبين لنا ان موقف بارسونز من الصراع يقارب الى حد كبير موقف نيوكم ، فكلاهما يرى أن الصراع حالة وجدانية تنشأ عن مسببات اجتماعية خارجية ، ولم يهتم بارسونز بتحليل منابع الصراع الاجتماعى داخل البناء، واسباب الصراع بين الجماعات ذات المصالح المتباينة ، بل اهتم بأثر الصراع بين القيم بعضها وبعض ، وبين التوقعات المتوحدة على الشخصية • كذلك اهتم بتحليل الاشكال المختلفة للصراع الذى تعانيه الشخصية • فقد قرب بارسونز من فرويد فى نظرته الى الصراع باعتباره ظاهرة معطلة لا وظيفية ، وبعد كل البعد عن رجال علم النفس الاجتماعى ورجال علم الاجتماع عندما اشار الى الصراع كظاهرة غير مرغوبة ، وشكل لمشكلة اجتماعية ، واعتبره مرضا أو وهنا يصيب الانسان فى الصميم ويجب عليه علاجه • بيد أن معاناة المرء للصراع لايدل اطلاقا عن انفصاله عن الجماعة ، بل يدل على انه ماجه انه ماجا غير كامل • وقد رأى بارسونز

---

(1) Parsons, Talcott: Toward a theory of action, op.cit., P. 124.

(2) Parsons, Talcott: Social system, op.cit., P. 403

ان معاناة الافراد للصراع لن يغير من تركيب البناء الاجتماعي او وظائفه ، كما يساعد لجوء الافراد الى الصراع النفسي على الشفاء من حالات الصراع ، وهو في هذا يساير منهج فرويد ، الا انه ارتفع عنه عند ما بين أن اساليب الضغط الاجتماعي يساعد على منع الصراع والحد منه والتخفيف من حدته .

وقد اتجه لويز كوزر اتجاها مخالفا لكل علماء الاجتماع الامريكيين ، واهتم بالصراع بين الجماعات أكثر من اهتمامه بالصراع الشخصي ، وقد انفرد من بين كافة الاجتماعيين الامريكيين بربطه الصراع بانواع الابنية الاجتماعية ، وتأكيد الوظائف الاجتماعية للصراع ، سواء أكان الصراع داخل الجماعة ، او كان الصراع بين جماعة وأخرى . وقد رفض كوزر اتجاه مدرسة التحليل النفسي الذي يؤكد أن الذات تتكون من خلال الصراع ، وان الصراع وسيلة لتباين الشخصية عن العالم الخارجي[1] ، كذلك بين انه يتفق مع بارسونز في اننا لا يمكن أن نستبعد الصراع من حياتنا ، الا انه عاب على بارسونز انه قصر اهتمامه على الصراع النفسي ، ولم يهتم بالصراع الناشيء عن تضارب المصالح بين الجماعات ، وأغفاله الوظيفة الايجابية للصراع .

ويرى كوزر ان الصراع شكل من اشكال التفاعل الاجتماعي ، اذ لا توجد جماعة انسانية متجانسة تجانسا كاملا . فهذا التجانس يتعارض مع صفات البناء والعمليات التي تحدث داخله . فتكوين البناء يستلزم التباين وعدم التجانس بين عناصره ، والتكامل والتفكك . وتبنى العلاقات داخل الجماعات على اساس من العلاقات السلبية والايجابية . كذلك ذهب كوزر الى تأكيد ان الشعور بالصراع ظاهرة طبيعية في المجتمع المتغير . ويرى كوزر انه يجب على عالم الاجتماع ان يوجه اهتمامه الى دراسة العلاقات التي تفجر الصراع ، وما يؤمن به الاشخاص المتصارعون بكل جماعة من قيم خاصة ، وما يتفقون على تحقيقه من مصالح متعارضة ، فمثلا لا ينبغي على عالم الاجتماع الذي يدرس الصراع على مجال دولي أن يبدد جهوده في دراسة منابع الصراع في داخل الجماعات المتصارعة ، بل يجب ان يدرس العلاقات المتنافرة بين الجماعات والاسباب المشتركة التي ادت الى هذا الصراع .

وانطلاقا من هذه الرؤية لمفهوم الصراع ، عرف كوزر الصراع " بأنه نضال من أجل القيم والمطالبة بأوضاع معينة ، والاستحواذ على السلطة والثروات ، حيث يبغى الخصوم شل قدرات

(١) Coser, Lewis: The function of social conflict, Glencoe. The Free Press, 1956, P. 31.

كمنافسيهم أو الاضرار بهم أو اقصائهم (١)

وقد فرق كوزر بين انواع الصراع فى الابنية المختلفة، فبين أن الصراع فى المجتمعات المغلقة أو الجامدة يتسم بالعنف والشدة ، وارجع ذلك الى جمود الشخصية ، وشبهات ارتباطاتها فى البناء ، وتكرار التفاعل فى مواقف ثابتة ، وأشار كوزر الى أن طبيعة تكوين البناء فى هذه المجتمعات ، وانغماس الشخص الكامل فى نشاط محدود ، يحرك مشاعره نحو النضال Strive ، بيد ان ما يهدد توازن المجتمع ليس الصراع ، بل الجمود فى العلاقات ، هذا الجمود فى العلاقات الذى يؤدى الى تراكم النزعات العدوانية والبغضاء ، ومن ثم يصبح الصراع بصفة العنف والشدة ، كذلك مما يزيد حدة الصراع عنفا ، شدة التفاوت الطبقى ، والجمود الاجتماعى •

كذلك تتميز المجتمعات المفتوحة والمتغيرة ، التى يسود ها الحراك الاجتماعى بخفة حدة الصراع ، وتعدد مظاهره ، لتعدد اهتمامات الاشخاص ، وتنوع مصالحهم، مما يهدد الشعور العدوانى ، ويشتته فلا يتمركز فى اتجاه واحد • وأوضح كوزر ان المجتمعات الانسانية تتباين فى تحديد الاساليب المقبولة للتعبير عن الصراع • فبعض المجتمعات تقبل أن يفصح الناس عن الصراع فى صورة مشاعر الكراهية، بينما تقبل مجتمعات أخرى ان يظهر الصراع فى شكل سلوك احتجاجى وتمرد ، بينما توجد مجتمعات اخرى تكثر من الانظمة التى تكبت التعبير عن المشاعر العدوانية ،وتقف موقف صمام أمن من الصراع ، ومن ثم يتسم الصراع فى المجتمعات المفتوحة بأنه أقل عنفا من الصراع الذى يحدث بين الطوائف والمجتمعات المغلقة•

وقد أنكر كوزر ان الصراع يعطل الحياة الاجتماعية أو يوقفها ، وان بدا منه ذلك فى بعض الأحيان • واكد ان الصراع له وظائفه الايجابية • فهو ضرورى فى بعض الاحيان لاستمرار الحياة الاجتماعية ، اذ يدفع الصراع الجماعة الى خلق وتكوين معايير جديدة ، وقيم جديدة، ويساعد الصراع الجماعات على التخلص من اسباب ومنابع التوترات ، ومن ثم فالصراع تمارسه الجماعة فيما بينها لاعادة التوازن وتحقيق الوحدة والتماسك بين أعضائها • اما الوظائف السلبية للصراع والتى تؤدى الى شل العلاقات الاجتماعية ، وانهيار الجماعة ، فظاهرة غير طبيعية وغالبا ما تقهرها ارادة الجماعة •

وقد حلل كوزر الصراع الى نوعين ، صراع داخلى يحدث داخل الجماعة لتعارض المصالح

---

(١) Coser, Lewis: Ibid., P. 8.

والقيم ، مثل الصراع الذى يحدث بين الشباب والكبار . والنوع الآخر من الصراع هو الصراع الخارجى الذى يحدث بين الجماعات بعضها وبعض ، مثال ذلك الصراع بين السامية والآرية . وهذا الصراع الخارجى عامل هام لتماسك بناء الجماعة ، اذ يساعد على اعادة تكوينها ، وترابط العلاقات لمواجهة العدو الخارجى ، ويساعد على خلق وتكوين افكار وقيم جديدة . ويرى كوزر ان المجتمعات تواجه الصراع الخارجى بصور مختلفة تبعا لطبيعتها ، فالمجتمعات الجامدة تبدا اذا تعرضت لصراع خارجى ، تفشت فيها الخيانة، وانسحب أفرادها من مواجهة الصراع ، كذلك المجتمعات المتفككة تواجه الصراع بانهيار داخلى ، ويمضى الافراد عن ادراك الضغوط الخارجية ، اما المجتمعات السليمة فتواجه الصراع وتقاومه متحدة مترابطة .

وقد قبل كوزر الرأى الماركسى الذى يرى ان الجماعات تعى وجودها البنائى وكيانها المستقل من خلال الصراع أثناء النضال مع الجماعات الأخرى . ويزيد الصراع من وحدة التماسك الداخلى ، ويزيد من فرص المشاركة ، ويدعم الاخلاق ، ويبعث قيما جديدة ، ويحرك العلاقات نحو اهداف جديدة ، ومن ثم فالجماعات المتماسكة اذا واجهت مواقف الصراع ازداد تماسكها ، اما الجماعات المتفككة او الجامدة فيزداد تفككها وانقسامها ، وتبدو وظيفة الصراع سلبية .

ويرى كوزر ان الصراع الذى يعانى منه الافراد له شكلان : صراع واقعى وصراع وهمى . وينشأ الصراع الواقعى نتيجة احباط بعض المطالب النوعية اثناء تبادل العلاقات ، ولا يوجد الصراع فى طبيعة هذه العلاقات ، ولكنه يتولد من المشاعر التى تفسد هذه العلاقات ، واتجاه المرء نحو التسليم بالموضوع ، اذ يواجه المرء بعض المتقابلات الوظيفية اثناء الصراع الواقعى ، باعتبارها وسائل لتحقيق غايات أو اهداف واقعية . وضرب لنا كوزر مثلا فى الصراع الناشب بين الزوجين حول انجاب الاولاد وتنظيم النسل ، ويرى كوزر ان الصراع الواقعى وسيلة يمكن الاستغناء عنها اذا ما وجدت وسائل اخرى أكثر فاعلية .

اما الصراع الوهمى فهو غاية فى ذاته ، ولا يرتبط بغايات متعارضة بين الافراد المتنافسين مثل الصراع بين البيض والسود . وينشئ هذا الصراع الوهمى من عمليات الحرمان والاحباط اثناء عملية التنشئة ، او العجز عن اداء التزامات الادوار ؛ ومصدر هذا الصراع

النزعة العدوانية عند الافراد الذين فشلوا فى التوحد مع المجتمع، وينبع من تحول الصـــراع الحقيقى الاصلى الذى لم يسمح له بفرصة التعبير ، وفى حالة الصراع الوهمى لا يتصــارع الافراد من أجل ادراك نتائج نوعية ،بل من اجل تخفيف التوتر •

وقد اعطى لنا كوزر مثلا يوضح الفرق بين الصراع الواقعى والصراع الوهمى • فالصـراع بين العمال وادارة المصنع من اجل زيادة الاجور صراع حقيقى ، اما مشاعر الكراهية مـــن العمال ، او مشاعر الازدراء من الادارة ، فتعبر عن صراع وهمى •

وقد تميز كوزر عن علماء الاجتماع الامريكيين ــ فى نظرنا ــ عندما حدد الوظائـــف الايجابية التالية للصراع :

١ــ يقيم الصراع حواجز بين الجماعات داخل البناء ، اذ يزداد وعى الجماعة بذاتها وكيانها المستقل المنفصل عن غيرها ، ومن ثم تكون كل جماعة وحدة مميزة داخل البناء •

٢ــ يؤدى كبح مظاهر التنافر المتبادلة الى قيام التوازن بين الجماعات وتماسكها فى نسق واحد، وزيادة شعور الافراد بالمجتمع ومصالحه •

٣ــ يساعد التنافس المتبادل والعداء الشائع فى المجتمع على ازدياد حدة التدرج الطبقى •

٤ــ يقوم الصراع بدور ايجابى فى البناء ، فهو لا يستهدف تعديل العلاقات ، وانمـــا يستهدف ضرورة المحافظة على العلاقات •

٥ــ يساعد الشعور بالصراع داخل النسق الاجتماعى على امتصاص احاسيس العـــداوة والخصومة ، واعادة بناء المجتمع بناء اجديدا • ويؤدى الصراع الموجود فى المجتمع الى احياء المعايير الجديدة ، ويدعو الى نشأة بذور معايير جديدة • فالصــــراع الاجتماعى اسلوب للتوافق بين المعايير المناسبة من أجل ظروف اجتماعية جديدة •

ويتبين لنا من دراسة كوزر للصراع ، انه اهتم فى تحليله للصراع بالربط بين الصـــراع وانواع البناء الاجتماعى ، واكد ان درجة الصراع تحدد ما درجة استقطاب الصخصود اخـــل البناء، بيد أنه اغفل بيان اثر الصراع الاجتماعى ووظائفه الايجابية والسلبية على الشخصيـــة، وبيان مدى معاناة الشخصية للصراع •

بعد هذا العرض للآراء المختلفة للصراع ، لنا ان نعرف الصراع لدى الفرد بأنه حالة وجدانية تتخذ مظاهر الخوف والقلق والتوتر والجهد فى مواقف الاحباط ، عندما تتعارض وتتباين العناصر البنائية وتتشابه القيم • ويرتبط الصراع الاجتماعى بالصراع النفسى ، كما يرتبط الصراع النفسى بالصراع الاجتماعى • اما الصراع الاجتماعى فاسلوب للتعبير عن المصالح المتعارضة بين الافراد ومحاولة لاعادة بناء المجتمع من اجل رفاهية افراده •والصراع فى صورتيه النفسية والاجتماعية له نتائجه السلبية والايجابية ، بصفته منبعا للدوافع الانسانية، أو معدلا لها • وتحدد هذه النتائج السلبية والايجابية طبيعة البناء الاجتماعى • ومهما كانت اشكال الصراع فاننا نرجع المنابع البنائية للصراع الذى يعانى منه الافراد الى مايلى :

١ـ سرعة التغير الاجتماعى والتكنولوجى ، واثر ذلك على العلاقات والقيم الانسانية •

٢ـ عدم التناسق والتكامل بين العناصر البنائية •

٣ـ تعقيدات البناء الاجتماعى والضغوط التى يفرضها على الافراد ، وأيضا عدم تحديد الحقوق والواجبات •

٤ـ الظروف الاجتماعية التى تتطلب نبذ معايير تقليدية ، لعجزها عن اشباع حاجات الافراد ، وتوفير الاستقرار الاجتماعى والأمن النفسى لهم ، ونشوء قيم جديدة لم ينشأ عليها الافراد ، يقفون منها موقف التساؤل والحيرة • فاحساس الافراد بالمواقف المتناقضة بين الواقع والمثال ، والواجب والحقيقة ، يثير فيهم القلق والمعاناة •

٥ـ احساس الاشخاص بقصور الموارد المادية عند اشباع حاجاتهم ، وتوفير حياة كريمة لهم فى مجتمع تزداد فيه مطالب الانسان المادية •

واذا كان الصراع الاجتماعى يؤدى أحيانا الى احياء المعايير الموجودة الصالحة فى المجتمع ، ونشوء معايير اجتماعية جديدة ، ويتضمن اساليب التركيب والتوفيق بين الأجزاء التى يناسب بعضها البعض الاداء ، او يحيى العناصر الجامدة فى المجتمع ويدفعها الى ممارسة وظائفها الاجتماعية ، او التوافق مع المعايير اللازمة للظروف الجديدة ، فان المجتمع يستفيد من حالات الصراع السائدة " ويخلق وينمي من المعايير التى تؤكد من وجود المجتمع" (١) •

بيد أن الصراع الاجتماعى الذى يعانى منه افراد المجتمع ، باعتباره محصلة للتغير

---

(١) Coser, Lewis: Ibid., PP. 153-154.

البنائى والذى ينعكس فى صورة وجدانية عند الافراد ، يتخذ مظاهر متباينة سنعرض لثلاثـــة منها وهى :

مظاهر الصراع :

- بعد الادوار Role Distance
- صراع الادوار Role Conflict
- الازدواج الاجتماعـــى Social Ambivalence

اولا : بعد الادوار :

ولهذا الاصطلاح معنيان مختلفان ، احدهما يدل على الهوة بين السلوك الـــذى يؤديه المرء والسلوك الذى تفرضه التزامات الدور ؛ بمعنى أن الفرد لا يؤدى كل ما يتطلبــه الدور من التزامات ترتبط بمركز معين ، اما عن قصور واما عن رغبة ، فالشخص يواجه مجموعـــة مواقف متعارضة ، وتوقعات معينة محددة عند أداء السلوك الذى يتطلبه الدور ، فلا يلتـــزم الشخص بتوقعات الاخرين عند ادائه لدور معين باستمرار ، بل يلتزم بتوقعات أخرى لهـــذا الدور . والمعنى الاخر يدل على هروب الشخص من اداء دور ما ، ورغبته فى اداء دور آخـــر[1] فبعد الادوار مظهر عام من مظاهر السلوك المرتبط بأداء دور ما والابتعاد عن دور آخـــر .

ويرى جوفمان ايرفنج ان ظاهرة بعد الادوار تتميز بنوعين من السلوك ، اولهما الانفصال موقتا عن مركز ممتاز لاداء دور افضل ، والاخر التباعد عن اداء دور ما ، استعدادا لاداء دور آخـــر[2] . ويبدو لنا ان ايرفنج اقتصر على المعنى الثانى لاصطلاح بعد الادوار ، ولم يمس المعنى الاول . وبعد الادوار حيلة يتوحد بها المرء اثناء عملية التنشئة الاجتماعية ، ولا تعـــبر عن الانحراف ، بل تعبر عن عدم التوافق ، وعدم التكيف مع توقعات الادوار ، او عدم الخضـــوع للانحرافات الموجودة فى البناء ، ورفض الافراد للسلوك المعيارى . ويبدو بعد الادوار واضحا جليا فى تفاوت اساليب الاداء وتشابه المعايير على الشخص الواحد .

وتعنى ظاهرة بعد الادوار عدم التوافق مع التوقعات المعيارية مع الاشخاص الذيـــن نتبادل معهم علاقات الدور اثناء محاولة الارتباط مع توقعاتهم ، او عند اداء نفس الدور وتحدث

(1) Coser, Rose, Laup: Role distance, Sociological Ambivalence and Transitional Status System A. J. of S. Vol. 72, No. 2, 1966, PP. 173-183.

(2) Goffman, Irving: Encounter Indianpoles. Bobbs-Merrils Com. 1961, PP. 85-152. In Coser Rose Laup, Ibid.

ظاهرة بعد الادوار في انساق الادوار والمراكز في فترات التغير البنائي ، بل ان ظاهرة بعد الادوار صفة للبناء الاجتماعي في فترات التحول، واثناء حراك الشخص في السلم الاجتماعي ، واثناء نمو الشخص وتغير علاقاته الاجتماعية من طور لآخر .

ثانيا : صراع الادوار :

ان صراع الادوار ظاهرة طبيعية ، ومن سماته انه لا يطلع من العنف حدا يزيل من امامه كل ما يعوقه ، بل ان له مدى لا يتجاوزه هذا الصراع . ويستمر النسق الاجتماعي ليستطيع الشخص أن يؤدي التزاماته الاجتماعية ، وان يؤدي ادواره والا انهار الافراد والجماعات ، واذا تجاوز الصراع حده فانه يكف كل التوقعات المحتملة عن اداء وظائفها ، ويبدأ البناء الاجتماعي في الانحلال ، وتظهر الدعوة الى بناء من نوع جديد . فالصراعات بين الافراد ، والتعارض بين الانساق تضبطه حدود معينة ، اذ ينبغي ان تتكامل الادوار ، وارتباطات الادوار تكاملا ملائما بما يحقق استمرار البناء[1] ، فمثلا اذا حدث صراع اثناء اداء الدور الوظيفي بين الالتزامات البنائية والاشباع المباشر، فان الالتزامات هي التي تسيطر على الموقف الى حد ما ، وتؤجل الاشباعات ، او يحقق المرء اشباعاته ويهمل الالتزامات الاجتماعية. ولا يخلو مجتمع عند بارسونز من معاناة افراده لصراع الادوار ، ولا يشعر افراده بالتوتر والاجهاد والاحساس بالضغوط الاجتماعية ، والتي يفرضها نسق التوقعات الضرورية في البناء. ويسود الصراع بين الادوار وكذلك التوتر داخل التنظيمات البنائية الكبيرة والمعقدة أكثر من المجتمعات البسيطة والصغيرة ، كما يسود صراع الادوار في المجتمعات التي يرتبط فيها الافراد بحوافز متضاربة عند اداء الادوار . ويرى بارسونز ان الصراع بين الادوار يظهر جليا في صورة صراعات داخلية ، او احباطات خارجية ، او كليهما ، او على صورة مواجهة الفرد لأدوار تتنافر فيها التوقعات ، مما يؤدي الى ظهور موقف يتعذر فيه حدوث انسجام وتكامل بين الشخصية ونسق التفاعل[2] .

ويرى بارسونز ان التغيرات البنائية التي تفرض على المجتمع ، والصعوبات المترتبة على التغير عند القيام بعملية التنشئة الاجتماعية[3] ، تخلق مواقف يعاني فيها الافراد من صراع

(1) Parsons, Talcott: Toward a general theory of action, op.cit., P. 197.
(2) Parsons, Talcott: Ibid., P. 36.
(3) Parsons, Talcott: Ibid., P. 299.

الادوار • ولقد حصر بارسونز صراع الادوار فى مواقف معينة لا تتوافق فيها توقعات الادوار الشرعية • وينشأ هذا الصراع لتعذر تحقيق التوافق الداخلى ، اى تحقيق انسجام بين مطالب الشخصية والواقع الاجتماعى • وصراع الدور ظاهرة تعكس مشكلة التكامل فى نسق الشخصية او التفكك فى البناء الاجتماعى ، او عدم الانسجام بين الشخصية والبناء • وقد يكون محصلة التفاعل بينهما ، فمنابع الصراع ليست من صنع الذات بل هى نتيجة عدم التكامل بين عناصر النسق الاجتماعى • وقد ربط بارسونز صراع الادوار بعملية التوحد ، وأكد أن مشكلة صراع الادوار ترتبط بما اذا كانت توقعات الادوار المتصارعة قد توحدت معها الشخصية أم لا • فاذا كان الشخص قد توحد بتوقعات الادوار المتصارعة وانماط السلوك التى تتطلبها هذه الادوار، فانه يريد عندئذ ان يؤدى فى آن واحد فعلين متناقضين ، يتعذر أداؤهما فى آن واحد • ومن ثم يعانى المرء من الصراع بين حاجات الشخصية الاساسية ، اى معاناة الصراع بين توقعات الادوار والصراع بين القيم المتوحد بها • اما اذا كان الشخص لم يتوحد مع توقعات الادوار المتصارعة ، فان الفاعل يدرك حقيقة هامة توجب عليه اداء سلوكين متناقضين والا تعرض للعقاب ، بيد ان حاجات الشخصية الاساسية المتوحد بها ، تجرد هذه الحقيقة من سلاحها ، ومن ثم لا يعانى المرء من التوتر والصراع ، ومن ثم فان توحد المرء مع انماط السلوك وتوقعات الادوار المتصارعة والقيم المتناقضة ، يؤدى الى معاناته للصراع بشدة خوفا من العقاب وتعرضه للجزاء •

وقد اعطى لنا بارسونز امثلة لصراع الادوار مثل الصراع بين التزامات الصداقة والالتزامات التنظيمية للمجتمع • ويتضح صراع الادوار على اشده فى الصراع بين الادوار الاسرية والادوار المهنية ، ولا سيما الصراع بين ادوار الامومة ومطالب ادوار العمل • فالأمومة تتجه الى تأكيد الخصوصية والعلاقات الوجدانية، اما العمل فيؤكد العمومية والتبصر فى العلاقات • كذلك فالصداقة تؤكد الخصوصية والوجدانية والانتشارية • اما المجتمع فيتطلب العمومية والحياد والتحديد • ومن ثم فالشخص يواجه فى المواقف المتعددة متغيرات كثيرة عليه أن يحقق التزامات محددة نحوها ، فيتجه اتجاها معينا لتحقيق مطالب دور ما ويغفل مطالب ادوار اخرى •

ولقد قدم علماء النفس والاجتماع تفسيرات مختلفة لصراع الادوار • فثمة اتجاه اجتماعى يفسر الصراع بعوامل اجتماعية متباينة ، ويرد الصراع الى تعارض المطالب الاجتماعية اثناء

اداء الادوار فى الموقف ، وعجز الاشخاص عن الاتفاق حول عديد من الآراء المقبولـــة٠
واتجاه آخر يرى ان الصراع بين الادوار يؤدى الى معاناة الشخص للقلق والتوتر اثناء اداء
مطالب الادوار ٠ وقد اعطى لنا بلاك جيديث تفسيرا لصراع الادوار يساير الاتجاه الأول ،
ورأى انه من الصعب ان تتكامل التزامات الادوار كلها ، وتأخذ صفة الشرعية ، اذ أن هذه
الالتزامات تتكون داخل التنظيمات استجابة لظروف معينة ٠ لكن هذه الظروف قد تتغير،
وبالتالى تتغير التزامات الأدوار ٠ وينشأ الصراع والتعارض بين مطالب الادوار عندمـــا
يتفاعل الانا مع الآخرين ، او ينشأ داخل نسق الادوار عند ما يختلف الافراد سويا فى تفسير
التزامات الادوار كل حسب مراكزه ومصالحه[1] ٠فالصراع بين الادوار ليس ظاهرة فرديـــة
او حالة شخصية بل الصراع بين الادوار ظاهرة ترتبط بالبناء ، ويشترك فيها اعضاء نفـس
المركز او مجموعة الادوار٠

وأيد نفس الاتجاه بوهد يرك ويرى ان صراع الادوار هو صراع بين اوجه النشـــاط
المختلفة فى المجتمع ، ويحدث هذا الصراع داخل مواقف معينة يبرز فيها عدم الاتفـــاق
حول عديد من المسائل والآراء بشأن السلوك المناسب المرتبط بأداء دور معين ، ويلاحظ
الفرد تنافر سلوكه مع سلوك الآخرين ، وأن افعاله وآرائه تختلف وتتعارض مع آراء الآخريـن
وانماط السلوك التى يؤيدونها ، فالصراع يظهر اذا ما واجه الشخص مجموعة من توقعـات
الادوار المتناقضة فى جماعات متباينة ، ويصاحب صراع الادوار حالة من تضارب التوقعـات
لدى الفرد الذى يشغل مراكز متعددة فى أكثر من نسق داخل البناء[2] .

وقد اتجه مرتون نحو الاتجاه الاجتماعى فى تحليل صراع الادوار ، فرد الصـــراع
الى تعدد الجماعات التى ينتمى اليها المرء ، ويؤدى فيها ادوارا متعددة ،والى تبايـن
المعايير الاجتماعية التى تسود فى كل جماعة منها ٠ ويرى مرتون ان صراع الادوار لا يولد
بالضرورة احساسا بالصراع النفسى او التوتر الشخصى ، ويسود الصراع اذا ما تعارضت
المطالب البنائية لاعضاء مجموعة الادوار مع مطالب اعضاء آخرين ٠ ويذكر مرتون أن أحد
المنابع البنائية للصراع هو الضغط على الشخص لقبول تصرفات وآراء مفروضة عليه وليسـت
شخصيـة ، عندما يرغب فى اشباع اغراض شخصية ٠ وينشأ الصراع عادة اذا ما تعارضت

(١) BLack, Judith: Norms and Sanctions By Judith Baack and Kingsly Davis. In Fairs L. E. Robert (ed.) Handbook of modern sociology 2ed Prentiag Chicago. Rand. Mcnally, 1966. P. 472.

(٢) Paugh, Derck: Role activation conflict. A.S.R. op.cit.

الاهداف الثقافية والوسائل التنظيمية المستخدمة لتحقيقها ، مثل ذلك عند التعارض بين القيم المقبولة ثقافيا وبين الصعوبات الاجتماعية البنائية فى الموقف(1) . ويبدو لنا ان مرتون رد الصراع بين الادوار الى الصراع بين العناصر البنائية واغفل اثر الصراع بين المطالب البنائيـــــة على الشخصية .

اما الاتجاه الثانى الذى يربط صراع الادوار بالانفعالات والمشاعر التى تصاحب الاداء فى الموقف ، فمن انصاره وليم جود الذى يؤكد ان الاحساس بالتوتر عند اداء الدور ظاهرة طبيعية فى المجتمع الحديث ، فتحقيق كل مطالب الدور عملية شاقة وعسيرة فى المجتمع وبديهى أن الفرد يعجز عن تحقيق جميع الالتزامات المرتبطة بالدور الواحد ، او التزامات الادوار المختلفة التى يواجهها ، وان يحقق كل مطالبها فى آن واحد وفى موقف معين ثابت . اذ يواجه المرء فى المجتمع الحديث مجموعة من التزامات الادوار المتعددة المتعارضة ، ويجد صعوبة بالغة فى أن يتوافق معها جميعا ، فاذا ما توافق او تكيف مع التزامات دور ما أو مجموعة من الادوار تباعد عن مجموعة اخرى وعارضها ، ويصبح سلوكه عند الاداء غير متناسق مع سلوك الأدوار الاخرى ، ويسبب له هذا الوضع شعورا بالمعاناة لعدم قدرته على الارتباط بالموقف ارتباطا كليا .(2)

وقد أيد بارسونز هذا الاتجاه واوضح ان اخفاق المرء فى تحديد التوقعات الشرعيـــة المطلوبة منه عند اداء ادوار معينة فى موقف ما ، يزيد من شدة الصراع ، ومن ثم يرتبـــط التوتر النفسى او الصراع بصعوبة تحقيق المعايير المتوحدة والمتنافرة مع عالم الواقع .

وهذا الاتجاه الثانى هو الذى نقبله ، اذ أن التباين الاجتماعى بين مكونات الأدوار يولد مطالب متمايزة بين الافراد الذين يوجدون داخل البناء الاجتماعى . فالصراعات الـــتى يعانيها المرء سواء عند اداءه الادوار المختلفة ، او عند اداء دور واحد ، تولد لديـــــه عند الاداء اشكالا متعددة من العجز عن الارتباط بالموقف ، وتحقيق التكيف الاجتماعى وعن أداء السلوك المناسب وعن الوعى بالقيم الاجتماعية وعيا كاملا ، ويظهر هذا العجز عن الاداء فى صور الاجهاد والتوتر والقلق والاحساس بالشدة اثناء اداء المرء للأدوار المختلفة فـــــى المواقف المتباينة ، واثناء تبادل العلاقات مع الآخرين . واذا زادت الحالات التى يعجـــز

---

(1) Merton, Robert: Social theory and social structure, op.cit. P. 376.

(2) Goode, William: Theory of role strain, op.cit.

المرء فيها عن تحقيق توقعات الادوار زاد الصراع حدة واحتدم التوتر النفسى والشعور بعدم الطمأنينة ، والاحساس بالتبرم والاجهاد • لكن اغلب الافراد لا يعانون من حالات الصراع بين الادوار فى كل المواقف ، اذ انهم ينجحون دائما فى اعطاء الواجب المستحق للدور حسبما يتطلبه الموقف •" فيختار الشخص دوراً ما باعتباره اطارا هاما تتمثل فيه كل الادوار داخل الموقف ، ويبدو أن هناك دورا رئيسيا ترتبط به الشخصية لكى يحدد سلوكها بالرغم من التوقعات المتناقضة المرتبطة بالادوار الاخرى التى يمكن ان يؤديها المرء فى الموقف[1] " •

ثالثا : الازدواج الاجتماعي :

ومن مظاهر الصراع الاجتماعى ظاهرة الازدواج فى ظروف خاصة[2] • ويتجلى هذا الصراع عند ما يتحكم فى الموقف الشعور المرتبط بالحب والكراهية والقبول والرفض ، أو وجود مجموعة من القيم والمعتقدات المتشابهات ، وانتشار انماط السلوك المتعارضة • وتنشأ ظاهرة الازدواج عند ما يسود التشابه والخلط بين المعايير والقيم ، وتعجز الشخصيات عن الرؤية الواضحة للتوجيه المحكم للقيمة فى المواقف المختلفة ، والاحساس بالابهام والغموض ازاء التوقعات الاجتماعية •

ويرى مرتون ان ظاهرة الازدواج الاجتماعى ظاهرة طبيعية فى المجتمعات المعقدة والمتغيرة • ويواجه المرء ظاهرة الازدواج الاجتماعى لاول مرة اثناء تعلمه اداء ادوار جديدة ، فهو يواجه توقعات متباينة لجماعات مختلفة ، تهتم كلها بنموه وتنشئته ، وفى الوقت نفسه تتوقع كل جماعة ان يؤدى مطالب الدور الذى يرتبط بحاضره ومستقبله ، ويعانى المرء من الازدواج اذا ما تباينت الضغوط الاجتماعية التى تمارسها المدرسة والاسرة •

وقد قدم مرتون و بليلر تصنيفا للازدواج ، صنفا فيه الازدواج الى ثلاثة فئات :

الفئة الأولى : النمط الوجدانى ، حيث يثير الموضوع الواحد شعورين متضادين فى آن واحد عند نفس الشخص • احدهما شعور ايجابى والاخر شعور سلبى • ويبدو ذلك واضحا فى علاقات الطفل • وما مشاعر الحب والكراهية عند فرويد الا تعبير عن الازدواج العاطفى

(١) Getzels, J.W.: Role conflict and affectiveness. A.S.R. Vol. 19, op.cit.

(٢) Merton, Robert: Sociological ambivalence. In Edward Tiryakian Sociological theory, values and sociocultural change. N.Y. Free Press, 1963, P. 117.

عند المرء ، كذلك الشعور بالنفور والاقبال فى آن واحد تعبير عن الازدواج العاطفى •

الفئة الثانية : النمط الارادى ، حيث يتنازع المرء رغبتان متعارضتان ، احداهما تؤكد استحالة تقرير الفصل ، والاخرى تؤكد امكانية ادائه •

الفئة الثالثة : النمط الفكرى ، حيث يتحكم فى سلوك الانسان افكار ومعايير متضادة • ويعبر هذا النمط — فى نظرنا — عن ظاهرة صراع القيم الموجودة فى المجتمع ، نتيجة توحد الافراد مع قيم جديدة بقيم سائدة ، فتتشابه عليهم القيم •

ويرى مرتون ان منابع الازدواج تتكشف داخل محتوى الدور او المركز حين تتعدد الوظائف المرتبطة بالمركز والدور •(1)

وقد قدمت لنا روز لوب كوزر تصنيفا آخر للازدواج ، اذ صنفته الى فئتين ، احدهما الازدواج النفسى والآخر الازدواج الاجتماعى • ويشبه هذا التقسيم تقسيم مرتون ، وان اختلفا معا فى تأكيد الفارقة بين الازدواج النفسى والاجتماعى • فالازدواج الاجتماعى عند روز لوب كوزر يبدو واضحا عندما يصعب على الفرد المشاركة فى اداء الدور لتباين التوقعات المتشابهات التى تحكم السلوك المرتبط بالدور • ويسود الازدواج الاجتماعى المجتمعات المتغيرة والتى تتميز بالحراك ، ويعجز فيها الافراد عن التمييز بين التوقعات الاجتماعية فى المجتمع المتغير • ويساعد الازدواج على نشأة مواقف جديدة ، واحداث تغيير فى البناء • حيث يمكن المواجهة والاختيار بين التوقعات المتضادة بالنسبة للدور المناسب والدور غير المناسب • ويرجع الازدواج فى السلوك وتضارب التوقعات الى تشابه المعايير الاجتماعية واختلاطها امام المرء ، وتنافر العناصر البنائية ، كما يؤدى ذلك الى أن يواجه شاغلوا المركز توقعات معيارية متضادة فيعجزون عن التمييز بينها • ويبدو هذا واضحا فى ايمان الشخص بقيم متشابهات ، يتكشف غموضها اثناء تفاعله فى المواقف المختلفة •

اما الازدواج النفسى عند روز كوزر فيرتبط بالشعور المتناقض عند نفس الشخص ، ويماثل الازدواج الاجتماعى الازدواج النفسى ، لارتباطهما بالمركز الذى يشغله الشخص أكثر من ارتباطهما بحالة من المشاعر الداخلية للفرد • وينبع الازدواج النفسى من المخالفات التى

---

(1) Merton, Robert: Ibid., P. 95.

تصاحب سلوك الشخص الآخر الذى يتفاعل معه المرء اثناء اداء الدور[1] .

وقد اعطت لنا روز كوزر امثلة للازدواج ، فقالت ان الازدواج الوجدانى يبدو فى صورة واضحة عند الاب الذى يفرح بنمو ابنه ، لكنه يشعر بالغم لانه اجتاز مرحلة الطفولة ، ويبدو الازدواج واضحا فى المواقف التى لا يتوقع فيها المرء أن يبقى كما هو ، ولا يرضى عن الواقع ، ولكنه يشعر بالخوف من التغيير والمستقبل ، ويتضح هذا الازدواج الوجدانى فى حالة الطالبة التى يتقدم لها من يطلب الزواج منها ، اذ يبدو جليا الازدواج العاطفى فى حالة الفرحة من الزواج والخوف من ترك الدراسة . وترى كوزر أن الصراعات التى يعانى منها الافراد دليل على ضعف الانا والانا الاعلى ، وعدم التوافق النفسى والاجتماعى . فالتوافق يعنى قدرة الفرد صاحب الانا القوى على الانتفاع من اداء الادوار المتعددة ، وبالتراث المتراكم الذى يتخذ انماطا جديدة متعددة لعلاقات الادوار فى الماضى والحاضر[2] .

وقد ساير مرتون روز كوزر فى ان الازدواج له اتجاهان ، الازدواج النفسى والازدواج الاجتماعى . لكنه رأى انه من العسير الفصل بينهما فى الواقع ، لكن من اليسير علينا تصور التمييز بينهما ، فهما مرتبطان ارتباطا تجريبيا ، لكنهما يفترقان اذا ما اعملنا ذهننا ويبدو الازدواج النفسى مختلفا عن الازدواج الاجتماعى . ويرى مرتون ان الاتجاه الاجتماعى فى بحث الازدواج ينصرف الى دراسة الاساليب التى تنشأ عن الازدواج فى بناء المراكز والادوار ، والى دراسة العمليات التى تحدث داخل البناء ، والتى يكمن فيها الازدواج الذى يحدث فى علاقات ادوار معينة ، وأخيرا ينصرف الى النتائج الاجتماعية للازدواج من أجل استمرار البناء الاجتماعى . ويشير الازدواج الاجتماعى الى التناقض بين التوقعات المعيارية للاتجاهات والمعتقدات وبين السلوك المرتبط بالمركز ومجموعة المراكز فى المجتمع . كما يعبر الازدواج الاجتماعى عن التضاد بين التوقعات المعيارية المندمجة فى دور معين والمركز المرتبط بهذا الدور[3] . فعالم الاجتماع فى دراسته للازدواج الاجتماعى لا يهتم بالمشاعر المتضادة التى يعانيها الشخص ، بل يهتم فى المحل الأول بالازدواج الحادث بين عناصر البناء الاجتماعى . اما النظرية النفسية فى دراستها للازدواج فتهتم بدراسة الازدواج النفسى ، اى المشاعر المتناقضة ، وتتمركز دراستها حول نمط معين للشخصية ،

---

(١) Coser, Rose Leab: Role Distance, Sociological Ambivalence, and Transitional Status system, op.cit.

(٢) Coser, Rose Laub: Ibid.,

(٣) Merton, Robert: Sociological ambivalence. In Tiryakian Edward. Sociological theory, Values socio-cultural change. op.cit., PP.94-95.

وكيف ان صاحب الشخصية يكتسب تدريجيا ازدواجا خاصا به ، وكيف ان هذا الازدواج يحكم سلوكه • ومن ثم فالنظرية الاجتماعية التى تهتم بالازدواج تدرس العمليات التى تحدث داخل البناء ، والتى تؤدى الى الظروف التى يتجسم فيها الازدواج فى مراكز خاصة ، او مجموعة المراكز المرتبطة بادوار معينة • فالازدواج تصور يرتبط بالبناء ، ولا علاقة له بالشعور الذى يعانيه الشخص •

ويرى مرتون ان الازدواج يظهر جليا خلال تبادل العلاقات فى المجالات الآتية :

١ـ الازدواج الكامن فى صراع الادوار • ويبدو هذا الصراع جليا فى الصراع بين الادوار الاسرية والادوار المهنية ، والصراع بين المصالح الدنيوية والمطالب الدينية •

٢ـ الازدواج الناشىء عن الصراع بين المصالح والقيم ، حيث تؤدى الاهتمامات والقيم المندمجة فى المراكز المختلفة التى يشغلها الاشخاص الى مشاعر مختلفة ، مثال ذلك كمثل الصراع بين المحامى وموكله •

٣ـ الصراع بين الادوار المتعددة المرتبطة بمركز خاص ، وتصبح بالتالى مطالب الادوار المتعددة لشاغل المركز عبئا ثقيلا ، ومن ثم تتعارض القيم والاتجاهات واوجه النشاط المرتبطة بكل دور ، كمثل الصراع الذى يعانيه عميد الكلية بصفته استاذا ، وعضو مجلس كلية ، ورئيس قسم ، ومشرفا على مجموعة ابحاث ، ومسئولا اداريا على الكلية •

٤ـ الصراع الناشىء عن القيم الثقافية المتضاربة والتى يقبلها المجتمع ولا تقتصر هذه القيم بمراكز خاصة ، مثال ذلك الصراع الذى يعانيه الجاسوس بين التزامات الوطنية والامانة •

٥ـ الانفصال بين التطلعات الثقافية والوسائل البنائية الاجتماعية لتحقيق هذه الآمال والتطلعات • وهذا الازدواج الاجتماعى ليس صراعا اجتماعيا أو ثقافيا بل هو صراع بين الابنية الاجتماعية والثقافية ، ويبدو هذا الازدواج عندما تعجز القيم المتوحدة عن منح اعضاء المركز حق الفحص حسب القيم الجديدة •

٦ـ الازدواج الذى يسود فى المجتمعات الانتقالية ومعاناة الافراد اعضاء المجتمع الولاء للقيم الجديدة والقيم المتوارثة •

٧- الازدواج الاجتماعى الذى يعانى منه الافراد الهامشيون الذين يرتبطون بقيم مجتمعين ، ويبدو هذا الازدواج جليا فى المجتمعات التى يتحرك افرادها تحركا أفقيا ورأسيا .

ونحن نقبل وجهة نظر مرتون لصور الازدواج فى المجالات المختلفة ، ونرى أن سبب الازدواج يرجع الى توحد الافراد مع قيم وتوقعات لادوار متشابهات ،كما ان هذا الازدواج يؤدى الى معاناة الافراد للتوتر والشدة والحيرة والقلق نتيجة عدم استقرار سلوك المرء فى المواقف المختلفة ، وانه من العسير الفصل بين الازدواج النفسى والازدواج الاجتماعى فى الواقع ، وان سهل تصور ذلك .

وقد اختلف علماء الاجتماع فى تحديد طبيعة الصراع ، هل هو عملية وظيفية أو هو عملية لا وظيفية . فثمة اتجاه يعبر عنه مرتون وجاتلز يرى ان صراع الادوار صورة من صور الانحراف الاجتماعى ، وان صراع الادوار يعبر عن فشل المجتمع والشخصية فى تحقيق التوافق بينهما[١] . وثمة اتجاه آخر مخالف لهذا الاتجاه يرى ان الصراع ظاهرة طبيعية فى فترات التحول والتغير ،وان الصراع قوة دافعة الى التوافق واعادة التكيف مع العناصر البنائية الجديدة واعادة بناء الانظمة الاجتماعية المفككة[٢] . ويؤكد بارسونز هذا الاتجاه، ويرى ان الصراع لا يدل اطلاقا على انفصال المرء عن الجماعة ، بل يدل على انه ماجه انه ماجا غير كامل[٣] فى الجماعة .

ونرى ان الاتجاه الثانى اقرب الى الصواب من الاتجاه الاول ،فطالما المرء يواجه مواقف متباينة تستلزم المقابلة بين مجموعة من الادوار المتباينة ،فلا مفر من الشعور بالاجهاد والتوتر والصراع . وهو فى هذه الحالة ظاهرة طبيعية تعبر عن حيوية المرء لا جموده ، كما ان صراع الادوار ظاهرة طبيعية فى المجتمع المتغير ، تشير الى اعادة تركيب المجتمع واعادة الانسجام والتوافق بين العناصر البنائية ، بيد أن استغراق المرء فى حالات متكررة من الصراعات هو الامر الشاذ والذى يفقده القدرة على التغلب على المشاكل وحل المواقف[٤].

---

(١) Getzels, J. W.: Role conflict and affectiveness. op.cit.
Merton, Robert: Social theory and social structure, op.cit P. 166.

(٢) Joby, Jacksons: Some variables in role conflicts analysis. Social forces. Vol. 30, 1952, PP. 323-327.

(٣) Parsons, Talcott: Social system, op.cit., P. 177.

(٤) Kapplan, Bart: Personality and social structure.In Joseph Gittler (ed.). Review of sociology, N.Y., John Wiley, 1957, P.

ويهمنا فى عرضنا لصراع الادوار ، ان هذا الصراع يتجلى فى اوضح صورة عند الام العاملة • فالمرأة المصرية وخاصة العاملة تواجه مواقف متعددة فى المجتمع المتغير يظهر فيها مدى شعورها بالتوتر والقلق والاجهاد • فالمرأة المصرية نشئت فى طفولتها فى مجتمع يحددها لاداء ادوار الام والزوجة ، لكن التغيرات البنائية الحديثة غيرت كثيرا من التزامات أدوار الامومة والزوجة • وفرضت على المرأة الخروج من البيت الى العمل ،فأضيفت ادوار جديدة الى ادوارها التقليدية ،واصبحت تعانى من مطالب الادوار التقليدية التى نشئت عليها ، ومطالب الادوار الجديدة التى فرضها التغير البنائى وتوحدت معها فى طور الرشد •

ويزداد شعور المرأة العاملة بصراع الادوار نتيجة محاولتها احراز النجاح فى العمل والتوفيق فى اداء ادوارها الاسرية • فمحاولة النجاح فى العمل تدفعها الى الجور على الواجبات الاسرية • ويبدأ المرأة فى الاحساس بتعارض الولاء للعمل مع الولاء للامومة والحياة الزوجية • فشعور المرأة بعجزها عن التوفيق بين الدور المهنى والادوار الاسرية يؤدى الى احساسها بالتوتر والاجهاد والحيرة وعدم الطمأنينة على علاقاتها الاسرية، ويكمن الشعور بالعجز عن اداء الادوار الاسرية فى صعوبة التوفيق والتعايش بين التوقعات المتعارضة ،لكن معاناة الصراع لا تقتصر على المرأة العاملة وحدها ،بل تشمل المتفرغة، فهى تعانى من الصراع والتوتر والاجهاد ، ويتمركز صراع الام فى هذه الحالة حول التوفيق بين دور الام ودور الزوجة(١) كما أن درجة الصراع تزداد كلما قلت اعباء الام المنزلية عندما يكبر الاولاد (٢) •

ومن ثم فمعاناة المرأة للصراع والتوتر له نتائجه السلبية والايجابية على الاسرة ، فمن نتائجه الايجابية زيادة تماسك الاسرة ، وتغير اساليب التنشئة الاجتماعية لمواجهة التغير البنائى • اما نتائجه السلبية فتبدو فى ازدياد مظاهر الخلافات الزواجية ، والشعور بعدم الطمأنينة والاهمال فى امور العمل وامور الاسرة ،أوجور احدهما على الآخر وتشابه أساليب التربية امام الامهات ، فلا يتبين لهن الاساليب الملائمة مع روح العصر لتربية الاولاد •

---

(١) Parsons, Talcott: Social system, op.cit., P. 187.

(٢) Parsons, Talcott: Age and sex In social structure. In Coser, Rose Laub. (ed.). The Family, its structure and functions,op.cit., P. 261.

بعد هذا العرض لعناصر الصراع لنا أن نقرر ان الصراع له صور نفسية وصور اجتماعية، وهناك صلة بين نوعى الصراع • فالصراع الذى يعانية الاشخاص يولد حتما صراعا بين العناصر البنائية • كذلك يفجر الصراع بين العناصر البنائية حالات من الصراع النفسى • فاعضاء البناء الاجتماعى لا يتفاعلون داخل المواقف الاجتماعية كأفراد ، ولكن كأشخاص يؤدون ادوارا منظمة تربطهم مطالب اجتماعية معينة ، ويتوحدون مع قيم محددة • ويعتمد احساس الافراد بقسوة الصراع على عاملين ، احدهما عدم التوافق النسبى لتوقعات الادوار ، والآخر عدم قابلية مجموعة التوقعات التى تحدد موقفا ما للتغير • لكن معاناة القلق والحيرة بسبب الصراع بين الادوار ، اوازدواج القيم لا يعطل المرء عن اداء التزاماته • فالصراع له وظائفه الايجابية ، فهو محاولة لدفع المجتمع الى التقدم والتغيير ، ويدفع المرء الى التكيف والتوافق وتكوين علاقات جديدة • فالانسان قادر على التخلص من الصراعات لما عنده من قوة دافعة للتنفيذ • وليس الصراع والتعاون شيئين منفصلين ، بل هما وجهان لعملية اجتماعية واحدة ، ويحل الصراع كل المشكلات ، اما حلا ايجابيا ، واما حلا سلبيا • وتؤثر الوظائف الايجابية والسلبية للصراع على طريقة أداء السلوك المرتبط بادوار معينة ، وأيضا على درجة تنظيم العناصر الاجتماعية • فالجانب السلبى للصراع يبرز دافعا يقود الى التغير الاجتماعى ، على أن خطورة الجانب السلبى على النسق الاجتماعى تبدو واضحة اذا أدى الصراع الى منع القيم الاجتماعية وتوقعات الادوار عن اداء وظائفها ، ويبدو حينئذ الصراع كأمر غير مرغوب فيه •

ونحن لا ننكر ان بعض أنواع الصراع قد تودى بوحدة الجماعة ، او سقوط الشخص فريسة لمرض نفسى نتيجة انحلال عناصر البناء الاجتماعى ، او تفسخ الشخصية ، بيد أن الامر لن يصل فى هذه المجتمعات الى حالة السقوط ، اذ لا تعدم المجتمعات دوما من يدعو الى التغيير ، ومن يبشر بقيم جديدة • كما ان الشخص لا يسقط فريسة الصراع بين الادوار أو الازدواج فى القيم ، فهو يحاول دوما أن يوفق بينهما ، ويقف موقفا وسطا بين الادوار المتصارعة ويحاول ان يعطى كل منها الواجب المستحق • ويحاول أن يؤدى السلوك المطلوب منه ، وان يصل به الى درجة الكمال عند الاداء •

ويتفشى الصراع فى صوره المتعددة فى المجتمعات التى تتسم بالمرونة ، والتحول السريع عند ما يصحب استقرار المعايير الاجتماعية وتوقعات الادوار ، وتتاح الفرص لظهور

التفكك ، لكنه اشد حدة من الصراع الحادث فى المجتمعات الجامدة • وينشأ الصـــراع ليؤدى وظيفته الاجتماعية الحاسمة ، اذ يعمل على توافق المعايير وعلاقات السلطة داخـــل الجماعة ، وفقا للحاجات الجديدة المطلوبة للافراد والجماعات • فالصراع يستهدف بنـــاء قيم جديدة تتوافق مع العناصر البنائية المتغيرة ، ويصاحب عملية التغير البنائى شـــعور الاشخاص بالمعاناة والقلق والتوتر والصراع ، بيد أن الصراع الاجتماعى والنفسى لا يـؤدى الى سلب ارادة الانسان وحريته باعتباره انسانا مفكرا وقهره ، أو يدفع المجتمع الى التفكك، بل بهذا الصراع يستطيع المجتمع ان يقهر اسباب التفكك ، ومن ثم أسباب الانحـــراف، ويعمل على خلق معايير وقيم جديدة وتغيير أساليب التنشئة لاعداد الصغار للموائمـــة مع السلوك المتوقع فى المجتمع الجديد •

....

الباب الثالث

دراسة ميدانية لنسيق الأم والابن

٣٥٨ ــ ٤٢١

الفصل السابع

مظاهر الصراع عند الامهـــــات

مظاهر الصراع عند الأمهات

يتكون البناء الاجتماعي من مجموعة من الانساق الاجتماعية المترابطة وظيفيا • وهذه الأنساق تعبر عن الثقافة السائدة في المجتمع ، وتشكل أسس الارتباط بين اعضائها ، وتحدد المراكز النسبية التي يشغلها الافراد ، وكذلك الادوار التي يؤدونها • وتتكون هذه الأنساق من مجموعة من علاقات الادوار ، ونقصد بذلك تتابع ممارسة الافراد للأدوار باعتبارها عملية مستمرة للاختيار بين الادوار • وهذه الادوار تكتسب في الابنية الاجتماعية يتشير الى الأفكار والاتجاهات والمصالح والقيم المكتسبة التي تحدد سلوك الأفراد ، باعتبارهم اعضاء في جماعات متعددة داخل البناء ، وفي الوقت نفسه تدل على المطالب الاجتماعية والقوى المعيارية التي تؤثر في الافراد • وترجع اهمية الدور الى أنه تصور يربط بين البناء الاجتماعي والشخصية ، اى يربط بين الظاهرة المرئية وهي السلوك وبين البناء الاجتماعي الذي يصعب ملاحظته • بيد أن عضوية الفرد في جماعات متعددة وأداءه لادوار متباينة يجبره على مواجهة معايير غامضة وغير متوافقة ، اذ أن انماط السلوك المرتبطة بالادوار المختلفة تحددها معايير اجتماعية متباينة • وتولد مشكلة اختيار السلوك المناسب المرتبط بالدور عند الشخص وصعوبة تحديد هذا السلوك في المجتمعات المتغيرة ، واختلاف مضمون الدور من طور الى طور آخر من أطوار النمو ، ويولد كل ذلك ، مشكلة صراع الادوار واحساس المرء بصعوبة تحقيق الالتزامات المطلوبة من كل دور ، وعلى فهم السلوك فهما واضحا • ويتوقف احساس الفرد بالتوتر او القلق او الصراع عند ادائه لادواره المختلفة في المواقف المتتالية على القيم المتوحد معها ، وتوقعاته لسلوك الآخرين ، وتحديده للموقف الذي يمارس فيه ادواره ، وأخيرا درجة التوافق بين اتجاهاته وقيمه وتوقعاته لسلوك الآخرين واتجاهات الآخرين وقيمهم وتوقعاتهم • فهذه القيم والاتجاهات والتوقعات ، تعبر عن الاتجاهات والقيم والمعتقدات المشتركة المتفق عليها بين افراد مجتمع معين ، وهي التي تحدد اداء الدور ، اى السلوك المحدد المنظم المرتبط بالدور في موقف معين •

ويساعد التغير في الاتجاهات والقيم والمعايير ، والصراع بين القيم والاتجاهات السائدة وبين الاتجاهات والمعايير والقيم المتغيرة ، يساعد هذا كله ، على تباين الرؤيا الواضحة للسلوك المناسب المرتبط بالدور من شخص لآخر ، واخفاق توقعات المرء عن سلوك الآخرين اثناء تبادل العلاقات معهم • فاذا ما عانى الشخص من الصراع والتوتر عند ادائه

لاد واره ، او اخفاق توقعاته المنتظرة من الآخرين ، اتسم سلوكه بعدم الاستقرار والتباين من موقف لموقف •

ويؤدى التباين فى المعايير والقيم والاتجاهات التى تحكم سلوك الدور، أو تضبط السلوك المناسب للدور اذا ما واجه المرء موقفا يتطلب التوفيق والاختيار بين دورين — ذلك كله يؤدى — الى معاناة الشخص واحساسه بالتوتر والقلق أو الصراع ، لتنافر مكونات الدور الواحد ، او تضارب المعايير المكونة للادوار المختلفة ، مما يدفعه الى الشعور بالعجز عن تحديد توقعاته لسلوك الآخرين ، وتحديد سلوكه فى الموقف • فمواجهة الفرد فى المواقف المختلفة لمشكلة المواجهة والاختيار بين الادوار المختلفة المتباينة ، واداء كل منها حسب التوقعات الاجتماعية المطلوبة منه ، يجعل لديه شعورا بأن أداء دورين فى وقت واحد شئ مستحيل عقليا وواقعيا • ويعانى الفرد من الاختيار، بيد ان الشخص يختار دائما الدور الاكثر اهمية له كحل مؤقت للتوتر والمعاناة والصراع •

وتسهل لنا طريقة اداء الشخص للادوار الاجتماعية ، فهم الشخصية والبناء الاجتماعى • فاحساس الشخص بالتوتر والقلق تعبير عن الصراع بين المطالب البنائية المختلفة باعتبار أن الادوار عنصر اساسى من عناصر البناء ادمجت فى الشخصية • فالسلوك المرتبط بشاغل مركز محدد يكون جزءا من الشخصية الاجتماعية، ذلك لان جزءا كبيرا من سلوكنا فى المواقف المختلفة يعبر عن اداء الشخص للادوار المختلفة اداءا شعوريا أو لا شعوريا • وهذا الاداء يؤثر تأثيرا قويا فى تعبيرات الشخصية ، والسلوك الناتج عنها • ويرى بارسونز ان الشخص الفاعل يتعرض الى مجموعة متصارعة بين توقعات الادوار الشرعية ، مما يجعل التحقيق الكامل للدورين تحقيقا واقعيا شيئا مستحيلا وصعبا ، وفى محاولة الفرد التوفيق يستلزم عليه التضحية ، والتخلى عن التزامات دور معين ، أو التقصير عن ادائها على الوجه الامثل مما يعرضه للعقاب السلبى واحساسه بالصراع (١) • ويبدأ الشعور الشخصى بالصراع بين الادوار لاول مرة ، عندما يواجه موقفا يتفاعل فيه مع شخصين آخرين يرتبطان معه ارتباطا وثيقا ، بيد أنه يجد الشخص الاول يتوافق مع المعايير السائدة ويتكامل معها ، بينما الآخر يقف موقف التمرد الفعلى من هذه المعايير، فيتعذر على المرء معايشة الموقف لصعوبة تبادل العلاقات مع

(1) Parsons, Talcott: Role theory. In Bruce. J. Biddle and Edwin. J.Thomas. ed. Role theory concept and research. John Wiley, N.Y. 1960, P. 176.

الشخصين وعدم استقرار سلوكهما •

وقد ادى التغير الاجتماعي الى نشأة عوامل تساعد على احساس المرء بصراع الادوار والارتباك والتوتر والجهد • اذ أن تقاليد المجتمع والنظم والافكار المتغيرة ، وتجارب الافراد مع الحرب والسلام ، ومع احوال الرخاء أو ارتفاع تكاليف المعيشة مع قلة الدخل ، كلهـــا ظروف ذات دلالة لها انعكاسات نفسية على الافراد تتجلى فى سلوك الافراد فى الحيـــاة اليوميـــة •

وقد شعرت المرأة فى حضر مصر اكثر من غيرها ان اشكال السلوك التقليدية والقيـــم المرتبطة بها لم تعد صالحة ومقبولة فى المواقف الاجتماعية • فالتغير الاجتماعي فى مكانـــة المرأة المصرية ،قد أثر فى مكونات الادوار التقليدية ، كما استحدثت أدوارا جديدة مما أثـــر فى سلوكها ، وتوقعاتها المنتظرة من ادوار الآخرين •

ويرد اهتمامنا بدراسة الصراع عند الامهات العاملات والمتفرغات ان النساء فى حضـــر مصر اكثر الافراد معاناة للتغير الحادث فى البناء الاجتماعي من الرجل ، كما أن جيل الامهات المعاصر اكثر احساسا بالتوتر والشدة والصراع من جيل الجدات والابناء • فالجدات عشـــن فى مجتمع مستقر ، يتميز بالتغير البطئ ، كما ان الابناء ولدوا فى مجتمع يتميز بالتغيـــير السريع ، ولذا كان جيل الابناء أكثر توافقا مع التغير وتقبلا له من جيل الامهـــات • فالامهات قد نشأن فى طفولتهن فى مجتمع يتميز بالاستقرار النسبى ، وتحكمه تقاليد مجتمع مستقـــر ، وتوحدن مع قيم محكمات • وعشن شبابهن فى مجتمع بدأ يهدم اصنام التقاليد التى تؤكد خضوع المرأة ، وسيطرة الرجل عليها ، وتفوقه عليها فى شتى المجالات • بدأت تنمو قيم ومعايـــير تؤيد المساواة والحرية • الا أن هذه القيم والمعايير النامية لا تجد المناخ الملائم لتؤكـــد وجودها واستقرارها ، وتثبت دعائمها ، فلا زال الرجل حذرا فى قبول هذه المعايـــير ، وممارستها واقعيا مع نساء اسرته • وتعانى المرأة من قيم نامية تدعو الى المساواة والتحـــرر توحدت معها فى شبابها ، وقيم وافكار سائدة توحدت بها فى طفولتها تدعو الى التمســـك بالاتجاهات التقليدية ، وتبعية المرأة للرجل • وانعكس ذلك كله على سلوك المرأة اثنـــاء تفاعلها مع الآخرين فى المواقف المختلفة • فطبع سلوكها بالمعاناة والتوتر والحيرة ، ولكـــن بدرجات متفاوتة ، وتتغير هذه الدرجات حسب الظروف •

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية - في هذا الفصل - ان ندرس مدى معاناة الأم العاملة او المتفرغة للصراع في حياتها اليومية ، ومدى وعيها بالصراعات الداخلية ، اوالصراعات الخارجية التى تتعرض لها وتعامي منها في المواقف المختلفة اثناء اداءها لادوارها المتباينة، بعد أن تغيرت مكونات الادوار ، وفى مواقف المفاضلة والاختيار بين الادوار .

ويهدف هذا الفصل الى تحقيق الفروض الآتيـــة :

١- ان الأم العاملة اكثر معاناة للصراع ، واكثر تقبلا للتغير البنائى من الأم المتفرغـــة.

٢- ليست عملية اداء السلوك المرتبط بالدور عملية آلية ، بل عملية منظمة تضبطها العناصر الاجتماعية المكونة للدور ، ومطالب الادوار . ولذا فالتنافر بين مكونات الدور نتيجـــة التغير البنائى ، او الصراع بين مطالب الادوار ، يولد عند الامهات شعورا بالصراع ، أو الهروب من دور معين الى اداء دور آخر دوما ، او الشعور بالوهن .

٣- تتأثر مكونات دور بعدد الأولاد ، وكلما زاد عدد الاولاد ازدادت فرص الصراع .

٤- يزداد الصراع كلما ارتفعت مكانة المرأة في السلم المهنى ، كما يتغير محتوى الـــدور المهنى كلما تغيرت مكانة المرأة في السلم المهنى .

وكانت مجموعة اسئلة المواقف التى تتعلق بالصراع تنقسم الى ثلاثة اقسام : اولا مظاهر التوتر والوهن ، ثانيا الصراع بين مكونات الدور ، ثالثا الصراع بين مطالب الادوار .

اولا : مظاهر التوتر والوهن :

وفى البداية حاولنا ان نعرف مدى احساس الام بالصراع الداخلى ، ونحن في هـــذه الدراسة نحاول ان نعرف الانعكاسات النفسية عند الامهات نتيجة نشاطها في الحياة اليومية كمحصلة لاحباطات خارجية ، وتحليل اجاباتها الى ثلاثة انواع . النوع الأول شعور طبيعى بالتوافق النفسى . النوع الثانى شعور وقتى بالتوتر والوهن . والنوع الثالث شعور دائـــم بالتوتر والصراع . وفى هذا الصدد وجهنا الى الامهات مجموعة من الاسئلة تعكس لنـــا مدى معاناتهن للتوتر الوقتى او الصراع أو شعورهن بالاستقرار النفسى .

وفى بداية دراستنا - كما هو مبين في الجدول رقم (١) - حاولنا ان نعرف مـــدى شعور الامهات بالتعب والجهد والمرض ، باعتبار أن المرض يعنى الانسحاب من الموقـــف الاجتماعى ، فالشخص القلق يعانى من الاعياء والجهد والخور والاسترخاء العضلى ، حتى في

جدول رقم (١)

تفاوت شعور الامهات المتفرغات والعاملات بالتوافق النفسي والتوتر الوقتي والصراع الدائم

الحالة	التوافق النفسي		التوتر الوقتي		الصراع الدائم	
	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات
١ـ الشعور بالتعب	٤٠	٤٨	٢٩	٣١	٣١	٢٢
٢ـ التردد في اتخاذ القرارات	٣٦	٤٧	٣٧	٤٢	٢٧	١١
٣ـ الشعور بالغربة	٦٨	٨٢	٢٤	١١	٨	٧
٤ـ الاحلام المزعجة	٤٥	٥٣	٣٨	٤٠	١٧	٧
٥ـ عدم تقبل النقد	٥٧	٦٤	٢٢	٢٠	٢١	١٦
٦ـ القابلية للانفعال	٥	١٠	١٥	٣١	٨٠	٥٩
٧ـ عدم الثقة في النفس	٦٥	٧٣	٢١	١٨	١٤	٩
٨ـ عدم السيطرة على الاعصاب	٦٣	٣٩	٢٦	٤٠	٣١	٢١
٩ـ التفكير في الخطأ	٢٤	٨	١٤	٢٨	٦٢	٦٧
١٠ـ الخوف من المجهول	٣٧	٤٢	٢٥	٢٨	٣٨	٣١
١١ـ القابلية للانزعاج من تصرفات الغير	٢٥	٣٦	٣٢	٣٩	٤٣	٢٥
١٢ـ التأثير الانفعالي	٢٣	٢٦	١٥	٢٧	٦٢	٤٧
١٣ـ مدى الرضا بالحياة الحاضرة	٥٧	٥٥	٣	٠	٤٠	٤٥
١٤ـ طبيعة الحكم على خبر سياسي	٣٥	١٧	١٥	٥	٤٨	٧٨
١٥ـ طبيعة التعليق على خبر	٤٠	٤٩	٩	٣٤	٦	١٧
م (١)	١ر٩٩	٢ر١٦	١ر٠٨	١ر٣٠	١ر٧٥	١ر٥٢
م٢ (٢)	٤ر٦٦	٥ر٢٥	١ر٧٥	٢ر٢٢	٣ر٥٧	٢ر٩٩
الانحراف المعياري	٧٧ر	٧٥ر	٧٦ر	٧١ر	٦٩ر	٨١ر
ت (٣)	١ر٤٩		٢ر١٦		٢ر١٦	

---

(١) م = متوسط قيمة العينة

(٢) م٢ = متوسط مربعات افراد العينة

(٣) ت = دلالة الفرق بين متوسطي عينتين

حالات القلق البسيطة ؟ " فالاحساس بالصراع يصاحبه دائما توتر عضلى لاعضاء الجسم " (١) .

وتوضح لنا الاجابات المبينة فى جدول (١) ان نسبة الامهات **العاملات اللائى** لا يعانين من الجهد البدنى والخور اكثر من الامهات المتفرغات . ونجد ان حوالى الخمسين من المتفرغات لا تبدر منهن الشكوى من التعب الجسمى ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ما يقرب من النصف . وتكشف لنا البيانات ان ما يقرب من ٢٩٪ من المتفرغات و ٣٠٪ من العاملات يشكون من التعب الوقتى والخور . وتبين لنا الاجابة على السؤال الاول أن ٣١٪ من المتفرغات يشكون من التعب والانهاك المستمر عند اداء الافعال الابسيطة . وتهبط هذه النسبة عند العاملات الى ٢٠٪ فقط . وقد اهتم بارسونز بتحليل المفهوم الاجتماعى للتعب والمرض . وقدم لنا تفسيرا هاما للمرض كظاهرة منحرفة . فالمرض الذى لا يوجد له اسباب فيزيقية باعتباره ظاهرة وافدة ، يعبر عن سلوك منحرف ، ويعنى فشل السلوك اجتماعيا لتحقيق التوقعات المحددة لتنظيم اداء دور ما ، او اكثر من الادوار التى تربط الفرد بالمجتمع . ومهما كانت تعقيدات العوامل الدافعة المتضمنة فى المرض ، فان التوافق مع توقعات الادوار او التباعد عنها يعتبر بعدا رئيسيا فى عملية المرض ، فالشخص الخائر الضعيف الهمة هو شخص عاجز امامنا عن تحقيق التزاماته العادية ، ويرد بارسونز دافع الشخص الواهن لأن يظل كذلك الى هذه الحقيقة (٢) . كما ان بقاء الشخص عضوا طبيعيا راضيا فى الجماعات المتعددة احد مظاهر التوافق الاجتماعى والنفسى ، ومن ثم ففى ضوء مفهوم بارسونز عن المرض كظاهرة منحرفة تعنى الانسحاب من الموقف ، نرى ان هذه الظاهرة دائمة الحدوث عند العاملات والمتفرغات ، وان كانت اكثر حدوثا عند المتفرغات .

وباعتبار ان الارتباك والحيرة عند اتخاذ القرارات يعبر عن الاحساس بالتوتر والصراع فقد حاولنا دراسة القدرة على الحسم فى المواقف المختلفة عند الامهات العاملات والمتفرغات . فالتردد مظهر من مظاهر الصراع والحيرة والعجز عن الفعل . ويعنى كذلك عدم التكيف بين مطالب المرء الشخصية والمطالب الاجتماعية ، والعجز عن الانسجام فى الموقف . فالشخصية القلقة دائمة التردد عند اتخاذ القرارات والحسم فى سير الامور . وتظهر لنا الاجابات المبينة فى جدول (١) ان ما يقرب من ٣٦٪ من المتفرغات لديهن القدرة على الحسم واتخاذ

(١) Cattle, Reymound: The scientific analysis of personality. op.cit., P. 114.

(٢) Parsons, Talcott: Illness and the role of physcians. A Sociological perspective. In Clyde Kluckhoon & H. Murray. Personality in nature, society and culture. op.cit., P. 610.

القرارات ، وترتفع هذه النسبة الى ما يقرب من النصف عند العاملات • ونجد أيضا ٣٧٪ من المتفرغات يقفن فى مواقف التردد والحيرة اذا ما طلب منهن اصدار قرار ما ، وذلك فى بعض الأوقات ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ما يقرب من الخمسين عند العاملات • وتوضح لنا البيانات أن ٢٧٪ من المتفرغات يعشن عاجزات دائما عن اصدار القرارات فى أمور ترتبط بحياتهن ، وتهبط هذه النسبة الى ١١٪ عند الامهات العاملات • وتكشف هذه الاجابات ارتفاع نسبة الامهات المتفرغات العاجزات دائما عن اتخاذ قرارات فى شأن من شئونهن ، والعجز عن البت فى تصريف أمور معيشتهن نتيجة شعورهن بعدم الثقة وعدم الطمأنينة ازاء البت فى الأمور اليومية ، لشعورهن بتبعيتهن للرجل وسلطته المطلقة عليهن ، هذا الشعور الذى استطاعت المرأة العاملة على اغلب الظروف _ أن تحطم قيده ، وتتغلب عليه •

ويرى بارسونز ان مواجهة الفرد للادوار المتصارعة ، منبع واضح للشعور بالاحباط والتوتر ، مما يؤدى الى خلق مواقف غير متلائمة ، تدفع الشخص الى العزلة ، حيث يفتقد التكامل بين الشخصية ونسق التفاعل[1] • ولذلك حاولنا ان ندرس الشعور بالغربة وعدم الانتماء ، باعتباره من مظاهر التوتر والصراع • فالشخص القلق دائم الشعور بالاغتراب وعدم الالفة ، وعدم الانسجام مع عناصر الموقف الاجتماعى ، سواء أكان هذا الموقف يتضمن اشخاصا أم موضوعات ثقافية • وتكشف لنا الدراسة ان قلة من الامهات يعانين مثل هذا الشعور ، بيد أن هذا الشعور اقوى عند المتفرغات منه عند العاملات ، ويرد ارتفاع نسبة المواقف التى تشعر فيهما المرأة بعدم الاغتراب ، الى أن المعايير الجمعية التى تؤكد الالفة والترابط وعلاقات المواجهة لازالت سائدة متحكمة فى مجتمعنا •

وقد حاولنا ان ندرس الاحلام باعتبار ان الاحلام تعكس الحالة النفسية للمرء • ويرى فرويد ان العمليات اللاشعورية المكبوتة تظهر فى شكل رمزى خلال الاحلام • ولتوضيح ذلك نقول ان الذكريات لم تعد منسية • ولكن فرويد فسر الاحلام تفسيرا جنسيا ، بيد أننا نرى ان مدلولات الاحلام تؤكد ارتباط الاحلام بمشكلات الافراد والمجتمع • فكثير من الاحلام كما روتها الامهات لنا تعبر عن الواقع الذى يعشن فيه ، وتعبر عن الخوف من الحرب الجارية

(1) Parsons, Talcott: Role theory. In Bruce. J. Biddle and Edwin J. Thomas ed. op. cit., P. 276.

على ضفاف القناة ، او تعكس مشكلات الاولاد ، او الخوف على العلاقات الزواجية والقرابية .
فاذا ما درسنا الاحلام كمظهر للتعبير عن الدوافع اللاشعورية ، ونافذة تطل منها الرغبات المتصارعة على العالم الخارجي فى صورة رمزية لها معانيها ، فاننا نجد أن نسبة العاملات اللاتى لا يحلمن احلاما مزعجة اقل من نسبة المتفرغات . وتكشف لنا الاجابات أن ٣٨٪ من المتفرغات ، وكذلك ٤٠٪ من العاملات يحلمن احيانا احلاما مزعجة . وتبين لنا الدراسة ان ١٧٪ من المتفرغات يعانين دائما احلاما مزعجة ، وتنخفض نسبة العاملات اللاتى يخضن تجربة الاحلام المزعجة اليومية الى ٧٪ .

اما عن مواقف النقد ، ومدى ضبط النفس ازاء الاحكام النقدية ، فالشخص القلق أكثر احساسا لاحكام النقد ، ويميل الى كراهية احكام الآخرين ، فتبين لنا اجابات الدراسة الميدانية ان ٥٣٪ من المتفرغات لا ينفعلن اذا وجه اليهن نقد الى تصرفاتهن ، ونجد كذلك أن ٦٤٪ من العاملات لا يغضبن اذا ما ووجهن باخطائهن . ونجد ان حوالى ما يقرب من خمس العاملات والمتفرغات يتأثرن فى بعض المواقف بالاحكام النقدية ، كما تكشف لنا الاجابات ان ٢١٪ من المتفرغات يثرن دائما اذا ما وجه اليهن نقدا عن افعال خاطئة صدرت منهن ، كما نجد كذلك ١٦٪ من العاملات ينفعلن دائما اذا ما تعرضن لمواقف تقيم اعمالهن .

ان الاحساس بعدم الثقة فى النفس ، تعبير عن الفشل وعدم التوافق ، كما أن الاحساس بالثقة بالنفس تأكيد لشعور الفرد بالنجاح ، وتأكيد للتوافق الاجتماعى والنفسى للشخص ، كما ان ثقة الفرد بنفسه تجنبه مسببات الفشل والاخفاق ، وتساعده على الاداء الناجح . بيد أن عدم الثقة فى النفس ، والشعور بالتوتر والوهن نتيجة ذلك تفجر عند المرء كل المعوقات التى تؤدى الى العجز عن الاداء والفشل فى مجالات نوعية معينة . ولهذا حاولنا أن نعرف مدى ثقة الأم بنفسها عند اداء فعل ما للمرة الأولى ، وتكشف لنا الاجابات أن حوالى ثلثى المتفرغات ، وكذلك ٧٣٪ من العاملات يشعرن دائما بالثقة والطمأنينة اذا أدين فعلا للمرة الأولى . ونجد ان حوالى خمس المتفرغات والعاملات تبدو عليهن مظاهر الارتباك والحيرة احيانا اذا تعرضن لمواجهة مواقف لم يواجهنها من قبل . ونجد كذلك ان نسبة الامهات المتفرغات اللاتى يصاحب سلوكهن مظاهر عدم الثقة على الفعل عند القيام بأعمال جديدة ، تبلغ ١٤٪ من عدد المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة عند العاملات

الى ٧ ٪ ، مما يظهر لنا ان نسبة المتفرغات اللاتي يعانين من عدم الثقة اعلى من نسبة العاملات •

اما عن الانفعال في الموقف والقابلية للانفعال في المواقف المفرحة او المؤلمة كمظاهر من مظاهر الاحساس بالصراع والقلق ، وتعبير عن عدم الشعور بالطمأنينة ، فيمكن لنا أن نقرر ان المرأة المصرية دائمة الانفعال ، بيد أن المتفرغات اكثر انفعالا واستهوائا للمواقف التي تتطلب المشاركة العاطفية من العاملات ، وان العاملات اكثر ضبطا لانفعالاتهن من المتفرغات • وتظهر لنا الاجابات أن العاملات اكثر ضبطا للنفس من المتفرغات ، فنجد أن نسبة الامهات المتفرغات اللاتي ينفعلن دائما عند سماع الانباء السارة أو المفجعة تبلغ ٨٠٪ عند المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٥٩٪ عند العاملات ، كما يبدو لنا أن عدد العاملات اللاتي يعانين من الازدواج النفسي في المواقف التي تثير الانفعال يبلغ ٣٠٪ من عدد العاملات ، وتهبط نسبة المتفرغات اللاتي يعانين من تكافؤ الضدين في المواقف المتماثلة الى ١٠٪ ، ونجد ان ٥٪ فقط من المتفرغات لديهن القدرة على ضبط النفس وعدم الانفعال في المواقف ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ١٠٪ عند العاملات ، مما يؤكد لنا أن العمل أثر ـ الى حد ما ـ في الطابع الانفعالي للمرأة ، وجعلها اكثر ضبطا للنفس واكثر قدرة على ضبط انفعالاتها ، وان لم تنجح المهنة في امتصاص الانفعالات النسائية تماما •

وتبين لنا الدراسة الميدانية انه اذا واجهت المرأة موقفا يتعارض مع قيمها ومعاييرها ويثير غضبها ، فان ٤٣٪ من المتفرغات لديهن القدرة على ضبط النفس وعدم الغضب ، بيد اننا نجد ان نسبة العاملات الكاظمات لغضبهن تبلغ ٣٩٪ من عدد العاملات ، كما توضح لنا الاجابات ان ٢٦٪ من المتفرغات يعانين في بعض المواقف من الفشل في ضبط النفس ، بينما ترتفع هذه النسبة عند النساء العاملات الى ٤٠٪ • وتكشف لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن ٣١٪ من الامهات المتفرغات لم يستطعن ابدا السيطرة على اعصابهن في مواقف الغضب ، اما عن الامهات العاملات اللاتي يعجزن عن كظم الغيظ والغضب فتبلغ نسبتهن ٢١٪ من عدد العاملات •

وفي دراستنا الميدانية لمعرفة شعور الامهات بالصراع الداخلي ، حاولنا أن نعرف

مدى استرجاع الأم العاملة أو المتفرغة للأحداث الخاطئة التى تصدر منها ، كمظهر من مظاهر الشعور بالعقاب الذاتى ، والاحساس بالذنب ، والخوف من عقوبات الآخرين . فنجد أن حوالى ٤٦٪ من المتفرغات لا يسترجعن البتة ما صدر منهن من افعال ، كما نجد ان نسبة العاملات اللاتى لا يعبئن بما صدر منهم من افعال خاطئة تبلغ ٨٪ ، أى أن العاملات أكثر رضاء ازاء نتائج الافعال التى صدرت منهن ، كما نجد ان ١٤٪ من المتفرغات و٢٨٪ من العاملات يعانين من ازدواج السلوك اذا ما صدرت منهن افعال خاطئة . فاحيانا يشغل بالهن ما بدر منهم من افعال خاطئة ، واحيانا يقفن منها موقف اللامبالاة . وتكشف لنا الاجابات أن حوالى ثلثى العاملات والمتفرغات يحتل التفكير فيما صدر عنهن من افعال خاطئة جزءا من اهتمامهن ، ويعشن اسيرات نتائج ما صدر منهن من افعال .

اما عن المجهول والمستقبل والانشغال فى التفكير فيه خوفا من حدوث احداث مخيفة ، فنجد ان ٣٧٪ من المتفرغات وكذلك ٤٢٪ من العاملات لا يفكرن فى المستقبل ، ولا يخيفهن المجهول ، ويشعرن بالاستقرار والاطمئنان الى الغد . ويرد ذلك الى قوة الشعور الدينى عند هؤلاء العاملات . وتكشف لنا تعليقات البعض على هذا السؤال عن السبب الأول عن الايمان بالمستقبل ، وقد رددت معظم الامهات عند مواجهتهن هذا السؤال " الايمان بالله كبير " . ونلاحظ أن ٢٥٪ من المتفرغات و ٢٨٪ من العاملات يعشن فترات ينجذبن الى التفكير فى المجهول والخوف من المستقبل ، وفى فترات أخرى يرجعن الى الدين والتمسك باهداب الايمان . اما عن نسبة الامهات اللاتى يعشن فى فترات متلاحقة من الخوف الدائم من المجهول ، اذ تبلغ نسبتهن ٣٨٪ عند المتفرغات . وتهبط هذه النسبة الى ٣٠٪ عند العاملات . ورغم أن الام العاملة تشعر بالطمأنينة الاقتصادية أكثر من الأم المتفرغة ، فانه لا توجد فروق حاسمة تبين اختلاف نظرات العاملات والمتفرغات الى المستقبل ، والشعور بالخوف من المجهول ، او الايمان والتفاؤل بالمستقبل . لذا نرى أن هذا الخوف لا يرتبط باسباب اقتصادية ، ولكن النظرة التشاؤمية الى المستقبل كما عكستها تعليقات الامهات على هذا السؤال ترجع الى عوامل اجتماعية . كالخوف على علاقاتها بالزوج ، وتفكك العلاقات الاقتصادية (الأسرية) ، ومستقبل الاولاد التعليمى اهم ما يزعج المرأة ويقلقها . فعالم المجهول عند الأم عالم ضيق ينحصر فى عالم الاسرة ، ولا يمتد هذا الخوف الى أحداث المجتمع الخارجى . فالأم لا زالت تجهل ان احداث العالم الخارجى ، وما يحدث فيه من تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية

تؤثر فى علاقاتها الاسرية ، وتحدد مستقبل اولادها والمستوى المعيشى لافراد اسرتهــــا .

اما عن الانزعاج من تصرفات الناس فى المواقف المختلفة ، كمظهر من مظاهر التوتـــر والشدة ، فنجد أن نسبة اللاتى لا تزعجهن تصرفات الغير تبلغ ٢٥٪ من عدد المتفرغـات ، وترتفع نسبة العاملات اللاتى لا يضايقهن تصرفات الآخرين الى ٣٦٪ . وتظهر لنـــــا الاجابات التى حصلنا عليها أن عدد الامهات اللاتى ليس لديهن موقف واضح ثابت مـــن تصرفات الناس فيبلغ ٣٢٪ من عدد المتفرغات ، اما عند العاملات فتبلغ نسبتهن ٣٩ ٪ وتوضح لنا الاجابات على هذا السؤال ان ٤٢٪ من المتفرغات يتأثرن دائما بسلوك الآخريـن اذا لم يحظ برضاهن ، اما عدد العاملات اللاتى لا يقبلن أبدا افعال الناس التى تتعارض مع سلوكهن وتصرفاتهن فتبلغ ٢٥٪ من عدد المتفرغات .

وكان الهدف من السؤال " هل تغضبين بسرعة ، وتهدئين بسرعة " ؟ معرفة سلـوك الام اذا واجهت موقفا يثير الغضب والانفعال ، نتيجة الجهد النفسى الذى تعانيه الام . فنجد أن ما يقرب من ربع العاملات والمتفرغات رابطات الجأش ، ولا ينفعلن بسرعة ، ممـــا يدل على مقدرتهن على ضبط النفس ، ونلاحظ أن ١٥٪ من الامهات المتفرغات و ١٧٪ مـن الامهات العاملات ليس لديهن استقرار انفعالى واضح ، فاحيانا يغضبن بسرعة ، ولكـــن سرعان ما تهدأ اساريرهن ، وفى فترات اخرى يستطعن السيطرة على اعصابهن . أما الامهات اللاتى يعشن فى انفعالات مستمرة ، وقلما يستطعن السيطرة على أعصابهن ، اذ سرعان ما يغضبن بسرعة ، وسرعان ما تهدأ نفوسهن ، فنجد ان نسبتهن تبلغ ثلثى المتفرغات وما يقرب من نصف العاملات .

وكان الغرض من السؤال " ماذا تفعلين اذا بدأت حياتك من جديد ؟ " ادراك مدى شعور الامهات بالرضا ، اوعدم الرضا على نوع الحياة . فالشعور بالرضا تعبير عن الاستقرار النفسى والانسجام بين مطالب الشخصية والبناء الاجتماعى ، وتحقيق الحد الأقصى لاشـبـاع حاجات الشخصية وتقبول الواقع الاجتماعى ، اما عدم الرضا فدليل على التوتر النفسى وعــدم التكيف الاجتماعى ، والعجز عن تحقيق الحد الادنى من حاجات الشخصية . فتبين لنـــا الاجابات التى حصلنا عليها أن ٥٧٪ من المتفرغات ، وكذلك ٥٥٪ من العاملات راضيـات عن الواقع الذى يعشن فيه ، وتكشف لنا الاجابات أن ٤٣٪ من المتفرغات و ٤٥٪ مـــن العاملات يرفضن نوع الحياة الحاضرة ويتمنين حياة أخرى ، تغاير طريقة الحياة الحاضـــرة .

فبعضهن يتمنين التغيير فى نوع التعليم ، او اسلوب المعيشة او العلاقات الزواجية • وتكشف لنا الاجابات ان معظم المتفرغات المعترضات على الواقع الذى يرتبطان به ، يردن حياة أخرى يعوضن فيها الحرمان من التعليم • وشعور الأم بالتخلف عن التعليم يولد لديها شعورا بالنقص • ويؤكد هذا الرأى ان معظم تعليقات الامهات المتفرغات فى هذا العدد كانت تتلخص فى هذه العبارة " نود أن نتعلم " • وقد كشفت لنا الدراسة الميدانية أن تغييرا هاما بدأ فى بعض اسر الامهات المتفرغات ، اذ نجد مجموعة منهن بدأن يعوضن فترة الحرمان من التعليم ، بالانتساب الى معاهد التعليم المختلفة ، مما يدل على شدة الرغبة فى تغيير نوع الحياة عندهن • كذلك اظهرت لنا اجابات الامهات أن عدم الرضا عن مستوى معيشة الأسرة ، ومطالبتهن بمزيد من الرفاهية ، وتحسين الامكانيات المادية ، يولد القلق والتوتر عند الامهات العاملات والمتفرغات • وكانت معظم تعليقات الامهات اللاتى يعانين من التوتر او الصراع ، يعكسها التعليق الاتى " نريد مزيدا من الرفاهية " • وكان عدم الرضا عن العمل أحد المسببات الرئيسية التى تدفع الامهات العاملات الى تمنى حياة جديدة • وقد ظهر ذلك بصفة خاصة بين المدرسات • ويعكس لنا تمنى تغيير المهنة الاحساس بالكراهية للعمل • وهذا الشعور له أثره فى انتاج العاملات كما وكيفا ، كما ينعكس على علاقات الأم مع ابنائها وزوجها •

ويرى كاتل ان مدى الاستثارة فى الموقف يرتبط بالقلق • ومن ثم فلنا أن نقول مع كاتل ان الشخص القلق يميل دائما الى اصدار احكام قاسية • وفى دراستنا الميدانية حاولنا أن نعرف نوع الاحكام التى تصدر من الامهات فى موضوعين هامين ، يرتبطان بالاحداث الجارية فى المجتمع ، وتحليل اجابات الامهات لنستشف منها مدى احساس الامهات بالقلق والصراع •

وكان الموضوع الأول يتعلق باشتغال المرأة فى السياسة ، ودخولها انتخابات القواعد الشعبية فى الاتحاد الاشتراكى • وعرضت على الامهات تعليقات ثلاثة حول هذا الموضوع • احدهم يعكس حالة الهدوء النفسى التى تشعر بها الأم ، ويقول هذا التعليق "ان نجاح المرأة السياسى يعنى ثقة الرجل" • وقد نال هذا التعليق تأييد ٣٥٪ من المتفرغات وانخفضت هذه النسبة الى ١٧٪ عند العاملات • اما التعليق الذى يكشف عن القلق والتوتر على العلاقات الاسرية والسلبية نحو السياسة • ويقول هذا التعريف " هؤلاء النسوة سوف يقل اهتمامهن بأسرهن وسوف يصبحن كالرجال " • فنجد أن ١٥٪ من الامهات

المتفرغات يؤيدن هذا التعليق ، وكذلك ٥٪ من العاملات • ويؤيد قبول هؤلاء النسوة لهذا الحكم على العمل السياسى للمرأة ميل الامهات الى الهروب من العمل السياسى وعدم تبصرهن بقيمته ، أما التعليق الذى يدل على رجاء الامهات من تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ، وعلى مدى القلق والصراع الذى تعانيه الامهات فيقول " اننا نأمل من العضوات الجدد العمل على اصدار قوانين الاحوال الشخصية بخدمة المرأة العاملة ، وزيادة دور الحضانة " فنجد أن ٤٨٪ من المتفرغات و ٧٨٪ من العاملات يؤكدن هذا التعليق الذى يظهر مدى معاناة المرأة العاملة للقلق لعدم وجود دور حضانة تشرف على ابنها اثناء وجودها فى العمل ، وقلق الامهات العاملات والمتفرغات على المراهقات الزواجية •

وتدل التعليقات الاتية على الاتجاهات الاساسية التى تكشف عن مدى استثارة المرأة عند سماع خبر اشتغال النساء بالسياسة •

" انى فخورة بوجود النساء فى الاتحاد الاشتراكى "

" الست مش زى الراجل ••• الست ست "

" ضرورة تنظيم الطلاق ، والاهتمام بدور الحضانة "

اما مدى استثارة المرأة اذا سمعت خبرا ينادى بزيادة عدد ساعات العمل ساعة واحدة يوميا بدون أجر ، فنلاحظ ان ٤٩٪ من العاملات يؤيدن التعليق القائل بأن زيادة عدد ساعات العمل ضرورية لزيادة الانتاج ، وقد ايدت هذا التعليق ٤٠٪ من الامهات المتفرغات هذا الحكم • وقد كشفت لنا الاجابات أن ٣٤٪ من الامهات العاملات يؤيدن التعليق القائل بأن زيادة عدد ساعات العمل غير مجدية " ويسايرهن فى هذا التعليق ٩٪ من الامهات المتفرغات • ويعبر هذا التعليق عن السلبية والهروب من الموضوعية عند اصدار الاحكام • اما التعليق الأول والذى يعكس الارتباط به عن حالة قصوى من التوتر والصراع " فليمصوا دماء العاملين ••• " ، فنجد أن ١٧٪ من العاملات يؤيدن هذا التعليق ، ويتفق معهن فى الحكم ٦٪ من الامهات المتفرغات • وقد امتنعت ٤٥٪ من المتفرغات عن تأييد احد الاحكام ، وهذا يعبر لنا عن موقف اللامبالاة من الامهات المتفرغات عن ظروف العمل ومشكلاته •

وكانت معظم الاتجاهات الرئيسية لاجابات الامهات تعليقا على هذا الخبر تتلخص فى

الاقوال الاتيـــــة :

" لصالح الدولـــة "

" اذا كانت فى غير المصانع فهى لن تفيد "

" يا ريت على قدر ساعات العمل المحدد ة تنتج المرأة "

ورغم ان فرويد قد قرر ان القلق حالة تأثيرية يجربها الانا فقط ويشعر بها [1] ، فاننا نرى ان تجربة القلق التى يعانى منها المرء اثناء تفاعله فى مواقف التفاعل الاجتماعى فـــى الموقف تعكس حالة عدم الاستقرار الاجتماعى ، وعدم التكيف فى الموقف • وهذه التجربـــة محصلة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تكتنف البناء الاجتماعى ، تلـــك الظروف التى تتولد من عدم تكامل البناء نفسه ، وعجز البناء عن تحقيق الحد الاقصى لاشباع الحاجات الاساسية للشخصية • فتجربة القلق والتى يعبر عنها فى مظاهر متباينة تعكس نوعية القيم المتغيرة والصراع بين القيم الجديدة والقيم السائدة • كما ان تقبل القيم والمعايـــير المتغيرة يساعد على زيادة التوتر وحالات القلق عند الشخص ، ولما كانت المكانة الاجتماعيـــة للأم العاملة قد تغيرت ، كما انها استحدثت ادوارا جديدة فقد زادت فرص التوتر الوقـــتى عندها اكثر من زميلتها المتفرغة • ويؤكد هذا الرأى مجمل دراسة الاسئلة التى تتعلـــق بالقلق والتوتر عند الامهات العاملات والمتفرغات • اذ يكشف لنا مجمل دراسة جدول (١) عدم تباين عدد الامهات العاملات والمتفرغات اللاتى يعشن فى حالة استقرار نفسى هادئ ، ويكشف لنا استخدام اختبار (ت) عدم وجود فروق ذات دلالة بين العاملات والمتفرغـــات ازاء الاحساس بالتوافق النفسى فى الحياة اليومية ، اما عن الشعور بالوهن والتوتر فيكشـــف لنا هذا الاختبار عن وجود اختلاف اساسى بين العاملات والمتفرغات • فالعاملات أكثـــر شعورا بالوهن والتوتر الوقتى من المتفرغات • كذلك يؤكد لنا الاختبار نفسه عن وجـــود فروق ذات دلالة بين العاملات والمتفرغات ، فالمتفرغات يعانين حالات من الصراع الدائم اكثر من العامـــلات •

وقد حاولنا ان نختبر الفرض الذى وضعناه بأن حالات الصراع تتأثر بعدد الاولاد •

---

(١) Freud, Sigmund: Anxiety as motivation. In T. Parsons and others. Theories of Society. op. cit., P. 804.

جدول رقـــــــم (٢)

الصلة بين عدد الاولاد وحالة التوافق أو عدم التوافق النفســـــــــــى عند الامهـــات المتفرغـــات

فئة الاولاد	التوافق النفسي		التوتر الوقتي		التوتر الدائم	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
٢	٦٨	٢ر٣٦	٣٠	ر٩٠	٥٤	١ر٦٣
٣	١٣٢	١ر٩٨	٧٥	١ر١٣	١١٤	١ر٧٢
٤	١٦٥	٢ر٠٤	٨٤	١ر٠٢	١٤١	١ر٧٤
٥	٧٥	١ر٨٠	٥٤	١ر٣٠	٧٢	١ر٧٠
٦	١٠٨	٢ر١٣	٤٥	ر٩٢	٩٣	١ر٨٠
٧	٩	١ر٦٦	٩	ر٤٩	١٢	١ر٨٣
٨	٢٩	١ر٧٣	١٢	ر٧٩	٣٤	٢ر١٣
٩	٦	ر٦٦	١٢	٢ر٣٣	١٢	٢ر٠٠

جدول رقم (٣)

الصلة بين عدد الاولاد وحالة التوافق او عدم التوافق النفسي عند الامهات العاملات

فئة الاولاد	التوافق النفسي		التوافق الوقتي		التوتر الدائم	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
١	٦	٢ر١٦	٦	١ر٤٩	٣	١ر٢٣
٢	١٩٨	٢ر٢٦	١٢٦	١ر٤٤	١١١	١ر٢٨
٣	١٨٦	٢ر٦٥	١٥٩	١ر٣٦	٢٨٠	١ر٤٨
٤	١٢٠	١ر٩٨	٧٥	١ر٢٦	١٠٥	١ر٧٤
٥	٢١	١ر٧٤	٩	ر٦٦	٣٠	٢ر٥٨
٦	٣	١ر٠٠	٣	١ر٠٠	٩	٣ر٠٠
٧	١٢	١ر٩٩	١٢	٢ر٠٠	٦	ر٩٩

وقد بينت لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان درجات التوافق النفسى والتوتر الوقـــتى والتوتر الدائم تتباين باختلاف عدد الاولاد بيد أننا لا نجد ارتباطا طرديا بين الصراعـــات الوقتية او الصراعات الدائمة وعدد الاولاد ، ولا تكشف لنا هذه الدراسة عن وجود ارتبـــاط طردى بين الشعور بالاستقرار النفسى وعدد الاولاد .

وتكشف لنا هذه الدراسة لحالات التوافق النفسى والتوتر الوقتى والتوتر الدائم ان هذه الحالات لها مبرراتها الفعلية ، فالتوتر الوقتى والتوتر الدائم يعبر عن حالات من القلق حقيقية عند الامهات العاملات والمتفرغات ، فهى تعكس حالات التغير فى القيم والمعايير المتوحدة • فكل حالات القلق لها دافع حقيقى وليست مجرد حالات متوهمة •

والآن وبعد ان درسنا مظاهر الصراع الوقتى والدائم عند الامهات العاملات والمتفرغات نتقدم خطوة الى الامام ونعرض لحالات الصراع التى تعانى منها الامهات نتيجة تغير مكونات الدور •

ثانيا : الصراع بين مكونات الدور :

ان معاناة المرأة الصراع لا يقتصر على التعبيرات النفسية التى تعكس ما تعانيه المرأة من توتر وقلق ، لكن الصراع يبدو أكثر فى مواقف التفاعل ، اثناء التفاعل الاجتماعى فى المواقف ، باعتباره مظهرا للصراع الذى يتولد نتيجة الصدام الذى لا مفر منه مع العناصر الاجتماعية • ومن مظاهر الصراع الهامة هذا الصراع الذى يتولد نتيجة تغير مكونات الدور • فالعناصر المكونة للدور تبدو مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الوظائف المتطلبة من الدور فى المواقف المختلفة ، او اشكال السلوك المرتبطة بالدور • بيد ان العناصر المكونة للدور ، والتى تحدد السلوك اللازم فى الموقف ، هذه العناصر يحددها ويعرفها البناء الاجتماعى • ومن ثم فان تغير البناء الاجتماعى ، او تغير المركز نتيجة نمو الشخصية ، يصاحبهما تغير فى العناصر المكونة للدور • وهذا التغير فى عناصر الدور له تأثيره على سلوك الشخصية ، وادائها للافعال فى المواقف المتباينة • وترجع اهمية دراسة مكونات الدور الواحد والصراع بين هذه المكونات نتيجة التغير البنائى انها تعبر لنا عن الصراع بين القيم المتغيرة والسائدة التى تدخل فى تكوين مضمون الدور ، كذلك فهى تسهل لنا دراسة الارتباط العضوى بين الشخصية وبناء النسق الاجتماعى[1] ، حتى وان استلزمت هذه الدراسة ، تجريد دور الشخص الفاعل من النسق الكلى لادوار الشخصية •

وقد ادى التغير البنائى ، وتغير مكانة المرأة الاجتماعية واحتلالها مراكز اجتماعية جديدة ، تلك المراكز التى فرضت عليها واجبات جديدة • فقد ادى التغير البنائى الى

(1) Parsons, Talcott: Toward a theory of action ... op.cit P. 23.

مواجهة المرأة الى افكار جديدة ، ومقابلة انماط جديدة من السلوك لم تعرفها ، ولم تنشأ عليها فى طفولتها وصباها ، والى التوحد مع قيم جديدة قد تتعارض مع القيم التى توحدت بها من قبل • بيد ان التغير فى المكانة الاجتماعية للمرأة ، وتغير مكونات الدور التقليدية ليس امرا سهلا يسيرا ، اذ قصرت المرأة عن اداء الدور اداءا تاما حسب التوقعات البنائية السائدة ومواجهتها لمجموعة من الالتزامات البنائية التى لم تنشأ عليها ، وتنافر العناصر المكونة للدور ، مما يؤدى الى عجز المرأة عن اداء السلوك المرتبط بالدور على الوجه الاكمل ، وتعرضها لجزاءات سلبية • والمرأة المصرية فى مواقف التفاعل مع التغير فى مجتمع قد انتقل من مجتمع مستقر يتميز بالثبات والاستقرار الى مجتمع يتميز بعدم الاستقرار ، تواجه المرأة اثناء أدائها لادوارها ، حالات كثيرة يظهر فيها الصراع بين مكونات الدور الواحد ، ويولد هذا التنافر بين مكونات الدور لديها احساسا بالتوتر ، او عدم اداء التزامات كل دور على اكمل دور ، ولا يسم سلوك الدور بسمة معينة ، ولا يضفى على ادائها لونا محددا •

وحسب تصنيف بارسونز ، تصنف العناصر المكونة للدور الى العناصر الوجدانية والى العناصر الادائية النفعية ، وقد بين بارسونز ان العناصر الوجدانية تهدف الى تحقيق الاشباع المباشر فحسب ، وتحدد الاتجاهات العاطفية الثابتة وتمد الفرد بالحوافز النفسية الرئيسية الى اداء الدور اداءا ثابتا فى الموقف ، وان العناصر الادائية النفعية تهدف الى تحقيق الانجازات والاهداف والنشاط الايجابى • وهذه العناصر الوجدانية والادائية النفعية تنصهر معا من اجل تحديد السلوك الملائم للدور وتنظيمه ، بيد أن هذه العناصر لا تدخل فى تكوين الادوار كلها بنسب متكافئة ، ولكنها تتفاوت من دور لدور ، والعنصر الغالب فى تكوين الدور يحدد نوعية وطبيعة الدور •

وفى فترات التغير البنائى لم تكن العناصر المكونة لكل دور بمنأى عن تأثير التغير ، واصبحت العناصر التى تحدد السلوك المرتبط بكل دور ، وتوقعات الادوار عناصر غير ثابتة ، وغير مستقرة • يكشف عن ذلك تفاوت سلوك الدور من موقف لموقف ، والهوة بين السلوك الذى يؤديه المرء والسلوك الذى تفرضه التزامات الدور ، وعدم التزام المرء بالتوقعات المطلوبة منه عند اداء دور معين ، بل تتباين هذه التوقعات من موقف لموقف عند اداء نفس الدور •

وفى دراستنا الميدانية حاولنا ان نبرز ادوار كل من الأمومة والزوجية والعمل عن نسق الادوار ، لنعرف مدى الصراع الذى تعانيه الأم بين مكونات كل دور لاختبار الفرض

القائل ان عناصر الدور المتغيرة تولد عن الامهات شعورا بالمعاناة نتيجة تضارب العناصر المكونة للدور، وعدم الانسجام بينها ، وتنعكس هذه المعاناة على اداء الامهات للسلوك المناسب فى الموقف لصعوبة تحديدهن للتوقعات المطلوبة فى كل موقف • وسنحاول فى البداية أن نختبر درجة التوافق بين مكونات دور الامُ ، ثم نختبر درجة التكامل بين عناصر دور الزوجة ، وأخيرا الدور المهنى •

١ـ دور الامُ :

ان احساس الامُ بالصراع بين المكونات الاجتماعية المكونة لدور الامُ والتنافر بين هذه المكونات عند الام العاملة والمتفرغة يولد عند الامُ نوعا من القلق والحيرة والارتباك ، وعدم الالتزام بالتوقعات المطلوبة منها فى المواقف المتماثلة ، نتيجة عدم ثبات المعايير التى تحدد سلوك الدور المناسب ، التى تهتم اشباع حاجات الامومة ، وتحقيق الاشباعات النفسية والاجتماعية والبيولوجية للأولاد • ولاختبار هذا الفرض واجهنا الامهات المتفرغات والعاملات بخمسة مواقف •

جدول رقم (٤)

التنافر بين عناصر دور الامُ عند الامهات المتفرغات والعاملات

العنصر	الادائي		الوجداني		عناصر متشابهات	
عدد المواقف / الموقف	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات
١ـ سلوك الام عند خطأ الابن	٢٠	٢٦	٢٢	٣٢	٣٧	٤١
٢ـ الامومة بين الرضاعة الصناعية والطبيعية	٧	٧	٦٨	٥٣	٢٥	٤٠
٣ـ الامومة وامور البيت	٥٧	٥٤	٢٧	٨	١٦	٣٨
٤ـ الامومة وانانية الطفل	٦٢	٦٨	٢١	١٥	١٧	١٧
٥ـ الامومة وتصرفات الاولاد	٤٤	٥٦	٣٩	١٨	١٧	٢٦
م	٢ر٠٠	٢ر١١	١ر٨٨	١ر٢٧	١ر١٢	١ر٦٢
م٢	٥ر٣٤	٥ر٩٥	٤ر٧٠	٢ر٥٣	٢ر٠٦	٤ر١٤
الانحراف المعيارى	١ر١٥	١ر٢٢	١ر٠٧	ر٩٥	ر٨٩	١ر٢٣
ت	ر٦٤		٤ر٢٠		٣ر٢٦	

تبين لنا دراسة مجموعة هذه المواقف ، ان الام العاملة او المتفرغة اذا واجهت موقفا يرتكب فيه ابنها خطأ فى بيت صديقة لها فاننا لا نجد خطا واضحا يحدد السلوك المناسب لدور الام ، عاملة او متفرغة • فنجد ٣٢٪ من الامهات المتفرغات والعاملات يؤكدن أهمية تحقيق عاطفة الامومة ويواجهن الامر دون اهتمام • ونجد ان الامهات اللاتى يحكم تصرفهن العنصر الادائى ، ويتصرفن تصرفا عمليا ، ويتحملن فيه مسئولية تصرفات الابن فتبلغ نسبتهن ٣٠٪ من المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٢٦٪ عند العاملات • وتلاحظ أن ٣٧٪ من المتفرغات يعانين من التضارب بين العناصر الادائية النفسية والعناصر الوجدانية فى هذا الموقف ، ويشعرن بالارتباك والتوتر والضيق ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٤١ ٪• ويوضح لنا هذا الموقف أن الام العاملة اكثر احساسا بالتنافر بين مكونات دور الام، اذا ما بدر من ابنها سلوك شاذ خارج البيت ، ويبدو جليا عجزها عن تحديد السلوك المناسب منها فى الموقف نفسه اذا ما تكرر مرة اخرى •

ويكشف لنا الموقف الثانى سلوك الام اذا ما واجهت موقفا من مواقف الامومة الخالصة ، والذى تمارس فيه وظائفها الاساسية فى الحياة • ويتعلق هذا الموقف برأيها فى ابداء النصيحة الى ام تهفى منع الرضاعة عن ابنها • وتظهر لنا اجابات هذا الموقف أن ٧٪ فقط من العاملات ومثلهن من المتفرغات يحكم سلوكهن العنصر الادائى النفعى فى دور الام ، وينظرن الى هدف الرضاعة وأهميتها بالنسبة الى الطفل والام• ويبين لنا الجدول رقم (٤) ان نسبة المتفرغات اللاتى يحاولن اشباع عاطفة الامومة اشباعا دائما تبلغ ٦٨٪ عندهن ، وتنخفض هذه النسبة عند الامهات العاملات الى ٥٣٪ • وتظهر لنا الاجابات ان حوالى ربع الامهات المتفرغات يقفن فى مواقف الارتباك والتوتر من جراء اصطدام العناصر الوجدانية لدور الام التى تؤكد اهمية الرضاعة الطبيعية للطفل واهمية الثدى له مع العناصر الادائية النفسية التى تؤكد فائدة الرضاعة الصناعية وامكانية الاستغناء عن الرضاعة الطبيعية ، ويقفن مواقف التردد بين ارضاع الطفل صناعيا أو طبيعيا • وترتفع هذه النسبة الى ٤٠٪ عند الامهات العاملات • وتكشف لنا هذه البيانات ان امهات عاملات كثيرات يقفن مواقف التردد بين تأكيد الوظيفة الاولى للام التى تهفى ارضاع الطفل من ثديها ، وبين ارضاع الطفل طعاما صناعيا نتيجة غيابها ساعات طويلة عن البيت • تظهر لنا الامثلة الاتية من الاجابات سلوك الام المفضل فى هذا الموقف والتى تكشف عن العناصر التى تحكم سلوك الام المتفرغة

او العاملـة •

- " ام حانية تعطى للطفل حنان الام " — ام متفرغـة
- " الرضاعة رسالة الام الاولـى " — أم عاملـة
- " المرأة العاملة لازم ترضع ابنها رضاعة صناعية" — أم عاملة

وتكشف لنا هذه التعليقات عن وجود اتجاه قوى يرى ان عملية الرضاعة ليست مجرد عملية تهفي اشباع الحاجات الفسيولوجية عند الطفل، بقدر ما هى عملية نفسية اجتماعيـة• فالأم الرؤوم على ابنها لها تأثير مخالف عن تأثير الأم القلقة ، وهذا التأثير يبدو كثيرا فى فترة الرضاعة ، وله اثره فى ارتباط الطفل بالأم الحنون • وتكشف لنا هذه التعليقات السائدة ان فئة من العاملات تؤمن بأهمية الرضاعة الصناعية لتعويض الطفل عن عملية الرضاعة الطبيعية وفئة اخرى تؤمن بان رسالة الأم الاولى هى ارضاع الطفل رضاعة طبيعية •

ويكشف لنا الموقف الثالث اذا واجهت الأم تصرفا من ابنها اثناء انشغالها باعمـال المنزل ان ما ينوف عن نصف العاملات والمتفرغات يحكم سلوكهن فى هذا الموقف العنصـر الاداتى النفعى لدور الأم الذى يرمى الى ضرورة اعتماد الابن على نفسه ، والاستقلال عـن امـه• وتبلغ نسبة الامهات المتفرغات اللاتى يغلب على سلوكهن عاطفة الأمومة والحنـان الزائد اكثر من الاهتمام بتدريب الطفل الاعتماد على نفسه ٢٧٪ من عدد الامهـات المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٨٪ عند الامهات العاملات • وتبين لنا اجابـات الامهات فى هذا الموقف ان عدد الامهات المتفرغات اللاتى يعانين من التنافر بين العناصر الوجدانية والاداتية ازاء تعويد الطفل الاعتماد على نفسه ، او الحنان الزائد عليه يبلـغ ١٦٪ من عدد الامهات المتفرغات ، وترتفع الى ٣٢٪ من عدد الامهات العاملات •ويظهـر لنا هذا الموقف ان العاملات اكثر حيرة واكثر معاناة للتضارب بين العناصر العملية النفعيـة التى تهفى المصلحة العليا وتحقيق الهدف الأول من التربية ، وبين العناصر الوجدانية التى تهفى اشباع عاطفة الامومة ، وتأكيد الناحية العاطفية فى سلوكها • كما يوضح لنا ان العنصر الوجدانى اكثر ضمورا عند الامهات العاملات فى المسائل التى تتعلق بتكوين قيم الاستقـلال والاعتماد على النفس عند الطفل •

اما فى الموقف الرابع الذى تواجه فيه الأم تصرفا من الطفل يظهر فيه نزعته الى الانانيـة

وفرض رغبته على الام ، واستخدامه البكاء سلاحا لتحقيق رغبته . فان اجابات الامهات تبين لنا ان ٦٢٪ من المتفرغات يرفضن هذا السلوك من الام ، ويحكمن العناصر التى تؤكد السلوك العملى والايثارى ، ويرين انه من الضرورى تعويد الطفل ان يبرر تصرفاته ، وان يقنع الآخرين برغباته . وترتفع نسبة الامهات اللاتى يحتضن عنصر الاداء النفسى عند الطفل ورغباته التى لا حد بها الى ٦٨٪ من عدد العاملات . فالعاملات دائما اكثر تأكيد للعنصر الادائى فى مثل هذا الموقف من الامهات المتفرغات ، اذ تكشف لنا الاجابات ان ٢١٪ من الامهات المتفرغات يحكم سلوكهن العنصر العاطفى الوجدانى ، ويحاولن اشباع عاطفة الامومة التى تخشى من بكاء الابن ، دون اهتمام بالاهداف التربوية فى هذا الموقف ، وتنخفض نسبة العاملات اللاتى تحكمن العاطفة الى ١٥٪ عند الامهات العاملات . وتبين لنا دراسة هذا الموقف ان ١٧٪ من عدد المتفرغات والعاملات يستجبن لرغبة الطفل ، ويسلمن بالامر الواقع . ولاشك ان التسليم بالامر الواقع تعبير عن معاناة الام بالتوتر فى مثل هذا الموقف ، وعن عجز فى اتخاذ قرارات تحكمها العناصر الوجدانية او الادائية .

واذا ما تعرضت الام لموقف يرتبط بخلافات الاولاد المنزلية سويا فنجد ٣٩٪ من الامهات المتفرغات يحكم سلوكهن العنصر الوجدانى لسلوك الام ، ويتسم الموقف بمناخ وجدانى خالص ، وتخشى الام الالتجاء الى الاب ، لما عرف عنه من قسوة وخوفا من اثارة مشكلات قد تنقلب ضدها ، وتنخفض هذه النسبة عند العاملات الى ١٨٪ . وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان نسبة الامهات اللاتى ينظرن الى اهداف تربية الاولاد ، وضرورة الوصول الى حل مقنع فى توجيه سلوك الاولاد ، وضرورة مشاركة الاب مع الام فى توجيه سلوك الاولاد ، فتبلغ نسبة هؤلاء عند الامهات المتفرغات ٤٤٪ ، وترتفع الى ما يزيد عن النصف عند الامهات العاملات . اما الامهات اللاتى يعانين من التوتر والانفعال والهياج النفسى نتيجة لصراع مكونات دور الام باعتبار هذا الانفعال من مظاهر عدم التوفيق فى اداء السلوك الناجح فى دور الام ، ونتيجة لتنافر العناصر الادائية والوجدانية التى تكون سلوك الدور المناسب فى هذا الموقف ، فنجد ان نسبة هؤلاء من المتفرغات تبلغ ١٧٪ ، وترتفع هذه النسبة الى ما يقرب من الربع عند العاملات .

وقد حاولنا استخدام اختبار (ت) لدراسة مدى التفاوت والتباين بين العناصر المكونة لدور الام المتفرغة والعاملة ، ومعرفة مدى التباعد والتنافر بين هذه العناصر . وتبين لنا مجمل

دراسة مواقف دور الام المبينة فى جدول (٤) ، انه توجد فروق جوهرية بين العناصر التى تحكم سلوك الام المتفرغة وسلوك الام العاملة ، وان المتفرغات اكثر قبولا للعناصر الوجدانية من العاملات • ويكشف لنا هذا الجدول انه لا توجد فروق هامة ازاء تأكيد العناصر التى تتطلب الانجاز والاداء فى توجيه سلوك دور الام ، اذ ان سمة دور الام الاساسية هى السمة الوجدانية • بيد ان اختبار (ت) يظهر لنا ان المرأة العاملة اكثر احساسا بالتنافر والصراع بين مكونات دور الام • فهى اكثر توحدا مع عناصر متشابهات تكون محتوى دور الام ، ومن ثم اكثر شعورا بالحيرة والارتباك عند ادائها لدور الام من الام المتفرغة •

ونرى ان السلوك الطبيعى لدور الام ، والخالى من الصراع يعكس لنا حساسية الام الى حاجات الطفل ، والرضا الطبيعى لامومتها مما يساعد على توحد الطفل مع المعايير المحكمة واساليب السلوك الثابتة التى توجهه لها الام • كما ان اداء الام لدورها وتحقيق السلوك المرتبط بدور الام يخضع للمطالب الوظيفية للنسق الاجتماعى ، ويتأثر بالظروف العامة التى تحيط بالبناء ، ومن ثم فالصراع والتنافر بين مكونات دور الام يتولد كمحصلة لعدم اشباع حاجات الامومة عند الامهات العاملات والمتفرغات ، وشعورهن بعدم التوفيق فى ادائهن لادوارهن فى الفترة الآنية ، وعدم توافق حاجات ومستلزمات الامومة مع المطالب الاجتماعية للنسق ، وبدون تحقيق هذا التوافق فلن تستطيع الام اداء دورها خير اداء ، وستشعر دوما بالتنافر بين مكونات دور الامومة والحيرة والارتباك ، وسيعجز الابن عن تحديد توقعاته منها فى كل موقف ، اذ ستتغير هذه التوقعات من موقف الى آخر ، مما يدفعه الى التوحد مع قيم واساليب للسلوك متشابهات ، كما ان هؤلاء الامهات لن يؤدين كل ما يتطلبه دور الامومة من التزامات فى كل المواقف •

اما عن العلاقة بين محتوى دور الام وعدد الاولاد ، والتى اكدها تالكوت بارسونز ، والعلاقة الطردية بين عدد الاولاد وحالات الصراع نتيجة التنافر بين مكونات دور الام ، والتى حاول البحث الميدانى اختبارها كما هو مبين فى جدول رقم (٥) و (٦) •

جدول رقم (٥)

العلاقة بين عدد الاولاد ومكونات دور الام عند
الامهات المتفرغات

فئة الاولاد	العناصر الادائية		العناصر الوجدانية		عناصر متشابهات	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
٢	١٨	١ر٦٣	٢٢	٢ر٠٠	١٥	١ر٣٦
٣	٤٣	١ر٩٥	٣٩	١ر٧٧	٢٨	١ر٢٧
٤	٥٧	٢ر١١	٥١	١ر٨٨	٢٧	١ر٠٠
٥	٢٥	٢ر٥٠	١٩	١ر٣٥	١٦	١ر١٤
٦	٢٩	١ر٧٠	٣٨	٢ر٢٣	١٨	١ر٠٥
٧	٧	٣ر٥٠	٢	١ر٠٠	١	ر٥٠
٨	١١	٢ر٢٠	١٠	٢ر٠٠	٤	ر٨٠
٩	—	—	٧	٣ر٥٠	٣	١ر٥٠

جدول رقم (٦)

العلاقة بين عدد الاولاد ومكونات دور الام عند
الامهات العاملات

فئة الاولاد	العناصر الادائية		العناصر الوجدانية		عناصر متشابهات	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
١	٧	٣ر٥٠	٣	١ر٥٠	—	—
٢	٥٧	١ر٩٦	٤٢	١ر٤٤	٤٦	١ر٥٨
٣	٩٧	٢ر٢٠	٤٨	١ر١٤	٦٥	١ر٥٤
٤	٣٩	١ر٩٥	٢٣	١ر١٥	٣٨	١ر٩٠
٥	٧	١ر٧٥	٥	١ر٦٥	٨	٢ر٠٠
٦	٢	٢ر٠٠	—	—	٣	٣ر٠٠
٧	٢	١ر٠٠	٦	٣ر٠٠	٢	١ر٠٠

ويبين لنا جدولى (٥) و (٦) ان العناصر المكونة لدور الام تتغير باختلاف عدد

الاولاد • ولا تظهر لنا هذه الدراسة عن وجود ارتباط طردى بين عدد الاولاد والتوتر والحيرة والصراع الذى تعانى هذه الامهات نتيجة التنافر بين مكونات دور الامْ • بيد أن التحليل الاحصائى قد اثبت لنا عدم وجود علاقة بين عدد الاولاد وحالات الصراع التى تعانى منها الامهات المتفرغات نتيجة تنافر مكونات وتشابه العناصر المكونة لدور الامْ (ر = ١١٧ر٠) وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى وجود علاقة بين عدد الاولاد وحالات الصراع التى تعانى منها الامهات العاملات نتيجة تشابه العناصر المكونة لدور الامْ • (ر = ٤٧٦ر٠)

وقد حاولنا ايضا ان نختبر رأى بارسونز أن المهنة لها اثرها فى تحديد مكونات الدور وان هذه العناصر تتغير من مهنة الى أخرى وان الامهات العاملات فى المهن القيادية اكثر شعورا بالتنافر بين مكونات دور الامْ • وقد كشف لنا البحث ان العاملات فى المهن القيادية لا يشعرن بالصراع بين مكونات دور الام اكثر من غيرهن كما هو موضح بالجدول رقم (٧) •

جدول رقم (٧)

العلاقة بين المهنة ومكونات دور الام

المهنة	العناصر الاداتية		العناصر الوجدانية		عناصر متشابهات	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
الصناعية	٢	٣ر٠٠	١	١ر٠٠	١	١ر٠٠
التدريس	١٢٤	١ر٨٢	٧٨	١ر٢٢	١١٨	١ر٩٠
العلاجية	١٨	٢ر٠٠	١٤	١ر٥٠	١٣	ر٥٠
الادارية	٣٨	٢ر٧١	١٥	١ر٠٧	١٧	١ر٢١
القيادية	٤٠	٢ر٨٤	١٨	١ر٣٠	١٢	ر٨٤

ويتضح لنا من الجدول السابق ان العاملات فى التدريس اكثر الامهات احساسا بالتنافر بين العناصر الوجدانية والاداتية المكونة لدور الامْ ، واكثر توحدا مع عناصر متشابهات تحكم السلوك المرتبط بدور الام • فالعاملات فى التدريس اكثر الامهات شعورا بالتوتر والحيرة عند اداء السلوك المرتبط بدور الامْ • وبذا ثبت لنا عدم صحة رأى بارسونز بان العاملات فى المهن القيادية يعانين اكثر من غيرهن الصراع بين مكونات الدور •

ولم تقتصر دراستنا على دراسة المواقف التى يظهر فيها الصراع بين مكونات دور الامْ ،

او الصلة بين عدد الاولاد وحالات الصراع ، بل حاولنا ان نعرف السمة الغالبة على سلوك دور الامْ فى المواقف المختلفة ، والتزامها بتوقعات معينة لا تتغير فى كل المواقف ، كما هو مبين بالجدول التالى : جدول رقم (٨)

جدول يبين مدى تجمع او تشتت العناصر المكونة لدور الام عند الامهات العاملات والمتفرغات

العنصر الغالب	امهات متفرغات			امهات عاملات		
التكرار	العنصر الادائى	العنصر الوجدانى	عناصر متشابهات	العنصر الادائى	العنصر الوجدانى	عناصر متشابهات
لا يوجد	١١	٧	٢٤	١٠	٢٠	٢١
مرة	٢٦	٣٤	٤٩	٢٤	٤٧	٣٠
مرتان	٢٢	٣٢	٢٠	٢٥	٢١	٢٣
ثلاث مرات	٣٢	١٩	٥	٢٩	١٠	١٩
اربع مرات	٨	٧	٢	١٠	٢	٦
خمس مرات	٠	١	٠	٢	٠	١
	كا٢ = ١٤٧ر٠٦٦٣			كا٢ = ٢٩٨ر٣٤٢٦		

تكشف لنا البيانات الموضحة فى الجدول رقم (٨) ان الشعور بالقلق والصراع والتوتر بين العناصر المكونة لدور الام ، شعور عادى طبيعى • فنجد أن ٢٤٪ من الامهات المتفرغات وخمس الامهات العاملات لا يشعرن البتة بالتوتر نتيجة التضارب بين عناصر دور الام • ولا نجد الا اما عاملة واحدة تعانى من التوتر الدائم نتيجة التضارب المستمر بين العناصر المكونة لدور الامْ • ويكشف لنا نفس الجدول ان الامهات لا يؤدين كل ما يتطلبه دور الام من التزامات مطلوبة منهن فى كل المواقف ، ولا يلتزمن بتوقعات معينة عند اداء دور الام باستمرار • ويظهر لنا الجدول السابق ان العناصر الوجدانية لم تعد العناصر الوحيدة التى تحكم سلوك دور الام العاملة او الام المتفرغة ، وان كان هذا العنصر هو العنصر الغالب على اداء دور الامْ عند المتفرغات اكثر من العاملات • كما يبين لنا هذا الجدول ان العاملة اكثر حيرة وتشتتا بين العناصر الادائية والوجدانية ، واكثر شعورا بالتنافر بينهما فى معظم الاوقات •

وبعد هذه الدراسة لمكونات دور الأم ، والتي تبين لنا منها ان الامهات العاملات اكثر شعورا بالتنافر بين مكونات دور الام من الامهات المتفرغات ، وان السمة الغالبة على اداء الام لدورها هي السمة الوجدانية ، وانه لا توجد رابطة طردية بين حالات الصراع وعدد الاولاد ، عند الامهات المتفرغات والعاملات ، وان شعور الام المتفرغة بالتنافر بين مكونات دور لا يرتبط باختلاف عدد الاولاد ، وكذلك تغاير التوقعات المنتظرة للام من موقف لموقف ، ننتقل الى دراسة مكونات دور الزوجة عند العاملات والمتفرغات .

٢ـ دور الزوجة :

ادى التغير البنائى الى تغير مكونات دور الزوجة ، والى تغير علاقات الزوجة مع زوجها ، وتغير مركزها في الاسرة . وبدأت تنمو في المجتمع معايير وقيم جديدة تحكم سلوك الزوجة ، وصارت هذه المعايير الجديدة تحكم علاقات الزوجة مع زوجها ، وتحاول ان تزيح القيم والمعايير المتوارثة لتحل محلها . وصارت الزوجة تخضع في توجيهها لسلوكها لعناصر متغيرة وعناصر سائدة .

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية ان نعرف السمة الغالبة على دور الزوجة العاملة او المتفرغة ، ومدى شعور الزوجة المتفرغة او العاملة اثناء ادائها لدورها بالتوافق بين العناصر المكونة لدورها ، او التنافر بينهما ، ومن ثم شعورها بالحيرة والارتباك . ولذا توجهنا الى الزوجات العاملات او المتفرغات بخمسة مواقف ، لنختبر السمة المميزة لسلوك الزوجة ، ومدى التوافق بين العناصر المكونة لدور الزوجة ، والتي تحكم علاقاتها مع زوجها .

جدول رقم (٩)

السمة الغالبة على السلوك المرتبط بدور الزوجة
ومدى التوفيق بين العناصر المكونة لدور الزوجة عند العاملات والمتفرغات

العنصر	الاداتي		الوجداني		عناصر متشابهات	
الموقف / عدد المواقف	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات	متفرغات	عاملات
١ـ احترام رأى الزوج	٢٣	٣٤	٦٢	٤٦	١٥	٢٠
٢ـ تدخل الزوج فى شئون الزوجة	٢٠	٢١	٤٠	٢٩	٤٠	٥٠
٣ـ طريقة المناقشة مع الزوج	٤٨	٦٥	٣٦	١٣	١٦	٢٢
٤ـ المشاركة فى اعمال البيت	٣٢	٦٥	٥٣	١٩	١٤	١٦
٥ـ الحكم على العلاقات الزواجية	١٦	١٦	٧٠	٧٥	١٤	٩
م	١ر٤٠	٢ر٠١	٢ر٦١	١ر٨٢	ر٩٩	١ر١٧
م٢	٢ر١٤	٥ر١١	٨ر٢٧	٤ر٤٤	٢ر٢٣	٢ر٨٥
الانحراف المعيارى	١ر٠٨	١ر٠٣	١ر٢٠	١ر٠٦	١ر١١	١ر١٦
ت	٤ر٠٤		٤ر٨٨		١ر٠٨	

فاذا ما قابلت الزوجة موقفا عليها ان تبدى مدى ارتباطها بزوجها ، ومدى مقدرتها على التصرف بعيدا عن الزوج ، ازاء اتفاق تم بينهما ، وحكم عليها ان تختار فى هذا الموقف بين العناصر الاداتية كعناصر متغيرة تبغى المصلحة العامة ، والعناصر الوجدانية التى تشبع عواطفها كزوجة ، وتؤكد احترام الزوج •

فتبين لنا الدراسة الميدانية لهذا الموقف ان نسبة الامهات المتفرغات اللاتى يسيطر على سلوكهن فى هذا الموقف العنصر الاداتى النامى ، يتصرفن تصرفا عمليا حسب اغراض الموقف والمصلحة العليا تبلغ ٢٣٪ ، وترتفع هذه النسبة الى ٣٤٪ عند الامهات العاملات • وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ٦٢٪ من الزوجات المتفرغات يحكم سلوكهن وادائهن فى الموقف العناصر الوجدانية ، هذه العناصر التى تؤكد أهمية طاعة الزوج والاحترام المطلق لرغباته ، اما عند الزوجات العاملات فقد نجد هذه النسبة الى ٤٦٪ • وتظهر لنا الدراسة ان نسبة الزوجات المتفرغات اللاتى يشعرن بالحيرة والارتباك

نتيجة تنافر المعايير الوجدانية والاداتية للزوجة فى هذا الموقف فتبلغ ١٥٪ من عـــدد المتفرغات ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٢٠٪ •

وقد اظهر التعليق الآتى " الزوج له الكلمة الاولى فى البيت " اسباب اختيار الزوجة المتفرغة للسلوك المرتبط بالعناصر الوجدانية فى مثل هذا الموقف • ويكشف لنا هذا التعليق اعتراف الزوجة المتفرغة ان الزوج هو صاحب الكلمة الاولى داخل الاسرة ، والمصـــرف لامورها ، وانه " ولى النعمة " كما قالت احداهن • وهذا الشعور بمكانة الزوج عنـــد الزوجة المتفرغة قد بدأ فى الضمور فى أسر النساء العاملات • واصبحت الزوجة العاملـــة تشارك الزوج فى تحمل الاعباء الاقتصادية للاسرة ، واختفت صورة الطاعة التقليدية للزوج ، والتى تعنى فى مضمونها الخضوع له باعتباره المورد الوحيد لدخل الاسرة ، وحلت محلهـــا صورة جديدة تعبر عن الاحترام المتبادل •

واذا ما قابلت الزوجة موقفا يحتدم فيه الخلاف مع الزوج بشأن امر من الأمور الشخصية، والتى تتعلق بشئونها الخاصة ، فان ادائها لدورها كزوجة يختلف • وتكشف لنا الدراسة ان حوالى خمس المتفرغات والعاملات يتصرفن تصرفا عمليا ، ويحاولن ان يبحثن عـــن الهدف من وراء غضب الزوج ، ويبغين الوصول الى حل موفق يرضى الزوجين • وتكشف لنـــا الدراسة ان نسبة الزوجات اللاتى يحققن العاطفة الزواجية التقليدية ، تلك العاطفة الـــتى تمدها بالحوافز الرئيسية الى ادائها دورها باعتبارها زوجة ، ولمنع تفجير الخلافات ، فتبلغ حوالى ٤٠٪ من عدد المتفرغات ، وتنخفض هذه النسبة عند العاملات الى ٢٩٪ • ويكشف لنا هذا الاتجاه على الناحية الوجدانية ان المتفرغات اكثر لجوءا الى العنصر الوجدانـــى فى الخلافات الزواجية من العاملات • وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن تدخل الزوج فى شئون زوجته الخاصة من اكثر المواقف اثارة للخلافات الزواجية • وتبين لنا الدراســـة الميدانية ان حوالى ٤٠٪ من عدد المتفرغات ينفعلن عند تدخل الزوج فى الأمور الشخصية ، وترتفع هذه النسبة حتى تبلغ نصف العاملات • فالعاملات اكثر تصلبا فى الرأى مع الـــزوج امام المسائل التى تتعلق بعلاقاتهن مع الغير • وتبين لنا دراسة هذا الموقف ان احساس المرأة بالصراع بين العناصر المكونة لدور الزوجة ، والاحساس بالحيرة والانفعال بـين أداء السلوك الذى يؤكد التعاطف ، واداء السلوك الذى يؤكد الحرية الشخصية ، هذا الصـــراع يتضح اكثر ما يتضح اذا ما تدخل الزوج فى امور تعتقد الزوجة انها تخصها ، وهذا الانفصال

ليس الا محاولة من المرأة لتأكيد مساواتها بالرجل ، ومكانتها الجديدة المستقلة عن الزوج •

وتبين مجموعة الآراء التى قالت بها الزوجات الاسباب الكامنة لتأكيد مكانة الزوج ، او الاحترام بينهما •

وقالت احدى العاملات " الرجل عقليته مش جدى ، ولا ينظر الى المرأة الا كامرأة ، وهو ينظر الى نفسه كرجل ، واذا اعطيناه السلطة التقليدية تمادى وطلب المزيد من الخضوع " •

وقالت زوجة عاملة أخرى " الرجل لا يعطى المرأة الحرية ، ويبخل عليها حتى بالراحة " •

اما الزوجات المتفرغات فقالت احداهن " الاحترام اهم" ، وقالت اخرى " الزوج شديد " •

وتوضح لنا هذه الاجابات والتعليقات والتى تدور حولها معظم اجابات الزوجات، مدى التباين فى اداء المرأة لدورها كزوجة ، فمجموعة من الزوجات المتفرغات يخضعن تماما فى اداءهن للزوج خشية شدته ، او ضرورة احترام كلمته ، ومجموعة اخرى من العاملات تعانى من الاضطراب بين حريتها الاقتصادية وبين مشاركتها للرجل فى تحمل اعباء الاسرة ، وتقتير الزوج عليها بالحقوق الاجتماعية •

واذا واجهت الزوجة موقفا تناقش فيه الزوج فى ميزانية البيت او المسائل التى تتعلق بسلوك الاولاد ، فان الاجابات التى حصلنا عليها تبين ان نسبة الامهات اللاتى يتحكم العنصر الوجدانى فى سلوكهن ويدركن اهمية الاحترام للزوج ، وتحقيق الاشباع العاطفى لها كزوجة مطيعة تبلغ ٣٦٪ من الامهات المتفرغات ، اما عند الزوجات العاملات فتنخفض هذه النسبة الى ١٣٪ • وتظهر لنا الاجابات ان نسبة الزوجات المتفرغات اللاتى يحاولن تأكيد العنصر الاداتى ، والوصول الى اتفاق مع الزوج لحل المشكلات المادية ، وتدبير امور الاولاد ، فتبلغ النسبة ٤٨٪ عند الزوجات المتفرغات ، وترتفع هذه النسبة الى ٦٥ ٪ عند العاملات • ويفسر لنا ذلك ان شعور الزوجة العاملة باشتراكها مع الزوج فى تدبير ميزانية البيت يجعلها اكثر تمسكا بحقها فى التفاهم معه فى حل المستويات التى تواجه الزوجين • وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان نسبة النساء اللاتى يشكون من تسلط الرجل وقبول سياسة الامر الواقع التى يفرضها الزوج ، تلك الشكوى التى تعبر عن المشاعر

الكامنة للصراع بين القيم الجديدة التي تؤكد تفاهم الزوجين والقيم التقليدية التي تؤكد تسلط الزوج ، مما يولد لديهن الشعور بالخوف والوهن لعجزهن عن اختيار الحل الموفق الذي يحكم سلوكهن في الموقف • فتبلغ هذه النسبة ١٦٪ بين المتفرغات ، اما عند العاملات فترتفع هذه النسبة الى ٢٢٪ • ويرد ارتفاع هذه النسبة بين العاملات الى عجز هؤلاء اكثر من غيرهن في التوفيق بين العناصر التقليدية والعناصر النامية •

وتكشف لنا اجابات الزوجات المتفرغات والتي تتبلور فيما يلي :

- " احترام رأيه ، رغبة في بقاء شمل الاسرة " •
- " اذا لم احترم رأية فلن اشعر انني سيدة "

وتكشف لنا هذه الاجابات ان المعايير المتوارثة عن علاقات الزوجة بزوجها والتي تعني الخضوع والسيطرة لانه العائل الوحيد ، لا زالت هذه المعايير سائدة عند بعض الزوجات ، وتحكم سلوكهن اثناء تفاعلهن مع الزوج • بيد الاتجاه الغالب هو عدم الرضا عن تحكم السلطة التقليدية للرجل ومحاولته بسط نفوذه على الزوجة ، والتمرد على الدور التقليدي للزوج باعتباره صاحب الامر والنهي داخل الاسرة عامة ، وعلى زوجته خاصة •

واذا واجهت الزوجة موقفا تثار فيه الدعوة الى مشاركة الزوج لزوجته في تحمل اعباء المنزل ، ومساهمته للزوجة في تدبير شئون المنزل ، فاننا نجد اختلافا في الموقف عند النساء العاملات والمتفرغات ازاء السلوك المناسب للزوجة في مثل هذا الموقف • وتبين لنا الدراسة ان نسبة الزوجات المتفرغات اللاتي يحققن الحاجات القصوى لدور الزوجة باعتبارها ربة البيت التي تدير شئونه وتتصرف في انجاز مطالب الزوج والاولاد ، تبلغ هذه النسبة ٥٣٪ عند الزوجات المتفرغات أي ما ينوف عن النصف ، بينما تهبط هذه النسبة هبوطا ملحوظا عند العاملات • ونجد ان ١٩٪ منهن فقط يأبين مشاركة الزوج لزوجته في مملكتها ، ويؤكدن ان الدور الاساسي للزوجة تدبير امور اسرتها • وتكشف لنا الدراسة ان عدد الامهات المتفرغات اللاتي تقبلن المعايير المتغيرة ، والتي تؤكد مشاركة الزوج لزوجته يبلغ ٣٢٪ من عدد المتفرغات ، وتعلو نسبة العاملات التي يؤيدن المعايير المتغيرة الى ٦٥٪ • وتبين لنا الدراسة ان نسبة متقاربة من العاملات والمتفرغات يشعرن بالحيرة والارتباك ازاء السلوك المناسب لدور الزوجة والمطالب الاجتماعية في المجتمع المتغير لهذا الدور • ويتساءلن هل

تقبل مشاركة الزوج فى تصريف امور بيتها ، أو تأبى ذلك • ومل مساعدة الزوج لزوجتـــه تتعارض مع مكانته الاجتماعية كرجل " •

وتظهر التعليقات الاتيـــة عن وجود ثلاثة اتجاهات تحكم سلوك المرتبط بـــدور الزوجة ويحدد ان توقعات الزوجة من زوجها ؟

اما الاتجاه الأول فيؤكد المشاركة بين الزوجين ، وتدور التعليقات حول المفاهيـــم الاتيـــة :

- " هناك حاجات معقولة يجب ان يشارك فيها الزوج " زوجة عاملة
- " أحب ان يشارك فى الاعمال البسيطة " زوجة عاملة
- " هى تساعد ماديا ، فلماذا لا يساعدها فى البيت؟ " زوجة عاملة
- " اذا كانت بتشتغل فمن حقهـا " زوجة متفرغة

اما الاتجاه الآخر الذى يرفض المشاركة ، ويتمسك بالسلوك المرتبط بالدور التقليدى للزوجة فتؤكده الزوجات المتفرغات ، ويتلخص فى التعليق الاتى :

- " لا احترم الرجل الذى يعمل فى البيت " زوجة متفرغة

أما الاتجاه الثالث الذى يعانى من الصراع فعبرت عنه احدى الزوجات قائلة :

- ليت زوجى يفعل ذلك

وتوضح لنا هذه التعليقات التباين بين مواقف الزوجات ازاء مشاركة الزوج لزوجتـــه • الا اننا نلاحظ اتجاها ناميا وخاصة بين العاملات يطالب ويعمل من اجل مشاركة الـــزوج لزوجته فى اعمال البيت ، واداء بعض الاعمال البسيطة • الا ان تبرير هذه المشاركـــة يتفاوت من زوجة لزوجة • فهناك مجموعة ترى هذه المساعدة ضرورية مقابل مساعدة الزوجـــة المادية لزوجهـا ، ومجموعة اخرى ترى ان المشاركة ضرورية باعتبارها رمزا للتعاون بـــين الزوجين ، وتضافر جهودهما داخل الاسرة • وتكشف لنا دراسة هذا الموقف ان المعايير التقليدية التى تحكم علاقة الزوجة بزوجها فى اسر النساء العاملات فيما يختص بالاعمـــال المنزلية قد زلزلت ، ولكن المعايير المتغيرة لم تنضج بعد ، وهناك صراع بين الاتجـــاه التقليدى الذى يأبى ويستنكر مساهمة الرجل فى اعمال البيت ، وبين الاتجاه الادائـــى النفعى الذى يدعو الى مساعدة الزوج لزوجته •

واذا ما واجهت الزوجة موقفا تحكم فيه على علاقاتها الزواجية ، وتتضح فيه كيفية توفيقها لادائها لدورها كزوجة تشعر بالاستقرار والاطمئنان ، فتوضح لنا الاجابات أن الراضيات بحياتهن الزواجية ، واللى يبدون فى هذه الحياة اشباعا عاطفيا ، وتوفيقا فى اداء دور الزوجة تبلغ بين العاملات ٧٥٪ وتهبط عند المتفرغات الى ٧٠٪ • اما عند الزوجات اللائى يقيمن زواجهن ويتصورن الهدف من الزواج وما يحقق من استقرار اجتماعى ، ويرفضن الطريقة التقليدية التى تزوجن بها ، فتبلغ نسبتهن ١٦٪ بين العاملات والمتفرغات • اما الزوجات اللاتى يلجأن الى اصدار احكام قاسية كمظهر للقلق الزائد ، والتضارب بين مكونات دور الزوجة ، وعجزهن الكامل عن اداء السلوك المرتبط بدور الزوجة ، فنجد أن نسبة هولاء تبلغ ١٤٪ عند المتفرغات ، وتهبط الى ٩٪ عند العاملات • فالمتفرغات اكثر تبرما فى ادائهن لدور الزوجة • وتفسر العاملات والمتفرغات هذا السلوك تفسيرات مختلفة توضحها اجابات معاينة •

وكانت اجابات العاملات تنحصر فى الاتجاهين الآتيين :

- " تزوجت على الطريقة التقليدية ، واتمنى الزواج على الطريقة الحديثة "
- " انصح البنت ألا تتزوج قبل سن ٢٥ ، علشان تكون نضجت وتفكيرها استقر اكثر "

اما اجابات المتفرغات فتوضحها الاجابتين الآتيتين :

- " لكى نفكر "
- " لم يؤخذ رايى ، فالوالد ان هما اللذان اختارا "

وتظهر لنا هذه الاتجاهات فى تبرير تقييم دور الزوجة ، عدم وجود تفاوت يذكر بين الاسباب التى تدعو الزوجة المتفرغة او الزوجة العاملة الى الحكم على علاقاتها الزواجية حكما قاسيا •

ولا يكشف لنا اختبار (ت) عن وجود فروق جوهرية بين درجة احساس الزوجة بالتوتر وتنافر العناصر المكونة لدور الزوجة عند العاملات والمتفرغات • وان اكد لنا هذا الاختبار وجود فروق هامة ازاء مكانة العناصر الادائية والوجدانية عند العاملات والمتفرغات • فالعنصر الوجدانى هو العنصر الغالب على سلوك دور الزوجة المتفرغة أكثر من الزوجة العاملة • كما ان الزوجة العاملة يطبع سلوكها وادائها العنصر الادائى اكثر من الزوجة المتفرغة ، وان كان

العنصر الوجدانى لا زال هو العنصر الرئيسى لدور الزوجة فى اغلب المواقف •

وقد حاولنا فى دراستنا ان نعرف العنصر الذى يحكم السلوك المرتبط بدور الزوجة عند العاملات والمتفرغات ، وهل يتكرر تحكم هذا العنصر فى المواقف المختلفة مما يسهل تحديدالتوقعات المنتظرة من الزوجة ، ام يتباين العنصر الذى يحكم دور الزوجة من موقف لاخر، مما يعنى عدم التزام الزوجة بتوقعات محددة ، ومما يجعل التنبؤ بسلوكها امراصعبا •

جدول رقم (١٠)

جدول يبين تكرار العناصر التى تحكم السلوك المرتبط بدور الزوجة عند النساء العاملات والمتفرغات

العنصر الغالب / التكرار	امهات متفرغات: العنصر الادائى	امهات متفرغات: العنصر الوجدانى	امهات متفرغات: عناصر متشابهات	امهات عاملات: العنصر الادائى	امهات عاملات: العنصر الوجدانى	امهات عاملات: عناصر متشابهات
لا يوجد	٢٤	٢	٤٠	١٠	٨	٣٤
مرة	٣٢	١٧	٣٥	١٨	٣٤	٣٦
مرتان	٢٧	٢٩	١٨	٣٨	٣٤	١٨
ثلاث مرات	١٤	٣٠	٢	٢٩	١٧	٦
اربع مرات	٣	١٤	٣	٥	٦	٣
خمس مرات	•	٨	٢	•	١	٣
	كا٢ = ٥٦٦٧ر٩٠			كا٢ = ٢٢١٠ر٥٨		

ويتضح لنا من الجدول السابق الذى يبين تكرار المتغير الذى يحكم توجيه السلوك المناسب لدور الزوجة ، أن نسبة المتفرغات اللاتى لا يحكمن العنصر الادائى اثناء ادائهن لدور الزوجة تبلغ ٢٤٪ من عدد المتفرغات ، اما نسبة العاملات اللاتى يستبعدن العناصر الادائية اثناء ادائهن لدور الزوجة فتهبط الى ١٠٪ من عدد العاملات • ولا نجد الا زوجتين من المتفرغات يستبعدن العناصر الوجدانية عند ادائهن لدور الزوجة ، وترتفع نسبة العاملات اللاتى استبعدن العناصر الوجدانية الى ٨٪ • اما الزوجات اللاتى لا يشعرن بالتوتر النفسى او التنافر بين المكونات الاجتماعية لدور الزوجة فتبلغ نسبتهن ٤٠٪ من عدد

المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٤٢٪ من عدد العاملات • وتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها انعدام الزوجات اللاتى يتفوق على ادائهن العنصر العقلى على كل ما عداه من العناصر فى كل المواقف لضبط سلوك الزوجة ، كما نجد ان نسبة المتفرغات اللاتى يحكم سلوكهن العنصر الوجدانى بصفة دائمة فتبلغ ٨٪ من عدد المتفرغات ، ولا نجد الازوجة عاملة واحدة تحكم العاطفة المطلقة تصرفاتها فى كل المواقف •

وتبين لنا حالات تكرار التوتر والتنافر بين مكونات دور الزوجة عند العاملات والمتفرغات ، ندرة الحالات التى تتنافر فيها العناصر المكونة للدور بصفة دائمة ، وان كان هذا الاحساس بالتوتر والتنافر بين العناصر الاجتماعية المكونة لدور الزوجة اكثر عند العاملات منه عند الزوجات المتفرغات •

ويظهر لنا تباين العنصر الذى يحكم سلوك الزوجة العاملة والزوجة المتفرغة من موقف لآخر يظهر لنا مدى الهوة بين السلوك الذى تؤديه والسلوك الذى تفرضه التزامات الدور • فالزوجة لا تؤدى دائما كل ما يتطلبه منها الدور من التزامات ، وذلك اما عن قصور ، واما عن رغبة • ومن ثم فلا مناص من عجز الزوج عن التوقع بما ستؤديه الزوجة ، مما يثير التوتر والخلافات بينهما •

وتكشف لنا دراسة مواقف دور الزوجة أن الزوجة اذا واجهت موقفا تؤكد فيه دورها كزوجة ، فانه يصعب تحديد سلوك الزوجة ، لعدم توافق الزوجات مع التوقعات المعيارية عند اداء السلوك المرتبط بدور الزوجة ، ولتوحد الزوجات مع مجموعة من المعايير والقيم المتشابهات ، مما يدفعهن الى الشعور بالتنافر بين مكونات دور الزوجة ، وعدم تبلور الالتزامات المرتبطة بهذا الدور •

وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها من دراسة دورى الام والزوجة ، ان المرأة تعانى من الصراع والتوتر اكثر اثناء ادائها لدورها كأم اكثر من ادائها لدورها كزوجة ، وتنافر العناصر المكونة لدور الام اكثر ظهورا منها فى حالة العناصر المكونة لدور الزوجة • ويرجع ذلك الى أن المعايير التى تحكم سلوك الام معايير متغيرة ولم تستقر بعد ، فى حين ان معايير دور الزوجة اكثر منها استقرارا • فكل أم فى المجتمع المتغير تود ان تؤدى دور الامومة خير قيام ، لكنها لا تدرك كيف تقوم بذلك • فذلك شعور الام بأن الامومة لم تعد

عملية سهلة ، او عملية اجتهادية • فالطفل اصبح موضوع عنايتها كما هو محل حبها ، وأن الام اصبحت مسئولة لتوجيه ابنائها نحو المستقبل •

والآن بعد ان عرضنا دراسة مضمون دور الزوجة ، ننتقل الى تحليل مكونات الـــدور المهنى عند العاملات ، ويكشف لنا هذا الدور عن التغير فى نسق الادوار عند الامهـــات العاملات نتيجة التغير البنائى •

٣ـ دور المهنـــــة :

اقتضت ظروف الحياة فى البناء المتغير من المرأة ان تخرج وتعمل بعيدا عن سيطـــرة اسرتها ، وأن تتحمل مسئوليات ومطالب اجتماعية جديدة ، ومواجهة توقعات ادوار لم تنشـــأ عليها فى اسرتها ، ولم تتوحد بها فى طفولتها • فالامُّ المصرية فى جيلنا نشئت لاعمـــال البيت فى مجتمع تقليدى يتميز بالاستقرار ، وقامت البدايات باعداد بهن حسب نماذج الســـلوك السائدة عندئذ ، وتطبعهن على اداء ادوار الامُّ والزوجة ، اما اداء الادوار المهنية ، والتى تتطلب سلوكا معينا ، فلم ينشأن عليها ، فالامهات العاملات من الجيل الحالى قـــــد توحدن مع قيم ومعايير البدايات عن الحياة الاسرية ، وعن ادوار الامومة والزوجية ، ولـــــم يعرفن ولم يتوحدن البتة مع معايير وقيم الادوار المهنية ، "لأنَّ الطفل يتوحد اكثر مع قيـــم والده من نفس جنسه ، وهو يكتسب الاتجاهات والتوقعات التى ترتبط بقبول المرء للمعايـــير الثقافية وأدوار السلوك [1]" وقد اضطرت بعض النساء الى الخروج الى ميدان العمـــل ، وألزمن على اداء ادوار جديدة لم يعرفنها تعبر عن تغير البناء الاجتماعى ، ومن ثم عليهـــن ان يكتسبن المعايير والقيم التى تحكم السلوك المتوقع منهن عند اداء الدور المهنى ، وأن يورثنها البنات بنفسهن • فأداء الدور المهنى باعتباره سلوكا يؤثر فى الانتاج يمكن أن يعرف بأنه القدرة على الاداء الوظيفى فى النسق المهنى • ومن ثم فالقدرة على الاداء المهنـــى الناجح محصلة عملية تنشئة اجتماعية طويلة ، تؤكد اهمية الاداء الوظيفى والانجاز والتحصيـــل ، واعلاء الاهداف العامة فوق المصالح الشخصية • فالدور المهنى يحكم سلوكه العنصر الادائى فى كل المواقف •

---

(1) Parsons, Talcott: Social system. op.cit., P. 248.

وقد حاولنا فى دراستنا ان نعرف سمة العناصر التى تحكم سلوك الدور المهنى عند الامهات العاملات ، وهل تحكم سلوكهن العناصر الاداتية النفعية ، ام تحكم سلوكهن العناصر الوجدانية ، او تتشابه العناصر التى تحكم وتختلط امامهن التوقعات المطلوبة فى الموقف ، فيشعرن بالصراع عند أداء الدور المهنى . وقد واجهت الامهات العاملات اعضاء العينة مجموعة مواقف ، لتكشف منهن السمة الغالبة على ادائهن ، وهل تتحكم فى ادائهن عناصر واضحة ام عناصر متشابهات . وهل يلتزمن بتوقعات محددة عند أداء كل دور ، ام تتفاوت هذه التوقعات من موقف الى آخر ، ولمعرفة مدى شعور الامهات العاملات بالتوافق او بالتوتر نتيجة تماسك العناصر التى تحكم السلوك المرتبط بدور المهنة ، أو تنافر هذه العناصر .

جدول رقم (١١)
سمة اداء الدور المهنى

العنصر الغالب / الموقف	العنصر الاداتى	العنصر الوجدانى	عناصر متشابهات
١- الدعوة الى عمل مفاجىء	٣٥	٤١	٢٤
٢- مواجهة مشكلات العمل	٣٤	٣٨	٢٨
٣- المساهمة فى عمل اضافى	٢٢	٥٠	٢٧
٤- المقارنة بين التفرغ والعمل	٥٦	٨	٣٢
٥- تحمل متاعب الرؤساء	٦٣	٩	٢٨
المجموع	٢١٤	١٤٦	١٤٠

فاذا ما قابلت المرأة العاملة موقفا يتطلب منها الحضور الى اجتماع مفاجى ومجالسة بعض الرؤساء والغرباء لانجاز بعض الاعمال ، فاننا نجد ان ٣٥٪ من العاملات يؤكدن العنصر الاداتى فى العمل ، وينظرن الى صالح العمل ، ويحترمن مواعيد الاجتماع ويحضرن فى الموعد المحدد ، اذ احترام الوقت عامل هام فى الانجاز المهنى . بيد اننا نلاحظ ان ٤١ ٪ من العاملات ، لا ينظرن الى المصلحة العامة للعمل ، ولا يحترمن الوقت المحدد للاجتماع ، ولكن تغلب على ادائهن العناصر الوجدانية والمصلحة الشخصية ، وتحقيق الرغبة فى الظهور ويحضرن متأخرات . وتبين لنا الدراسة أن حوالى

ربع العاملات يعتذرن عن حضور الاجتماع ، وينم هذا الاعتذار عن مجاملة الشريك عن شعور المرأة بكزاهية العمل ، وعلى التوتر ، وعدم تكامل وتماسك العناصر المكونة لسلوك الدور المهنى فى مثل هذا الموقف ، مما يؤثر على أداء الدور المهنى •

اما عن مشاكل العمل وكيفية مواجهة المرأة لها ، كان هو الهدف من الموقف الثانى • وتبين لنا الاجابات على هذا الموقف ان ٣٤٪ من العاملات ينظرن الى المصلحة العامة للعمل ، ويطلبن رأى الزوج ، ويحاولن الاستفادة من خبراته ، ليزداد رصيدهن من المبادئ والمعايير التى توجه سلوكهن المهنى • اما الامهات اللاتى ينظرن الى العنصر الوجدانى فى العمل ، وينظرن الى المصلحة الشخصية ، ولا يحاولن الاستفادة من خبرات الرجل ، فترتفع النسبة الى ٣٨٪ عندهن • وتظهر لنا الاجابات أن ٢٨٪ من العاملات يشعرن بالحيرة والارتباك امام مشاكل العمل ، وطلب النصيحة من الزوج • وهذا الارتباك مظهر من مظاهر الصراع الذى تعانيه الأم العاملة ، والدليل على عدم قدرتها على الاداء الناجح للدور المهنى ، لعدم وجود تراث مهنى لديها •

ويمتص العمل دائما جزءا كبيرا من وقت الرجل ونشاطه وطاقته لأهمية العمل عنده فى تحديد مكانته الاجتماعية والاقتصادية ، وقد حاولنا فى هذا الموقف ان نعرف اتجاه الام العاملة اذا ما تطلبت منها ظروف العمل زيادة الوقت المخصص مقابل اجر اضافى • فتكشف لنا الدراسة الميدانية ان حوالى ٣٦٪ من العاملات يستجبن لظروف العمل ، ويبدين موافقة على الحضور ، وهذه النسبة من الامهات يوجه سلوكهن العنصر الادائى الذى يضع مصالح العمل فوق المصالح الشخصية • وتوضح لنا الاجابات ان حوالى نصف العاملات يرفضن فكرة العمل الاضافى اصلا ، مفضلات الناحية الشخصية على أى اعتبار آخر • وتظهر لنا الدراسة ان ٢٧٪ من الامهات يعانين التردد والارتباك فى هذا الموقف والعجز عن البت فى امر زيادة ساعات العمل • ويشعرن بالتنافر بين العناصر الوجدانية والادائية التى تسيطر على ادائهن للسلوك المهنى • ونلاحظ ان الحافز ليس له تأثير على زيادة فاعلية المرأة المصرية على الانتاج ، واستقطابها الى العمل بعيدا عن البيت •

واذا ما واجهت المرأة موقفا يدفعها الى المقارنة بين امرأة عاملة منتجة _ يطلب منها التضحية من أجل العمل وتقديم الخدمات الى الآخرين _ وبين ربة بيت متفرغة تعيش فى

عن عادى بعيدا عن مسئوليات العمل والتزاماته ومشاكله الادارية التى تواجهها المـرأة العاملة يوميا • فاذا ما واجهت الام العاملة هذا الموقف ، تبين لنا الاجابات ان ٥٩٪ من العاملات يحكم سلوكهن فى هذا الموقف العنصر الادائى ، وينظرن الى المصلحة العامـة، ويؤمن بأن ظروف المجتمع تتطلب من المرأة ان تجاهد • ونجد قلة تحكمهن الاثرة والجوانب العاطفية عند المرأة ، بيد اننا نلاحظ ان حوالى ٢٢٪ من العاملات تثار فيهن فى مثـل هذا الموقف ، مشاعر الكراهية للعمل ، رغم النفع المادى الذى يعود على الاسرة مـن وراء العمل •

وكراهية المرأة لعملها ظاهرة تنعكس على ادوارها الاسرية • واحساس الانسـان بالعداوة نحو العمل ، وكل شىء يرتبط به يؤدى احيانا الى كراهية النفس ، لأنَّ الشخص يرى حياته تمرد ون ان يشعر بسكرة النجاح الوقتى(1) وهذا الاحساس نحو العمل لا شعورى ولكن يمكن ادراكه من خلال التفكير العابر •

واذا تعرضت المرأة العاملة لموقف متعدد من الرؤساء ، يطالبونها فيه بزيـادة انجازات العمل ، والعناية بالعمل كما وكيفا ، وزيادة الطاقة والجهد اللازمين للعمـل • فان نتائج البحث الميدانى كشفت لنا ان حوالى ثلثى العاملات يؤكدن اهمية الانجاز فـى العمل • ونلاحظ أن ٦٪ من العاملات تثار فيهن الشوائب الوجدانية التى تجذبهن الـى البيت والاولاد • تلك الشوائب التى تتعارض وتتنافر مع مطالب العمل • وتظهر لنا الاجابات ان ٢٨٪ من العاملات يشعرن بعدم تقدير الرؤساء ، مما يدل على التوتر الذى تعانيـه المرأة العاملة ، وعدم الوعى الكامل بمطالب الدور المهنى والتوقعات اللازمة للسلوك المهنى •

وتظهر لنا التعليقات الاتية اتجاهات العاملات نحو العمل والتزاماته ، والعناصـر التى تحكم اداء السلوك المرتبط بدور المهنة :

- " اذا تعارض العمل الاضافى مع البيت نرفضه "
- " المتفرغة فى نعمة لا تشعر بها ، رغم انها تحسد العاملة "
- " المرأة العاملة تعانى اكثر من الرجل ... بره وجوه "
- " ظروف الحياة المادية دفعتنا الى العمل "
- " الرؤساء لا يقدرون " •

(1) Fromm, Erick: The sane society, op.cit., P. 181.

ويؤكد لنا تحليل مضمون هذه التعليقات ، ان احساس المرأة نحو العمل يشوبه الكثير من المعاناة والتوتر والشدة • فالاحساس بظلم الرؤساء أو عدم تقدير الزوج أو حسد المتفرغة كلها انفعالات لا شعورية ، تدل على الصراع بين المعايير التقليدية التى تؤكد ان مكانة المرأة هو البيت ، والمعايير المتغيرة التى تؤكد دور المرأة ومشاركتها للرجل فى العمل • كما تكشف لنا هذه التوترات عجز المرأة عن التوفيق فى اداء مطالب الدور المهنى اداءا ناجحا ، وتحديد السلوك المتوقع منها فى الموقف •

وقد حاولنا ان نعرف مضمون الدور المهنى والعناصر التى تتحكم فى السلوك المرتبط بالدور المهنى ، وتحدد التوقعات المطلوبة من الأم العاملة كما هو موضح فى جدول رقم (١٢) •

جدول رقم (١٢)

العناصر التى تحكم الدور المهنى عند العاملات فى المهن المختلفة

المهنة	العناصر الادائية		العناصر الوجدانية		عناصر متشابهات	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
الصناعية	٤	٤ر٠٠	١	١ر٠٠	•	•
التدريس	١١٨	١ر٩٠	٩٢	١ر٤٨	١٠٠	١ر٦١
العلاجية	٢٤	٢ر٧٠	١٤	١ر٥٠	٧	٨٠ر
الادارية	٣٢	٢ر٢٨	١٩	١ر٣٥	١٩	١ر٣٥
القيادية	٣٥	٢ر٥٣	٢١	١ر٤٦	١٤	١ر٠٠

وتبين لنا النظرة التحليلية لهذا الجدول ومقارنة المتوسطات ان العاملات فى المهن الطبية اكثر تأكيدا للعنصر الادائى عند ادائهن للدور المهنى ، ويليهن فى المرتبة العاملات فى المهن القيادية ، اى المهن ذات المسئوليات العالية • ولا نلاحظ تفاوتا ذا اهمية يبين تأكيد العناصر الوجدانية من مهنة لاخرى • بيد أننا نلاحظ أن العاملات فى التدريس اكثرهن احساسا بالصراع والتنافر بين مكونات الدور المهنى ، ويليهن فى ذلك العاملات فى المهن الادارية • وهذا يتعارض مع رأى بارسونز ان اصحاب المهن القيادية من اكثر الاشخاص تعرضا للصراع واحساسا بالتنافر بين مكونات الدور المهنى •

ويرجع ارتفاع نسبة العاملات فى التدريس اللاتى يشعرن بالصراع والتنافر بين مكونـــات الدور المهنى الـــى نظام العمل فى المدارس ، وما يصاحبه من عدم استقرار فـــى تدريس المناهج ، واكتظاظ الفصول بالتلاميذ ، وزيادة الشعور بمسئولية التدريس ، اذ ان التدريس مهنة شاقة ، وليست وظيفة روتينية • فالمعلمة تواجه رغم عدم توفر الامكانيات المادية لاداء العملية التعليمية اعدادا ضخمة من التلاميذ تمثل بيئات متباينة ، وتحمل قيما مختلفة ، وعليها ان تصوغهم فى بوتقة التعليم • وهذا التوتر الذى تعانى منـــه المدرسات يعبر عن الوعى الزائد بالمسئولية ، كما يعبر عن شعور بالقصور عن الاداء الناجح فى الوقت نفســه فى ظل امكانيات محدودة •

وقد حاولنا ان نعرف العنصر الذى يتحكم فى اداء العاملات للدور المهنى فـــى المواقف المختلفة ، وهل تؤدى العاملات كل ما يتطلبه الدور المهنى من التزامات فـــى جميع المواقف ، أم يتباين العنصر الذى يحكم السلوك المهنى من موقف لموقف ، وبـــذا تتباين التوقعات عند اداء السلوك المرتبط بالدور المهنى عند العاملات •

جدول رقم (١٢)
تكرار العنصر الذى يحكم اداء الدور المهنـــى

التكـرار / العنصر الغالب	لا يوجد	مرة	مرتان	ثـلاث مرات	اربـع مرات	خمـس مرات
العنصر الادائـــى	١١	٢٢	٢٨	٢١	١٧	١
العنصر الوجدانـى	١٣	٣٩	٣٨	٩	١	•
عناصر متشابهـــات	٣١	٢٩	٢٢	١١	٩	•

كا^{2} = ١٦٦ر٤٥

وتكشف لنا الدراسة الميدانية ان ١١٪ من العاملات يستهدفن العناصر التى تتطلب الانجاز والتحصيل وتحقيق الهدف فى مجال العمل فى جميع المواقف ، اما اللاتى يمثلن الطرف الآخر ، أى اللاتى يلبين تماما العنصر الوجدانى الذى يحكم العواطف فى العمـل فترتفع نسبتهن الى ١٣٪ • وتصل نسبة العاملات اللاتى لا يعانين من معايير متشابهات ولا يشعرن بالتنافر بين العناصر المكونة للدور المهنى الى ٣١٪ • ونجد أما واحدة يحكم

العنصر الادائي النفعي سلوكها في جميع المواقف دون أي شائبة من عاطفة • ولا يوجد في العينة اية أم تطرح جانبا العناصر الادائية ، وتحكم عواطفها في أداء الاعمال المهنية ، كذلك لا نجد اية أم تعاني من التردد المزمن ، وبالتالي التنافر بين مكونات الدور المهني في جميع المواقف •

واذا كان أهم ما يميز اداء الدور المهني هو الصفة الادائية والانجازية ، فان الدراسة كشفت لنا عن الهوة بين السلوك الذي تؤديه الام العاملة والسلوك الذي تفرضه التزامات الدور المهني ، وعدم التزام الأم العاملة دوما بتوقعات الآخرين لها عند ادائها الدور المهني ، اذ تتباين هذه التوقعات من موقف لآخر •

وتكشف لنا دراسة ادوار الامومة والزوجة والعمل ، كل منفصل عن نسق أدوار الشخصية ، ان المرأة المصرية بصفتها اما وزوجة او انسانا عاملا في النسق المهني تتميز ادوارها بالصفة المتغيرة ، اذ لا يوجد دور مهني من ادوارها يغلب على تكوينه عنصر معين يواجه سلوكها ، فلا يوجد عنصر واضح يغلب على تكوين اى دور ، ويحدد سلوكه تحديدا واضحا • وبالتالي فالسلوك المناسب للدور لن يكون واضح المعالم ، وتتباين التوقعات من موقف لآخر • فالمرأة المصرية تتشتت بين العناصر الادائية والوجدانية في بعض المواقف ، وتدفع الى معاناة الصراع والقلق في مواقف اخرى • فالعنصر الغالب في تكوين الدور يقلل من فرص مواجهة الصراع ، او التنافر بين العناصر الاجتماعية المكونة للدور • والمرأة المصرية في ذلك تشبه المرأة الامريكية كما وصفتها فلورنس كلاكهون [1] • فالعناصر المكونة لدور الأم او الزوجة او العاملة ، لم تتبلور بعد تبلورا واضحا ، فلا زالت المرأة تعاني من التنافر بين العناصر السائدة والمتغيرة ، ولم تركب بينها تركيبا جديدا يوائم بين القديم والحديث • ومن ثم فادوار الام والزوجة والعاملة في فترة التغير البنائي تتميز بمجموعة من العناصر المتنافرة ، ومن ثم يصعب علينا تحديد سمة هذه الادوار تحديدا واضحا ، ويتعذر على الاشخاص الذين يتفاعلون مع الامهات في المواقف المختلفة ، تحديد التوقعات المطلوبة من الدور في الموقف ، لعدم التزام الامهات بتوقعات محددة معينة ثابتة في كل المواقف ، لما تحمل هذه العناصر من تباين يؤدي الى اختلاف السلوك المرتبط بالدور من موقف لموقف •

---

(1) Kluckhoon, Florence: Dominant and variant value orientation in Clyde Kluckhoon and H. Murray. Personality in nature, society and culture, op.cit., P. 356.

والآن وبعد أن عرضنا للصراع بين مكونات الدور في ادوار ثابتة ، نتقدم خطـــوة، وندرس مدى نجاح الأم في التوفيق بين التزامات الادوار المتباينة .

ثالثا : الصراع بين الادوار :

ان الصراع لا يحدث فقط بين مكونات الدور الواحد ، ولكنه انما يحدث بين ادوار متباينة ،في مواقف تتطلب حلا لدورين معا ، او تغليب احد الدورين على الآخر ، وســواء اكان الصراع ظاهرا أو باطنا ،فهو عملية تكاملية تعبر عما اذا كانت الادوار توحدت أم لا ، فاذا لم تتوحد هذه الادوار فان الفرد الفاعل لا يدرك حقيقة الانفصال السلبي مع القيـــم والمعايير لتجنب العقاب ، ومن ثم لا يشعر بالصراع ، اما اذا توحدت هذه الادوار ، فان الفاعل يشعر ان اداء دورين غير ممكن في وقت واحد وشيء مستحيل ، ويعاني من الصراع(١) .

وفي محاولتنا اثبات الصلة الضرورية بين البناء الاجتماعي والشخصية ، نتقدم خطـــوة لاثبات ان الصراع بين الادوار يولد عند الامهات شعورا بالتوتر ، او الهروب من مطالـــب دور معين الى اداء دور آخر ، وايضا اثبات ان الامهات العاملات اكثر احساسا بالصـــراع بين الادوار ، وايضا اختبار الصلة بين عدد الاولاد والصراع بين بعض الادوار . وسنحاول في البداية ان نختبر مدى توفيق الامهات العاملات والمتفرغات في اداء التزامات دور الأم والزوجة ، ثم مدى نجاح العاملات في التوفيق بين اداء الدور المهني ودور الأم هـــذا من جانب ،ومن جانب آخر معرفة مدى نجاح العاملات في التوفيق بين دور الزوجة ومطالـــب المهنـــة .

١ـ الصراع بين دور الأم ودور الزوجة :

وقد حاولنا في البداية اثبات مدى معاناة الأم للتنافر بين مطالب ادوار الأم ومطالـــب ادوار الزوجة في مواقف التفاعل اليومية ، وادوار الامومة وادوار الزوجية ادوار اجتماعيـــة وليست ادوارا شخصية ، بيد ان ادوار الامومة ادوار وراثية فطرية عند الأم تحقق منهـــا وظيفتها في الوجود ، اما ادوار الزوجة فهي ادوار تعلم ، وينعكس الصراع بين الادوار الاسرية على شخصيتها ، وعلى سلوكها في المواقف المختلفة .

---

(١) Parsons, Talcott: Toward a general theory of action. op.cit., P. 122.

وفى هذا الشأن حاولنا ان نعرف اتجاه الامهات العاملات والامهات المتفرغات اذا تعرضن لمواقف يواجهن فيها الاختيار بين المطالب التى تفرضها دور الام ، والمطالب التى يفرضها دور الزوجة ٠

جدول رقم (١٤)

الصراع بين مطالب ادوار الأم ومطالب ادوار الزوجة

الدور / الموقف	مطالب دور الأم		مطالب دور الزوجة		الصراع بين مطالب الدورين	
	متفرغة	عاملة	متفرغة	عاملة	متفرغة	عاملة
١ـ المواجهة بين حاجات الاولاد ورغبة الزوج	٧٠	٦٧	١٧	٧	١٣	٢٦
٢ـ مجالسة الابن أم الخروج مع الزوج	١٧	١٥	٥٧	٦٥	٢٦	٢٠
٣ـ توجيه الاولاد أم غضب الزوج	٤٦	٥٦	١٥	١٩	٣٩	٢٥
٤ـ خلافات الاولاد أم نداء الزوج	٣٢	٣٨	٣٤	١٧	٣٤	٤٥
٥ـ اهمال الاولاد أم الزوج	١٩	٢٣	٢٦	١٤	٣٥	٦٣
م	١ر٨٤	١ر٦٩	١ر٤٦	١ر٢٢	١ر٦٧	١ر٧٩
م٢	٤ر٨٤	٥ر١٣	٣ر٥٩	٢ر٣٦	٤ر٦٣	٤ر٦١
الانحراف المعيارى	١ر٢٠	٨ر٠٨	١ر١٧	٩٣ر	١ر٣٥	١ر١٨
ت	٠ر٩٢		١ر٧٩		٠ر٦٦	

وكان الموقف الأول يعنى معرفة سلوك الزوجة اذا قابلت موقفا عليها أن تختار فيه بين تلبية حاجات الاولاد فى موسم الشتاء ، وبين مطالب زوجها منها بطريق لا مباشر بانكار الذات والتضحية فى سبيل الاولاد ٠ وفى هذا الموقف نجد ان ٧٠٪ من الامهات المتفرغات يلبين نداء الامومة ، ويحققن مطالب الاولاد ٠ وتهبط هذه النسبة عند العاملات الى ٦٧٪ ٠ اما نسبة الزوجات اللاتى يحققن رغبة الزوج ومطالب دور الزوجة فتبلغ ١٧٪ عند المتفرغات ، وتنخفض هذه النسبة الى ٧٪ عند الزوجات العاملات ٠ وتكشف لنا الدراسة ان ١٣٪ من عدد المتفرغات وضعفهن من عدد العاملات يشعرن بالصراع بين مطالب الامومة ومطالب الزوجية ، ويتسم سلوكهن بالعجز عن الاداء والشعور

بالتوتر والشكوى • وتوضح لنا دراسة هذا الموقف ان العوامل الاقتصادية قلما تؤدي الى التنافر والعداء بين مطالب الامومة والزوجية في مجتمعنا ، وانه نادرا ما تتوتر العلاقات بسبب المفاضلة بين التزامات الام ومطالب الابناء الاقتصادية •

وفى الموقف الثانى تعرضت الامهات لموقف يتطلب منها طاعة زوجها والخروج معه لزيارة قريب له مريض ، وبين رغبة الابناء في بقائها معهم ، فاننا نجد أن ١٧٪ من المتفرغات يحققن مطالب الامومة ،وتدنو هذه النسبة الى ١٥٪ عند الامهات العاملات ، اما عدد الامهات اللاتى يؤكدن التوقعات اللازمة من الزوجية فى مثل هذا الموقف ، ويبحثن فى حل التناقض بين دور الام والزوجية ، فتبلغ ٥٧٪ عند المتفرغات ، وتعلو هذه النسبة الى ٦٥٪ عند العاملات • وهذا الحل يعبر لنا عن رغبة الزوجة اللاشعورية فى اقتناص الفرصة للخروج مع الزوج ، تلك الفرصة التى كثيرا ما تحرم منها ؛ أما عن الامهات اللاتى يعجزن عن التوفيق بين مطالب الام والزوجة ، ويشعرن بالصراع بين مطالب الدورين ، ويتسم سلوكهن بالتوتر ، والعجز عن اختيار الحل الموفق لارضاء الابن او الزوج ، دون شعور بالعقاب السلبى فتبلغ ٢٠٪ من العاملات ، وترتفع الى ٢٦٪ عند الامهات المتفرغات •• وتبين لنا دراسة هذا الموقف ان الامهات المتفرغات اكثر حيرة فى التوفيق بين توقعات دور الزوجة وتوقعات دور الام فى الزيارات الخارجية وأن العاملات اكثر تعويدا لابنائهن على الاعتماد على النفس والتصرف فى غيابهن •

وفى الموقف الثالث تعرضت الامهات لمشكلة تحكى قصة أم واجهت خلافا بين اولادها ، وكان عليها أن تختار بين اداء دورها كأم ، عليها توجيه اولادها وبين مطالب الحياة الزوجية التى تفرض عليها توفير الجو الهادىء للزوج ، او الحزن على غضبه لشجار الاولاد • وتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ٤٦٪ من الامهات المتفرغات يغلبن دور الامومة ، ويضعن مسئولياتهن امام الاولاد فى المحل الاول ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٥٦٪ عند الامهات العاملات ، اما النساء اللاتى يؤكدن أهمية توفير المناخ الاسرى الهادىء للزوج ومصالحته دائما ، وتجنب المثيرات التى تولد المشكلات الاسرية فتبلغ نسبتهن ١٥٪ عند الامهات المتفرغات ، وترتفع هذه النسبة الى ١٩٪ عند العاملات • وتبين لنا دراسة هذا الموقف ان نسبة الامهات اللاتى يشعرن بالتوتر لعجزهن عن التوفيق بين مسئولياتهن كامهات وزوجات فتبلغ ٣٩٪ من المتفرغات ،

وتنخفض هذه النسبة الى ٣٥٪ عند العاملات .

ويبدو لنا واضحا من دراسة هذا الموقف ان ما يقرب من نصف الامهات يفضلن حل مشكلات الاولاد على الحصول على رضا الزوج ، ولا يبالين بثورته وغضبه .

والموقف الرابع يحكى قصة أم بعد عناء يوم شاق فى العمل وانجاز واجباتها داخل البيت وخارجه، وحقها فى الراحة بعد ما بذلت من عناء وجهد ، ولكنها بدلا من الراحة واجهت موقفا يتطلب منها اداء واجباتها كزوجة ، ومطالبها الاجتماعية نحو اولادها فى وقت واحد . وتبين لنا الدراسة ان ٣٢٪ من المتفرغات يتجهن الى تحقيق واجبات الامومة ، ويفضلن اولادهن ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٣٨٪ عند الامهات العاملات . ونلاحظ أن ٣٤٪ من المتفرغات يتجهن الى تحقيق مطالب الزوج قبل الزوجة ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ١٧٪ عند العاملات . وتوضح لنا الاجابات ان عدد الامهات اللاتى يشعرن بالارتباك والحيرة فى هذا الموقف يبلغ ٣٤٪ من عدد الامهات المتفرغات ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٥٪ عند الامهات العاملات .

وقد كشفت لنا التعليقات التالية عن الاتجاهات التى تسبب الصراع فى مثل هذا الموقف عند العاملات والمتفرغات .

— " الراجل يستكتر على الست الراحة " زوجة متفرغة
— " بعد العودة من العمل مباشرة أكره المناقشة" زوجة عاملة
— " لا وقت للراحة " زوجة عاملة

فانانية الزوج وعدم تقديره لمتاعب زوجته ، هو العامل الحاسم فى معاناة المرأة للتوتر ، وثورتها على التزامات الزوج والتزامات الاولاد احيانا .

وفى الموقف الخامس تعرضت الامهات لموقف يسرد قصة سيدة اهتمت باولادها أكثر من زوجها ، وبذا حلت التناقض الذى تعانيه بين مطالب دورها كأم ومطالب دورها كزوجة ، بالتضحية بواجبات الزوجية ، واختيار الدور المفضل لديها وهو دور الأم . وتظهر لنا الاجابات أن ١٩٪ من المتفرغات يؤيدن هذا الموقف ، ويرين ان الطفل يحتاج الى رعاية واهتمام اكثر من الزوج ، ويجب الا تحرمه من حنانها ، وعليها ان تضع ابنها فى المكانة الاولى ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٢٣٪ . وكانت تعليقات الامهات

لتبرير هذا الحل في مثل هذا الموقف هي :

- " راحتي لهم .. حياتي لهم " أم متفرغة
- " يجب أن اعطي الاولاد عطف زيادة لأن الواحدة بتشتغل " أم عاملة
- " لابد ان يتنازل الزوج عن كثير من حقوقه في فترة طفولة الابناء " أم عاملة

وتدل هذه الاجابات على الرأي المفضل لاسباب تأكيد الامهات لمطالب الابناء على مطالب الازواج ، وهي تتباين بين العاملات والمتفرغات .

اما عن النساء اللاتي يقبلن نقيض هذا الحل ، ويؤكدن انه من الواجب ان ينال الزوج الاهتمام الاكبر ، فتبلغ نسبتهن ٢٦٪ من الامهات المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ١٤٪ عند العاملات . وقد اجابت بعض النساء المتفرغات مبررات اسباب اختيارهن هذا الحل بالاجابات الاتية :

- " رغبة الراجل الاول ، فهو رب النعمة . يجب ملاحظة اموره اولا " ام متفرغة
- " الراجل يغير من الطفل ... الراجل اناني في طلباته " أم متفرغة
- " الزوج قبل الاولاد ، فهو صاحب الفضل ، الاولاد يتعوضوا ، الراجل لا " ام متفرغة

تبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها ان ٥٥٪ من المتفرغات ، أي ما ينوف عن النصف يشعرن بالحيرة ازاء القيام بادوار الامومة والزوجة ، وترتفع نسبة العاملات الى ما يقرب من الثلثين ، اى ان العاملات اكثر شعورا بالارتباك والحيرة من المتفرغات في مثل هذا الموقف ، ويشعرن بالصراع بين المعايير التي توجه سلوك الأم والمعايير التي توجه سلوك الزوجة ، وكيفية التوفيق بين مطالب الدورين في فترة تربية الابناء . وكانت اجابة احدى الامهات عن هذا الموقف قولها " على حساب اعصابي وصحتي " اجابة صادقة لما تعانيه الأم من مشاق في التوفيق بين مطالب الزوج ومطالب الأولاد في مسكن ضيق .

وقد اوضحت لنا الدراسة الاحصائية باستعمال اختبار (ت) انه لا توجد فروق ذات دلالة بين سلوك المرأة المتفرغة او عاملة اذا ما واجهت مواقف تتصارع فيها مطالب دور الأم مع مطالب دور الزوجة ، كذلك لا نجد فوارق ذات اهمية بين النساء العاملات والمتفرغات اللاتي يشعرن بالحيرة والارتباك نتيجة عجزهن عن التوفيق بين مطالب الدورين .

وقد حاولنا ان نختبر رأى بارسونز عن العلاقة بين عدد الاولاد وقدرة المرأة علـى التوفيق بين مطالب دور الام ومطالب دور الزوجة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخـــر حاولنا ان نعرف العلاقة بين عدد الاولاد وعدة الصراع التى تعانى منها النساء لعجزهن عن التوفيق بين مطالب الدورين .

جدول رقم (١٥)
العلاقة بين عدد الاولاد والقدرة على التوفيق بين مطالب
دور الام ودور الزوجة عند المتفرغـــات

فئة الاولاد	دور الام		دور الزوجة		العجز عن التوفيق	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
٢	١٩	١٫٧٢	٢٠	١٫٨١	١٦	١٫٤٥
٣	٤١	١٫٨٦	٣٧	١٫٦٨	٣٢	١٫٤٥
٤	٥٦	٢٫٠٧	٢٩	١٫٠٧	٥٠	١٫٨٥
٥	٢١	١٫٥٠	٢٦	١٫٨٥	٢٣	١٫٦٤
٦	٢٥	٢٫٠٥	١٧	١٫٠٠	٢٣	١٫٩٤
٧	١	٫٥٠	٨	٤٫٠٠	١	٫٥٠
٨	١	٫٦٠	٦	١٫٢٠	١١	٢٫٢٠
٩	٣	١٫٥٠	٦	٣٫٠٠	١	٫٥٠

جدول رقم (١٦)
العلاقة بين عدد الاولاد والقدرة على التوفيق بين مطالـب
دور الام ودور الزوجة عند العامـــلات

فئة الاولاد	دور الام		دور الزوجة		المزعن التوفيق	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
١	٢	١٫٠٠	٥	٢٫٥٠	٣	١٫٥٠
٢	٦١	٢٫١٠	٣٧	١٫٢٧	٤٧	١٫٦٢
٣	٨٥	٢٫٠٢	٥٠	١٫١٩	٧٥	١٫٧٨
٤	٣٩	١٫٩٥	١٩	٫٩٥	٤٢	٢٫١٠
٥	١٠	٢٫٥٠	٤	١٫٠٠	٦	١٫٥٠
٦	٠	٠	٠	٠	٥	٥٫٠٠
٧	٢	١٫٠٠	٧	٣٫٥٠	١	٫٥٠

وتكشف لنا البيانات الموضحة فى الجدولين رقم (١٥) و (١٦) عدم وجود علاقة بين عدد الاولاد وتفضيل دور الام عن دور الزوجة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر تبين لنا عدم وجود علاقة بين عدد الاولاد وتفضيل دور الزوجة عن دور الأم • وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها عدم وجود ارتباط طردى بين عدد الاولاد والشعور بالصراع بين مطالب دور الأم ودور الزوجة عند الامهات العاملات والمتفرغات ، فمعظم النساء يعانين من الارتباك والحيرة ازاء التوفيق بين مطالب دور الأم ودور الزوجة •

كذلك حاولنا فى دراستنا معرفة البعد بين مطالب دور الام ومطالب دور الزوجة عند العاملات والمتفرغات ، وهل يهرب بعض النساء من اداء دور ما رغبة فى اداء الدور الاخر باعتباره دورها المفضل ، ولذا حاولنا معرفة عدد المرات التى تلتزم فيها اعضاء العينة باداء دور الأم أو اداء دور الزوجة او يشعرن فيها بالعجز عن اداء مطالب الدورين •

جدول رقم (١٧)

تكرار السلوك المفضل عند مواجهة الصراع بين مطالب دور الأم ومطالب دور الزوجة

الدور المفضل / التكرار	امهات متفرغات: دور الأم	امهات متفرغات: دور الزوجة	امهات متفرغات: الصراع بين الدورين	امهات عاملات: دور الأم	امهات عاملات: دور الزوجة	امهات عاملات: الصراع بين الدورين
لا يوجد	١٦	٢٠	٢١	١٠	٢١	١١
مرة	٢٤	٣٦	٣٢	٢٠	٤٦	٣٨
مرتان	٢٨	٢٨	٢١	٣٩	٢٦	٢٢
ثلاث مرات	٢٦	٩	١٥	٢٤	٥	٢١
اربع مرات	٤	٥	٧	٦	١	٦
خمس مرات	٢	٢	٢	١	١	١
	كا٢ = ٥٫٢٣٩٢١١			كا٢ = ٣٧٫٨٣٠٩٠		

وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها ، والتى تظهر السلوك المفضل عند مواجهة الصراع بين دورى الأم والزوجة ، ان نسبة الامهات اللاتى يهملن دور الامومة تماما ، ويهربن من مطالب الأم بتأكيد دور الزوجة احيانا او يشعرن بالتنافر بين مطالب الزوجة

ومطالب الامومة فتبلغ ١٦٪ عند النساء المتفرغات ، وتقل هذه النسبة الى ١٠٪ عند العاملات • ونجد ان عدد النساء اللاتي لا يستقطبهن دور الزوجة كلية ، ويهربن من مطالب دور الزوجة فيبلغ ٢٠٪ من عدد المتفرغات ، ويماثلهن ١٢٪ من العاملات • اما عن الامهات اللاتي يهربن دائما الى دور الام في كل المواقف فاثنتان من المتفرغات وواحدة من العاملات • ونجد أيضا زوجتين من المتفرغات وعاملة واحدة يهربن دائما الى دور الزوجة ويهملن مطالب الابن عن رضا واقتناع •

وتكشف لنا الدراسة ان ٢٪ من عدد العاملات يعشن في حالة من الصراع الدائم في جميع المواقف بين دوري الأم والزوجة ، وتقل هذه النسبة عند الامهات المتفرغات ، اما الامهات اللاتي لا يشعرن البتة بالعجز عن التوفيق بين مطالب الدورين ولا يحاولن الهروب من مطالب دور ما الى دور آخر ، وتنجحن في التوفيق في الاداء فتبلغ نسبتهن ١٢٪ من المتفرغات و ١١٪ من العاملات •

وتكشف لنا دراسة تكرار توزيع حالات عدم التوفيق بين مطالب دوري الأم والزوجة ، او محاولة الهروب من اداء دور ما الى اداء الدور الاخر ان الشعور بالصراع شعور عادي ، فالسلوك المتوقع من المرأة كأم وزوجة ، يتغير بالتغير النسبي لتوجيهات القيم في عالم المرأة ، وينعكس هذا التغير على ادائها ويسمه بالتذبذب •

والآن بعد ان عرضنا لحالة الصراع بين دور الأم ودور الزوجة ، وتبين لنا عدم وجود فروق ذات دلالة بين العاملات والمتفرغات ازاء تفضيل دور عن دور اذا واجهن مواقف تتصارع فيها مطالب الدورين ، ننتقل الى اختبار العلاقة بين الادوار الاسرية التقليدية والادوار المهنية الحديثة عند المرأة العاملة ، تلك الادوار الجديدة التي تعبر عن التغير المعاصر في نسق ادوار المرأة العاملة ، والتي تميزه عن نسق ادوار المرأة المتفرغة •

٢ـ الصراع بين مطالب دور الأم ومطالب دور المهنة :

ادوار الامومة ادوار اجتماعية تؤكد الصفات الوراثية والعلاقات الخصوصية والاثرة وتغلب الصفة الوجدانية العاطفية ، بيد ان الادوار المهنية ادوار مكتسبة تؤكد العلاقات العامة والانجاز والتحصيل والانتشار وعدم التحيز • ويرى بارسونز ان الادوار الاسرية كأدوار الامومة

والزوجية ادوار متناقضة مع الادوار المهنية[1] • ولذا حاولنا فى هذا الجزء من البحث الميدانى دراسة مدى احساس الأم العاملة بالتوفيق فى ادائها لدورى الأم والعمل، باعتبارها عضوا مشتركا فى الاسرة والنسق المهنى ، او عجزها عن الاداء لاستعدام مطالب هذين الدورين سويا ، اذ كيف يمكن للمرأة ان توفق بين ادوار فطرية توحدت مع معاييرها وقيمها فى طفولتها ، وادوار تعلمت ادائها مؤخرا ، ولم تتوحد فيمها الا فى شبابها • وقد حلل بارسونز هذا التناقض نبين أن انماط قيم الادوار الاسرية والمهنية تنظم داخل انساق الادوار المكونة للشخصية ، ولكن فى نظام تتباين فيه اسبقية هذه القيم ، ومن ثم على الأم العاملة ان تعطى الاسبقية للأدوار الاسرية أو المهنية لتجنب مواجهة التناقض الحتمى بين مطالب الدورين •

وقد حاول البحث الميدانى دراسة سلوك الام العاملة اذا ما تعرضت لمواقف تحتم عليها المفاضلة بين مطالب دور الأم ومطالب دور المهنة واختبار سلوكها فى مثل هذه المواقف ، هل تختار الأم دورا مفضلا فى جميع المواقف ، أم توفق فى اختيار الدور المناسب للموقف ، أم تعانى من التوتر والقلق وتعجز عن الاداء وتحقيق السلوك المطلوب منها فى الموقف •

جدول رقم (١٨)

انماط السلوك المناسبة عند مواجهة الصراع بين مطالب دور الأم ومطالب دور العمل

السلوك المناسب / الموقف	تفضيل دور الأم	تفضيل دور العمل	العجز عن الاداء المناسب
١ـ احترام العمل أم الذهاب الى المدرسة	٢٩	٢٩	٤٢
٢ـ الترويح عن الطفل أم أداء عمل اضافى	٩	٣٧	٥٤
٣ـ يوم العطالة	٤٣	٨	٤٩
٤ـ الذهاب لحل مشكلة الابن أم احترام مواعيد العمل	٦١	٦	٣٣
٥ـ مرض الابن أم التزامات العمل	٤٨	١٤	٣٨
المجموع	١٩٠	٩٤	٢١٦

(1) Parsons T. : Social structure and personality opcit p 48

فاذا ما تعرضت الام لموقف تواجه فيه بين مسئولية العمل وما يتطلب من الانجاز والاداء لتحقيق المصلحة العليا وبين مطالب دورها كأم تحكم سلوكها العناصر الوجدانية التى تؤكد الاثرة والتحيز • ويحكى هذا الموقف قصة أم سمعت خبرا يحكى وقوع حادثة فى احدى المدارس، وعرض الموقف ثلاثة انماط من السلوك ،باعتبارها انماطا ممكنة فى مواجهة الموقف • فنجد أن ٢٩٪ من الامهات يغلبن الامومة ، ويطبع سلوكهن الاتجاه الخصوصى المتحيز للاولاد ،وتحاول هؤلاء الامهات الاتصال بالمدرسة • وتترك هؤلاء الامهات العمل للاطمئنان على الطفل • ونجد أن نسبة الامهات اللاتى تحكمهن المصلحة العليا للعمل، ويداومن على اداء العمل ولا يبالين بالنبأ ، تبلغ نفس نسبة اللاتى يغلبن دور الامومة ، بينما ترتفع نسبة الامهات اللاتى يشعرن بالقلق ازاء الموقف الذى وضعن فيه ، ويشعرن بالانجذاب نحو الابن ، وفى نفس الوقت الارتباط بوقت العمل دون قدرة على الانجاز ــ ترتفع هذه النسبة ــ الى ٤٢٪ فى مثل هذا الموقف •

واذا ما واجهت العاملات موقفا يتعلق بتحقيق واجبات الامومة نحو الابن ، أو تحقيق التزامات العمل • ويحكى هذا الموقف حكاية أم وعدت ابنها بالذهاب معه الى دار السينما ، لكنها فوجئت بعمل سريع يتطلب الانجاز • وتظهر لنا الاجابات أن عدد الامهات اللاتى تحكمهن عاطفة الامومة ، ويشدهن الارتباط بالابن يبلغ ٩٪ من عدد العاملات • وترتفع نسبة العاملات اللاتى يغلبن المصلحة العليا للعمل على المصلحة الشخصية للابن الى ٣٧ ٪ فى هذا الموقف • بينما تعلو نسبة الامهات اللاتى يقفن فى مواقف الحيرة والارتباك بين مطالب الامومة ومستلزماتها ، وتحقيق التوقعات اللازمة لدور المهنة الى ما ينوف عن نصف عدد العاملات •

اما يوم العطلة وما يجب ان تفعل الام العاملة فيه ، هل تنصرف الى أولادها وأمور بيتها أم تستكمل الاعمال المكتبية المتأخرة • تبين لنا تحليل اجابات هذا الموقف أن ٤٣٪ من الامهات يتخلين كلية عن مطالب العمل ، ويعطين أنفسهن خالصات الى أولادهن ، وتهبط نسبة العاملات اللاتى تجذبهن اهتمامات العمل فى يوم العطلة الى ٨٪ • ونجد أن ٤٩٪ من العاملات ينتهزن الفرصة للخروج من البيت للهروب من مشاكل الاولاد والعمل معا • وهذا الهروب تعبير عن معاناة الام العاملة فى مواجهة الامر الواقع ، وتحقيق التوقعات الاجتماعية المطلوبة منها •

وكان تعليق بعض الامهات على يوم العطلة يدور حول التعليقين الاتيين :

- " يوم العطلة يوم شاق ، وليس هو يوم اجازة "
- " مشاكل الاسبوع المنزلية تتجمع في هذا اليوم "

وهذان الرأيان يوضحان لنا ان يوم العطلة باعتباره يوم للترويح يهدف الى المتعة يفقد معناه عند العاملات ، اذ تلجأ الامهات العاملات في مثل هذا اليوم الى حل جميع مشكلات الاسبوع ، واعداد حاجات الاسرة لأيام قادمة ، مما يؤثر على قدرة المرأة على الانتاج بتراكم الايام .

واذا واجهت الامهات سلوكا يتعلق بالابن وتصرفاته المدرسية في موعد ذهابها الى العمل ، وتتصارع في الموقف مطالب الامومة مع مطالب العمل ، تكشف لنا الاجابات التي حصلنا عليها عن تغلب عاطفة الامومة ، والسلوك المرتبط بدور الأم عند معظم العاملات ، فنجد ان ثلثي الامهات العاملات يهرعن الى المدرسة ، لحل مشكلات الطفل ، بيد أننا نجد ان نسبة الامهات اللاتي يوفقن في حل الموقف لصالح العمل ، تدنو النسبة الى ٦ ٪ اما الامهات اللاتي ينفعلن في الموقف ، ويبدو في سلوكهن العجز عن اتخاذ قرار سريع ، والتوفيق الى حل موفق فتبلغ نسبتهن ما يقرب من ثلث الامهات .

واذا ما واجهت الام موقف مرض طفلها فعليها حينئذ أن تواجه مطالب العمل والتزاماته وواجباتها نحو ابنها ، فاننا نجد ان ما يقرب من نحو نصف العاملات يبقين بجوار الابن ، بينما تحل ١٤ ٪ من العاملات هذا الموقف لصالح العمل . وتبلغ نسبة العاملات اللاتي يعانين من التوتر والحيرة لعدم القدرة على التوفيق بين واجبات الامومة والتزامات العمل - تبلغ نسبتهن - ٣٨ ٪ . ويكشف لنا هذا الموقف أن ظروف المرض والمواقف التي ترتبط بسلوك الطفل في المدرسة هي المسارح التي يلعب عليها دور الأم أقوى ادواره ، كما ان العمل لم يصرف الأم عن اولادها ، فالام تهتم بتحقيق مطالب دور الأم أكثر من اهتمامها بتحقيق التوقعات المطلوبة منها في النسق المهني .

وكانت معظم اجابات الامهات تعليقا على السلوك المناسب للأم في مثل هذا الموقف يتلخص في الاجابة الاتية التي رددتها معظم الامهات : " اذا كان الطفل محتاجا للأم تظل بجواره ، واعتذرت عن الذهاب الى العمل لعدم وجود أحد بالمنزل " .

واستكمالا لدراسة الصراع بين مطالب دور الامومة ومطالب دور العمل حاولنا دراسة العلاقة بين عدد الاولاد وقدرة الامهات على تفضيل مطالب دور الام أو مطالب دور المهنة من جانب ، وأيضا دراسة العلاقة بين عدد الاولاد والصراع الذى تعانيه الامهات العاملات عند عجزهن عن التوفيق بين مطالب دور الام ومطالب دور المهنة كما هو مبين بالجدول رقم (١٩) ٠

جدول رقم (١٩)

العلاقة بين عدد الاولاد والقدرة على التوفيق
بين مطالب دور الام ومطالب دور العمل

فئة الاولاد	دور الام		دور العمل		العجز عن التوفيق	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
١	١٠	٥,٠٠	٠	٠	٠	٠
٢	٥٥	١,٨١	٣٣	١,٤٣	٥٢	١,٨٩
٣	٧٦	١,٨٠	٣٢	,٤٦	١٠٣	٢,٤٢
٤	٣٦	١,٦٥	٢١	١,٠٥	٤٠	٢,٠٠
٥	٨	٢,٠٠	٥	١,٦٥	٧	١,٢٥
٦	٠	٠	٠	٠	٥	٥,٠٠
٧	٢	١,٠٠	٢	١,٥٠	٥	٢,٥٠

تبين لنا النظرة التحليلية للجدول السابق انه لا توجد علاقة طردية بين عدد الاولاد وبين تفضيل الام لمطالب دور المهنة او مطالب دور الام او الشعور بالتنافر بينهما ٠ بيد ان الدراسة التحليلية الاحصائية قد اثبتت لنا وجود علاقة بين عدد الاولاد وبين الشعور بالتنافر بين مطالب دور الام ومطالب دور العمل (ر = ٠,٢٤٨٩) ٠

وقد حاولنا معرفة مدى تقدير العاملات فى المهن المختلفة لمطالب دور الام أو مطالب دور العمل واختبار رأى بارسونز ان العاملات فى المهن القيادية يشعرن بالصراع اكثر من غيرهن ٠

جدول رقم (٢٠)

القدرة على التوفيق بين مطالب دور الام ومطالب دور العمل
عند العاملات فى المهن المختلفة

المهنة	دور الام		دور العمل		العجز عن التوفيق	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
الصناعية	٥	٥,٠٠	•	•	•	•
التدريس	١٠٥	١,٦٦	٥٥	٠,٧٨	١٥٠	٢,٤١
العلاجية	١٧	١,٦٠	١٢	١,٣٠	١٦	١,٨٠
الادارية	٢٨	٢,٠٠	١٢	٠,٨٥	٣٠	٢,١٤
القيادية	٣٥	٢,٥٣	١٥	١,٠٧	٢٠	١,٣٨

وتوضح لنا الاجابات المبينة فى الجدول السابق أن درجة تأكيد العاملة لمطالب الدورين يتفاوت من مهنة الى أخرى • فالعاملات فى المهن القيادية أقل العاملات شعورا بالتنافر بين مطالب الدورين ، واكثر توفيقا فى اختيار السلوك المناسب فى الموقف• ويرجع ذلك فى نظرنا الى ان ابناء العاملات فى المهن القيادية اكبر فى السن من أبناء العاملات فى المهن الأخرى ، " فالابن فى مرحلة ما قبل الدراسة أمره صعب " ، هكذا أجابت معظم العاملات ، ويظهر لنا هذا التعليق مدى الحيرة والارتباك والتوتر التى تعانى منها الامهات العاملات بسبب صغر سن اولادهن • واوضح لنا البحث الميدانى ان العاملات فى التدريس أكثر الامهات شعورا بالتنافر والتوتر بين توقعات دور الأم ، وتوقعات دور المهنة ، ويليهن فى ذلك العاملات فى المهن العلاجية • فنلاحظ أن العاملات فى المهن القيادية اكثر حسما وتوفيقا فى حل التناقض بين مطالب دور الأمومة ومطالب العمل ، واكثر استجابة لمطالب دور المهنة فى بعض المواقف ، دون شعور بالارتباك والتوتر • ولكننا نلاحظ أن الاتجاه الغالب عند جميع العاملات اعطاء الاسبقية فى كثير من المواقف لمطالب دور الامومة دون اعتبار لعدد الأولاد ، كما أن العاملات فى المهن القيادية ـ رغم مسئوليات وأعباء القيادة ـ اقل احساسا بالتنافر بين مطالب ادوار الام وادوار العمل ، ويعطينا الاسبقية فى اغلب المواقف لدور الأم •

وقد حاولنا فى دراستنا الميدانية دراسة مدى تكرار استجابة المرأة العاملة لمطالب

د ور الامْ او لمطالب د ور العمل ، وهل تهرب من مطالب احد الد ورين مفضلة اد ا ٔ الد ور الاخر ، وتحقق بذ لك ظاهرة بعد الد ور ، ومد ى شعورها بالعجز عن التوفيق بين مطالب الد ورين •

جد ول رقم (٢٩)

تكرار سلوك الد ور المفضل فى المواقف المختلفة

التكرار / سلوك الد ور المفضل	لا يوجد	مرة واحد ة	مرتان	ثلاث مرات	أربع مرات	خمس مرات
د ور الامْ	١٣	٢٧	٣٣	١٦	٦	٥
د ور المهنة	٤٧	٢٣	١٩	١١	•	•
العجز عن التوفيق بينهما	٢٣	١٦	١٦	١٩	١٩	٧

كا^{٢} = ٦٣و٤٢٦٥٠

وتبين لنا الد راسة الميد انية ان ١٣٪ من العاملات يهملن د ائما د ور الامْ ، ويضعن مطالب العمل فى المكانة الاولى ، أو يشعرن احيانا بالصراع بين التزامات الاُمومة والتزامات العمل • ونلاحظ فى مقابل هولا ٔ ٥٪ من العاملات يضعن مطالب الامومة فى المحل الاول فوق اعتبارات العمل ، اى يهربن د ائما من مطالب د ور العمل الى مطالب د ور الامْ ، ويحققن ظاهرة بعد الد ور • وتظهر لنا الد راسة ان ٤٧٪ من العاملات لا يستقطبهن كلية د ور العمل ، اذ ا ما واجهن تعارضا بين توقعات اد وار الامومة والعمل ، فاما أن يتجهن الى اد ا ٔ اد وار الامومة ، او يتعرضن لمواقف الصراع بين الد ورين ، ويشعرن فيها بالعجز عن اد ا ٔ مطالب الاُمومة والعمل • ولا تكشف لنا الد راسة عن وجود أم واحد ة تنجذ ب انجذ ابا كليا الى عملها فى كل المواقف ، وتتجاهل فى ذ لك أمور أولاد ها ، أو وجود أم تبد و عليها مظاهر العجز عن الاد ا ٔ والتوفيق بين مطالب الد ورين فى جميع المواقف • وتظهر لنا الاجابات أن ٢٣٪ من الامهات لا يشعرن ابدا بمواقف الحيرة والارتباك أثنا ٔ اد ا ٔ د ورى الامْ والعمل • فهولا ٔ الامهات لد يهن القد رة على حسم الامْر ، واعطا ٔ الاسبقية لد ور على آخر د ون احساس بالصراع • ونلاحظ أن ٧٪ من العاملات يعشن د ائما فى حالات من الصراع الد ائم بين القيم والمعايير التى تحكم السلوك المرتبط بين الد ورين • ويرد هذ ا الصراع واحساس الامْ بعد م التوفيق المستمر فى الاد ا ٔ

الى انغماس عولاء فى العمل وشعورهن بالعجز عن التوفيق بين مطالب الاولاد والتزامات العمل ، ويزداد هذا الصراع كلما صغر الاولاد فى السن ، فالام التى تود النجاح فى العمل تجد صعوبة كبرى فى التوفيق بين امور اولادها الصغار وما يحتاجونه من وقت وجهد ، وبين مطالب ادوار العمل ، وما تتطلب من بذل وجهد لتحقيق التطلعات الشخصية • واذا كانت نتائج البحث تؤكد أن صغر سن ابناء العاملات يساعد على ازدياد فرص الصراع بين مطالب دورى الام والعمل ، فهذا يتعارض مع رأى بارسونز الذى يؤكد ان كبر سن الاولاد ، وما يلازمه من ازدياد مشاغل الاب المهنية يولد ان حالات من القلق والصراع عند الام ، لقلة الجهد والوقت الذى تبذله فى البيت ، وازدياد أوقات الفراغ لديها (١) .

ويكشف لنا تباين عدد المواقف التى يؤكد فيها دور الام أو دور العمل ، او المواقف التى يظهر فيها الصراع بين المطالب الاجتماعية للدورين ، عن تأكيد الفرض القائل بتفاوت تأكيد دور الام والمهنة من موقف لآخر ، كمظهر من مظاهر عدم استقرار المعايير الاجتماعية التى تحكم سلوك الدورين ، والتضارب بين القيم المتوحد بها والتى تحدد سلوك دور الام ، والمعايير الجديدة المتوحد معها فى الشباب والتى تؤكد أهمية العمل • وهذا يكشف لنا ان القيم المتوحدة فى الطفولة أكثر رسوخا وتحديدا للسلوك ، كما أن هذا التضارب يؤثر على ادائها لمهنتها اداءا ناجحا وعلى علاقاتها بأولادها • ويرى تشارلز كولى ان عمل المرأة يفيد المجتمع والاسرة اقتصاديا ، الا أنه يخلق بعض المتاعب فى حياة الاسرة (٢) وأهم هذه المتاعب ما ينعكس على الابن • الا ان المرأة المصرية قد نجحت فى التخلص من هذه المتاعب بالاهتمام بالاسرة ، واهمال العمل الى حد ما ، ويؤكد ذلك ان انتاجية الام العاملة تقل عن انتاجية العاملة غير المتزوجة •

واذا كان العمل يمتص جزءا كبيرا من طاقة الرجل ، ونسبة عالية من اهتماماته التى تصرفه احيانا عن أموره الشخصية ، لكى يؤدى دوره المهنى بنجاح ، ليحقق مكانته الاجتماعية ، ويحصل على المورد الاساسى لمعيشته ومعيشة افراد اسرته ، فان هذا

---

(١) Parsons T.: Age & sex in social structure opcit p 260

(٢) Cooley Charles : Social organization opcit p 362.

الرأى يصدق على الرجل ، ولا يصدق على المرأة العاملة ؛ فالعمل لم يستطع بعد أن يعوض اهتمامات المرأة ، ولم يستطع ان يستقطب عاطفة الامومة ، لأنها عاطفة طبيعية عندها ، ولم ينجح فى أن يصرفها عن أولادها ، وان نجح الاولاد أحيانا فى استقطابها من عملها ، وذلك لحداثة عهد توحد المرأة العاملة بالقيم التى تؤكد مطالب العمل والتزاماته •

والآن وبعد ان تبين لنا مدى توفيق الأم العاملة بين دورها كأم وبين دور العمل ، واهتمامها بمطالب الأمومة اكثر من مطالب العمل ، نحاول أن ندرس مدى توفيق المرأة العاملة بين مطالب دور الزوجة ومطالب دور العمل •

٣ـ <u>الصراع بين مطالب دور الزوجة ومطالب دور العمل</u> :

ان الادوار المهنية التى تؤديها المرأة خارج البيت ، ادوار مكتسبة تشبه فى ذلك ادوار الزوجة ، ولكنها ادوار ليست لها التقاليد والقيم العريقة مثل ادوار الزوجة ، كما ان توجيهات ادوار الزوجة تتنافر مع توجيهات ادوار العمل ، فادوار الزوجة تتجه الى التخصيص والتعاطف والولاء للعلاقات الاسرية ، بينما تتجه الادوار المهنية الى العمومية والانجاز والتحصيل والجماعة •

وقد حاولنا فى دراستنا ان نعرف مدى توفيق المرأة العاملة بين ولائها لمطالب ادوار الزوجة ومطالب ادوار المهنة ، ومدى تفضيلها لدور على آخر ، أو تعرضها للصراعات نتيجة الضغوط الاجتماعية ولعدم قدرتها على التوفيق فى أداء السلوك المطلوب فى الموقف اداءا ناجحا • ولذا واجهنا الزوجات العاملات بمجموعة من المواقف التى يظهر كل منها مشكلة تتنافر فيها مطالب ادوار الزوجة وادوار العمل ، وانماط السلوك التى يمكن أن تتحقق باعتبارها اسلوبا لمواجهة الصراع بين الدورين •

فى الموقف الأول عرضنا مدى توفيق الزوجة العاملة بين دورها كزوجة عليها واجبات قبل زوجها ، تستلزم توفير المناخ الاسرى العاطفى الخالى من الشوائب ، وتحقيق التوجيهات الخصوصية والايثارية لدور الزوجة ، وبين ادوار العمل التى تتطلب سرعة الانجاز والأداء والعلاقات الحيادية • فاذا تعرضت الزوجة لمثل هذا الموقف ، فاننا نجد

جدول رقم (٢٢)

مدى التوفيق فى اداء السلوك المرتبط بدور الزوجة أو دور العمل ، او العجز عن الاداء

السلوك المرتبط بالدور / الموقف	دور الزوجة	دور العمل	الصراع بينهما
١ـ سيطرة مشاكل العمل على سلوك الزوجة	٥٤	٢١	٢٥
٢ـ تحقيق امنية للزوج بعد يوم عمل مرهق	٣٧	٦	٥٧
٣ـ خلافات العمل وغضب الزوج	٤٠	٣٨	٢٢
٤ـ التوفيق بين العمل والبيت	٦٣	١٢	٢٥
٥ـ الاستقالة والتفرغ للبيت	٤٨	٢٤	٢٨
المجموع	٢٤٢	١٠١	١٥٧

ان نسبة الزوجات اللاتى يجدبهن الموقف الاسرى ، ويتجهن فى سلوكهن اتجاها خصوصيا وجد انها تبلغ ٥٤٪ ، اى ما يزيد عن النصف • ونجد نسبة العاملات اللاتى يغلبن الاهداف والمصالح العليا للعمل على المصالح الزواجية الشخصية تهبط الى ٢١٪ • أما الامهات اللاتى يشعرن بالارتباك والعجز عن الاداء الناجح لدور الزوجة والعمل ، وعدم القدرة على استبعاد مطالب العمل من تفكيرهن اثناء مجالستهن لازواجهن فقد بلغت نسبتهن ربع العاملات •

اما اذا واجهت الزوجة العاملة موقفا تعانى فيه من ارهاق العمل ومطالب الزوج فاننا نجد أن ٣٧٪ من الزوجات العاملات يحكم سلوكهن فى الموقف المشاعر العاطفية، وتشدهن واجباتهن وعواطفهن نحو الزوج ، وكان هدفهن من ذلك تجنب غضب الزوج • أما العاملات اللاتى توجه سلوكهن المبادىء العملية الداعية الى المساواة ومشاركة الزوج فى اعمال البيت ما دامت تشاركه اقتصاديا فى مسئولية الأسرة فتنخفض نسبتهن الى ٦ ٪• اما العاملات اللاتى يحكم سلوكهن الصراع بين القيم والمعايير التقليدية المتوارثة الداعية الى ابعاد الزوج عن مشاكل البيت ، وبين القيم المتغيرة والداعية الى مشاركته مع الزوجة، ومن ثم تعانى الزوجات من التردد وعدم التوفيق فى تحقيق التوقعات البنائية لدور العمل أو دور الزوجة ، فتبلغ نسبتهن فى هذا الموقف ٥٧٪ • وكان تساؤل معظم هؤلاء دائما

لماذا لا يقدر الزوج عناء الزوجة ؟ .

وفى الموقف الثالث اذا ما تعرضت المرأة العاملة لموقف مقارنة بين جو العمل وما تعانى فيه من مشكلات وتشعر فيه بمدى ما تستنزفه من جهد وطاقة ، وبين ما يحيط الجو الاسرى من هدوء وعدم استقرار ووئام ، فاننا نجد أن عدد الامهات اللاتى يجذبهن دور الزوجة ومظاهر الحياة الاسرية يبلغ ٤٠٪ من عدد العاملات ، بينما نجد أن نسبة العاملات اللاتى جمدت لديهن العواطف الاسرية ، وشعرن بأن مشاكل العمل جزء لا يتجزأ من العمل فتبلغ ٣٨٪ . اما الزوجات اللاتى يشعرن بالتوتر والاحساس بالضعف والخور ازاء هذا الموقف فتبلغ نسبتهن ٢٢٪ من عدد العاملات .

واذا ما تأخرت العاملة عن بيتها ـ كما يحكى الموقف الرابع ـ لانجاز اعمال عاجلة وتعرضت فى نفس الموقف لعتاب من الزوج يشعرها بقصورها نحوه ، فاننا نجد أن نسبة العاملات اللاتى يشدهن الموقف الاسرى تبلغ ٦٢٪ من عدد العاملات . اما الزوجات اللاتى يتأثر سلوكهن بالقيم التى تحكم العمل ، ويشعرن بأسبقية وأهمية العمل عن أمور البيت والتزاماته ، فتنخفض نسبتهن الى ١٢٪ . ونجد أن الزوجات اللاتى يشعرن بالتوتر نتيجة العجز عن التوفيق فى مثل هذا الموقف بين المطالب الاجتماعية لدورى العمل والزوجة او تحقيق الاداء الناجح للتوقعات الاجتماعية لكل دور فتبلغ نسبتهن ٢٥٪ .

واذا ما واجهت الزوجة العاملة موقفا ، عليها ان تقنع فيه الزوج بأن العمل لا يجور على مجهودها فى خدمة الاسرة ، وأنه ضرورة اجتماعية واقتصادية فى المجتمع الحديث ، فاننا نجد أن نسبة العاملات اللاتى تحكم سلوكهن فى هذا الموقف التوجيهات الخصوصية والتى ترتبط بالاسرة ، وتتعاطف مع دور الزوجة تبلغ نصف العينة ، اما العاملات اللاتى يغلبن شأن العمل ومصالحه على ما عداه ، وعلى الاسرة ان تتحمل الاثار الاجتماعية للعمل ما دام يدر عليها دخلا يساعدها على مواجهة تكاليف المعيشة فتبلغ نسبتهن ٢٤٪ . أما العاملات اللاتى يشعرن بالتنافر والتضاد بين الالتزامات الاجتماعية لمطالب الدورين ، ويعجزن عن مواجهة هذا الموقف ، واتخاذ قرار صريح مع الزوج فتبلغ نسبتهن ٢٨٪ .

وتعبر الاجابات الاتية والتى رددتها معظم العاملات عن الدافع الذى من اجله تتمسك المرأة بالعمل .

- " العمل ضرورة مادية ، ولا مفر من اقناع الزوج ان العمل لابد منه "
- " العمل سلاح للمستقبل "
- " البيت يحتاج الى دخل العاملة "
- " العمل يكفل لنا استقرار اجتماعى ، واكتفاء بالمصروف "
- " اذا كانت امكانيات الزوج تسمح بترك العمل ،أتركه "
- " ألوم نفسى اننى أشتغل "، ولكن الضرورة "

وتظهر لنا هذه الاجابات ان الدافع الى خروج المرأة للعمل هو الحاجة الاقتصادية، وشعور الزوجة بأن دخل الزوج وحده لم يعد يكفي لتوفير احتياجات الأسرة ، وخاصة بعد انزادت تطلعات الاسر الى استخدام الالآت الحديثة •

ومن مجمل دراسة هذه المواقف نجد أن الاجهاد من عناء العمل عامل يفجر الصراع بين القيم الاجتماعية التى تحكم مطالب دور الزوجة ومطالب العمل ، ومن ثم التردد والقلق ومعاناة الشدة هى السبب الأساسى لكل الصراعات الاجتماعية والنفسية عند الزوجة العاملة• كما كشفت لنا تعليقات أغلب الزوجات ان الدافع الاساسى فى كثير من المواقف لتفضيل دور الزوجة والهروب من التزامات دور العمل ، هو خشية غضب الزوج وعدم تقديره لعناء الزوجة•

وقد حاولنا ان نعرف مدى تفضيل الزوجة العاملة لمطالب دور على آخر ، او العجز عن التوفيق اذا ما واجهت موقفا تتعارض فيه مطالب دور الزوجة مع مطالب دور العمل ، وهل يتأثر هذا الموقف بنوع المهنة •

جدول رقم (٢٣)

القدرة على التوفيق بين مطالب دور الزوجة ومطالب دور العمل عند العاملات فى المهن المختلفة

المهنة	دور الام		دور العمل		العجز عن التوفيق	
	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط	عدد الحالات	المتوسط
الصناعية	٤	٤ر٠٠	١	١ر٠٠	•	•
التدريس	١٤٢	٢ر٢٩	٦١	ر٩٨	١٠٧	١ر٧٣
العلاجية	٢٣	ر٦٢	١١	١ر٢٠	١١	١ر٢٠
الادارية	٣٥	٢ر٥٠	١٤	١ر٠٠	٢١	١ر٥٠
القيادية	٣٨	٢ر٦٩	١٤	١ر٠٠	١٨	١ر٣٠

توضح لنا الاجابات المبينة فى الجدول السابق ان اعطاء الافضلية لدور الزوجة على دور المهنة ، او الاهتمام بمطالب العمل اكثر من الاهتمام بالمطالب الزواجية ، أو الشعور بالصدام بين القيم الاجتماعية التى تحكم الدورين ، يتباين من مهنة لاخرى • وتظهر لنا البيانات ان العاملات فى التدريس اكثر العاملات شعورا بالصراع بين المطالب الاجتماعية للدورين ، ويليهن فى ذلك العاملات فى المهن الادارية • وبذا تدحض البيانات المبينة فى هذا الجدول ان اعضاء المهن القيادية من اكثر الافراد شعورا بالصراع •

اما عن الدور المفضل عند الزوجات العاملات ، وهل توفق الزوجات العاملات دائما بين مطالب الدورين حسب التزامات الموقف ، أم يهربن دائما من دور الى آخر ، أم يعجزن عن مواجهة المواقف التى تتصارع فيها مطالب دور الزوجة مع مطالب دور العمل •

جدول رقم (٢٤)

تكرار سلوك الدور المفضل فى المواقف المختلفة عند المفاضلة بين دور العمل ودور الزوجة

التكرار / سلوك الدور المفضل	لا يوجد	مرة واحدة	مرتان	ثلاث مرات	أربع مرات	خمس مرات
دور الزوجة	٧	٢٦	١٤	٢٨	٢١	٤
دور العمل	٣٤	٣٩	٢٠	٦	١	•
الصراع بين الدورين	٢٥	٣٨	١٣	٦	١٥	٣

كا^{2} = ٦٧٫٠٥٥٥٠

وقد بينت لنا الدراسة الميدانية أن اغلبية العاملات يعطين الاسبقية لدور الزوجة ويظهر لنا الجدول السابق ان عدد الزوجات العاملات اللاتى لا يضعن دور الزوجة دائما فى المحل الأول ، ولكنهن يعطين الاسبقية للدور المهنى ، أو يشعرن أحيانا بالمعاناة فى أداء الدورين يبلغ ٧٪ من عدد العاملات ، بينما نجد أن عدد الزوجات اللاتى لا يعرن العمل الاهتمام الأول كلية ، بيد أنهن يعطين دور الزوجة الاهتمام الأول ، او يقفن احيانا فى مواقف تتنافر فيها المطالب الاجتماعية للدورين يبلغ ٣٤٪ • ونجد ان اللاتى لا يشعرن ابدا بالحيرة فى المواقف ، ولكن يحسمن امورهن دائما ، ويعطين الاسبقية اما الى الدور المهنى او الى الدور الزواجى فيبلغ عددهن ٢٥٪ • اما التطرف فى اداء احد الدورين على حساب الدور الآخر ، فنجد أن اللاتى يعطين دور الزوجة كل الاهتمام وفى جميع

المواقف فيبلغ عدد من أربع زوجات عاملات • ولكننا لا نجد زوجة تفضل عملها فى كل المواقف ، وتهرب من مسئوليات دور الزوجة • ونجد كذلك أن ٣٪ من الزوجات العاملات يشعرن بالعجز عن التوفيق بين التزامات الدورين دائما ، وتكشف لنا الدراسة ان مطالب دور الزوجة يجذب اهتمام المرأة اكثر من مطالب المهنة فى بعض الاحيان ، بيد أن الزوجة العاملة ليست خالصة لزوجها ، ولم يعد الزواج هو الحدث الهام فى حياة المرأة العاملة• وتظهر لنا الاجابات تعرض المرأة الى ضغوط اجتماعية تشتتها بين ولائها لزوجها وولائها لمطالب العمل ، وتولد هذه الضغوط لديها اسباب التوتر والصراع والشك وازدواج السلوك من موقف لموقف • وهذا الصراع بين التوقعات الاجتماعية لدورى الزوجة والعمل ، وما يفجر من اسباب للصراع الداخلى ينعكس على العلاقات الزواجية ، فهذا التنافر لا يؤدى الى زيادة التماسك الاسرى ، لكنه ينعكس على العلاقات الاسرية فى صورة خلافات ومشاجرات كما يؤثر فى قدرة الزوجة على الانتاج ، واذا زاد الصراع فقد يؤدى الى فسخ العلاقات الزواجية ، او التبلد فى العمل •

وتظهر لنا دراسة الصراع بين الادوار الاسرية من جانب عند العاملات والمتفرغات ، ودراسة الصراع بين الادوار الاسرية والادوار المهنية من جانب آخر عند العاملات أن الدور المهنى عند العاملة ومطالبه لا يمتص جزءا كبيرا من طاقة العاملة واهتمامها ، ولا تطغى مطالب الادوار المهنية على مطالب الادوار الاسرية كلية ، ونجد ان سلوك المرأة المتفرغة والعاملة يتغاير من موقف لآخر ، وقلما تهرب من أداء دور ما ، وترغب فى اداء دور آخر دوما • فالمرأة فى مواجهة المواقف التى تتصارع فيها مطالب الادوار قد توفق فى اختيار السلوك المناسب ، او تعانى من حالات الارتباك والصراع • ويرجع الشعور بالصراع والحيرة الى عجز التوقعات المتوحدة عن الاداء ، ولمواجهة النساء لمعايير وقيم متشابهات فى الموقف •

ونرى ان الزوجة العاملة لا زالت تبذل الكثير من طاقتها ونشاطها فى خدمة اسرتها ، وتعطى الجزء الاقل لعملها ، وأنها استقطبت نفسها نحو اسرتها على حساب عملها ، كما انها لا تعمل من أجل الانتاج وحده والمصلحة العليا للعمل ، بقدر ما تعمل لصالح نفسها واسرتها من اجل الحصول على أجر يساعد الاسرة على مواجهة تكاليف المعيشة • ويفسر هذا السلوك من المرأة نحو العمل بأنه مغاير لسلوك الرجل • فالدور

المهنى عند الرجل هو معيار تحديد مكانته الاجتماعية والاقتصادية ، ولذا يعطيه المزيد من الجهد والوقت ، ويترك لنفسه جزءا ضئيلا من الوقت لمصالحه الشخصية والاسرية [١] ؛ اما المرأة فلا زالت ترى ان العمل لا يحدد مكانتها الاجتماعية ، اذ ثمة عوامل اخرى تحدد هذه المكانة ، فالمرأة العاملة لا زالت تشعر ان الفشل فى العمل لن يؤدى حتما الى فقد مراكزها الاجتماعية ، او حتى فقد عملها . فالمجتمع يضمن لافراده حق العمل ، ويؤمن عدم الفصل ، ورغم قلة الانتاج وزيادة الخسارة التى تعود على العمل ، بل لا زالت قلة تمنى نفسها بترك العمل " اذا كانت امكانيات الزوج تسمح بذلك " ، ففهم المرأة العاملة للعمل كضرورة انسانية لا زال قاصرا .

ونرى ان العمل ما زال يحتل مكانة اقل فى عالم اهتمامات المرأة عن الامومة ومطالب الزوج ، وبذا يتحقق رأى فروم ان دوافع الكسب المادى هى الحافز الى العمل ولا شىء غير ذلك ، فهو وسيلة للحصول على المال ، وليس فى ذاته نشاطا انسانيا ذا دلالة لدى المرأة [٢] .

ولماذا يتزايد شعور المرأة العاملة بالصراع اكثر من المرأة المتفرغة ؟

ان عمل المرأة يعبر عن حدوث تغير فى البناء الاجتماعى ، وتغير فى انساق ادوار شخصيتها ، وتغير سلوكها ، فعلاقة المرأة العاملة بالنسق المهنى محصلة التغير فى البناء الاجتماعى الذى تنتمى اليه ، بيد ان العلاقات الاجتماعية داخل هذا البناء لم تستقر بعد ، وتحكمها مجموعة من القيم المتشابهات والمتناقضة . واحساس العاملة بالصراع اكثر من المتفرغة يكشف لنا عن انفعالها بالموقف بين القيم السائدة والقيم المتغيرة ، اذ ما زالت المعايير والقيم التى تحكم عالم المرأة فجة ، لم تتطور بعد تطورا واضحا ، ومن ثم لم تستطع المرأة التطبع مع المعايير المتغيرة ، ولم تصبح هذه المعايير عناصر راسخة فى شخصيتها ، والمرأة فى كل حالات الصراع التى تعانى منها ، تحاول ان تثبت وجودها فى عالم متغير ، وتبحث عن الوسائل التنظيمية التى تؤكد وجودها الاجتماعى ، بيد أن هذه الوسائل احيانا ما تتعارض مع المعايير والاهداف الثقافية السائدة .

---

(١) Parsons T. : Age and sex in social structure op.cit p 260.

(٢) Fromm Erick : The sane society opcit p 181.

ونحن نرى ان الصراع الذى تعانى منه المرأة فى مجتمعنا فى صوره المتعددة صراع حقيقى بلغة كوزر وليس مجرد رهن ، ويعبر عن ظاهرة طبيعية فى مراحل التغير الاجتماعى ، لانبلاج كثير من القيم الجديدة واصطدامها مع القيم السائدة ، من اجل اعادة التكيف الاجتماعى • ولكن ما هو غير مرغوب فيه ، وغير طبيعى هو الصراع الدائم الذى تعانى منه بعض الامهات فى كل المواقف ، وبلغة فرويد العصاب الذى يعكس حالة انحلال عناصر البناء الاجتماعى والعداء الدائم بين المعايير الاجتماعية المتوحد بها ، وتلك ظاهرة نادرة فى مجتمعنا ، فقد كشف لنا البحث أن الصراع النفسى نتيجة التنافر بين المعايير الاجتماعية لا يصل ابدا الى الحالات القصوى أو يبلغ اعلى الدرجات عند الامهات العاملات والمتفرغات •

والآن بعد أن انتهينا من عرض مظاهر الصراع عند الامهات العاملات والمتفرغات يتضح لنا النتائج الآتية :

اولا : ان الامهات العاملات اكثر شعورا بالصراع من الامهات المتفرغات ، لتعرضهن لمواقف كثيرة تتعارض فيها المطالب بين الادوار الاسرية من جانب ، وبين الادوار الاسرية والادوار المهنية من جانب آخر •

ثانيا : أن اداء الدور تضبطه العناصر الاجتماعية التى تحكم السلوك فى الموقف ، وهذه العناصر تأثرت بالتغير البنائى •

ثالثا : تغير محتوى دور الأم باختلاف عدد الأولاد •

رابعا : لا يتأثر الصراع بين مكونات دور الأم بعدد الاولاد عند الامهات المتفرغات ، بيد أنه يوجد ارتباط بين حالات الصراع بين مكونات دور الأم وعدد الاولاد عند الامهات العاملات •

خامسا : لا يوجد ارتباط طردى بين حالات الصراع وعدد الأولاد •

سادسا : تغير محتوى الدور المهنى بتغير مكانة المرأة فى السلم المهنى ، بيد أن العاملات فى التدريس أكثر من غيرهن شعورا بالتنافر بين مكونات الدور المهنى ، او الصراع بين الادوار الاسرية والادوار المهنية • وهذه النتيجة تتعارض مع رأى بارسونز القائل ان العاملات فى المهن القيادية من أكثر الافراد معاناة للصراع •

••••••••••••••

٤٢٢ ـ ٤٩٧

الفصل الثامن

أساليب الأمومة في التنشئة الاجتماعية

أساليب الأمومة فى التنشئة الاجتماعية

يولد الطفل كائنا حيا عاجزا ، وهذا العجز يدفعه الى الاعتماد على الآخرين لاشباع حاجاته الحيوية والنفسية • والاطفال جميعا عند مواجهتهم هذا العالم متماثلون لا يستطيع الواحد منهم منذ البداية ان يواجه العالم كله بمفرده مباشرة ، ولكنه يقابل مجموعة من الافراد داخل الاسرة تمثل البناء الاجتماعى من خلال شخصياتها وأساليبها فى التنشئة ، واهم هؤلاء الوالدان ؛ فهما ينوبان عن المجتمع لتلقين الصغير ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه ، اثناء ممارسته النشاط المشترك مع الآخرين • والطفل فى بداية ارتباطه بالعالم يدفعه حاجته الى الحب يرتبط بوالديه ، ولا سيما أمه ، ويتحول معنى الارتباط بالام بمضى الايام من مجرد الاشباع المتبادل للحاجات البيولوجية والفسيولوجية والنفسية الى عملية تعلم المعنى الرمزى لنسق الافعال المتراكبة ، بيد أن العلاقة بين الطفل والام ليست علاقة تبادل بالمعنى الاقتصادى لمفهوم التبادل[1] ، فالام عليها ان تعطى الطفل ولن تأخذ منه شيئا مساويا فى القيمة لما تعطى ، وغاية ما تنتظر منه سلوك مقبول ، وتحقيق ما تتوقعه منه من أنماط سلوكية • فالام تنوب عن المجتمع فى تلقين الصغير الاساليب السلوكية والعادات والمعايير والقيم ، وكيفية اداء الادوار ، والتمييز بين انماط السلوك المقبولة والمستهجنة ، أى تنشئة الطفل اجتماعيا • فالامومة ليست عملية حمل وانجاب فحسب ، وانما هى فوق ذلك مسئولية اجتماعية قبل المجتمع ، تهدف الى تنشئة الابناء اجتماعيا لاجيال قادمة • فعملية تنشئة الطفل اجتماعيا عملية تهدف الى ادماج القيم والمعايير والمقبولة فى شخصية الطفل ، وخلق الشخصية الاجتماعية فى الكائن الحى • وتتمركز عملية التنشئة الاجتماعية عند بارسونز اثناء عملية التفاعل فى الموقف ، لانها تؤثر فى توجيه الفرد الفاعل فى الموقف[2] ، وتلقنه ثقافة المجتمع ، ويعنى بتلقين الطفل ثقافة المجتمع بدء مشاركته الآخرين فى عمليات التفاعل ، وبدء اكتساب الطفل لشخصيته الاجتماعية ، وتوحده مع القيم الاجتماعية ، وتعلم اداء سلوك الدور ، وأيضا اكتساب الاتجاهات والمهارات من الآخرين ، وايضا اكتساب مجموعة توقعات الادوار والتى يتبادلها مع الآخرين ، ويساعد اكتساب الطفل لكل هذه الاتجاهات والقيم وتوقعات

(١) Morse, Chandler: The functional Imperatives. In Black Max, (ed.) The social theories of T. Parsons, op.cit., P. 108.

(١) Parsons, Talcott: Social system, op.cit., P. 249.

الادوار على استمرار المجتمع داخل شخصيته • فالهدف من عملية التنشئة الاجتماعية تحقيق النمو الاجتماعي للطفل ، وتشكيله حسب ثقافة المجتمع • وقد أكد بارسونز أن توحدات الطفل مع توجيهات القيم واساليب السلوك التى يدرب عليها فى فترة الطفولة ، رغم تراكم عناصر اجتماعية اخرى فوقها فى اطوار النمو اللاحقة ، هى اهم عناصر الشخصية استقرارا واستمرارا ، ومن أصعب العناصر تقبلا للتغير اثناء طور الرشد ، " اذ أن ارتباط الطفل الوثيق بأمه وأبيه يدفعه الى التوحد مع المعايير الاجتماعية والقيم والقواعد الاجتماعية اللازمة عن ارادة اسرة "(١) •

والام هى اكثر افراد مجتمع الاسرة تأثيرا على الطفل ، فكما انها تعطيه من الغذاء ما يكفل له الحياة فانها تدربه على انماط السلوك السائدة ، وتلقنه الاساس الواسع لنسق الثقافة السائد ، ليمكنه التكيف الاجتماعي مع اعضاء اسرته • وتلعب ادوار الام جزءا من اطار المرجع لانماط وافعه اثناء تفاعله معها ، كما ان اشكال السلوك المرتبطة بأدوار الام تؤثر فى تفاعله معها ، واكتسابه لانماط السلوك والقيم والمعايير السائدة والمتغيرة •

ولقد تعرضت الاسرة فى حضر مصر لتغير سريع ، فابتداء من الثلاثينات من هذا القرن واجهت البلاد تغيرا اقتصاديا ، وبدأت الصناعة فى مصر تلعب دورا فى العلاقات الاقتصادية فى المجتمع ، وبدأ ظهور مجتمع يعتمد على اقتصاد رأسمالى تدعم طوال ثلاثين عاما ، وكان لذلك اثره فى سلوك الافراد والعلاقات الاجتماعية وأنساق القيم • وابتداء من الستينات بدأ التحول الاشتراكى ، وبدأ المجتمع يعيش فترة تحول من مجتمع اقطاعى رأسمالى الى مجتمع اشتراكى ، ويعانى افراده ازدواجا فى القيم وتضاربا بين المعايير وتوقعات الادوار والعادات التى تؤكد السلوك المرتبط بالنظام الرأسمالى أو الاقطاعى ، وتلك القيم والمعايير المتغيرة النامية التى تدعو الى تدعيم السلوك الاشتراكى •

وكان التغير فى مكانة الام المصرية ، واشكال السلوك المرتبطة بادوارها الاسرية نتيجة طبيعية للتغير الاجتماعي الذى دعا الى تحرير المرأة ، ونيلها حظا من التعليم والسماح لها بشغل الوظائف المختلفة فى النسق المهنى • ويرى بعض الاجتماعيين

(١) Parsons, Talcott: Ibid., P. 208.

ان عمل المرأة يعبر عن تغير هام فى المجتمع ، وله آثار هامة على العلاقات الاجتماعية داخل محيط الاسرة ، لكن أهم الاثار الاجتماعية لتغير مكانة المرأة وتحررها وافساح مكان لها فى النسق المهنى تغير اساليبها فى تنشئة الابن • بيد أن يارو ماريان ترى أن عمل المرأة الأم اثر فى البيئة الاساسية للتنشئة ، لقلة انتفاع الاسرة بوجه عام والابناء بوجه خاص بخدمات الام لتباين الانساق التى تحل محل الأم للرعاية بالطفل والاهتمام به[1]، ويقابل رأى يارو اتجاه آخر يرى ان غياب الأم ساعات طويلة عن البيت يحقق الكثير من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية للأسرة ، فعمل المرأة يزيد من شعورها بقيمتها ، ويؤكد مساواتها بالرجل ، وفائدتها لما تقدمه من خدمات وفوائد الى المجتمع والاسرة ، وكذلك فالعمل وسيلة لزيادة دخل الأسرة ورفع مستواها الاقتصادى ، كما ان ازدياد مشاركتها فى ميادين العمل يساعد على ازدياد خبراتها وتجاربها • الا أن ماريان يارو ترفض الفوائد الاجتماعية والاقتصادية التى تعود على الاسرة نتيجة عمل المرأة ، وترى ان عمل المرأة ولد لديها مشاعر الصراع الداخلية الخطيرة [2] التى تنعكس نتائجها على أولادها • فعمل المرأة باعتباره ظاهرة اجتماعية حديثة له آثاره على شخصيتها وسلوكها كأم وزوجة وانسان منتج • وهذا التغير فى شخصيتها ، وما يصاحب ذلك من مشاعر الصراعات الداخلية ، واصطدام المرأة الذى لا مفر منه مع المعايير والقيم التى لم تتوائم مع تحرر المرأة ، هذا التغير فى شخصية الأم ينعكس على اساليبها فى التنشئة ، وطريقة توجيه ابنها نحو انماط السلوك السائدة أو المتغيرة •

واستناداً الى رأى الكس انكلز ان لعالم الاجتماع دوراً هاماً فى الاجابة على السؤال " لماذا يربى الوالد ان ابناؤهما حسب طريقة ما [3] ؟ فقد حاولنا تحقيق الفروض الآتية فى هذا الفصل •

---

(1) Yarrow, Marrian Radke: Maternal employment and child rearing. Children education. Vol. 8 No. 6, 1961

(2) Yarrow, Marrian Radke: Ibid.

(3) Inkles, Alex: Personality and social structure. In Robert Merton and others, (ed.) Sociology to day. op. cit.

١ـ أدى التغير البنائي الى تغير أساليب التنشئة الاجتماعية التقليدية التى تدرب الأبناء على أداء سلوك معين وتلقنهم قيماً محددة . وتتميز هذه الاساليب بين الابنة والابن .

٢ـ ان الاهتمام بتلقين الأبناء القيم الاخلاقية والدينية يضارع الاهتمام بالقيم السياسية والاقتصادية والنظرية .

٣ـ هناك تباين بين أساليب الامهات فى تربية اولادهن والاساليب التى نشئن عليها ورغم ذلك فان الاهل لا زالت أكثر الاشخاص تأثيرا على الابن فى هذا الطور من النمو وأن نسق الام والطفل لا زال قويا .

وكان الهدف من ذلك بيان أثر التغير الحادث فى اساليب التنشئة الاجتماعية عند الامهات العاملات والمتفرغات ، نتيجة لتغير ادوار كل من الام العاملة والام المتفرغة والسلوك المرتبط بهذه الادوار ، وتغير محتوى دور الام تبعا لتغير البناء الاجتماعى ، لمعرفة مدى انعكاس الصراع بين الادوار على اساليب التنشئة ، وكذلك بيان مدى تقبل الامهات لنماذج السلوك السائدة والمتغيرة ، ومدى مسايرتهن للتغير الحادث فى البناء ، تلك النماذج المتغيرة التى جهلتها الام فى طفولتها ، ولم تصبح عناصر راسخة ثابتة فى بناء شخصيتها . وانطلاقا من هذه الاهداف وضعنا بعض الاسئلة التى تهدف الى اختبار اساليب الامهات فى توجيه سلوك الابناء ازاء مجموعة من الانشطة اليومية .

موقف الامهات من الممتلكات العامة والخاصة والمسائل الشخصية :

وقد حاولنا فى البداية ان نعرف اتجاه الامهات من الممتلكات العامة والخاصة . فالمحافظة على المرافق العامة سلوك معروف ومقر به فى المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية ، بيد ان الميل الى تخريب الممتلكات العامة يزداد فى المجتمعات النامية ، وبين الطبقات التى تعانى من الحرمان فى فترات التحول الاشتراكى نتيجة شعورهم بتفاوت توزيع الثروة ، ونشوء طبقات جديدة استغلت التطبيق الاشتراكى لصالحها ، ولذا حاولنا فى دراستنا الميدانية ان نعرف مدى ايمان الام العاملة او المتفرغة بالقيم الداعية الى المحافظة على الممتلكات العامة وممتلكات الآخرين باعتباره سلوكا مفضلا تعمل الام على تثبيته لدى ابنها .

جدول رقم (٢٥)

اساليب الامهات فى توجيه الابناء نحو الممتلكات العامة

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
قبول الام تنازل صاحب الشيء عن ممتلكاته	١٠	١٠	١١	١١	٢٣ر٠
رفض الام استيلاء ابنها على حاجيات الاخرين	٩٠	٩٠	٨٩	٨٩	٢٣ر٠
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تشجيع الطفل على تخريب المرافق العامة	٥	٥	١	١	٦٦ر١
ضرورة احترام المرافق العامة	٨٦	٨٩	٩٥	٩٥	٥٧ر١
اللامبالاة من تصرف الابن	٦	٦	٤	٤	٦٤ر٠
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وتكشف لنا البيانات التى اجابت عنها الامهات العاملات والمتفرغات لمجموعة من الاسئلة المباشرة عن سلوك الابن ازاء ممتلكات الغير ، تكشف لنا البيانات كما موضح فى الجدول السابق ، ان ٩٠٪ من الامهات المتفرغات و ٨٩٪ من الامهات العاملات يأبين استيلاء الابن على حاجيات الآخرين ، ويجدن فى استيلاء الابن على حاجيات الآخرين سلوكا شاذا يجب تقويمه ، اما سلوك الابناء فى الحدائق العامة ، فنجد أن ٩٠٪ من الامهات المتفرغات يستهجن محاولات الأولاد قطف الازهار والعبث بالمرافق العامة ، ونجد ان نسبة العاملات اللاتى يرفضن رغبة الطفل فى الاستيلاء على الازهار من الحدائق العامة ترتفع الى ٩٥٪ من مجموعة الامهات العاملات . وتكشف لنا الدراسة الميدانية ان قلة من الامهات المتفرغات تبلغ ١٠٪ يقفن اما موقف اللامبالاة من سلوك الطفل فى الحدائق العامة أو يشجعنه على التخريب ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٥٪ عند الأمهات العاملات .

وقد حاولنا ان نعرف رأى الأم اذا واجهت مجموعة مواقف يبدو فيها سلوك ابنها عابثا بممتلكات الغير سواء اكانت عامة او خاصة ، ويساعدنا تحليل آراء الامهات فى هذه المواقف على ايضاح مدى التقدير الحقيقى من الامهات العاملات والمتفرغات لملكية الغير ،

وبدى مساهمتهن فى توجيه الطفل الى احترام الممتلكات العامة والمحافظة عليها .

جدول رقم (٢٦)

تصرف الام ازاء ممتلكات الآخرين والمرافق العامة

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة العدد	الام المتفرغة %	الام العاملة العدد	الام العاملة %	النسبة الحرجة
- عدم الاهتمام بحصول الابن على قلم زميله	٢٠	٢٠	٨	٨	٢ر٤٨
عقاب الابن بدنيا والرد عنه عن هذا التصرف	٣	٣	٢	٢	١ر٤٥
شرح خطورة الاعتداء على ممتلكات الغير	٧	٧	١٣	١٣	١ر٤٢
تأنيب الطفل	٢	٢	٤	٤	٠ر٨٣
مطالبة الطفل برد ما استحوذ عليه	٦٨	٦٨	٧٣	٧٣	٠ر٧٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
. اللامبالاة بتخريب حاجات الآخرين	٣٦	٣٦ر٧٣	١٧	١٧ر٥٢	٣ر٠٩
العقاب البدني لتخريب حاجات الآخرين	١٥	١٥ر٣٠	٣	٣ر٠٩	٣ر٠٢
شرح ضرورة تخريب ممتلكات الغير	٦	٦ر١٢	١٥	١٤ر٤٣	١ر٩٢
اقناعه بخطورة هذا التصرف	٤٠	٤٠ر٨١	٥٤	٥٦ر٧٠	٢ر٢٤
تأنيب الام لابنها	١	١ر٠٢	٨	٨ر٢٤	٢ر٤٣
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٨	٩٧	٩٩,٩٨	
عدم الاهتمام بدفع ثمن تذكرة الترام	٤٨	٤٨ر٤٨	١٧	١٧ر٨٩	٤ر٧٩
العقاب البدني	٥	٥ر٠٥	١	١ر٠٥	١ر٦٤
شرح خطأ تصرف الابن	١٧	١٧ر١٧	٣٢	٣٢ر٦٣	٢ر٥٢
طلب عدم تكرار هذا التصرف	٢٦	٢٦ر٢٦	٣٩	٤٢ر١٠	٢ر٣٥
تأنيب الابن على سلوكه	٣	٣ر٠٣	٦	٦ر٣١	١ر٠٨
(المجموع)	٩٩	٩٩,٩٩	٩٥	٩٩,٩٨	
- عدم الاهتمام باستذكار الدروس	٢٨	٢٨	٩	١٠ر٤١	٣ر٢١
ضرب الابن لاهمال دروسه	١٩	١٩	٤	٤ر١٦	٣ر٣٥
محاولة معرفة سبب عدم الاستذكار	٢٠	٢٠	٥٩	٦٠ر٤١	٦ر٣١
اجبار الطفل على الاستذكار	٢٨	٢٨	١٣	١٣ر٥٤	٢ر٥٤
خصام الابن	٥	٥	١١	١١ر٤٥	١ر٦٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	٩٦	٩٩,٩٩	

واذا ما واجهت الام موقفا استولى فيه الابن على قلم زميل له ، يكشف لنا هذا الموقف عن مدى تقدير واحترام الام لملكية الغير والمحافظة عليها أو العبث بها ، اذ نرى ان تثبيت سلوك الطفل على عدم احترام حاجات زملائه ، يدفعه فى دور الرشد الى العبث بمصالح الدولة ، وقد بينت لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان خمس الامهات المتفرغات يظهرن عدم المبالاة بسلوك الابن ، بينما نجد ٨٪ من العاملات يقفن نفس الموقف من استيلاء الابن على ممتلكات زميل له • ويظهر لنا التحليل الاحصائى ان هناك فرقا ذا مغزى احصائى بين اهتمامات الام المتفرغة واهتمامات الام العاملة اذا ما حاول الابن الاستيلاء على ما يمتلكه غيره • وان هناك تفاوتا فى الشعور بالمبالاة بسلوك الابن عند المتفرغات والعاملات ، فاللامبالاة تميز سلوك الام المتفرغة فى هذا الموقف اكثر من الام العاملة • وتظهر لنا اجابات الامهات أن قلة لا تزيد عن ٦٪ من المتفرغات و ٢٪ من العاملات يلجأن الى الضرب كأسلوب لردع الابن عن الاستيلاء على حاجات زميل له وتلجأ ٢٪ من الامهات المتفرغات و ٤٪ من الامهات العاملات الى استعمال العقاب النفسى كالتأنيب والخصام والحرمان من العطف لمنع الطفل من تكرار اغتصابه حاجات زملائه والعبث بها •

ويبين لنا البحث الميدانى ان ما ينوف على ثلثى المتفرغات ، وما يقرب من ثلثى العاملات يطلبن من الطفل رد القلم الى صاحبه دون شرح الام لابنها اسباب استهجانها لسلوك الابن ، او بيان الضرر الناتج من استيلائه على ممتلكات زميل له ، اما عن السلوك الايجابى من الام فنجد أن ٧٪ من الامهات المتفرغات فقط يشرحن لاولادهن مدى الخطأ الذى ارتكبوه ، وترتفع هذه النسبة الى ١٣٪ عند الامهات العاملات • ورغم تفاوت النسبتين فان التحليل الاحصائى لا يكشف لنا عن وجود فرق جوهرى بين عدد الامهات العاملات والمتفرغات اللاتى يلجأن الى الاساليب التربوية لشرح عدم الاستيلاء على حاجات الزملاء ، الا اننا نجد اهتماما ناميا لدى العاملات يؤكد ضرورة احترام الابن لممتلكات زملائه •

واذا ما حاولنا ان نعرف موقف الام تجاه ابنها اذا ما قام بتكسير زجاج نافذة ، واسلوبها فى توجيهه • وكان الهدف من هذا الموقف ايضاح موقف الام من ظاهرة العبث بالمرافق العامة وتخريبها ، لاثر مثل هذا الموقف على القيم التى تحكم سلوك

الابن ازاء هذه المرافق • وتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان أكثر من ثلث الامهات المتفرغات يسلكن بعدم الاهتمام ازاء تصرف الابن ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ١٧٪ عند الامهات العاملات • ويبين لنا التحليل وجود فرق ذى دلالة بين النسبتين يعبر عن تفاوت تقدير الامهات العاملات للسلوك التخريبى ازاء الممتلكات العامة، كذلك يبين لنا تباين اهتمام الامهات المتفرغات والعاملات اذ اما اشترك الابن فى تخريب وتكسير المرافق العامة • وتظهر لنا الارقام ان ١٥٪ من الامهات المتفرغات يلجأن الى الضرب لمنع الابن من تكرار هذا السلوك ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٣ر٩٪ عند الامهات العاملات • ويوضح لنا الجدول السابق ان ٦٪ من الامهات المتفرغات يقفن موقفا ايجابيا يكشف عن وجود قلة من الامهات تدرك اهمية المحافظة على الممتلكات العامة واستهجان السلوك التخريبى من الصبى • وهؤلاء الامهات يشرحن لابنائهن ضرر تخريب وتكسير النوافذ ، وترتفع نسبة الامهات العاملات اللاتى يسلكن هذا السلوك الايجابى الى ١٤٪ من مجموعهن ، ورغم وجود فرق ذى مغزى احصائى بين عدد الامهات العاملات والمتفرغات ازاء استخدام اسلوب الاقناع والشرح لبيان ضرر تحطيم النوافذ ، فاننا نرى ان نسبة الامهات الواعيات بخطورة السلوك المخرب للطفل نسبة ضئيلة ، تنم لنا أن وعى الامهات بقيمة المحافظة على الممتلكات العامة ، واستنكار التخريب لا زال ضامرا • وتكشف لنا دراسة مواقف وآراء الامهات ان محور المشكلة فى سلوك الطفل لا يتمركز حول سلوكه التخريبى ، والضرر العائد منه على الجماعة ، بقدر ما ينصرف الاهتمام الى اعتبار سلوكه مسألة اخلاقية ترتبط بالصدق والكذب • وتبين لنا اجابات الامهات ان ٤٠٪ من الامهات المتفرغات يطلبن من الابن ضرورة الاعتراف ، بينما نجد أن ٥٦٪ من العاملات يستنكرن منه الانكار • ونجد تفاوتا فى تقدير سلوك الطفل فى هذا الموقف ، فنلاحظ أن العاملات اكثر اهتماما بالجانب الاخلاقى فى سلوك الطفل من الامهات المتفرغات ، ولا يرق الى أفكار العاملات والمتفرغات أن تخريب الافراد لهذه المرافق واعادة تنظيمها او اصلاحها يهدد أموالا يحتاج اليها المجتمع فى مرحلة التنمية ، ولتوسيع قاعدة المرافق التى تخدم الجماهير • فالمشكلة الاقتصادية فى سلوك الطفل مسألة لا تنال حظا من اهتمام الامهات ، بقدر ما ينال الجانب الاخلاقى فى الموقف الاهتمام الاكبر • ويبين لنا الجدول السابق ان ٨٪ من العاملات يلجأن الى تأنيب الطفل وتهديده بحرمانه من الحب والعطف اذا ما كرر هذا السلوك ، بينما تنخفض نسبة الامهات المتفرغات اللاتى

يستعملن العقاب النفسي في هذا الموقف الى ١ ٪ .

واستمرارا في البحث عن مدى وعي الامهات بالمحافظة على الممتلكات العامة ، حاولنا ان نعرف موقف الأم من موقف يتخذه الجماهير ، وموقفها من سلوك الابن اذا تهرب من دفع اجر الركوب في وسيلة المواصلات . وفي هذا الصدد نجد أن ٤٨ ٪ من الامهات المتفرغات ، أي ما يقرب من نصف حجم العينة تبدو في تعليقاتهن كل مظاهر اللامبالاة بسلوك الصبي ،ولا يحسبن هذا السلوك سلوكا منحرفا له اضراره على الطفل والمجتمع ، في حين ان هذه النسبة تهبط الى ١٧ ٪ لدى العاملات ، وتكشف لنا التحليلات الاحصائية عن وجود فرق كبير بين مواقف اللامبالاة عند العاملات والمتفرغات ازاء سلوك الابن وتهربه من دفع اجر الركوب .

وتبين لنا الدراسة ان مظاهر الاهتمام بسلوك الابن في هذا الموقف تتباين عند الامهات العاملات والمتفرغات ،فنجد أن ٥ ٪ من الامهات المتفرغات يلجأن الى العقاب البدني لمنع الطفل عن تكرار هذا السلوك ، بينما تنخفض هذه النسبة عند الامهات العاملات الى ١ ٪ . وبينما نجد ان ١٧ ٪ من الامهات المتفرغات يشرحن لأولادهن أضرار هذا السلوك الشاذ ، وما يحمل من معاني الانحراف ، فاننا نجد ان هذه النسبة ترتفع الى الضعف عند الامهات العاملات . وتؤكد لنا الارقام التفاوت الجوهري بين الامهات العاملات والمتفرغات ازاء المرافق التي تخدم الجماهير .وتبين لنا البيانات في جدول (٢٦) ان عدد الامهات المتفرغات اللاتي يطلبن من اولادهن عدم تكرار هذا السلوك الشاذ ، يقرب من ربع عدد الامهات المتفرغات ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ما يقرب من الخمسين عند الامهات العاملات . بيد أن هؤلاء الامهات لا يبذلن جهدا لشرح مساوئ هذا السلوك للصبي ، ويرجع ذلك الى عدم وعي الامهات بمضار هذا السلوك ، وعدم توحدهم مع القيم التي تؤكد المحافظة على المرافق العامة ، أما الامهات اللاتي يلجأن الى العقاب النفسي كأسلوب للتقويم ، فنجد أن ٣ ٪ من المتفرغات و٦ ٪ من العاملات يتخذن العقاب النفسي اسلوبا للتقويم والتوجيه .

واذا كان موقف الامهات من المرافق العامة تحكمه اللامبالاة ، وضمور القيم التي تؤكد احترام ملكية الغير ، أو تؤكد المحافظة على ممتلكات الشعب وعدم تخريبها ، فما هو

موقف الامهات من القيم التى تشجع الادخار ، وأيضا ما سلوك الامهات ازاء مسألة خاصة ترتبط بأولادهن •

وقد حاولنا ان نعرف موقف الام من الادخار ، وتشجيع ابنها على تنظيم الادخار، باعتبار ان تشجيع المدخرات واستثمارها فى مجالات مختلفة يعبر عن تغير معانى الحياة عند الامهات ، وتغير معنى الحياة فى المجتمع نفسه • وقد حاولنا فى هذا الصدد أن نسأل الام عن مدى تقبلها للقيم الجديدة الداعية الى تشجيع الادخار، وأثر ذلك على توحد الابن مع القيم المرتبطة بسلوك الام ، كذلك حاولنا ان نعرف جهود الام فى تنمية عادات الادخار عند الطفل لأهمية ذلك فى تنمية اتجاهات الطفل نحو الثروة واكتسابها ، وهل الثروة من أجل خدمة الفرد لذاته ، ام أن المدخرات من أجل الجماعة ، وتلك اتجاهات تعلم داخل الاسرة كى تصير عناصر صلبة راسخة فى الشخصية •

وفى هذا الصدد حاولنا أن نسأل الام عن كيفية اعطاء الابن مصروفه ، وهل تشجعه على الادخار كانعكاس لاتجاه الاقتصادى فى البلد الداعى الى زيادة المدخرات لاستثمارها فى خطة التنمية •

جدول رقم (٢٧)
موقف الام من انفاق الابن لمصروفه

اسلوب التنشئة	الام المتفرقة العدد	الام المتفرقة %	الام العاملة العدد	الام العاملة %	النسبة الحرجة
اعطاء الابن مصروفا شهريا	٢٠	٢٠٫٨٣	٢٢	٢٢٫٤٦	٤٤ر
اعطاء الابن مصروفا يوميا	٧١	٧٣٫٩٥	٦٦	٦٦٫٣٢	١٫١٦
اعطاء الابن مصروفا اسبوعيا	٥	٥٫٢٠	١٠	١٠٫٢٠	١٫٣١
(المجموع)	٩٦	٩٩,٩٨	٩٨	٩٩,٩٨	
اللامبالاة بانفاق الابن لمصروفه	١١	٥٧٫٨٩	١٣	٤٣٫٧٥	٩٨ر
الاهتمام بطريقة انفاق الابن لمصروفه	٨	٤٢٫١٠	١٨	٥٦٫٢٥	٩٨ر
(المجموع)	١٩	٩٩,٩٩	٣١	١٠٠	
اللامبالاة بادخار الابن لمصروفه	١	٥٫٢٦	٥	١٨٫٧٥	١٫٥٦
تشجيع الابن على ادخار مصروفه	١٨	٩٤٫٧٣	٢٦	٨١٫٢٥	١٫٥٦
(المجموع)	١٩	٩٩,٩٩	٣١	١٠٠	

تبين لنا الاجابات المبينة في جدول (٢٧) انه لا توجد فروق جوهرية بين الامهات العاملات والمتفرغات ، ازاء تعويد الصبي على الانفاق ، فنجد أن ما يقرب من ٣٧٪ من المتفرغات يربين اولاد من تربية اتكالية على الانفاق ، ويعطين اولاد عن مصروفا يوميـــا ، وتنخفض هذه النسبة الى ٦٦٪ عند الامهات العاملات • ونجد أيضا ٣٦٪ من الامهـــات العاملات يمنحن اولاد هن مصروفا شهريا او اسبوعيا دون اهتمام بتوجيه الابن نحو تنظيـــم الانفاق ، وتنخفض هذه النسبة الى ٢٦٪ عند الامهات المتفرغات • وتوضح لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن ٥٧٪ من مجموع الامهات اللاتي يمنحن لاولادهن مصروفا اسبوعيـــا أو شهريا يقفن موقف اللامبالاة اذا أنفق الابن مصروفه ، ولا يحاولن تفسير هذا الســلوك الخاطئ الى الابن ، ونجد ما يقرب من ٤٣٪ من العاملات يتبعن هذا الاسلوب مــــع الابـــن • وتبين لنا الاجابات الموضحة في الجدول السابق أن ٤٢٪ من الامهـــات المتفرغات يعوضن الابن عن ما انفق وكذلك ٥٦ ٪ من الامهات العاملات • وهذا اتجـــاه خطير • فتعويض الام للطفل عما انفقه تدليل له يدفعه الى اللامبالاة وعدم الاهتمام بتنظيم انفاقه وعدم الايمان بالادخار •

وتكشف لنا الاجابات المبينة في الجدول السابق عدم وجود امهات متفرغات يعاقبـــن الابن اذا ما انفق مصروفه كله ، وتصل هذه النسبة عند العاملات اللاتي يعاقبن الطفـــل لهذا السبب الى ٩٪ •

اما اذا ادخر الابن فنجد أن ٩٤٪ من المتفرغات اللاتي يمنحن لاولادهن مصروفا اسبوعيا او شهريا يشجعن الطفل اذا ادخر ، وتدنو هذه النسبة الى ٨١٪ عنــــد العاملات • ونلاحظ انه لا توجد فروق ذات دلالة بين الامهات العاملات والمتفرغـــات ازاء تشجيع الابن على الادخار ، وان هناك اتجاها عاما يبين عدم الاهتمام بتعويد الابنـــاء على تنظيم الانفاق ، وقلة الاهتمام بالادخار وتشجيعه عند الطفل • ويفسر ذلك بقلـــة وعي الامهات بأهمية المدخرات والحد من الانفاق ، حتى وان آمن بالادخار فهذا الايمـــان مرتبط بالمصلحة الشخصية ، ويغيب عن بالهن أهمية المدخرات في مضاعفة الدخل القومي •

واذا كان هذا سلوك الام نحو المدخرات ونحو المحافظة على الممتلكات العامـــة ، فما هو موقفها اذا عصى الابن أوامر اسرته وامتنع عن استذكار دروسه ، فهل تقف منـــه الام

موقفا مماثلا لموقفها منه اذا كسر او اعتدى على ممتلكات الغير • وقد بينت لنا الدراسة الميدانية وجود فرق بين اهتمامات الأم بالمواقف التي ترتبط بالتحصيل المدرسي ومستقبل الابن • فالعاملة اكثر اهتماما من المتفرغة ، كما ان تصرفات اللامبالاة من الأم أو سلبيتها التي تميز سلوكها في المواقف التي يرتكب فيها الابن سلوكا شاذا نحو الممتلكات العامة قد تغيرت عند ما ارتبطت بموقف شخصي يتعلق بمستقبل الطفل الدراسي • وتوضح لنا الاجابات الموضحة بجدول (٢٦) ان نسبة اللامبالاة بعدم استذكار الطفل دروسه قد انخفضت الى ٢٨٪ عند المتفرغات والى ١٠٪ عند العاملات • ونجد أن ١٩٪ من الامهات المتفرغات يلجأن الى الضرب لتقويم الابناء لاجبارهم على الاستذكار ، بينما تهبط هذه النسبة الى ٤٪ لدى الامهات العاملات • وتمارس ١١٪ منهن العقاب النفسي لتوجيه الطفل ، بينما تنخفض نسبة المتفرغات اللاتي يلجأن الى هذا الاسلوب الى ٥٪ • وتظهر لنا نتائج البحث ان خمس المتفرغات يحاولن معرفة السبب الذي من اجله يمتنع الصبي عن استذكار دروسه ، وترتفع هذه النسبة الى ثلاثة اضعافها عند الامهات العاملات • وتكشف لنا هذه الارقام عن جهل الأم المتفرغة بالاساليب التربوية التي تدفع الابن الى المثابرة في استذكار دروسه ، بعكس الحال عند الأم العاملة التي تهتم بتوجيه ابنها اثناء عملية التحصيل المدرسي •

وتبين لنا هذه الدراسة تفاوت موقف الامهات وتصرفهن ازاء الموضوعات التي ترتبط بالمحافظة على الممتلكات العامة ، والموضوعات التي ترتبط بالادخار ، والموضوعات التي تتعلق بمصير الابن ومستقبله التعليمي • ويبدو لنا جليا ان الأم العاملة اكثر ايجابية — نسبيا — ازاء احترام الممتلكات العامة من الأم المتفرغة ، واكثر تشجيعا لابنها على الادخار ، وان هناك تعاطفا بين العاملات والمتفرغات نحو الموضوعات التي ترتبط بمصالح الابن وحاجاته اكثر من الموضوعات العامة التي تهدف الى خدمة الجميع ، وهذا القصور في احترام الممتلكات العامة ووعي قيمة الادخار يعكس لنا قيم الامهات ، وما تحمل من قصور عن فهم معنى المحافظة على الممتلكات العامة ووظيفتها في المجتمع ، والادخار وقيمته في تنمية الدخل القومي وزيادة الاستثمارات في مرحلة التنمية ، اذ لا زالت معظم الامهات يرفعن شعار " كل لنفسه " هذا الشعار الذي يعني الفردية وعدم الاهتمام بحاجات الآخرين ومطالبهم ما دامت لا ترتبط بالشخص نفسه ومصالحه • وهؤلاء الامهات

يبدين الكثير من مظاهر عدم الاهتمام بالممتلكات العامة والمحافظة عليها ، والقصور عن تفسير اهمية المحافظة عليها لاولادهن وعدم وظيفة الادخار في المجتمعات النامية . ويرجع هذا الى عدم شعور الامهات بأهمية الممتلكات العامة والمدخرات ، وان فائدتها تعود على الجميع ، اذ لازالت القيم التي تعبر عن الانسان الذي لا يهتم ولا يحافظ الا على حاجاته الخاصة ولا يبالى بمصير الآخرين ، لا زالت هذه القيم حية تسعى في اساليب الأمومة في تربية الابناء .

على اننا نلاحظ على ضوء اجابات الاسئلة السابقة ، ان بذور المفاهيم التي تؤكد اهمية المحافظة على المرافق العامة وممتلكات الآخرين وتشجيع الادخار قد تولدت لدى الامهات العاملات ، ومن ثم فقد كانت الامهات العاملات اكثر ايجابية من الامهات المتفرغات ازاء الممتلكات العامة والادخار على ان هذا لا ينفى ظهور الازدواج بين المفاهيم الخاصة التي تؤكد المحافظة على ممتلكات وحاجات الشخص ، والمفاهيم النامية التي تؤكد اهمية المحافظة على الممتلكات العامة التي تخدم الجماعة .

والآن وبعد أن حللنا اساليب الأمومة ازاء الممتلكات العامة والخاصة والمدخرات، والتي تبين لنا منها عدم وجود فروق ذات مغزى بين العاملات والمتفرغات ، ننتقل الى تحليل اساليب الامهات من النشاط الآني المرح والنشاط الآني .

٢ـ التوجيه الى النشاط الآني في مقابل التوجيه الى النشاط العملي :

استكمالا لدراستنا لاساليب الامومة في التربية في مجتمع متغير حاولنا اختبار رأى فلورنس كلاكهون الذى صنفت فيه القيم التي تحكم النشاط الى قيم تؤكد النشاط العملي وقيم تمجد النشاط الآني في البيئة المصرية . فالشخص ذو القيم العملية يتميز بنشاط مغاير عن نشاط الشخص ذو القيم الآنية ، وتكون القيم التي تؤمن بالنشاط الآني أو النشاط العملي جزءا من شخصية المرء ، وتوجه سلوكه في مجالات التفاعل الاجتماعي مع الآخرين . وهذه القيم التي تحكم الانشطة الآنية أو العملية تطبع عليها الشخص ، وتمرس بها في طفولته ، وقد حاولنا في دراستنا الميدانية أن نعرف مدى توجيه الأم لابنها الى الانشطة المختلفة ، ومدى جهودها في دعم القيم التي تؤكد النشاط العملي او النشاط الآني في شخصية الطفل . وفي هذا الصدد حاولنا ان نبحث مدى تعويد الأم للابن على احترام الوقت

وتوجيهه الى زمان معين ، والمثابرة على العمل ، واتباع النظام اثناء اداء العمل ، أو الاغفال عن ذلك ، وتعويد الابن على تقبل النقد أو كراهيته .

جدول رقم (٢٨)

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة – العدد	الام المتفرغة – %	الام العاملة – العدد	الام العاملة – %	النسبة الحرجة
تحديد وقت الاستذكار	٦٦	٦٦	٨١	٨١	٢,٤٣
عدم الاهتمام بتحديد وقت الاستذكار	٣٤	٣٤	١٩	١٩	٢,٤٣
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تحديد وقت الاستماع للراديو	٥٨	٥٨	٧٢	٧٢	٢,٠٩
عدم الاهتمام بتحديد وقت سماع الراديو	٤٢	٤٢	٢٨	٢٨	٢,٠٩
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تحديد وقت مشاهدة التليفزيون	٥٣	٧٢,٦٠	٧٧	٧٧,٧٧	,٧٧
عدم تحديد وقت مشاهدة التليفزيون	٢٠	٢٧,٣٩	٢٢	٢٢,٢٢	,٧٧
(المجموع)	٧٣	٩٩,٩٩	٩٩	٩٩,٦٩	
تحديد موعد الذهاب الى السينما	٤٢	٦٠,٨٦	٥٨	٦٥,١٦	,٥٥
عدم تحديد وقت الذهاب الى السينما	٢٧	٣٩,١٣	٣١	٣٤,٨٣	,٥٥
(المجموع)	٦٩	٩٩,٩٩	٨٩	٩٩,٦٩	
الاهتمام بتحديد وقت اللعب	٥٥	٥٥	٧١	٧١	٢,٣٧
عدم الاهتمام بتحديد وقت اللعب	٤٥	٤٥	٢٩	٢٩	٢,٣٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تحديد وقت الذهاب الى الفراش	٥٠	٥٠	٦٧	٦٧	٢,٤٧
عدم الاهتمام بتحديد وقت الذهاب للفراش	٥٠	٥٠	٣٣	٣٣	٢,٤٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

واذا كان المجتمع الزراعي يتسم باغفال قيمة الوقت في حياة الشخص ، فان المجتمع الصناعي سواء أكان اشتراكيا أو رأسماليا يهدف الى الاهتمام بتنظيم الوقت وتحديده ، لما لذلك من اثر على الانتاج والتقدم الحضاري ، وفي دراستنا الميدانية حاولنا ان نعرف أثر الأم في تعويد الابن على ادراك قيمة الوقت وتنظيمه في المجالات المختلفة . ولذا وجهنا

الى الامهات مجموعة من الاسئلة تهدف الى بيان مدى تعويد الامهات للأبناء على تنظيم الوقت ، وعلى الميل الى الدقة بطريقة عملية . فقد اظهرت لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن ٦٦٪ من الامهات المتفرغات يبدين اهتماما بتنظيم اوقات استذكار الابناء ، وترتفع هذه النسبة عند الامهات العاملات الى ٨١٪ . وتبين لنا هذه الارقام التفاوت الجوهرى بين اهتمامات الامهات العاملات والامهات المتفرغات بأهمية تحديد اوقات استذكار الصغير لدروسه ، فالام العاملة اكثر اهتماما وتحديدا للوقت المخصص للتحصيل الدراسي من زميلتها المتفرغة .

ولما كانت أجهزة التثقيف والاعلام مثل الراديو والتليفزيون والسينما ذات أثر في شخصية الطفل ، وتؤثر عليه ، اذ انها بالاضافة الى انها اجهزة تهدف الى المتعة فانها اجهزة تهدف الى تثقيف الشخصية ، واثراء الكيان الانساني بالقيم والمعايير الجديدة التي قد تتعارض مع قيم الوالدين ، كما أن تنظيم استفادة الطفل من هذه الأجهزة " يوضح له ان لكل نشاط بداية ونهاية ، ومن ثم يتوحد مع القيم التي تؤكد الدقة في الوقت بالاستخدام المتواصل للساعة [1] " في تحديد أوقات الاستفادة من هذه الاجهزة ، والذى يمكن اعتباره احد الأسس التي تقوم عليها الحضارة العلمية . ولهذا حاولنا ان نعرف مدى حرص الامهات على تنظيم الوقت المخصص لسماع أو مشاهدة هذه الاجهزة . فتنظيم الأم لاوقات مشاهدة الاطفال لهذه الاجهزة يساعد على توحدهم مع القيم التي تحترم تنظيم الوقت ، لذلك سألنا الامهات اسئلة صريحة عن مدى تنظيمهن لأوقات الابناء اذا ما رغبوا في الاستمتاع بهذه الاجهزة . وتوضح لنا البيانات التي حصلنا عليها والمبينة في جدول (٢٨) أن ٥٨٪ من الامهات المتفرغات يحددن لاولادهن موعد الاستماع الى برامج الراديو المختلفة ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ثلاثة ارباع عدد العاملات ، ويكشف لنا التحليل الاحصائي عن وجود اختلاف اساسي بين اهتمامات العاملات والمتفرغات بأهمية تنظيم الوقت المخصص لسماع برامج الراديو ، وان كانت العاملات أكثر تحديدا لوقت سماع الراديو من المتفرغات .

---

(١) ريموند ملكا : الدقة في التوقيت ، سيكولوجية الرجل المصرى . ترجمة السيد محمد بدوى . ديوجين ، القاهرة ، سجل العرب ، العدد العاشر ، نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ١ — ٢٢ .

وقد حاولنا ان نعرف أثر جهاز التليفزيون على الطفل ومدى تنظيم الام لاوقات مشاهدة هذا الجهاز ، فهذا الجهاز له وقع السحر على الصغار ، ويرى برونفنبرنر ان الطفل الامريكى يقضى وقتا طويلا امام شاشة التليفزيون ، ولا يفوق هذا الوقت الا الوقت الذى يمضيه فى النوم او اللعب . فالصغار والصبية تستهويهم الصورة السمعية والمرئية وتؤثر فى سلوكهم ، ويعادل تأثير اجهزة التليفزيون على الصبية تاثير الاشخاص الحقيقيين (1) . ولذا حاولنا ان نعرف مدى تنظيم الام لوقت الاولاد المخصص لمشاهدة هذا الجهاز الخطير الاثر . وتبين لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان نسبة ٧٧٪ من العاملات و ٧٢٪ من المتفرغات يحددن موعد مشاهدة الاطفال لاجهزة التليفزيون . ويدل ارتفاع نسبة الامهات العاملات والمتفرغات اللاتى تحددن الوقت المخصص لمشاهدة التليفزيون عن نسبة الامهات اللاتى يحددن وقت سماع الراديو – يدل على ايمان الامهات بشدة تأثر الصبية بالصورة السمعية والمرئية ، وجذبها لهم ، وهذا بالتالى يدل على اقتناعهن بضياع الوقت امام هذه الاجهزة والحرص الشديد على تنظيم اوقات الاولاد كذلك هناك عامل بعيد – بلغة أوجبرن – يتدخل فى تأكيد تدخل الاسرة فى تنظيم الوقت ، وهو الحد من استهلاك الكهرباء كسبب يرهق ميزانية الاسرة .

اما عن تحديد الاوقات المخصصة للذهاب الى دور السينما فقد كشفت لنا الدراسة الميدانية أن ٦٥٪ من الامهات العاملات تحددن الوقت المخصص للذهاب الى دور السينما ، وتنخفض هذه النسبة الى ٦٠٪ عند الامهات المتفرغات . وتبين لنا هذه الدراسة ان الامهات العاملات اكثر دقة فى تحديد مواعيد التردد على السينما .

ويبين لنا تحليل اتجاه الامهات الى تنظيم الاوقات المخصصة للاستماع الى أجهزة التثقيف ان الأم العاملة اكثر وعيا لقيمة الوقت من الأم المتفرغة ، ومن ثم فهى اشد اهتماما بتدريب ابنها على احترام الوقت وتنظيمه وتعويده الميل الى الدقة .

وحيث أننا نؤمن بأن اللعب ضرورى عند الطفل ، ويستلزم تنظيم اوقاته ، لذلك حاولنا معرفة اتجاه الأم فى هذا الشأن . وتبين لنا الدراسة ان ٥٥٪ من الامهات المتفرغات تحددن اوقات لعب الأولاد ، وترتفع هذه النسبة الى ٧١٪ عند الامهات العاملات. ويكشف لنا التحليل الاحصائى عن وجود فروق ذات دلالة بين موقف الامهات العاملات

---

1) Bronfenbronner Urie : Two worlds of children opcit pp 102. 110.

والمتفرغات من اوقات لعب الصبية ، فالامهات العاملات اكثر تحديدا لاوقات اللعب من المتفرغات ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من تبين من ازدياد وعي العاملة بقيمة الوقت .

اما بالنسبة لتحديد موعد الذهاب الى الفراش للنوم ، فتبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن حوالى نصف المتفرغات يبدين اهتماما بموعد ذهاب الابناء الى الفراش ، وترتفع هذه النسبة الى الثلثين عند العاملات . وهذا دليل آخر على أن الامهات العاملات أكثر ايمانا من المتفرغات بأهمية تنظيم الوقت ، وتعويد الطفل على أساليب سلوكية جديدة .

وتبين لنا الدراسة ان الاهتمام بتنظيم الوقت المحدد لنشاط الابناء ، ظاهرة بدت اكثر وضوحا وتنفيذا عند الامهات العاملات كانعكاس للبناء المتغير من الامهات المتفرغات ، ويعني هذا ان ابناء العاملات اكثر ارتباطا مع القيم التي تؤكد اهمية تنظيم الوقت من أبناء المتفرغات . فحرص الامهات على تنظيم اوقات الابناء وتعويدهم على تحديد الوقت له اثره في سلوكهم وايمانهم بعدم تضييع الوقت سدى ، وهذا كله يدفع الابناء الى التوحد مع القيم التي تؤكد قيمة الوقت وتنظيمه ، والرغبة في عدم تضييع الوقت باعتباره عنصرا له قيمته في أيامنا هذه " ثم الرغبة في تنسيقه وتنظيمه وانفاقه بطريقة عقلية ، وتنظيم الحياة نحو هدف معين " (1) . كما تبين لنا الدراسة ان الامهات اللاتي لا يعنين بتحديد الوقت يبلغن ما يقرب من نصف المتفرغات وربع العاملات ، وهؤلاء يعشن بلاشك خارج نطاق المجتمع الحضري ، ولم يتوحدن بعد مع القيم التي تؤكد أهمية الوقت وتنظيمه .

ولكن ما موقف الأم اذا ما خالف الابن الوقت الذي تحدده له ، وما مدى ايجابية الأم أو سلبيتها اذا ما حاول ابنها مخالفة الاوقات المخصصة لنشاطه .

تبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها والمبينة في جدول (٢١) أن ٣٥٪ من الامهات المتفرغات يقفن موقفا سلبيا من سلوك الابن اذا خالف الاوقات المحددة لنشاطه اليومي ، وحاول أن يؤكد نزعته الآنية وحبه للعب ، وخروجه على النظام الذي تضعه الاسرة ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ١٨٪ عند الامهات العاملات . وتبين لنا الدراسة الاحصائية

---

(1) ريموند ماكا ؛ تنظيم الوقت — سيكولوجية الرجل المصري — المرجع السابق .

جدول رقم (٢٩)
تصرف الام اذا حاول الابن مخالفة الوقت المحدد للنشـــاط

اسلوب التنشـــــــئة	الام المتفرغـــة		الام العاملـــة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
اللامبالاة بمخالفة الطفل لاوقات النشاط	٣٥	٣٥	١٨	١٨	٢٫٧٧
توضيح اهمية تنظيم الوقت المخصص للنشاط	٦٥	٦٥	٨٢	٨٢	٢٫٧٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

عن وجود فروق جوهرية بين مواقف العاملات والمتفرغات اذا ما حاول الابن مخالفة الوقـــت المحدد لنشاطه • فنجد ان ٦٥ ٪ من المتفرغات و ٨٢ ٪ من العاملات يحاولن أن يشرحن للصبي خطورة تبديد الوقت ، واهمية تنظيمه • فالام العاملة اكثر ايجابية ازاء تصـــــرف الطفل عند ما يحاول الخروج عن اوقات نشاطه اليومي من الام المتفرغة ، واكثر ارتباطـــــا بحركات المجتمع المعاصر وانفعالاته •

اما كيفية تنظيم واستغلال وقت الفراغ الكبير الذى يتعرض له الطفل طوال الاجـــازة الصيفية التي تبلغ ربع العام ، حيث يبعد تماما عن تأثير المدرسة ، وتوجيه المنهج المدرسي ويعيش في مسكن ضيق مزدحم يقيد من نشاطه ويحد من حيويته ومن ميله الى اللعب والتسلية ، وقد لجأنا في دراستنا الميدانية الى سؤال الامهات عن كيفية استغلال الوقت في هـــــذه الاجازة الطويلة ، لمعرفة مدى ما يكتسبه الصبي اثنائها من معايير وقيم خلال النشاط الذى يقوم به •

تبين لنا الدراسة الميدانية كما هو موضح في جدول (٣٠) كراهية الامهـــــات العاملات والمتفرغات انطلاق الابن الى الطريق العام ، ومخالطة الصحبة واللعب معهم • فنجد ما يقرب من ٢٩ ٪ من المتفرغات يوافقن على لعب الاولاد مع الرفاق في الطرقـــات ، وتنخفض هذه النسبة الى ٢٣ ٪ عند العاملات ، ونلاحظ انه لا توجد فروق اساسية بـــين العاملات والمتفرغات اللاتي يكرهن نزول الفتيات الى الطريق العام واللعب مع اصحابهـــن ، فالامهات يخشين لعب الأبناء من البنين والبنات في الطرقات بعيدا عن الرقابة الاسريـــة ، خوفا من الاختلاط مع صحبة السوء مما يؤثر في سلوك الاطفال ، وكذلك خشية تعرض الصغـــار

جدول رقم (٣٠)

كيفية قضاء الصبية لاوقات الفراغ فى الحالة الصيفية

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة العدد	الام المتفرغة %	الام العاملة العدد	الام العاملة %	النسبة الحرجة
الموافقة على لعب الصبى فى الطريق العام	٢٩	٢٩,٥٩	٢٠	٢٣,٥٩	,٩٣
عدم الموافقة على اللعب بالطريق العام	٦٩	٧٠,٤٠	٧٦	,٤٠	,٩٣
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٨٩	٩٩,٩٩	
الموافقة على لعب البنات بالطريق العام	١٢	١٢,٥٠	١٧	١٢,٧٩	,٠٥
عدم الموافقة على لعب البنات فى الطريق العام	٨٤	٨٧,٥٠	٧٥	٨٧,٢٠	,٠٥
(المجموع)	٩٦	١٠٠	٨٦	٩٩,٩٩	
الموافقة على ذهاب الابن الى النادى	٣٣	٣٣,٦٧	٥٤	,٦٠	٣,٧٤
رفض ذهاب الابن الى النادى	٦٥	٦٦,٣٢	٣٦	,٤٠	٣,٧٤
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٠	١٠٠	
الموافقة على ذهاب الابنة الى النادى	٢٩	٣٠,٢٠	٤٧	٥٥,٢٩	٣,٥١
عدم الموافقة على ذهاب الابنة الى النادى	٦٧	٦٩,٧٩	٣٨	٤٤,٧٠	٣,٥١
(المجموع)	٩٦	٩٩,٩٩	٨٥	٩٩,٩٩	
قبول تدريب الصبى على حرفة يدوية	٩	٩,١٨	٨	٨,٨٨	,٠٧
عدم قبول تدريب الصبى على حرفة يدوية	٨٩	٩٠,٨١	٨٢	٩١,١١	,٠٧
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٠	٩٩,٩٩	
قبول تدريب الابنة على عمل يدوى	٣	٣,١٢	١٠	١١,٧٦	,٢٢
رفض تدريب الابنة على عمل يدوى	٩٣	٩٦,٨٧	٧٥	٨٨,٢٣	,٢٢
(المجموع)	٩٦	٩٩,٩٩	٨٥	٩٩,٩٩	
تفضيل قراءة الابن للكتب فى الاجازة	٥٤	٥٥,١٠	٧٤	٨٢,٢٢	٤,٢١
كراهية قراءة الابن للكتب فى الاجازة	٤٤	٤٤,٨٩	١٦	١٧,٧٧	٤,٢١
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٠	٩٩,٩٩	
تفضيل قراءة الابنة للكتب فى الاجازة	٥٢	٥٤,١٦	٦٩	٨١,١٧	٤,٠٧
كراهية قراءة الابنة للكتب فى الاجازة	٤٤	٤٥,٨٣	١٦	١٨,٨٢	٤,٠٧
(المجموع)	٩٦	٩٩,٩٩	٨٥	٩٩,٩٩	

(تابع) جدول رقم (٣٠)

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة العدد	الام المتفرغة %	الام العاملة العدد	الام العاملة %	النسبة الحرجة
تدريب الابن على اداء الاعمال المنزلية	٣١	٣١,٣١	٥٢	٥٧,٧٧	٣,٧٨
رفض تدريب الابن على اداء الاعمال المنزلية	٦٨	٦٨,٨٨	٣٨	٤٠,٢٢	٣,٧٨
(المجموع)	٦٩	٩٩,٩٩	٩٠	٩٩,٩٩	
تأييد مساهمة الابنة على اداء الاعمال المنزلية	٦٠	٦٢,٥٠	٦٥	٧٦,٤٧	٢,٠٦
رفض تدريب الابنة على اداء الاعمال المنزلية	٣٦	٣٧,٥٠	٢٠	٢٣,٥٢	٢,٠٦
(المجموع)	٩٦	١٠٠	٨٥	٩٩,٩٩	
هل تقرئين لهم من كتاب ؟					
نعم	١٧	١٧,٠٠	٢٤	٢٤,٠٠	١,٢٣
لا	٨٣	٨٣,٠٠	٧٦	٧٦,٠٠	١,٢٣
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل تحكين لهم قصصا ؟					
خرافيـــة	١٣	١٢,١٠	١٠	٨,٨٠	
دينيـــة	٣٢	٢٩,٦٠	٤٨	٣٢,٥٠	
علميـــة	٤	٣,٧٠	٩	٧,٩٠	
لا تقـــرأ	٥٩	٥٤,٦٠	٤٦	٤٠,٨٠	
مجموع الاجابات	١٠٨	١٠٠	١١٣	١٠٠	

لحوادث المواصلات ، تلك الحوادث التي اصبحت لزومة من لزومات بناء المجتمع الحضـــري •

اما عن الاندية باعتبارها وسيلة للتربية الجسمية والاجتماعية والخلقية ، فاننا نجـد أن مفهوم الأندية وان اختلف في نظر العاملات والمتفرغات ، فهو مفهوم لا زال غامضـــا • وتظهرلنا الاجابات أن ثلث المتفرغات يوافقن على ذهاب الأبناء الى الاندية ، ويقابـــل ضعف هذا العدد من العاملات تردد الابناء على النوادي في الاجازة وممارسة النشـــاط فيها ، بيد أننا نلاحظ أن الأم لا تفرق بين أندية الكبار والصغار ، ويعاني الاطفـــال والصبية من فقر المدينة من الاندية الخاصة لنشاطهم والتي تقتصر على عالمهم رغم انها مـن الضرورات القصوى لتوجيه سلوكهم •

وقد سألنا الامهات ، هل يفضلن تعلم الابناء صنعة يدوية في الصيف لشغل أوقـــات

فراغهم ، ومن يقبلن تدريب البنات على الاعمال اليدوية ، لمعرفة التغيير الحادث في المجتمع نحو احترام العمل اليدوى وشغل اوقات الفراغ فى عمل يفيد الطفل ، ويعرف كيف يستغل الوقت بما يعود عليه بالفائدة . وقد كشفت لنا الدراسة ان أغلبية الامهات يحتقرن العمل اليدوى ويرفضن تدريب الابناء على الاعمال اليدوية ، ونجد ان نسبة تدنو من ١٠٪ من الامهات المتفرغات والعاملات يوافقن على تدريب الابناء على الاعمال اليدوية ، وتتضاءل هذه النسبة الى ٣٪ اذا ما سألت الام عن رأيها فى تعلم الابن حرفة يدوية .

أما عن القراءة كوسيلة لشغل أوقات الفراغ ، فاننا نجد أن لها وظيفتان : وظيفة ظاهرة وهى المتعة والترويح ، ووظيفة كامنة تهدف الى بث مجموعة من القيم والافكار والعقائد التى تعبر عنها الاساليب التى تحدث فى أحداث القصص ، وعن طريقة حل مشكلات هذه الاحداث . واثناء قراءة الطفل لهذه القصص فانه يتمثل احداثها ويتعاطف مع بعض افرادها وما يجرى لهم ، ويتوحد مع ما يتعاطف من قيم ، تلك القيم التى تثبت قيم الوالدين أو تضعها موضع الشك . فالقصص تتضمن مجموعة من القيم مثل تمجيد المال ، واتخاذه معيارا للنجاح فى الحياة ، او تمجيد العمل واعتباره غاية انسانية ، كما تتضمن قيما تؤكد التعاون والمثابرة والتضحية والصدق ، او قيما تعزز الكذب والسلبية والاتكالية والانتهازية والانانية والاستغلال ، وتخلق بطولات مختلفة الانماط تجسد القيم التى تعبر عنها . لذا رأينا أن نعرف مدى الاهتمام بتعويد الابن على حب القراءة فى الأجازة ، ومدى اهتمام الأم بنوعية ما يقرأ ، لنتبين مدى القيم المتغيرة والسائدة التى تقابل الطفل اثناء قراءاته ، وما يندمج منها فى شخصيته . فتبين لنا أن نصف المتفرغات يقبلن اطلاع الابناء على القصص فى الاجازة ، وترتفع هذه النسبة عند الامهات العاملات الى ٧٤٪ ، وتبين لنا الدراسة الاحصائية وجود اختلافات ذات مغزى فى نظرة الأم العاملة والمتفرغة الى القراءة كوسيلة لقضاء الوقت فى الأجازة . ونرى ان اهتمام العاملات بشراء الكتب والمجلات يعود الى زيادة دخل أسر العاملات نسبيا ، نتيجة عمل المرأة ، مما يوفر لهما مالا يمكن ان يستثمر فى توجيه الأبناء ، وانطلاقا من القراءات التى يقرأها الطفل فى الاجازة الطويلة ، وايمانا منا بأهمية الكتاب فى حياة الشعوب وأن القراءة كعادة تساعد على اكتساب القيم المتغيرة ، وجهنا الى الامهات سؤالا عن مكانة الكتاب عندهن ، وعما اذا كانت الامهات تمسكن الكتاب وتقرأن منه لأطفالهن . فهذا السلوك من الأم له أهميته فى

تعويد الابناء على حب القراءة والاعجاب بالكتاب . فقد أثبت لنا البحث الميداني أن ١٧٪ من المتفرغات يمسكن الكتاب ويقرأن لأولادهن ، وترتفع هذه النسبة الى الربع عند العاملات . وتكشف لنا هذه الاجابات ان الكتاب خصم لامهات اولادنا . وقد فسرت العاملات ومعظمهن من المتعلمات احجامهن عن الاهتمام بالكتاب بقلة الوقت وانشغالهن بين مطالب الأسرة والتزامات العمل . وعلى ضوء هذا نرى أن الام المصرية في مجتمعنا تجهل القيم التربوية للكتاب وأثره على الطفل ، وأنها ترى في قراءات الطفل نوعا من شغل الطفل عنها ، وأن أمور المنزل وتنظيمه أهم من تثقيف الطفل وتوجيهه الى قيم معينة .

اما عن مدى اهتمامات الامهات بسرد القصص على سمع الاطفال من الذاكرة ونوعية هذه القصص ، فنجد أن ٥٤٪ من المتفرغات لا يسردن على اولادهن قصصا وحكايات ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٤٠٪ عند العاملات . ونلاحظ أن نوعية القصص التي تسرد على الأبناء تختلف بين العاملات والمتفرغات ، فنجد أن ١٢٪ من المتفرغات و ٨٪ من العاملات يسردن على اولادهن القصص الخرافية . اما القصص الدينية فتنال اهتماما اكبر عند العاملات ، فنجد ٤٢٪ من العاملات يسردن على أولادهن حكايات دينية وتنخفض هذه النسبة الى ٢٩٪ عند المتفرغات . وتزعم ٣٪ من المتفرغات و ٧٪ من العاملات أنهن يحكين على اولادهن قصصا علمية . بيد أننا نرى بتحليل اجابات الامهات أن مفهوم العلم يتباين بين العاملات والمتفرغات . فمفهوم العلم يختلط كثيرا بالسحر والخرافات عند المتفرغات ، وتعجز هؤلاء عن تمييز العلوم التجريبية عن غيرها من العلوم . اما العاملات فأكثر فهما للعلم بمفهومه التجريبي الحديث .

وقد اظهرت لنا الدراسة الميدانية ان العاملات اكثر اهتماما بتدريب الأبناء على الاعمال المنزلية والانتفاع بهم في اعمال المنزل اثناء الاجازة الصيفية . فبلغت نسبة العاملات اللاتي يدربن اولادهن اكثر من النصف ، بينما تهبط هذه النسبة الى ٣١٪ عند المتفرغات . وتبين لنا البيانات التي حصلنا عليها أن ٦٢٪ من الامهات المتفرغات يدربن بناتهم في الاجازة الصيفية على الاعمال المنزلية ، بينما ترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٧٢٪ . ويبين لنا التحليل الاحصائي وجود فروق جوهرية بين اهتمامات الأم المتفرغة والعاملة ازاء تعويد الابن المساهمة في اعمال البيت في الأجازة الصيفية . فنجد أن العاملة اكثر اهتماما بتدريب ابنها في اعمال البيت من الأم المتفرغة ، كما نجد أن ابنـــة

العاملة اكثر مساهمة في اعمال المنزل مقابلة المتفرغة ٠ ومما لا شك فيه ان تدريب الابن على المساهمة في خدمة البيت له اثره في شخصية الابن ٠ فشخصية الابن الذي يتمرن على العمل المنزلي في حداثته تختلف عن شخصية الابن الذي ينتظر خدمة الآخرين له ٠

ولم يقتصر اهتمامنا على معرفة اساليب الامومة في توجيه الابناء نحو تقدير الوقت والتحديد الصارم لاداء الواجبات في مواعيد معينة ، بل امتد الى معرفة مدى توجيه الامهات للابناء نحو زمان معين ، لاختبار رأي فلورنس ان مفهوم الزمن يختلف من ثقافة لأخرى ، ولذا حاولنا ان نعرف حقيقة هذا الرأي في مجتمعنا ، وهل لدى العاملات احساس بالزمن مغاير لاحساس المتفرغات ، وهل يرتبط النشاط بزمان معين محدد دون آخر يميز ثقافة الامهات في مجتمعنا ، اذ أن اهتمام الأم بزمان معين ينعكس على توجيه الابن نحو هذا الزمان ٠

جدول رقم (٣١)

مفهوم الزمان عند الامهات

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة: العدد	الام المتفرغة: %	الام العاملة: العدد	الام العاملة: %	النسبة الحرجة
تفضيل الام سرد ذكريات ايام الطفولة	٦٩	٦٩	٧٤	٧٤	ر٧٨
كراهية الام سرد ذكريات ايام الطفولة	٣١	٣١	٢٦	٢٦	ر٧٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تفضيل الام رواية حكايات عن ايام زمان	٦٤	٦٤	٦٣	٦٣	ر٢٩
كراهية الام سرد حكايات عن ايام زمان	٣٦	٣٦	٣٧	٣٧	ر٢٩
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
الرغبة في سرد الامنيات التي لم تتحقق	٤٧	٤٧	٢٨	٢٨	٢,٨٣
الاحجام عن سرد الامنيات التي لم تتحقق	٥٣	٥٣	٧٢	٧٢	٢,٨٣
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
التحدث عن حاضر المجتمع	٧٣	٧٣	٨٠	٨٠	١,١٧
العزوف عن التحدث عن حاضر المجتمع	٢٧	٢٧	٢٠	٢٠	١,١٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

(تابع) جدول رقم (٣١)

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
التحدث عن مستقبل المجتمع	٧٥	٧٥	٦٩	٦٩	,٦٤
رفض التحدث عن امنيات المستقبل للمجتمع	٢٥	٢٥	٣١	٣١	,٦٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
التحدث عن امنيات مستقبل الاولاد	٦٤	٦٤	٥٣	٥٣	١,٥٨
رفض التحدث عن امنيات المستقبل للاولاد	٣٦	٣٦	٤٧	٤٧	١,٥٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

تبين لنا الدراسة الميدانية ان ٦٦٪ من الامهات المتفرغات يشعرن بالرغبة في استرجاع ذكريات الطفولة ، وكيف نشأن في ايام طفولتهن ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٧٤٪ عند الامهات العاملات . ونلاحظ أن ٦٤٪ من المتفرغات ونسبة مقاربة لهن من العاملات يرددن أمام اطفالهن حكايات عن المجتمع في أيام طفولتهن .

أما عن الامنيات التي لم تتحقق ، فنجد فتورا من الامهات عن ذكرها ، ونجد حوالي ٤٧٪ من المتفرغات يسترجعن هذه الامنيات أمام اولادهن . ونجد ان العاملات اكثر نفورا من المتفرغات عن سرد الامنيات التي لم تتحقق أيام طفولتهن . وتبين لنا الدراسة الاحصائية عدم وجود فروق ذات دلالة ازاء احداث الماضي عند الامهات العاملات والمتفرغات .

اما عن الحاضر فنجد ان ٧٢٪ من المتفرغات يفضلن دائما التحدث امام اطفالهن عن ظروف المجتمع الراهنة ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٠٪ عند العاملات ، ورغم أن العاملات أشد ارتباطا بحاضر المجتمع من المتفرغات ، الا أنه لا توجد فوارق ذات دلالة احصائية بين العاملات والمتفرغات ازاء تقدير الحاضر .

أما عن الايمان بالمستقبل فنجد أن ٧٥٪ من المتفرغات يحدثن ابناءهن عن مستقبل المجتمع ، وتنخفض هذه النسبة الى ٧٠٪ عند العاملات . ونجد أن ٦٤٪ من المتفرغات

يحدثن ابناءهن عن امنياتهن لهم ، وتنخفض هذه النسبة عند العاملات الى ٥٣٪ .

ونلاحظ أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين توجيه العاملات نحو زمان معين ، ونجد عدم ارتباط الامهات العاملات والمتفرغات بزمان محدد ، ولكن هناك ارتباطا وثيقا بين الازمان الثلاثة عند الام ، ومن ثم عدم وجود خط واضح نحو زمان معين ، وهي بهذا تتميز عن الام الامريكية التي توجه ابنها الى المستقبل غافلة الماضي ، ولا تستفيد من تجارب الحاضر . ومن ثم فالازمنة الثلاثة تتداخل في تكوين ثقافة الامهات المصريات ، عاملات ومتفرغات .

ولم تقتصر اسئلتنا على كيفية تدريب الصبية على اداء الانشطة المختلفة في الاجازة الصيفية وعلى مدى تعويدهم على تقدير الوقت ، بل حاولنا ان نعرف مدى تدريب الام لطفلها الاعتماد عليها أو على نفسه وتدريبه على أداء عمل ما ، وتعويده على تحمل المسئولية . ولذا وجهنا الى الام مجموعة من الاسئلة تتصل بنشاط الابن اليومي ، ورغبة الام في تعويد ابنها على ممارسة النشاط ، واكتساب القيم والمهارة التي تؤكد الانجاز والعمل .

جدول رقم (٣٦)

تعويد الابن على اداء أعمال معينة وتعود المسئولية

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
ملاحظة اللبن اثناء غليانه :					
نعم	٣٧	٣٧	٤٦	٤٦	١,٢٩
احيانا	٣١	٣١	٣٦	٣٦	,٧٥
لا	٣٢	٣٢	١٨	١٨	٢,٣١
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
شراء الحاجات من الخارج :					
دائما	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	
احيانا	٢٤	٢٤	٣٠	٣٠	,٩٥
لا	٨	٨	٢	٢	١,٩٦
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

(تابع) جدول رقم (٣٢)

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
الاعتماد على الابن فى توصيل لفة :					
دائما	٥٩	٥٩	٥٨	٥٨	,١٤
احيانا	٢١	٢١	٣٢	٣٢	١,٧٧
لا	٢٠	٢٠	١٠	١٠	,٠٢
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل عمر الصبى مناسب للاعتماد على نفسه :					
نعم	٨٣	٨٣	٨٨	٨٨	١,٠٠
لا	١٧	١٧	١٢	١٢	١,٠٠
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وتوضح لنا الاجابات المبينة بالجدول رقم (٣٢) ان ٣٧٪ من الامهات المتفرغات يؤكدن ضرورة الاعتماد على الطفل فى اداء بعض الاعمال المنزلية ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٦٪ عند الامهات المتفرغات. ثم فرق ذو دلالة اذن بين العاملات والمتفرغات على تدريب الابن على الاعمال المنزلية بعد العودة من المدرسة أو اثناء يوم العطلة . فالأم العاملة اكثر من المتفرغة اهتماما بتعويد الطفل على تحمل مسئولية اداء بعض الأعمال المنزلية وذلك لتخفيف بعض الأعباء المنزلية عنها .

ويكشف لنا نفس الجدول ان ما يقرب من ثلثى العاملات والمتفرغات يعتمدن على اولادهن فى شراء بعض المشتروات من المحلات العامة ، وتعويد الابن مسئولية الشراء ، بينما يقف الثلث الآخر من الامهات بين شاك ومنكر ومرتاب فى قدرة الطفل على تحمل مسئولية التعامل مع الباعة .

وتظهر لنا الدراسة أن ما يقرب من ثلاثة اخماس العاملات يدربن الاولاد على أداء بعض الحاجات المنزلية خارج البيت ، وقضاء الخدمات الاسرية ، بينما نجد أن ٢٢٪ من العاملات ينكرن قدرة الصبى على اداء هذا الفعل . ونجد أن المتفرغات اكثر انكارا

من العاملات لقدرة الصبي على الاتصال بالغير وانجاز ما يطلب منه ٠

ويعكس لنا هذا الاهتمام بتدريب الابناء على اداء اعمال معينة التغير الذى حدث في البناء نتيجة امتصاص الوحدات الصناعية للايدى العاملة وقلة الخدم ، مما دعا الأم الى الاعتماد على أولادها فى انجاز العمل فى البيت ، وتعويدهم مسئولية اداء اعمال معينة ، كما أن تدريب الابن والابنة على المساهمة فى أعمال البيت له أثره فى الشخصية ، اذ يساعد هذا التدريب على تنمية القدرة على الاعتماد على النفس وانجاز الشخص لمطالبه وحاجاته دون الاعتماد على الآخرين ، وقد بين لنا البحث انه رغم اعتراف معظم الامهات العاملات والمتفرغات بأن عمر الصبي مناسب لانجاز بعض الاعمال والاعتماد عليه ، فان العاملات أكثر تقبلا وتطبيقا لفكرة تعويد الطفل على الأداء المستقل ، بينما نرى ان المتفرغات اكثر احجاما عن تحميل الابن على خدمة نفسه وخدمة الآخرين ٠

وايمانا منا بأن اكتساب الطفل اساليب السلوك التى تنمى عنده القدرة على الاستقلال والاعتماد على النفس عناصر اساسية وضرورية لتكوين الشخصية السليمة ، فقد حاولنا فى دراستنا الميدانية أن نعرف جهود الأم العاملة او المتفرغة فى تنمية الاتجاهات الاستقلالية عند الطفل ، والسن المناسب لذلك ، وهل هناك اهتمامات بتكوين هذا السلوك فى سن مبكرة ، وأثر فترة الاعتماد على الأم بقوة التوحد بها ٠

تكشف لنا البيانات الموضحة فى جدول رقم (٣٣) أن جميع الامهات العاملات أو المتفرغات يشعرن بضرورة تعويد الطفل تناول الطعام بمفرده ، وان تفاوت السن المناسب لذلك من أم لأخرى ، وتبين لنا الدراسة ان السن المناسب لذلك عند معظم الامهات بين الثالثة والرابعة ٠ ولا تظهر لنا الدراسة وجود فوارق اساسية بين متوسط السن عند ابناء العاملات والمتفرغات الذى يؤكد اهمية اعتماد الطفل على نفسه عند تناول الطعام (ت = ٠,٦٥) ٠

ونستدل من نفس الجدول على تقارب اهتمامات الامهات على تعويد الطفل الاعتماد على نفسه عند لبس ملابسه أو خلعها ٠ وتبين لنا الدراسة ان السن المناسب لذلك عند ابناء العاملات والمتفرغات هو نهاية العام السادس ٠ ولا تكشف لنا الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة عن السن المناسب لذلك عند الامهات العاملات والمتفرغات (ت = ٠,١٦) ٠

جدول رقم (٣٣)

تعويد الابن على السلوك المستقل

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
تعويد الابن الاكل بدون مساعدة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تفضيل تعويد لبس الابن ملابسه بدون مساعدة	٩٨	٩٨	١٠٠	١٠٠	١,٤٢
رفض تعويد الابن لبس ملابسه بدون مساعدة	٢	٢	—	—	١,٤٢
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تفضيل خلع ملابسه بدون مساعدة	٩٨	٩٨	٩٩	٩٩	٠,٥٨
رفض تعويد الابن خلع ملابسه بدون مساعدة	٢	٢	١	١	٠,٥٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
قبول نزول الصبي بمفرده الى الطريق	٨١	٨١	٨٧	٨٧	١,١٦
رفض مبدأ نزول الصبي بمفرده الى الطريق	١٩	١٩	١٣	١٣	١,١٦
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
قبول زيارة الصبي لاصدقائه بمفرده	٥٩	٥٩	٤٩	٤٩	١,٢٨
رفض زيارة الاصدقاء بمفرده	٤١	٤١	٥١	٥١	١,٢٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
الذهاب الى المدرسة بمفرده	٨٣	٨٣	٨٣	٨٣	
رفض الذهاب الى المدرسة بمفرده	١٧	١٧	١٧	١٧	
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تعويد الصبي المذاكرة في غياب الاسرة	٦٧	٦٧	٧٢	٧٢	٠,٧٦
عدم تعويد الابن المذاكرة في غياب الاسرة	٣٣	٣٣	٢٨	٢٨	٠,٧٦
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

ويرى سارجنت ستانفورد ان تعلم الطفل لبس ملابسه له دلالة اجتماعية هامة ، اذ أن لبس الطفل ملابسه بمفرده ، واستخدامه الكلمات تعني تعلمه المعتقدات واساليب الجماعة الثقافية (١) . وبمفهوم سارجنت يبدو لنا ان السن المناسب لتعلم اساليب الجماعة والمعتقدات

(١) Sergent, Stanford: Social psychology. Bu S. Sergent and Robert. C. William. 2ed edition, N.Y. Roneld Press. 1958, P. 295.

السائدة في مجتمعنا هو العام السادس ، وتبين لنا الدراسة ان حوالي ٨٠٪ من الامهات المتفرغات وما يقرب من ٨٧٪ من الامهات العاملات يوافقن على اعتماد الابن على نفسه ونزوله الى الطريق العام بمفرده . وترى الامهات المتفرغات أن السن المناسب لذلك هو العام السادس ، بينما يرتفع السن الملائم لذلك عند العاملات الى العام السابع . ولا تكشف لنا الدراسة عن وجود فروق ذات اهمية بين العاملات والمتفرغات ازاء السن المناسب لنزول الابن الى الطريق بمفرده (ت = ١٨ر٠) .

ويكشف لنا نفس الجدول أن حوالي خمس العاملات يوافقن على ذهاب الصبي بمفرده الى أصدقائه بينما تنكر الأمهات الباقيات قدرة الطفل على ذلك ، بينما تنخفض نسبة الامهات المتفرغات اللاتي يأبين اعتماد الطفل على نفسه في الذهاب الى اصدقائه الى ٤١٪ . وترى معظم الامهات ان السن المناسب لزيارة الابن لأصدقائه هو التاسعة . ولا تكشف لنا الدراسة الاحصائية عن وجود فروق ذات دلالة بين الامهات العاملات والمتفرغات عن السن المناسب الذي يسمح فيه بزيارة الابن لاصدقائه (ت = ٠٧ر٠) .

وتوافق ٨٣٪ من الامهات العاملات والمتفرغات على ذهاب الابن الى مدرسته الابتدائية معتمدا على نفسه دون رفيق في الطريق . وترى معظم الامهات العاملات والمتفرغات ان السن المناسب لذلك هو السابعة ، بعد التحاق الطفل بالصف الثالث . ولا تكشف لنا الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة بين الامهات العاملات والمتفرغات عن السن المفضل لذهاب الابن الى المدرسة بمفرده (ت = ١٦ر٠) .

أما عن قدرة الطفل على الاستمرار في الاعتماد على نفسه في مذاكرة دروسه أثناء غياب امه ، فتبين لنا الدراسة ان ٦٧٪ من الامهات المتفرغات عودن اولادهن الاستمرار في اداء الواجبات المدرسية اثناء غياب الوالدين عن البيت ، ومن ثم فالرقابة الاسرية أو الاعتماد الكلي على الوالدين ظاهرة نادرة عند ثلثي المتفرغات . وترتفع نسبة العاملات اللاتي يعودن ابنائهن على استذكار الدروس بمفردهم الى ٧٢٪ .

وقد بين لنا البحث الميداني ان السن المناسب لأداء الصبية اعمالا معينة بعيدا عن إشراف الاسرة وخاصة الام هو العام الثامن (ت = ٢٩ر٠) . وتبين لنا الدراسة انه لا توجد فروق جوهرية في تحديد السن المناسب عند العاملات والمتفرغات لتدريب

الاولاد على انماط معينة من السلوك ، وأن السن المناسب لاستقلال الابن عن امه وعدم اعتماده عليها والخروج عن سيطرتها يتفاوت من سلوك الى آخر .

وتبين لنا الدراسة الميدانية ان هناك اتجاها بين العاملات والمتفرغات يؤكد ضرورة تعويد الابن على القيام بأداء أعمال معينة والاعتماد على نفسه ، وان السن المناسب لاعتماده على نفسه كلية هو نهاية العام الثامن . ورغم ذلك فان الام — عاملة أو متفرغة — لازالت تشعر أن ابنها رغم بلوغه التاسعة لا زال قاصرا وفي حاجة اليها .

جدول رقم (٣٤)

تصرف الأم اذا تركت الابن بمفرده

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
قلق الام على الابن اذا تركته بمفرده	٨٥	٨٥	٨٢	٨٢	٥٧ر
عدم قلق الام على الابن	١٥	١٥	١٨	١٨	٥٧ر
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

ويؤكد لنا الجدول السابق أن حوالي ٨٥٪ من الامهات المتفرغات ، و ٨٠٪ من الامهات العاملات لا يأمن ترك أولادهن بمفردهم ، وترك حرية اللعب والحركة لهم ، فالأمهات يرجعن اليهم دائما للاطمئنان على تصرفاتهم ، والشعور بأنهم في أمان . فالامهات يشعرن بحاجة الاولاد المستمرة لهن ، ويعكس هذا السلوك من الامهات نوعا من القلق الزائد تعانيه الامهات ، ومظهرا من الحنان الزائد على الابناء . وقد اظهرت لنا دراسة أقوال الامهات وجود هوة بين آراء الامهات المثالية وتصرفاتهن الواقعية . وما الحنان الزائد والهوة بين المثال والواقع الا نتيجة الصراع الذي تعانيه الأم ، وخاصة الصراع بين مكونات دور الأم .

وقد اهتم علماء النفس ورجال علم الاجتماع بدراسة أثر استقلال الطفل عن امه في شخصيته ، وأعطونا في ذلك تفسيرات متباينة . فيرى اريكسون ان تنمية الشعور بالاستقلال عند الطفل يدعم بالتدريب على اداء السلوك المستقل في فترات مبكرة ، وان هذا الشعور بالاستقلال

لن يحبط أبدا (١) . وفي دراسة قامت بها ماريان ونتربوتون عن الاطفال أكدت تمايز اساليب تربية الاولاد المتمايزين بارتفاع القدرة على الاداء والتحصيل عن رفاقهم ذوي التحصيل المنخفض . فأمهات الفريق الأول تؤكد في تربيتها لابنها اهمية اعتماد الطفل على نفسه وتعويده على اتخاذ القرارات في موضوعات تسمح بسن مبكرة أكثر من امهات الفريق الثاني . فالتدريب المبكر للطفل على الاعتماد على نفسه له اثره في النضوج المبكر للشخصية وتحملها مسئولية افعالها في سن مبكرة (٢)

بيد أن سيرز قد اتجه اتجاها آخر ، فقد أكد سيرز وزملاؤه ان تدريب الابناء على الأداء المستقل ، وعدم الاعتماد على الآخرين سلوك لا يتعارض مع عملية التوحد مع الام ، بل أكد ان التوحد مع الام والاعتماد الزائد عليها في طور الطفولة ، يدعم الاتجاهات الاستقلالية عند الابن في الاطوار اللاحقة ، فكلما ازداد اعتماد الابن أو الابنة على والديه في طور الطفولة ، تدعم ارتباطه بادوار الكبار سلوكهم ، وازداد ارتباطه مع القيم المرغوبة من والديه . ولن يتم هذا الارتباط الا بشدة ارتباطه الفسيولوجي والعاطفي مع الام ، وتدفعه الرغبة الى المحافظة على هذه الرابطة الى التأثر بالاتجاهات الوالدية ، ومن أهم الاتجاهات الوالدية تدريب الابناء على الأداء المستقل ، باعتباره سلوكا مفضلا يعبر عن نضوج الابناء ، وتأكيد تدربهم على اداء السلوك في الموقف دون حاجة الى الآخرين ، واعتمادهم على أنفسهم عند اداء أوجه النشاط المختلفة .

ولذا فان الاعتماد الزائد على الام حتى طور الصبا وقوة ارتباطه العاطفي بها ، يدفع الابن الى احترام قواعد السلوك التي ترتضيها الام ، اذ أن كل صفات السلوك التي يتوحد معها الابناء من أجل المحافظة على حب الام هي تمثلات لأدوار الكبار ورغباتهم . ومن أهم هذه القواعد تلك القواعد التي تؤكد العمل والتعاون مع الغير ، وعدم الاعتماد على الاسرة . اما سحب الحب عن الابناء وعدم الاهتمام بهم ، فيؤدي الى عدم تفاعل الابناء مع الامهات ، وعدم انصياعهم الى احترام رغباتهم ، ومن ثم فلن يتم التوحد مع قواعد السلوك التي تفضلها

---

(١) Erickson, Erick Homburger : Growth and Crises of the healthy personality. In Clyde Kluckhoon and H. Murray. Personality in nature, society and culture, op.cit., P. 204.

(٢) Winter, Botton Marrian: The relation of need for achievement to learning experinces in independence and master. In Wepman Joseph (ed.) Concepts of personality. op. cit., P. 338.

الامُ في غياب الدافع الى التوحد [1] .

ولم تقتصر دراستنا لاساليب الامهات في تربية الطفل على النشاط العملي أو الاتي على تنظيم الوقت ،وتعويد الاعتماد على النفس ، بل امتدت الى دراسة اساليب الامومة في تدريب الابناء على المثابرة في العمل وتقبل النقد ، ولذا وجهنا الى الامهـــات مجموعة من الاسئلة المباشرة التي تهدف الى معرفة الام في تلقين ابنها هذه القيم ،وتعويده عليهـا كما هو مبين في الجدول رقم (٣٥) .

جدول رقم (٣٥)
اساليب الامهات في تدريب الابناء على المثابرة في العمل وتقبل النقد

اسلوب التنشـــئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
تعويد الابن على اداء العمل المنظم	٦٩	٦٩	٧٣	٧٣	٦٢,
عجز الابن عن اداء العمل المنظم	٣١	٣١	٢٧	٢٧	٦٢,
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
ثقة الامُ في اداء ابنها لمطالبها راضيا	٨٤	٨٤	٨٩	٨٩	١,٠٣
شك الامُ في اداء ابنها لمطالبها راضيا	١٦	١٦	١١	١١	١,٠٣
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تعويد الابن على الاعتراف بالخطأ	٩٠	٩٠	٨٣	٨٣	١,٤٥
عدم تعويد الابن الاعتراف بالخطأ	١٠	١٠	١٧	١٧	١,٤٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
شعور الابن بالضيق عند ارتكاب الخطأ	٦٩	٦٩	٦٤	٦٤	٧٥,
عدم اهتمام الابن بارتكاب الخطـــأ	٣١	٣١	٣٦	٣٦	٧٥,
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تقبل الابن للنقد الذي يوجه اليه	٤٥	٤٥	٤٧	٤٧	٢٨,
كراهية الابن للنقد الذي يوجه اليه	٥٥	٥٥	٥٣	٥٣	٢٨,
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

(1) Sears, Robert: Identification and child rearing, op.cit., PP. 78-79.

وتكشف لنا الاجابات التي حصلنا عليها بشأن المثابرة على العمل ، والمهنة في جدول رقم (٣٥) ان ٦٦٪ من الامهات المتفرغات يقررن ان الصبي انسان قادر على العمل المنظم واقتفاء الناحية العملية في سلوكه ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٧٣٪ . وتبين لنا الدراسة الاحصائية التقارب في الرأي واتفاق اغلبية الامهات على ان الصبي يستطيع اداء عمل منظم . بيد أن نصف الامهات العاملات والمتفرغات ، يقررن أنهن عودن اولادهن على العمل المنظم ، ونجد النصف الآخر يقف موقف الارتياب والنكران لقدرة ابنائهن على العمل المرتب ، مما يبين لنا ان نصف الامهات فقط يعطين العناية والاهتمام بتدريب الابناء على مظهر من مظاهر النشاط العملي .

كذلك حاولنا ان نعرف اتجاه الامهات نحو تعويد الطفل على تقبل الاوامر ، والاستعداد لتنفيذها وثمرة هذا اثناء تفاعله معها ، باعتبار ان تعود الطفل لتقبل النقد يعكس صورة الشخصية العملية . وتبين لنا الدراسة ان ٨٤٪ من المتفرغات لديهن ثقة في ان الابن سينفذ كل رغباتهن وأوامرهن ، وترتفع هذه النسبة عند العاملات الى ٨٩٪ .

ويتضح لنا من دراسة تعويد الامهات الابناء على تقبل الأوامر والاستعداد لتنفيذها اختلاف الامهات العاملات عن المتفرغات في هذا الشأن . وأن الامهات العاملات أكثر ادراكا لاهمية اعداد الابن لمواجهة مسئولياته في العمل . وقد حاولنا ان نعرف مدى تطبيع الأم لابنها على تقبل النقد والاعتراف بالحقيقة ، وانعكاس ذلك اثناء تفاعله معها . وتبين لنا الدراسة ان ٩٠٪ من الامهات المتفرغات يقررن ميل الابناء الى الاعتراف بالحق ، اذا ما ادوا عملا خاطئا ، وتنخفض هذه النسبة الى ٨٣٪ عند العاملات . وتبين لنا الدراسة أن ٦٦٪ من المتفرغات يعترفن ان ابنائهن يبدو عليهم الضيق والاستياء اذا ما بدر منهم سلوكا خاطئا ، اما ابناء العاملات الذين يهتمون بنتائج افعالهم وتقييمها فتبلغ نسبتهم ٦٤٪ . وقد أجابت تلك الامهات العاملات والمتفرغات أن ابنائهن يبدو عليهم مظاهر اللامبالاة وعدم تحمل مسئولية افعالهم . وتكشف لنا هذه الاجابة عن اتجاه واضح عند بعض الامهات بعدم تنشئة الابناء على تتبع نتائج افعالهم ، والاستفادة من التجربة الماضية ونتائجها في تخطيط التجارب القادمة . أما عن ثمرة تعويد الابن على تقبل النقد ، فنجد أن ٤٥٪ من المتفرغات يعترفن أن ابنائهن يتقبلون ما يوجه اليهم من

نقد بصدر رحب بدون انفعال ، وكذلك ما يقارب نفس النسبة من العاملات يقررن نفس هذا السلوك من الابن . ونجد أن ما يقرب من نصف الابناء يكرهون النقد ويضجرون منه . وهذا يكشف لنا ان ما يقرب من نصف الامهات لا يبالين بممارسة النقد مع الابناء ، وتعويدهم على ممارسة النقد البناء ، كقيمة اساسية في تكوين الشخصية السلمية .

لكن كيف يكون تصرف الام اذا ما عصى الابن طلبها واتجه الى اللعب ، وهل هناك اتفاق بين الامهات العاملات والمتفرغات حول اساليب عقاب الابن ، وهل تميل الامهات الى العقاب البدني أم التهديد بالحرمان من الحب ، اذ أن نوع عقاب الابن أو اثابته على سلوك معين باستمرار ، له اثره في تكوين سلوك معين لدى الطفل ، وتثبيت هذا السلوك .

جدول رقم (٣٦)

اساليب عقاب الابن اذا عصى طلب الام

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
اللجوء الى العقاب البدني اذا رفض أوامرها	٢٤	٢٤	١١	١١	٢,٤٢
خصام الام لابنها	١٤	١٤	١٣	١٣	,٣٩
تأنيب الابن اذا رفض أوامرها	٦٢	٦٢	٧٦	٧٦	٢,٢٩
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

تكشف لنا الاجابات التي حصلنا عليها عن تفاوت اساليب العقاب عند الامهات العاملات والمتفرغات ، فاذا ما واجهت الام موقفا يعصى فيه الابن اوامرها واتجه الى اللعب ، نجد أن ٢٤٪ من المتفرغات يلجأن الى الضرب كنوع من العقاب البدني وأسلوب لتهذيب الطفل وتقويمه ، وتنخفض هذه النسبة الى ١١٪ عند الامهات العاملات. وتبين لنا الدراسة الاحصائية عن وجود فروق ذات دلالة في اتخاذ الضرب وسيلة لتوجيه الطفل الى السلوك المفضل عند الام وردعه عن السلوك الشاذ ، فالمتفرغة أكثر لجوءا الى العقاب البدني من العاملة . وتؤكد لنا الدراسة أن الامهات العاملات اقل لجوءا الى العقاب البدني والضرب لتقويم الطفل او ردعه اذا ما خالف أوامر اسرته او ارتكب فعلا شاذا . ونجد أن الامهات اللاتي يلجأن الى الخصام رمزا للحرمان من الحب تبلغ نسبتهن ١٤٪ عند

المتفرغات وبينما تنخفض هذه النسبة الى ٦٣٪ عند العاملات • وقد اظهرت لنا الدراسة الميدانية ان ٦٦٪ من الامهات المتفرغات يلجأن الى لوم الابناء أو تقريعهم اذا ما عصيت اوامرهن ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٧٦٪ عند الامهات العاملات • وقد كشفت لنا الدراسة عن وجود فروق اساسية في استخدام الامهات لوسائل العقاب • فبينما نرى أن الامهات المتفرغات اكثر ايمانا بالضرب ، نجد أن الامهات العاملات أكثر لجوءا الى اللوم لتوجيه سلوك الابن • ونجد ان الطريقة المثلى للعقاب وهي التهديد بالحرمان من الحب ، طريقة قلما تلجأ اليها الام المصرية ، اذ أن التهديد بسحب الحب ، يدفع الابن الى الاقلاع عن السلوك المستهجن عند الام ، ويدفعه الى التوحد مع السلوك المقبول منها خشية فقدان حبها • ونرى ان التهديد بالضرب يساعد على تكوين اخلاق الرهبة والخوف والخنوع والايمان بالعنف ، بينما استعمال التهديد بالحرمان من الحب يساعد على تكوين انماط السلوك المقبولة • وقد اظهر لنا البحث الميداني أن اساليب تقويم الام لاخطاء الطفل لا تختلف فقط بين الامهات العاملات والمتفرغات ، بل تتباين من موقف لموقف عند نفس الام ، ويرجع هذا الى اختلاف تصورات الامهات في فهم الصواب والخطأ ، وتعريف السلوك المناسب والسلوك غير المناسب • ويؤدى هذا التباين في استعمال اساليب العقاب من موقف لموقف ، واختلاف تصورات الامهات عن الصواب والخطأ الى وجود بعد بين السلوك الذى يؤديه المرء ، والسلوك الذى تفرضه التزامات الدور ، وعدم توحد الاطفال مع توقعات محددة ثابتة محكمة ترشده الى سلوك ثابت في كل المواقف •

وقد حاولنا ان نعرف موقف الام العاملة والمتفرغة اذا أخطأ ابنها ، ومدى محاولتها معرفة اسباب هذا الخطأ كما هو موضح في جدول رقم (٣٧) •

جدول رقم (٣٧)

مدى وعى الام باسباب اخطاء الابن

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
تنبيه الطفل باللين	٣	٣	١	١	١٫٠١
محاولة معرفة السبب	٣٧	٣٧	٥٨	٥٨	٣٫٠٤
سب الطفل	٦	٦	٢	٢	١٫٤٥
الضرب	٩	٩	٧	٧	٫٥٢
الاهمال	٢٤	٢٤	١٨	١٨	١٫٠٤
النهر والزجر	٢١	٢١	١٤	١٤	١٫٣٠
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

تبين لنا البيانات الموضحة بالجدول السابق أن العاملة اكثر وعيا بمواقف خطـأ الابن واسباب هذا الخطأ واكثر استبصارا بحلها • وتظهر لنا الدراسة الميدانية أن ٣٧٪ من المتفرغات يحاولن معرفة السبب الذى دفع الابن الى ارتكاب الخطأ ، بينما ترتفع نسبة العاملات اللاتى يتبعن هذا السلوك مع الابن الى ٥٨٪ • ولا نجد فروقا هامة ذات دلالة فى استعمال الاساليب الأخرى لمعالجة اخطاء الابناء بين الامهات العامـلات والمتفرغـات•

ونقرر فى نهاية دراسة اساليب توجيه الامهات للأبناء نحو النشاط العملى والآلى ، أن الامهات المتفرغات والعاملات يتخذن مزيجا من الاساليب فيما يتعلق بمعايير توجيـه الأبناء الى النشاط الآلى أو النشاط العملى الدأبى • ولا يوجد خط واضح يفصل بين الاساليب التى تهدف الى توجيه الصبى نحو النشاط الآلى أو النشاط العملى ، وان كانت هناك ومضات من المعايير والاساليب التربوية الجديدة التى تتعلق بالتوجيه نحو النشـاط العملى ، وتؤكد اهمية اداء العمل المنظم ، وتقبل النقد والمثابرة على الاداء وتحمـل المسئولية ، وهذا كله يعكس التغير الحادث فى البناء مما يؤثر فى الشخصية ونوعيـة السلوك الذى يؤديه الصبية فى مواقف التفاعل •

وبعد أن درسنا اساليب الامهات فى تعويد الابناء على النشاط الآلى أو النشـاط العملى الدأبى ، نتقدم خطوة ونحاول اختبار اساليب السيطرة أو التفاهم والتعاون داخل الاسرة فى مجتمع متغير •

٢ـ أساليب السيطرة أو التفاهم والتعاون داخل الاسرة :

ولكن ماذا عن اساليب السيطرة والاستبداد فى الرأى ، والتفاهم والمودة داخـل الاسرة • ان تقدير الطفل لمفاهيم السيطرة والاستبداد ومدلولات العلاقات الاجتماعية المتعاونة ، مرتبط بتحرر المجتمع الكبير ، ومن مظاهر السلوك التى تؤكد او تشجع هذه المفاهيم داخل الاسرة • ولقد بدأت مظاهر التعاون والتفاهم فى مجتمعنا النامى تؤكـد وجودها داخل الاسرة ، وانعكس ذلك فى ضمور السلطة الأبوية ، وتحرر المرأة ومساواتها بالرجل فى مجالات العمل والتعليم • وهذه المظاهر فى تغير العلاقات الاسرية نحـو التفاهم والمودة والتعاون انعكاس للتطورات السياسية المتلاحقة فى المجتمع ، من أجـل

ممارسة الديمقراطية ، وتطبيق الحرية فى اهم مجالاتها وهى السياسة . فالهدف من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية أن تحقق الرفاهية والطمأنينة للمجتمع ، وتكون دافعا للتطور الاجتماعى الخلاق . بيد ان الديمقراطية أكبر من أن تكون مفهوما فى السياسةوحدها ، فهى فكرة وقيمة تحكم جميع مظاهر الحياة فى المجتمع ، ويعبر عنها من خلال العقيدة والعلم والاقتصاد . فتطبيق الاساليب الديمقراطية داخل الاسرة "يدفع الى تغيير مركز الطفل وأيضا افكاره "(1) . فالطفل يتعرف بمفاهيم الديمقراطية والتعاون او السيطرة والاستبداد لأول مرة داخل الاسرة ، وان شعر بها ومارسها توحد بهما ، وصارت عنصرا صلبا من العناصر المكونة لشخصيته ، وان حرم منها فى طفولته افتقد عنصرا من عناصر شخصيته ، وعاش حياته مستبدا سواء أكان تابعا او حاكما .

وقد حاولنا فى دراستنا الميدانية ان نتتبع الأجواء الديمقراطية والتعاونية ، ومدى تطبيق الاساليب الديمقراطية والتعاونية فى تربية الاولاد عند الامهات العاملات والمتفرغات ، لمعرفة مدى توحد الابناء مع مفاهيم المودة والتفاهم او الاستبداد والتسلط . وفى هذا الصدد وجهنا الى الامهات العاملات والمتفرغات مجموعة من الاسئلة تتعلق بحرية ابداء الرأى عند الابناء ، ومدى ايمان الامهات بقضايا الشعوب ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها .

اما عن حرية الابن فى ابداء الرأى داخل الاسرة ، فتبين لنا الاجابات الموضحة فى الجدول رقم (٢٨) ان حوالى ٢٧٪ من المتفرغات يؤكدن ضرورة طاعة الطفل لأوامر والديه ، كذلك تؤكد لنا ٧٪ من العاملات اهمية خضوع الطفل لرغبات الوالدين وعدم مناقشتهم . ونجد أن هناك اختلافا اساسيا فى اتجاهات العاملات والمتفرغات نحو حرية الطفل ، وحقه فى الحرية والفصل والاختيار . فالمتفرغات اكثر اصرارا على خضوع الطفل لوالديه ، وقمع محاولاته لابداء رأيه من العاملات . وتبين لنا الدراسة أن ٧ % من المتفرغات و ٥٪ من العاملات يؤكدن ان الطفل غير قادر على التعبير والمناقشة ومن ثم يجب تجاهله وعدم سماع صوته . ونجد كذلك أن ١٢٪ من المتفرغات و ٥٪ من العاملات ينفعلن امام اولادهن ويثرن عليهم اذا ما حاولوا ابداء الرأى . وتوضح لنا الدراسات ان ما يقرب من نصف المتفرغات فقط يؤمن بأهمية الحوار والمناقشة مع الطفل ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٣٪ عند العاملات . واذا كان هناك اتجاه عند العاملات والمتفرغات يؤكد اهمية التفاهم مع الطفل واستعمال أساليب الاستمالة والمناقشة معه ، فان هذا

---

1) Bossard ; Jamges : The sociology of child development opcit p. 651.

الاتجاه اقوى ما يكون عند العاملات ، اذ يكشف لنا تحليل البيانات احصائيا عن وجود اختلاف جوهري ازاء ايمان العاملات والمتفرغات بأهمية الحوار والمناقشة مع الطفـــل .

جدول رقم (٣٨)

اساليب الامهات في توجيه الابناء نحو حرية الـــرأى

اسلوب التنشـــــئة	الام المتفرغـة		الام العاملـة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
توقع الام الطاعة العمياء من الابن	٢٧	٢٧	٧	٧	٣,٩٠
الابناء لا يعون تصرفاتهـــم	٧	٧	٥	٥	,٥٩
مناقشة الابن على تصرفاته وسماع رأيه	٥٤	٥٤	٨٣	٨٣	٤,٦٤
رفض تبرير الابن لتصرفاتـــه	١٢	١٢	٥	٥	١,٧٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
تجاهل الامّ لرغبة الابن في اختيار ملابسه	٥٢	٥٢	٢٧	٢٧	٣,٧٤
احترام وجهة نظر الطفل في اختيار ملابسه	٤٨	٤٨	٧٣	٧٣	٣,٧٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
الاهتمام بشرح ثورات الشعوب	٦٢	٦٢	٨٨	٨٨	٤,٤٥
اللامبالاة بمعرفة الطفل لقضايا تحرر الشعوب	٣٨	٣٨	١٢	١٢	٤,٤٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
فض مشكلات الاولاد بحزم وقسوة	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	
استعمال الاسلوب الديمقراطي في حل مشكلات الاولاد	٥٦	٥٦	٦٤	٦٤	١,١٥
نصرة الكبير على الصغير	٧	٧	٢	٢	١,٧١
تأييد الصغير على الكبير	١	١	١	١	
مناصرة الابن على الابنة	٠	٠	٠	٠	
تأييد البنت ضد الابـــن	٣	٣	٠	٠	١,٧٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

اما عن حرية الاختيار فقد حاولنا ان نسأل الامّ عن مدى ايمانها بتحقيق رغبـــة الطفل في اختيار ملابسه ، فتبين لنا كما هو مبين في الجدول السابق ان حوالي نصـــف المتفرغات يأبين سماع رغبة الطفل في اختيار ملابسه ، في حين اننا نجد ٧٣٪ مــــن

العاملات يشاركن معهن أولادهن في اختيار ملابسهم • وتبين لنا هذه الدراسة أن هناك فرصة امام ابن العاملة للتعود على الاختيار الحر اكثر من ابن المتفرغة • ولا شك ان تدريب الطفل على اختيار ملابسه ينمى لديه القدرة على تذوق ملابسه وفهم اسلوب اللبس بجانب انها طريقة يدرب خلالها على حق الاختيار وابداء الرأى دون رهبة •

اما عن الاسلوب الديمقراطى فى معاملة الأولاد ، اى اتباع اساليب الحوار والتفاهم معهم ، أو اساليب التسلط والاستبداد فى فض مشكلاتهم ، فيظهر لنا أن ثلث الأمهات المتفرغات والعاملات يلجأن الى اساليب القهر والقمع والردع لفض خلافات الاولاد • كذلك يتبين لنا ان ١١٪ من الامهات المتفرغات يلجأن الى التحيز فى معاملة الأولاد والتعصب لابن على آخر • وتهبط هذه النسبة الى ٣٪ عند الامهات العاملات • اما عن الاسلوب الديمقراطى ، واتباع اساليب التفاهم فى فض المشكلات مع الأولاد فنجد ان ٥٦٪ من المتفرغات يلجأن الى استمالة الأولاد ومشاركتهم فى علاج المشكلة ، وتبصيرهم بعواقبها دون تحيز للكبير على الصغير ، او نصرة الذكر على الانثى • ونجد ان هذه النسبة ترتفع الى ٦٤٪ عند الامهات العاملات • ولا نجد اختلافا اساسيا بين العاملات والمتفرغات فى تأكيد هذا السلوك رغم تفاوت النسبتين •

اما عن الحرية السياسية ، فالصبى يسمع فى وقتنا هذا ويشاهد على شاشة التليفزيون ويقرأ فى الصحف والمجلات الكثير عن نضال الشعوب من أجل حريتها ، فما هو الموقف لو اتجه الابن الى الأم سائلا عن حقيقة هذه الحركات التحررية ؟ تبين لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ٦٢٪ من الامهات المتفرغات يجتهدن فى الاجابة على اسئلة الابناء عن الثورات المتلاحقة ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٨٨٪ عند الامهات العاملات • وتبين لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن العاملة اكثر اهتماما بتبسيط مفاهيم الحرية ونضال الشعوب الى الصبى ، وتفسيرها له ، مما ينعكس على شخصية الابناء ، ويساعد على توحدهم مع قيم واضحة عن نضال الافراد من أجل حرية الأرض ويجعلهم اكثر تعاطفا مع نضال الشعوب من زملائهم الذين لم يتوحدوا مع القيم التى تمجد نضال الشعوب •

وتكشف لنا الدراسة ان اساليب العنف والقمع تحتل مكانة فى اساليب التربية ،

ولهذا الاسلوب في التربية نتائجه العكسية في مجتمع متغير يتغير تغيرا سريعـــا ، اذ ان سياسة التسلط على الأولاد ، واستعمال القسوة ، ودحض آراء الأولاد ، وازدراء ثورات الشعوب سيؤدي حتما الى خلق المسافات الاجتماعية بين الآباء والأبناء وتباعدهم عنهم ، ويساعد كذلك على خلق شخصيات تابعة عاجزة عن الحوار والمناقشة . كما ان تأكيد المنـاخ الديمقراطي في الاسرة ، والبعد عن سياسة القهر والتسلط له أثره في تعلم الطفل القيـــم الايجابية والنفور من السلبية ، كما ان تأكيد حرية الرأي عند الطفل وتشجيعه على الحوار الحر ، يدعم هذه القيم التي تناصر حرية الرأي ســواء عند الافراد او الجماعات ، واحـترام القـيم التي تؤكـد الديمقراطية وحق التعبير والاختيار . فالطفل الذي لم يتلق من اسرته مفاهيم الحرية والتفاهم لن يفهم مدلولاتها ولن يعرف مجال تطبيقاتها ، ولن يدرك معنـى النضال الحر ، بل سيقف موقفا سلبيا من كل المواقف التي تتطلب منه ابداء الرأي الحـــر ، أو الاختيار الحر ، بل قد يسعى الى فهم الحرية بمعناها الضيق ، وأنها تقتصر علـــى حريته الشخصية ، ولو ادت حريته الى ايذاء الآخرين ، ولا يعي ابدا مفهومها الصحيـــح وهي أنها مسئولية تبين نفسه وقبل الجماعة .

٤ـ **تطلعات الامهات الى مستقبل الابنـاء :**

عاش مجتمعنا في فترة من الحرمان والاستغلال ، استغل فيها الانسان المصـــري ابشع استغلال ، وكانت اكثر مظاهر الحرمان في مجتمعنا حرمان المرأة من حقوقها الشرعية في التعليم والعمل وابداء الرأي في موضوعاتها الشخصية ، وبعد طول حرمان بدأ البنــاء الاجتماعي يتغير ، وتغيرت مكانة المرأة الاجتماعية ، وبدأت المرأة تتطلع الى تحقيق مـــا افتقدته ، وتصبو الى مستقبل افضل لأولادها تعويضا عما حرمت منه ، وهذه التطلعـــات تعكس نوعية البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه الوالدان والذي يتغير تغيرا سريعا ، كمـــا أن هذه التطلعات بما تحمل من معايير ومفاهيم تنعكس على الاساليب التربوية وتدمج فـــى شخصية الابنـاء .

وقد حاولنا ان نعرف تطلعات الامهات ازاء مستقبل اولادهن التعليمي والمهنـــي والمستقبل الزواجي . اما بشأن التعليم ونوعيته ، فتوضح لنا البيانات المبينة في جـدول رقم (٣٩) ان جميع الامهات العاملات يتطلعن الى تعليم اولادهن تعليما عاليـــا ، بينما نجد أن ٩٢٪ من الامهات المتفرغات يأملن التحاق اولادهن بالمعاهد العليـــا

والجامعات ، بينما تقبل ٨٪ من المتفرغات تعليم اولادهن تعليما متوسطا .

جدول رقم (٣٩٠)

تطلعات الامهات لمستقبل الابنـــــــاء

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
اهتمام الام بتعليم الابن	٩٥	٩٦,١٣	١٠٠	١٠٠	١,٧٥
عدم الاهتمام بتعليم الابن	٣	٣,٠٦	٠	٠	١,٧٥
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	١٠٠	١٠٠	
الاهتمام بالتعليم العالي للابن	٨٩	٩٢,٧٠	٨٩	١٠٠	٢,٧٤
الاهتمام بالتعليم المتوسط للابن	٧	٧,٢٧	٠	٠	٢,٧٤
(المجموع)	٩٦	٩٩,٩٩	٨٩	١٠٠	
الاهتمام بتعليم الابنة	٩٠	٩٥,٧٤	٨٣	١٠٠	٢,٠٤
عدم الاهتمام بتعليم الابنة	٤	٤,٢٥	٠	٠	٢,٠٤
(المجموع)	٩٤	٩٩,٩٩	٨٣	١٠٠	
الاهتمام بتعليم الابنة تعليما عاليا	٨١	٩٢,٢٢	٨١	٩٧,٥٩	١,٦٣
الاهتمام بتعليم الابنة تعليما متوسطا	٩	٧,٧٧	٢	٢,٤١	١,٦٣
(المجموع)	٩٠	٩٩,٩٩	٨٣	١٠٠	
الاهتمام بمستقبل الولد أكثر من غيره	٢٢	٢٢,٢٢	٢	٢,٥٠	٤,٣٥
تفضيل التفكير في مستقبل الالنة	٨	٨,٠٨	٣	٣,٧٥	١,٢٤
انشغال التفكير في مستقبل الاثنين معا	٦٩	٦٩,٦٩	٧٥	٩٣,٧٥	٤,٤٩
(المجموع)	٩٩	٩٩,٩٩	٨٠	١٠٠	
انشغال التفكير في تعليم الابن	٩٧	٩٨,٩٧	٨٧	٩٦,٦٦	١,٠٧
عمل الابـــن	٠	٠	٣	٣,٣٣	١,٧٦
زواج الابـــن	١	١,٠٢	٠	٠	١,٠٠
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٠	٩٩,٩٩	
انشغال الام في التفكير في تعليم الابنة	٧٣	٧٧,٦٥	٧٧	٩١,٦٦	٢,٦٦
انشغال الام في التفكير في عمل الابنة	٠	٠	٠	٠	
انشغال الام في التفكير في زواج الابنة	٢١	٢٢,٣٤	٧	٨,٣٣	٢,٦٦
(المجموع)	٩٤	٩٩,٩٩	٨٤	٩٩,٩٩	

(تابع) جدول رقـــــم (٣٩)

اسلوب التنشـــــــئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
الايمان بتماثل المهن للابن والابنة	٤٠	٤٠,٨١	٤١	٤٤,٥٦	,٥٢
الايمان بتباين المهن بين الجنسين	١٥	١٥,٣٠	٨	٨,٦٩	١,٤١
تقرير الأم حق الابناء فى اختيار المهنة	٤٣	٤٣,٨٧	٤٣	٤٦,٧٢	,٣٩
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٢	٩٩,٩٨	
اختيار الام للمهن التقليدية للأبناء	٤٨	٨٤,٢١	٥٠	٨٤,٧٤	,٠٧
اختيار الام لمهن حديثة للأبناء	٩	١٥,٧٨	٩	١٥,٢٥	,٧
(المجموع)	٥٧	٩٩,٩٩	٥٩	٩٩,٩٩	
الايمان بأهمية التعليم العام للابنة	٥٥	٥٧,٨٩	٥٧	٦٦,٢٧	١,١٦
الايمان بأهمية التعليم النسوى للابنة	٤٠	٤٢,١٠	٢٩	٣٣,٧٢	١,١٦
(المجموع)	٩٥	٩٩,٩٩	٨٦	٩٩,٩٩	
تفضيل الزواج على تعليم الابنة	٢٨	٢٩,٧٨	١٢	١٤,٦٣	٢,٤٧
تفضيل التعليم على الزواج	٦٦	٧٠,٢١	٧٠	٨٥,٣٦	٢,٤٧
(المجموع)	٩٤	٩٩,٩٩	٨٢	٩٩,٩٩	

ويكشف لنا الاهتمام الزائد بالتعليم الجامعى اننا ما زلنا نقدس الشهادات باعتبارها الجسر الموصل للحصول على الوظيفة ، كما ان مجانية التعليم وتحقيق مبدأ تكافؤ الفـــرص بين أفراد المجتمع فى الالتحاق بدور التعليم المختلفة شجع على زيادة تطلعات الأمهـات فى حق ابنائهن فى الحصول على ارقى نوع من التعليم المتيسر فى المجتمع • ونرد الاهتمام بالتعليم العالى الى انه اساس التحاق الافراد بالنسق المهنى ، وتحديد الوظيفـة ، ومن ثم المكانة الاجتماعية ومستوى معيشة الشخص • ويتضح لنا الاهتمام الزائد بالتعليم عندمـا تعترف ٩٨٪ من المتفرغات و ٩٦ ٪ من العاملات بأن التعليم هو ما يشغل بالهـــن فى مستقبل الابن دون سواه • فالامهات لا يتطلعن الى ما وراء العالم التعليمى للابـن ، أى الى عالم المهنة والزواج • بيد ان الوضع يختلف بالنسبة للفتاة • فهناك فروق اساسية ازاء تطلعات الامهات الى تعليم البنت عند العاملة والمتفرغة • فنجد أن ٩١٪ مـــــن

العاملات يؤكدن اهمية التعليم بالنسبة لمستقبل الفتاة بينما تنخفض هذه النسبة الى ٢٧% عند الامهات المتفرغات . وبينما نجد ان ٢٢% من الامهات المتفرغات يشدد انتباههن مستقبل الفتاة الاسرى اكثر من مستقبلها التعليمى ، نجد أن هذه النسبة تنخفض الى ٨% عند الامهات العاملات ، وتكشف لنا هذه الدراسة ان العاملة أكثر اهتماما بمستقبل تعليم الابنة ، وان كان الاتجاه العام عند الامهات الاهتمام بالتعليم باعتباره امرا ضروريا ، فانه سلاح حاسم فى مواجهة الحياة . كما ان اهتماما ضئيلا بأمر الزواج اثناء انشغال الابنة بالتعليم ، وان كان الاهتمام بالزواج اقوى عند المتفرغة منه عند العاملة . وتبين لنا هذه الدراسة عن تطلعات الامهات الى التعليم والزواج والمهنة ان التعليم هو الوسيلة الاساسية فى مجتمعنا لاحتلال مهنة معينة يدر منها الشخص دخله ، وكذلك قلق الامهات على مستقبل ابنائهن فى ظل نظام التعليم الحالى .

اما عن تطلعات الامهات الى مهن الابناء ، فنجد الخمسين من الامهات العاملات والمتفرغات يأملن لأبنائهن وبناتهن مهنا متقاربة فى المستوى ، كما نجد أن ١٥% من المتفرغات يؤيدن اختلاف مهن الابناء عن البنات ويشاركهن فى هذا الرأى ٨% من العاملات ، ويؤمن هؤلاء الامهات أن الذكر اصلح من الانثى فى مجالات معينة ، ومن ثم يرفضن الدعوة القائلة بالمساواة بين الرجل والمرأة فى كافة المجالات .

اما عن تدخل الاسرة فى تقرير المسير المهنى للابن ، وتطلعات الأم الى شغل او الابنة بمهنة معينة ، فتظهر لنا الدراسة ان ٤٦% من الامهات العاملات يتركن لاولادهن الفرصة لاختيار المهنة ، ولا يتحيز تفكيرهن الى اختيار مهنة معينة للابن ، وتبلغ هذه النسبة ٤٣% من عدد الامهات المتفرغات . ويبين لنا هذا الاتجاه وجود بذور تدعو بترك حرية العمل الى الابناء حسب جهودهم وقدراتهم ، وتسليم الامهات بتدخل الدولة فى تخطيط مجالات العمل وتوزيعها للقوى البشرية لكل قطاع من قطاعات التعليم والعمل ، حتى وان تعارض هذا التوزيع مع قدرات وميول اولادهن .

أما عن امنيات الأم لشغل ابنها أو ابنتها لمهنة معينة ، فنجد أن ٨٤% من الامهات العاملات والمتفرغات يأملن لأولادهن مهنا تقليدية فى المجتمع كالمهندس والطبيب ، ويعود ذلك الى ارتفاع دخول اصحاب هذه المهن ، وانها مهن ذات ثقل فى تحديد

المستوى الاقتصادي والاجتماعي لاصحابها . ونجد أن ١٥% من الامهات العاملات والمتفرغات يأملن لاولادهن مهنا حديثة كالموسيقي والرسام ، ورجل العلم ، ومضيفة الطيران ، ويعكس لنا هذا الاتجاه عن وجود اتجاه سائد يتمسك بالقيم التقليدية التي لها مكانة راسخة في البناء الاجتماعي ونوعية القيم التقليدية السائدة التي تسيطر على المناخ الاسري، تلك القيم التي تحكم على الشخص بنوع المهنة التي يقوم بادائها ، وايضا وجود اتجاه نام يترك حرية الاختيار للابناء حسب قدراتهم . ويعكس لنا الاتجاه العام لموقف الامهات من مهن الابناء ضمور السلطة الوالدية التي تتحكم في تحديد مستقبل الأبناء ، هذه السلطة التي يقابلها حرية التعبير عن الذات ، والاختيار الحر باعتبارها قيما نامية تؤكد اهمية الاختيار الحر في العالم المهني .

ولكن ماذا عن تطلعات الأم الى حياة الابنة في المستقبل ، هل تريد أن تتحقق شخصيتها في ابنتها حسب المثل الشعبي " تقلب القدرة على فمها تطلع البنت لامها " وهل تريد الأم ان تعوض في شخصية ابنتها ما افتقدته هي في حياة الطفولة الماضية ، وهل تغيرت تطلعات الأم الى مستقبل الابنة نتيجة التغير الحادث في البناء ، وهل هناك تباين بين تطلعات الامهات المتفرغات والعاملات ازاء مستقبل الابنة ؟. وسؤال الامهات هل الافضل للبنت الحاقها بمعاهد التعليم التي تعدها مهنيا لشغل مهنة تتكسب منها ، أم التحاقها بدور التعليم التي تعدها للبيت والاسرة . تبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن اجابات الامهات العاملات تتباين عن اجابات الامهات المتفرغات . فيكشف لنا البحث أن ٥٧% من المتفرغات يأملن لبناتهن نوعا من التعليم يعدهن لمهن يتكسبن منها ، وترتفع هذه النسبة الى ٦٦% عند العاملات اللاتي يتطلعن الى تعليم البنت ، واعدادها مهنيا ، لكي تستطيع ان تحقق نجاحا مهنيا ، وان تحتل وظيفة في النسق المهني يدر عليها دخلا منظما . وتبين لنا الاجابات ان اقل من نصف المتفرغات يأملن لبناتهن نوعا من التعليم يعدهن لحياة الزوجية ، وتنخفض هذه النسبة الى الثلث عند العاملات . ونجد اتجاها قويا عند العاملات والمتفرغات الى تقبل التعليم الذي يعد البنت مهنيا وعزوفا عن التعليم النسوي ، بيد ان هذا الاتجاه اقوى عند العاملات منه عند المتفرغات ، كما ان الاتجاه المترسب القائل باعداد البنت لبيت الزوجية أضعف عند الامهات العاملات منه عند الامهات المتفرغات ، مما يؤكد لنا زيادة اهتمامات الامهات

بعمل الابنة كسلاح يعطيها الامن الاقتصادي والاجتماعي . ويدعم هذا الاتجاه تطلعات الامهات الى مستقبل الابنة ، اذا ما سئلت الامهات عن موقفهن اذا ما واجهن موقف الاختيار بين زواج الابنة واستمرارها في التعليم ، فنجد اتجاها قويا يؤكد استمرار الابنة في التعليم عند العاملات والمتفرغات ، بيد أن هذا الاتجاه اقوى منه عند العاملات . فنجد أن ما يقرب من ٧٠٪ من المتفرغات يؤيدن حق الابنة في التعليم ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٥٪ عند العاملات . ونجد ان ما يقرب من ٣٠٪ من المتفرغات يفضلن زواج الابنة عن تعليمها ، وتهبط هذه النسبة الى ١٥٪ عند العاملات .

ويعكس لنا هذا التغير في مفاهيم الام عن مستقبل البنات ان المعايير المتوارثة التي تردد ها الامثال مثل " ظل راجل ولا ظل حيطة " ، والمثل الآخر " خدي لك راجل بالليل خفير وبالنهار أجير " ، لم تعد تحكم تفكير الام وسلوكها ، ويكشف لنا هذا التغير في مفاهيم الأم عن نوع التغير الحادث في البناء وتغير قيم الامهات العاملات والمتفرغات عن المستقبل المهني والتعليمي والزواجي . فلم تعد الامهات تقبل أن ترث ابنتها شخصيتها ، ويساعد هذا كله على تغير اساليب الامهات في توجيه الابناء من الجنسين الى المستقبل .

٥ — تطبيق الامهات لمبدأ المساواة في المعاملة بين الابناء :

واذا كانت تطلعات الامهات الى مستقبل الابناء قد تغيرت ، واصبحت الامهات ينظرن الى آفاق جديدة مشتركة في مستقبل الابناء من الجنسين ، فما هو اسلوب معاملة الابناء من الجنسين داخل محيط الاسرة ، وما مكانة الابن والابنة في المعاملات الاسرية ، وهل تغيرت النظرة الى الابن والابنة ، وما اثر ذلك في توحد الطفل مع القيم التي تؤكد المساواة بين الجنسين ، أو تميز جنس عن الآخر ؟ . فالطفل يدرك من الأبوين اثناء تفاعله معهما معنى المساواة بين الجنسين ، ومدى احترام كل جنس للآخر ، أو عدم المساواة بينهما في المكانة ، واعلاء جنس على جنس ، ومدى تباين أسلوب المعاملة مع كل جنس ، واختلاف المركز الاجتماعي للجنسين . فالابن يتعلم من سلوك والديه القيمة النسبية لكل جنس ، وكيف يستجيب الى الذكر والانثى ، واعطاء كل جنس ما يستحقه من الاحترام .

جدول رقم (٤٠)
اساليب الأم في تحقيق المساواة بين الابناء

اسلوب التنشئة	الأم المتفرغة		الأم العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
الايمان بالمساواة في التعليم	٩٥	٩٥	٩٦	٩٨,٩٦	١,٦٤
عدم الايمان بالمساواة في التعليم	٥	٥	١	١,٠٣	١,٦٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	٩٧	٩٩,٩٩	
الايمان بالمساواة في العمل	٨١	٨١	٨٩	٩٢,٧٠	٢,٤٧
عدم الايمان بالمساواة في العمل	١٩	١٩	٧	٧,٢٩	٢,٤٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	٩٦	٩٩,٩٩	
الايمان بالمساواة في المصروف اليومي	٧٧	٨٢,٧٩	٧٢	٩١,١٣	١,٦٥
عدم الايمان بالمساواة في المصروف اليومي	١٦	١٧,٢٠	٧	٨,٨٦	١,٦٥
(المجموع)	٩٣	٩٩,٩٩	٧٩	٩٩,٩٩	

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية كما هو مبين بالجدول رقم (٤٠) أن نتعرف مدى تقبل الامهات لمبدأ المساواة في معاملة الولد والبنت داخل الاسرة وكذلك مدى تطبيقها لهذا المبدأ . تبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن ٨١٪ من الامهات المتفرغات يؤمن بالمساواة في العمل بين الرجل والمرأة ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٩٢٪ عند الامهات العاملات . وتكشف لنا هذه الارقام عن وجود اتجاه عام قوي يؤكد مبدأ المساواة بين الجنسين في العمل . بيد أن هذا الاتجاه اقوى عند العاملات منه عند المتفرغات ، وكذلك نجد اتجاها قويا عند العاملات والمتفرغات يؤكد تكافؤ الفرص بين الولد والبنت في الالتحاق بدور التعليم . ويدعم هذا الاتجاه الايمان بالمساواة في المصروف اليومي بين الولد والبنت . وتكشف لنا هذه البيانات عن تلاشي ظاهرة التعصب للابن ضد الابنة في المعاملة داخل الاسرة وخاصة من هم في طور الطفولة والصبا .

وتبين لنا هذه الدراسة عن وجود اتجاه قوي في الاسرة المصرية بين الامهات العاملات والمتفرغات يدعو الى **تأكيد** القيم المتغيرة **النامية التي** تؤكد المساواة بين الجنسين في مجالات النشاط المختلفة ، بل ان القيم **المتوارثة** التي تؤكد الاختلاف في المعاملة قد

توارث ، وان القيم الجديدة عن المساواة بين الجنسين قد ثبتت اركانها ، فتوحـــد الصبي او الصبية بالقيم التي تؤكد المساواة يفقده شعوره بالتعصب نحو الجنس الآخـــر ، ويدعم سلوكه بالمساواة في الموقف ، ويدفعه الى الايمان بالاستمتاع بالمشاركة في المميزات والمسئوليات ، ورفض التسلط والتبعية ،وكما ان تعدد الادوار المهنية يحدد ها أدوار الجنس في جميع المجالات . ويؤدي هذا الاتجاه الى اختفاء النظرة القديمة الى المرأة والى ارتفاع مكانة المرأة الاجتماعية ، والى احتلالها مكانة جديدة تتميز بالمساواة مع الرجل .

والآن وبعد ان عرضنا اتجاهات الامهات من الديمقراطية والتعاون والمساواة في المعاملة ، نحاول ان نحلل السلطة الاسرية ، اذ أن طبيعة العلاقات بين الزوجين وما يسود بينهما من تعاون أو استعلاء ، له اثره في ارتباط الابناء مع قيم معينة ، وايضـــا موقف الام من رغبة الابن في المشاركة الايجابية مع الآخرين .

٦ـ **السلطة الاسرية :**

ان المناخ الاسري الذي يعيش فيه الطفل او الصبي له أثره في امتصاص الطفــل بعض المعايير التي تحكم السلوك ، وطبيعة علاقات الام بالابن وما تعكسه من قيم تؤكــد التعاون بين الزوجين ، او التسلط الزوج على زوجته . وينعكس هذا المناخ الاسري على شخصية الابن وعلى علاقاته مع رفاقه وعلى سلوكه ازاء الجنس الآخر ، وايمانه بسيادة جنس على جنس ، او تأكيد المساواة والتعاون بينهما . وقد حاولنا في دراستنا الميدانية ان نتبين الدور النسبي للأب أو الام في اتخاذ بعض القرارات الأسرية لانعكاس ذلك على قيم الابن .

وتبين لنا الاجابات المبينة بالجدول رقم (٤١) أن ٤٤٪ من الامهات المتفرغات ينفردن بالتصرف في أمور البيت وتدبير شئونه ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٢١٪ عنـد الامهات العاملات . ونجد فرقا ذا دلالة احصائية بين الام العاملة والمتفرغة في تدبـــير شئون بيتها . فالام المتفرغة اكثر استغراقا من العاملة في التفرد في ادارة شئون البيت ، ولا يشغلها عن ذلك شاغل . ونجد اختلافات اساسية بين مدى تعاون الزوجين فـــي تصريف امور البيت بين اسر العاملات والمتفرغات ، فنجد ان ٤٧٪ من بيوت الامهـــات المتفرغات يسودها التعاون بين الوالدين في ادارة امور البيت ، وترتفع هذه النسبة الى ٧٢٪

جدول رقم (٤١)
تأكيد السلطة الوالدية فى مجالات مختلفة

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
انفراد الزوج بتصريف أمور البيت	٩	٩	٧	٧	,٥٢
انفراد الزوجة بتصريف ميزانية البيت	٤٤	٤٤	٢١	٢١	٣,٥٨
تعاون الزوجين معا فى انفاق ميزانية البيت	٤٧	٤٧	٧٢	٧٢	٣,٧٢
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
انفراد الزوج بحل مشكلات الأولاد	٣	٣	٣	٣	
انفراد الزوجة بحل مشكلات الأولاد	٤٠	٤٠	١٢	١٢	٤,٧٦
تعاون الزوجين فى حل مشكلات الاولاد	٥٧	٥٧	٨٥	٨٥	٤,٥٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
انفراد الزوج بشراء ملابس الاولاد	٧	٧	٢	٢	١,٧١
انفراد الزوجة بشراء ملابس الاولاد	٥٤	٥٤	٣٤	٣٤	٢,٩٥
تعاون الزوجين فى شراء ملابس الاولاد	٣٩	٣٩	٦٤	٦٤	٣,٦٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
انفراد الزوج بالترويح عن الأولاد	٠	٠	١	١	١,٠٠
انفراد الزوجة بالترويح عن الاولاد	٢٨	٣٠,٧٦	١٠	١٠	٣,٨٤
تعاون الزوجين فى الترويح عن الاولاد	٦٣	٦٩,٢٣	٨٩	٨٩	٣,٧٨
(المجموع)	٩١	٩٩,٩٩	١٠٠	١٠٠	

عند الامهات العاملات . وتظهر لنا الدراسة وجود فروق جوهرية واساسية عن مدى انفراد الام العاملة او المتفرغة فى تربية أولادها . فنجد أن ٤٠٪ من الامهات المتفرغات يتحملن تبعة حل مشكلات الأولاد بمفردهن ، وتنخفض نسبة الامهات العاملات اللاتى ينفردن بتوجيه سلوك الاولاد وحل مشكلاتهم الى ١٢٪ . وتظهر لنا الدراسة الميدانية وجود اختلافات أساسية وحاسمة بين أسر العاملات والمتفرغات فى تحقيق التعاون بين الزوجين فى حل مشكلات الأولاد ، فنجد أن ٥٧٪ من أسر المتفرغات يتعاون فيها الزوج مع زوجته فى تصريف أمور الابناء ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٨٥٪ لدى أسر العاملات.

وتوضح لنا الدراسة الميدانية أن ٣٪ من اسر المتفرغات والعاملات ينفرد فيها

الاب بتوجيه سلوك الاولاد وحل مشكلاتهم ، مما يؤكد لنا اهمية الام في التأثير على شخصية الابن وتدريبه على السلوك المرغوب فيه ، وتوحده مع ما ترغب فيه الام من قيم ومعايير .

وتكشف لنا الدراسة عن وجود فروق هامة ذات دلالة بين مسئولية الام العاملة في اختيار زى الاولاد وبين الام المتفرغة باعتبار مواقف اختيار الزى احد المجالات التي يعرف فيها الابن نوعية السلطة الوالدية . وتبين لنا الدراسة أن اكثر من نصف أسر المتفرغات تنفرد فيها الام بعيدا عن الزوج في اختيار ملابس الاولاد ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٣٤٪ عند اسر الامهات العاملات ، ونجد اختلافا اساسيا في طبيعة التعاون الأسرى عند اختيار ملابس الاولاد عند العاملات والمتفرغات ، اذ نجد أن ٣٩٪ من اسر المتفرغات يتعاون فيها الزوج مع زوجته في هذا المجال ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٦٤٪ عند اسر الامهات العاملات .

أما عن الترويح عن الابناء والانطلاق بهم خارج البيت الى الطبيعة التي يحبونها ويفضلونها من اجل المتعة ، فنجد أن الام اكثر تحملا من الاب لمسئولية الترويح عن الاولاد والخروج بهم الى التنزه والتمتع بالطبيعة التي يحبونها . وتبين لنا الدراسة أن الام أكثر تحملا من الاب لمسئولية الترويح عن الاولاد والخروج بهم الى التنزه ، فنجد أن ٣٠٪ من اسر المتفرغات تتحمل فيها الام وحدها مسئولية الترويح عن الابناء ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٩٪ عند اسر الامهات العاملات .

أما عن تعاون الزوجين في الترويح عن الابناء ، فنجد أن هذا التعاون أقوى في أسر العاملات منه في أسر المتفرغات .

وتكشف لنا هذه الدراسة أن الام اكثر انشغالا واهتماما بمسئولية تربية الاولاد ، وأن الاب قد شغل عن بيته وأمور اولاده وخاصة في أسر الامهات المتفرغات ، وأن زوج العاملة اكثر تعاونا مع زوجته من زوج المتفرغة . وهذا المناخ الأسرى الذى يعيش فيه الطفل وما يحكمه من قيم يؤكد التعاون أو التسلط أو الانفراد بالسلطة في مسائل الحياة اليومية التي ترتبط بالابناء ارتباطا مباشرا ، له أثره في توحد الابناء مع قيم التعاون أو الانفراد بالسلطة والتي تؤثر في اتجاهاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين .

ولم تقتصر دراستنا على دراسة الأجواء التعاونية داخل الاسرة ، بل حاولنا أن نعرف موقف الام اذا ما بدرت من ابنها الرغبة في مشاركة الاخرين ومساهمتهم أفعالهم أو آلامهم .

جدول رقم (٤٢)
موقف الام من رغبة الابن مشاركة الاخرين

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
لوم الام لابنها لمساعدته الغير	٤٢	٤٢	٤٠	٤٠	,٢٨
تشجيع الام لابنها لمساعدته الغير	٥٨	٥٨	٦٠	٦٠	,٢٨
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
عدم اهتمام الام بانشغال ابنها بمشاكل الاخرين	•	•	•	•	
ضجر الام من اهتمام الابن بمشكلات الناس	١٣	١٣	٢	٢	٣,٠١
تشجيع الام لابنها	٨٧	٨٧	٩٨	٩٨	٣,٠١
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وكان السؤال الاول عن موقف الام اذا اعتدى على ابنها لمساعدة الاخرين ، هل تشجعه على الاستمرار في مساندة الاخرين ، أم تقف موقف اللامبالاة ؟ وتلومه على تصرفه . لاتبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها عن فروق ذات مغزى ازاء تصرف الامهات العاملات والمتفرغات في هذا الموقف ، اذ نجد أن حوالي ثلاثة اخماس الامهات العاملات والمتفرغات يؤيدن جهود الابن في مساندة الاخرين ، بينما تلوم الباقيات مثل هذا التصرف من الابن .

اما عن تصرف الام اذا استقطبت مشاكل الاخرين تفكير الابن ، فنجد ١٣٪ من الامهات المتفرغات يكرهن هذا السلوك من الابن وينصحنه بعدم الاهتمام بمشاكل الاخرين ، وتدنو هذه النسبة الى ٢٪ عند الامهات المتفرغات . وقد بينت لنا الاجابات أن ٨٧٪ من المتفرغات يؤكدن رضا الام على تعاون الابن مع الاخرين ومساندته لهم ، وتعلو هذه النسبة الى ٩٨٪ عند الامهات العاملات . ونلاحظ أن الامهات العاملات اكثر اهتماما بتعويد الابناء على السلوك التعاوني .

وتكشف لنا هذه الدراسة ان ابناء العاملات يعيشون في أسر مشبعة بالمناخ التعاوني أكثر من ابناء المتفرغات سواء أكان التعاون بين الزوجين أم بتأكيد وغرس القيم التي تؤكد تضافر الجهود مع الآخرين .

٧— المفاهيم الطبقية عند الامهات :

وقد حاولنا في دراستنا ان ندرس عمق الشعور الطبقي عند الأم ، وكيف تربي ابنها ، وهل لا زالت تؤمن بالفوارق الطبقية والتفاوت في الدخول ، ومن ثم تحدد علاقات ابنها بأصدقائه على اساس طبقي ، وهل تتدخل في اختيار اصدقاء الابنة والابن حسب معايير طبقية . ويرجع اهتمامنا بهذا الاتجاه في الدراسة الى أن المرأة اكثر تمسكا بنوع الحياة التي تحياها ، واكثر من الرجل تشددا بالتدرج الطبقي وايمانا به ، وفي مجتمع ينحو الى بناء الاشتراكية ويؤمن بتذويب الفوارق بين الطبقات ، ويصدر القوانين التي تهدف الى اذابة الفوارق بين الطبقات ، وبناء المجتمع الذي تسوده المساواة والعدالة الاجتماعية — في مجتمع كهذا — حاولنا ان نعرف مدى تمسك الأم بالقيم التي تؤكد التفاوت بين الناس ، او المساواة بينهم ، لاثر ذلك على قيم واتجاهات الابن ، وذلك على اساس مدى تدخلها في اختيار اصدقاء الابناء ، اذ أن اساليب الأمومة في تنمية الشعور الطبقي ، أو في تأكيد المساواة بين الافراد ، له أثره في توحد الأبناء مع القيم التي تؤمن بالتدرج الطبقي ، أو توحدهم مع القيم التي تؤكد المساواة بين أعضاء المجتمع .

تبين لنا الاجابات الموضحة في الجدول رقم (٤٣) ان هناك فرقا واضحا بين الامهات العاملات والمتفرغات ، ازاء سلطة الأم على الابن في علاقاته باصدقائه . ونجد أن العاملات اكثر ترحيبا بزيارة أصدقاء الابن والابنة ، فنجد ان ٧٨٪ من الامهات المتفرغات يرحبن بزيارة اصدقاء الابناء ، وترتفع هذه النسبة الى ٩١٪ عند الامهات العاملات ، كما اننا نجد ان الامهات وان كن يفضلن زيارة الاصدقاء لابنائهن في منازل الاسرة ، فهناك نسبة عالية تأبى رد الابن الزيارة لاصدقائه ، اذ تبين لنا الدراسة ان ٤٣٪ من الامهات المتفرغات و ٤١٪ من الامهات العاملات يقبلن أن يرد الابن زيارة اصدقائه له . اما بالنسبة للبنات فالحال يختلف ، اذ تنخفض هذه النسبة الى ٣٩٪ عند الامهات المتفرغات وايضا

٣٥٪ عند الامهات العاملات • ونلاحظ أن هناك ازدواجا فى موقف الأم بين الموافقة وعدم الموافقة فى زيارة الابن لاصدقائه وتبادله معهم الزيارات • فهى تقبل أن يحضر اصدقاء الابن لزيارة ابنها ، بينما البعض يأبى ان يرد الابن هذه الزيارة •

بيد أن الابن ليس حرا فى اختيار اصدقائه حسب رغبته ، فنجد ٥٩٪ من المتفرغات يتدخلن فى اختيار اصدقاء الابن ، وترتفع هذه النسبة الى ٧٦٪ عند الامهات العاملات، ونجد أن الأم اكثر تدخلا فى اختيار صديقات الابنه من الابن ، فنجد أن ٧١٪ من المتفرغات يتدخلن فى اختيار صديقات الابنة ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٨٠٪ عند الامهات العاملات • وتكشف لنا هذه الدراسة أن الام العاملة اكثر تمسكا فى اختيار اصدقاء الابناء ، كما تظهر لنا ان اختيار الابن لصديقه تحدده بعض القيم الوالدية •

جدول رقم (٤٣)
المفاهيم الطبقية فى اختيار أصدقاء الابنـــاء

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
تفضيل زيارة اصدقاء الابن	٧٨	٧٨,٧٨	٨٧	٩١,٥٧	٢,٥٥
كراهية زيارة اصدقاء الابن	٢١	٢١,٢١	٨	٨,٤٢	٢,٥٥
(المجموع)	٩٩	٩٩,٩٩	٩٥	٩٩,٩٩	
تدخل الاسرة فى اختيار اصدقاء الابن	٥٨	٥٩,١٨	٦٩	٧٦,٦٦	٢,٦٦
رفض تدخل الاسرة	٤٠	٤٠,٨١	٢١	٢٣,٣٣	٢,٦٢
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٠	٩٩,٩٩	
تدخل الاسرة فى اختيار اصدقاء الابنة	٦٧	٧١,٢٧	٦٧	٨٠,٧٢	١,٤٨
كراهية الاسرة التدخل فى اختيار اصدقاء الابنة	٢٧	٢٨,٧٢	١٦	١٩,٢٧	١,٤٨
(المجموع)	٩٤	٩٩,٩٩	٨٣	٩٩,٩٩	
قبول زيارة الابن لاصدقائه	٤٣	٤٣,٨٧	٣٨	٤١,٧٥	,٢٩
رفض زيارة الابن لاصدقائه	٥٥	٥٦,١٢	٥٣	٥٨,٢٤	,٢٩
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩١	٩٩,٩٩	

(تابع) جدول رقم (٤٣)

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة: العدد	الام المتفرغة: %	الام العاملة: العدد	الام العاملة: %	النسبة الحرجة
قبول زيارة الابنة لاصدقائها	٣٧	٣٩,٣٦	٢٩	٣٥,٣٦	,٥٤
رفض زيارة الابنة لاصدقائها	٥٧	٦٠,٦٣	٥٣	٦٤,٦٣	,٥٤
(المجموع)	٩٤	٩٩,٩٩	٨٢	٩٩,٩٩	
أسس اختيار اصدقاء الابن :					
صداقة الابوين	٨	٥,٩٠	١٢	٩,٤٠	
الجوار في المسكن	٤٠	٢٩,٥٠	٤١	٣٢,٣٠	
مهنة الأب	٥	٣,٦٠	١	,٩٠	
تزاور الامهات	١٣	٩,٥٠	١٨	١٤,٩٠	
الطباع والزمالة	٧٠	٥١,٥٠	٥٥	٤٢,٥٠	
(مجموع الاجابات)	١٣٦	١٠٠	١٢٧	١٠٠	
أسس اختيار اصدقاء الابنة :					
صداقة الابوين	٢	١,٨٠	٢	١,٨٠	
الجوار في المسكن	٢٣	٢١,١٠	٢٦	٢٣,٠٠	
تزاور الامهات	١٥	١٣,٨٠	١٨	١٥,٩٠	
الطباع والزمالة	٦٩	٦٣,٣٠	٦٧	٥٩,٣٠	
(مجموع الاجابات)	١٠٩	١٠٠	١١٣	١٠٠	
قبول الأم صداقة ابنائها لأبناء أسر ثرية	٤	٤	١	١	١,٣٦
قبول الام صداقة ابنائها لابناء اسر فقيرة	١	١	٠	٠	١,٠٠
عدم الاهتمام بالمستوى الاقتصادي	٨١	٨١	٨٨	٨٨	١,٣٧
ضرورة المساواة في المستوى الاقتصادي	١٤	١٤	١١	١١	,٦٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
قبول الام صداقة ابنائها لابناء العاملين في المهن اليدوية	٠	٠	٠	٠	
قبول صداقة الابناء لابناء العاملين في الصناعة	٠	٠	١	١	١,٠٠
قبول صداقة ابناء القياديين	١٣	١٣	١٠	١٠	,٦٦
عدم الاهتمام	٨٧	٨٧	٨٩	٨٩	,٤٣
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

لكن ما معيار اختيار الابن لاصدقائه ، والذي تفرضه عليه الاسرة عامة والام خاصة .
تكشف لنا الدراسة الميدانية أن ٤٪ من الامهات المتفرغات يفضلن اختيار صديق الابن من بين أبناء اصدقاء الأب . ونجد حوالي ٦٪ من الامهات العاملات يؤيدن هذا الاتجـــاه .
وتفضل حوالي ٢١٪ من المتفرغات الجوار كمعيار لاختيار اصدقاء الابناء ، وترتفع هـــذه النسبة الى ٢٧٪ عند الامهات العاملات . ويبدو لنا ان الجوار لم يعد عاملا هاما فـــي اختيار المعارف ، ويرجع ذلك الى تميز البناء الاجتماعي بالحراك المكاني ، وعدم استقـــرار معظم الأسر في اماكن اقاماتهم . اما عن الابنة فنجد ان ١٤٪ من الامهات المتفرغـــات يؤكدن اهمية الجوار لتأسيس الصداقات بين البنات . وتنخفض هذه النسبة الى ٥٪ عنـــد الامهات العاملات . ويبدو لنا ان هذا المعيار صار اقل اهمية للفتيات منه للفتيـــان . ومن ثم فالجوار في السكن لم يعد عاملا اساسيا لتدعيم العلاقات الاجتماعية وتحديـــد الصداقات في مجتمعنا . وتكشف لنا البيانات ان ٣٪ من الامهات المتفرغات يحددن مهنة أب الصديق كأساس للصداقة بين الابناء ، وتنخفض هذه النسبة الى ١٪ عند العامـــلات .
ويبين لنا الجدول السابق أن حوالي ٨٩٪ من الامهات العاملات و ٨٧٪ من المتفرغـات لا يباليين بنوع مهنة الاب كمعيار لتكوين صداقات الابناء . ونجد أن ١٣٪ من المتفرغـــات و١٠٪ من العاملات يشترطن في مهنة أب صديق الابن ان يكون من اصحاب الياقات البيضاء ، ويرفضن ان يرتبط اولادهن بصداقات مع ابناء العاملين في الحرف اليدوية أو المهن الصناعية .

ويقول شارل جيد " يعتبر اثنان من الناس من طبقة واحدة اذا تزاورت زوجاتهمـــا "(1) .
فاذا اخذنا في الاعتبار رأي جيد بأن تبادل الزيارات بين النساء يعني ضمنا اعتراف بالمساواة في الطبقة ، وأن كراهية تبادل الزيارات يعني تفاوت المستوى الطبقي ، فان الدراســـة الميدانية تظهر لنا ان تزاور الامهات ليس معيارا لتكوين صداقات الأبناء في مجتمعنـــا ، فالمفهوم الطبقي لا يعتبر اساسا لتحديد مواصفات صداقات الابناء من الذكور ، فنجـــد أن حوالي ١٤٪ من المتفرغات و ١٦٪ من العاملات يشترطن تزاور الامهات كأساس لقيـــام صداقات بين الابناء ، ونجد أن هذه النسبة ترتفع وتتغير اذا ما كان السؤال موجهـــــا بخصوص الابنة ، فتجد أن ما يقرب من ١٤٪ من ابناء المتفرغات و ١٦٪ من أبناء العاملات

---

(1) محمد ثابت الفندي : الطبقات الاجتماعية — القاهرة — الفكر العربي — ١٩٥٤ ، ص ١٤ .

يوافقن على ضرورة تزاور الامهات ، وهذا يكشف لنا ان النظرة الطبقية بمفهوم جيــد لا زالت مترسبة كأساس لتحديد الصداقات بين الأبناء .

وتوضح لنا الاجابات المبينة فى الجدول السابق أن حوالى نصف المتفرغات يتركن لأولادهن الفرصة لاختيار اصدقائهم من بين زملاء المدرسة ، حسب توافق الطباع والميول ، وتنخفض هذه النسبة الى ٤٢٪ عند الامهات العاملات ، اما موقف الأم من زميلات المدرسة فنجد أن ٦٣٪ من الامهات المتفرغات و ٥٦٪ من الامهات العاملات يشترطن توافــــق الطباع بين زميلات المدرسة كشرط لتكوين الصداقات بين الفتيات .

أما عن الدخل كأساس لتكوين الصداقات ، فنجد أن ٨٨٪ من الامهـــــات العاملات يقفن موقف اللامبالاة من المستوى الاقتصادى لاصدقاء الابناء ، وتنخفض هـــذه النسبة الى ٨١٪ عند الامهات المتفرغات ، وتبين لنا دراسة البيانات الموضحة فـــى الجدول السابق ان الأم تتساهل كثيرا ازاء اختيار الابن أو الابنة للاصدقاء لمن هـــم فى مثل مستوى الاسرة الاقتصادى أو دونه ، بيد أنها تكون حذرة وغير راضية اذا مـــا حاول الابناء الارتباطات بصداقات مع ابناء اصحاب الدخول المرتفعة .

وتظهر لنا هذه الدراسة عن اثر المفاهيم الطبقية عند الامهات فى تحديد اختيار اصدقاء الابناء ، ضمور الافكار الطبقية التى تعكس نوع الحياة الاسرية ، والمستويـــات الاقتصادية والمهنية كأسس لتحديد العلاقات بين الناس ، وان هناك اتجاها ناميـــا يؤكد اهمية التوافق فى الطباع والزمالة كمعيارين لتحديد الصداقة بين الابناء ، ومن ثـم فهناك اتجاه نام داخل الاسرة يؤكد المساواة الاجتماعية ، ويحطم الفوارق الاجتماعيــة على أساس الدخل أو المهنة ، مما يخلق لدى الطفل مناخا صالحا ، يدعم فى شخصيته المعايير التى تؤكد المساواة وانكار التفاوت الطبقى .

٨ — <u>موقف الامهات من بعض الموضوعات الدينية والعلمية والقومية والخرافيــة</u> :

يرى الطفل فى سنواته الاولى فى عالم ضيق ، يعتمد فيه كلية على والديه ، ويخلع هالة من القداسة والتقديس على آراء والديه وافكارهم . وفى المجتمع المتغير ما أن يخـــرج الطفل الى عالم المدرسة حتى يتعلم القراءة والكتابة ، ويتصل بافراد جدد ، ويتعلم مـــواد دراسية تخضع لمنهج موجه ، ويكتسب قيما جديدة ، ومن ثم يعبر الى مرحلة جديدة يضـــع

فيها معايير والديه وقيمهم في الميزان • ويتقدم الابناء في مراحل التعليم يدركون ثمة افكارا وقيما وآراءا عديدة تغاير ما تعلموه من والديهم ، وأن هناك كثيرا من القيم والاتجاهات التي لا تتفق مع ما يتلقنونه من قيم خلال المنهج الدراسي • وباستغراق الصبي في الدراسة يأتي الوقت الذي يعرف فيه قصور معرفة والديه ، وأن آراء والديه ينقصها الكمال ، مما يضع الصبي في مواقف التردد والشك بين ما يلقن له من مناهج ومفاهيم وما تحاول الأم ان تدمجه في شخصيته من نماذج للسلوك وافكار وقيم •

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية ان نتعرف على مواقف الامهات العاملات والمتفرغات اذا ما لجأ اليها الصبي سائلا اياها عن موضوع من الموضوعات التي ترتبط بموضوعات المنهج المدرسي وخاصة ما يرتبط منها بالموضوعات القومية والدينية والعلمية ، أو يلتمس عندها حلا لمشكلة واجهته من مشكلات المجتمع في الفترة الراهنة ، او توضيح أمر سمع عنه ، وذلك لاختبار الفرض القائل ان الاهتمام بتلقين الابناء القيم الاخلاقية والدينية يضارع الاهتمام بالقيم العلمية والسياسية •

ولذلك وجهنا الى الامهات مجموعة من الاسئلة المباشرة التي تتصل باساليبها مع الطفل •

ويتضح لنا من الجدول رقم (٤٤) انه اذا ما لجأ الطفل الى الام سائلا اياها عن مغزى نوم على بن ابي طالب في سرير النبي محمد ليلة سفره الى المدينة ، فاننا نجد تفاوتا ذا مغزى بين الاجابات الحقيقية للامهات العاملات والمتفرغات • فقد أجابت بعض الامهات العاملات والمتفرغات اجابات تتضمن أخيلة كثيرة تفسر سلوك على بن ابي طالب • وقد كشفت لنا الاجابات التي حصلنا عليها ان العاملات اكثر فهما للقيم والمبادئ التي يتضمنها سلوك على ليلة هجرة النبي الى مكة ، وما يحمل هذا السلوك من معاني الفداء والتضحية والبطولة الايجابية • وبينما نجد أن ثلث اجابات المتفرغات تحمل الكثير من الافكار الخيالية ، نجد أن خمس العاملات تطبع اجاباتهن بطابع الخيال ، وان كانت اجابات المتفرغات الخيالية أكثر من اجابات الامهات العاملات ، فان هذه الاجابات الخيالية تؤثر في فهم الصبي لمواقف البطولة الايجابية المرتبطة بسلوك على بن ابي طالب ، وتضعه في مواقف الارتياب والشك لبعض المفاهيم والقيم التي يتضمنها المنهج المدرسي •

جدول رقم (٤٤)

موقف الام ازاء بعض الموضوعات الدينية والقومية والعلمية

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
لماذا نام علي بن ابي طالب ...					
اجابات صادقة	١٢	١٢,٢٤	٤٣	٤٥,٧٤	٥,٤٨
اجابات خيالية	٣٣	٣٣,٦٧	٢١	٢٢,٣٤	١,٧٦
لوم الطفل	١	١,٠٢	•	•	١,٠٠
الثورة على سؤال الطفل	•	•	•	•	
الاعتذار بالجهل	٥٢	٥١,٠٢	٢٧	٢٦,٥٩	٣,٥٩
احالة الطفل الى أبية	٢	٢,٠٤	٥	٥,٣١	١,٢٠
(المجموع)	٩٨	٩٩,٩٩	٩٤	٩٩,٩٩	
كيف خلقنا ؟					
اجابات صادقة	٤	٤	٢٨	٢٨	٤,٨٩
اجابات خيالية	٣٩	٣٩	٣٧	٣٧	,٢٩
لوم الطفل	١	١	•	•	١,٠٠
الاعتراف بجهل الام	٥٣	٥٣	٢٨	٢٨	٣,٧٢
احالة الطفل الى ابيه	٣	٣	٧	٧	١,٣٠
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
لماذا طرد اليهود عرب فلسطين ؟					
اجابات صادقة	٧	٧	٣١	٣١	٤,٥٤
اجابات خيالية	٣٨	٣٨	٣٦	٣٦	,٢٩
الاعتراف بجهل الأم	٤٦	٤٦	٢٤	٢٤	٣,٣٥
احالة الطفل الى ابيه	٩	٩	٩	٩	
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
ما المجتمع الاشتراكي ؟					
اجابات صادقة	•	•	١٧	١٧	٤,٥٢
اجابات خيالية	١٨	١٨	٣٢	٣٢	٢,٣١
الاعتراف بجهل الأم	٦٣	٦٣	٤٣	٤٣	٢,٨٩
احالة الطفل الى ابيه	١٩	١٩	٨	٨	٢,٣٠
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

(تابع) جدول رقم (٤٤)

اسلوب التنشئة	الأم المتفرغة		الأم العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
أم صابر :					
اجابات صادقة	٢	٢	١٩	١٩	٤,٠٨
اجابات خيالية	١٨	١٨	٢١	٢١	٣,٥٠
الاعتراف بجهل الأم	٦٩	٦٩	٥٢	٥٢	٢,٤٩
احالة الابن الى ابيه	١١	١١	٨	٨	٢,٧٠
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
ما فائدة وصول الانسان الى القمر؟					
اجابات صادقة	١	١	١٦	١٦	٣,٩٤
اجابات خيالية	٢٤	٢٤	٣٤	٣٤	١,٥٦
لوم الطفل	٠	٠	١	١	١,٠٠
الثورة على الطفل	٣	٣	٠	٠	١,٧٥
الاعتراف بجهل الأم	٦٦	٦٦	٤٣	٤٣	٣,٣٥
احالة الابن الى ابيه	٦	٦	٦	٦	
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وتكشف لنا الاجابات الموضحة بالجدول السابق أن امهات كثيرات يعجزن عن تفسير هذا الموقف للصبي ، وما يحمل هذا الموقف من قيم انسانية ايجابية ، ويظهر لنا أن نسبة الامهات اللاتي يعتذرن من بين المتفرغات تفوق نسبة العاملات ، كما تكشف لنا الاجابات أن قلة من الامهات يحلن أولادهن الى الاباء طلبا للاجابة .

أما عن موقف الأم من البطولات الوطنية ، وكتب القراءة مملوءة بسرد الاقاصيص حول سير الاشخاص الذين ضحوا بالنفس في سبيل الوطن ، وقد سألنا الأم عن موقفها اذا لجأ اليها الطفل وسألها عما تعرف عن أم صابر ، فنجد أن أغلبية الامهات المتفرغات لا يعطين لهذه البطولة اهتماما ولا يرغبن في التحدث عنها ، بينما نجد ٢٪ من المتفرغات يتذكرن بطولات أم صابر في معارك قناة السويس سنة ١٩٥٢ ، ونجد أن نسبة الامهات العاملات اللاتي يقدرن مثل هذه البطولات ، ويجاوبن بصدق اذا ما لجأ

اليهن الاولاد لمعرفة سير الابطال الوطنيين تقرب نسبة المتفرغات اذ تبلغ نسبة هؤلاء ١٩ ٪ • ونلاحظ أن نسبة العاملات اللتى يجهلن تاريخ أم صابر يبلغ نصف عدد العاملات • وتكشف لنا الاجابات أن حوالى خمس العاملات المتفرغات لا يهربن من التحدث مع اولادهن فى موضوعات البطولة الوطنية ، ويحاولن الاجابة بقدر ما يستطعن ، حتى ولو لجأن الى المعلومات الكاذبة •

اما عن فكرة الخلق وما تحمل من معانى دينية وتفسيرات علمية ، وهذا السؤال كثيرا ما يراود الاطفال ولو بصورة ساذجة ، فاننا نجد تباينا كبيرا بين الاجابات الصادقة والكاذبة عند العاملات والمتفرغات ، وكيفية مواجهة الطفل بالحقيقة ، او ادراك الأم لمضمون الاجابة • وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ٤٠ ٪ من المتفرغات فقط يجبن اولادهن باجابات صادقة حقيقية ، بينما ترتفع هذه النسبة الى ٢٨ ٪ عند الامهات العاملات ، وتحاول بعضهن تفسير وشرح فكرة الخلق تفسيرا دينيا ، او الاستناد الى بعض الشواهد الطبيعية وتفسيرها تفسيرا مبسطا • وتظهر لنا الاجابات المبينة فى الجدول السابق أن حوالى خمس العاملات والمتفرغات لا يهربن من اجابة هذا السؤال ، ولكنهن ينسجن لابنائهن اجابات خيالية خرافية • وتوضح لنا الاجابات أن حوالى نصف المتفرغات يصعب عليهن الاجابة على مثل هذا السؤال ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٢٨ ٪ عند الامهات العاملات • وتكشف لنا الدراسة الاحصائية عن وجود فوارق ذات دلالة بين الاجابات الصادقة والمضللة عند الامهات العاملات والمتفرغات ، فالعاملات اكثر صدقا فى اجاباتهن من المتفرغات ، كما ان المتفرغات اقل دراية وعلما باجابة هذا النوع من الاسئلة • كما يبدو لنا أن قلة من الامهات تحاول اشراك الأب فى الاجابة على اسئلة الابن •

اما عن الاشتراكية وهى القضية الاساسية فى مجتمعنا ، ووسيلة المجتمع للقضاء على الاستغلال ، وتحقيق الرفاهية والعدالة الاجتماعية ، فان جميع الامهات المتفرغات لا يفهمن مفهوم الاشتراكية وحتميتها لحل مشاكل التخلف • ونجد أن اقل من خمس العاملات لهن معرفة بمفهوم الاشتراكية والغرض منها • ونجد أن أكثر من ثلثى المتفرغات وكذلك ما يقرب من خمس العاملات يعتذرن لأولادهن اذا ما واجهن موقفا يحاول فيه الابن أن يسأل ما الاشتراكية ؟ • ويظهر لنا البحث الميدانى أن حوالى ١٨ ٪ من

المتفرغات يحاولن بهن اجاباتهن بـآراء من نسج الخيال، بعيدة عن الحقيقة، وترتفع هذه النسبة الى ٣٢٪ عند العاملات •

اما عن القضية الاساسية التي يعيشها المجتمع العربي في المرحلة الحاضرة ،والصراع ضد الصهيونية ومشكلة اللاجئين ، فتوضح لنا الاجابات تفاوت ادراك الامهات العاملات والمتفرغات لهذه القضية • فالعاملات اكثر صدقا في اجاباتهن من المتفرغات • ونجد أن ١٣٪ من العاملات يحاولن الاجابة عن صدق ، بينما تنخفض هذه النسبة الى ٧٪ عند المتفرغات • وتكشف لنا الاجابات التي حصلنا عليها أن ما يقرب من نصف المتفرغات يجهلن اسباب هذه المشكلة ، وليس لديهن معرفة اساسية لمشكلة اللاجئين ، وطرد العصابات الصهيونية لهم • وتنخفض هذه النسبة الى ٢٤٪ عند العاملات • اما من يحكين لاولاد عن اسبابا يمتزج فيها الصدق بالخيال ، فقد بلغ عدد هن الخمسين عند العاملات والمتفرغات •

ويؤدى بنا موقف الامهات من قضية فلسطين والاشتراكية الى التساؤل عن دور الام في التوعية الاشتراكية ،وأسباب قصور معرفتها للقضايا الاساسية في مجتمعنا • ولكي تنتصر قضية الاشتراكية في مجتمعنا فمن الاهمية الحاسمة ان تلم الام بصورة واضحة عن أفكار الاشتراكية وتعى اهدافها وطرق بنائها ، ومن الضرورة تنوير الامهات بالاشتراكية باعتبارها نظاما يهدف الى رفع مستوى معيشة الشعب • ولا شك أن المعلومات النظرية وسائل قاصرة لتنوير الأم بالاشتراكية • ومن ثم فالحاجة ماسة الى اعمال الفنانين والادباء لتقديم القيم الاشتراكية الى الأم لتساهم بها في تكوين الابن المؤمن بالاشتراكية ، باعتبار أن الأم انجع وسيلة لدمج الجيل الجديد من الابناء مع القيم الاشتراكية التي تساعد على ارساء الجانب اللامادى في الاشتراكية •

أما عن اثراء الأم لطفلها بالثقافة العلمية ، فقد سألنا الأم سؤالا مباشرا عن كيفية تفسيرها محاولة صعود الانسان الى القمر للطفل ، وهو موضوع يثير في أذهان الاطفال الكثير من التساؤلات• وتبين لنا الدراسة أن اما واحدة متفرغة فقط عرفت الاجابة المبسطة الحقيقية المقنعة لغزو الانسان للفضاء • وترتفع نسبة العاملات اللاتي يعطين لاولاد من اجابات صادقة في هذا الموضوع الى ١٦٪ • وهذا دليل على قصور المعرفة العلمية

للأم ، وقلة اهتمامها بالعلم والقضايا العلمية فى عصر العلم • فنجد ان حوالى ربع المتفرغات يحاولن نسج التفسيرات الخيالية لمحاولة الانسان الوصول الى القمر، بينما ترتفع نسبة العاملات اللاتى يتهمن هذا الاسلوب من اولاد عن الى ٣١٪ • وتوضح لنا الاجابات حول هذا السؤال أن حوالى ثلثى المتفرغات يجهلن اسباب وصول الانسان الى القمر ، وتنخفض هذه النسبة عند العاملات كثيرا •

ان التاكيد على الاتجاه الفكرى كأساس لبناء الاشتراكية فى المجتمع النامى اتجاه هام وضرورى ، يلعب دوره فى نبذ القيم الاتكالية والسلبية ، وتأكيد القيم الايجابية والايمان بالعلم والتكنولوجيا ، واتخاذ الاسلوب العلمى اسلوبا لحل المشكلات اليومية لما يحمل كل ذلك من معانى تغيير الحياة فى المجتمع • لذا حاولنا أن نعرف قوة الاتجاهات والافكار التى تنم عن التغيير الحادث فى المجتمع ، وأساليب الام فى تربية الابناء على الايمان بالاسلوب العلمى فى التفكير والايجابية والاعتماد على البحث التجريبى ، والبعد عن الافكار المترسبة التى تؤكد الغيبية والسلبية والخرافات • فالمجتمع المتغير يدعو الى الايجابية • وازاء ذلك حاولنا أن نعرف مدى عمق وخصوبة القيم المتغيرة والافكار النامية عند الامهات ، بتحليل الامثال العامية المتداولة ، وتحليل نوعية قصص الاطفال المرغوبة عند الامهات ، وموقف الامهات اذا مرض أحد افراد الاسرة ، ومدى تدريب الابناء على اداء الشعائر الدينية •

وقد حاولنا فى دراستنا تحليل الامثال الاكثر قبولا عند الامهات • فالمثل العامى وما يحمل من معنى ، واستعداد الانسان لترديده يعكس القيم التى تكمن فى هذا المثل ، والتى توجه سلوك الشعب • فالامثال العامية مصدر هام يعبر أصدق تعبير عن الحياة الاجتماعية والقيم التى تضبط العلاقات الاجتماعية السائدة والمتغيرة فى البناء الاجتماعى • فالامثال العامية تعنى باغراض متعددة مثل تقييم الاشياء والتصرفات وتحديد السلوك والتفلسف فى محاولة لفهم الانسان للكون ، كما يشترك اكثرها فى خاصية هامة هى كونها ذات قيمة تربوية " (١) •

---

(١) على احمد عيسى : المجتمع المصرى ، دراسات اجتماعية علمية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ ، ص ١٢٥ •

جدول رقـــــم (٤٥)

موقف الامهات من الاتكالية والغيبية والايجابيـــة

اسلوب التنشـــــــئة	الام المتفرغـــة		الام العاملـــة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
ترديد الامثال الاتكالية	١٦	١٤ر٧٠	٢٦	٢٢ر٠٠	
ترديد الامثال السلبية	٣١	٢٨ر٤٠	٦	٥ر١٠	
ترديد الامثال الايجابية	٤٧	٤٣ر١٠	٧٨	٦٦ر٠٠	
عدم ترديد الامثـــال	١٥	١٣ر٨٠	٨	٦ر٩٠	
(مجموع المجيبين)	١٠٩	١٠٠	١١٨	١٠٠	
تصرف الام اذا مرض احد افراد الاسرة:					
الايمان بالحســـد	٥	٤ر٥٠	٦	٥ر٦	
زيارة الاضرحــــة	٥	٤ر٥٠	١	٠ر٩	
الايمان بالوصفات البلدية	٦	٥ر٤٠	٠	٠	
الايمان بالطبيب	٩٥	٨٥ر٦٠	٩٩	٩٣ر٤	
(المجموع)	١١١	١٠٠	١٠٦	٩٩ر٦	
الايمان بالقصص الخرافية	١٣	١٢ر٠٠	١٠	٨ر٠٧	
الايمان بالقصص الدينية	٣٢	٢٩ر٦٠	٤٨	٣٩ر٨٦	
الايمان بالقصص العلمية	٤	٣ر٧٠	٩	٢٩ر٠٧	
لا تحكى قصصـــــا	٥٩	٥٤ر٦٠	٤٦	٢٢ر٠٠	
(المجموع)	١٠٨	١٠٠	١١٣	١٠٠	

واستنادا الى هذا الرأى حاولنا ان نفسر الامثال التى ترددها الامهات كمـــا هو موضح بالجدول رقم (٤٥) ، فتبين لنا ان الامثال الايجابية تنال المرتبة الاولـــى عند الامهات العاملات والمتفرغات ، بيد أن نسب العاملات اللاتى يرددن الامثـــال الايجابية تتباين عن نسب المتفرغات ، فنجد أن نسبة العاملات اللاتى يرددن الامثـــال الايجابية تبلغ ٦٦٪ عند العاملات ، وتدنو هذه النسبة الى ٤٣٪ عند المتفرغـــات ، اما القيم السلبية فهى تحتل المكانة الثانية عند المتفرغات ، وتشغل الترتيب الثالث عـــند

العاملات ، وترد د ٢٨٪ من المتفرغات و ٥٪ من العاملات الامثال السلبية . امـــــا الامثال الغيبية فتحتل المكانة الثانية عند العاملات وترد د ها ٢٢٪ منهن ، اما المتفرغات اللاتى يرد د ن امثالا غيبية فتبلغ نسبتهن ١٤٪ من الامهات .

وتكشف لنا هذ ه الاجابات ان الافكار الغيبية التى تردها بقوة الدين اقوى عـــند العاملات منه عند المتفرغات ، كما ان الافكار السلبية التى تتعلق بالاتكالية والخرافـــات تلقى قبولا عند العاملات والمتفرغات ، وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان الافكـار والاتجاهات الغيبية لا زالت تعشش فى تفكير المرأة ، وان بعض الامهات يعانـــين من ظاهرة ازد واج الامثال ، أى يؤمن بامثال متعدد ة متناقضة ، وهذا يوضح لنا أن كثيرا من الامهات يؤمن ببعض القيم ونقائضها ، هذا التناقض الذى ينعكس على سلوكهن اثنـاء التفاعل فى الموقف مع الطفل .

أما عن الايمان بالطب فى معالجة الامراض ، فتبين لنا الدراسة ان ما يقرب مـــن ٢ ٪ من المتفرغات و ٣٪ من العاملات يؤكد ن الحسد باعتباره سببا للمرض . وتكشف لنـا الدراسة عن وجود قلة من الامهات لا تتجاوز ٢ ٪ من المتفرغات و ١٪ من العامـــلات يعلن صراحة ترد د هن على الاضرحة طلبا للشفاعة والشفاء من المرض . اما عن الوصفـــات البلدية كوسائل متوارثة للشفاء ، فهذا الاتجاه قد ضمر عند العاملات ضمورا تاما ، امــا المتفرغات فنجد أن ٩٪ منهن يؤمن بفاعلية الوصفات البلدية فى شفاء الامراض ، اما عـــن الايمان بالطب واعتبار أن المرض له سبب يجب استئصاله ، فنجد ان نسبة تفوق ٩٠٪ عند كل من العاملات والمتفرغات ، يؤمن بالطب والطبيب اذا ما اصاب احد افراد الاسرة مرضا . وتوضح لنا هذ ه الاجابات أن الايمان بالطب اصبح المعول الأول فى الشفاء ، وان زيـارة الاضرحة والايمان بالحسد والوصفات البلدية اساليب لا زالت بعض الامهات تؤمن بهـــا ، وترجع معظم الامهات ايمانهن بالحسد الى ذكر القرآن للحسد والاعتراف به .

ولكن لماذا نهتم باختفاء آثار الافكار العلمية عند الامهات المتفرغات والعامـلات ؟ ان تربية الطفل على الايمان بالعلم والقيم الايجابية له اثره على ايمانه بالتجريب والتخطيط العلمى للفرد والمجتمع ، كما ان كراهيته للعلم تسقط على كراهيته نحو الاتجاه العلمـــى للفرد والمجتمع . ويرد اهتمامنا لبحث اهتمامات الام باد ماج القيم الايجابية والعلميـــة

ايماننا بأن العلم هو المهندس المعماري لحضارة القرن العشرين ، فالقيم العلمية هي التي تحكم الحضارة المعاصرة ، كما تمثل القاعدة الاساسية التي يجب ان يقوم عليها البناء الاجتماعي(١) ، كما ان العلم وضع في خدمة المطالب الثقافية والاقتصادية ، ومن ثم أصبح من الضرورة ان تحدد المفاهيم العلمية سلوك الشخصية الاجتماعية ، وصار واجبا على الام تنمية القيم العلمية عند الطفل ، اذ ان تربية الطفل على حب العلم والايمان به يدفعه الى تقبل المسئولية والموضوعية عند اصدار الأحكام ، والايمان بأن لكل ظاهرة سببا محددا ، وعدم الانسياق وراء الآخرين والايمان بالخرافات ، وعدم التعصب ، والايمان بالنظام في الكون ، أو عند اداء الافعال ، مما يخلق منه انسانا منتجا مثابرا متقبلا للنقد •

ولكن ايماننا بالعلم باعتباره الاساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي المعاصر ، والذي يشكل العمليات الاساسية والاجتماعية والفكرية للتركيب العام للمجتمع ، لا يجعلنا نغفل القيمة التأثيرية لقمة البناء الاجتماعي ، أي الجانب العقائدي في البناء ، فكلا مما ليست له قيمة ذاتية في حياتنا بمفرده ، فالعقيدة تلعب دورا هاما في حياة الافـــراد ، بل الاطفال اكثر قبولا للافكار والعقائد وتأثرا بها (٢) وخاصة العقائد الدينية • فالتعاليم والعقائد ، سواء التعاليم الدينية او التعاليم الايديولوجية لكي تصبح تعاليم حقيقيــة مثمرة ، وليست مجرد تعاليم لفظية مجردة ، يجب ان يصبح تفسيرها نماذج عملية للسلوك • وترجع اهمية ادماج العقائد والافكار لدى الطفل انها تعطى الطفل تصورات عن الشــر والخير والكذب والفضيلة والرذيلة والسماح والوطنية والفداء • والعقيدة التي يؤمن بهـــا اعضاء البناء تؤثر في السلوك ، ويساعد تكاملها المجتمع على ان يؤدي وظائفه باعتبـــاره نسقا • ومن ثم فالعقيدة ايا كان منهجها وايا كانت صورتها ، ضرورية لتكوين البنــــاء الاجتماعي ، اذ أنها مصدر هام للايديولوجية التي تسود المجتمع • ويلعب الدين باعتباره صورة اساسية للعقيدة في الدول النامية ، دورا مميزا وضروريا • فالنسق الديني في هذه المجتمعات يستمر لتحقيق الغايات القصوى ، ذلك لأن الدين وسيلة ضرورية من وسائــل الضبط الاجتماعي في هذه المجتمعات • فالدين في هذه المجتمعات منبع للمعايـــير الاجتماعية والعواطف الانسانية النبيلة ، فهو اسلوب للتعبير وتدعيم المعايير الاخلاقيــة

---

(١) Merton, Robert: Social theory and social structure, op. cit., P. 484.

(٢) Jersield, Arther: Child psychology, op.cit., P. 534.

الضرورية لتحقيق التكامل التنظيمي للبناء[1]. كما ان الدين ضروري لانه يجمع افـــراد المجتمع حول قيمة معينة وغايات عامة تحمل شيئا من الواقعية . ويساعد عبادة الموضوعات المقدسة وأداء الشعائر ، وقبول الافكار التي تنادى بها الاديان على ضبط سلوك الافراد .

والدين باعتباره منهجا هاما لتنظيم الحياة الاجتماعية ـ ورمز للعقيدة في المجتمعات النامية ـ له جذور في التوجيهات الثقافية التي تعمل على توجيه السلوك الانساني ، تلك التوجيهات التي تحدد بناء النسق الاجتماعي وشخصيات الافراد [2] . كما تؤكد الاديـان في هذه المجتمعات الظاهرة التنظيمية للبناء ، والتوافق مع الغايات القصوى والقيـــم . ومن ثم نرى أن الدين ـ في المجتمعات النامية شرط هام لوجود المجتمع ـ واساس تقـــوم عليه القيم التنظيمية للمجتمع ، تلك القيم المنظمة لسلوك الافراد ، والتي تتوحد معهـــا الشخصيـــة .

ورغم التقدم التكنولوجي في المجتمعات النامية فان القيم الدينية لا زالت سائـدة ، وتلعب دورا حاسما في تحديد الانماط الكبرى التي تعمل على تنظيم المجتمعات. فالقيم الدينية لم تندثر من هذه المجتمعات التي أخذت بالاساليب التكنولوجية ، لكن تأثيرهـا ضعف ، ويعاني اعضاء هذه المجتمعات لصراع بين القيم الدنيوية والقيم الدينيـــة .

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية أن نتبين مدى اهتمام الاسرة بالدين ـ فـــي مجتمعنا ـ كمنبع يستقي منه الطفل الكثير من القيم . فالتجربة الدينية التي ينشأ عليهـا الطفل تبين مدى الارتباط بين البناء الاجتماعي والدين ، كقوة من خارج انفسنا يقـــوم عليها البناء . وقد وجهنا الى الام في البداية بعض الاسئلة التي تكشف لنا عـــن ممارسة الاسرة للشعائر الدينية كالصوم والصلاة كأساليب تبين مدى الاقتراب من الدين .

تبين لنا الاجابات التي حصلنا عليها والموضحة بالجدول رقم (٤٦) أن حوالـي نصف الاباء والامهات في اسر المتفرغات والعاملات يمارسون شعائر الصلاة ، ولا نتبيـن فروقا ذات دلالة احصائية بين أسر العاملات والمتفرغات ولا تكشف لنا الدراسة عن اهتمام

---

(١) Merton, Robert: Social theory and social structure, op. cit., P. 42.

(٢) Merton, Robert: Ibid., P. 295.

اكثر بالصلاة فى اسر فريق دون فريق • اما عن الصوم فيظهر لنا ان ٩٧٪ من المتفرغات يؤدين فريضة الصوم ، وتدنو هذه النسبة الى ٨٦٪ عند الامهات العاملات ، ورغم انخفاض نسبة الصائمات بين العاملات عن المتفرغات ، فان الاتجاه العام يؤكد لنا الاهتمام بأداء فريضة الصوم عند اغلبية الاسر، ونفسر عزوف ما يقرب من ١٤٪ من العاملات عن اداء فريضة الصوم الى شعورهن بالارهاق البدنى ، ولا يرجع ذلك الى ضعف العاطفة الدينيـــة•

جدول رقم (٤٦)

موقف الاسرة حيال العقائد والشعائر الدينية

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
هل تصلى الام دائما ؟	٥٨	٥٨	٥١	٥١	٩٦ر
هل تصلى الام احيانا ؟	٢٥	٢٥	٢٧	٢٧	٣٢ر
الام لا تصلى	١٧	١٧	٢٢	٢٢	٨٩ر
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل يصلى الاب دائما ؟	٥٨	٥٨	٥٠	٥٠	١٣ر١
هل يصلى الاب احيانا ؟	٢٠	٢٠	٢٣	٢٣	٥٠ر١
الاب لا يصلى	٢٢	٢٢	٢٧	٢٧	٨٢ر
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل تصوم الام دائما ؟	٩٧	٩٧	٨٦	٨٦	٨٤ر٢
هل تصوم الام احيانا؟	٢	٢	١١	١١	٦٢ر٢
الام لا تصوم	١	١	٣	٣	٠١ر١
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل يصوم الاب دائما ؟	٩٤	٩٤	٨٤	٨٤	٢٨ر٢
هل يصوم الاب احيانا ؟	٢	٢	١٢	١٢	٨١ر٢
الاب لا يصوم	٤	٤	٤	٤	
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل تحكى الاسرة القصص الدينية؟					
دائمـــا	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	
احيانـــا	٤٠	٤٠	٤٧	٤٧	٠٠ر١
لا تحكى	٢٠	٢٠	١٣	١٣	٣٢ر١
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

وتكشف لنا الاجابات الموضحة فى الجدول رقم (٤٦) تقارب اهتمامات الاسر بالقصص الدينية ، والتى من خلالها يتوحد الطفل بالقيم الدينية • فمن خلال القصص الدينية يمتص الصبى الكثير من القيم ، فنجد ان حوالى خمس المتفرغات ومع العاملات يبدين اهتماما بسرد القصص الدينية على الاولاد • وتؤكد لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق ان اهتمام الاسر ينصب على ممارسة الشعائر الدينية اكثر من اهتمامها بتوضيح المفاهيم والقيم التى تتضمنها الاديان الى الطفل ، وما الدين عندهن الا عبادة وشعائر وطقوس ، ولم يفهم الدين بعد كعقيدة اجتماعية تنظيمية ، لها جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • ويبدو لنا ان فهم الاسر المصرية للدين فهم ناقص • فالدين ليس الا تعاليم نظرية لفظية لا يتبعها تفسير علمى ، كما ان التربية الدينية فى مجتمعنا تقوم على التخويف من عقاب الآخرة أكثر من اى شئ آخر ، ولا شك ان لذلك اثره فى ترسيب اخلاق الرهبة عند الطفل ، ويساعد على امتصاص الطفل لقيم دينية قابلة للاهتزاز اذا ما واجهت عالم الواقع الذى تحكمه قيم دنيوية ، كما ان عملية تلقين القيم الدينية داخل الاسرة عملية بطيئة عرجاء ، تتداخل فيها عوامل كثيرة مستقلة اهمها انشغال الاسرة بمشاكل الحياة اليومية •

واستنادا الى هذه الدراسة نقرر بأن رأى أوجست كونت بأن الدين اصبح عنصرا ضامرا كعنصر هام فى تكوين البناء الاجتماعى ، وان المرحلة الدينية مرحلة انتهت فى تاريخ الانسانية ، وان المرحلة الوضعية هى المرحلة السائدة فى المجتمع الانسانى ، وأن العلم قد حل محل الدين فى توجيه السلوك الانسانى ، ليس قانونا عاما ينطبق على كل مجتمع معاصر • فلا زال مجتمعنا يتأثر بالدين والافكار الدينية ، ولا زالت بعض الامهات يؤمن بالغيبيات والخرافات ، ولا زال الدين موضع اهتمام كثير من الامهات • فالاهتمام بالدين يفوق غيره من الاعتبارات •

وتوضح لنا هذه الدراسة عن اهتمامات الامهات بالمسائل الدينية والعلمية والقومية ان الام عنصر محافظ تجاه الموضوعات العلمية والقومية ، وهى تترك هذه الموضوعات ، وقلما تعتنى بها ، او حتى تحاول ادماجها فى شخصية الابن • وبذلك يتحقق رأى دوركيم بأن المدرسة هى الجهاز المنظم لسير التربية العامة والموضوعات التى تتصل بالطابع القومى ،

لانها موضوعات ترتبط بقوانين الفكر ، وتنحو بعيدا عن العاطفة والوجدان ، ويجب أن تبعد عن الذاتية والاغراض الشخصية • وتبرز لنا هذه الاجابات انه رغم اننا نعيش فى فترة تحولية وتجربة من النضال الوطنى فان الام تقف موقف التباعد من المسائل السياسية والقومية ، وانها لم تنصهر تماما بهذه الاحداث ، وان شخصيتها لم تتغير لتوائم البناء الجديد ، وان اساليبها التربوية فى الموضوعات القومية اساليب قاصرة ، تمتزج فيها شوائب كثيرة •

٩— اساليب التنشئة فى مجتمع متغير :

يرى الكس انكلز أن احد ردود الفعل الممكنة ازاء تجربة التغير الاجتماعى ، توافق عمليات التنشئة مع التغير الاجتماعى ، والبحث عن اساليب للتنشئة جديدة تتوافق مع التغير الحادث بالبناء الاجتماعى لاعداد الابناء لحياة افضل فى المستقبل كما يتوقعه الوالدان ، فى ضوء تجربتهم الحاضرة • فالآباء الذين يتأثرون بالتغير يبحثون عن اساليب أفضل للتنشئة (١) ولتوجيه ابنائهم الى المستقبل • ومن ثم فالتغير البنائى السريع يؤدى الى تغير اساليب التنشئة لتحقيق التكيف الاجتماعى للابناء ، مما يؤدى الى اختلاف شخصيات الابناء عن شخصيات الآباء ، لتوافق شخصيات الابناء مع التغير • فطريقة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المستقر تتمايز عن طريقة التنشئة فى المجتمع المتغير • اذ أن اساليب التنشئة فى المجتمع المستقر والبطىء التغير تتميز بالصلابة وقلما تتغير ، وتساعد على تقارب سلوك الاجيال المتعاقبة • ولما كان الهدف من عمليات التنشئة الاجتماعية احداث التكامل بين البناء الاجتماعى والشخصية ، وتحقيق التوافق بين مكونات الشخصية (٢) يصبح تغير اساليب التنشئة امرا ضروريا لتحقيق التوافق والتكامل من اجل الحياة المقبلة التى سيعيش فيها الابناء • وتحرر الآباء من قيود اساليب التنشئة ، ونماذج السلوك التى نشأوا عليها ، ومحاولة اندماجهم فى المجتمع المتغير امر ضرورى • ويغير الوالدان من اساليب التنشئة الاجتماعية التى تأثروا بها ، لتأثرهما بتجارب العصر الذى يعيشان فيه ، وتأكدهما أن الاساليب المتوارثة لم تعد صالحة • فالمجتمع وما يصاحبه من تغير بنائى له أثره فى نظرة الآباء الى الامور • ويرى كوهين يهودى ان التغير فى القيم التى تحكم اساليب

---

(١) Inkles, Alex: Social change and social character. In Neil Smelser (ed.) Personality and social system, op.cit. P. 359.

(٢) Inkles, Alex: Some sociological observations on culture and personality studies. In Clyde Kluckhoon, (ed.) personality in nature, society and culture, op. cit., P. 588.

تنشئة الاولاد محصلة تغير ضخم ماثبت ان الاساليب المتوارثة لم تعد صالحة، كما لم يعد الآباء مقتنعين بالاساليب التربوية التقليدية ، واصبحوا يقررون فيما بينهم عقليا وواقعيا ضرورة تغيير اساليب التنشئة لصالح اولادهم[1]

وفى دراستنا الميدانية حاولنا ان نعرف مدى التغير الذى طرأ على عملية التنشئة فى مجتمعنا ، والتغير الحادث بين جيل الامهات وجيل الجدات ، لمعرفة التباين الذى حدث فى عملية التنشئة كعملية متغيرة تهدف الى توجيه السلوك فى المستقبل • ولهذا الغرض وجهنا الى الامهات اسئلة مباشرة الغرض منها معرفة الفرق بين اساليبهن فى تنشئة الاولاد والاساليب التى نشأن عليها ازاء التعود على تحمل المسئولية والايمان بالمساواة بين الابنة والابن فى التعليم والعمل ومدى الاهتمام بالتربية الدينية •

وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها والمبينة فى جدول رقم (٤٧) وجود اتجاه مغاير لاساليب التنشئة المتوارثة • ففيما يختص بتعويد الابناء على تحمل المسئولية، تكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ما يقرب من خمسى الامهات العاملات والمتفرغات، يسرن على نهج أمهاتهن فى تدريب الابناء على تحمل المسئولية ، بينما نجد ما يقرب من ثلاث اخماس الامهات يمارسن أساليب مغايرة عن الاساليب التى تعودن عليها لتعويد ابنائهن على تحمل المسئولية • اما عن اهتمام الامهات بأداء الابناء الشعائر الدينية ومطابقة اساليبهن مع الاساليب التى ورثنها عن اسرهن ، فنجد ان ما يقرب من ٦٠ ٪ من الامهات المتفرغات يقتفين نفس اساليب امهاتهن فى تربية الاولاد على اداء الشعائر الدينية • وتنخفض هذه النسبة الى ٤٢٪ عند الامهات العاملات • وتكشف لنا الدراسة ان ما يبلغ من ٤٠٪ من الامهات المتفرغات يخالفن امهاتهن فى طريقة تربية الابناء على اداء الشعائر الدينية • اما العاملات فنجد أن اللاتى لفظن منهن اساليب الجدات فى تدريب الابناء على أداء الشعائر الدينية فتبلغ نسبتهن ٥٨٪ •

اما فيما يتعلق بتطبيق اساليب المساواة بين الجنسين فى مجالات التعليم فنجد ٢٢٪ من المتفرغات يسرن فى نفس الطريق الذى نشأن عليه ، فيما يتعلق بعدم المساواة

(1) Cohen, Yehudi; Social structure and personality, op.cit. P. 134.

بين الجنسين فى مجال التعليم ، بينما نجد اربعة اخماس المتفرغات يخالفن نظـــرة امهاتهن فى التعليم والايمان بالمساواة بين البنت والولد فى هذا المجال • أما عنــد العاملات فنجد أن نصفهن يؤكدن النظرة المتوارثة عن التعليم وعدم المساواة ، ونجـد ان النصف الآخر عدل وغير فى النظرة التقليدية المتوارثة عن نوعية التعليم الذى تستحقه المرأة •

جدول رقم (٤٧)

اساليب التنشئة نحو بعض الموضوعات فى مجتمع متغير

اسلوب التنشئة	الام المتفرغة		الام العاملة		النسبة الحرجة
	العدد	٪	العدد	٪	
التعود على المسئولية :					
اتفاق	٣٨	٣٨	٤٢	٤٢	٥٧ر
اختلاف	٦٢	٦٢	٥٨	٥٨	٥٧ر
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
الاهتمام بالتربية الدينية :					
اتفاق	٦٠	٦٠	٤٢	٤٢	٥٨ر٢
اختلاف	٤٠	٤٠	٥٨	٥٨	٥٨ر٢
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
النظرة الى التعليم :					
اتفاق	٢٢	٢٢	٥٢	٥٢	٦٩ر٤
اختلاف	٧٨	٧٨	٤٨	٤٨	٦٩ر٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
النظرة الى العمل :					
اتفاق	١٩	١٩	٥٢	٥٢	١٩ر٥
اختلاف	٨١	٨١	٤٨	٤٨	١٩ر٥
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

اما عن العمل وهل يحق للمرأة ان تتساوى مع الرجل فى هذا المجال ، وهــل لا زالت بعض الامهات يؤمن بالتقاليد المتوارثة عن التمييز بين الرجل والمرأة فى العمــل ، او حرمان المرأة من حق المساهمة فى مجال العمل • فتبين لنا الدراسة أن ١٩ ٪مـــن

المتفرغات لا زلن يؤمن بأهمية تفرغ الأم لبيتها ولاولادها ، كما تكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان حوالى أربعة اخماس المتفرغات قد خرجن عن المفهوم المتوارث فى اسرهن عن العمل ، واختلاط الجنسين فى مجالات العمل ، وتحقيق المساواة بينهما فى هذا المجال . وتكشف لنا الاجابات ان ٥٢٪ من العاملات يسرن فى نفس الطريق الذى نشأن عليه بخصوص النظرة الى العمل ، وكانت هذه النظرة تؤكد اهمية المساواة بين الرجل والمرأة فى مجالات العمل . وقد بينت لنا الدراسة ان ٤٨٪ من العاملات قد نشأن فى اسر تؤمن بالتمييز بين الرجل والمرأة فى مجال العمل ، ولكن هؤلاء العاملات قد غيرن من القيم المتوارثة عن عدم المساواة بين الرجل والمرأة فى مجالات العمل ، واصبحن يؤمن بالمساواة بينهما .

ونفسر اهتمامات المرأة المتفرغة اكثر من المرأة العاملة بتغيير اساليبها فى التنشئة فيما يختص بتأكيد المساواة بين الجنسين وفى مجالات التعليم والعمل ، برغبة الامهات المتفرغات فى تعويض ما حرمن منه فى شخصية اولادهن . فلم تعد الامهات تقبل أن تصبح بناتهن فى مثل حالتهن ، بل يأملن ان تحقق البنات آمالهن وطموحهن ، يعوضن ما افتقدنه فى طفولتهن .

ولكن هل الامهات راضيات عن طريقة تربية الابناء ، وهل طريقتهن مماثلة لطريقة الجدات ، وهل يتفق الزوجان سويا على اسلوب التنشئة ؟ . هذا ما حاول البحث الميدانى ان يثبته كما هو موضح بالجدول رقم (٤٨) .

تكشف لنا الدراسة الميدانية عن وجود اتجاه قوى تام يمثله ما يقرب من ثلثى العاملات والمتفرغات يؤكد اهمية تغيير اساليب التربية ، وعدم مواءمة الاساليب المتوارثة مع المجتمع المتغير لتوجيه الابناء الى المستقبل حسبما يبدو هذا المستقبل امام اعينهن . ومن ثم غيرن من اساليبهن فى التربية بهدف توجيه سلوك الابناء . بيد أن الحكم على افضلية اسلوب على آخر مثار خلاف ، فنجد ان ما يقرب من ٢١٪ من المتفرغات يقررن ان الطريقة التى نشأن عليها افضل من طريقتهن فى تربية اولادهن ، ويؤيد هذا الاتجاه ٢٣٪ من العاملات ، بيد أننا نجد ما يقرب من ٦٨٪ من المتفرغات يقررن ان طريقتهن فى التنشئة افضل وتواكب روح العصر ، وترتفع هذه النسبة الى ٧٦٪ عند العاملات . وتبين لنا

الدراسة وجسود فريق متحفظ يعلن أن ثمرات اساليبهن فى التنشئة المتبعة لم تظهـر بعـد ٠

جدول رقم (٤٨)

تقييم الامهات لاساليب التنشئة فى مجتمع متغـــير

اسلوب التنشـــــئة	الام المتفرغـة		الام العاملـــة		النسبة الحرجة
	العدد	%	العدد	%	
هل طريقة والديك مماثلة لطريقتك فى التنشئة :					
نعم	٣٣	٣٣	٣٣	٣٣	
لا	٦٧	٦٧	٦٧	٦٧	
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
هل طريقة والديك افضل :					
نعم	٢٩	٣١ر٥٢	٢٠	٢٣ر٢٥	١ر٢٤
لا	٦٣	٦٨ر٤٧	٦٥	٧٦ر٧٤	١ر٢٤
(المجموع)	٩٢	٩٩ر٩٩	٨٥	٩٩ر٩٩	
الرضا على طريقة تربية الابن	٨٨	٨٨	٩٥	٩٥	١ر٧٨
عدم الرضا على طريقة تربية الابن	١٢	١٢	٥	٥	١ر٥٧
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	
اتفاق الزوجين على اسلوب التنشئة	٨٣	٨٣	٩٢	٩٢	١ر٩٤
عدم اتفاق الزوجين على اسلوب التنشئة	١٧	١٧	٨	٨	١ر٩٤
(المجموع)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	

ولكن هل الامهات راضيات عن اساليبهن فى تربية الاولاد ، وهل يتفق الزوجان سويا على اسلوب واحد فى تربية الابن فى مجتمع متغير يتميز بعدم الاستقرار والتغـــير السريع فى جميع الانظمة الاجتماعية، واستحداث اساليب جديدة من السلوك ينشأ عليهـا الاولاد ؟ اذ أن عدم الاتفاق يساعد على شعور الطفل بالمسافة الاجتماعية بين المعايير والاتجاهات والقيم التى توجه سلوكه داخل الاسرة مما يخلق لديه حالات من البلبلـــة وعدم الاستقرار والعجز عن التوافق مع اشكال السلوك السائدة ٠ لذا وجهنا الى الامهات

سؤالين ، اولهما يهدف الى معرفة مدى رضائها او عدم رضائها على طريقة تنشئة ابنها ، والاخر يسعى الى معرفة اتفاق الزوجين او عدم اتفاقهما على طريقة تنشئة الابن •

توضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها كما هو مبين فى جدول رقم (٤٨) أن ٨٨٪ من الامهات المتفرغات راضيات على اساليبهن فى تنشئة الاولاد ، وترتفع هذه النسبة الى ٩٥٪ عند العاملات ،ولا نجد فروقا ذات دلالة تكشف تباين تقدير كل من العاملة والمتفرغة لاسلوبها فى تنشئة ابنائها ، وكل منهما تشعر انها أثرت فى ابنتها أو ابنها بطريقتها الخاصة • أما عن مدى اتفاق الزوجين على طريقة التنشئة فنجد تفاوتا بين الامهات العاملات والمتفرغات حول هذا الشأن ، اذ نجد أن حوالى ٨٢٪ من المتفرغات يتفقن مع ازواجهن على طريقة واحدة لتربية الاولاد ، بينما تختلف الباقيات مع ازواجهن حول الاسلوب المناسب لتنشئة الابن • اما فى اسر العاملات فنجد أن ٩٢٪ من الامهات يتفقن مع ازواجهن حول الاسلوب المناسب لتوجيه سلوك الابناء ، ويرجع التباين الواضح بين نسب الامهات العاملات والمتفرغات الى مشاركة الزوجين فى غالبية اسر العاملات فى اسلوب التنشئة المناسب ، مما يخلق نوعا من الرضا والتقارب بين الزوجين حول طريقة تربية الابن لتحملهما مسئولية المشاركة فى توجيه سلوكه ، وهذا التقارب فى الاتفاق حول اسلوب التنشئة يقلل من فرص الخلافات الاسرية بشأن التربية ، ويوضح لنا أن أسر العاملات اكثر اتفاقا وتقبلا لاساليب التنشئة المتغيرة •

ولكن لماذا غيرت الامهات من اساليبهن فى التنشئة ؟ وما تفسير من لاتجاه الداعى الى تغيير الاساليب التقليدية والمتوارثة ، وما صلة تباين اساليب التنشئة بالطابع القومى للشخصية •

يرى بارسونز ان تغير أساليب التنشئة انما هو محاولة لتأكيد وجود الانماط الثقافية النامية لكى تصير جزءا من بناء شخصية المرء [1] وربط الطفل بتوجيهات القيم النامية • وتبين لنا الدراسة الميدانية التى قمنا باجرائها تباين أنماط السلوك بين اسر العاملات واسر المتفرغات ، فالامهات العاملات اقدر على تنشئة اطفالهن على قيم وعادات جديدة

---

(1) Persons, Talcott: Toward a theory of action. op.cit., P. 22.

تساعد على اندماجهم فى المجتمع المتغير ، على عكس ما يحدث عند الامهات المتفرغات اللاتى يتمسكن بالقيم التقليدية المتوارثة • وتظهر لنا هذه الدراسة عدم وجود اساليب متجانسة لتنشئة الابن فى فترة التحول ، وعدم التجانس ظاهرة طبيعية فى البناء المتغير، فالقيم لم تستقر بعد ، ومن ثم فالسلوك السائد فى مجتمعنا ليس مضطردا متماثلا فى المواقف المختلفة • فالاختلاف فى اساليب التنشئة بين الامهات ، وتفاوت الامهات فى تقبل او نبذ الاساليب المتغيرة ، يرجع الى اختلاف قيم هؤلاء الامهات ، وعدم تجانس شخصياتهن • وهذا الاختلاف فى اساليب التنشئة له آثاره على الاطفال ، اذ يساعد على اختلاف العناصر المكونة لشخصيات الابناء • وهذا الاختلاف فى انماط سلوك الافراد ، وهذا التباين فى العناصر المكونة لبناء شخصيات الابناء ، يعبران عن التغير الحاد فى جميع عناصر البناء ؛ كما يقودنا هذا الاختلاف الى الوعى بوجود تباين فى سلوك الافراد ، وباجهاض فكرة الشخصية القومية فى مجتمع المدينة الكبيرة •

ولكن بماذا نفسر اختلاف الامهات المتفرغات عن الامهات العاملات فى تأكيد بعض اساليب التنشئة ؟ • ان الام اثناء تفاعلها مع ابنها تلقنه انماط السلوك والقيم المختلفة وهذه الانماط باعتبارها من العناصر المنظمة للبناء يتوحد بها الابناء وتصبح عناصر اساسية فى بناء شخصيات الابناء • بيد أن اختلاف العاملات عن المتفرغات فى اساليب تنشئة الابناء ، وتمايز العاملات عن المتفرغات فى تقبلهن للقيم المتغيرة ، ومسا همتهن فى ادماج هذه العناصر الجديدة فى شخصية الابناء ، يرجع فى البداية الى اختلاف الاساليب التى ربيت عليها العاملات والمتفرغات • اذ يبدو لنا أن معظم المتفرغات لم ينلن الا حظا ضئيلا من التعليم ، ونشأن اسيرات الجهل فى مجتمع شوه من مكانة المرأة الاجتماعية وحرمها من التعليم والعمل ؛ على أن العاملات قد نلن حظا من التعليم ورقى المكانة الاجتماعية ، وكان عليهن ازالة ميراث من الجهالة وازاحة الحواجز التقليدية امام المرأة • كذلك فان عمل المرأة ، وان زاد من فرص الصراع والقلق — نسبيا— عندها ، فانه يمنحها تجربة جديدة فريدة ومميزة من العسير ان ترى نظيرا لها فى حياتها اليومية العائلية ، ويربطها بعلاقات اجتماعية لا شخصية تكسبها تجارب كثيرة تحاول الاستفادة منها فى تنشئة اولادها ، ومن ثم فان العاملة رغم قلة ساعات ارتباط

ابنها بها ، ورغم مواجهتها لمواقف تشعر فيها بالتوتر والصراع ، فانها تعوض غيابها بالحنان الزائد الذى تمنحه للابن ، ولذا يمكننا أن نقرر ان العاملة تعى بوظيفة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المتغير ، وأنها اكثر ايجابية فى تقبل اساليب التربية الحديثة من الأم المتفرغة .

....

٤٩٨ ـ ٥٦٧

الفصل التاسع

تفضيلات الصبية لتوجيهات القيم

تفضيلات الصبية لتوجيهات القيم

تعبر انماط السلوك المميزة الواضحة عن توجيهات القيم السائدة والمتغيرة داخل البناء الاجتماعي • وتوضح هذه القيم باعتبارها المعاني اللاشعورية للاختيار نظرة الانسان الى العالم • وترى فلورنس كلاكهون ان تفضيلات الاطفال لتوجيهات قيم معينة ، تعكس تأثير عملية التنشئة الاجتماعية عليهم في ثقافة معينة ، وتكون هذه التفضيلات جانبا هاما من الشخصية الكلية للطفل[1] • ويجد الملاحظ لشخصيات الافراد وسلوكهم في المواقف الاجتماعية تباينا كبيرا بين القيم الاجتماعية التي تحكم السلوك من ثقافة لأخرى • ويرد هذا التباين الى اختلاف اساليب التنشئة الاجتماعية التي تشكل الافراد داخل بناء اجتماعي محدد • ويتجلى هذا التباين اثناء اداء الافراد لادوارهم المختلفة في مواقف التفاعل ، او اصدارهم لأحكام عامة على سلوك الآخرين ، كما يظهر هذا الاختلاف في القيم بين نسق ونسق داخل البناء الاجتماعي الواحد • كما يدرك هذا التفاوت في توجيهات القيم بين بناء وآخر ، على ان هذا الاختلاف يجب الا يدفعنا الى اغفال حقيقتين هامتين • الاولى ان القيم ليست تصورات ذاتية ، بل تصورات اجتماعية تعبر عن ظروف بناء معين ، والاخرى وجود بعض مشكلات انسانية عامة ترتبط بمجموعة من الحلول الشائعة في اطار الحلول الممكنة تحددها ظروف البناء •

واهتمامنا بدراسة توجيهات القيم عند الصبية كأشياء ذات أهمية في حياتهم ، وعناصر منظمة لسلوكهم ، وضابطة لاهدافهم في الحياة ، يرجع الى ان القيم مفتاح لفهم البناء المتغير ، وفهم شخصيات الصبية وتفسير سلوكهم في هذا الطور من اطوار النمو باعتبارهم طلائع ، وانها محصلة عمليات التنشئة الاجتماعية في الاسرة والمدرسة •

ولكن لماذا اخترنا طور الصبا للقيام بدراستنا الميدانية • طور الصبا هو الطور اللاحق لطور الطفولة الاولى ، وهو طور هام في حياة المرء يعرف فيه علاقات جديدة لاول مرة لا تقوم على علاقات الدم ، ولا تستند الى عاطفة الحب الاسرى • فالطفل يخرج في هذا الطور من نطاق الاسرة الى نطاق التعليم المدرسي • وهذا الانتقال يمثل تحولا

(1) Kluckhoon, Florence: Variation in value orientation. op.cit., P. 365.

عاما الى مواقف اجتماعية اولية جديدة[1] ، كما يقابل زملاء له تقوم علاقاته معهم على المنافسة ، ويفقد مرحلة الاعتماد على الابوين وحمايتهما له ، وينتقل الى مرحلة تتطلب منه التحصيل والاجتهاد . وتستمر عملية التنشئة فى هذا الطور من النمو وتقوم بها الاسرة والمدرسة ، كما يتميز هذا الطور بالنمو الجسمى العادى . وهو طور يسبق طور البلوغ والمراهقة الذى يتميز بالانفعالات النفسية الشديدة والصراعات الاجتماعية . ويتعلم الصبى فى هذا الطور معارف جديدة وينتمى الى جماعات جديدة ، ويساعد تفاعله فى المواقف التعليمية والنشاط المدرسى على اكتسابه خبرات جديدة قد تدعم من خبرات الاسرة التى نشأ عليها فى طور الطفولة ، او قد تتعارض معها ، مما يؤثر فى توافق الصبى مع جماعته المدرسية أو الاسرية ، او عدم توافقه معهما .

وسنحاول ان نصور فى هذا الفصل لتفضيلات الصبية لتوجيهات قيم معينة ازاء بعض المشكلات ، ونوعية الحلول الممكنة التى تعبر عنها توجيهات القيم المفضلة لاختبار الفروض الاتيـــة :

١ـ ان الصبية فى فترة التغير البنائى يواجهون كثيرا من القيم المتغيرة والسائدة التى يتوحدون بها ، ولذا تتشابه لديهم توجيهات القيم فى الموقف الواحد ، ويتميز سلوكهم بعدم الاستقرار .

٢ـ ينعكس أثر الصراع الذى تعانيه الامهات على توحدات الابناء مع القيم الجديدة .

٣ـ تمايز القيم التى يتوحد بها الابناء من الجنسين .

وفى سبيل اختبار هذه الفروض واجهنا الصبية بمجموعات من المواقف تتضمن كل مجموعة عدد معين من المشكلات تتطلب حلولا ممكنة تعبر عن قيم معينة ، ويعكس اختيار الصبى للحلول المفضلة عنده توجيهات القيم التى تكون جانبا من شخصيته .

اولا : التقدير المثالى للانجازات والافعال الخارقة (بطولات فردية ـ بطولات جماعية ـ لا بطولـــة)

وفى البداية وانطلاقا من الظروف الحاضرة التى تحيط بالبناء الاجتماعى رأينا أن نستقصى مدى وعى الصبية من ابناء العاملات والمتفرغات بانواع البطولات المفضلة لديهم ،

(1) Dewey, Richard: An introduction to social psychology, By Richard Dewey and W. J. Humber, Second Printing. N.Y., Macmillan Com. 1967, P. 495.

وتقد يرعم المثالى للافعال التى تتطلب التضحية فى المواقف التى تتأن فيها الحلــــول الممكنة التى تظهر البطولة الفردية والبطولة الجماعية أو الهروب من الموقف وعدم الرغبة فــى التضحية ، وذلك لمعرفة نوع البطل المفضل عند الصبية • ولذا حصرنا الحلول المفضلـــة عن البطولة والتضحية فى ثلاثة اتجاهات : بطولة جماعية تؤمن بالتضحية من اجل الآخرين ، او بطولة فردية يؤمن صاحبها بادا ء الفعل من أجل الحصول على النصر لشخصه سعيا وراء المجد ، لما يضفيه عليه النصر من فائدة ، او الحل الهروبى من الموقف واللامبالاة بنتائجه كارها البطولة والابطال وما ترتبط به من سلوك •

جدول رقم (٤٩)

توجيهات قيم البطولة عن ابناء العاملات والمتفرغات

توجيه القيم	البطولة الفردية		الهروب من الموقف		البطولة الايجابية	
الموقف	ابناء م (١)	ابناء ع (٢)	ابناء م	ابناء ع	ابناء م	ابناء ع
١ـ انقاذ الحريق	١٠	٢	٢٧	٢٤	٦٢	٧٤
٢ـ الفدائى الصغير فى بورسعيد	١٠	١٠	١٢	٣	٧٨	٨٧
٣ـ الشهرة الرياضية أم النجاح فى المدرسة	١٤	٦	٢٥	١٢	٦١	٨١
٤ـ حادثة فندق الامبسادير	١٧	٩	١	١	٨٢	٩٠
٥ـ البطل الخرافى أم البطل الحقيقى	٢٧	٢٢	٤٥	٤٠	٢٨	٣٨
م	٧٨ر	٤٩ر	١ر١٠	٨١ر	٣ر١٢	٣ر٧٠
٢م	١ر٣٦	٨١ر	٢ر١٨	١ر٣٩	١١ر٣٦	١١ر٩٦
الانحراف المعيارى	٨٦ر	٧٥ر	٩٨ر	٨٥ر	١ر٢٧	١ر١٢
ت	٢ر٥١		٢ر١١		٣ر٣٩	

وفى هذا الشأن حاولنا ان نعرف تقدير البطولة عند الصبية افراد العينة اذا واجه الصبى موقفا يغرق فيه طفل ، وتتباين فيه تصرفات زملائه الذين يجيدون السباحة، فاحدهم يحرص على بطولتهم ويخشى التعب خوفا من ضياع البطولة ،وزميل يلجأ الى عامل

(١) م : ترمز الى المتفرغات (٢) ع : ترمز الى العاملات •

الانقاذ ، وثالث يجازف بنفسه مضحيا من اجل انقاذ الغريق •

جدول رقم (٥٠)

التناقض بين الاقوال النظرية والسلوك العملـــــى

فى المواقف التى تتطلب التضحيـــــــة

توجيه القيـــــم	البطولة الفردية		الهروب من الموقف		البطولة الايجابية	
الموقـــــــف	ابناء " م "	ابناء " ع "	ابناء " م "	ابناء " ع "	ابناء " م "	ابناء " ع "
١ـ انقاذ الحريق	١	•	•	•	٩	٥
٢ـ الفدائى الصغير فى بورسعيد	•	•	•	•	١٢	١٣
٣ـ الشهرة الرياضية أم النجاح فى المدرســـة	•	•	•	•	•	•
٤ـ حادثة فندق الامبسادير	•	•	•	•	٢٤	١٩
٥ـ البطل الخرافى أم البطل الحقيقى	•	•	١	•	•	•

وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ١٠ ٪ من ابناء المتفرغات يؤكدون تصرف الصبى الحريص على بطولته الشخصية من اجل احراز ميدالية النصر • وتهبط هذه النسبة الى ٢٪ عند ابناء العاملات • اما الصبية الذين لم يبهرهم النصر الشخصى اذا تعارض مع حياة زميل لهم ، يستحبون بتصرف الشخص الذى يلجأ الى عامل الانقاذ لانقاذ زميلهـــم فتظهر لنا الدراسة ان ما يقرب من ربع ابناء العاملات والمتفرغات يؤكدون ان هذا السلـوك أفضل من سلوك الشخص الذى يحميه احراز البطولة عن اغاثة الآخرين • أما الاعجاب والتقدير للبطولة الايجابية التى تضحى بالذات من أجل الآخرين ،فنجد أن ٦٣٪ من أبنـــــاء المتفرغات يقدرون هذا السلوك • وترتفع هذه النسبة الى ٧٤ ٪ عند ابناء العامـــلات • ولكن هل هناك صلة بين المفهوم النظرى للبطولة فى هذا الموقف والسلوك العملى ؟ • تكشف لنا البيانات الموضحة فى جدول رقم (٥٠) ان طفلا واحدا من ابناء المتفرغات يعانى من ازدواج بين السلوك الفعلى ازاء البطولة الفردية فى هذا الموقف وبين الاعجاب بــــه • وتكشف لنا الاجابات أن ٩٪ من ابناء المتفرغات يعانون من الازدواج بين الاعجاب والتقدير النظرى للبطولة الجماعية والسلوك العملى المرتبط بها ، وتنخفض هذه النسبة الى ٥ ٪ عند ابناء العاملات • وكانت معظم التعليقات التى ظهرت من الاطفال تؤكد اسباب اختيـــــار الحل المفضل فى هذا الموقف • فالبطولة الايجابية تعنى المجازفة وانقاذ الآخرين ، كذلك

فالبطولة الجماعية الايجابية تعنى الشجاعة ، كما ان التعليقات التى تبرر الهروب من الموقف او اللجوء الى الغير تكشف شعور اصحابها بالقصور عن اداء الفعل او كراهية المخاطرة والمجازفة .

اما الموقف الثانى فقد نبع من المنهج المدرسى ، فالطفل فى المدرسة الابتدائية يقرأ فى دروس المطالعة قصصا تحكى أفعال بعض الابطال ، ولذا حاولنا أن نعرف مدى اعجاب الصبى بالبطل الفدائى فى بورسعيد الذى سقط برصاص الانجليز فى حرب ١٩٥٦ وحكمه على افعاله . وقد حاولنا من هذا الموقف ادراك مدى ايمان الصبى بمعنى البطولة الوطنية والتضحية فى سبيل المجتمع . وتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ١٠٪ من ابناء المتفرغات والعاملات ينكرون هذا النوع من البطولات ، وتنحصر البطولة عندهم فى النجاح فى العمل أو التفوق الدراسى ، وانه لا مجال لمشاركة الصغير فى العمل الوطنى . كما تكشف لنا الاجابات ان ١٢٪ من ابناء المتفرغات ينصرفون كلية عن العمل الفدائى ، وتوضح اجاباتهم عن اتجاهاتهم الانهزامية ، لكن هذه النسبة تهبط الى ٣٪ عند ابناء العاملات . أما عن الاعجاب بالبطل الفدائى الذى ضحى بنفسه وغامر بمستقبله ، هذا الاعجاب الذى يفصح لنا عن مدلول قيمة البطولة الجماعية عند الصبية ، فنجد أن ٧٨٪ من ابناء المتفرغات يظهرون الاعجاب بالبطل الصغير ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٧٪ عند ابناء العاملات . وقد أفصح هولاء الصبية عن تقديرهم للبطولة الجماعية فى بورسعيد فى التعليقات الاتية :

- " الوطن اغلى من الحياة "
- " أريد وطنى حرا مستقلا "
- " أريد أن انتقم لبلدى "

وتكشف لنا هذه التعليقات عن مدى معايشة الصبية للواقع السياسى والعسكرى الذى يلم بالارض العربية ، واسترخاصهم النفس فى سبيل تحرير الارض ، وايمانهم بالقيم التى تؤكد الفداء من اجل الجماعة .

اما عن الصلة بين الحكم اللفظى والسلوك العملى للصبى فى هذا الموقف ، فنجد أن ١٢٪ من ابناء العاملات و ١٣٪ من ابناء المتفرغات يعانون من الازدواج بين الحكم

النظرى والسلوك العملى ازاء قيمة البطولة الجماعية .

اما عن الموقف الذى تتباين فيه الاراء حول تقدير البطولة الفردية فى الرياضة ، والبطولة الايجابية التى تهتم نفع الاخرين ، او الحل الهروبى والاعتراف بالقصور ، فنجد تفاوتا فى الآراء التى تكشف عن توجيهات القيم المفضلة واسباب معانى الاختيار . فنجد ١٤ ٪ من ابناء المتفرغات يؤيدون البطولات الرياضية فى هذا الموقف ، وتنخفض هذه النسبة الى ٦ ٪ عند ابناء العاملات . اما عن الآراء التى تكشف عن العجز عن ادراك البطولات ، فنجد حوالى ٢٥ ٪ من ابناء المتفرغات و ١٢ ٪ من ابناء العاملات تفصح اجاباتهم ونظرتهم الى الحياة بالرضا عن الواقع ، وعدم التطلع الى البطولات وتقدير الافعال الخارقة . أما عن البطولة الايجابية الجماعية فى هذا الموقف وتقديرها فيبلغ المعجبون بها ٦١ ٪ عند ابناء المتفرغات ، وتعلو نسبة الذين يؤمنون بالسعى الى خدمة المجتمع وانكار الذات الى ٨١ ٪ من ابناء العاملات . وتظهر لنا التبريرات التى ابداها الصبية لتقدير البطولة الرياضية او تقدير العمل والتضحية من اجل اختراع على الاتجاهات الآتية :

- " الكرة لا تفيد "
- " البطل هو الذى يضحى بحياته "
- " العمل من أجل الناس "

وفى الموقف الرابع حاولنا ان نعرف موقف الصبية من قضية العمل الفدائى الفلسطينى ، وآرائهم عن الطفلين اللذين غامرا بحياتهما ، وحاولا نسف الفندق الذى يقيم فيه الحاكم الاسرائيلى للقدس . وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ١٧ ٪ من ابناء المتفرغات ينكرون تصرف هذين الطفلين ، ويرفضون البطولات التى تتصل بالتضحية والفداء ، فالبطولات عندهم تنحصر فى البطولات الفردية التى ترتبط بتحقيق النجاح فى المهنة أو الحصول على النجاح الوظيفى . وتهبط هذه النسبة الى ٧ ٪ عند ابناء العاملات ، اما عن انكار البطولات والانغماس فى الانهزامية والخوف من القوة الغاشمة التى تعادى نضال الشعوب ، فلا نجد الا طفلا واحدا من ابناء كل من العاملات والمتفرغات يؤيد هذا الموقف .

اما الآراء التى تؤكد التضحية بالنفس والاعجاب بالانتصارات التى يحققها الفدائيون ، فتبلغ هذه النسبة ٨٢ ٪ عند ابناء المتفرغات ، وترتفع الى ٩٠ ٪ عند ابناء العاملات

واننا وان كنا لا نجد فرقا واضحا ملموسا بين ابناء العاملات والمتفرغات حول العمل الفدائى فى فلسطين ، فيرجع ذلك الى تاثر الصبية بالمناخ السياسى والعسكرى الذى يحيط بهم وبتوجيهات وسائل الاعلام أكثر من تأثرهم فى هذا الموقف بالمناخ الاسرى .

ويوضح لنا تحليل آراء هؤلاء الصبية ان بعض الصبية يعانون من الفصل بين الحكم النظرى والتطبيق العملى لقيمهم ، والتنافر بين القول والعمل فى هذا الموقف ، فنجد ان ٤٠.٦٪ من ابناء المتفرغات يعانون من عدم التوافق بين احكامهم وسلوكهم الفعلى ، وتهبط هذه النسبة الى ١٩٪ عند ابناء العاملات .

وكانت تعليقات الصبية على هذا الموقف تدور حول الاتجاهات الاتية :

- " يجب ان ندافع عن الوطن ، ونحرر فلسطين من عدونا ، "
- " أرفض أن اكون مهزوما "
- " امريكا تحمى اليهود ، لو تخلوا عنهم نقدر نقضى عليهم "

وتظهر لنا اجابات الصبية فى هذا الموقف ، والموقف الذى يتعلق بسلوك الفدائى الصغير انفتاح عالم الصبية على قيم جديدة ، بحث من جديد فى مرحلة جديدة من الكفاح ، وتعبر عن التغير الذى حدث فى البناء ، ووأد للقيم التى تمجد السلبية والابتعاد عن العمل الوطنى ، وانبلاج قيم جديدة ايجابية تمجد العمل البطولى من أجل تحرير الارض . وتؤكد لنا اختيارات الصبية لقيم الفداء والعمل على تحرير الارض ايمانهم بالعمل من أجل الجماعة فى بسالة واقدام ، وان الدفاع عن الوطن واجب مقدس يلتزم به كل مواطن . كما تؤكد لنا اختيارات الصبية لقيم الفداء وتحرير الارض ارتباط الصبية بالواقع الاجتماعى المعاصر ، وتكشف لنا عن بذور قوية لقيم تمجد العمل الجماعى .

اما اذا قابل الصبى موقفا يدعوه الى الاختيار بين الابطال الرياضيين والسينمائيين والابطال الخرافيين الذين تروج لهم المجلات والافلام السينمائية ، وبين شخص أنكر ذاته وضحى بحياته فى سبيل العمل ، فاظهرت لنا اجابات الصبية ان ٢٧٪ من الصبية ابناء المتفرغات يعجبون بالبطولة الرياضية والسينمائية كرمز للاعجاب بالقيم التى تؤكد الفعل الفردى . وتهبط هذه النسبة الى ٢٢٪ عند ابناء العاملات . ويرجع تقارب

النسبتين الى تأثر الابناء بالجو الثقافى العام الذى يعلى من قدر هؤلاء الابطال ، وتأثرهم بوسائل الاعلام التى تسرد الكثير عنهم .

اما الاعجاب بالبطولات الخرافية فتبلغ نسبتها عند ابناء العاملات ٤٠ ٪ وترتفع هذه النسبة الى ٤٥ ٪ عند ابناء المتفرغات . أما الايمان بالعمل من أجل الآخرين ، فنجد ان ٢٨ ٪ من ابناء المتفرغات ، يتعاطفون مع هذا العمل ، وترتفع هذه النسبة الى ٣٨ ٪ عند ابناء العاملات . ويرد الاعجاب بالبطولات الرياضية الى الانتصارات التى يحققها هؤلاء الابطال ومدى انجذابهم نحو الواقع الاجتماعى ، اما الاعجاب بالبطولات الخيالية فيرد الى ارتباط بعض الصبية بالمرحلة السابقة التى تؤكد العمل الخرافى . وكانت تعليقات الصبية فى هذا الموقف تدل على الاتجاهات الآتية :

- " افضل سوبرمان لأنه يكسر ويضرب ، وقادر على كل شيء "
- " طرزان وسوبرمان خيالات وأوهام "
- " الطبيب لأنه فكر وحاول القضاء على الميكروب "
- " الطبيب عمل شيئا لا يستطيع أن يعمله غيره "

ويكمن فى هذه التعليقات التباين فى الحلول الممكنة فى هذا الموقف ، ووجود اتجاه يؤكد التفكير الخرافى واتجاه آخر يشده الايمان بالبحث العلمى والعمل الخلاق من أجل خدمة الآخرين . فالايمان بالبطولات الخرافية يوجد جنبا الى جنب مع الايمان بالبطولات التى تضحى من اجل الآخرين فى عالم الصبية .

ونخلص من دراسة هذه المواقف الخمس عن توجيهات القيم التى ترتبط بالانجاز والتضحية ، ان الصبى المصرى فى الآونة الحاضرة اشد اعجابا بالبطولات الايجابية ، والبطل المنقذ من اجل الجماعة ، وان كان ابناء العاملات اكثر تفضيلا لهذا البطل من ابناء المتفرغات كما اثبت ذلك اختبار (ت) . فقد بين لنا هذا الاختبار وجود فوارق ظاهرة ذات دلالة بين ابناء العاملات والمتفرغات حول تقدير معانى البطولات ، فهناك تباين فى تأكيد البطولة الفردية ، فابناء المتفرغات اكثر انجذابا نحو البطولات الفردية من ابناء العاملات ، كما انهم أكثر انصرافا الى الافعال العادية من ابناء العاملات . وقد اثبت لنا اختبار (ت) انه لا توجد فروق جوهرية بين البنين والبنات من أبناء العاملات والمتفرغات

ازاء تفضيل المعاني المختلفة للتضحية والفعل الخارق في هذا الدور من النمو[1] . وهذا يبين لنا تأثر البنين والبنات بأساليب واحدة تدمج في شخصياتهم القيم التي ترتبط بالتضحية .

وقد حاولنا ان ندرس تكرار توجيهات القيم التي ترتبط بالتضحية والفعل الخارق من اجل الجماعة عند الصبية او القيم التي تؤكد البطولة الفردية او التصرفات التي تؤكد الهروب من الموقف ، لنصرف مدى . بنوع محدد من البطولات ، وتباين توجيهات القيم التي تحكم سلوكه ازاء الافعال الخارقة كما يوضح لنا ذلك الجدول رقم (٥١)

جدول رقم (٥١)

تكرار المواقف التي ترتبط بقيم التضحية عند الصبية

توجيهات القيم	ابناء المتفرغات			ابناء العاملات		
	بطولة فردية	هروب من البطولة	بطولة جماعية	بطولة فردية	هروب من البطولة	بطولة جماعية
لا يوجد	٤٦	٣١	٤	٦١	٤٠	١
مرة واحدة	٣٤	٢٨	٨	٣٤	٤٤	٥
مرتان	١٧	٢٤	١٦	١	١٣	٨
ثلاث مرات	٢	٤	٢٨	٣	٢	١٩
اربع مرات	١	٣	٣٢	١	٠	٤٣
خمس مرات	٠	٠	١٢	٠	١	٢٤
	كا^2 = ١٦٦			كا^2 = ٢٤٣		

وتظهر لنا الاجابات المبينة بالجدول رقم (٥١) تباين توزيع عدد التكرارات لكل من قيم البطولات الجماعية والبطولات الفردية والقيم التي تدعو الى الهروب من الموقف . وتوضح لنا البيانات ان ٦١ % من ابناء العاملات ينكرون البطولة الفردية في كل مواقف نشاطهم . وتنخفض هذه النسبة الى ٤٦ % عند ابناء المتفرغات . ويبدو لنا واضحا أن

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات من أبناء العاملات ازاء توحدهم لقيم البطولات الفردية (١٫٤٥)
" " " " " " " " " " " المتفرغات " " " " " (٫١٨)
" " " " " " " من أبناء العاملات ازاء توحدهم لقيم البطولة الجماعية (١٫٢٠)
" " " " " " " " " " " المتفرغات " " " " " (٫٦٦)
" " " " " " " العاملات الهاربين من البطولة (٫٤٠)
" " " " " " " " " " " المتفرغات " " " (١٫٠٣)

القيم التي تمجد الفعل الفردي لا تحكم تصرفات بعض الصبية في جميع المواقف ، عند ابناء العاملات والمتفرغات • ونجد أن ٢١٪ من ابناء المتفرغات ينكرون السلوك الانهزامي في كل المواقف ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٠٪ عند ابناء العاملات • وتظهر لنا الاجابات أن ٦١٪ من ابناء المتفرغات تحكم سلوكهم القيم التي تمجد البطولات الايجابية في كل المواقف ، وترتفع هذه النسبة الى الضعف عند ابناء العاملات ، ولا نجد الا صبيا واحدا من ابناء العاملات واربعة صبية من ابناء المتفرغات يستبعدون القيم التي تمجد الافعال الايجابية والتضحية من اجل الجماعة تماما في كل المواقف ، كأساس للاختيار والتفضيل •

وتكشف لنا الاجابات الموضحة في جدول رقم (٥١) تباين توزيع المعاني المكتنفة للتضحية ، وعدم تجمعها او تبلورها حول سلوك محدد في كل المواقف عند ابناء كل من العاملات والمتفرغات ، ويثبت لنا اختبار (كا٢) ان هناك فروقا ذات دلالة لتوزيع القيم في المواقف المختلفة ، مما يثبت لنا تشتت الصبية في المواقف المختلفة ازاء توجيهات القيم التي تضبط العمل الذي يتطلب التضحية ، وان الصبية يعانون الكثير من الازدواج بين المعاني المختلفة لمفهوم التضحية والعمل من اجل الآخرين • اذ يكشف لنا الجدول أن ٧٥٪ من ابناء العاملات يتوحدون مع معاني مختلفة للقيم التي ترتبط بالافعال الخارقة والتضحية ، كما يبين لنا نفس الجدول ان ٨٨٪ من ابناء المتفرغات توحدوا مع قيم متباينة لتفسير معنى التضحية • ويظهر لنا الجدول نفسه ان القيم التي تمجد العمل والتضحية من اجل الجماعة اكثر تحكما في تصرفات بعض الصبية من القيم التي تنبذ البطولات الجماعية أو القيم التي تؤكد العمل الفردي ، كذلك يتجلى شدة اعجاب الصبي ببطولة الفدائي ، أو ما يطلق عليه البطل المنقذ ، نتيجة الظروف البنائية المعاصرة ، ومعايشة الصبي لاحداث البيئة الاجتماعية المحيطة به ، وزيادة " اهتمامه بالعالم "[1] الذي حوله والذي يستقي منه الصبي أبطاله • ومهما كان الدافع الى اختيار الابطال فان الابطال الذين اختارهم الصبي ، يعكسون الى حد كبير القيم المتعددة عن معاني البطولات التي اندمجت في شخصياتهم ، ويرجع هذا التعدد لمعاني البطولات الى تباين المواقف الاسرية والمواقف المدرسية من تقدير الافعال المثالية والانجازات الخارقة •

(1) Jersield, Arther: Child psychology, op.cit., P. 434.

وقد اثبتت الدراسة الميدانية انه يوجد ارتباط بين اساليب تنشئة الامهات العاملات لاولادهن واتجاه الصبية نحو الايمان بالبطولات الجماعية (ر = ٢٦٧ر٠) ، ولكننا في الوقت نفسه تلاحظ انعدام الرابطة بين اساليب الامهات المتفرغات لاولادهن واتجاه الابناء نحو القيم التي تؤكد البطولات الجماعية (ر = ١٤٨ر٠) ، فالعاملة اكثر تأثيرا في اولادها ازاء توجيههم نحو الافعال التي تتطلب التضحية والاقدام . وتكشف لنا الدراسة كذلك انعدام الرابطة بين ما تلقنه الامهات لاولادهن من القيم التي تمجد البطولات الفردية ، وتقدير الابناء لهذه القيم . وتبين لنا هذه الاجابات أن مفهوم البطولة الجماعية عند الامهات المتفرغات غير واضح ، وتأثر الصبية من ابنائهن بالبيئة الخارجية التي تحيط بهم ، وتصنع ابطالهم الحقيقيين .

اما عن الصلة بين حالة التوافق في الموقف عند اداء الأم لدورها ، نتيجة تكامل مكونات الدور او عدم تكاملها ، او التوافق في اداء مطالب دورين متعارضين ، وبين توجيهات قيم الابناء نحو المعاني المختلفة للبطولات ، فان البحث الميداني اثبت لنا انه لا توجد علاقة بين حالة تكامل مكونات الدور او عدم تكاملها وبين توجيهات القيم المفضلة عند الصبية من ابناء العاملات للمعاني المختلفة للبطولات . كذلك اثبت لنا التحليل الاحصائي عدم وجود علاقة بين حالات الصراع التي تعانيها الأم العاملة نتيجة تنافر مطالب الادوار التي تقوم بها وبين توجيهات القيم المفضلة عند ابنائهن لمعاني البطولات . بيد ان التحليل الاحصائي قد اثبت لنا وجود اعتماد متبادل بين حالات الصراع بين مكونات دور الام عند الام المتفرغة ، وتوجيهات ابنها نحو القيم التي تؤكد التضحية والبطولة الجماعية أو النفور منها .

جدول رقم (٥٢)

الصلة بين توجيهات قيم الابناء نحو الافعال الخارقة ومكونات دور الأم المتفرغة

توجيهات القيم / حالة التوافق	بطولات فردية	الهروب من البطولة	بطولة جماعية	المجموع
صراع	١١	١٨	٩١	١٢٠
لا صراع	٦٧	٩٢	٢٢١	٣٨٠
المجموع	٧٨	١١٠	٣١٢	٥٠٠

كا^{٢} = ١٢٫٢٧١٩٤

وقد بينت لنا البيانات الموضحة في الجدول رقم (٥٢) ان ٢٤٪ من الامهات المتفرغات اللاتي لا يعانين الصراع بين مكونات دور الأم ، تدعمت توجيهات ابنائهن ضد الحكم على الافعال الخارقة ، بيد ان اغلب ابناء الامهات اللاتي يعانين من الصراع تشدهن الافعال الجماعية ، مما يؤكد لنا ان حالة الصراع بين مكونات دور الأم عند المتفرغات قد تدفع الابناء الى التوجيه نحو الافعال الجماعية الايجابية .

وقد اظهرت لنا دراسة توجيهات القيم المفضلة ازاء التضحية على أن مفهوم البطولة الجماعية يعني التضحية بالحياة وخدمة الجماعة والعمل من اجل الناس ، كذلك بدا لنا واضحا ان الصبية قد توحدوا مع معاني مختلفة للبطولات بمعناها الجماعي أو الفردي او الانهزامية ، نتيجة التغير البنائي الذي يعيشون فيه ، كما اوضحت لنا الدراسة ان الابناء ليسوا طوع اساليب تربية الامهات ، لانهم يخضعون في هذا الطور من العمر لتأثير منهج تعليمي موجه .

ونحاول الآن ان ننتقل الى دراسة مشكلة اخرى من مشكلات الصبية في مجتمع متغير ، ونقصد بها علاقة الصبي مع الآخرين والقيم التي تحكم هذه العلاقات في هذا الطور من النمو .

ثانيا : <u>طبيعة علاقة الصبي بالآخرين</u> : (انانية — غيرية — مزيج من الانانية والغيرية)

ان الايمان بالغيرية تعني الايمان بالمشاركة الايجابية مع الآخرين ، والايمان بالجماعة والتعلق بها . اما الانانية فتعبر عن عجز الطفل عن الارتباط بالجماعة ، ومظهر من مظاهر الانطواء على الذات والانفصال عن الواقع الاجتماعي ، ويبدو فيها الصبي كما لو كان مكتفيا بذاته منكبا عليها عاجزا عن الانتماء الى الجماعة والاندماج في علاقات مع الغير[1] . لذا واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف ، لندرك مدى توحدهم مع القيم التي تؤكد المشاركة او القيم التي تمجد الذات وتكسره الجماعة .

واذا ما قابل الصبي موقفا يتطلب منه ان يذهب الى الريف للمساهمة في مشروعات الخدمة العامة ، وترك المدينة ، وواجه مجموعة من الاتجاهات بعضها يدعوه الى البقاء

---

(1) Durkhiem, Emile: L'education morale, op.cit., P. 70.

في المدينة واللامبالاة بالدعوة ، تعبيرا عن حب الذات في قضاء اجازة ممتعة وكراهية خدمة الجماعة ، او مواجهة آراء اخرى تدعوه الى الذهاب والمشاركة في مكافحة دودة القطن .

جدول رقم (٥٣)

توجيهات القيم التي تؤكد الارتباط بالغير

توجيهات القيم	انانية		غيرية	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
حب المشاركة في خدمة الريف	١٦	٧	٨٤	٩٣
حب اللعب مع الآخرين	١٥	٥	٨٥	٩٥
حب مقاسمة الاخوة	٩	١	٩١	٩٩
م	,٤٠	,١٣	٢,٦٠	٢,/٧
م٢				
الانحراف المعياري	,٦٩	,٣٣	,٦٦	,٣٣
ت	٣,٤٨		٣,٤٨	

جدول رقم (٥٤)

التناقض بين الاقوال النظرية والسلوك العملي عند تحديد العلاقات بالآخرين

توجيهات القيم	انانية		غيرية	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
حب المشاركة في خدمة الريف	٢	٠	٥٣	٥٥
حب اللعب مع الآخرين	٠	٠	٢	١
حب مقاسمة الاخوة	١	٠	٧٤	٧٠
المجموع	٣	٠	١٢٩	١٢٦

وتوضح لنا الاجابات المبينة في جدول رقم (٥٣) ان ١٦٪ من ابناء المتفرغات يحكم سلوكهم في هذا الموقف الانانية المجردة كمظهر لكراهية المشاركة في مكافحة دودة القطن ، وكراهية خدمة الريف ، والذهاب للمشاركة في مشروعات الخدمة العامة . وتنخفض هذه النسبة الى ٧٪ عند ابناء العاملات . وتظهر لنا الاجابات ان ٨٤٪ من ابناء المتفرغات تحكم سلوكهم القيم التي تمجد المشاركة والغيرية ، وترتفع هذه النسبة الى ٩٣٪

عند ابناء العاملات ٠

اما عن الصلة بين الحكم اللفظي والسلوك الفعلي في هذا الموقف ، فتبين لنا الاجابات الموضحة في جدول رقم (٥٤) ان حوالي نصف ابناء العاملات والمتفرغات يعانون من الانفصال بين الحكم اللفظي والسلوك العملي في هذا الموقف ، ومن ثم يعانون الازدواج بين القيم التي تدعو الى الفردية وحب الذات ، ومن ثم تفضيل البعد عن الريف لتخلفه الحضاري ورفض القيم التي تدعو الى خدمة الريف والمشاركة في حل مشكلاته وعدم الفصل بين خدمة الريف وخدمة المدينة ، هذه القيم الوليدة التي تؤكد السلوك الاشتراكي ، واهمية تصفية التناقض بين الريف والمدينة ٠

اما اذا تعرض الصبي للحكم على سلوك زملاء له في مواقف اللعب ، وكان أحدهم يفضى اللعب بمفرده والاخر يود المشاركة في اللعب معه ـ واللعب مظهر هام يؤكد مدى اندماج القيم الغيرية في شخصية المرء ورغبته في الارتباط بالاخرين ، كذلك فهو مجال يشعر فيه الصبي بالتكامل مع الجماعة حيث يستدعي اضفاء الحب عليهم ٠ وتكشف لنا الاجابات المبينة في جدول رقم (٥٥) أن ١٥ ٪ من ابناء المتفرغات لديهم قيم تعبر عن الانانية الخالصة وحب الذات ، وتدنو هذه النسبة من ٥٪ عند أبناء العاملات، ويتبين لنا في هذا الموقف ان الصبية الذين لديهم شعور بالحاجة الى الاخرين والانتماء تبلغ نسبتهم بين ابناء المتفرغات ٨٥ ٪ ، وترتفع هذه النسبة الى ٩٥٪ عند ابناء العاملات ٠ ولا نجد في تحليلنا لهذا الموقف بونا بين القول والفعل ٠ وتظهر التعليقات الاتية على هذا الموقف الدافع الاساسي عند الصبية الى المشاركة واللعب الجماعي :

- " الوحدة بتضايق "
- " الاناني طماع والناس تكرهه "
- " الاحساس بالعطف "
- " التعاون مع الاصدقاء والاخوة لا الغرباء "
- " ما أحبه لنفسي أحبه لاصدقائي "

تكشف لنا هذه الاجابات أن حب الانتماء ، وكراهية الصبي للعزلة هما الدافع الاساسي لتوحده مع القيم التي تؤكد المشاركة ، والارتباط بالغير والتعلق بهم ٠

اما اذا واجه الصبي موقفا يتعلق بالحكم على سلوك زميلين له احدهما يحب نفسه والاخر ربط نفسه بحب الاخرين ، فاننا نجد أن ٩٪ من ابناء المتفرغات لديهم قيم تؤكد حب الذات ، وتهبط هذه النسبة الى ١٪ عند ابناء العاملات • ويتضح لنا من الجدول رقم (٥٣) ان ٩١٪ من ابناء المتفرغات يؤكدون القيم التى تؤكد حب الاخرين والمشاركة الايجابية ، وتعلو هذه النسبة الى ٩٦٪ عند ابناء العاملات ، اما مدى الاتصال بين التفكير الخلقى النظرى البحت فى هذا الموقف ، والسلوك الفعلى ، فثمة تناقض واضح بين القول والعمل ، اذ تبين لنا الاجابات الموضحة فى الجدول رقم (٥٤) أن ٧٤٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٧٠٪ من ابناء العاملات يعانون من الازدواج بين الحكم النظرى والسلوك العملى بالقيم التى تؤكد المشاركة الجماعية فى هذا الموقف •

ويؤكد لنا استخدام اختبار (ت) الاحصائى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين توجيهات الابناء نحو القيم التى تمجد الغيرية والمشاركة والقيم التى تؤكد عدم الارتباط بالغير • فأبناء العاملات اكثر توحدا واندماجا مع القيم التى تؤكد المشاركة وتفضيل الاخرين ، اما ابناء المتفرغات — وان كان أكثرهم يؤكد القيم الغيرية — فانهم اكثر انحيازا نحو القيم التى تؤكد الفردية والعزلة وعدم المشاركة من ابناء العاملات• وقد اثبت لنا الاختبار نفسه ان الجنس ليس عاملا فى تفضيل التوجيه نحو القيم الغيرية أو الانانية [1] .

وقد حاولنا ان ندرس تكرار توزيع القيم التى تؤكد الغيرية او الانانية فى المواقف المختلفة عند الصبى كما يؤكد لنا ذلك الجدول رقم (٥٥) •

والنظرة الى الجدول رقم (٥٥) تجعلنا ندرك اختلاف سلوك الصبية فى المواقف المختلفة ، وعدم استقطاب سلوك الصبية نحو القيم التى تؤكد حب الذات ، او المشاركة

---

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات من أبناء العاملات ازاء توحدهم مع قيم الانانية (٥٧ر٠)
" " " " " " المتفرغات " " " " " " (٥٨ر٠)
" " " " " " العاملات ازاء " " " الغيرية (٥٧ر٠)
" " " " " " المتفرغات " " " " " " (٥٨ر٠)

جدول رقم (٥٥)

تكرار القيم الغيرية والانانية فى المواقف المختلفة

توجيهات القيم	ابناء المتفرغات		ابناء العاملات	
التكرار	انانية	غيرية	انانية	غيرية
لا يوجد	٧١	١	٨٧	٠
مرة واحدة	١٩	٩	١٣	٠
مرتان	٩	١٩	٠	١٣
ثلاث مرات	١	٧١	٠	٨٧

كا٢ = ١٤٢ر٢٥   كا٢ = ٢٠٠

والغيرية ، وتكشف لنا الاجابات وتحليل المواقف ان ٧١٪ من ابناء المتفرغات ينبذون القيم التى تمجد الانانية فى جميع المواقف ، وتحكم سلوكهم فى جميع المواقف القيم التى تؤكد المشاركة والغيرية ، وتصدر تصرفاتهم عن القيم التى تؤكد حب الناس والتعاطف معهم ، بينما ترتفع هذه النسبة عند الصبية من ابناء العاملات الذين يؤكدون هذه القيم الى ٨٧٪ . كما نجد طفلا واحدا من ابناء المتفرغات يستبعد القيم التى تؤكد الغيرية تماما ، ولا نجد نظيرا له بين ابناء العاملات .

ويكشف لنا الجدول السابق أن ٢٨٪ من الصبية ابناء المتفرغات يحكم سلوكهم مزيج من القيم التى تؤكد حب الذات وحب الآخرين ، وتهبط هذه النسبة من الصبية التى تعانى من تكافؤ الضدين الى ١٣٪ عند أبناء العاملات . ويكشف لنا التحليل الاحصائى باستعمال اختبار (كا٢) عن وجود فروق جوهرية بين مدى ازدواج القيم الغيرية الجمعية والقيم التى تؤكد الذاتية والمدمجة فى الشخصيات ابناء المتفرغات والعاملات ، ولو ان ابناء المتفرغات اكثر توحدا مع مزيج من القيم التى تؤكد الغيرية والانانية .

وتكشف لنا الدراسة ان القيم التى تمجد الغيرية اكثر قبولا عند الصبية ، اذ أن الطفل يخاف من النبذ ، ويرغب دائما تبادل العلاقات مع الرفاق والتعاطف معهم [1] وهذه الرغبة تتكون فى علاقاته المنزلية وتظل باقية معه خارج البيت وتنعكس فى علاقاته مع الآخرين .

---

(١) Parsons, Talcott: Family socialization and interaction process, op.cit., P. 261.

نرى ان هذا التعاطف من الصبية نحو القيم الغيرية دليل على أن الانانية المطلقة ظاهرة نادرة فى عالم الصبية ، لأنّ الانانية تعبير عن تخلى الصبى عن طبيعته الاجتماعية فالصبى بطبيعته لا زال يميل الى الانجذاب الى الجماعة ، كما ان الابناء الذين يدمغ سلوكهم بالانانية المطلقة فهذا يعنى بلغة دوركيم عدم الانجذاب الى الجماعة[1] ، دليل على تفكك بناء الاسرة وعدم الانسجام بين العلاقات الاجتماعية. يوضح لنا البحث ان غالبية الصبية يعانون من الانفصال بين التفكير النظرى والسلوك العملى. ويبدو واضحا فى سلوكهم توحد لمزيج من القيم التى تؤكد المشاركة والفردية فى نفس الوقت ، وهؤلاء الابناء اكثر تمثيلا لمجتمعنا ، لانهم يعبرون عن حالة عدم الاستقرار التى يتميز بها البناء الاجتماعى فى المرحلة الانتقالية .

اما عن الصلة بين حالة التوافق النفسى عند اداء الدور ونتيجة تكامل او عدم تكامل مكونات الدور ، وبين توجيهات الصبى نحو الانانية او الغيرية هذا من جانب ، ومن جانب آخر عن مدى الصلة بين حالة التوافق او عدم التوافق نتيجة التوفيق فى أداء مطالب دورين متعارضين وبين توجيهات القيم التى توجه علاقات الطفل ، فان التحليل الاحصائى اثبت ان ما يقرب من ربع الامهات المتفرغات يعانين الصراع بين مكونات دور الام ، كما اوضح لنا البحث أن ٤٪ من ابناء هؤلاء يؤمنون بالانانية و ٩٦٪ منهم يؤمنون بالغيرية . كذلك اثبت لنا البحث أن ربع الامهات العاملات يعانين الصراع بين مطالب دور الام ومطالب دور العمل . وقد اثبت لنا البحث أن ٧٪ من أبناء اللاتى يعانين من الصراع يؤمنون بالانانية ، ٩٣٪ يؤمنون بالغيرية . ونلاحظ فى نفس الوقت

جدول رقم (٥٦)

الصلة بين صراع المكونات بين دور الأم عند المتفرغة وتوجيهات قيم الارتباط بالغير عند الصبى

توجيهات قيم العلاقات / عناصر دور الام	انانيــة	غيريــة	مجموع
صراع	٣	٦٩	٧٢
لا صراع	٣٧	١٩١	٢٢٨
المجموع	٤٠	٢٦٠	٣٠٠

كا^2 = ٦٫٨٨٩١

(1) Durkhiem, Emile: L'éducation morale, op.cit., P. 70.

جدول رقم (٥٧)

الصلة بين صراع مطالب دور الام والعمل وتوجيهات قيم الارتباط بالغير عند ابن العاملــــــة

توجيهات قيم العلاقات / حالة التوافــــــق	انانيــــــة	غيريــــــة	المجموع
صـــراع	٠	٦٩	٦٩
لا صـراع	١٣	٢١٨	٢٣١
المجموع	١٣	٢٨٧	٣٠٠

كا ٢ = ٠٠٥٩٠٠ر٤

ان ٥٪ من ابناء اللاتى لا يعانين من الصراع يتجهون نحو القيم التى تؤمن بالانانيـــة ، بينما يتجه ٩٥٪ من ابناء اللاتى لا يعانين من الصراع نحو القيم التى تؤكد الغيرية٠ وقد اثبت لنا اختبار (كا ٢) وجود ارتباط بين صراع مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات ابنها نحو القيم التى تؤكد الغيرية والانانية ٠ كذلك اثبت لنا هذا الاختبار وجـــــود حالة اعتماد بين الصراع الذى تعانيه الام العاملة نتيجة تنافر ادوار الام والعمـــــــل والقيم التى تحكم علاقات ابنها مع الآخرين ٠

ويمكن لنا ان نجمل دراستنا للمواقف الثلاثة عن القيم التى تؤكد المشاركة والغيريـــة او القيم التى تؤكد الانعزال عن الجماعة والانانية ، بأن الصبية عامة ينجذبون نحو القيـــم التى تؤكد الارتباط والتفاعل مع الغير لتحقيـــق الرغبة فى الانتماء عندهم ، وفى الوقـــت نفسه كراهية الغالبية منهم للعزلة ، وقد اوضح لنا البحث التباين الواضح فى كثير مـــن المواقف بين ما يظهرونه من اقوال وبين ما يعد رعمهم من سلوك فعلى ، كما ان كثيرا من الصبية يقرب عددهم ربع ابناء المتفرغات وتهبط هذه النسبة الى الثمن عند ابناء العاملات ، يعانون دوما من ازدواج القيم التى تؤكد المشاركة ، والقيم التى تؤكد الانفصال عـــــن الجماعـــة ، والانعزال عنها ٠

والآن وبعد ان اختبرنا طبيعة علاقات الصبية مع الآخرين نبحث موقف الصبى مـــن الحقيقـــة واتجاهاته نحو الصدق والكذب ٠

ثالثا : التوجيه نحو الحقيقـة : (الصدق ـ الكذب ـ مزيج من الصدق والكذب)

يرى عالم النفس بياجيه ان الميل الى الكذب ميل طبيعى وتلقائى عند الطفل ، ويحتل الكذب جزءا كبيرا من تفكيره ، بقصد تحريف الحقيقة • ولكننا لا نقر بياجيه على نعـت الصبى بالخيال الجامح والفشر • فالكذب والصدق ليسا ميولا طبيعية ، بل هما قيمتـان اخلاقيتان • فالكذب تعبير عن عدم مطابقة اقوال الصبى للواقع الاجتماعى ، ومحاولتـه اخفاء الحقيقة • ويبدو اكثر ما يبدو فى المواقف التى يبدى فيها الصبى سوء التصـرف ازاء الآخرين • هذا التصرف الذى يثير الغضب عند الكبار ، نتيجة اهمال أو قصـور عند اداء الفعل أو العصيان عن الاداء ، ولكن عن طيب خاطر منه • وتؤكد اساليـب التربية دائما فى كل الثقافات الصدق كقيمة عليا وتستهجن الكذب •ولذا فاننا نهدف من مجموعة المواقف الاتية التى تتعلق بالصدق والكذب بيان مدى تحكم هذه القيم فى توجيه سـلوك الطفل وضبط علاقاته مع الآخرين ولبسه الحق بالباطل فى مجتمع متغير •

جدول رقم (٥٨)

توجيه الابناء نحو الصدق والكذب عند ابناء العاملات والمتفرغـات

توجيهات القيـم	الصـدق		الكـذب	
الموقـف	ابنـاء متفرغات	ابنـاء عاملات	ابنـاء متفرغات	ابنـاء عاملات
اخفاء الحقيقة عن الام	٩٦	٩٦	٤	٤
اخفاء الحقيقة عن المدرسة	٦٦	٨٠	٣٤	٢٠
الكذب على صاحب المحل	٤٥	٥٥	٥٥	٤٥
م	٢ر٠٧	٢ر٣١	ر٩٣	ر٦٩
٢	٥ر٠٣	٥ر٩١	١ر٦١	١ر٠٥
ا الانحراف المعيارى	ر٨٦	ر٧٥	ر٨٦	ر٧٥
ت	٢ر٠٧		٢ر٠٧	

اما فى الموقف الذى ينم عن الكذب واخفاء الحقيقة عن الام ، فنجد أن الغالبيـة العظمى من الصبية اذا ما واجهوا موقفا للحكم على سلوك زميل لهم كذب على امـه ، يرفضون هذا الموقف ، ويأبون الكذب على الام ، ويؤكدون الحقيقة الكاملة الصادقـة

امام الأم .

اما اذا تغيرت سلطة الوالدين ، وحلت محلها سلطة اخرى كالسلطة المدرسية فاننا نجد ان سلوك الصبي يختلف ، اذ نجد ٦٦٪ من ابناء المتفرغات يهابون الكذب الذى قد يثير المدرسة ويتمسكون بالصدق كقيمة عليا ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٠٪ عند ابناء العاملات .

ولكن اذا ما واجه الصبي موقفا يتفاعل فيه مع اشخاص غرباء لا سلطة لهم عليه فان سلوك الطفل يتغير . فنجد ٤٥٪ من ابناء المتفرغات يؤكدون الصدق ولا يهدفون ابدا الى الغش والخداع . اما عند ابناء العاملات فان الامر يتغير ، ونجد ان ٥٥٪ من الصبية يلتزمون بالصدق . ولكن لماذا ارتفعت نسبة الكاذبين فى المواقف التى يواجه الطفل فيها اشخاصا غرباء ؟ وهل يعتبر هذا السلوك ظاهرة طبيعية عند الصبية ؟ . يرى بارسونز ان الاطفال لديهم قابلية ملحوظة لخداع او غش الآخرين الذين ليس لديهم الفرصة للحكم عليهم وعقابهم (١) .

تبين لنا النظرة التحليلية التى تكشف تباين سلوك الطفل من حيث التمسك بالصدق والكذب بتنوع السلطة ، بأن الصبي فى هذا الطور اكثر تمسكا بالاخلاق والقواعد الشرعية مع والديه ، وان هذا السلوك يعكس تقديره للسلطة الاسرية أو المدرسية . فهو اكثر اخلاقا مع اصحاب السلطة خشية العقاب ، ويصير اقل التزاما بالصدق نحو الغرباء الذين لا يملكون قوة لعقابه ، ومن ثم فالطفل يكره الكذب على ابويه ومدرسيه ، اذ أن الهيبة التى يخلعها الطفل على والديه والمدرسين تفرض عليه التمسك امامهم بالقواعد الاخلاقية خوفا من ثورتهم عليه وعقابهم له . وهذا كله يكشف لنا أن الوالدين قد نشئا الطفل على الطاعة لهما ، واحترام معايير النظام المتعلقة بهما اكثر من اهتمامهما بادماج قيم الصدق كمعيار اخلاقى ، وقاعدة اخلاقية يجب اتباعها فى كل المواقف . كما تبين لنا الدراسة ان ابناء العاملات اكثر تمسكا بالصدق من ابناء المتفرغات . وهذا التوجيه نحو الصدق يؤكد لنا ان الامهات العاملات - رغم تدخل انسان أخرى مساعدة فى توجيه الطفل - اكثر تشددا فى تربية الابناء حسب القواعد التى

---

(١) Parsons, Talcott: Family socialization and interaction process, op.cit., P. 251.

تمجيد الصدق .

وقد ابانت لنا التعليقات التى ذكرها الصبية عن اسباب اختيارهم للمواقف التى تستلزم الصدق ، عن الجذور العميقة لاساليب التنشئة فى مجتمعنا ، ومفهوم التربية داخل الاسرة . وكانت التعليقات تتبلور فى الاتجاهات الآتية :

- " الكذاب هو الشيطان "
- " الكذاب لص "
- " لا اكذب خوفا من ربنا "
- " يجب ان اصارح بكل شئ ، ولا ارتكب خطيئة "
- " عقاب ربنا اقوى من عقاب المدرسين "
- " لا اكذب على أمى "

وتكشف لنا هذه التعليقات ان الاسرة قد ربطت الكذب بصفته سلوكا خاطئا بالعقاب الالهى ، باعتباره شيئا من المحرمات الالهية . وهذا يوضح لنا ان التربية الاخلاقية فى مجتمعنا ضد الاتجاه الكانطى فى الاخلاق . فاخلاقنا تستمد جذورها من الدين كعامل للرهبة والنهى عن الفحش ، كذلك يظهر لنا ان اخلاقنا تقوم على العاطفة والتجربة ، لا على الايمان العقلى ، فالطفل فى مجتمعنا " لا يحترم القانون الاخلاقى فى ذاته "(1) ولا يمارس الواجب فى ذاته ، بل يعتنق اخلاق الصدق وينفر من الكذب خوفا من العقاب الالهى . كذلك يظهر لنا ان الاسرة لم تهتم ابدا بنتيجة الكذب والعمل المصاحب له ، فقد ربما اهتمت بنهى الابن عن الكذب على اشخاصها والاشخاص الماثلين لها فى السلطة . وهذا يجعلنا نصف الاخلاق فى مجتمعنا ازاء الصدق والكذب فى هذا الطور بأنها أخلاق الرهبة والخوف ، وليست اخلاقا تعتمد على دعامة العقل .

وقد كشف لنا اختبار (ت) عند تحليل أجابات العاملات والمتفرغات ، ان ابناء المتفرغات اكثر ميلا للكذب من ابناء العاملات ، وعن وجود فروق ذات دلالة بين تقدير الصدق عند ابناء العاملات والمتفرغات . فابناء العاملات أكثر تمسكا بالصدق من ابناء

---

(1) السيد محمد بدوى : الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، الاسكندرية ـ دار المعارف ـ ١٩٦٧ ـ ص

المتفرغات ، ويرجع ذلك الى اهتمام الام العاملة بتلقين ابنها القواعد الاخلاقية التى ترتبط بالصدق ، وكذلك اثبت الاختبار نفسه عدم وجود اختلافات بين الجنسين من أبناء العاملات ازاء تفضيل القيم المرتبطة بالصدق والكذب ، بيد ان الاختبار نفسه أثبت اختلاف تقدير الصدق والكذب كقيم عند ابناء المتفرغات من الجنسين ، ويدل هذا على ان اسر النساء المتفرغات تميز فى تربيتها لابنها وابنتها ازاء قيم الحقيقة ، وقد اظهر لنا البحث ان الفتاة اكثر تمسكا بالصدق من الفتى ، فهى اكثر اهتماما بتحقيق تكامل صورتها الاجتماعية امام الآخرين وتخشى النقد واللوم[1] .

وقد حاولنا ان ندرس تكرار مواقف الصدق والكذب عند الابناء لنعرف مدى التزامهم بالصدق او الكذب كما هو موضح بالجدول رقم (٥٦) .

جدول رقم (٥٦)
تكرار مواقف الصدق او الكذب

القيمة	ابناء المتفرغات		ابناء العاملات	
التكرار	الصدق	الكذب	الصدق	الكذب
لا يوجد	٢	٣٩	١	٤٨
مرة	٢٨	٣١	١٥	٣٦
مرتان	٣١	٢٨	٣٦	١٥
ثلاث مرات	٣٩	٢	٤٨	١

كا^{2} = ٦٧   كا^{2} = ١٠٧

وتكشف لنا البيانات المبينة فى الجدول السابق ، عن وجود اتجاه قوى نحو الصدق عند الصبية ، اذ لا نجد الا صبيا واحدا من ابناء العاملات ، وصبيين من ابناء المتفرغات يستبعدون الصدق فى جميع المواقف ، ويحرفون فيها الحقيقة ، ونجد ان ٣٩٪ من ابناء المتفرغات ، ٤٨٪ من ابناء العاملات لا يكذبون اطلاقا فى جميع المواقف ، وهذا

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات من ابناء العاملات ازاء توحدهم بالصدق = ٢ر٧
« « « « « « « المتفرغات « « « = ٢ر٧١
« « « « « « « العاملات « « بالكذب = ٢ر٧
« « « « « « « المتفرغات « « بالكذب = ٢ر٧١

يعنى ان الاقتراب من الصدق كقيمة عليا قوى جدا ، وتبين لنا البيانات الموضحة فى الجدول رقم (٥٩) ان ٥٩٪ من ابناء المتفرغات و ٥١٪ من ابناء العاملات يعانون الازدواج من القيم التى تؤكد الصدق والكذب والمدمجة فى شخصياتهم .

وقد حاولنا ان نعرف الصلة بين حالة التوافق عند اداء الدور فى الموقف او التوفيق فى اداء مطالب الادوار المتباينة وبين التوجيه نحو الحقيقة .

جدول رقم (٦٠)

الصلة بين درجة التكامل بين مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات ابنائها نحو الصدق أو الكذب

القيم حالة التكامل بين مكونات دور الام	الصدق	الكذب	المجموع
الشعور بالصراع	٥٧	١٥	٧٢
عدم الشعور بالصراع	١٥٠	٧٨	٢٢٨
المجموع	٢٠٧	٩٣	٣٠٠

$كا^2$ = ٥٧٧ر٨٨

وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى باستخدام اختبار ($كا^2$) عدم وجود علاقات بين حالات الصراع اوعدم الصراع التى تواجهها الام ، سواء الصراع بين مكونات دور الزوجة عند العاملة والمتفرغة ، ومكونات دور العمل والام عند العاملة . وقد اثبت لنا اختبار ($كا^2$) الصلة بين تنافر مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات ابنائها نحو مواقف الصدق والكذب كما هو موضح بالجدول رقم (٦٠) . وقد اوضح لنا الجدول السابق أن ٢٤٪ من الامهات المتفرغات يعانين من الصراع بين مكونات دور الام .ونلاحظ ان ثلاثة ارباع ابناء هؤلاء يتجهون نحو الصدق ، بينما تنخفض نسبة ابناء الامهات اللاتى لا يعانين من الصراع يتجهن الى الصدق الى الثلثين . وقد بين لنا اختبار ($كا^2$) عدم وجود ارتباط بين حالات الصراع بين مطالب الادوار الاساسية فى مواقف التفاعل وتوجيهات الابناء نحو الصدق أو الكذب .

ونجمل فى نهاية دراسة قيم الصدق والكذب ، ان اغلبية الصبية اشد توحدا مع القيم التى تؤكد الصدق ، وان كثيرا من الصبية يتوحدون مع مزيج من القيم التى تؤكد

الصدق والكذب ، كذلك يتفاوت موقف الصبية من تقدير الصدق او الكذب بتغير السلطة ، كما اثبتت لنا الدراسة عن وجود تفاوت بين البنين والبنات فى امر المتفرغات ازاء الصدق والكذب • فالبنات اكثر تمسكا بالصدق من البنين •

والان وبعد ان تعرضنا لتوجيهات الصبية نحو الحقيقة ، ندرس توجيهات الصبية نحو الارتباط بالاخرين •

رابعا : ما مثال الارتباط بالاخرين : (التوجيه الى الخير) تعاون ـ لا تعاون :

يعنى الايمان بالتعاون تعود الصبى على الاخذ والعطاء والبعد عن العزلة والايذاء • والقيم التعاونية تضغط بكل قوتها على الفرد لكى يوجه سلوكه الى خدمة الجماعة ، والتعاون كقيمة اجتماعية ضرورية فى المجتمع تعنى تبادل الخدمات والاستفادة من تجارب الاخرين وتضافر الجهود ، وترابطها من اجل عمل مشترك ، ايا كان هذا العمل ، سواء اكان عملا رياضيا أم اقتصاديا أم سياسيا أم عسكريا • وقيم التعاون باعتبارها عنصرا اساسيا من عناصر الشخصية ليست عناصر وراثية لدى الصبية ، لكنها تتكون نتيجة الممارسة لفترة طويلة يتعود عليها الطفل قبل ان تظهر نتائجها فى سلوكه • والسلوك التعاونى من الشخص طفلا كان ام صبيا ام راشدا ، يعنى ادراك الطفل لذاته والجماعة ، وبداية الحياة الجمعية عند الشخص وايمانه بأن التعاون فى كافة المجالات يعنى زيادة الجهد والطاقة •

وازاء ذلك واجهنا الصبية اعضاء العينة من ابناء العاملات والمتفرغات بمجموعة من المواقف التى تكشف لنا قوة ادماج القيم التى تؤكد التعاون لدى الصبية او النفور منه كما هو موضح بالجدول رقم (٦١) •

وكان الهدف من الموقف الاول ، كما هو موضح بالجدول رقم (٦١) بيان مدى الايمان بالتعاون فى مجال الاقتصاد ، والايمان بالتعاونيات الاستهلاكية التى تبيع البضائع باسعار رخيصة ، اقل من اصحاب المتاجر الخاصة التى تسعى وراء الربح ، لمحاربة الجشع والسوق السوداء ، ومعرفة مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد أن النظام التعاونى فى الخدمات الاستهلاكية يقدم لنا مزايا معينة ، او توحد هم مع القيم التى تؤكد عدم

التعاون والبيع الحر .

جدول رقم (٦١)

توجيه علاقات الصبية بالاخرين فى المجالات المختلفة

علاقة الانسان مع الاخرين	التعاون		النفور من التعاون	
المواقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
تفضيل الجمعيات التعاونية	٨٧	٩٥	١٣	٥
التعاون فى انقاذ حريق	٩٢	٩٦	٨	٤
التعاون بين الجماعات	٧٧	٩٤	٢٢	٦
م	١ر٥٦	٢ر٨٥	ر٤٤	ر١٥
م	٧ر٠٦	٨ر٢٧	ر٧٠	ر٢٧
الانحراف المعياري	ر٧١	ر٤٩	ر٧١	ر٤٩
ت	٢ر٢٢		٣ر٢٢	

وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ٨٧٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالخدمات التى تقدمها التعاونيات الاستهلاكية ، وانها تهفى خدمة المستهلك ، وترتفع هذه النسبة الى ٩٥٪ عند ابناء العاملات ، مما يؤكد لنا ان القيم التى تؤكد التعاون الاقتصادى قد صارت عنصرا اساسيا من مكونات شخصية الصبى . وكذلك نجد ان ١٣٪ من ابناء المتفرغات يرفضون التعاونيات الاستهلاكية تعبيرا عن رفضهم التعاون ، وتأكيدا للمفاهيم اللاتعاونية التى تحكم سلوكهم ، وتهبط هذه النسبة عند ابناء العاملات الى ٥٪ .

اما عن الموقف الثانى والذى يحكى قصة حريق فى القرية ، فيهدف الى بيان مدى توحد الصبية مع القيم التى تعضد التعاون فى العمل والترابط والتساند جنبا الى جنب ، والقيم التى تدعو الى اللامبالاة وعدم التعاون عند مواجهة المشكلات ، وتظهر لنا الاجابات ان ٩٦٪ من ابناء العاملات يؤمنون بالقيم التى تدعو الى تضافر الجهود لمواجهة المشكلات والتساند لدرء الخطر ، فتبلغ هذه النسبة عند ابناء المتفرغات ٩٢٪ . ونلاحظ أن ٨ ٪ من ابناء المتفرغات و ٤٪ من ابناء العاملات ينصرفون الى تأكيد القيم اللاتعاونية فى هذا الموقف ، ويكشف لنا هذا الموقف ان الاتجاه

السائد والغالب عند الصبية هو الارتباط بالقيم التى تدعو الى التعاون والتساند كما يبدو فى سلوكهم التخلى عن المصالح الشخصية فى هذا الطور من النمو فى سبيل الجماعة، وعدم معارضة الجماعة والخروج عنها فى سبيل المنفعة الذاتية .

أما عن توحد الابناء مع القيم التى تدعو الى الايمان بالتعاون بين الشعوب كقيمة عليا لمواجهة الخطر باستخدام المميزات المتوفرة عند كل شعب من اجل تحقيق امكانية التعاون والتساند وجعل عمل الشعوب اكثر فاعلية ، فكان الهدف من هذا الموقف الثالث. وقد حاولنا ان نعرف فى هذا الموقف مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد الترابط بين الجماعات اوعدم الايمان بالتعاون بين الجماعات ، والاتجاه الى السلوك الفردى اللاتعاونى . وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها فى هذا الموقف ان ٧٧ ٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالتعاون والعمل المشترك بين الجماعات لمواجهة الخطر ، واقامة جماعات قوية ،وترتفع هذه النسبة الى ٩٤٪ عند ابناء العاملات . ونلاحظ أن ٢٣٪ من ابناء المتفرغات لا يؤمنون بالتعاون بين الشعوب ، وتهبط هذه النسبة الى ٥٪ عند أبناء العاملات . وتكشف لنا مجموعة التعليقات التى حصلنا عليها ، والتى يبرر بها الصبية سلوكهم عن الاتجاهات الاساسية للتعاون والدافع اليه أو النفور منه :-

- " ربنا قال بالتعاون "
- " التعاون فى الشدة والفرج "
- " الجمعيات التعاونية تعمل لصالح الشعب "
- " التعاون هو الاتحاد والقوة "
- " الواحد لوحده لا يستطيع ان يفعل شيئا "
- " القوى يساعد الضعيف ليزيد الانتاج "
- " كل واحد حارس نفسه "

وتظهر لنا هذه التعليقات عن وعى الصبية بالتعاون فى شتى المجالات ، سواء فى المجال العسكرى لدرء الخطر ، اوفى المجال الاقتصادى لزيادة الانتاج . أما النفور من التعاون فيعنى الفردية والانعزال عن الآخرين .

وقد اظهر لنا التحليل الاحصائى لسلوك ابناء العاملات والمتفرغات فى المواقف التى تتطلب التعاون ان ابناء العاملات اكثر توحدا مع القيم التى تؤكد التعاون فى شتى المجالات من ابناء المتفرغات ، وان ابناء المتفرغات اكثر اقترابا من القيم التى تؤكد السلبية واللاتعاونية ، بيد ان الدراسة الاحصائية قد اثبتت لنا عدم وجود اختلافات جوهرية فى توحد الصبية من الجنسين من ابناء العاملات والمتفرغات من القيم التعاونية واللاتعاونية (١) .

وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها لدراسة مجمل المواقف ، انه لا توجد صلة بين اساليب تربية الابناء عند الامهات العاملات والاتجاهات التعاونية عند الصبية (ر = ١٥٣ر٠) وايضا عدم وجود صلة بين اساليب الامومة فى تربية الابناء عند المتفرغات والاتجاهات التعاونية عند ابنائهن (ر = ١٠٤ر٠) . فالبحث الميدانى بين لنا عدم وجود رابطة بين مفاهيم الامهات عن التعاون والسلوك الصادر من الطفل الذى يعكس مجموع القيم التعاونية المدمجة فى شخصياتهم والتى تكون العناصر الاساسية للشخصية التعاونية ، مما يؤكد لنا وجود انساق اجتماعية اخرى ، تؤثر فى تكوين السلوك التعاونى ، وتأثير هذه الانساق فى الطفل تأثيرا مغايرا لتأثير الام .

وقد حاولنا ان نعرف مدى قوة توحد الابناء مع القيم التعاونية أو اللاتعاونية ، ومدى تكرار القيم التى تؤكد التعاون أو اللاتعاون فى المواقف المختلفة كما يظهر لنا ذلك الجدول رقم (٦٢) .

جدول رقم (٦٢)

تكرار المواقف التى تؤكد التعاون او عدم التعاون عند الصبية

القيمة	ابناء المتفرغات		ابناء العاملات	
التكرار	التعاون	اللاتعاون	التعاون	اللاتعاون
لا يوجد	١	٦٨	١	٩٠
مرة	١٠	٢١	٣	٦
مرتان	٢١	١٠	٦	٣
ثلاث مرات	٦٨	١	٩٠	١

كا٢ = ١٢٧ر٦٢٢ كا٢ = ١٧٦

(١) دلالة الفرق بين الصبية والصبيات من ابناء العاملات ازاء توحدهم بالتعاون = ٣٥ر
" " " " " " المتفرغات " " " = ١٧ر
" " " " " " العاملات " " بااللاتعاون = ٣٥ر
" " " " " " المتفرغات " " " = ١٧ر

ويظهر لنا الجدول رقم (٦٢) ان ٢١٪ من ابناء المتفرغات يعانون من ازدواج القيم التعاونية واللاتعاونية ، وتقل هذه النسبة الى ٦٪ عند ابناء العاملات • وتوضح لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق ان طفلا واحدا من ابناء كل من المتفرغات والعاملات يستبعد كلية القيم التعاونية فى توجيه سلوكه ، كما نجد ٦٨٪ من أبناء المتفرغات يحكم سلوكهم فى كل المواقف القيم التعاونية ، اما عند ابناء العاملات فنلاحظ ان نسبة الذين يحكمون القيم التعاونية لضبط سلوكهم فى كل المواقف ترتفع الى ٩٠ ٪ •

اما عن الصلة بين الحكم النظرى والسلوك العملى فى الموقف ، فقد اوضحت لنا الدراسة الميدانية وجود مجموعة من الصبية يتناقض سلوكها بين القول والفعل ازاء التعاون ، كما هو موضح بالجدول رقم (٦٣) •

جدول رقم (٦٣)

التناقض بين الحكم النظرى والفعل فى الموقف

توجيهات القيم	التعاون		واللاتعاون	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
تقدير الجمعيات التعاونية	•	•	•	•
التعاون فى اطفاء حريق	٩	٤	•	•
التعاون بين الجماعات	٢	١	١	١

وقد اوضحت لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق ان مجموعة من الصبية قد اظهرت اقوالهم غير ما يفعلون ، كما ظهر لتوحدهم مع قيم متشابهات عن التعاون ، ويبلغ عدد هولاء ١١٪ من ابناء المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٥٪ عند ابناء العاملات •

وقد حاولنا اختبار الفرض الذى وضعناه عن الصلة بين صراع مكونات الدور وتفضيلات الابناء لقيم التعاون او اللاتعاون هذا من جانب ، وايضا الصراع بين مطالب الادوار المتعارضة وتفضيلات الابناء لقيم التعاون واللاتعاون • وقد أثبت لنا التحليل الاحصائى عدم الترابط بين مظاهر الصراع عند الام العاملة وتفضيلات الابناء للقيم التعاونية أو اللاتعاونية • وقد اثبت لنا الاختبار نفسه عدم وجود صلة بين صراع مطالب

ادوار الزوجة والام عند المتفرغة وتفضيلات ابنها للسلوك التعاونى او رفضه، كذلك اثبت لنا الاختبار نفسه عدم وجود صلة بين حالة التكامل او عدم التكامل بين مكونات دور الزوجة المتفرغة وتفضيلات ابنائها للتعاون او النفور منه • بيد ان التحليل الاحصائى اوضح لنا وجود علاقة اعتماد بين تفضيلات الابناء للتعاون او اللاتعاون والصراع الذى تعانيه الام المتفرغة نتيجة تنافر مكونات دور الام كما هو موضح بالجدول رقم (٦٤) •

جدول رقم (٦٤)
الصراع بين مكونات دور الام المتفرغة واتجاهات الابناء نحو التعاون او اللاتعاون

حالة التكامل بين مكونات دور الام / القيم	تعاون	لا تعاون	المجموع
صراع	٦٧	٥	٧٢
لا صراع	١٨٩	٣٩	٢٢٨
المجموع	٢٥٦	٤٤	٣٠٠

كا^2 = ٤٫٥١٢٩١

وتبين لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق ان ٧٪ من ابناء الامهات اللاتى يعانين من الصراع يتمسكون بالسلوك اللاتعاونى ، بينما يؤمن ٩٣٪ من ابناء المتفرغات اللاتى يعانين من الصراع بين عناصر دور الام يؤمن بالسلوك التعاونى • ونجد الحال يختلف عند ابناء الامهات المتفرغات اللاتى لا يعانين من الصراع ، فنلاحظ أن ١٧٪ من ابنائهن يتمسكون بالسلوك اللاتعاونى ، وترتفع النسبة الى ٨٣٪ من عدد الابناء الذين يشدهم السلوك التعاونى •

ومن هذه الدراسة لتوجيهات الابناء لقيم التعاون ، نقرر ان الطفل يميل الى التعاون اكثر من ميله الى الفردية والانفصال ، بيد ان نسبة الاستجابات الى التعاون تتباين من موقف لموقف عند ابناء العاملات والمتفرغات • ومن ثم فالسلوك التعاونى كظاهرة شائعة عند الصبية يرفض الاتجاه الذى يتضمن تأكيد الذات على حساب الآخرين ، ولا شك ان ادماج قيم التعاون فى المجالات المختلفة _ رغم قصور اساليب الامهات فى تدعيم هذه العناصر _ ينمى لديهم القدرة على الارتباط بالجماعة ويربطهم بالعالم الاجتماعى ارتباطا وثيقا • فالطفل الذى يتوحد بالقيم التى تؤكد التعاون يحمى شخصيته كوحدة منفصلة ، وفى الوقت

نفسه يحى انه ما زال جزءا من عالم كبير عليه ان يرتبط به ويعتمد عليه ويساهم فى خدمته.

والآن وبعد ان عرفنا اتجاهات الصبية نحو التعاون والبذل من اجل الاخرين نحاول ان نختبر اتجاهات الصبية نحو المسئولية فى بناء متغير.

خامسا : ما النزعة الى اداء الواجب : التوجيه الى اداء الواجب
(مسئولية جماعية ـ مسئولية فردية ـ هروب من المسئولية)

ان قبول المسئولية يعنى احترام النظام والخضوع للقواعد الاجتماعية التى يفرضها المجتمع، بينما رفض المسئولية يعنى عدم الالتزام بسلوك معين ، والخروج عن الالتزامات المألوفة التى تفرض نوعا من السلوك . والهروب من المسئولية انما هو اعتراف ضمنى بعدم القدرة على الاداء والاندماج فى الجماعة ، وتعبير عن الخوف من الفشل والرغبة فى ترك الميدان ، وعدم الارتباط بالجماعة . اما المسئولية فتعنى القدرة على تحمل نتائج الافعال ، وتؤثر تأثيرا مباشرا فى توجيه سلوك الاخرين ، وفى الوقت نفسه تعنى شعور الشخص بالطمأنينة من الجماعة اثناء مواجهته للسلطة اكثر من شعوره بالخوف والتهديد .

وفى مجتمع يبغى تحقيق السلوك الجماعى فى كافة اوجه النشاط ، حاولنا أن ندرك من تحليل مجموعة من المواقف ، مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية او المسئولية الفردية او اللامسئولية .

جدول رقم (٦٥)
توجيهات الصبية نحو اداء الواجب

التوجيه نحو اداء الواجب	المسئولية الجماعية		المسئولية الفردية		الهروب من المسئولية	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
١ـ تحمل نتيجة عمل مشترك	٥١	٧٣	٣٩	٢٤	١٠	٣
٢ـ تخريب مرفق عام	٦١	٥١	٢٥	٤٢	١٤	٧
٣ـ الخدمة العامة	٦٠	٦٦	٨	٩	٣٢	٢٥
م	١ر٧٢	١ر٩٠	ر٧٢	ر٧٥	ر٥٦	ر٣٥
م٢	٣ر٦٨	٤ر٣٠	١ر٠٤	١ر٠٥	ر٨٤	ر٤٩
الانحراف المعيارى	ر٨٤	ر٨٣	ر٧٢	ر٦٩	ر٧٢	ر٦٠
ت	١ر٥٠		ر٢٩		٢ر٢١	

جدول رقم (٦٦)

التناقض بين الاحكام النظرية والسلوك العملي ازاء اداء الواجب

التوجيه نحو اداء الواجب	المسئولية الجماعية		المسئولية الفردية		الهروب من المسئولية	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
١ـ تحمل نتيجة عمل مشترك	•	•	•	•	•	•
٢ـ تخريب مرفق عام	٥	٥	١٠	٣	٢	•
٣ـ الخدمة العامة	٢١	٩	•	•	•	•
المجموع	٢٦	١٤	١٠	٣	٢	•

ويكشف لنا الموقف الاول عن توجيهات القيم المفضلة عند الصبى التى تعكس افكاره عن تحمل نتائج السلوك المرغوب عنه ، اذا طلب منه ابداء رأيه على اخوة ثلاثة ، صدر منهم فعل مشترك ، احدهم اعترف بمسئوليتهم جميعا فى اداءه ، والثانى اعلن مسئوليته وحده على ارتكاب الفعل ، اما الثالث فانكر ، واعلن عدم اشتراكه فى الفعل ، والقى التهمة على اخوته • فنجد أن ٥١٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٧٣٪ من ابناء العاملات يقرون السلوك المرتبط بالمسئولية الجماعية فى هذا الموقف ، ويعلنون ان المسئولية تعنى العدالة فى توزيع العقاب والتحمل المشترك لنتائج العمل ، كما نجد أن ٢٩٪ من الصبية ابناء المتفرغات يقرون المسئولية الفردية ، وتهبط هذه النسبة الى ٢٤٪ عند ابناء العاملات • اما الهاربون من المسئولية فى هذا الموقف فقد بلغت نسبتهم ١٠ ٪ من ابناء المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٣٪ عند ابناء العاملات •

اما اذا ارتكبت مجموعة من الاصدقاء خطأ ، واساءوا الى مرفق عام ، فنجد أن ٦١٪ من أبناء المتفرغات يؤيدون المسئولية الجماعية فى تحمل العقاب ، وتنخفض هذه النسبة الى ٥١٪ عند ابناء العاملات ، كذلك يتبين لنا أن ٢٥٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالمسئولية ازاء العقاب الشخصى ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٢٪ عند ابناء العاملات • وتوضح لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ١٤٪ من ابناء المتفرغات يهربون من المسئولية ، وتنخفض هذه النسبة الى ٧٪ عند ابناء العاملات •

اما الايمان بالمسئولية نحو المجتمع ، والايمان بالخدمة العامة والمساهمة في حملات التوعية للنظافة كمثال يبين ايمان الطفل بالقيم التي تؤكد المسئولية الجماعية ازاء المحافظة على مرافق الدولة وتوحد هم مع هذه القيم ، فنجد أن ٦٠٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٦٦٪ من ابناء العاملات يؤمنون بمسئوليتهم نحو المجتمع ، ويقررون باشتراكهم الجماعي في حملات النظافة • وتظهر لنا الدراسة أن ٧٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٩٪ من ابناء العاملات يؤكدون المسئولية الفردية تجاه المرافق العامة ، اما الهاربون من المسئولية في هذا الموقف فتبلغ نسبتهم ٣٢٪ من ابناء المتفرغات ، وتهبط هذه النسبة الى ٢٥٪ عند ابناء العاملات ، وهؤلاء يعلنون عدم مسئوليتهم في المشاركة ، او حتى توعية الشعب بمشكلات النظافة ، فهؤلاء الصبية يتسم سلوكهم باللامبالاة من مشاكل المجتمع •

وتكشف لنا الآراء التالية التي قال بها الصبية عن الاتجاهات الرئيسية التي تتعلق بتصرفات الابناء ازاء اداء الواجب :

- " المسئولية تستلزم توزيع العقاب ولا يظلم أحد " •
- " المسئولية هي الصراحة وعدم الكذب "
- " الشوارع ليست مسئولية الحكومة وحدها ، اللي يوسخ هو اللي ينظف "
- " كل واحد ملزم بنفسه " •

وتكشف لنا هذه التعليقات التي رددها الصبية ، ان المسئولية الجماعية تعني العدالة في توزيع العقاب عند الذين يؤمنون بالمسئولية الجماعية ، وهي في الوقت نفسه تعني الصراحة والصدق في القول ، والمشاركة في الخدمة العامة عن رضا ، اما المسئولية الفردية فتعني تحمل المرء لنتائج تصرفاته •

وتكشف لنا تحليل الاجابات التي حصلنا عليها من الصبية ابناء العاملات والمتفرغات عن عدم وجود فروق ذات دلالة ازاء توحد الصبية مع القيم التي ترتبط بالمسئولية الجماعية والفردية ، فالتقارب واضح في سلوك الصبية في المواقف التي ترتبط بالمسئولية بنوعيها ، بيد ان تحليل الاجابات لاستعمال اختبار (ت) يكشف عن وجود فروق هامة بين ابناء العاملات والمتفرغات في موقفهم من السلوك الهروبي من المسئولية ، اذ تبين لنا الدراسة

ان نزعة الهروب من المسئولية اقوى كثيرا عند ابناء المتفرغات من ابناء العاملات •

وقد اظهر لنا البحث الميدانى كما هو موضح بالجدول رقم (٦٦) ان ٢٦٪ من ابناء المتفرغات يعانون انفصاما بين الحكم النظرى والسلوك العملى فى الموقف ازاء المسئولية الجماعية ، وتهبط هذه النسبة الى ١٤٪ من ابناء العاملات ،كما تكشف لنا الدراسة ان ١٠٪ من ابناء المتفرغات يعانون التناقض بين القول النظرى عن المسئولية الفردية والسلوك الفعلى المرتبط بالفكرة ،وتهبط هذه النسبة الى ٣٪ عند ابناء المتفرغات •

ولكن هل يتوحد الصبية مع توجيه واحد من القيم التى تعبر عن المسئولية ؟ ام يتوحدون مع توجيهات متعددة ازاء القيم التى تحكم اداء الواجب ؟

جدول رقم (٦٧)

تكرار توزيع القيم المرتبطة بأداء الواجب عند الصبية :

توجيه القيمة	امهات متفرغات			امهات عاملات		
التكرار	مسئولية جماعية	مسئولية فردية	هروب من المسئولية	مسئولية جماعية	مسئولية فردية	هروب من المسئولية
لا يوجد	٩	٤٣	٥٦	٥	٣٨	٧١
مرة	٢٧	٤٣	٢٤	٢٥	٥١	٢٤
مرتان	٤٧	١٢	٨	٤٥	٩	٤
ثلاث مرات	١٧	١	٢	٢٥	٢	١
	كا٢ = ٥٩ر٣١			كا٢ = ٧١ر٨١		

وتوضح لنا البيانات التى حصلنا عليها والموضحة فى الجدول السابق أن ٩٪ من ابناء المتفرغات يستبعدون من سلوكهم القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية فى كل المواقف، اما ابناء العاملات ، فنجد ان نسبة هؤلاء تنخفض الى ٥٪ • ونلاحظ أن نسبة ابناء المتفرغات الذين يقبلون المسئولية الجماعية فى كل المواقف تبلغ ١٧٪ ، وترتفع نسبة هؤلاء الى ٢٥٪ عند ابناء العاملات • ويظهر لنا البحث ان ٤٣٪ من ابناء المتفرغات يستبعدون القيم التى تؤكد المسئولية الفردية، بينما يتمسك بها صبى واحد فى جميع المواقف ، اما ابناء العاملات فنجد ٣٨٪ منهم يرفضون القيم التى تؤكد المسئولية الفردية، بينما يرتبط بها صبيان بجميع المواقف •

وتظهر لنا الاجابات المبينة فى الجدول السابق ان ٥٦ ٪ من ابناء المتفرغات لا يهربون من المواقف التى تتطلب المسئولية بنوعيها ويواجهون الموقف عن رضا ، وترتفع نسبة هؤلاء الى ٧١ ٪ من ابناء العاملات ، ونلاحظ أن صبيين من ابناء المتفرغات وصبيا من ابناء العاملات يهربون من المسئولية فى كل المواقف ، وتبين لنا دراسة البيانات الموضحة فى الجدول رقم (٦٧) ان ٨٠ ٪ من ابناء المتفرغات قد توحدوا مع التوجيهات المتعددة للقيم التى تحكم اداء الواجب ، وتهبط هذه النسبة الى ٧٢ ٪ عند ابناء العاملات ٠

ولكن هل للام دور ايجابى فى ادماج القيم التى توجه الابناء نحو المسئولية الجماعية ، تكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها عن انعدام الرابطة بين اساليب الامومة فى توجيه الابناء نحو المسئولية الجماعية عند الامهات العاملات (ر = ١٠١ر٠) ٠ كما تكشف لنا الدراسة انعدام الرابطة بين اساليب الامهات المتفرغات وتوحد ابنائهن مع القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية (ر = ٠٩٦ر٠) ؛ مما يؤكد لنا جهل الام بهذه القيمة الوليدة فى المجتمع ومساهمة انسان اخرى فى غرس هذه القيمة فى شخصيات الابناء ٠

كذلك بين لنا البحث عدم وجود تفاوت بين الجنسين من ابناء العاملات والمتفرغات ازاء توجيهات القيم المرتبطة باداء الواجب[1] ٠

اما عن الفرض الذى وضعناه عن تأثير الصراع الذى تعانيه الام كمحصلة للتنافر بين مكونات الدور او الصراع بين مطالب الادوار ، وتوجيهات الابناء نحو قيم معينة ، فقد اثبت لنا تحليل البيانات التى حصلنا عليها باستعمال اختبار ($كا^2$) ان الصراعات التى تعانى منها الام العاملة لا تؤثر فى توجيهات الابناء نحو المسئولية الجماعية او المسئولية الفردية او الهروب من المسئولية ، اما عند الام المتفرغة فقد تحقق هذا الفرض فى حالة

---

(١) دلالة الفرق بين الصبية والصبيات من ابناء العاملات ازاء توجيههم للمسئولية الجماعية (٠٥٩ر٠)
" " " " " " " المتفرغات " " " " = (٧٢ر١)
" " " " " " " العاملات " " " الفردية = (١٤ر٠)
" " " " " " " المتفرغات " " " " = (٤٦ر١)
" " " " " " " العاملات " هروبهم من المسئولية = (٢٩ر٠)
" " " " " " " المتفرغات " " " " = (٣٩ر٠)

الصراع بين مطالب دور الزوجة ودور الام ، اذ نجد ارتباطا بين الصراع المتفجر نتيجة تعارض مطالب دور الزوجة ودور الام ، وبين توجيهات ابن المتفرغة نحو اداء الواجب . اما الصلة بين تنافر مكونات دور الام أو دور الزوجة وتوجيهات القيم المرتبطة بالواجب فتنعدم .

جدول رقم (٦٨)
العلاقة بين صراع مطالب دور الام والزوجة عند المتفرغة وتوجيهات الابناء نحو اداء الواجب

توجيهات قيم الصبية / حالة الام	مسئولية جماعية	مسئولية فردية	هروب من المسئولية	المجموع
صراع	٢٩	١٢	٢٢	٦٣
لا صراع	١٤٣	٦٠	٣٤	٢٣٧
المجموع	١٧٢	٧٢	٥٦	٣٠٠

كا^{٢} = ١٣ر٨٧٨١٩

وتبين لنا الاجابات الموضحة فى الجدول السابق ان ٢١٪ من الامهات المتفرغات يعانين من الصراع بين مطالب ادوار الام والزوجة . ونلاحظ أن ٤٦٪ من ابناء الامهات اللاتى يعانين من الصراع يتجهون نحو القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية فقط ، اما نسبة ابناء المتفرغات الذين لا يعانون من الصراع ويؤمنون بالقيم الجماعية فتبلغ ٦٣ ٪ .

ويمكن لنا ان نخلص من دراسة المواقف المرتبطة بالواجب ان الصبى يتجه اتجاها قويا نحو التوحد مع القيم المرتبطة بالمسئولية الجماعية " فتقبل مسئولية العمل الجماعى ، وتوحد الابناء مع هذا النوع من القيم وسيلة الى تحقيق تكامل النسق والمحافظة على هذا التكامل ، ويؤدى تكامل النسق على اداء الفعل واستمرار العمليات داخل النسق "[1] . بيد اننا نرى ان مساهمة الام فى ادماج القيم التى تؤكد العمل الجماعى المشترك ضئيلة ، كما يعانى الطفل من الصراع بين التوجيهات المختلفة للنزعة الى اداء الواجب ، والقيم التى تؤكد هذا الاداء .

(1) Morse, Chandler: The functional Imperative. In Black Max (ed.) The social theories of T. Parsons. op. cit., P. 118.

واذا كان الصبية يتجهون ادنما الى القيم الوليدة التى تؤكد المسئولية الجماعية والبطولة الايجابية والتعاون والغيرية والصدق ، فما قوة توحدهم مع القيم التى تركد الملكية العامة او الخاصة ٠

سادسا : تقدير الصبية للملكية : (الممتلكات العامة ـ الممتلكات الخاصة)

تحدد الملكية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فى داخل المجتمع ، وهى العامل الحاسم خلف كل اشكال السلوك فى العصر الحديث ، فالعلاقات الاجتماعية داخل الانسان الاجتماعية يحددها المفاهيم الرائجة نحو اهمية المحافظة على الممتلكات العامة او الممتلكات الخاصة ، كما اننا نرى ان الملكية والشخصية ترتبطان سويا ٠ فالملكية تحدد جانبا كبيرا من الارتباطات الاجتماعية ، كما ان الشخصية هى مجموعة العلاقات الاجتماعية المميزة لطريقة معينة من طرق الانتاج ٠

ففى فترة التحول الاشتراكى حاولنا ان نعرف مدى الايمان بالقيم التى تمجد المحافظة على الممتلكات العامة واحترامها ، هذه القيم التى يلعب المنهج المدرسى دورا كبيرا فى تأكيدها ٠ فالقيم التى تمجد المحافظة على الممتلكات العامة تعنى أن الكل مرتبط بالمجتمع ، ويحافظ عليه ، كما يصبح الشعور السائد هو الشعور بأن المجتمع يكفل الرعاية والعناية للجميع ٠ فالايمان بالملكية العامة والممتلكات العامة ايمانا بالجماعة ، وايمان بأن ثمرة العائد من العمل يعود على الجميع ، وليست هذه القيم وراثية ولكنها تكتسب ، وتدعم فى الشخصية اثناء نموها فى الاطوار المختلفة ٠

واذا كان الاشتراكيون يرون ان القيم التى تمجد الممتلكات العامة والمحافظة عليها قيم ضرورية لتنظيم العلاقات الاجتماعية ، فان عالم النفس الرأسمالى جوردون البورت يرى ان الشعور بالملكية الخاصة يبدأ بمرحلة انطلاق الذات [1] ، وهى مرحلة تبدأ فى الطفولة المبكرة ، وقد ربط البورت الملكية الخاصة بحب الذات وتوكيدها فقط دون اهتمام بعلاقات المرء بالجماعة ٠ وهذه النظرة تعكس ظروف المجتمع الرأسمالى ،

---

(١) Allport .Gordon : Pattern and growth in personality op.cit p 122.

ولكننا لا نقر البورت فيما ذهب اليه ، ونقرر ان الشعور بالذات هو شعور بالجماعـــة ، وايمان بأن الشخص لا ينفصل عن البناء ، وان الشعور بالملكية يرتبط بالشعور بقـــوة الارتباط بالجماعة والعمل على التكامل معها .

وقد حاولنا ان نعرف مدى عمق القيم التى تؤكد احترام الممتلكات العامـــة أو احترام الممتلكات الخاصة عند الصبية فى مرحلة التحول الاشتراكى . وقد بينت لنـــا الملاحظة اهمال صيانة المرافق العامة وكثرة العبث بها ، وعدم تقدير الممتلكات العامة ، لذا واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف تكشف عن مدى ايمانهم بالقيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة او القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات الخاصة . وفى هـــذا الصدد واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف تتعلق بسلوكهم فى المواقف التى تتضارب فيها القيم التى تؤكد اهمية الممتلكات العامة والمحافظة عليها والقيم التى تؤكد الملكية الفردية :

جدول رقم (٦٩)

توجيه الصبية نحو الممتلكات العامة أو الخاصة

توجيه القيم	تقدير الممتلكات العامة		تقدير الممتلكات الخاصة	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
١ـ العبث بالزهور فى الحدائق	٤٥	٧١	٥٥	٢٩
٢ـ كسر نافذة فى الطريق العام	٤٧	٧٩	٥٣	٢١
٣ـ استغلال السى للاضاءة والمياه	٢٦	٤٨	٧٤	٥٢
م	١ر١٨	١ر٩٨	١ر٨٢	١ر٠٢
م٢	٢ر٦٦	٤ر٨٨	٤ر٥٨	٢ر٠٠
الانحراف المعيارى	١ر١٢	ر٩٧	١ر١٢	ر٩٧
ت	٥ر٣٣		٥ر٣٢	

وفى الموقف الاول اذا ما ذهب الصبية الى حديقة الحيوانات وحاول البعـــض العبث بأجزاء فى الحديقة وتخريبها ، فاننا نجد ٤٥ ٪ من ابناء المتفرغات يؤكـــدون اهمية المحافظة على هذا المرفق ، أما عند ابناء العاملات فترتفع النسبة الى ٧١ ٪ . فابناء العاملات اكثر اهتماما بالمحافظة على مقتنيات الحديقة من ابناء المتفرغات . ونجـد

كذلك ٥٥٪ من ابناء المتفرغات وحوالى ٢٦٪ من ابناء العاملات يقفون موقف اللامبالاة من الحديقة لانها لا تخصهم •

اما سلوك الصبية فى الموقف الذى يحطم فيه احدهم احد المصابيح بالطريق العام، فنجد ان ٤٩٪ من ابناء المتفرغات يشعرون بالارتباط بالمشكلة ، وان فائدة المصابيح تعود على الجميع لذا يجب المحافظة عليها ، وترتفع هذه النسبة الى ٧٩٪ عند ابناء العاملات • ونلاحظ أن ٥٢٪ من ابناء المتفرغات و ٢١٪ من ابناء العاملات يقفون موقف اللامبالاة وعدم الاهتمام بالمرافق العامة •

اما اذا واجه الصبى موقفا يبدو فيه الاستخدام السىء لمرافق المياه والاضاءة فنلاحظ أن ٢٦٪ من ابناء المتفرغات يحكم سلوكهم فى هذا الموقف القيم التى تؤكد الضرر الواقع على المجتمع نتيجة عدم الاهتمام باستهلاك المياه او الاضاءة ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٨٪ عند ابناء العاملات • ويظهر لنا البحث الميدانى ان ما يقرب من ٥٠٪ من ابناء المتفرغات ونصف ابناء العاملات يقفون موقف اللامبالاة من الاضاءة واستهلاك المياه •

والنظرة الى البيانات الموضحة بالجدول رقم (٦٦) تبين لنا قصور الاساليب التربوية فى البيت والمدرسة عن دعم القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة، وتؤكد لنا اهمية المدرسة ومسئوليتها فى تكوين القيم القومية ، وتأكيدنا على اهمية المدرسة يرد الى اعتقادنا صعوبة قيام الام بعملية التوعية ، لانها لم تعرف القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة ،كما انها فى حاجة الى ما يبصرها بها • وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى عدم وجود ارتباط بين اساليب الامهات العاملات فى تربية اولاد عن واتجاه ابنائهن نحو المحافظة على الممتلكات العامة(ر = ٠٫١٦) ، كذلك اثبت لنا التحليل الاحصائى انعدام الرابطة بين اساليب الامهات المتفرغات فى تربية اولاد عن وتفضيل الاولاد للقيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة (ر=٠٫٢٢) •

اما عن التبريرات التى ابداها الصبية ازاء اختيار السلوك المرتبط بقيم الملكية، فقد دورحول الاتجاهين الاتيين :

الاتجاه الأول : " يكسر زى ما هو عايز "
" لا يهمنى شئ لا امتلكه "
" لن اخسر ولن اغرم "

الاتجاه الآخر: " لكى لا نخسر شيئا ملك الدولة " .
" خسارة للشعب ، من اين النقود لتصليحها "
" الحكومة اقامت النور لصالح الشعب "
" ناس تحمل وناس تخرب "

وتظهر لنا هذه التبريرات تقدير وتقييم الممتلكات العامة والخاصة عند الصبية وفى نفس الوقت تبين لنا وجود اطفال يؤمنون بان الممتلكات العامة تخدم الشعب وهى ملك للشعب وأقيمت من اموال الشعب ، اما الآخرون فيقفون موقف اللامبالاة من الممتلكات العامة ما دام تخريبها لا يضرهم ، كما يعكس هذا الموقف احساس الصبية بأن هذه المرافق لا تخدمهم .

وقد اوضح لنا التحليل الاحصائى للبيانات باستعمال اختبار (ت) اوضح لنا وجود فروق ذات دلالة احصائية بين ابناء العاملات وابناء المتفرغات نحو القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة او الخاصة ، فابناء العاملات اكثر قبولا للقيم التى تؤكد الملكية العامة من ابناء المتفرغات ، بيد ان الاختبار نفسه اثبت عدم وجود فروق ذات دلالة بين الجنسين (1) ازاء توحدهم من القيم المرتبطة بالمحافظة على الممتلكات العامة او الخاصة .

وقد حاولنا أن نعرف مدى تطور وتماسك القيم التى تؤكد الملكية العامة او الخاصة، باعتبار هذه القيم عناصر اساسية لتوجيه سلوك الشخصية ، لذا حاولنا ان نعرف التوزيع التكرارى للقيم التى تؤكد احترام الممتلكات العامة او القيم التى تؤكد احترام الممتلكات

---

(1) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات ابناء المتفرغات ازاء تقدير الممتلكات العامة = ٣٩ر٠
" " " " " " " العاملات " " " " " = ٦٢ر١
" " " " " " " المتفرغات " تفضيلهم للمتلكات الخاصة = ٣٩ر٠
" " " " " " " العاملات " " " " " = ٦٢ر١

الشخصية فى المواقف المختلفة كما يوضح لنا ذلك الجدول رقم (٧٠) •

جدول رقم (٧٠)
تكرار تقدير الصبية للممتلكات العامة أو الخاصة

تقدير القيمة	الممتلكات العامة		الممتلكات الخاصة	
التكرار	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
لا يوجد	٣٧	١٩	١٠	٣٧
مرة	٢٧	١٧	١٩	٣٤
مرتان	١٧	٢٧	٣٤	١٩
ثلاث مرات	١٩	٣٧	٢٧	١٠
	كا٢ = ١١٦ر١٦		كا٢ = ٥١ر٣٩	

تكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها والمبينة بالجدول رقم (٧٠) التفاوت الشديد لتقدير الممتلكات العامة والخاصة عند ابناء العاملات والمتفرغات ، وتوحد معظم الصبية مع قيم تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة والخاصة • وتبين لنا الاجابات ان ١٩٪ من ابناء المتفرغات يحكم سلوكهم فى كل المواقف القيم التى تؤكد احترام الممتلكات العامة ، بينما نجد ٣٧٪ منهم يحكم سلوكهم القيم التى تؤكد احترام ممتلكات الشخص دون غيرها • اما عند ابناء العاملات فنجد ٣٧٪ منهم يحكم سلوكهم القيم التى تؤكد احترام الممتلكات العامة فى جميع المواقف ، كما نلاحظ ان ١٠٪ من ابناء العاملات يحكم سلوكهم القيم التى تؤكد الملكية الخاصة فى جميع المواقف • وتكشف لنا الاجابات الموضحة بالجدول السابق أن ٤٤٪ من ابناء المتفرغات يعانون الازدواج بين القيم التى تؤكد الملكية العامة والملكية الخاصة فى نفس الوقت ، كما ان ٥٣٪ من ابناء العاملات يعانون من نفس الظاهرة ، وتدمن فى شخصياتهم قيما متضادة ازاء الملكية • وهذا الازدواج فى القيم التى تؤكد الملكية العامة والخاصة يؤكد لنا ان الجذب الاشتراكى لا زال ضئيلا ، وان المد الرأسمالى فى مفاهيم الصبية قوى راسخ ، ويحكم قيمهم ازاء الممتلكات ، وشكل ووظيفة الملكية فى المجتمع • اما عن الصلة بين التوترات والصراعات التى تعانى منها الامهات العاملات والمتفرغات نتيجة للتنافر

بين مكونات الدور الواحد ، او التضاد بين مطالب الادوار فى مواقف التفاعل ـ وتوجيهات القيم الخاصة بتقدير الملكية ، وقد اوضح لنا التحليل الاحصائى النتائج الاتية والمبينة بالجداول رقم (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤) .

جدول رقم (٧١)
العلاقة بين مكونات دور الام المتفرغة وتفضيلات ابنائها للملكية

توجيه القيم الحالة	الملكية العامة	الملكية الخاصة	المجموع
صراع	٤٢	٣٠	٧٢
عدم الشعور بالصراع	٧٦	١٥٢	٢٢٨
المجموع	١١٨	١٨٢	٣٠٠

$كا^2$ = ١٤٫٣٢٢٢٧

ويكشف لنا الجدول رقم (٧١) ان ابناء الامهات المتفرغات اللاتى يعانين من الصراع بين مكونات دور الام ينجذب اولادهن الى القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة اكثر من ابناء اللاتى لا يعانين من الصراع . اما بالنسبة للام العاملة فقد تبين لنا نفس النتيجة كما هو موضح بالجدول رقم (٧٢) .

جدول رقم (٧٢)
العلاقة بين مكونات دور الام العاملة بتفضيلات ابنائها للملكية

توجيه القيمة الحالة	الملكية العامة	الملكية الخاصة	المجموع
صراع	٤٩	١٤	٦٣
عدم الشعور بالصراع	١٤٩	٨٨	٢٣٧
المجموع	١٩٨	١٠٢	٣٠٠

$كا^2$ = ٤٫٩٢٩٦٦

وتؤكد لنا البيانات الموضحة بالجدول رقم (٧١، ٧٢) ان الصراع بين مكونات دور الام له اثره على التوجيهات المفضلة لتوجيهات قيم الملكية عند ابناء العاملات والمتفرغات ، ويدفع هذا الصراع الصبية الى الايمان بالممتلكات العامة اكثر من الممتلكات

الخاصة .

وقد بين لنا التحليل الاحصائى وجود حالة اعتماد متبادل بين الصراع الـذى تعانيه الام المتفرغة نتيجة تنافر مطالب دور الام ومطالب دور الزوجة . وتوجيهات قيـم الملكية عند الابناء . كما هو موضح بالجدول رقم (٧٢) .

جدول رقم (٧٢)

صراع دور الام والزوجة والتوجيهات الملكية عند ابناء المتفرغات

توجيه القيمـة / الحالـة	الملكية العامـة	الملكية الخاصة	المجموع
صـراع	١٨	٤٥	٦٣
عدم الشعور بالصراع	١٠٠	١٣٧	٢٣٧
المجموع	١١٨	١٨٢	٣٠٠

كا^{2} = ٢٫٨٧٠٦٢

وتبين لنا الاجابات الموضحة بالجدول رقم (٧٢) ان ابناء اللاتى لا يعانـين من الصراع بين مطالب دور الام ومطالب دور الزوجة من المتفرغات يتوحدون مع مزيـج من القيم التى تؤكد الملكية العامة والملكية الخاصة ، ولكن ابناء اللاتى يعانين مـن الصراع يتوحدون مع القيم التى تؤكد الملكية الخاصة اكثر من توحدهم مع القيم الـتى تؤكد الملكية العامة .

وقد بين لنا التحليل الاحصائى ان الصراع الذى تعانيه الام العاملة نتيجـة تنافر مكونات الدور فى المواقف المختلفة ، ونتيجة الصراع بين الادوار الاسرية مـن جانب ، وبين الادوار الاسرية والادوار المهنية من جانب آخر يؤثر فى توجيه ابنـاء العاملات اللاتى يعانين من الصراع الى القيم التى تؤكد الملكية العامة كما هو موضـح بالجدول رقم (٧٤) .

جدول رقم (٧٤)

الصراع الذى تعانيه الامهات العاملات وتفضيلات ابنائهن للملكية

توجيه القيمة / الحالة	الملكية العامة	الملكية الخاصة	المجموع
صراع	٦٥	٢٢	٨٧
عدم الشعور بالصراع	١٣٣	٨٠	٢١٣
المجموع	١٩٨	١٠٢	٣٠٠

كا^{٢} = ٤ر١٤٥١٢

وتكشف لنا الاجابات الموضحة بالجدول رقم (٧٤) أن ابناء العاملات اللاتى لا يعانين من الصراع بين العناصر المكونة للدور ، ولا يشعرن بالتعارض بين مطالب الادوار المختلفة يتوحدون مع مزيج من القيم التى تؤكد الملكية العامة والملكية الخاصة. بيد أن ابناء العاملات اللاتى يعانين من الصراع نتيجة تنافر العناصر الاجتماعية المكونة للادوار المختلفة واللاتى يشعرن بالصراع بين مطالب الادوار الاجتماعية المختلفة ويعجزن عن تحقيق التوقعات المطلوبة منهن ، فمعظمهم يتوحد مع القيم التى تؤكد الملكية العامة ، وقلة منهم تتوحد مع القيم التى تؤكد الملكية الخاصة .

ونخلص من هذه الدراسة لتوجيهات قيم الملكية ، ان القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة لا زالت واهية ، وان القيم التى تؤكد المحافظة على الحاجات الشخصية لا زالت مفضلة على القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة . فالقيم التى تدعو الى المحافظة على الممتلكات العامة لم تصبح بعد عناصر راسخة فى بناء الشخصية ، كما تظهر لنا الدراسة توحد الابناء مع قيم تؤكد الملكية العامة والملكية الخاصة عند كثير من الصبية ، كما اوضحت لنا الدراسة وجود حالة اعتماد بين الصراع الذى تعانيه الامهات نتيجة تنافر مكونات دور الام وتفضيلات ابنائهن للقيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة . كذلك ثبت لنا من البحث وجود ارتباط بين حالات الصراع التى تعيش فيها الامهات العاملات وتفضيلات ابنائهن للقيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة .

سابعا : توجيهات القيم التي تحكم النشاط الانساني : (الدؤب ـ الآني)

يتباين نوع النشاط الذى يسود يه الشعور فى المواقف الاجتماعية فى مجال التوجيهات الآتية: النشاط الآنى ، النشاط الشاعرى ، النشاط الدأوبى [١] باعتبار كل التوجيهات مظاهر للفصل والانسان الدافعة لشخصيات الافراد [٢] .

وفى دراستنا الميدانية حاولنا ان نعرف توجيهات القيم التى تحكم نشاط الصبية، لنتكشف قوة العناصر التى تحكم النشاط الآنى او النشاط الدأوبى الموجهة لسلوكهم فى فترة التحول من مجتمع تقليدى بشكل يسود ه نشاط معين مميز الى مجتمع جديد مفتوح تسود ه علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وتنتشر فيه قيم جديدة تؤكد نماذج جديدة من السلوك .

جدول رقم (٧٥)

توجيهات قيم النشاط عند الصبية

توجيه القيمة / الموقف	النشاط الآني: ابناء متفرغات	النشاط الآني: ابناء عاملات	النشاط الدأوبي: ابناء متفرغات	النشاط الدأوبي: ابناء عاملات
١ ـ الاغياء الكمالى	١٣	•	٨٧	١٠٠
٢ ـ استغلال وقت الفراغ	٨١	٥٢	١٩	٤٨
٣ ـ المثابرة فى العمل	٧٨	٦٢	٢٢	٣٨
٤ ـ حب التحصيل المستمر	٦٢	٤٦	٣٨	٥٤
٥ ـ كراهية النقد والعمل	٧٠	٦٢	٣٠	٣٨
م	٣ر٠٤	٢ر٢٢	١ر٩٦	٢ر٧٨
م٢	١٠ر٧٨	٦ر٤٦	٥ر٣٨	٩ر٢٦
الانحراف المعيارى	١ر٢٤	١ر٢٣	١ر٢٤	١ر٢٣
ت	٤ر٦٥		٤ر٦٥	

---

(١) اقتصرنا فى دراستنا على دراسة النشاط الآنى والنشاط الدأوبى عند الصبية ولم ندرس النشاط الشاعرى لصعوبة ذلك .

(٢) Kluckhoon Florence : Variation in valueorientation: op.cit p 349.

وكان الموقف الاول يسرد قصة اشخاص يعيشون حياة الرفاهية والكسل اعتمادا على استغلال جهد الآخرين ، كنوع من النشاط الذى كان سائدا فى مجتمعنا فى فترة من تاريخنا ، وتوضح لنا الاجابات التى افصح عنها الصبية ان ١٣٪ من ابناء المتفرغات لا زالوا يؤمنون بالكسل والتراخى فى العمل والاعتماد فى المعيشة على استغلال جهد الآخرين ، بينما لا نجد صبيا واحدا من أبناء العاملات يؤمن بهذه القيمة • وتظهر لنا الاجابات أن ٨٧٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالعمل وبذل الجهد لتحقيق نوع من الحياة ضرورى وملائم ، اما عند ابناء العاملات فنجد أن جميعهم يقدرون العمل كناية ، ويؤمنون " بأن من لا يعمل لا يأكل " • وتوضح لنا مواقف الصبية من هؤلاء الذين يستغلون جهد الآخرين وجود افكار وليدة ناضجة قوية عند الصبية تعبر عن علاقات اجتماعية جديدة ، تأبى استغلال الانسان للانسان ، وتؤكد ان الكل يجب ان يعمل ، والا يبيع الانسان جهده وعمله لصاحب العمل دون أجر ، ولكن عائد العمل يجب ان يعود الى العاملين ، وتستهجن قيام العمل على استغلال جهد الآخرين • ولم يعد الاطفال مؤمنين بالغنى الذى لا يعمل ، ويتمتع بالخير وحده ، بل الجد والعمل هما مصدر الدخل والاحترام •

اما عن الموقف الثانى فيظهر لنا مدى تلقائية النشاط عند التلميذ فى هذا الطور وهل يفضلون النشاط الحر كاللعب ، ام النشاط الموجه اثناء فترات الفراغ فى اثناء اليوم المدرسى • فنجد أن ٨١٪ من ابناء المتفرغات يفضلون التعبير الحر عن الذات فى فترات الفراغ كاللعب او الذهاب الى حجرة الرسم ، اما عن ابناء العاملات فنجد ان هذه النسبة تقل وتدنو من ٥٢٪ من الصبية • اما الصبية الذين يرغبون فى توجيه نشاطهم فى وقت الفراغ وسماع قصص علمية من المعلمة او ممارسة نشاط تحدده مدرسة الفصل ، فتبلغ نسبتهم ١٦٪ من ابناء المتفرغات ، وتعلو هذه النسبة الى ٤٨ ٪ عند ابناء العاملات •

وفى الموقف الثالث حاولنا ان نعرف هل العمل ضرورى عند الصبى ، وهل يفضل المثابرة فى العمل ، وتحمل مشاقه ، ام يفضل ان يجمع بين العمل واللعب ، أم ينطلق الى اللعب دوما •

فتظهر لنا الاجابات ان ٧٨٪ من ابناء المتفرغات يكرهون العمل المستمر المتواصل ، وتهبط هذه النسبة الى ٦٢٪ عند ابناء العاملات ، كما اوضح لنا الجدول ان ٢٢٪ من ابناء المتفرغات لديهم القدرة على العمل المتواصل ، وترتفع هذه النسبة الى ٣٨٪ عند ابناء العاملات • وتظهر لنا اجابات الصبية ان اللعب في هذا الطور يثير شغفهم ، وان الرغبة في العمل المتواصل المستمر الدؤوب رغبة ضعيفة عند الصبية ، كأن القدوة التي يتوحدون بها ، والتي تؤكد اهمية التفاني في العمل غائبة عنهم •

اما في الموقف الرابع ، فيكشف لنا البحث مدى تفضيل الصبي للاساليب التربوية التي تؤكد التحصيل المستمر ، وموقفه من نقد المقصر ؟ هذه الاساليب التي تساعد على تكوين الشخص الدؤوب ، ام تفضيل الصبي للاساليب التي تعلي من النشاط التلقائي الحر للتلاميذ ، والتي تؤكد عدم اجهاد التلاميذ ذهنيا وبدنيا ، ولا تلجأ الى العقاب والايذاء ، وتحاول الترفيه دائما على التلاميذ • وتوضح لنا الاجابات التي حصلنا عليها ان ٦٢٪ من ابناء المتفرغات يفضلون المعلمة التي تستهدف النشاط المرح ، وتهبط هذه النسبة الى ٤٦٪ عند ابناء العاملات ، وتوضح لنا الاجابات أن ٣٨ ٪ من ابناء المتفرغات يرغبون في المدرسة التي تحقق نماذج النشاط الدائب مع تلاميذها ، وترتفع هذه النسبة الى ٥٤٪ عند ابناء العاملات •

ومن ثم فاكثر الصبية في نشاطهم المدرسي يبغون دائما النشاط المرح ، وقلة تفضل النشاط الدائب ، ويفسر ذلك بأن العناصر الاجتماعية التي تؤكد اهمية المثابرة في العمل وتقبل النقد البناء لم تدعم بعد حتى هذا السن ، فالاسرة لم تعمل على تكوين هذه العناصر ، ولاهية عن ذلك ، وفي الوقت نفسه عجزت المدرسة عن تنشئة الصبية على اداء النشاط الدائب •

اما الموقف الخامس فيعكس لنا حكم الصبية على أخوين ، احدهما دؤوب يواظب على الاستذكار ، ولا يمل العمل ، ومحب للنقد ، والآخر لا يستطيع المثابرة واستذكار الدروس لفترة طويلة ، ويعشق اللعب ، ولا يستطيع الاستغناء عنه ، كما انه كاره للنقد ولا يميل للنصيحة ، فتوضح لنا الاجابات أن ٧٠٪ من ابناء المتفرغات يتعاطفون مع الأخ الثاني كمظهر لكراهيتهم للنقد ، وعدم المثابرة على استذكار الدروس ، وينخفض هذا الاتجاه الاتي الى ٦٢٪ عند ابناء العاملات ، ونجد أن ٣٨٪ من ابناء

العاملات يؤمنون بالمواظبة على العمل ويتقبلون النقد • وتهبط نسبة ابناء المتفرغات الذين يؤمنون بهذا المطرت الى ٣٠٪ •

وقد قال الصبية انصار النشاط الدائبي الاراء الاتية التى تعبر عن نمو توجيهات اساسية نحو النشاط الدائبي :

- " العمل يزيد من الانتاج ، كيف نعيش من غير عمل "
- " العمل هو السبيل الى النجاح "
- " العمل احلى من الكسل "
- " النقد يوجهني الى الصواب " •

وتدل لنا هذه التعليقات على توحد هؤلاء الصبية مع قيم جديدة تؤكد النجاح فى العمل باعتباره هدفا اساسيا فى الحياة ، وايمانهم بأثر الايجابية فى العمل على الانتاج ، وتقبل النقد البناء •

ويوضح لنا استعمال اختبار (ت) وجود فروق ذات دلالة بين ابناء العاملات والمتفرغات ازاء تفضيلاتهم للقيم التى تؤكد النشاط الدائبي او النشاط الاتى • فابناء المتفرغات اكثر توجيها للنشاط الاتى ، اما ابناء العاملات فاكثر توجيها للقيم التى تدعو الى الدأب والتحصيل والانجاز • وقد أثبت لنا نفس الاختبار عدم وجود فروق بين توحدات الصبية او الصبيات من ابناء المتفرغات او العاملات مع القيم التى تحكم النشاط[1] •

وقد حاولنا فى دراستنا ان نتعرف هل يسلك الصبى نشاطا آنيا لكل المواقف ، أم يؤدى نشاطا دؤبيا فى كل المواقف ، أم يجمع بين الدأب والمرح الاتى •

وتبين لنا الاجابات الموضحة فى الجدول رقم (٧٦) ان ٦٪ من ابناء المتفرغات فقط لا يميلون الى النشاط الاتى فى جميع المواقف ، ويحكم سلوكهم القيم التى تؤكد الدأب والمثابرة فى العمل ، وترتفع نسبة هؤلاء الى ١٠٪ من أبناء العاملات • ويظهر

---

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات ابناء العاملات ازاء تفضيلهم للنشاط الاتى = ٦٢٠ر٠
" " " " " " المتفرغات " " " " = ٨٨ر٠
" " " " " " العاملات " " الدوئى = ٦٢ر٠
" " " " " " المتفرغات " " " " = ٨٨ر٠

لنا هذا الجدول ان ٦% من ابناء المتفرغات يعزفون عن كل نشاط دؤب ، ويستبعدون من حياتهم كل القيم التى تؤكد المثابرة والنقد البناء ، ولا نجد صبيا من ابناء العاملات لا تدمن فى شخصيته بعض العناصر التى تؤكد التوجيه نحو النشاط الدؤبى فى العمل •

جدول رقم (٧٦)

تقدير الصبية للنشاط الانى والدؤبى

توجيه القيمة	امهات متفرغات		امهات عاملات	
التكرار	الانى	الدؤبى	الانى	الدؤبى
لا يوجد	٦	٩	١٠	٠
مرة	٤	٣٠	١٩	١٩
مرتان	١٨	٣٣	٢٩	٣٣
ثلاث مرات	٢٣	١٨	٢٣	٢٩
اربع مرات	٣٠	٤	١٩	١٩
خمس مرات	٩	٦	٠	١٠

كا^{2} = ٤٩ كا^{2} = ٢١٫٢٨

وتكشف لنا الاجابات الموضحة بالجدول رقم (٧٦) ان ٨٥ % من ابناء المتفرغات يتوحدون مع مزيج من القيم التى تؤكد النشاط الدؤبى والنشاط الانى ، وترتفع هذه النسبة الى ٩٠% عند ابناء العاملات ، لكن تتباين درجة ادماج القيم التى تؤكد الدأب او النشاط الانى عند الصبية ، فنجد شخصيات يغلب على بعضهم المرح ، ويغلب على البعض الاخر الدأب •

وقد كشف لنا التحليل الاحصائى ضعف تأثير اساليب الامهات المتفرغات فى توجيه الابناء نحو النشاط الانى وتوحدات الابناء الفعلية مع القيم التى تؤكد النشاط الانى (ر = ٠٫٠٧١) • وايضا انعدام الرابطة بين اساليب الامهات العاملات فى توجيه الابناء نحو النشاط الانى وتوحدات ابنائهم مع القيم التى تؤكد هذا النشاط • وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى انعدام الصلة بين اساليب الامهات العاملات فى التربية وتوحدات ابنائهن مع القيم التى تؤكد الدأب والنقد (ر = ٠٫٠٤٦) • كذلك اثبت

لنا التحليل الاحصائى عدم وجود صلة بين اساليب توجيه الامهات المتفرغات لابنائهم نحو النشاط الدينى وتوحد لت ابنائهن من القيم التى تؤكد الدأب والمثابرة فى العمل وحب النقد (ر = ٠٤٧ر٠) ٠

اما عن أثر معاناة الام للصراع نتيجة تنافر مكونات الدور على توجيهات الابناء نحو نشاط معين ، او اثر التضاد بين مطالب الادوار التى تؤديها الامهات على توجيهات الابناء نحو النشاط الاتى او المرح ، فقد اثبت لنا اختبار (كا ٢) وجود صلة بين الحالة النفسية للام العاملة نتيجة شعورها بتنافر العناصر المكونة للادوار المختلفة ، وشعورها بتعارض مطالب الادوار الاجتماعية وبين توجيهات قيم النشاط عند الابناء كما هو موضح بالجدول رقم (٧٧) ٠

جدول رقم (٧٧)

الصلة بين الحالة النفسية للام العاملة وتوجيهات ابنها نحو قيم النشاط

توجيه القيمة / الحالة	الاتى	الدينى	المجموع
صراع	٥٣	٩٢	١٤٥
عدم الشعور بالصراع	١٦٩	١٨٦	٣٥٥
المجموع	٢٧٨	٢٢٢	٥٠٠

$كا^2$ = ٥٠٩٥٦٥ر٥

وقد اثبت لنا استخدام اختبار (كا ٢) الصلة بين الحالة النفسية للام العاملة وبين توجيهات الابناء نحو قيم النشاط ٠ فابناء العاملات اللاتى يعانين من الصراع يتوحدون مع القيم التى تؤكد النشاط الدينى اكثر من غيرهم ٠

كذلك اثبت لنا اختبار (كا ٢) وجود اعتماد متبادل بين مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات الابناء نحو القيم التى تحكم النشاط ٠

وقد اثبتت لنا الاجابات الموضحة فى الجدول رقم (٧٨) ان ابناء الامهات المتفرغات اللاتى يعانين من صراع دور الام يتشتتون بين القيم التى تحكم النشاط الاتى

جدول رقم (٧٨)

التوافق بين مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات قيم النشاط عند الابناء

توجيه القيمة / الحالة	الاتى	الدوئى	المجموع
صراع	٦٢	٥٨	١٢٠
عدم الشعور بالصراع	٢٤٢	١٣٨	٣٨٠
المجموع	٣٠٤	١٩٦	٥٠٠

كا^{2} = ٢٦٦٢٢ر٥

والدوئى . وقد كشفت لنا الاجابات المبينة فى الجدول رقم (٧٨) كذلك أن اغلبية ابناء المتفرغات اللاتى لا يعانين من الصراع نتيجة تنافر مكونات دور الام يسلكون سلوكا آنيا فى معظم المواقف .

وتكشف لنا دراسة توجيهات الابناء الى النشاط الاتى المرح او النشاط الدوئى عن وجود اتجاه قوى لتحقيق الرغبات الحاضرة عند الصبية وحب اللعب وكراهية النقد ، وهذا الاتجاه اقوى من الاتجاه الدوئى الذى يهتم بالانجاز والتحصيل والنقد ، كما يبدو لنا جليا ازدواج القيم التى تؤكد النشاط الاتى والنشاط الدوئى فى الوقت نفسه عند كثير من الصبية .

والآن وبعد ان تكشف لنا تقدير الصبية للقيم التى تحكم النشاط ، نحاول أن نختبر مفهوم الزمان المفضل عندهم .

ثامنا : <u>التوجيه نحو زمان معين</u> : (الماضى ـ الحاضر ـ المستقبل)

تصنف علاقات الانسان مع الزمان الى ازمنة ثلاثة : الماضى والحاضر والمستقبل . وهناك تفسيرات متباينة بشأن علاقة الانسان بهذه الازمنة . وقد قال الانثروبولوجيون ان افراد المجتمع البدائى لا شعور لديهم بأهمية الزمان ، وقال بعض الاجتماعيين أن الزمان له قيمة هامة فى المجتمع الحضرى ، ويكون بعدا هاما من ابعاد البناء الاجتماعى ، كذلك تتباين نظرة الاجتماعيين فى تفسيرات اتجاهات الانسان الى زمان معين والارتباط

به ، فهناك من يرى ان الانسان يتجه الى زمان محدد معين ، ويفضل الاتجاه عن الآخرين ، وهناك من يرى رأى شبلنجر ان الانسان يرتبط بالازمنة الثلاثة بيد ان الارتباط الوثيـــق بزمان معين من هذه الازمنة هو ما يحدد ثقافة مجتمع ما ويميزها عن الثقافات الاخـــرى ، ويرى جروفيتس ان مفهوم الزمان يتغير فى المجتمع الاقطاعى عن المجتمعات القديمـــــة والرأسمالية والنامية والصناعية والزراعية والاشتراكية(١) .

وقد حاولنا أن نعرف الزمان المفضل عند الصبية فى مجتمع متغير ، ولذا واجهنـــا الصبية ببعض المواقف التى تتضمن حلولها الازمنة الثلاثة ، لمعرفة الزمان المفضل عندهـــم ، ولنتبين مدى توجههم لقيمة زمان معين ، لاثر ذلك فى توجيه سلوكهم وانجازاتهم؟

جدول رقم (٧٩)

توجيهات قيم الزمـــان المفضلـــة عنـــد الصبيـــة

توجيه القيمـــة	الماضـــــــى		الحاضـــــــر		المســـــتقبل	
الموقـــف	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات
التغيير الاجتماعى	٧	١٠	٧١	٥٤	٢٢	٣٦
تغيير القريـــة	٨	٧	٢٨	٢١	٦٤	٧٢
التقدم التكنولوجى	٢	٣	٧٦	٦٤	٢٢	٣٣
م	١٧ر	٢٠ر	١ر٧٥	١ر٣٩	١ر٠٨	١ر٤١
م٢	٢١ر	٣٢ر	٣ر٨١	٢ر٨٩	١ر٩٨	٢ر٩٩
الانحراف المعيارى	٤٢ر	٥٢ر	٨٦ر	٩٦ر	٩٠ر	١ر٠٠
ت	٤٣ر		٢ر٧٤		٢ر٤٣	

وفى الموقف الاول حاولنا ان نعرف تقدير الحل لثلاثة من الصبية ، أولهم يمجـد الماضى والثانى يدعم الحاضر والثالث يؤمن بالمستقبل والتغيير . وتكشف لنا الاجابات التى حصلنا عليها عن هذا الموقف ان ٧٪ من الصبية ابناء المتفرغات تشدهم احداث الماضى فى هذا الموقف ، اما ابناء العاملات الذين يعتزون بالماضى فى هذا الموقـــف

(١) Gruvitch George : Social structure and Multiplicity of time. In Tiryakian Edward (ed.) Socological theory, values and sociocultural change. op.cit pp 174-184.

فتبلغ نسبتهم ١٠٪ • اما الصبية الذين يرتبطون بالحاضر اكثر فتبلغ نسبتهم ٧١٪ عند ابناء المتفرغات ، وتنخفض هذه النسبة الى ٥٤٪ عند ابناء العاملات • اما الاطفال الذين يثيرهم المستقبل والايمان بالتغير فتبين لنا أن ٢٢٪ من ابناء المتفرغات يتجهون الى المستقبل ،وتعلو هذه النسبة الى ٣٦٪ عند ابناء العاملات •

ويكشف لنا الموقف الثانى عن اتجاه الصبية من تغير القرية والحلول المرتبطة بأحوال القرية ؛ فنجد أن ٨٪ من ابناء المتفرغات و ٧٪ من ابناء العاملات يكرهون تغير القرية ، ويؤمنون بالتضاد بين القرية والمدينة ، وان جماهير الكادحين فى الريف يجب ان تعمل لخدمة سكان المدينة ،ويتمنون ان تعود عجلة الزمان الى الوراء لاستغلال الفلاح ، وكشفت لنا الاجابات التى حصلنا ان ٢٨٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٢١٪ من ابناء العاملات ، لا يرضون الانفصال عن الواقع الذى يعيشون فيه ، ويبدون عدم الاهتمام بمستقبل القرية • اما عن حالة القرية فى المستقبل ،فقد افصح ٦٤٪ من ابناء المتفرغات عن ايمانهم بتغير القرية وحياة افضل للفلاح ، وتعلو هذه النسبة الى ٧٢٪ عند ابناء العاملات• وهذه النظرة المستقبلية الى الريف ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الاشتراكية فى مجتمعنا ، والتى تؤكد الغاء الفوارق ذات الطابع الاجتماعى والاقتصادى بين الريف والمدينة ،وتصفية التضاد فى مستوى المعيشة بين سكان الحضر والريف والايمان بالتوزيع العادل للخدمات فى مجتمعنا •

اما الموقف الثالث فيحكى حوارا بين الجدة التى ترمز الى الماضى ، وبين حفيدة لها تؤكد الحاضر ، وبين حفيد ما الذى يتطلع الى المستقبل • فتبين لنا الاجابات التى حصلنا عليها أن ٢٪ من الصبية يشد هم حديث الجدة ، ويؤمنون عليه، ونلاحظ ان ٧٦٪ من الصبية ابناء المتفرغات يرتبطون بالحاضر ، وتهبط هذه النسبة الى ٦٤٪ عند ابناء العاملات • وقد اظهرت لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ٢٢٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالمستقبل والتغير العلمى والاجتماعى ، وترتفع هذه النسبة الى ٣٣٪ عند ابناء العاملات •

وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى باستخدام اختبار (ت) عدم وجود اختلافات اساسية بين ابناء العاملات والمتفرغات ازاء تفضيل الماضى ، بيد ان الاختبار نفسه اثبت

وجود فوارق حاسمة ازاء تفضيل الحاضر والمستقبل عندهم • فابناء المتفرغات اكثر ارتباطا بالحاضر من ابناء العاملات ، كما اثبت لنا الاختبار ان ابناء العاملات اكثر انجذابا نحو المستقبل من ابناء المتفرغات • وقد اظهر لنا استخدام اختبار (ت) عدم وجود فوارق بين توحد ابناء المتفرغات من الجنسين مع الازمنة الثلاثة ، اذ لا يدخل الجنس فى توجيه ابناء المتفرغات نحو زمان معين ، بيد ان الاختبار نفسه بين تفاوت توحد ات الذكور والاناث من ابناء العاملات مع الاتجاهات المرتبطة بالماضى ، فالذكور اشد ارتباطا بالماضى من الاناث من ابناء العاملات[1] .

وقد حاولنا ان نعرف هل يتوحد الصبية مع زمان محدد ، ام يتوحدون مع ازمنة متعددة ؟ كما هو موضح بالجدول رقم (٨٠) .

جدول رقم (٨٠)

تكرار الازمنة الثلاثة عند الصبية

توجيه القيمة	امهات متفرغات			امهات عاملات		
الموقف	الماضى	الحاضر	المستقبل	الماضى	الحاضر	المستقبل
لا يوجد	٨٥	١١	٢٧	٨٥	٢٣	٢٠
مرة	١٣	٢٠	٤٨	١١	٢٨	٣٧
مرتان	٢	٥٢	١٥	٣	٣٦	٢٥
ثلاث مرات	٠	١٧	١٠	١	١٣	١٨

كا^{2} = ١٧٤   كا^{2} = ١٠٧

وتكشف لنا البيانات المدونة فى جدول (٨٠) ان ٨٥ ٪ من الصبية من أبناء كل من المتفرغات والعاملات ينفرون من الارتباط بالمضى ، ولا يؤمن الا صبى واحد من ابناء العاملات بسيادة الماضى على الحاضر وحجبه المستقبل • وتظهر لنا الاجابات

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات من ابناء العاملات ازاء توحدهم **بالماضى** = ١ر٩٩
" " " " " " " المتفرغات " " " = ٠ر٣٨
" " " " " " " العاملات " بالحاضر = ١ر٣٢
" " " " " " " المتفرغات " " " = ٠ر٤٦
" " " " " " " العاملات " بالمستقبل = ٠ر١٧
" " " " " " " المتفرغات " " " = ٠ر٢٦

ان ١١٪ من ابناء المتفرغات لايرتبطون بالحاضر فى كل مواقفهم ، ولكنهم يترددون بين التقدم والتأخر ، ونلاحظ أن ٢٣٪ من ابناء العاملات لهم نفس التفضيل . وتوضح لنا الاجابات ان ١٧٪ من ابناء المتفرغات يعيشون فى الحاضر دوما ، اما عند ابناء العاملات فنجد أن الذين يجذبهم الحاضر كلية وتستغرقهم احداثه ، ولا تجذبهم توقعات المستقبل وغداءه ، فتبلغ نسبتهم ١٣٪ . وتوضح لنا الاجابات ان ٢٧٪ من ابناء المتفرغات لديهم نظرة تشاؤمية الى المستقبل ، فهم يرفضونه ، ولا يستطيعون عبور احداث الحاضر الى المستقبل . اما ابناء العاملات فنجد ان الصبية الذين لا يتطلعون الى المستقبل تبلغ نسبتهم ٢٠٪ ، ونجد أن ١٠٪ من ابناء المتفرغات يأملون فى المستقبل ، ولا يرتبطون بالماضى ، وينفصلون عن الحاضر . وترتفع نسبة هؤلاء الى ١٨٪ عند ابناء العاملات ، وهؤلاء يؤمنون بالاستمرار والممكن والاقدام والتطلعات والاختراعات وتنظيم الوقت بدلا من ضياعه .

ويكشف لنا تحليل البيانات الموضحة فى جدول رقم (٨٠) واستخدام التحليل الاحصائى (اختبار كا ٢) ان الازمنة الثلاثة تتداخل فى تكوين الشخصية عند أغلب الصبية ، ويتبين لنا ان الماضى عنصر يدخل ضمن الازمنة المكونة لعناصر الشخصية ، لكن الحاضر والمستقبل يتداخلان بقوة فى تكوين الاتجاهات الزمانية فى شخصية الصبى ، فالصبى يعرف فى البداية الحاضر ثم المستقبل واخيرا الماضى (١) . وهذا التعدد فى الاتجاهات الزمانية يؤكد لنا ان كل اتجاه يرتبط بجانب معين من جوانب حياة الصبى ، وليست توجيهات الزمان المفضلة والمدمجة فى شخصية الصبى عناصر ثابتة وراسخة وجامدة ، بل هى عناصر متغيرة تتغير بتغير العمر والوظيفة والظروف الاخرى (٢) .

وتبين لنا الاجابات التى حصلنا عليها من الامهات عن اساليب التربية والتوجيه الى زمان معين تأثير هذه الاساليب فى توجيه الابناء نحو سلوك معين ووجود ارتباط بين اساليب الامهات المتفرغات وتوجيه أبنائهن الى الماضى (ر = ٠,٣٩) . كذلك

---

(١) Hurlock, B. Elizabth : Child development 3th. New York MeGraw Hill, 1956 p. 388.

(٢) Walter Fiery : Conditions for the realization of values remote in time : In Tiryakian, Edward(ed.): Sociological theory values and sociocultural op.cit p.p. 147-159.

يتكشف لنا عدم وجود ارتباط بين اساليب الامهات وفى غرس قيم المستقبل (ر= ١٧٢ر٠) ، ومن ثم فة ربية الامهات لابنائهن ازاء تفضيل زمان معين ليست طوع اغراضهن ، اما النظرة الى العلاقة بين اساليب الامهات العاملات فى التوجيه نحو زمان معين وتوجيهـات الزمان المفضلة عند الصبية فضئيلة ، اذ تبين لنا ان تأثير الامهات فى توجيه الابنـاء الى الماضى ضعيف (ر = ٥١ر٠) ، كذلك تبين لنا ان تأثير الامهات فى توجيـه الابناء الى المستقبل تأثير قاصر (ر = ٦١ر٠) •

وقد قال الصبية فى تبرير اختيارهم لزمان معين ، الاقوال الاتية التى تعبر عـن الدوافع العامة لتفضيل زمان معين على آخر ، وتناقض مفاهيم الصبية للازمنة المختلفـة :

- " المستقبل فى علم الغيب "
- " المستقبل يعنى التقدم العلمى "
- " العالم يتقدم كل سنة "
- " لا يجب أن نقف بالحاضر، بل يجب ان نسعى الى المستقبل "

وتدل لنا هذه التبريرات تباين التفسيرات التى تحدد اسباب اختيار زمان دون آخر ، وتكشف لنا هذه التبريرات اسباب تعدد الازمنة المتوحدة مع الشخصية •

أما عن اثر التوافق بين مكونات الدور عند الام وتوجيهات الزمان المفضلة عند الصبية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر عن اثر الصراع بين مطالب الادوار وتفضيلات الابنـاء لزمان معين ، فقد اثبت لنا تحليل البيانات الاحصائية انعدام الصلة بين الصـراع الذى تعانيه الامهات نتيجة تعارض مطالب الادوار المختلفة وتوجيهات ابنائها نحـو زمان معين • فقد اثبت لنا التحليل الاحصائى ان التنافر بين مكونات دور الام المتفرغة له اثره فى توجيهات ابنها نحو زمان معين •

وتكشف لنا الموضحة فى جدول رقم (٨١) ان ٢٤٪ من الامهات المتفرغـات يعانين من الصراع نتيجـة تنافر مكونات دور الأم ، ونلاحظ أن نصف ابناء هؤلاء تقريبـا يتجهون نحو الحاضر ، والنصف الآخر يتجه نحو المستقبل ، اما الامهات اللاتى لا يعانين

جدول رقـــم (٨٢)
حالة التوافق بين مكونات دور الام المتفرغة وتوجيهات ابنائها
نحو زمـــان مفضـــل

توجيه القيمة / الحالـــة	الماضـــى	الحاضـــر	المستقبـــل	المجمـــوع
صـــراع	١	٣٤	٣٧	٧٢
عدم الشعور بالصراع	١٦	١٤١	٧١	٢٢٨
المجموع	١٧	١٧٥	١٠٨	٣٠٠

من الصراع فالحال يختلف ، اذ نجد أن ٣٢٪ من ابناء هؤلاء يرتبطون بالمستقبـــل ، وتعلو نسبة الذين يتجهون نحو الحاضر ويرتبطون به الى ٥٧٪ ، بينما لا نجد الا ٨ ٪ من الصبية يتجهون الى الماضى •

ويمكن لنا أن نخص هذه الدراسة عن تفضيلات الصبية لزمان معين أن ابنـــاء المتفرغات اكثر ارتباطا بالحضر من ابناء العاملات ، اما ابناء العاملات فاكثر اتجاهـا نحو المستقبل ، ويكره الجميع الماضى وينفرون منه • كذلك تكشف لنا الدراسة عـــن وجود اتجاه يؤمن بالتغيير وخاصة التغير فى القرية ، وتحطيم الفوارق بين القرية والمدينة، والتطلع الى المستقبل •

تاسعا : مفهوم الحرية الانسانية : (حرية جماعية ــ حرية فردية ــ خنوع)

فى مرحلة النضال الوطنى فى المجتمعات النامية يرفع شعار الحرية ، وتسترخص الانفس فى سبيل تحقيق هذا المبدأ الانسانى من اجل تحقيق حرية الشعب والافـــراد ، وانتهاء عهد استغلال الانسان للانسان • فالحرية تعنى ازدياد التوافق الاجتماعـــى ، وكلما قل التوافق الاجتماعى ، ازدادت فرص عدم المساواة فى الحرية ، وصار الافـــراد سجناء فى ادوارهم ، ومن ثم فتكافؤ الفرص فى مجالات النشاط المختلفة هو معيار التكامل فى العلاقات الاجتماعية وتحقيق الحرية •

وقد حاولنا فى دراستنا الميدانية ان نعرف توجهات الصبية عن مفاهيم الحريـــة ،

وعل تحقق هذه المفاهيم المتوحدة التناقض الاجتماعى الشامل لروابط الصبى مع المجتمع ام ان الصبى يتنازل عن حريته من اجل تحقيق طمأنينته ، وذلك فى مواقف متعـــددة كما هو موضح بالجدول رقم (٨٣) •

جدول رقم (٨٣)
توجيهات قيم الحرية المفضلة عند الصبية

توجيه القيمة	حرية اجتماعية		حرية فردية		خضوع	
الموقف	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
حرية الاختيار	٣٨	٤٦	٣	٣	٥٩	٥١
حرية الفصل الشخصى	٧١	٨٨	٢٧	١١	٢	١
حرية اهل القرية	٧٠	٨٦	١١	٦	١٩	٨
م	١ر٧٩	٢ر٢٠	٠ر٤١	ر٢٠	ر٨٠	ر٦٠
م٢	٤ر٠٤	٥ر٤٦	٩ر٤٠	٦ر٢٠	١ر٠٦	ر٧٨
الانحراف المعيارى	ر٨٩	ر٧٨	ر٥٦	ر٤٦	ر٦٤	ر٦٤
ت	٣ر٤١		٢ر٨٣		٢ر١٧	

وفى الموقف الاول حاولنا ان نعرف توجيهات الابناء نحو معانى الحرية عند اختيار رئيس الفصل ، فتكشف لنا الدراسة ان ٣٨٪ من ابناء المتفرغات يؤكدون حرية تلاميـــذ الفصل فى اختيار زميل لهم يلوب عنهم ، وترتفع هذه النسبة الى ٤٦٪ بين ابنـــاء العاملات ، ونلاحظ ان ٣٪ من ابناء العاملات والمتفرغات يحكم سلوكهم القيم الـــتى تؤكد الحرية الشخصية ، ونلاحظ أن ٥١٪ من ابناء العاملات يتنازلون عن حريتهم فـــى اختيار رئيس الفصل ، ويسلمون بهذا الحق الى المعلمة ، وترتفع هذه النسبة الى ٥٩٪ عند ابناء المتفرغات الذين يؤثرون المعلمة فى اختيار رئيس الفصل ، مما يظهر لنا أن كثيرا من الصبية تعودوا على عدم ابداء الرأى السليم والمشاركة فى اتخاذ القرار ، ولا يمارسون حق اختيار من يمثلهم ، ولكن المعلمة تفرض عليهم من ترغب •

اما عن موقف الصبى اذا تعارض سلوكه مع مصالح الآخرين ، فظهر ان ٢٧٪ مـــن ابناء المتفرغات يؤمنون بالحرية الشخصية فى الفصل والعمل ، وتهبط هذه النسبة الى ١١٪

عند ابناء العاملات ، وقد افصح طفلان من ابناء المتفرغات وطفل من ابناء العاملات عن اهمية الخضوع للجماعة ورفضهم لمفهوم الحرية ، اما ربط حرية الشخص بحرية الجماعة فقد افصح ٧١٪ من ابناء المتفرغات عن ارتباط سلوكهم بالجماعة وان حريتهم لا تعنى الاباحية والخروج على النظام ، وترتفع نسبة هؤلاء عند ابناء العاملات الى ٨٦٪ .

اما فى الموقف الذى تثار فيه مشكلة الحرية بمعناها الواسع وحرية الجماعات وعدم استغلالها وكراهية اعمال القهر والاستغلال ، فقد اظهر البحث أن ١٩٪ من الصبية ابناء المتفرغات لا يؤمنون بحرية الجماعات ، وتهبط هذه النسبة الى ٨ ٪ عند ابناء العاملات ، مما يدل على انفصال هذه الفئة عن الواقع الاجتماعى ، وتوحدهم مع قيم سلبية انهزامية . كما تبين لنا الدراسة أن ١١٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بالحرية الشخصية ، وانفصال الحرية الشخصية عن حرية الجماعة ، وتهبط هذه النسبة الى ٦ ٪ عند ابناء العاملات .

اما عن الايمان بالحرية الجماعية والربط بين حرية الشخص وحرية الجماعة كتعبير عن التوافق فى البناء فظهر لنا أن ٧٠٪ من ابناء المتفرغات يؤكدون حق الثورة ضد قمع الحريات ، وترتفع هذه النسبة الى ٨٦٪ عند ابناء العاملات .

وقد قال الصبية فى اختيارهم للحل المفضل فى المواقف بعض الآراء التى تكشف عن التوجيهات المفضلة لمفهوم الحرية عندهم .

الاتجاه الأول : "الابله تصرف احسن "
"الصمد حر "
الاتجاه الثانى : "التلاميذ يختارون لانهم يعرفون زملائهم اكثر من الابله "
"اختيار الابله سيؤدى الى نفاق التلاميذ "
الاتجاه الثالث: "الحرية ليست ازعاجا للآخرين "
"انه حر ، ولكن يجب ان يحترم حرية الآخرين "
"الاستغلال يعطل الانتاج "
"الناس يجب ان تعيش حرة "

وتكشف لنا هذه التحليلات عن وجود افكار وليدة لدى التلاميذ من الصبية تؤكــــد الحرية الجماعية وانجذاب التلاميذ اليها وكراهيتهم لسياسة القمع ، ووعى بعض التلاميـذ بأن سياسة التسلط تولد اخلاق النفاق •

اما عن الاتفاق والاختلاف بين ابناء العاملات والمتفرغات في هذا الطور من السـن ازاء تفضيل التوجيهات المتباينة للحرية ، فيكشف لنا اختبار (ت) عن وجود فروق ذات دلالة بين ابناء العاملات والمتفرغات ازاء التوجيهات المفضلة • فابناء العاملات أكثـــر انجذابا الى توجيهات قيم الحرية الجماعية من ابناء المتفرغات ، كما ان ابناء المتفرغـات تستقطبهم الحرية الشخصية ومفاهيم التسلط اكثر من ابناء العاملات • وقد اثبت لنـــا نفس الاختبار عدم وجود فروق ذات دلالة بين البنين والبنات في هذا الطور من النمــو ازاء تفضيل معنى للحرية ورفض للآخر (١) •

وقد اثبت لنا اختبار (كا ٢) عدم وجود علاقة بين حالات التوافق بين مكونــات الدور وتوجيهات الابن المفضلة نحو الحرية ، وايضا انعدام الصلة بين مطالب الأدوار التى تلتزم بها الامهات وتوجيهات الابناء نحو مفهوم معين للحرية •

ولكن هل يتوحد الصبية مع مفهوما واحدا من مفاهيم الحرية ، ام تتعدد مفاهيمهم عن الحرية كتعبير عن حالة التغير البنائى ؟ •

يكشف لنا تكرار مفاهيم الحرية عند ابناء العاملات والمتفرغات كما هو موضح بالجدول رقم (٨٤) تنافر معانى الحرية المدمجة فى شخصيات الصبية تنافرا واضحا • وتظهر لنــا الاجابات ان ٩٪ من الصبية ابناء المتفرغات لا تستميلهم الحرية الجماعية ، ويتمـــيز سلوكهم بالارتباط مع القيم التى تعبر عن الحرية الفردية او الخنوع ، كما يتضح لنـــا ان ٢٣٪ من ابناء المتفرغات يسم سلوكهم الايمان بالحرية الجماعية فى كل المواقف ، أما عند ابناء العاملات فنجد أن ٢٪ منهم يستبعدون القيم التى تؤكد الحرية الجماعيـــة ،

---

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات من ابناء المتفرغات ازاء تفضيلهم للحرية الجماعية = ٠ر٩٠

" " " " " " " " العاملات " " " = ١ر٠٦

" " " " " " " " المتفرغات " " " الفردية = ٠ر٥٧

" " " " " " " " العاملات " " " = ٠ر٢٣

" " " " " " " " المتفرغات " " الخنـــوع = ٠ر٢١

" " " " " " " " العاملات " " = ١ر٠٤

كما نجد ٤٠٪ منهم يطابق سلوكهم الايمان بالقيم التى تؤكد الحرية الجماعية فى كل المواقف •

جدول رقم (٨٤)

تكرار توجيهات قيم الحرية عند الصبية

توجيه القيمة	حرية جماعية		حرية فردية		خنوع	
التكرار	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات	ابناء متفرغات	ابناء عاملات
لا يوجد	٩	٣	٦٣	٨٣	٣٣	٤٨
مرة	٢٦	١٤	٣٣	١٤	٥٤	٤٥
مرتان	٤٢	٤٣	٤	٣	١٣	٦
ثلاث مرات	٢٣	٤٠	٠	٠	٠	١

($كا^2$) بين ابناء المتفرغات = ١٣٦

($كا^2$) بين ابناء العاملات = ٢٣١

ويوضح لنا الجدول رقم (٨٤) ان ٦٢٪ من ابناء المتفرغات لا يؤمنون البتة بالقيم التى تؤكد الحرية الشخصية على حساب الجماعة ، كما لا نجد بينهم صبيا واحدا من أبناء العاملات والمتفرغات يحكم سلوكه القيم التى تؤكد الحرية الشخصية فى جميع المواقف • أما عند ابناء العاملات فنجد ٨٣٪ منهم ينبذون القيم التى تؤكد الحرية الشخصية فى كل المواقف ، اما عن الايمان بالقهر والتسلط فان ٣٢٪ من ابناء المتفرغات يكرهون هذا السلوك، وترتفع هذه النسبة الى ٤٨٪ عند ابناء العاملات ، كما نلاحظ ان معظم الصبية يحجزون عن ابداء الرأى امام المعلمة مما يكشف لنا ان اساليب التعليم فى مدارسنا لاتنمى عند التلاميذ حرية الرأى والمشاركة الجماعية بقدر ما تؤيد نزعات الانسان الى ممارسة الحرية• ويظهر لنا الجدول تعدد مفاهيم الحرية المدمجة فى شخصيات كثير من الصبية ابناء العاملات والمتفرغات • فنجد ٥٩٪ من ابناء العاملات يعانون من تضارب القيم حول معنى الحرية ويتوحدون مع معان متنافرة للحرية • وترتفع نسبة ابناء المتفرغات الذين يعانون من تضارب المعانى المتوحدة بشخصياتهم عن الحرية الى ٧٧٪ • ويكشف لنا تعدد التوجيهات المفضلة للحرية عن عدم وضوح المعانى المختلفة للحرية عند الصبية والاشخاص الملتزمين بتربيتهم فى البيت والمدرسة •

ولكن هل تفضيل الابناء للحرية الجماعية محصلة التربية الاسرية ، أم نتيجة تأثير

انسان اجتماعية أخرى . ويثبت لنا تحليل البيانات عدم وجود ارتباط بين أساليب الامومة عند المتفرغات التي توجه الابناء نحو الحرية الجماعية ، وبين تفضيلات ابنائهن للحرية الجماعية (ر = ١٢٩ر٠) ، كذلك اثبت لنا التحليل الاحصائي نفس النتيجة عند ابناء العاملات (ر = ٠٧٩ر٠) . وهذه الظاهرة طبيعية في مجتمع متغير . فالام اقل الناس اهتماما بموضوعات السياسة ، واصبحت مفاهيمها لا تقنع صبيا متفتحا قادرا على المناقشة يعرف باستمرار من خلال اجهزة متعددة الكثير عن حريات الشعوب وثوراتهم ويطالع في الصحف والمجلات الانباء اليومية عن تضحيات الافراد بأنفسهم في سبيل الجماعة .

ومما لا شك فيه ان توجيه الابن للتوحد مع معنى محدد من معاني الحرية يؤثر في سلوكه ويطبعه بطابع معين ، ويؤثر توحده مع معان مختلفة للحرية على عدم استقرار سلوكه . ويؤدي توحد الصبية مع القيم التي تؤكد الحرية الجماعية الى ايمانهم بالمساواة بين أعضاء النسق والتكامل بين الشخصية والبناء وتضافر الجهود وانسجام العمليات الاجتماعية ، وشعور المرء أن قدراته ومعارفه ترتبط مع قدرات ومعارف اعضاء النسق ، اما التوحد مع القيم المرتبطة بالقهر والسيادة فتساعد على خلق الشخصيات المنقادة ، وتكوين سمات الخضوع ، وضيق الافق والاستسلام والاتكالية . أما توحد الابناء مع القيم التي تؤكد الحرية الشخصية فيساعد على تغليب المصالح الشخصية على مصالح الجماعة .

والآن وبعد أن شرحنا توجيهات الصبية نحو بعض القيم المتغيرة والسائدة نتساءل عن موقف الصبية من المشكلات التي تثار في حلولها القيم التي ترتبط بالدين والعلم .

عاشرا : علاقة الانسان بالكون : (الخضوع ـ السيطرة ـ الانسجام)

تتباين علاقة الاشخاص مع الكون ، فهناك اشخاص يؤمنون بالسيطرة الكاملة للكون على مقدرات الافراد ، ويؤمن هؤلاء بالتواكل والاعتقاد بالقوى الخارجية عن الشخص والشعور بالعجز المطلق امام الظروف الغيبية ، وان الانسان تحكم ظروفه واحواله ظروفا فوق ارادته ومشيئته . كذلك يشعر بعض الاشخاص بالتوافق والاحساس بالتقارب بين القيم الدينية والقيم العلمية ، وان الانسان والعالم يكمل كل منهما الآخر ، وان الانسان يكون مع العالم كلا متجانسا ، وان كلا منهما امتداد للآخر ، كما ان كليهما محتاج للآخر

ويعتمد عليه • وهناك اتجاه ثالث فى علاقة الانسان بالكون ، ويؤكد ارادة الانســــان المطلقة وايجابيته قدرة الانسان على قهر الظروف الخارجية والسيطرة عليها بقدر ما يبــذل من جهد وطاقــة •

وهذه التوجيهات عن علاقات الانسان بالكون تعبر عن ثقافات مجتمعات كثـــيرة متباينة ، وقد حاولنا فى دراستنا الميدانية ان نعرف توجهات الصبية من القيم الـــتى تؤكد التواكل والسلبية ، أو القيم التى تؤكد الايجابية والسيطرة ، أو القيم التى تؤكـــد ان العلاقة بين الانسان والكون علاقة علية • ولذا سردنا على الصبية بعض المشـــكلات التى تتضمن حلولها التوجيهات الثلاثة لعلاقة الانسان بالكون لنعرف الحلول المفضلـــة عنده •

جدول رقم (٨٥)

توجيهات قيم الابناء ازاء المشكلات التى تتعلق بعلاقة الانسان بالكون

توجيه القيمــــــــة	الخضوع للكـــــون		السيطرة على الكون		الانسجام بين الانسان والعالم	
الموقـــــــف	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات	ابنـــاء متفرغات	ابنـــاء عاملات
جماعة ضلت الطريق	٤٢	٢٢	٢٣	٥٠	٣٥	٢٨
تقييم نشاط المزارعين	٣٠	١٤	١٠	١٦	٦٠	٧٠
ظروف البحر والصيد	٤١	٢٤	٧	٩	٥٢	٦٧
امكان السيطرة على الصحراء	٢٠	١٠	١٥	٢٣	٦٥	٦٧
التواكل ام الاجتهاد	٢٠	٤	١٣	٢٨	٦٨	٦٨
م	١ر٥٣	٠ر٧٤	٠ر٦٧	١ر٢٦	٢ر٨٠	٣ر٠٠
م٢	٤ر١١	١ر٥٠	١ر٣٥	٣ر٠٤	٩ر٥٨	١٠ر٥٤
الانحراف المعيارى	١ر٣٣	٠ر٩٦	٠ر٩٤	١ر٢١	١ر٣١	١ر٢٤
ت	٤ر٧٦		٣ر٨٢		١ر٠٩	

ويعبر الموقف الأول الحلول المفضلة عند الصبية إذا ضلت مجموعة من الناس فـــى الصحراء • فتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان ٤٢٪ من ابناء المتفرغـــــات

يستسلمون للظروف المحيطة بهم ، كما يتكشف لنا ان ٢٢٪ من ابناء العاملات لهم نفس الاتجاه ، ويتضح لنا من الاجابات المبينة بالجدول رقم (٨٥) ان ٢٣٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بقدرتهم على العمل وتغيير الظروف التى انساقوا اليها خوفا من الهلاك ، وترتفع نسبة الذين لا يقهرهم الموقف ويحاولون السيطرة عليه الى ٥٠٪ عند ابناء العاملات . أما الصبية الذين يؤمنون بالتكامل مع الطبيعة فنجد ٣٥٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ٢٨٪ من ابناء العاملات يؤمنون بالعلاقة العلية مع الكون ، ويعقد رتهم التكيف مع احداث الكون ، ومن ثم قهر الواقع الذى يحيط بهم .

وفى الموقف الثانى واجه الصبية موقفا يقيم فيه مجموعة من المزارعين نشاطهم ، فافصح ٣٠٪ من الصبية ابناء المتفرغات عن ايمانهم بالاتجاه السلبى الاتكالى الذى يؤكد الخضوع الكلى للكون والعالم ، وانه لا فضل للانسان فى تقرير نوه حياته الحاضرة ، ولكن تهبط هذه النسبة الى ١٤٪ عند ابناء العاملات . اما عن الايمان بالسيطرة الكلية على الكون واخضاعه لسيطرة الانسان بالجهد والجد والتعب والايمان بان الانسان هو صانع مصيره ، فنجد ان ١٠٪ من ابناء المتفرغات وكذلك ١٦٪ من ابناء العاملات يوجهون علاقاتهم مع الكون نحو هذا الاتجاه ، اما عن الايمان بالتكامل بين القوى الخارجية والانسان ، وأن الانسان عاجز وهو منفرد ا ، لا يقدر على شىء ، وان القوى الخارجية لا تمنح الكسالى شيئا ، وان الانسان بمقدار ما يبذل من جهد تساعده الطبيعة ، فنلاحظ أن ٦٦٪ من ابناء المتفرغات يؤيدون هذا الاتجاه ، وتعلو هذه النسبة الى ٧٠٪ عند ابناء العاملات .

اما اذا واجه الصبى موقفا يتنافس فيه مع مجموعة من الصيادين ظروف البحر والصيد ، فنجد ان ٤١٪ من الصبية من ابناء المتفرغات يؤمنون بأن الظروف الخارجية أقوى من الصيادين ، وانه لا قدرة للانسان عليها . وتدنو هذه النسبة من ٢٤٪ عند ابناء العاملات . أما القدرة على قهر الطبيعة والتغلب عليها فى هذا الموقف ، فنجد أن ٧٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بقدرة الانسان على السيطرة على البحر وعواصفه ، وترتفع هذه النسبة الى ٧٪ عند ابناء العاملات . اما الايمان بأن الانسان فى حاجة الى القوى الخارجية لتحقيق نجاحه والحصول على صيد وفير وقهر العواصف والانواء ، وانه بدون التوفيق الالهى لن يحقق شيئا ، فنجد أن ٥٢٪ من ابناء المتفرغات يوافقون على

هذا الاتجاه ، وتعلو هذه النسبة الى ٦٧٪ عند ابناء العاملات •

وفى الموقف الرابع واجه الصبية موقفا يتناقش فيه التلاميذ عن أهمية الامطار لبعث الحياة فى الصحراء• فاجاب ٢٠٪ من الصبية ابناء المتفرغات انهم يؤيدون الرأى القائل بخضوع اهل الصحراء الكامل للظروف الجوية ، وانه لا قدرة للانسان على التغلب على هذه الظروف ،ويدون الامطار تصير الصحراء جرداء • اما عن ابناء العاملات فتهبط النسبة الى ١٠٪ • وقد ابانت الاجابات فى هذا الموقف ان ١٥٪ من ابناء المتفرغات يؤمنون بقدرة الانسان الكاملة على قهر الظروف الطبيعية فى الصحراء ، واستغلال الطاقة الانسانية المطلقة فى التغلب على الظروف البيئية الصعبة وتعمير الصحراء• اما عند أبناء العاملات فترتفع النسبة الى ٢٢٪ • اما نسبة الصبية الذين يؤمنون بان قدرة الانسان محدودة ،وانه يحتاج الى التوفيق الالهى ومساعدة الطبيعة لكى ينجح ،فنجد أن ما يقرب من ثلثى العينة من ابناء العاملات والمتفرغات يؤكدون هذا الاتجاه •

اما الموقف الاخير فيكشف لنا مدى الايمان بالتواكل والقدرية فى تصريف شئون الانسان او قدرته الكاملة على تحقيق مطالبه ، او التكامل بين الظروف البيئية ومطالب الانسان • وقد تجسم هذا الموقف فى سؤال عن تفسير اسباب النجاح فى الامتحان ، فأوضحت لنا الاجابات ان ٢٠٪ من الصبية ابناء المتفرغات يؤمنون بأن النجاح أو الفشل تحكمه الظروف الالهية ، ولكن تدنو هذه النسبة من ٤٪ عند ابناء العاملات • أما الصبية الذين يؤمنون بقدرة الانسان على تحقيق اعداده بقدر ما يبذل من جهد ،فتبلغ ١٢٪ عند ابناء العاملات ، وتعلو هذه النسبة الى ٢٨٪ عند ابناء العاملات ، كما توضح لنا الاجابات ان ما يقرب من ثلثى اعضاء العينة يرجعون النجاح الى ما يبذل من جهد والتوفيق الالهى فى الوقت نفسه •

وتظهر لنا الاجابات التى حصلنا عليها ان التواكل المطلق على الظروف الخارجية ظاهرة بدأت فى الضمور فى مجتمع الصبية ، كذلك تكشف لنا ان الايمان المطلق بقدرة الانسان على احداث التغيير قيمة نادرة ، ولاشك ان انبلاج هذه القيم وتحكمها فى سلوك الافراد انما يعتمد على التقدم العلمى وايمان الافراد بالمنهج العلمى كأسلوب فى التفكير • فتوحد الصبية مع هذه القيم نادرا ما يحدث الا اذا توفر

المناخ العلمى فى البيت والمدرسة • أما الايمان بالتكامل بين الانسان والكون — أو ما نستطيع ان نسميه التقارب بين العلم والدين — فهى القيم السائدة والغالبة عند الصبية• ويعبر عن ذلك ان الصبية بقدرما عجزوا عن تبرير سلوكهم ازاء الاتجاهين الاخرين ، فقد نجحوا فى تبرير اختيارهم للاتجاه الذى يؤكد ان الانسان يؤلف مع العالم كلا متكاملا •

ومن امثلة هذه التبريرات التى تؤكد الاتجاه التكاملى بين الانسان والكون التبريرات الاتية :

- " نحن نعمل والله يساعدنا "
- " الله هو الذى خلق الكون وهو يوفقنا "
- " ان الله يكافئ من يعمل ويجتهد " •

كما تكشف لنا دراسة علاقة الانسان بالكون عن وجود اتجاه يؤمن بالتصنيع كوسيلة لتغيير المجتمع ورفع مستوى المعيشة ، وعدم التواكل والتكامل والاعتماد على الطبيعة وحدها ، وأيضا وجود اتجاه دينى قوى عند بعض الصبية يؤكد الايمان بالله كقوة ذات سلطة على مصير الانسان ، أما الاتجاه الغالب وهو الايمان بالتكامل بين الانسان والكون ، فاتجاه لا يعنى التواكلية والاستسلام ، ولكنه يعنى الانسجام بين الانسان والعالم ، وتوحد الصبى مع القيم العلمية والدينية فى بوتقة واحدة داخل الشخصية يؤكد ان الايمان بالعلم لا ينفصل عن الايمان بالدين ، وان التفكير الدينى لا يستبعد التفكير العلمى •

وقد اثبت لنا تحليل البيانات باستخدام اختبار (ت) وجود تفاوت بين ابناء العاملات والمتفرغات ازاء القيم التى تحكم علاقاتهم بالعالم ، فابناء العاملات اكثر ايمانا بالقيم التى تؤكد غلبة الانسان على الكون ، وقدرته النسبية على تطوير العالم وتغييره ، أما ابناء المتفرغات فأكثر توحدا مع القيم التى تؤكد التواكل والخضوع وعجز الانسان عن احداث التغيير فى العالم الخارجى ، كذلك فابناء المتفرغات أكثر قبولا للقيم التى تؤكد سلب ارادة الانسان وعجزه عن التغيير•

وقد اثبت لنا تحليل البيانات التى حصلنا عليها عدم وجود اختلاف بين الجنسين

من الصبية والصبيات ازاء توحدهم مع القيم التى تحدد موقفهم من الكون ، فالجنس ليس عاملا يتوحد الصبية مع قيم السيطرة او الخضوع او التكامل مع الكون [1] .

ونرى ان الصبية اكثر تهافتا على القيم التى تؤكد علاقة الانسجام والتكامل بين الانسان والكون ، وهذا يعنى قوة الشعور الدينى والايمان بالتفكير العلمى فى نفس الوقت ، ولا تعنى ابدا وجود اعراض طفلية تؤكد الارتداد عن الموقف ، والهروب منه . فان الوجود الدينــى حقيقة لا ريب فيها عند الصبية ، وان القيم الدينية تكون مع القيم العلمية سلوك الصــبى واتجاهاته فى الموقف ، وتحدد علاقاته مع الآخرين .

ولكن هل كل الصبية يتوحدون من نوع واحد من القيم التى تكشف علاقة الانسان بالكون ، أم يتوحدون مع قيم متعددة متنافرة ؟ .

جدول رقم (٨٦)

تكرار القيم المفضلة ازاء علاقة الصبى بالكون

توجيه القيمة	ابناء امهات متفرغات			ابناء امهات عاملات		
الموقف	خضوع	سيطرة	انسجام	خضوع	سيطرة	انسجام
لا يوجد	٣٠	٥٧	٧	٥٣	٣٥	٣
مرة	٢٢	٢٧	٧	٢٨	٢٥	٦
مرتان	٢٢	١٠	٢٨	١٤	٢٤	٤٩
ثلاث مرات	١٩	٤	٢٣	٢	١٢	٢٤
اربع مرات	٥	٢	٢٧	٣	١	٢٦
خمس مرات	٢	٠	٨	٠	٢	١٣

كا٢ = ١١٦   كا٢ = ١٣٦

وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى ان معظم الصبية يتوحدون مع قيم متعددة تحكم علاقة الانسان بالكون ، اذ اثبت لنا التحليل للبيانات ان ١٠ ٪ من ابناء المتفرغات تدمج

(١) دلالة الفروق بين الصبية والصبيات ابناء المتفرغات ازاء توحدهم مع قيم الخضوع = ٣٧ر٠
" " " " " " " العاملات " " " " " = ١٩ر٠
" " " " " " " المتفرغات " " " " السيطرة = ٢٣ر١
" " " " " " " العاملات " " " " " = ٨٢ر٠
" " " " " " " المتفرغات " " " " الانسجام = ١٧ر١
" " " " " " " العاملات " " " " " = ٦٤ر٠

فى شخصياتهم نوعا واحدا من القيم تؤكد علاقة الانسان بالكون ، وتعلو هذه النسبة الى ١٦٪ عند ابناء العاملات • وقد اثبت لنا تحليل البيانات تنافر القيم المدمجة فى شخصيات الصبية التى تحدد علاقاتهم بالكون ، فنجد ٢٠٪ من الصبية ابناء المتفرغات يستبعدون القيم التى تؤكد الخضوع المطلق للطبيعة من كل المواقف ، بيد أننا نجد صبيين من نفس العينة يخضعون تماما فى كل المواقف للظروف الخارجية ، ولا يؤمنون بقدرة الانسان على التغيير والسيطرة ، او حتى الانسجام والتكامل مع العالم • اما عند ابناء العاملات فنجد ٥٣٪ منهم لا يؤمنون بالقيم التى تدعو الى خضوع الانسان الكلى للعالم ، ومن ثم تواكله وسلبيته واعتماده الكلى والمطلق على الظروف الخارجية • ولا نجد ضمن العينة صبيا من ابناء العاملات يحكم سلوكه فى كل الظروف القيم التواكلية • اما عن القيم التى تؤكد علاقة السيطرة على الطبيعة ، فنجد ٥٧٪ من ابناء المتفرغات لا يعتقدون فى ذلك كلية ، ويشاركهم فى ذلك الاعتقاد ٣٥٪ من ابناء العاملات • اما عن السيطرة الكاملة للانسان على الطبيعة فلا يؤمن بها صبى واحد من ابناء المتفرغات ، بينما يؤمن بها زميلان له من ابناء العاملات •

أما عن التكامل مع العالم الخارجى فتظهر لنا الاجابات ان ٧٪ من ابناء المتفرغات لا يؤمنون بامكانية تحقيق هذا التكامل ، ويشاركهم فى هذا الرأى ثلاثة من ابناء العاملات ، كما يكشف لنا نفس الجدول ان ١٢٪ من ابناء العاملات يؤمنون بالتكامل فى جميع المواقف بين الانسان والعالم ، وتنخفض هذه النسبة الى ٨٪ عند ابناء المتفرغات • وتثبت لنا النظرة الفاحصة الى الجدول رقم (٦٨) ان علاقة الصبية بالعالم لا تحددها قيم واضحة محددة متبلورة • فالصبية يتوحدون مع مجموعة متباينة من القيم التى تحدد علاقاتهم مع العالم الخارجى •

وقد اثبت لنا تحليل الاجابات التى حصلنا عليها من ابناء العاملات والمتفرغات والتى تكشف عن تأثير الامهات على الابناء فى النظرة الى العالم وتكوين القيم الايجابية او التواكلية ، ان ابناء المتفرغات اكثر ارتباطا وتأثرا باساليب امهاتهن ازاء الخضوع الى الكون •(ر= ٢٤٨ر•) ، اما ابناء العاملات فلا يرتبطون بمفاهيم الامهات ازاء علاقة الخضوع للكون (ر = ١٩•ر•) •

اما عن الفرض القائل بأن حالة التوافق بين مكونات الدور ، او الاعتدال الذى لا مفر منه بين مطالب الادوار الاجتماعية تؤثر فى قبول الصبية لقيم معينة تحدد علاقاتهم بالعالم ، فقد اثبت لنا البحث الميدانى ان حالة التنافر بين مكونات دور الام المتفرغة تؤثر فى تفضيلات ابنها للقيم التى تحدد علاقة التكامل بين الانسان والكون •

جدول رقم (٨٧)

الصراع بين مكونات دور الام المتفرغة والعلاقة مع الكون عند الصبيـــة

توجيه القيمة / الحالة	الخضوع	السيطرة	التكامل	المجموع
الصراع	١٦	٢١	٨٠	١٢٠
عدم الشعور بالصراع	١٢٤	٤٦	٢٠٠	٣٨٠
المجموع	١٥٣	٦٧	٢٨٠	٥٠٠

كا^{2} = ١٦ر٤٤٠٢٩

وتبين لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق أن ما يقرب من ثلثى ابنـــاء اللاتى يعانين من الصراع نتيجة تنافر مكونات دور الام يتوحدون مع القيم التى تؤكـــد التكامل بين الانسان والكون • بينما نجد ان حوالى نصف ابناء اللاتى لا يعانين مـــن الصراع يتجهون نحو القيم التى تؤكد علاقة التكامل بين الانسان والكون • كذلك نجـــد ان ١٥٪ من ابناء اللاتى يعانين من الصراع يرتبطون بالقيم التى تؤكد خضوع الانسان للعالم ، بينما ترتفع نسبة هولاء الذين يؤمنون بخضوع الانسان للعالم عند ابناء اللاتى لا يعانين من الصراع الى ٣٥٪ •

وقد اثبت لنا التحليل الاحصائى كما هو موضح فى الجدول رقم (٨٨) وجـــود اعتماد متبادل بين التنافر الحادث بين مكونات الدور المهنى للامهات العاملات مـــع توجيهات قيم الابناء المفضلة عن علاقاتهم مع الكون •

وتؤكد لنا البيانات الموضحة بالجدول رقم (٨٨) ان ٢١٪ من العاملات يعانين من الصراع بين مكونات الدور المهنى ، بينما لا تعانى ٦٦ ٪ من العاملات هـــذا

الصراع • ونلاحظ أن اغلبية ابناء اللاتى يعانين من الصراع يتجهون نحو القيم التى تؤكد التكامل بين الانسان والعالم •

جدول رقم (٨٨)

الصراع بين مكونات دور العمل والعلاقة مع الكون عند الصبية

توجيه القيمة / الحالة	الخضوع	السيطرة	التكامل	المجموع
الصراع	٢٥	٢٨	١٠٢	١٥٥
عدم الشعور بالصراع	٤٦	٩٨	١٩٨	٣٤٥
المجموع	٧٤	١٢٦	٣٠٠	٥٠٠

كا^2 = ٠٦٩٠٤ر٦

وتكشف لنا البيانات الموضحة فى الجدول رقم (٨٧) و (٨٨) أن "الادوار الخاوية لنسق الاسرة[1] " عند الام العاملة تؤثر تأثيرا قويا فى توجيهات قيم الابناء نحو العالم، بعكس الحال عند الام المتفرغة التى تؤثر الادوار الاسرية الداخلية وخاصة دور الام فى تحديد مفاهيم الابناء عن العالم ، وتحديد موقفهم من القيم التى تؤكد السلبية والايجابية والخيبية • كما أن ابناء الامهات المتفرغات اللاتى تعانين من الصراع أكثر تأكيد للنظام والعملية والمثابرة على العمل من ابناء اللاتى لا يعانين من الصراع •

وهكذا يتبين لنا من دراسة توجيهات القيم المفضلة ازاء بعض المشكلات عند الصبية فى مرحلة الانتقال من مجتمع تقليدى بطئ التغير الى مجتمع سريع التغير وجود ظاهرة الازدواج فى القيم عند كثير من الابناء ، وتعدد الحلول المفضلة ازاء مشكلات من نوع واحد • ويعكس هذا الازدواج مرحلة التغير السائدة والتى تتميز بالتغير السريع والتى تهدف الى احلال قيم جديدة مكان القيم التقليدية • ويعبر هذا الازدواج عن ظاهرة اجتماعية سليمة فى مرحلة التحول ، ويعكس التناقضات الموجودة فى البناء الاجتماعى • فالقيم الجديدة لم تنظم بعد تنظيما كاملا ، كما ان البناء لم يعفى القيم القديمة عن اداء وظائفها • ويعكس هذا الازدواج الظروف الاجتماعية والاقتصادية القلقة التى تعيش

(١) Parsons T. : Family, socialization and intraction process op.cit p 47.

فيها الامهات والمسئولون عن تربية الاولاد ، وعدم استقرارهم على اساليب محددة لتربية الاولاد ، اذ ان هذه الظروف المتغيرة تلعب دورا حاسما فى نوع القيم التى تدمج فى شخصيات الابناء ، فيتوحد الصبية مع مجموعة من القيم المتشابهات تحدد سلوكهم فى المواقف المختلفة ، ومن ثم يصبح تحديد السلوك متعذرا فى المواقف المختلفة ، ويؤدى هذا الى عجز الصبية عن مواجهة المواقف ، ويصعب عليهم تحديد التوقعات المطلوبة منهم فى الموقف ، ويعانون دوما من الصراعات بين التوقعات المختلفة ، كذلك تتعدد الاهتمامات وتتشتت حول موضوع واحد .

ونقرر ان توحد الصبية مع قيم متشابهات ومعاناتهم لازدواج القيم يولد شخصيات قلقة تتميز علاقاتها بعدم الاستقرار ، ويتذبذب سلوكهم " ويخضعون لقوى الاغراء[1] " ، ويتعذر علينا تحديد ما تنطوى عليه ثقافة الصبية فى مجتمعنا ، لأن الصبية يتشتتون بين كافة الحلول الممكنة ، التقدمية منها والرجعية ، وبين القيم التقليدية السائدة والقيم الجديدة المتغيرة . ولا يمكننا ان نصف قيم المرحلة الحاضرة بانها قيم اشتراكية أو قيم رأسمالية ، لأن مجتمع الصبية فى الآونة الحاضرة يحتوى كافة الحلول الممكنة ، الجديدة والقديمة .

واذا كان الازدواج فى القيم ظاهرة اجتماعية لمجتمع الصبية تعكس الظروف البنائية القلقة ، فان هذا الازدواج يخلق مشكلات التوتر النفسى والاحساس بالتنافر بين العناصر الاجتماعية فى الموقف ، ومن ثم فان فترة الصبا لم تعد فترة الكمون والهدوء النفسى التى وصفها فرويد وبارسونز ، واكد بارسونز أنها تعتمد على تكامل الاسرة كنسق[2] . ولكننا نرد عدم الطمأنينة فى عالم الصبية الى الاسباب الآتية :

اولا : تعدد الحلول المفضلة للمشكلات ذات الموضوع الواحد .

ثانيا : تنافر القيم التى تحدد سلوك الشخصية والمتوحدة بها .

ثالثا : الازدواج بين التفكير النظرى والسلوك العملى .

وقد اثبتت لنا الدراسة الميدانية انعدام الصلة بين اساليب الامومة فى تنشئة الابناء على اداء سلوك معين ، وتوجيهات القيم المفضلة عند الابناء . وقد ثبت رسوخ

---

(١) Neiman Lionel : The influence of peer groups upon attitudes toward the feminina role : In smelser Neil, personality and social system op.cit p 248.

(٢) Parsons T. : Family, socialization and interaction process op.cit p. 44.

المسافة الاجتماعية بين اساليب الام فى التربية وسلوك الابناء ، ولم يعد الابناء يتجهون فى سلوكهم حسب رغبة الام فى هذا الطور ، ولم تعد شخصياتهم تذوب داخل نسق الاسرة ، لكنهم يتوحدون مع قيم جديدة وهذه النتيجة تعطى لنا صورة واضحة تؤكد ان تأثير الام اصبح قليلا نسبيا فى هذا الطور ووجود انساق اخرى يتفاعل معها الصبى وتؤثر فيه •

وقد اثبت البحث الميدانى تباين توجيهات القيم المفضلة عند ابناء العاملات عن ابناء المتفرغات ، وان ابناء العاملات اكثر قبولا للقيم الجديدة • ويرد هذا التباين الى تغير العناصر البنائية للاسرة ، والى اختلاف اساليب التنشئة بين الامهات العاملات والمتفرغات •

وقد اثبت لنا البحث عدم وجود فوارق ازاء القيم المفضلة عند الفتيان والفتيات فى هذا الطور من العمر مما يؤكد لنا ان القيم الاجتماعية فى هذا الطور لم يعد يحددها الجنس ، وهذا يجعلنا نؤكد خضوع الجنسين لمضمون تربوى مشترك ، وان اساليب التربية اصبحت واحدة بين الجنسين •

وقد اوضحت لنا الدراسة التحليلية الاحصائية انعدام الصلة الا نادرا بين الصراعات التى تعانى منها الامهات وبين تفضيلات الابناء لقيم معينة ، مما يؤكد لنا ان علاقة الام بابنها الصبى ليست قوية كما كان العهد فى السنوات الاولى ، وان تأثيرها عليه اقل من الطور السابق •

ويمكن لنا ان نرد تعدد توجيهات القيم المفضلة عند الصبية الى الاسباب الاتية :

اولا : عمل المرأة وما صاحبه من تغير فى ادوارها الاسرية وتدخل انساق أخرى فى عملية التنشئة والتوجيه •

ثانيا : ظهور اتجاهات جديدة فى التنشئة لم يستقر عليها بعد ، تحكم الاستجابة لمقتضيات العالم المتغير وما يتطلب ذلك من نماذج جديدة من القيم •

ثالثا : الدعوة الى قيم جديدة وهدم القيم المتوارثة ، بيد ان هذه القيم الجديدة لم تتدعم بعد المتعلقات الاجتماعية تدعيما كاملا ، ولم تتوحد بها كل الشخصيات ، فهذه القيم الجديدة غير مستقرة لعدم وضوحها عند القائمين على تربية الابناء •

••••••••••••••••

الخاتمـــــــة

يستهدف هذا البحث الكشف عن علاقة التداخل بين البناء الاجتماعي والشخصية ، باعتبار أن كلا منهما يصاغ من مادة واحدة هي القيم ، كما يبغي تأكيد علاقة الترابـط بين علم الاجتماع وعلم النفس ، وحاجة كل منهما للآخر ، واختبار بعض الفروض التي تبحث هذه العلاقة . وقد اصبح لزاما لتحقيق هذا الاتجاه ان ندرك أن الموقف الاجتماعي وما يحدث فيه من أفعال يستلزم تفاعل العناصر الاساسية للبناء الاجتماعي مع نسق الشخصية ، وهذا التفاعل هو الذي يدفع الشخصيات الى أداء الفعل داخل الموقف .

وقد قسمت الرسالة الى ثلاثة أبواب . الباب الأول ويدرس بعض النظريات المتعلقة في تفسير بناء الشخصية ، وتفسير أطوار نموها . والباب الثاني ويدرس مظاهر الترابـط بين البناء الاجتماعي والشخصية ، باعتبار البناء يتكون من مجموعة أنساق ، ويتكون النسق من علاقات بين اشخاص . وقد ارجع بارسونز هذا النسق الى نسيقات ، يتكون كل نسـيق منها من شخصين أو أكثر ، وتحدد العلاقة بينهما توقعات الأدوار والقيم ، ويتوحـد المرء القيم وتوقعات الادوار بازدياد علاقاته داخل البناء الاجتماعي . والباب الثالـث يشمل دراسة ميدانية لنسيق الأم والابن في طور الصبا ، اختبارا لبعض الفروض في ضوء الاطار النظري للرسالة . وقد أدت الدراسة الميدانية التي أجريت لاختبار عينتين احداهما ضابطة والأخرى تجريبية — تضم كل منهما مائة نسيق يتكون من الأم والابن . وقد أدت هذه الدراسة الى تبلور الافكار الاساسية المتضمنة في البابين الأول والثاني ، واتخذتهما مرشدا في تحليل نتائجها . وهذا الباب الثالث هو في الحقيقة لب البحث وجوهره ، فالنتائج التي وصل اليها هذا الجزء من الرسالة تهدف الى تدعيم علم اجتماع الفعل ونظرية الفعل التي قامت على مفاهيم نظرية خالصة ، بدراسة تجريبية عن أحوال الصبية والامهات فـي مجتمع نام .

وقد تناول الاطار النظري للبحث عرض الاتجاهات الاساسية التي اهتمت بدراســة السلوك الانساني ، وتوضيح موقف كل من علم الاجتماع التقليدي وعلم النفس التحليلـي ونظرية الفعل في علم الاجتماع المعاصر من مشكلة السلوك الانساني . وموقف الاتجـاه الثالث هو الموقف الذي انطلقنا منه ، واقتدينا بآرائه لتفسير نسيق الأم والصبي في مجتـمع نام . فهذا الاتجاه يؤمن بالمصالحة بين علم الاجتماع وعلم النفس لتوضيح أهمية وظائـف

البناء الاجتماعي ، وتأثير العناصر البنائية المتغيرة على الشخصية .

وقد توصلت دراستنا الميدانية الى النتائج الاساسية الاتية من أدوار الامهات والصبية في بناء متغير :

١ ـ ادى التغير البنائي الى عدم استقرار سلوك الامهات أثناء أدائهن لأدوارهن في الموقف ، وصعوبة تحقيق التوقعات المطلوبة منهن في الموقف ، وشعور البعض منهن بالصراع بين مكونات الدور الواحد ، أو الصراع بين مطالب الأدوار المختلفة .

٢ ـ أدى التغير البنائي الى تغير اساليب الامهات في تربية الأولاد .

٣ ـ ان القيم المكونة لبناء شخصيات الصبية ليست متماثلة أو محكمة ، فالصبية يتوحدون مع قيم متشابهات متعددة ازاء المشكلة الواحدة .

اولا : مظاهر الصراع عند الامهات :

وقد توصلنا الى النتائج الاتية عند دراسة الصراع عند الأمهات العاملات والمتفرغات :

١ ـ ان التغير البنائي أدى الى معاناة الأمهات التوتر والحيرة والارتباك نتيجة مما يشعرن به من الصراع بين القيم القديمة والقيم الجديدة التي تدخل في تكوين الادوار ، بيد أن العاملات أكثر من غيرهن معايشة لصراع بين مكونات الدور .

٢ ـ ان اكتساب الامهات العاملات لأدوار جديدة غير من طبيعة نسق الادوار التقليدية للمرأة ، وعلاقاتها بالأولاد والزوج ، وساعد على زيادة المواقف التي تعاني فيها المرأة بالصراع والتوتر .

٣ ـ يؤدى معاناة الامهات للصراع بين القيم الجديدة والقيم القديمة الى تشابه توقعات الادوار امامهن ، وشعورهن بالوهن والخور وتضارب الافعال ، بيد أن درجة معاناة الصراع تتفاوت بين موقف وموقف ، كما ان درجة الصراع تتفاوت عند الامهات عامة . فالامهات يعانين من التوتر النفسي ، أو يعشن الصراع الاجتماعي بدرجات متفاوتة نتيجة احساسهن بالنقص في تحقيق التوقعات المطلوبة منهن ، وشعورهن بعدم الاندماج في النسق الاجتماعي اندماجا كاملا ، وشعورهن بالاغتراب لعجزهن في تحقيق العناصر المتوحدة مع الشخصية تحقيقا كاملا . فالصراع بين العناصر الجديدة السائدة والمتغيرة ، كمظهر من مظاهر عدم تكامل البناء الاجتماعي يؤثر في أداء الشخصية للسلوك المطلوب منها ، ويؤدى الى معاناة الامهات للقلق والصراع ، وكلها مظاهر تهدد النسق الداخلي للشخصية .

وفى دراستنا للصراع قسمناه الى مجالات ثلاثة . المجال الأول ويرتبط بدراسة الصراع فى مظهره النفسى ، وقد توصلنا الى النتائج الاتية عند دراسة الوجه النفسى للصراع :

١ـ ان الظروف الاجتماعية التى تصادم بها الامهات ، تقلل من فرص التوافق النفسى وتزيد من فرص الشعور بالتوتر والحيرة والوهن والصراع .

٢ـ ان العاملات أكثر شعورا بالوهن والتوتر الوقتى من المتفرغات ، بيد أن المتفرغات أكثر شعورا بالقلق الدائم . وان صدقت النتيجة الأولى مع الفرض الذى وضعناه ، وخالفت النتيجة الثانية فرضنا ، فاننا نرى ان التوتر الذى تعانى منه الامهات العاملات توتر حقيقى ، له مسبباته الاجتماعية التى تصادم بها الامهات ، وتقلل من فرص التوافق النفسى . أما القلق الدائم الذى تعانى منه الامهات المتفرغات فهو قلق وهمى ، ليس له اسبابه الاجتماعية .

المجال الثانى للصراع : مضمون الدور :

وفيما يتعلق بأداء الدور فى الموقف ، وأثر الانسجام بين عناصر تكوين الدور فى تحديد الأداء فى الموقف ، نؤكد فى البداية ان البحث أوضح عدم ارتباط الاداء بالقوى النفسية وحدها التى تبغى تحقيق الاشباع المباشر ، ولا يعتمد الاداء على العناصر البنائية وحدها ، فأداء السلوك عملية منظمة تحدده طبيعة الموقف الذى تعبر عنه المشاركة لتحقيق الأداء . وما استقرار السلوك الا تعبير عن استقرار البناء وتماسك الشخصية ، كما أن عدم استقرار السلوك المرتبط بالدور يعكس تفكك البناء ، وعدم تماسك نسق الشخصية . ويؤدى تغير العناصر الاجتماعية المكونة للدور الى ظهور كل مظاهر التوترات والصراعات التى تعانى منها الأمهات .

١ـ دور الأم :

أ) ولقد تبين لنا انه فى فترة التغير البنائى ، تغيرت العناصر المكونة لمضمون دور الأم ، فلا يوجد عنصر رئيسى حاسم يحدد السلوك المرتبط بدور الأم فى كل المواقف ، فلم تعد العناصر الوجدانية هى العناصر التى تحكم سلوك الأم ، وبذا اثبتت الدراسة الميدانية فرضنا بأن التغير البنائى يؤثر على العناصر التى تحكم اداء الدور .

ب) ادى تغير مكونات دور الأم وتنافرها وتوحد الامهات مع عناصر متشابهات الى معاناة الأم للصراع فى بعض المواقف ، بيد ان الشعور بالصراع أقوى عند العاملات منه عند

المتفرغات ، وتحقق تلك النتيجة فرضنا أن العاملات اكثر من غيرهن احساسا بالصراع ومما يشتهن الاصطدام بين العناصر الاجتماعية •

جـ) أثبت البحث أن محتوى دور الأم يتغير بتغير عدد الأولاد ، وتحقق هذه النتيجة الفرض الذي استوحيناه من بارسونز عن الصلة بين محتوى دور الأم وعدد الأولاد •

د) وقد توصلت دراستنا الى نتيجتين هامتين يتعارضان مع نظرية الفص فيما يتعلق بالعلاقة بين محتوى دور الأم وعدد الأولاد من جانب ، والعلاقة بين حالات الصراع التي تعاني منها الأمهات وعدد الأولاد من جانب آخر •

النتيجة الأولى : عدم وجود علاقة طردية بين عدد الأولاد وحالات الصراع التي تعاني منها الامهات نتيجة تنافر مكونات دور الأم •

النتيجة الأخرى : ان حالات الصراع التي تعاني منها الأم المتفرغة لا تتأثر بعدد الأولاد الذين تتولى رعايتهم ، بيد أن الصراع الذي تعاني منه الامهات العاملات يتأثر بعدد الأولاد •

٢ــ دور الزوجة : وقد انتهينا من دراسة السلوك المرتبط بدور الزوجة الى النتائج الاتية :

أ) يتأثر أداء الزوجة لدورها بالعناصر التي تحكم أداءها في الموقف ، ولا يوجد عنصر واحد يحكم أداء الزوجة لسلوكها مع زوجها • وقد كشف لنا البحث أن العناصر الوجدانية التي تؤكد تبادل المحبة والاحترام والوفاء هي العناصر الغالبة على دور الزوجة المتفرغة ، أما عند الزوجة العاملة فالعناصر الادائية النفعية هي العناصر التي تسود التزامات دور الزوجة العاملة •

ب) ان العاملات اكثر احساسا من المتفرغات بالتنافر بين مكونات دور الزوجة ، وأكثر توحدا مع عناصر اجتماعية متشابهات تحكم علاقاتهن مع الأزواج ، بيد أن معاناة الصراع ليس دائما ، بل يحدده طبيعة الموقف •

جـ) تباين التوقعات المنتظرة من الزوجة من موقف لموقف ، وقد اوضحت لنا الدراسة الهوة بين سلوك الزوجة في الموقف والسلوك الذي تفرضه التزامات الدور • فالزوجة لا تؤدي كل ما يطلبه منها الدور من التزامات تقليدية ، فهي قد توحدت في طفولتها مع بعض القيم التي تؤكد الطاعة والتسليم لسلطة الرجل ، ولكنها في

شبابها قابلت بعض القيم التي تؤكد المساواة والديمقراطية فتوحدت معها ، وهذه العناصر الجديدة هي التي تفجر الصراع عند الزوجة .

٣ــ دور المهنة :

أما فيما يتعلق بمضمون دور المهنة ، ودرجة التكامل بين العناصر المكونة لهذا الدور ، فقد بينت لنا الدراسة التجريبية النتائج الآتية :

أ) تباين العناصر التي تحكم أداء الدور المهني من مهنة لمهنة ، ووجود بعض العناصر الوجدانية التي تشوب اداء الدور المهني ، وتوحد العاملات مع عناصر متشابهات تفجر الصراع في الموقف .

ب) صعوبة تحديد التوقعات المطلوبة من العاملة في مواقف العمل لتغيير سلوكها من موقف لموقف .

جـ) وقد توصلت دراستنا لمضمون الدور الى نتيجة هامة مؤداها أن العاملات في التدريس من أكثر العاملات احساسا بالتنافر والصراع بين مكونات الدور المهني ، وأن العاملات اللائي يشغلن مراكز قيادية في النسق المهني أقل من غيرهن احساسا بالصراع ، وهذه النتيجة تتعارض مع فرضنا المستمد من بارسونز والقائل بأن العاملين في المهن القيادية أكثر من غيرهم شعورا بالصراع بين مكونات الدور المهني .

ونخلص من دراسة محتوى الدور ، ودرجة الانسجام والتكامل بين العناصر التي تحكم الاداء الى تحقيق الرأي القائل بأن اداء الدور يحقق قيم المجتمع ومعاييره ، بيد أن أهم ما يميز الاداء في البناء المتغير صعوبة تحقيق التوقعات التي ترتبط بالدور في الموقف ، وتباين سلوك الأم من موقف لموقف ، نتيجة للصراع بين مكونات الدور وعدم وجود عنصر رئيسي يحكم الاداء في البناء المتغير . ونرد اختلاف الأداء الذي يسم سلوك دور الأم أو سلوك دور الزوجة أو السلوك المرتبط بدور المهنة ، وما يصاحب الأداء احيانا من مظاهر التوتر والصراع الى التغير البنائي ، وتباين العناصر التي توحدت معها العاملات والمتفرغات ، وبمفهوم بارسونز يرد هذا التباين في الاداء الى اختلاف المراكز التي تشغلها العاملات والمتفرغات في البناء ، والى تأثير الاختلافات البيئية ، والى تفاوت قدرات النسوة على التوافق في الموقف . ونرجع شعور العاملات بالصراع أكثر من

غيرهن الى توحد العاملات مع القيم الجديدة اكثر من المتفرغات ، وعدم اشباع حاجات الأمهات نتيجة لما يكتنف المواقف من صعوبات لتحقيق التوقعات الشرعية ، وقد استقرأ البحث فيما يختص بالصراع بين محتوى الدور ، نتيجة مماثلة لما وصلت اليه فلورنس كلاكهون من أن المرأة الامريكية تعانى من الصراع نتيجة تغير مكونات الدور .

المجال الثالث : الصراع بين مطالب الادوار :

أما فيما يتعلق بالدراسة المقارنة للصراع بين مطالب دور الأم ومطالب دور الزوجة ، فقد توصلنا للنتائج الآتية :

أ) ان الشعور بالصراع بين مطالب دور الأم ومطالب دور الزوجة شعور عادى ، وان كان شعور العاملات بالصراع أقوى من شعور المتفرغات . فالمرأة المصرية تنجح دوما فى تجنب الصراع بين مطالب الدورين ، بتحقيق مطالب الدور الأكثر أهمية فى الموقف . والمرأة المصرية عاملة أو متفرغة فى هذا السلوك لا تلجأ الى اهمال مطالب احد الدورين كلية على حساب الدور الآخر ، أو الهروب من مطالب دور ما الى أداء مطالب دور آخر ، كما افترضنا .

ب) اذا واجهت المرأة المتفرغة صراعا بين مطالب دور الزوجة ومطالب دور الأم ، فمطالب دور الزوجة هى الأهم فى اغلب الأحوال لتجنب غضب الزوج ، بينما أن العاملة تفضل مطالب الأولاد الصغار .

جـ) أوضحت لنا الدراسة أن الشعور بالصراع بين مطالب دورى الأم والزوجة لا يرتبط ارتباطا طرديا بعدد الأولاد ، أو تفضيل مطالب دور على آخر ، وان كان عدد الأولاد يؤثر فى حدة الشعور بالصراع بين مطالب الدورين .

وقد كشفت لنا دراسة الصراع بين مطالب الامومة ومطالب العمل أن أكثر من نصف العاملات يواجهن الصراع بين التزامات دور العمل والتزامات دور الأم ، كما أوضحت لنا الدراسة وجود مواقف رئيسية يتجلى فيها الصراع بين مطالب الدورين وهى :

— مواقف المفاضلة بين الترويح عن الابن والتزامات العمل .

— مواقف تتنازع فيها مطالب الابن يوم العطلة ومطالب العمل المتأخرة .

ولكن فى حالة مرض الابن أو انفجار مشكلة فى المدرسة تنهار مطالب العمل ، وتبدو هذه الحالات واضحة فى فترة الدراسة الابتدائية " فالابن فى المرحلة الابتدائية أسره

صعب " . وتلك النتيجة نقد صريح لرأى بارسونز القائل بأن صغر سن الأولاد يخفف حدة الصراع عند الأم ، وأن حدة الصراع تزداد عند كبر الأولاد . فصغر سن الأولاد في مجتمعنا مصدر لشدة احساسها بالصراع بين مطالب الادوار التي تتعارض مع مطالب دور الأم . ونرجع عدم شعور الامهات في مجتمعنا بحدة الصراع عندما يكبر الأولاد الى أن مجتمعنا ما زال بعيدا عن حياة الفردية والانعزالية ، فما زالت العلاقات الجماعية تسود المجتمع ، وما زالت النسوة يتزاورن بكثرة ، ويرتبطن بعلاقات اجتماعية متعددة متشعبة مع الأهل والجارات . وهذه العلاقات رغم ما يسودها من جو مشبع بمواضيع ساذجة بسيطة ، فهي علاقات وظيفية في مجتمعنا تجعل النساء لا يشعرن بالوحدة والصراع ، وتلك علاقات تفتقدها المرأة الامريكية عندما يكبر أولادها .

كما اثبت البحث وجود بعد اجتماعي بين ادوار العمل والأمومة ، فالأمومة هي المفضلة دائما ، والاهتمام بالأمومة بدلا من العمل يرجع الى قلة الانساق التي تقوم مقام الأم وتشرف على الابناء أثناء غيابها . فعدم وجود هذه الانساق يفجر الصراع ، وهو صورة تميز مجتمعنا عن المجتمع الاشتراكي كما وصفه برونفنبرنر .

وقد كشفت لنا الدراسة الميدانية للصراع بين مطالب ادوار الزوجة ومطالب أدوار العمل ، أن رأى بارسونز القائل أن الزواج حدث هام في حياة المرأة ، قول لا يصدق على العاملة ، فالعاملة لم تعد تعطي زوجها والأمور الزواجية كل اهتمامها ، فقد جار العمل ومطالبه على حقوق الزوج عند الزوجة . وقد أوضح لنا البحث الميداني أن عدم تقدير زوج العاملة لمشكلات عمل زوجته ، ورغبته في تحقيق التزاماتها نحوه على حساب راحتها من أهم الدوافع التي تفجر الصراع بين مطالب العمل ومطالب دور الزوجة .

ومن خلال الدراسة الميدانية لمظاهر الصراع اتضحت لنا الحقائق الآتية :

أ — أن تحقيق توقعات الأدوار يعتمد على تماسك البناء الاجتماعي ، فاذا شعر اعضاء البناء بالتماسك والمشاركة في القيم والارتباط بالالتزامات الأخلاقية المتفق عليها ، كان ذلك عاملا حاسما على تحقيق توقعات الأدوار ، بيد أنه في فترات التغير البنائي يتعذر تحقيق التكامل بين العناصر البنائية ، ولذا يعجز الافراد عن تحقيق التوقعات المنتظرة ويشعرون بالصراع .

٢ — تناقض النتائج التي وصلنا اليها رأى بارسونز الذى بين فيه ان النفع الاجتماعي العائد على الاسرة والمجتمع من عمل المرأة لا ينبع من الدخل الذى تحصل عليه المرأة بل من قدرتها على تحقيق التكامل بين الادوار الاسرية والادوار المهنية • ونرى ان الدراسة اوضحت غير ذلك • فالنفع الذى يعود على الاسرة من عمل المرأة في المجتمعات النامية يرجع الى الدخل العائد الذى يرفع من المستوى الاجتماعي والاقتصادى للأسرة • وبذا يتحقق رأى فروم أن الدافع الى الكسب هو الحافز — عند المرأة — الى العمل ، ولا شيء غير ذلك • فالأم في مجتمعنا تعانى اشد المعاناة من التوفيق بين التزامات الأدوار الاسرية من جانب وبين التزامات الأدوار الاسرية والادوار المهنية من جانب آخر ، وهي غالبا ما تجور على مطالب الأدوار المهنية لصالح الأدوار الاسرية ، مما يضعف انتاجها •

٣ — اذا كان لويز كوزر بيين أن صراع الادوار وحده لا يعني تحقيق نتائج نوعية ، فاننا نرى ان الصراع بين مكونات الدور ، أو مطالب الأدوار صراع حقيقي • فليس صراع الادوار غاية في ذاته ، وليس تعبيرا عن الفشل في التوحد مع المجتمع ، وانما الصراع بين مكونات الدور أو بين مطالب الأدوار الذى تعانيه الأمهات صراع حقيقي يرتبط بالعناصر المتوحدة كما يرى بارسونز • ويعكس هذا الصراع ، الصراع بين قيم متنافرة وقيم متشابهات توحدت معها المرأة • ولهذا فالصراع الذى تعانى منه الأمهات وظيفة ايجابية ، فهو منبع ينفجر منه قيم جديدة ، فمصادر الصراع توجد في العلاقات الاجتماعية وتعبر عن صراع بين موضوعات اجتماعية توحدت بها الامهات وعجزن عن تحقيقها •

ثانيا : أساليب الامهات في تنشئة الأولاد :

١ — وقد كشفت لنا الدراسة الميدانية تباين اساليب التنشئة التي توجه الابناء الى المستقبل لدى الاسر المختلفة في مجتمعنا • وقد وضح لنا جليا عدم اجماع الامهات العاملات والمتفرغات ، وعدم اتفاقهن على اساليب مشتركة لتوجيه سلوك الأبناء وتقويم انحرافهم • وقد دعمت هذه النتيجة رأى بارسونز من أن اساليب التنشئة ليست متماثلة بين جميع اعضاء البناء • كما كشفت لنا ان اساليب التنشئة في مجتمعنا أقرب الى أساليب التنشئة في المجتمعات الرأسمالية ، وأبعد عن أساليب التنشئة في المجتمعات

الاشتراكية والتي تتميز بالتماثل كما بين برونفنبرنر • ويؤدي عدم وجود انماط متماثلة متجانسة لتنشئة الأولاد في فترة التغير الى عدم ثبات توقعات الأبناء ازاء الآخرين ، وعدم اضطراد سلوكهم في المواقف المتماثلة • وقد اتفقت نتائج البحث مع آراء الكس انكلز وبارسونز من أن اساليب التنشئة تتأثر بقدر كاف بالتغير الذي حدث في البناء ، فقد استبدلت الامهات بالاساليب التربوية التقليدية في تربية الأولاد والتي نشأن عليها أساليب جديدة • وهذا التغير في اساليب التنشئة نتيجة للتغير البنائي ومحاولة لتوافق اساليب التنشئة مع هذا التغير • بيد أن الامهات لم يلفظن كلية الاساليب التي نشأن عليها ، كما لم يقبلن كل الاساليب الجديدة ، فالبناء المتغير يتضمن الاساليب الجديدة والاساليب التقليدية المتوارثة في تنشئة الأولاد • وبذا يتحقق الفرض الذي وضعناه عن تباين اساليب الامهات المفضلة في التربية عن الاساليب التي نشئن عليها ، وأن العاملة اكثر قبولا لاساليب التنشئة الاجتماعية الجديدة •

٢ — وقد أبانت لنا الدراسة اجهاض فكرة العقل الجمعي الدوركيمي في فترة التحول ، فاختلاف اساليب الامهات في التنشئة يؤدي الى توحد الصبية مع كثير من القيم السائدة والمتغيرة • واذا كان بارسونز قد أقر اختلاف بناء الشخصية الاساسية باختلاف الطبقة والمجتمع المحلي والجنس لاختلاف اساليب التنشئة ، فانه يبدو لنا أن بعض عناصر بناء الشخصية الاساسية تتغير من جيل الى جيل ، ما دامت اساليب التنشئة متغيرة ، وبذا تساير هذه النتيجة رأي انكلز بأن التغير في البناء تظهر ثمرته في الجيل الثاني ، فالآباء يعيشون تجربة التغير ، وينقلونها الى اولادهم من أجل اعادة تكيفهم مع المجتمع •

٣ — وقد ايدت النتائج التي وصلنا اليها رأي دوركيم من أن المسائل القومية — وهي محل اهتمام المدرسة — لا تنال اهتمام الاسرة • فالاهتمام ينحصر بالمسائل الاخلاقية والدينية ولا تنال الموضوعات السياسية والقومية والعلمية الا أقل الاهتمام • وبهذا تدحض هذه النتيجة فرضنا الداعي بأن الاهتمام بتلقين الابناء القيم الاخلاقية والدينية يضارع الاهتمام بالقيم السياسية والاقتصادية والنظرية •

٤ — وقد دحضت النتائج التي حصلنا عليها رأي اوجست كونت من أن الدين أصبح عنصرا ضامرا ، وأن المرحلة الدينية قد تجاوزتها الانسانية ، وأن المرحلة العلمية هي

السائدة في المجتمع الانساني • فالايمان بالدين لا زال قويا موجودا في مجتمعنا ، بيد أن الامهات يعطين الاهتمام للشعائر والطقوس الدينية ،أكثر من الاهتمام بتفسير العقائد الدينية لأولادهن •

٥ـ أما عن السن المناسب لاستقلال الابن واعتماده على نفسه ، فقد أظهر لنا البحث عدم وجود فروق ذات دلالة تكشف عن تفاوت السن المناسب لأداء الصبية اعمالا معينة عند الامهات العاملات والمتفرغات• فقد أجمعت الامهات على أن السن المناسب لاستقلال الابن نسبيا وبدء اعتماده على نفسه هو العام الثامن • وقد تعارضت هذه النتيجة مع ما يراه سيرز من أن الارتباط الزائد بالأم ، وطول فترة الاعتماد عليها ، يدعم من قيمة العناصر المتوحد بها ،وتمثل الابن للعناصر الاجتماعية المرغوبة عند الأم ، اذ أن نتائج البحث قد كشفت لنا أن طول اعتماد الابن على الأم حتى الثامنة لا يحقق النتيجة التي قال بها سيرز ، ويرجع ذلك الى تباين اساليب الأم في التنشئة من موقف لموقف ،وتفكك نسيق الأم والابن في طور الصبا بتأثير الانساق الأخرى ، وتوحد الصبي مع قيم انساق جديدة تتعارض قيمها مع القيم الاسرية •

٦ـ وقد اظهر لنا البحث ان اساليب الامهات في تنمية نوعي الادخار أو احترام الممتلكات العامة قاصرة ، اذ بدا واضحا عدم الاهتمام بالمحافظة على الممتلكات العامة ، وتلك ظاهرة مشتركة بين الامهات المتفرغات والعاملات • وقد كشفت لنا الدراسة قصور فهم الامهات لأهمية المحافظة على الممتلكات العامة ووظيفتها الاقتصادية في خدمة المجتمع • وقد ظهر لنا من البحث أن تخريب الابناء للممتلكات يرتبط بمسألة الصدق والكذب ،ولا ينظر الى التخريب كمسألة اقتصادية ترتبط بخطة التنمية ، وتعوق تنفيذها • كما أكدت النتائج اهتمام الامهات بالمسائل الخاصة التي ترتبط بمصالح الابن أكثر من الاهتمام بالمسائل العامة التي ترتبط بخدمة الجماعة • وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن الاساليب السائدة للتنشئة في مجتمعنا تنزع نزعة رأسمالية ،ولم تتبلور بعد المفاهيم الاشتراكية التي تحكم اساليب الامهات في التربية •

٧ـ ونخلص من دراستنا لأساليب التربية والتوجيه نحو النشاط الاتي أو الدأب العملي أن أقل من نصف الامهات يعودن أولادهن على تقبل النقد وممارسته ، وقد كشف لنا

البحث ان الامهات العاملات والمتفرغات يتخذن مجموعة من الاساليب التي تمرن الابناء على اداء النشاط الآلي والنشاط العملي ، وان كانت الاساليب الجديدة التي تفضل التوجيه نحو الدأب العملي وتتعلق بتدريب الابناء على النقد والمثابرة على العمل ، واستغلال الوقت فيما يعود على المرء بالنفع اكثر قبولا عند الامهات العاملات من الامهات المتفرغات .

٨ـ وقد كشف لنا البحث اتسام اساليب الامهات بالقهر والتسلط واستعمال القسوة والعقاب البدني ، وندرة استعمال التهديد بالحرمان من الحب كدافع لتقويم سلوك الصبي . ولذا فالحب كدافع للتوحد بقيم الوالدين في طور الطفولة الأولى ، صار مفقودا الى حد كبير في طور الصبا في المجتمع المتغير . وتبين لنا هذه النتيجة أسباب نفور الصبي من توجيهات الأم التي لا تستند الى الاسانيد العقلية والدعائم العاطفية مما يدفعه الى التوحد مع معايير أخرى غير المعايير الوالدية . فعملية اكتساب القيم وانماط السلوك المرغوبة عند الأم عملية لها ركيزة نفسية ، فنجاح الطفل في امتصاص قيم والديه ، يعتمد على الدافع الذي يربطه بهم ، وهو الحب . فان افتقد الابن الحب هرب الى الارتباط بالخارج وهذا ما اثبته البحث . فالرابطة بين اساليب الامهات في تربية الصبية وقيم اولادهن في طور الصبا منعدمة . وبذا دحضت نتائج البحث رأى ستور من أن الصبي ليس بقادر على التحرر كلية من أسر توحداته مع قيم والديه .

ثالثا : توجيهات القيم عند الصبية :

أما فيما يتعلق بتوجيهات قيم الصبية باعتبار القيم عنصرا مشتركا بين نسق الشخصية والبناء الاجتماعي ، فقد اظهر لنا البحث النتائج الاساسية الآتية :

١ـ وجود اختلافات أساسية بين توجيهات القيم عند الصبية .

٢ـ تباين تصورات الابناء عن السلوك المفضلة وتمرد الصبية على كل ما تريده الأم .

٣ـ لا توجد فروق واضحة بين الصبية والصبيات ازاء تفضيل توجيهات قيم معينة ، فيما عدا تفضيل البنات من أبناء المتفرغات للصدق أكثر من الصبية ، وارتباط الصبية من ابناء العاملات بالماضي أكثر من الصبيات . وهذا يؤكد لنا أن توحدات القيم في هذا الطور لا تستند على أساس من التمييز بين الجنسين .

٤ـ التناقض الواضح بين التفكير النظري والسلوك العملي في بعض المواقف ، ويكشف

لنا هذا التناقض عن توحد الصبية مع قيم متشابهات ازاء المشكلة الواحدة .

٥ — أكدت لنا النتائج التي توصلنا اليها الفرض الثالث بأن ابناء العاملات أكثر قبولا للقيم والمعايير الجديدة بتأثير أنساق اجتماعية متعددة ، فابن العاملة يواجه قيما جديدة باستمرار ، أما ابن المتفرغة فاكثر ارتباطا مع قيم الاسرة وخضوعا لها .

٦ — وتعبر لنا القيم المتباينة التي تحكم سلوك الصبية في المواقف المختلفة عن المشاعر المتناقضة التي يعاني منها الصبية ، وتؤكد هذه التناقضات ان التغير البنائي الذي يسود المجتمع ليس عاديا ، بل هو عنيف وحاد . فهذه التناقضات لا تعود الى الشخص ، بل تعود الى عدم احكام القيم التي تسود البناء . وبلغة مرتون تسرد هذه التناقضات الى العناصر الاجتماعية المدمجة في الشخصية . فالبناء الاجتماعي مملوء بالعناصر القديمة والجديدة ، ونحن بازاء " حركة تخلص من قيم قديمة الى قيم أخرى جديدة ، وبكل ما في هذه الحركة من جهد واضطراب وتحسر من ضيق بالقديم ، وبازاء حركة قبول للجديد " ، وهو لما يهضم بعد اهضاما كاملا ، فالابناء قد توحدوا مع العناصر القديمة والجديدة ، ومن ثم عانوا من تناقض السلوك العملي مع الافكار النظرية ، وتعددت القيم التي تحكم سلوكهم في المواقف المختلفة .

٧ — وقد أدت دراستنا لتوجيهات القيم عند الصبية الى استقراء نتيجة هامة هي معاناة الصبية لازدواج القيم وتوحدهم مع مجموعة من القيم المتشابهات ، ويتجلى هذا الازدواج عندما يتحكم في المواقف المتماثلة الشعور بالرفض والقبول ، ويسود والتشابه بين القيم ، ويعجز الصبية عن تحديد الحل المناسب والحكم الملائم في الموقف . ونرى مقتدين بآراء فلورنس كلاكهون أن ظاهرة الازدواج في القيم ظاهرة سليمة ومرغوبة ومطلوبة في المجتمع المتغير ، لأنها تعبر عن معايشة القيم القديمة والجديدة ، وتعكس الحاجة الى التغير الممكن والمطلوب ، والاختلاف النفسي بين الشخصيات ، وتعكس ثراء المجتمع بالقيم ، وتظهر التناقضات الموجودة في المجتمع وارتباط الافراد بهذه التناقضات .

٨ — وقد كشف لنا البحث الميداني عن نتيجة هامة تدحض رأى نرويد من أن الموضوعات المتوحدة هي الآخذين والدين فقط ، وتؤيد رأى بارسونز والمر من أن الصبي

يتوحد مع القيم الاخلاقية والاجتماعية ، وان كان الصبي اكثر تعصبا للمثل الاخلاقيــة ، واكثر احتراما لها .

٩ — نستطيع ان نقول استنادا الى نتائج البحث مسايرين بارسونز أن الاسرة لـــم تعد الجماعة الوحيدة التي تكون الطابع الاجتماعي والقومي للشخصية في طـــور الصبا . ولكن تتداخل معها أنساق أخرى نتيجة اتساع علاقات الصبي داخل البنـــاء . فمرحلة الصبا مرحلة معاناة لاعادة تقييم قيم الاسرة ، وتنظيم للعناصر الثقافية التي تعـــرف عليها الصبي ، ويلعب المنهج المدرسي دورا هاما في اعادة تنظيم قيم الصبي ، كمـــا أيدت هذه الدراسة النتيجة التي استخلصها برونفنبرنر من أن التباين بين أفكار الاســرة وجماعات الصحبة والمدرسة يؤدي الى عدم استقرار سلوك الأبناء وانحرافهم ، ومن ثـــم فالنتيجة التي وصل اليها برونفنبرنر لا تصدق على المجتمع الرأسمالي البالغ التعقيد ، بل تصدق كذلك على المجتمع النامي .

١٠ — وقد دحضت لنا نتائج البحث الرأي القائل بأن سنوات الطفولة ذات أثر خطير في تكوين الشخصية واتجاهاتها ، وأن ظروف التنشئة التي تفرض في طـــور الطفولة الأولى تظل باقية عاما بعد عام ، وتحول دوما دون ادراكنا الكامل لما يدور حولنا . فقد ثبت لنا أن الطفل لا يظل أسيرا كل ما يتوحده داخل الاسرة ، بل يرفض جانبا منه ، ويتقبل الآخر . وقد دعمت نتائج البحث رأي بارسونز من أن القواعـــد والعناصر المكونة للشخصية ليست جامدة بل متغيرة ، الا أن تغيرها ليس جذريـــا .

١١ — وقد دحضت لنا التحليلات الاحصائية فرضنا الذي يفترض أن شعور الأم بالصراع نتيجة تنافر مكونات الدور ، او الصراع بين مطالب الادوار له أثره في تفضيلات الابناء للقيم الجديدة ، ورفض القيم السائدة . فقد اثبتت لنا الدراسة أن اثـــر الصراع الذي تعاني منه الأم في مواقف معينة ليس حاسما في نبذ الابناء لقيم معينـــة وقبول قيم أخرى . وتؤكد لنا هذه النتيجة رأي بارسونز بخصوص الصبي في طـــور الصبا من سيطرة نسق الاسرة واتصاله بعالم المدرسة والرفاق ، فنسق الأم والطفل فـي طور الصبا يعاني من تأثيرات خارجية ، تضعف من تأثر الابن بأمه وارتباطه بها .

ومن دراستنا الميدانية تبين لنا النتائج الآتية ازاء بعض حلول بعض المشكلات التي يواجهها الصبية :

١ — فدراسة مفهوم البطولة لدى الصبية تبين ان البطولة الايجابية تعني المجازفة من أجل الآخرين والشجاعة والمخاطرة ، أما الهروب من البطولة فتعني الخوف من المخاطرة . وقد كشفت لنا الدراسة فيما يتعلق بالبطولة ما يأتي :

أ) أن الصبية يعجبون بالابطال ، حقيقيين وخرافيين ، فالصبي يجمع بين الواقعية والخيال ، وتؤكد هذه النتيجة رأي بارسونز من أن مرحلة الكمون مرحلة ازدواج بين البطولة الواقعية والخيالية . فالفتى يبدي اعجابه بالبطل الجوي والابطال الحقيقيين ، ويؤمن في الوقت نفسه بالبطولة الخرافية .

ب) الاعجاب بالبطل المنقذ في صورة العمل الفدائي نتيجة واضحة لمعايشة الواقع المعاصر ، والاهتمام بأعداء العالم الذي يستقي منها الصبي ابطاله .

٢ — وعن مشكلة الانانية والغيرية ، تبين لنا تمسك الصبي بالقيم الغيرية ، ويرجع ذلك الى صفة عامة من صفات الطفل والصبي ، وهي نزعتهما الى التمسك بالجماعة وشدة تعلقهما بها ، بيد أن عالم الغير ليس واسع المجال ، فهو محدود بالمعارف والاصدقاء . وقد كشفت لنا دراسة المشكلات التي ترتبط بالانانية والغيرية النتائج الآتية :

أ) يعاني بعض الصبية من الولاء لقيم الغيرية والانانية ، وبتفسير بارسونز يعاني هؤلاء من الولاء بين الاتجاهات الخاصة والاهتمامات العامة .

ب) كشف لنا البحث أن الانانية المطلقة ظاهرة نادرة في عالم الصبية ، والظاهرة الغالبة هي الميل الى الجماعة . وتلك النتيجة تؤكد رأي دوركيم من ان الصبية يرغبون في المشاركة الجماعية . وقد اوضحت لنا دراستنا ان الدافع الى المشاركة وحب الانتماء الى الجماعة وكراهية العزلة هو الرغبة في الاحساس بالعطف واضفاء العطف على الآخرين ، وكراهية الناس للأناني .

٣ — وقد اظهرت الدراسة الميدانية لتقدير الصبية لمواقف الصدق والكذب أن النزعة الى الصدق أقوى من النزعة الى الكذب . وقد كشفت لنا دراستنا لمواقف الصدق والكذب النتائج الآتية :

أ) كشفت لنا الدراسة ان الفتاة تتميز بحساسية اجتماعية مفرطة كما يقول كولي ، فهي تهتم بصورتها الاجتماعية امام الناس ، وتخشى الكذب أكثر من الصبي .

ب) وقد اوضحت لنا الدراسة ان الصبية اكثر ميلا الى الكذب ازاء من لا يملكون السلطة عليهم ، وبذا حققت هذه النتيجة صدق رأى بارسونز من أن الاطفال لديهم قابلية ملحوظة لخداع الآخرين الذين ليس لديهم القوة فى الحكم عليهم . وقد اظهرت لنا الدراسة ان الآباء علموا اولادهم الطاعة أكثر من اهتمامهم بتنشئة أولادهم على الصدق كقيمة اخلاقية .

جـ) كشف لنا البحث أن الدافع الى التمسك بالصدق وكراهية الكذب هو الخوف من العقاب مما يؤكد أن اخلاقنا تقوم على الرهبة والخوف دون سند من العقل ، فهى ضد الأخلاق الكانتية ، ولا تهتم بتقدير الذات ، بل تبغى الهروب من العقاب .

٤ـ أما فيما يتعلق بالمحافظة على الممتلكات العامة ، فكشفت لنا الدراسة النتائج الآتية التى تبين قصور الاساليب التربوية التى تؤكد اهمية المحافظة على المال العام :

أ) بينت لنا الدراسة توحد الصبية مع القيم التى تؤكد احترام المال العام والمحافظة على المال الخاص فى الوقت نفسه ، ومازال فهم وظيفة المال العام محدود وخاطئ ، فلا يدرك الصبية أن المال العام يعنى الصالح العام وخدمة الجماعة ، وأن الفائدة تعم على المجتمع والطفل نفسه .

ب) وأظهرت لنا الدراسة أن القيم التى تؤكد الممتلكات العامة واحترامها لا زالت واهية ، كما ان القيم التى تؤكد المحافظة على الحاجات الشخصية لا زالت هى القيم الرئيسية .

٥ـ أما عن الاتجاه الى التعاون ، فتبين لنا أن الاتجاه العام عند الصبية هو الايمان بالتعاون ، ورفض الاتجاه الذى يرى تأكيد الذات على حساب الآخرين . واظهرت لنا الدراسة أن ابناء العاملات أكثر اتجاها نحو الارتباط بالغير . ويعنى الصبية بالتعاون الايمان بتبادل الخدمات .

٦ـ كشفت لنا الدراسة ان الاتجاه العام هو تقدير المسئولية الجماعية وخاصة عند أبناء العاملات ، وبذا دحضت هذه النتيجة رأى بياجيه من أن المسئولية الفردية هى التى لها دور عند الاطفال ، وتكشف لنا هذه النتيجة تحول اهتمامات

الصبية من العالم الذاتي الى العالم الكبير لكي يحوزوا حب الاخرين . وقد اوضحت دراستنا لمشكلات تقدير الصبية للمسئولية النتائج الاتية :

أ) أوضح لنا البحث أن مفهوم المسئولية يعني العدالة في توزيع العقاب ، وأن المسئولية هي الصراحة وتحمل المرء لنتائج تصرفاته مع الاخرين .

ب) كشف لنا البحث تفاوت تقدير المسئولية من موقف لموقف ، وأن ابناء المتفرغات أكثر هروبا من المسئولية الجماعية ، وهذا السلوك مظهر من مظاهر التفكك الاجتماعي ، بقدر ما المشاركة والمسئولية وسيلتان لتحقيق التكامل الاجتماعي .

٧ـ نستطيع أن نقول من نتائج دراستنا الميدانية ما يلي :

أ) ان ابن المتفرغة يفضل النشاط الآني ، وان ابن العاملة يميل الى الدأب المتصل . واذا كانت فلورنس كلاكهون قد وصمت المجتمع البدائي بالنشاط الآني والمجتمع العصري بالنشاط الدؤوب ، فهذا الرأي ليس عاما ، فقد ثبت من البحث تكافؤ الضدين عند الصبية في مجتمع مدينة الاسكندرية ، اذ يجمع الصبية بين القيم التي تؤكد النشاط الآني في مواقف معينة ، والقيم التي تؤكد الدأب في مواقف أخرى .

ب) كشف لنا البحث كراهية الصبية لاستغلال جهد الاخرين ، فهم يحبون العمل ويؤمنون بأن من لا يعمل لا يأكل ، ومن جانب آخر نجد كراهية عامة للمثابرة على العمل وكراهية للنقد ، وتؤكد لنا هذه النتيجة توحد الصبية مع قيم متناقضة ازاء المشكلات ذات الصبغة الواحدة .

٨ـ اوضحت لنا الدراسة الميدانية عن الزمان توحد الصبية مع الازمنة الثلاثة ، بيد ان الارتباط بالحاضر اقوى عند ابناء المتفرغات ، واذا كانت نتائج البحث عند ابناء المتفرغات تؤكد صدق رأي هارولد بتقدير الصبية للحاضر ثم المستقبل وأخيرا الماضي ، فان الأمر يختلف عند ابناء العاملات ، فارتباط هؤلاء بالمستقبل أقوى من الارتباط بالحاضر والماضي .

وقد بينت لنا دراسة مفهوم الزمان عند الصبية ما يلي :

أ) عزوف الصبية عن الارتباط بالماضي وايمانهم بالتغير الاجتماعي وهؤلاء يحققون رأي جروفيتش بأن طابع المجتمع هو الاستمرار والتقدم والاقدام .

ب) كشفلنا البحث ان الصبيات من ابناء العاملات أكثر رفضا للماضي ، وتدل هـــذه النتيجة على كراهية الصبيات للماضي لما يحمل من آثار تعبر عنها حكايات الأم في طفولتها ، فالصبيات أكثر تطلعا الى المستقبل ، وأكثر ارتباطا بالحاضر .

٩ـ تبين لنا الدراسة ان الاهتمام بالحرية الجماعية باعتبارها قيمة وليدة في البنــــاء تجذب الكثير من الصبية ، وتؤكد ايمان هؤلاء بأن التسلط يولد اخلاق النفـــاق ، وتحقق هذه النتيجة من ان المشاركة في الحرية الجماعية تعني المساواة بــــين أعضاء النسق والتكامل بين الشخصية والبناء ، وانسجام العمليات الاجتماعيـــة .

وقد تبين لنا وجود اتجاه آخر يؤكد الخضوع ويحقق هذا الاتجاه رأى فروم من أن الطفل يتنازل عن حريته من اجل تحقيق طمأنينته ، كما تبين لنا وجـــود اتجاه ثالث يتوحد مع قيم متنافرة عن الحرية .

١٠ـ وقد كشفت لنا دراسة علاقة الانسان بالقوى عند الصبية عدم صحة رأى فلورنـــس كلاكهون من أن المجتمعات التي تؤمن بالخضوع يسودها الشعور الديني ، وأن المجتمعات التي تؤمن بالسيطرة يحكمها التفكير العلمي ، اذ كشف لنا البحـــث أن التفكير العلمي والتفكير الديني يحتلا سويا تفكير الصبية في مجتمعنا ، بيـــد أن الصبية اكثر تمسكا بالتفكير الديني ، وبذا تحقق هذه النتيجة صدق رأى بارسونز من أن أهم ما يميز سلوك الصبي هو الولاء الشديد للدين .

وفي خاتمة دراسة توجيهات القيم المفضلة عند الصبية ، نقول ان نسق القيم عنـــد الصبية في البناء المتغير ليس أكثر استقرارا وتنظيما ، بل يعاني الصبية من تعدد القيم المتوحد بها ، وعدم استقرارهم على حلول مفضلة ثابتة للمشكلات المتماثلة ، ومن ثـــم فالسلوك المثبت داخل الاسرة ليس ثابتا ، فالصبي يتوحد مع قيم جديدة باستمرار من أجل تحقيق التكيف الاجتماعي والاندماج في الجماعة .

ومن هذه الدراسة نقول ان العلاقة بين البناء الاجتماعي والشخصية علاقة عضوية ، فالمجتمع يوجد في عقول الافراد عندما يتوحد الافراد مع القيم التي تحدد سلوكهم في مواقف التفاعل ويتميز البناء المتغير بعجز الامهات عن تحقيق التوقعات المطلوبة منهن في الموقف ، وعدم استقرارهن على اساليب متفق عليها لتوجيه الابناء ، وتوحد الابناء مع قيم متعددة للمشكلات المتماثلة ، وهذا يؤدي الى وجود شخصيات قلقة تتسم احكامهـــا بعدم الاستقرار والتناقض .

المراجع



اولا : المراجع العربيـــة :

١ـ السيد محمد بدوى — الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع • القاهـــرة دار المعارف • ١٩٦٧ •

٢ـ السيد محمد بدوى — مذاهب ونظريات فلسفية • القاهرة • دار المعارف

٣ـ اميل دوركيــــــم — قواعد المنهج فى علم الاجتماع • ترجمة محمـــود قاسم • القاهرة • النهضة المصرية ١٩٥٠ •

٤ـ اميل دوركيــــــم — علم اجتماع وفلسفة • ترجمة حسن أنيس • القاهـرة الانجلو المصرية ١٩٦٦ •

٥ـ بياجيــه جــــان — الحكم الخلقى عند الاطفال • ترجمة محمد خسيرى حربى • القاهرة • مكتبة مصر ١٩٥٦ •

٦ـ جود و كورموف — الاقتصاد السياسى للاشتراكية • تأليف جود و كورموف وآخرين • موسكو • دار التقدم •

٧ـ ريموند ملكـــا — الدقة فى التوقيت • سيكولوجية الرجل المعاصر • ترجمة السيد محمد بدوى • ديوجين • القاهـــرة سجل العرب • العدد العاشر ١٩٦٩ ص ١ـ٣٢

٨ـ فرويد سيجمونـد — ثلاث مقالات فى نظرية الجنسية • ترجمة سامى محمود على • القاهرة • دار المعارف ١٩٦٣ •

٩ـ على احمد عيسى — المجتمع العربى • دراسات اجتماعية علمية • القاهرة دار المعارف ١٩٦١ •

١٠ـ محمد ثابت الفندى — الطبقات الاجتماعية • القاهرة • الفكر العربـــــى ١٩٥٤ •

....

ثانيا : الكتب الأجنبيــــــة :

1. Allport Gordon, W.: Pattern and Growth in Personality. N.Y. Holt Rinehart & Winston, 1961.
2. Ammar,Hamed: Growing up in Egyptian Village. Silwe provience of Aswan. London. Routledge & Kegan Paul. 1954.
3. Anastasia Anne: Psychological testing. N. Y. The Macmillan, 1952.
4. Baldwin, Alfred, L.: Theories of child development. N. Y. John Wiley & Sons. 1968.
5. Bischof, Ledford: Interprenting Personality Theories. N. Y. Harper & Row, 1964.
6. Blum, Gerald, S.: Psychoanalytic theories of personality, N. Y. Mcgraw-Hill, 1953.
7. Bossard, James, H. S.: The Sociology of Child Development. Revised edition. N. Y. Harper, 1954.
8. Bronfendrenner, Urie: Two worlds of childhood, U.S.A. and U.S.S.R. New York. Russell Sage Foundation, 1970.
9. Bruce, J. Biddle (ed.): Role theory. Concepts and research. Edited by. Bruce J. Biddle and Edwin, J. Thomas. John Wiley, N. Y. 1960.
10. Cattle, Raymound, B.: The scientific analysis of personality. Second printing. Chicago. Aldine Publishing Com.
11. Cartwright, Dorwin (ed.): Group Dynamic. Research and theory. Edited by Dorwin Cartwright and Alvin Zander. N. Y. Harper, 1960.
12. Cohen, Yehodi, A.: Social structure and personality. N. Y. Holt Rinehert and Winston, 1961.
13. Cooley, Charles: Social organization. Glencoe Illinois. The Free Press, 1956.
14. Cooley, Charles: Human Nature and social order. Glencoe. Illinois. The Press Press, 1956.
15. Coser, Lewis, A.: The Function of Social Conflict. Glenco. The Free Press, 1956.

16. Coser, Rose Laub (ed.): The Family: Its Structure and Functions. N. Y. St. Martins Press, 1964.

17. Davey, George: Emile Durkhiem. Paris, Vald Rasmussem.

18. Dewey, Richard: An Introduction to social psychology. By Richard Dewey and W. J. Humber. 2nd Printing. N.Y. Macmillan Com. 1967.

19. Durkhiem, Emile: The Roles of Sociological Method. Glencoe. The Free Press, 1938.

20. Durkhiem, Emile: Les formes elementaire de la vie religieuse. Paris, Librairie Felix Alcan, 1912.

21. Durkhiem, Emile: L'education morale. Nouvelle edition. Paris Libraire Felix Alcam, 1938.

22. Durkhiem, Emile: Suicide. A study in sociology translated by Johen A. Spaulding and George Simpson. London Routledge & Kegan Paul,

23. Faris, L. E. Robert: (ed.). Hand book of Modern Sociology. 2ed. Printing. Chicago. Rand Mcnally, 1966.

24. Freeman, Frank, S.: Theory and Practice of Psychylogical Testing. 3rd edition. N. Y. Holt, Rinehart and Winston, 1962.

25. Freud, Sigmund: The Major Works of Sigmund Freud. Chicago. William Benton, Publisher Ency Britanica, 1952.

26. Freud, Sigmund: Group Psychology and the Analysis of the Ego. Trans. by James Strachey. 4th Printing. London. The Hogarth Press, 1948.

27. Fromm, Erick: The sane society. London. Routledge & Kegan Paul. 1956.

28. Fromm, Erick: Psychoanalysis and Religion. London. Victor. Gollanez. Ltd. 1951.

29. Fromm, Erick: The Fear of Freedom. 4th Printing. London. Kegan Paul, 1946.

30. Gillin, John (ed.): For a science of a social man. N. Y. American Com. 1952.

31. Gitler, Joseph, B. (ed.): Personality & social structure. Review of Sociology. N. Y. John Wiley, 1957.

32. Goode, William, J.: The Family. New Jersey. Englewood Gliffs Prentic Hall Inc. 1964.

33. Hader, John, J.: Dynamic Social Research. By John J. Hader & Edward Lindman. London. Kegan Paul, 1933.

34. Hall, S. Calvin : Theories of Personality. By Calvin, S. Hall & Gardner Lindzey. 3ed Printing. N.Y. John Wiley, 1963.

35. Hartshorne, Hugh: Studies in the Decest. By Hugh Hartshorne and Mark A. May. N. Y. Macmillan, 1928.

36. Honigmann, John, J.: Culture and Personality, N. Y. Harper and Brothers, 1954.

37. Inkles, Alex: What is sociology? N. J. Englwoood Cliffs. Prentic Hall, 1965.

38. Jandy, C. Edward: Charles Horton Cooley. His life and his social theory. N. Y. The Dryden Press, 1942.

39. Jersild, Arther, J.: Child Psychology. 4th edition. N. Y. Prentic Hall, 1954.

40. Kluckhoon, Clyde: Personality in Nature, Society and Culture. Edited by Clyde Kluckhoon and Henry Murry. 2ed. Edition. N. Y. Alfred A. Knope, 1956.

41. Kluckhoon, Clyde: Mirror For Man. London. George J.Harrep, 1950.

42. Kluckhoon, Clyde: Culture and Behaviour. N. Y. The Free Press of Glencoe, 1962.

43. Kluckhoon, Florence: Variation in Value Orientation. By Florence Kluckhoon and Fred, L. Strodbek. N. Y. Row Peterson, 1961.

44. Krech, David: Individual in Society. By David Krech and others. N. Y. Mcgraw-Hill, 1962.

45. Linton, Ralph: The culture background of personality. N. Y. Appliton-Century Grofts, 1945.

46. Linton, Ralph: The Study of Man, An Introduction. N. Y. Appliton, 1936.

47. Lundberg, George: Social Research, 2ed. edition. N. Y. Congmans, 1942.

48. Maier, Menry, W.: Three Theories of Child Development. N. Y. Harper. Row, 1965.

49. Max, Black: The Social Theories of Talcott Parsons. A Critical examination. Edited By Max Black, N. J. Englwood. Prentic Hall, 1961.

50. Merton, Robert: Social Theory, Social Structure. 8th Edition. Free Press of Glencoe, 1963.

51. Merton, Robert (ed.): Sociology to day. Edited by Robert Merton and others. 4th Printing. N. Y., Basic Book, 1960.

52. Mullahy, Patrich: Oedips Myth & Complex. N. Y. Grove Press, 1955.

53. Munroe, Ruth, L.: Schools of Psychoanalytic thought. N.Y. Henry & Company Inc. 1955.

54. Myrdal, Gunner: Value in Social Theory. N. Y. Harper, 1958.

55. Nadel, S. F.: The Theory of Social Structure. Glencoe Illinois. The Free Press, 1958.

56. Newcomb, Theodore: Social Psychology. London. Tavistock Publication Ltd. 1952.

57. Parsons,Talcott: Social System. 2ed Printing. Glencoe Illinois. The Free Press, 1952.

58. Parsons,Talcott: Toward A General Theory of Social Action. By T. Parsons and others. 4th Printing. Cambridge. Harvard Univ. Press, 1951.

59. Parsons, Talcott: Family, Socialization and Interaction Process. By T. Parsons and Robert. F. Bales. Free Press, 1955.

60. Parsons, Talcott: Theories of Society. Foundation of Modern Sociological Theory. 2 Volumes. Edited by T. Parsons and Others. 2ed Printing. N. Y. Free Press. Glencoe, 1962.

61. Parsons, Talcott: The Structure of Social Action. 4th Printing. N. Y. Free Press, 1966.

62. Parsons, Talcott: Structure and Process in Modern Societies. Illinois. Free Press of Glencoe, 1960.

63. Parsons, Talcott: Essays in Sociological Theory. Pure and Applied. 4th Printing. Glencoe. The Free Press, 1964.

64. Parsons, Talcott: Social Structure and Personality. 2ed Printing. London. The Free Press, 1965.

65. Radcliff--Brown, A.R.: Methods in Social Anthropology. Chigaco. The Univ. of Chigaco Press, 1958.

66. Roazen, Paul: Freud; Polotical and Social Thought. N. Y. Alfred A. Knoph, 1968.

67. Rose, Arnold, M.: Sociology. The Study of Human Relations. 2ed. edition. N. Y. Alfred Knoph, 1957.

68. Rosenthal, M. (ed.): A Dictionary of Philosophy. Edited By M. Rosenthal and P. Yudin. Translated from the Russian. Moscow. Progress Publisher, 1967.

69. Sanford Nevitt: Self and Society. Social Change and Individual Development. N. Y. Atherton P. 1966.

70. Sargent, S. Stanfeld: Social Psychology. By S. Sargent and Robert C. Williamson. 2ed Edition. N. Y. The Ronald Press Com. 1958.

71. Sears, Robert: Identification and Child Rearing. By Robert R. Sears and Others. Reprinted. Stanford. California Stanford Univ. Press, 1967.

72. Sherif, Muzafer: Group Conflict & Cooperation. London. Routledge & Kegan Paul, 1967.

73. Smelser, Neil (ed.): Personality and Social System. Edited by Neil Smelser and William, T. Smelser. N. Y. John Wiley, 1963.

74. Southwell, Eugrene: Personality.Reading in Theory and Research. Edited by Eugrene Southwell and Michall Merbaum. Wadworth Publishing Com.

75. Stonne, Lavrence Joseph: Childhood and Adolescence Psychology of the Growing Person. N. Y. Random House.

76. Storr, Anthony: The Integrity of Personality. Penguin Book, 1964.

77. Sullivan, Harry Stack: The Interpersonal Theory of Psychiatry. N. Y. W. Norton & Com. 1953.

78. Sullivan, Harry Stack: The conseption of modern psychiatry. London. Tavistock Publication Lt. 1955.

79. Timasheff, Nicholas, S.: Sociological Theory. Its Nature and Growth. Tenth Edition. N. Y. Random House, 1960.

80. Tiryakian, Edward (ed.): Sociological Theory Values and Sociocultural Change. N. Y. Glencoe. Free Press, 1963.

81. Turner, Ralph, H.: Collective Behaviour. By Ralph H. Turner and Lewis M. Killian. Englwood Cliffs. Prentic Hall, 1957.

82. Wepman, Joseph, M. (ed.): Concepts of personality. Edited by Joseph M. Wepman and Ralph W. Heine. Chigaco. Aldine Publishing Com. 1963.

83. Whiting, Beatrice, B. (ed.): Six Cultures Studies of Child Rearing. N. Y. John Wiley, 1963.

ثالثا : الدوريات الاجنبيـــة :

1. Cotton, William: Theory of values. A.S.R. Vol. 24, 1957, PP. 310-317.

2. Coser, Rose Laub: Role Distance, Sociological Ambivalence, and Transitional Status System. A.J. of S. Vol. 72, No. 2, 1966, PP. 173-183.

3. Cotterll, Linord: The Adjustment of the Individual age and sex relation. A.S.R., Vol. 7, 1942, PP.617-620.

4. Coutou, Walter: Role playing-Vs. Role taking. An Appeal for clarification. A.S.R. Vol. 16, 1951, PP. 180-187.

5. Elmer, Glaister: Identification as a social concept. Sociological and social research, Vol. 39, 1952, PP. 103-109.

6. Engbretson, William, E.: Values of children. How they are developed. Children Education. Vol. 35, No. 6, 1959, PP. 259-264.

7. Foote, Nelson, N.: Identification as the basis for a theory of motivation. A.S.R. Vol. 16, 1951, PP. 14-21.

8. Getzels, J. W.:& E. G. Guba: Role conflict and affectiveness. A.S.R. Vol. 19, 1954, PP. 164-176.

9. Goode, William, J.: Theory of role strain. Vol. 25, 1960, PP. 483-496.

10. Gorer, Goffrey: The concepts of national character. New Science, Penguin Book. Vol. 18, 1954, PP.105-122.

11. Harold; Fallding: A proposal of Emperical study of values. A.S.R. Vol. 30, No. 2, 1965, PP. 223-233.

12. Joby, Jackson: Some variables in role conflict analysis. Social forces. Vol. 30, 1952, PP. 323-327.

13. Kegan, Jersone: The concept of identification. Psychological review. LXV 1958, PP. 296-305.

14. Klapp, Orrin, E.: Heroes Villains and Fools As agent of Social Controls. A.S.R. Vol. 19, 1954, PP. 56-62.

15. Melvin, Lang: Value development in class room. Children Education. Vol. 41, No. 3, 1964, PP. 125-126.

16. Merton, Robert: The Role Sat. B. J. of S. Vol. 8, 1957, PP. 106-120.

17. Nieman, Linoel: The problem of the concept of role. A survey of the litterature. Social Forces. Vol. 30, 1951, PP. 141-149.

18. Pugh, Dereck: Role activation conflict. A study of Industrial inspection.A.S.R. Vol. 31, 1966, PP. 835-842.

19. Ressta, Calatrise & Jacob, Cohen: Personality and time attitude. J. of Abnormal Psychology. Vol. 73, No. 5, PP. 431-436.

20. Yarrow, Marrian Radke: Maternal Employment and Child Rearing. Children Education. Vol. 8, No. 6, 1961, PP. 223-228.